

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العدد السابع والعشرون

أَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

ربيع الثاني ١٤٤٢ هـ / تشرين الثاني ٢٠٢٠

مجلة فصلية محكمة تصدر عن جامعة أهل البيت عليه السلام

رئيس التحرير: أ.د. حميد عبد جواد محمد النجدي
(رئيس الجامعة)

مدير التحرير: أ.د. باقر جواد الزجاجة
(عميد كلية الآداب)

أعضاء هيئة التحرير

أ.د. ماجد حمزة طعمة الخزاعي / مساعد رئيس الجامعة
أ.د. حسن حنتوش رشيد الحسنائي / كلية القانون
أ.د. صالح مهدي حميد الشكري / كلية الآداب، قسم اللغة الانكليزية
أ.د. عادل خليل مهدي الزبيدي / كلية الآداب، قسم الصحافة
أ.د. عزيز جبر شلال الازيرجاوي / كلية القانون، العلوم السياسية
أ.د. حافظ إبراهيم محمود / كلية التقنيات الطبية والصحية
أ.د. حسن سعيد جاسم الأسدي / كلية طب الأسنان

مدقق اللغة الإنكليزية
د. محسن علي شريب

مدقق اللغة العربية
د. جعفر علي عاشور

كربلاء، شارع الحر، شارع الحر الصغير، جامعة أهل البيت عليه السلام
ص.ب: ٤٨٦، هاتف: ٣٥١٢٥٧-٩

Karbala, Al-Hurr street, P.O.Box: 486, Tel: 351257-9

info@abu.edu.iq, www.abu.edu.iq

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

٨٥٤ لسنة ٢٠٠٥

ISSN 1819-2033

قواعد النشر في المجلة

ترحب مجلة أهل البيت عليه السلام بمساهمات الاساتذة والكتاب والباحثين في مجالات الفكر الإسلامي، والعلوم الإنسانية والإجتماعية مع الإهتمام بقضايا المشكلات الثقافية في العالم العربي والإسلامي، والتجدد والبناء الحضاري، وكذلك قضايا الإنماء التربوي والتعليمي.

يشترط في المادة المرسلة:

أن لا تكون قد نشرت أو أرسلت للنشر في مجلات أخرى.

✓ أن تلتزم بقواعد البحث العلمي والأعراف الأكاديمية بتوثيق المصادر والمراجع، بذكر البيانات كاملة، مع تحقق الموضوعية والمنهجية والمعالجة العلمية، مع تخريج النصوص القرآنية والحديث النبوي الشريف بصورة دقيقة وكاملة.

✓ أن يراعي الباحث سلامة اللغة وحسن صياغتها.

✓ يقدم البحث من نسختين مطبوعة على الآلة الكاتبة والحاسوب ويرافقه ملخص في صفحة واحدة

مع تعريف بالباحث.

✓ تخضع المادة المرسلة للنشر لمراجعة المقيمين المتخصصين.

✓ لا تعاد المواد التي ترسل إلى المجلة ولا تسترد، نشرت أم لم تنشر. ولا تلتزم المجلة بإبداء أسباب عدم

النشر.

ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه.

توجه جميع المراسلات إلى رئيس التحرير على العنوان.

كربلاء المقدسة، شارع الحر، شارع الحر الصغير، جامعة أهل البيت عليه السلام

ص.ب: ٤٨٦، هاتف: ٣٥١٢٥٧٠٩

البريد الالكتروني: info@abu.edu.iq

الموقع الالكتروني للمجلة: http://abu.edu.iq/ahl-al-bayt-jurnal

محتويات العدد

- ٨ كلمة هيئة التحرير
- ٩ **النفقة والإستثناءات الشرعية فيها**
أ.د. بلاسم عزيز الزامل
نورا لواء جاسم الكلكاوي
- ٢٦ **مصطلح المقاصد الشرعية عند المدرسة الامامية (المكانة والآراء)**
أ.م.د. حسين كاظم عزيز
- ٥٣ **المُثُل والقيَم العليا في نهج البلاغة -دراسة تحليلية-**
م.د. جعفر علي عاشور
د. جواد عودة سبهان
- مشاركة المتجنس في العملية السياسية (بحث في اثار التجنس الفردية في القانون العراقي)**
٧٧ أ.م.د. كريم مزعل شبي
- مساندة الصحافة العراقية لثورة الأمير محمد عبد الكريم الخطابي ١٩٢١-**
١٠٣ ١٩٢٧
أ.م.د. صالح عباس ناصر الطائي
- أثر العلوم الإنسانية في قراءة محمد أركون للتراث الإسلامي**
١١٥ م.د. حسين هادي

مدونات قواعد السلوك كوسيلة لمكافحة الفساد في شركات القطاع الخاص
(دراسة قانونية مقارنة) ١٣٤

م.د. ملاك عبد اللطيف

م.م. احمد زكي يحيى الجبوري

م.م. جلال حسن حنتوش الحسناوي

حكم انتقال التركة العقارية بالوفاة مع اختلاف الجنسية في التشريع العراقي

..... ١٤٧

أ.د حيدر حسين الشمري

م.م احمد خليل

أثر قدرات التجديد التنظيمي في تحقيق استراتيجية الاستدامة الاستباقية -
دراسة تحليلية لآراء عينة من المديرين في شركات الاتصالات (زين العراق -
أسياسيل) ١٦٠

أ.د علاء فرحان طالب

م. محمد جبار هادي

دور الذكاء الاستراتيجي في تحقيق الأداء العالي -دراسة استطلاعية لآراء
المديرين في الشركة العامة لصناعة السمنت الجنوبية- ١٩٠

أ.د أكرم محسن الياسري

م.م علي عبد الحسين حميدي العامري

تقويم كتاب اللغة العربية للصف الأول المتوسط على وفق معايير جودة
الكتاب المدرسي ٢٢٤

أ.م.د أحمد جبار راضي العابدي

العلاقة بين سعر الصرف وبعض المتغيرات الحقيقية في العراق للمدة
(١٩٩٠-٢٠١٦) ٢٤٦

أ.م.د. سوسن كريم هودان الجبوري

طالب الماجستير. قاسم سعد صكبان

أثر القيادة الخادمة على الاداء الابداعي للعاملين -دراسة تحليلية لآراء عينة
من منتسبي قناة كربلاء الفضائية- ٢٧٢

أ.م.د ميثاق هاتف الفتلاوي

محمد محي رحيم

- أحكام القتل العمد جريمة التسمم أنموذجاً -دراسة فقهية مقارنة مع القانون
الوضعي-** ٣٠٠
م.د زهراء مهدي
- الاستنزاف العاطفي ودوره في سلوكيات العمل السلبية -بحث استطلاعي
تحليلي لآراء عينة من اساتذة وموظفي كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة/
جامعة كربلاء-** ٣١٤
أ.م.د محمود فهد الدليمي
حسين علي عبد الله
- المبادئ العامة للقانون ودورها في حسم المنازعات الدولية** ٣٣٦
م.د عقيل كريم زغير الحسناوي
م. محمد عبد الرزاق محمد الشوك
- مستقبل الغاز الطبيعي في العراق** ٣٥٥
م.م. عبير مرتضى حميد السعدي
- سلطات الادارة الاستثنائية في تعديل العقد الاداري** ٣٧٥
م.د. علي صاحب الشريف
- المسؤولية الجنائية عن جريمة الاهمال** ٣٩٣
م.م. مرتجى عبد الجبار مصطفى
- قياس كفاءة الأداء التشغيلية للمصارف الإسلامية في العراق "المصرف الوطني
الإسلامي ومصرف إيلاف الإسلامي" حالة دراسية للمدة (٢٠١١-٢٠١٥).....** ٤٢٢
م.م. علياء كاظم عيال
- قياس التفاوت في توزيع الدخل والتعليم في العراق** ٤٤٣
م.م. صبا علاء سلمان
- وصف ناقلي اللغة في كتاب سيبويه -دراسة تحليلية-** ٤٦٢
م.م. زيد وفاق شاكر
م.م. ديانا صلاح عبد الحسين
- الخصخصة وتطبيقاتها في العراق** ٤٧٦
هناء جواد كاظم

الحساب الذهني و حل المشكلات الحسابية لخريجي المرحلة الابتدائية -للأعمار ما بين ١٢ الى ١٤ عام-..... ٤٩٠
الدكتور عباس علي عبدالرضا

التداول السلمي للسلطة في ضوء دستور جمهورية العراق لعام ٢٠١٥ .. ٥٠٨
م.م فراس عيسى الحميري
م.م صباح محمد جبر

حماية حقوق المرأة في اتفاقية سيداو والبروتوكول الملحق بها..... ٥٣٠
سعاد عبد الكاظم عبد الحميد

نظرة في قانون التعليم العالي الأهلي رقم ٢٥ لسنة ٢٠١٦ ٥٥١
د. علي عبدالحسين منصور الدراجي

كلمة هيئة التحرير

التعليم الرقمي

على رغم ما للانترنت من مساوئ وأضرار على جيل الشباب، لكنه ومع عصر الكرونا دخل الانترنت في حياة البشرية بشكل لا يتصور. فمن التواصل البيني والتبادل المعرفي إلى التجمعات الرقمية التي أصبحت بديلاً عن رفاق المقاهي والمطاعم إلى التبادل التجاري والسلعي حتى وصل أخيراً إلى التعليم الرقمي حيث تحولت غرفة الطالب في بيته إلى صف دراسي وإلى قاعة مناقشة وتحول الهاتف والتابلت واللابتوب إلى أستاذ يجيب عن كل سؤال تسأله ويعطيك الحلول لأصعب المسائل الرياضية والفيزيائية، ويجيبك عن آلامك سببها وعلاجها ليس فقط يجيبك على ما تريد أن تسأله بل يقوم باختبارك بثقة عالية؛ إنك أمين على ما قرأت واستفدت.

لقد تحول الانترنت مع الكرونا إلى شيء آخر فبعد أن كان وسيلة للهو والاستمتاع وقضاء أوقات الفراغ بل في بعض الموارد سبيلاً للإفساد وتغيير اخلاق الشباب، بل حتى وسيلة للجرام والإرهاب، أصبح اليوم ملجأ لكل طالب علم ولكل تلميذ ينشد النجاح في حياته العملية.

لقد ادركنا ومن خلال هذا التحول في عالم الانترنت كم لهذا المخلوق الوهمي الذي لا يرى بالعين المجردة كم له من فوائد وكم يستطيع الانسان أن يستفيد منه؟ فإذا كان البعض إلى الأمس القريب يلعن الأنترنت لأنه جلب لهم الجريمة والإرهاب وعصائب القتل والدمار أصبح الكثير منا يترحمون على الآباء الذين اكتشفوا هذا المخلوق العجيب الذي لم يدرك أحد حتى الآن ماهيته بالتحديد، لكنهم أصبحوا اليوم اسارى مقيدين له في البيت والعمل والدائرة وفي الشارع والسيارة وحتى وهم بين السحاب لا يستغنون عن اللابتوب وجهاز الهاتف النقال، فهناك أبعاد جديدة للانترنت وعلاقته بالانسان يُشير بمستقبل واعد للبشرية جمعاء.

النفقة والإستثناءات الشرعية فيها

Expenditure and Legitimat Exclusion in it

Prof. Balasim Azuz Al-Zamly

Noora Liwa Jasim

أ.د. بلاسم عزيز الزاملي^(١)

نورا لواء جاسم الكلكاوي^(٢)

الخلاصة

النفقة هو ما يحتاج اليه الانسان في حياته من المأكل والمسكن والملبس وتجب بأحد أسبابها الثلاثة (الزوجية) و(القراية) و (الملك) ففي نفقة الزوجية يجب توفر شروط اساسية وهي..أن يكون العقد دائماً، والتمكين التام، وبقاء الزوجية وتقدر النفقة بسد حاجة الزوجة بما تحتاج اليه من طعام وإدام، وكسوة وغيرها، وتجب النفقة على الأقارب وهم الابوان والأولاد والعمودين من الأقارب كالإخوة والأخوال والأعمام وغيرهم. وتستحب وتتأكد في الوارث منهم ويشترط في وجوب الإنفاق الفقر. وفي المنفق المقدرة. أما بما يتعلق بنفقة المملوك فهي واجبة على ما يملكه الإنسان من الرقيق ذكراً أو أنثى. ويتخير المولى في نفقتهم أما من ماله أو من كسبهما ولا يوجد تقدير لنفقتهما بل الواجب قدر الكفاية من إطعام وإدام وكسوة وتوجد هنالك إستثناءات شرعية في النفقة يكون فيها المستثنى خارجاً على وجوب الإنفاق.

Abstract

Alimony is what a person needs in his life from food, housing, clothing and one of the three causes (marital relationship) and (kinship) and (ownership) in the Alimony of marriage must be provided the basic conditions: a permanent contract, and full empowerment, and continuity of marriage.

١ - جامعة كربلاء - كلية العلوم الإسلامية.

٢ - جامعة كربلاء - كلية العلوم الإسلامية.

The alimony is estimated by filling the wife's need for the food, clothes and house, and other necessities, and it is obligatory to make alimony to relatives who are parents, children and close relatives such as brothers, uncles, orphans and others.

Prefer and make sure in the heir to them and stipulate that poverty must be spent in the spending capacity either with respect to the Alimony of the slaves is a duty on whether the slave was male of female and the mullah can choose to spend their own expense either from his money or from their earnings and there is no estimate of their spending, but it is necessary to be sufficient to feed and eat. There are legal exceptions in alimony, in which the excluded are excluded from spending.

المقدمة

لقد إهتمت الشريعة الاسلامية وإعتنت بالزواج عناية كبيرة وفائقة لكونه هو السبيل لبقاء وإستمرار النوع الانساني، وهو الحجر الأساس الذي يقوم عليه بناء الأسرة وتكوين المجتمع، ورتبت الشريعة الاسلامية على الزوج حقوقاً وواجبات لكلا الزوجين، فإذا ما راعاها كل منهما إتجاه الآخر قويت رابطة الزوجية وإستقرت وإستقامت الحياة الأسرية وتقسم تلك الحقوق الى ثلاثة أقسام:

القسم الاول:- حسن المعاشرة وهو حق مشترك بين كلا الزوجين

القسم الثاني:- الطاعة وهو حق الزوج على زوجه

القسم الثالث:- المهر والنفقة وهو حق الزوجة على زوجها

وسنتناول في هذا المبحث القسم الثالث من تلك الحقوق وهو حق النفقة حيث سنتطرق لبيان معنى النفقة وأسباب إستحقاقها ومستحقّيها وشروط النفقة وقدرها وهذا ما سيتضمنه المطلب الاول من البحث، ثم نستعرض في المطلب الثاني الإستثناءات الشرعية في أحكام النفقات وتوضيحها وبيان الدليل الشرعي عليها والتطرق لأقوال الفقهاء فيها، ثم بعد ذلك تأتي الخاتمة التي تتضمن أهم النتائج التي توصلنا اليها أثناء رحلة البحث.

المطلب الاول: معنى النفقة وأسبابها

إن النفقة من الأمور المهمة التي تتعلق في الحياة العائلية والمعيّل الذي تجب عليه ويتضمن البحث في النفقة بيان معنى النفقة، والأسباب التي تجب فيها النفقة، ومن ثم بيان بعض النماذج المستثناة من وجوب الإنفاق.

أولاً: معنى النفقة

النفقة لغة:

(نفقت الدابة تنفق نفوقاً أي ماتت،... ونفق السعر ينفق نفاقاً إذا كثر مشتروه. والنفقة: ما أنفقت وإستنفقت على العيال ونفسك. والنفق: سرب في الأرض له مخلص إلى مكان)^(٣).

النفقة اصطلاحاً:

عرفها السيد الخوئي (ت: ١٤١١هـ) فقال: (النفقة هي ما يحتاج إليه الإنسان في حياته من المأكل والملبس والمسكن فلا تشمل المؤونة اللازمة بعد الموت)^(٤).

ثانياً: أسباب استحقاق النفقة

لا تجب النفقة إلا بأحد أسبابها وهي ثلاثة: (الزوجية) و (القربة) و (الملك).

أولاً: نفقة الزوجة:

وهي ما يجب على الزوج إنفاقه على الزوجة بعد عقد الزواج بشرط عدم النشوز، وعليه لا بد من دراسة شروطها وقدرها.

أ - شروط النفقة:

يجب توفر شروط أساسية في نفقة الزوجة وهي:

١. أن يكون العقد دائماً.

٢. التمكين التام (وهو التخلية بينها وبينه للوطي وسائر الإستمتاعات، فلو لم تفعل ذلك لم يح صل التمكين الكامل الموجب للنفقة)^(٥)، ولا تجب النفقة بالمتعة ولا لغير الممكنة من نفسها كل وقت في أي موضع أراد فلو مكنته قبلاً ومنعته غيره سقطت نفقتها وكذا لو مكنته نهاراً أو ليلاً أو في مكان دون آخر مما يجوز فيه الإستمتاع.

٣. بقاء الزوجية: لو إنتفت الزوجة سقطت نفقتها وكذا لو إرتدت، فإذا أسلمت عادت نفقتها عند إسلامها. وتستحق النفقة الزوجة المسلمة، والكتابية، والأمة إذا أرسلها مولاه ليلاً ونهاراً^(٦). كما (تثبت النفقة للمطلقة الرجعية، كما تثبت للزوجة، وتسقط نفقة البائن وسكناها، سواء كانت عن طلاق أو فسخ. نعم، لو كانت المطلقة حاملاً، لزم الإنفاق عليها حتى تضع وكذا السكنى)^(٧). وهل النفقة للحمل أو للحامل؟ قال الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠هـ): هي للحمل^(٨).

ولو سافرت الزوجة بإذن زوجها لم تسقط نفقتها، سواء كان سفرها في واجب أو مندوب أو مباح. وكذا لو سافرت في واجب بغير إذنه، كالحج الواجب. أما لو سافرت الزوجة بغير إذن زوجها في مندوب

٣- كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، ٥/ ١٧٧.

٤- كتاب الطهارة: أبو القاسم بن علي أكبر الموسوي الخوئي، ط ٢٠١٤١١هـ، المطبعة العلمية- قم، ٨ / ٣٩١.

٥- شرائع الإسلام: المحقق الحلي، ٢/ ٦٦٩.

٦- ينظر: إيضاح الفوائد: محمد بن الحسن الحلي، ٣/ ٢٦٦-٢٦٧-٢٦٨.

٧- شرائع الإسلام: المحقق الحلي، ٢/ ٦٧٠.

٨- ينظر: المبسوط: الشيخ الطوسي، ٥/ ٢٧٥.

أو مباح سقطت نفقتها. ولو صامت أو صلت أو اعتكفت بإذنه أو في واجب وإن لم يأذن الزوج لم تسقط نفقتها. وكذا لو عملت شيئاً من ذلك ندباً، لأن له فسخه. ولو إستمرت الزوجة مخلقة تحقق النشوز وعندها تسقط النفقة^(٩).

ب - قدر النفقة:

تقدر نفقة الزوجة بحسب الحاجة وقدرة الزوج وشأن المرأة وعادة إقرانها لذا قدرها بعض الفقهاء بسد حاجتها إذ قال: المحقق الحلي (ت: ٦٧٦ هـ): النفقة: (ما تحتاج إليه المرأة من طعام... وأدام... وكسوة... وإسكان... وإخدام... وآلة الأدهان، تبعا لعادة أمثالها من أهل البلد)^(١٠).

أما الإطعام ففي تقديره خلاف، فمنهم من لم يقدر وإقتصر في ذلك على سد الخلة. وهو أشبه. ومنهم من قدره بمد للرفيعة والوضيعة من المؤسر والمعسر. وفي الإخدام يرجع إلى عاداتها، فإن كانت من ذوي الإخدام وجب، وإن لم تكن كذلك خدمت نفسها. وفي حال وجوب الخدمة فالزوج بالخيار بين الإنفاق على خادمها إن كان لها خادم، وبين أن يبتاع خادم، أو يستأجره، أو الخدمة لها بنفسه، وليس للزوجة التخيير. ولا يلزمه أكثر من خادم واحد، وإن كانت من ذوي الحشم، لأن الإكتفاء يحل بها، ومن الإعادة لها بالإخدام، بخدمها مع المرض، نظراً إلى العرف^(١١).

ويرجع في جنس المأدوم والمسكن والملبوس إلى عادة أمثلها من أهل البلد. ويحق لها المطالبة بالتفرد بالمسكن أي: التفرد بالحجرة أو بالدار عن مشاركة غير الزوج، ولا بد في الكسوة من زيادة في الشتاء للتدثر كالحاف للنوم والمحشوة لليقظة. ويرجع في جنسه إلى عادة أمثال المرأة. وتزداد الكسوة إذ كانت الزوجة من ذوي التجميل زيادة على ثياب البذلة: أي الثياب العادية التي تلبس في البيت أو عند من لا تحتشم منه بما يتحمل أمثالها به^(١٢).

ثانياً: نفقة الأقارب

والكلام فيما ينفق عليه وكيفية الإنفاق

تجب النفقة على الأبوين وعلى الأولاد إجماعاً. أما في وجوب الإنفاق على أباء الأبوين وأمهاتهم فهناك تردد أظهره وجوب الإنفاق، ولا تجب النفقة على غير العمودين من الأقارب كالأخوة والأخوال والأعمام وغيرهم ولكن تستحب وتتأكد في الوارث منهم^(١٣).

كيفية الإنفاق:

يشترط في وجوب الإنفاق الفقر. وهل يشترط العجز عن الاكتساب؟ فالأظهر إشتراطه، وذلك لأن؛ النفقة معونة على سد الخلة. ولا عبء بنق صان الحكم كالجنون وال صغر ونحوهما. ولا بنق صان الخلقة

٩- ينظر: مسالك الإفهام: الشهيد الثاني، ٨ / ٤٤٥-٤٤٦.

١٠- شرائع الإسلام: المحقق الحلي، ٢ / ٩٧١.

١١- ينظر: مسالك الإفهام: الشهيد الثاني، ٨ / ٤٥٦-٤٥٧.

١٢- ينظر: شرائع الإسلام: المحقق الحلي، ٢ / ٦٧٢.

١٣- ينظر: النبايع الفقهية: علي أصغر مرواريد، ط ١، ١٤١٠ هـ، دار التراث- بيروت، ١٩/٥٢٢.

كالإقعاد، والعمى ونحو ذلك مع الفقر، والعجز. وتجب النفقة ولو كان كافراً، أو فاسقاً وتسقط إذا كان مملوكاً، وتجب على المولى^(١٤).

ويشترط في المنفق القدرة، فلو حصل له قدر كفايته، فيقتصر على نفسه، أما إن فضل شيء فلزوجته، فإن فضل فلأبوين والأولاد. ولا تقدير في النفقة، بل الوجوب هو قدر الكفاية من الكسوة، والإطعام، والمسكن وما يحتاج إليه من زيادة الكسوة في الشتاء للتدثر بقطعة ونوماً^(١٥). ولا يجب إعفاف: أي تزويج من تجب نفقته ذكراً أو أنثى، أو تملك أمة، أو تحليلها له ولا قضاء لنفقة الأقارب، وذلك لأنها مواساة لسد الحاجة فلا تستقر في الذمة حتى لو عين الحاكم مقدار النفقة، لكن لو أمر الحاكم الوالد -مثلاً- بالإستدانة على ذمة الولد فإستدان وجب على الولد القضاء له للدين^(١٦).

ثالثاً: نفقة المملوك:

النفقة واجبة على ما يملكه الإنسان من الرقيق ذكراً وأنثى ويتخير المولى في نفقتهم أما من ماله، أو من كسبهما بأن يأمرها بالإكتساب وأخذ النفقة من كسبهما. ولا يوجد تقدير لنفقتهم بل الواجب قدر الكفاية من إطعام وإدام وكسوة. ويرجع في جنس ذلك كله، إلى عادة ممالك أمثال السيد من أهل بلده. ولو إمتنع عن الإنفاق يجبر حينها أما على البيع، أو الإنفاق ويتسوي في ذلك القن^(١٧)، وأم الولد^(١٨)، والمدير^(١٩) جميعاً^(٢٠). ويجوز للمولى أن يخرج المملوك بأن يضرب عليه ضريبة، ويجعل الفاضل له إذا رضي، فإذا كان الفاضل قدر كفايته، وكله إليه، ولو خارجه ولم يكفيه الفاضل فالتمام على المولى. ولا يجوز المخارجة على أكثر مما يستطيع إكتسابه. وتجب النفقة أيضاً على ما يملكه الإنسان من البهائم سواء كانت مأكولة أو لم تكن. فالواجب القيام بما تحتاج إليه، فإن إجتزأت بالرعي وإلا علفها. فإن إمتنع أجبر على أحد الأمور أما الإنفاق، أو البيع، أو الذبح إذا كانت من أهله، وإن كان لها ولد، وفر عليه من لبنها قدر كفايته. أما لو إجتزى بغيره من رعي أو علف، جاز أخذ اللبن^(٢١).

١٤- ينظر: مسالك الإفهام: الشهيد الثاني، ٨ / ٤٨٥-٤٨٦.

١٥- ينظر: جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام: الشيخ محمد حسن الجواهري، تحقيق وتعليق: محمود الفوجاني؛ تصحيح: السيد إبراهيم المبانجي، ط ٢، ١٣٦٦هـ، دار الكتب- طهران، ٣١ / ٣٧٤-٣٧٦.

١٦- ينظر: شرائع الإسلام: المحقق الحلي، ٢ / ٦٧٥-٦٧٦.

١٧- القن: (هو المملوك المحض الخالص غير المتشبه بالحرية) شرائع الإسلام: المحقق الحلي، ٢ / ٦٧٧.

١٨- أم الولد: هي: (العبدة، أو السرية إذا وطئها سيدها، وحملت منه)، الشيعة في الميزان: الشيخ محمد جواد مغنية، ط ٤، ١٣٩٩هـ، دار التعارف للمطبوعات- بيروت، ٢٢٤.

١٩- المدير: هو المملوك الذي قال له سيده أنت حر بعد وفاي، ينظر: شرح رسالة الحقوق "الإمام زين العابدين" -عجل الله -

تحقيق وشرح: حسن السيد علي القبانجي، ط ١، ١٤٠٦ هـ، مطبعة اسماعيليان- قم، ٤٤٨-٤٤٩.

٢٠- ينظر: شرائع الإسلام: المحقق الحلي، ٢ / ٦٧٦-٦٧٧.

٢١- كتاب النكاح: الشيخ مرتضى الأنصاري: تحقيق: لجنة تراث الشيخ الأعظم، ط ١، ١٤١٥ هـ، مطبعة باقري- قم، ٤٨٨.

المطلب الثاني: الإستثناءات الشرعية في أحكام النفقات

المقصد الاول: لا نفقة في سفر مندوب أو مباح بغير إذن الزوج

تستثنى الزوجة المسافرة بغير إذن زوجها في سفر مندوب أو مباح من النفقة فلو سافرت الزوجة بغير إذن الزوج في مندوب أو مباح سقطت نفقتها^(٢٢).

التوضيح

لو سافرت الزوجة بإذن الزوج فإنه لا خلاف في عدم سقوط نفقتها فيما لو فعلت ذلك، سواء كان في واجب، أو مندوب، أو مباح، كما إنه لا فرق مع سفرها بإذنه بين أن يكون لمصلحته أو لمصلحتها، لأن الإذن من الزوج إسقاط لحقه، فيبقى حينئذ مقتضى حقها بحاله. كما أن الإذن يفيد عدم نشوزها^(٢٣). وكذا الكلام فيما لو سافرت الزوجة في واجب مضيق بغير إذنه كالحج الواجب فإنها تستحق النفقة، لكونها معذرة كما إنه (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)^(٢٤)، وقد روى أبان عن زرارة عن أبي جعفر -عليه السلام- فقال: (سألت عن امرأة لها زوج وهي ضرورة ولا يأذن لها في الحج، قال تحج وإن لم يأذن لها)^(٢٥) والرواية صحيحة^(٢٦)، فلا حق للزوج عليها مع الإذن أو تضيق الوجوب كي تكون مقصرة فيه، فتبقى مندرجة في إطلاق أدلة الإنفاق، أما لو سافرت بغير إذنه في مندوب أو مباح سقطت نفقتها لأنه من حقه عليها أن لا يقع ذلك منها إلا بإذنه، بل الظاهر ذلك وإن لم ينافِ الإستمتاع لغيبه منها أو غيرها، بل هي من الناشز، لا نفقة لها. بل لا يبعد القول بسقوط نفقتها أيضاً في السفر بغير إذنه في الواجب الموسع، لتضييق حقه، فلا يعارضه الموسع^(٢٧)، وعليه تستثنى من النفقة الزوجة المسافرة بغير إذن زوجها في مندوب أو مباح.

الدليل:

وردت لنا الكثير من الروايات عن النبي محمد -ﷺ- وعن أهل البيت -عليهم السلام- تؤكد على أهمية حق الزوج على الزوجة ومنها ما رواه:

١. أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن مالك بن عطية، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر -عليه السلام- قال: ((جاءت امرأة إلى النبي -ﷺ- فقالت: يا رسول الله ما حق الزوج على المرأة؟ فقال لها: أن تطيعه ولا تعصيه ولا تصدق من بيته إلا بإذن ولا تصوم تطوعاً إلا بإذنه، ولا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب^(٢٨)، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه وإن خرجت من بيتها بغير إذنه لعنتها ملائكة

٢٢- ينظر: مسالك الإفهام: الشهيد الثاني، ٨ / ٤٤٥.

٢٣- ينظر: جواهر الكلام: الشيخ الجواهري؛ ينظر: كلمة التقوى: محمد أمين زين الدين، ط ٢، ١٤١٣هـ، مطبعة مهر - قم، ١٥٠/٧.

٢٤- من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق، ٦٢١/٢.

٢٥- المصدر نفسه: ٤٣٨ / ٢.

٢٦- ينظر: رجال النجاشي: الشيخ النجاشي، ٢٣٣.

٢٧- ينظر: جواهر الكلام: الشيخ الجواهري، ٣١ / ٣١٤.

٢٨- القتب (ما يوضع على سنام البعير ويركب عليه)، الكافي: الشيخ الكليني، ٥٠٧/٥.

السماء وملائكة الأرض وملائكة الغضب وملائكة الرحمة حتى ترجع إلى بيتها)) (٢٩) إلا إن سند هذه الرواية غير معتبر (٣٠).

٢. (روى الحسن بن إبن محبوب، عن مالك بن عطية، عن سليمان بن خالد، عن أبي عبد الله -عليه السلام- أن قوماً أتوا رسول الله -ﷺ- فقالوا: يا رسول الله إنا رأينا أناساً يسجد بعضهم لبعض فقال رسول الله -ﷺ-: لو أمرت أحداً يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها) (٣١) وهذه الرواية حسنة (٣٢).

وغير ذلك الكثير من الأحاديث التي تؤكد على أهمية حق الزوج على زوجته ووجوب إطاعته وعدم معصيته والخروج بغير إذنه وإن عدم طاعة الزوجة للزوج وعصيانها له يعد نشوزاً لقوله تعالى: ﴿أَمَوَّلَهُمْ... وَاللَّي تَخَافُونَ نُشُوزَهُمْ فَعِظُوهُمْ وَاهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُمْ فَإِنْ أَطَعَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِمْ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً﴾ (٣٣) ومعنى قوله تعالى أن اللاتي تخافون (نشوزهن) أي ترفعهن عن طاعتكم وعصيانكم فعظوهن بالقول وأن لم تنجح العضة إهجروهن في المضاجع أي: يحول ظهره إليها فإن لم ينفع الهجرة إضربوهن ضرباً غير شديداً لا يقطع لحماً ولا يكسر عظماً فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن بالتوبيخ والإيذاء إن الله كان عليماً كبيراً فأحذروه (٣٤).

ومن الروايات التي تؤكد على سقوط نفقة الزوجة لو خرجت بغير إذن زوجها ما رواه:

١. محمد بن يعقوب، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله -عليه السلام- قال: ((قال رسول الله -ﷺ-: أيما امرأة خرجت من بيتها بغير إذن زوجها فلا نفقة لها)) (٣٥) والرواية معتبرة (٣٦).

٢. الحسن بن علي بن شعبة في (تحف العقول) (٣٧) عن النبي -ﷺ-، إنه قال في خطبة الوداع: ((أن لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حقاً، وحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم ولا يدخلن بيوتكم أحداً تكرهونه إلا بإذنكم وأن لا يأتين بفاحشة فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعظوهن

٢٩- الكافي: الشيخ الكليني: ٥ / ٥٠٦-٥٠٧.

٣٠- لأن جميع الرواة من الثقة: ينظر: رجال النجاشي: ٣٢٣-٣٢٤-٤٢٢؛ ينظر: معجم رجال الحديث: السيد الخوئي؛ ٩٦/٦. إلا أحمد بن محمد فإنه مجهول حيث ذكر السيد الخوئي أنه لم يذكر في كتب رجال الحديث إلا عند البرقي الذي عده من أصحاب الإمام الصادق -عليه السلام- ينظر: معجم رجال الحديث: السيد الخوئي، ٢٠٧/٢.

٣١- من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق، ٣/٤٣٩-٤٤٠.

٣٢- لأن جميع رواة السند من الإمامية الثقة ينظر: الفهرست: الشيخ الطوسي، ٩٧؛ رجال النجاشي: النجاشي، ٤٢٢؛ ماخلا سليمان بن خالد فإنه ممدوح: ينظر: رجال النجاشي: النجاشي، ١٨٣.

٣٣- سورة النساء: الآية: ٣٤.

٣٤- ينظر: الأصفى في تفسير القرآن: المولى محمد محسن الفيض الكاشاني، تحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، ط ١، ١٤١٨هـ، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي- قم، ١ / ٢٠٨.

٣٥- الكافي: الشيخ الكليني، ٥ / ٥١٤؛ تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي، ٧/٣٥٢.

٣٦- ينظر: معجم رجال الحديث: السيد الخوئي، ٤/٢٣.

٣٧- ينظر: تحف العقول عن آل الرسول: الحسن بن علي بن شعبة الخراساني: تحقيق وتصليح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط ٢، ١٤٤٠هـ، مؤسسة النشر الإسلامي- قم، ٣٣.

وتُجْرَوْنَ فِي الْمَضَاجِعِ وَتُضْرَبُونَ ضَرْباً غَيْرَ مَبْرَحٍ، فَإِذَا انْتَهَيْنِ وَأَطَعْنَكُمْ فَاعْلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكُسُوتُهُنَّ (المعروف)) (٣٨) والرواية معتبرة (٣٩).

أقوال الفقهاء:

أجمع الفقهاء من الإمامية وكذا الجمهور على سقوط نفقة الزوجة لو سافرت بغير إذن زوجها في سفر مندوب أو مباح لعدم طاعته فتعد عاصية له ويتحقق النشوز (٤٠).
وهنا نلاحظ أنَّ سقوط النفقة يتحقق إذ حصل به النشوز، أي متى ما حصل النشوز سقطت نفقة الزوجة، والنشوز يتحقق لكل سبب يعد عاصياً ويمنع الزوج من حقه في الإستمتاع في زوجته. ولذا يستثنى من ذلك النفقة.

المقصد الثاني: لا نفقة للصغيرة التي لم تبلغ:

تستثنى الصغيرة غير البالغة من النفقة حيث تسقط نفقتها كما ذكر ذلك الفقهاء فقال الشهيد الثاني (ت ٩٦٦ هـ): (لا نفقة للصغيرة التي لم تبلغ سنّاً يجوز الإستمتاع بها بالجماع على أشهر القولين لفقد الشرط وهو التمكين من الإستمتاع) (٤١).

التوضيح:

(لا نفقة للزوجة الصغيرة، لأن المناط في وجوب الإنفاق على الزوجات التمكين التام المستند إلى العقد الصحيح، وهو غير معلوم الثبوت هنا، فإذا لم يعلم وجود السبب لم يعلم وجود مسببه. وأما الزوجة الكبيرة فإن لها النفقة إذا كانت ممكنة من نفسها وبذلت التمكين عند الحاكم وإن كان الزوج صغيراً لوجود المقتضي السالم عن المعارض فإن المقتضي -وهو تمكين المستند إلى العقد الصحيح- ثابت هنا، والمانع -وهو الصغير- لا يصلح للمناعية، كما في نفقة الأقارب وهي أضعف، وإذا لم يمنع مع ضعف السبب فأولى ألا يمنع من قوته (٤٢). وعليه تستثنى من وجوب النفقة الزوجة إذا كانت صغيرة.

الدليل:

إن المناط في وجوب الإنفاق على الزوجة التمكين التام المستند إلى العقد الصحيح، (ومن فروع التمكين أن لا تكون صغيرة يحرم وطء مثلها سواء كان زوجها صغيراً أو كبيراً ولو أمكن الإستمتاع بها من

٣٨- وسائل الشريعة: الحر العاملي، ١ / ٢٠٨.

٣٩- ينظر: معجم رجال الحديث: السيد الخوئي، ٦ / ٤٢.

٤٠- المبسوط: الشيخ الطوسي؛ ١ / ٢٥٩؛ شرائع الإسلام: المحقق الحلي، ٢ / ٦٧٠؛ الشرح الكبير: عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، د. ط، ١٤٣٥ هـ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، ٩ / ٢٦٠؛ الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف: علاء الدين المرادوي، تحقيق: محمد حامد الفقي، ١٥ / ١٣٧٦ هـ، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ٨ / ٣٧٠؛ مسالك الإفهام: الشهيد الثاني، ٨ / ٤٤٥؛ كفاية الأحكام: المحقق السبزواري، ٢ / ٢٩٨؛ تحرير الوسيلة: السيد الخميني، ط ٢، ١٣٩٠ هـ، مطبعة الادب- النجف الاشرف، ٢ / ٣١٤؛ جواهر الكلام: الشيخ الجواهري، ٣١ / ٣١٤؛ هداية العباد: الشيخ لطف الله الصافي، ط ١، ١٤٢٠ هـ، مطبعة سيهر- قم، ٢ / ٤٧٣؛ فقه الصادق- (عليه السلام) -: السيد محمد صادق الروحاني، ط ٣، ١٤١٤ هـ، مطبعة فروردين- قم، ٢٢ / ٢٤٣؛ فقه السنة: الشيخ سيد سابق، ط ٣، ١٣٩٧ هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢ / ١٧٢؛ النبايع الفقهية: علي أصغر مرواريد، ١٩ / ٥١٩.

٤١- الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية: الشهيد الثاني، ٢ / ١٢٩.

٤٢- مختلف الشريعة: العلامة الحلي، ٧ / ٣٢٢.

دون الوطء لأنه إستمتاع نادر لا يرغب اليه في الغالب فلا نفقة لها حينئذ، ومن غير فرق بين تصريحها ببذل نفسها وتصريح وليها وعدمه، ولا بين صغر الزوج وكبره، لصدق إنتفاء التمكين الكامل المفروض شرطيته أو كونه جزء السبب^(٤٣).

أقوال الفقهاء:

اختلفت أقوال الفقهاء الإمامية في وجوب النفقة على الزوجة إذا كانت صغيرة أو عدم وجوبها إلى قولين:

القول الأول: وهو القول المشهور بأنه لا نفقة للصغيرة التي لم تبلغ سنًا يجوز الإستمتاع بها بالجماع سواء كان الزوج صغيراً أو كبيراً لفقد الشرط وهو التمكين من الإستمتاع وبه قال الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠هـ) في (المبسوط)^(٤٤)، و (الخلاف)^(٤٥) وتبعه بالقول ابن البراج (ت: ٤٨١هـ)^(٤٦) والمحقق الحلي (ت: ٦٧٦هـ)^(٤٧)، والشهيد الثاني (ت: ٩٦٥هـ)^(٤٨)، والفاضل الهندي (ت: ١١٣٧هـ)^(٤٩)، والسيد الطباطبائي (ت: ١٢٣١هـ)^(٥٠)، والشيخ الجواهري (ت: ١٢٦٦هـ)^(٥١)، وعلي أصغر مرواريد^(٥٢).

القول الثاني: وجوب النفقة للصغيرة إذا كان الزوج كبيراً وهو ما ذهب اليه ابن إدريس (ت: ٥٩٨هـ) حيث قال: (إن الأولى عندي أن على الكبير النفقة لزوجته لصغيرة، لعموم وجوب النفقة على الزوجة، ودخوله مع العلم بحالها، وهذه ليست ناشز، والإجماع منعقد على وجوب نفقة الزوجات، فليتأمل ذلك وإن كانا صغيرين لا نفقة لها)^(٥٣).

أما بالنسبة لفقهاء الجمهور فذهب أبو حنيفة ومالك إلى القول بأنه لا نفقة للزوجة الصغيرة وللشافعي قولان أولهما: إن لا نفقة لها^(٥٤)، والثاني إن لها النفقة لأنها عوض عن الملك عنده كما هو الحال في المملوكة بملك يمين^(٥٥).

القول الراجح: إن الراجح ما ذهب إليه القول المشهور من أنه لا نفقة للصغيرة التي لم تبلغ سنًا يجوز الإستمتاع بها بالجماع لفقد الشرط وهو التمكين من الإستمتاع.

٤٣- جواهر الكلام: الشيخ الجواهري، ٣١ / ٣٠٩.

٤٤- ينظر: المبسوط: الشيخ الطوسي، ٦ / ١٢-١٣.

٤٥- الخلاف: الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: السيد علي الخراسان؛ السيد جواد الشهرستاني؛ الشيخ مهدي نجف، اشراف: الشيخ مجتبي العراقي، ٢، ١٤٢٠هـ، مؤسسة النشر الإسلامي- قم، ٥ / ١١٣.

٤٦- ينظر: المهذب: القاضي ابن البراج، ٢ / ٣٤٧.

٤٧- ينظر: شرائع الإسلام: المحقق الحلي، ٢ / ٦٧٠.

٤٨- ينظر: اللعة الدمشقية: الشهيد الثاني، ٢ / ١٢٩.

٤٩- كشف اللثام عن قواعد الأحكام: بماء الدين محمد الفاضل الهندي، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، ط ١، ١٤٢٠هـ، مؤسسة النشر الإسلامي- قم، ٧ / ٥٦١.

٥٠- ينظر: رياض المسائل: السيد الطباطبائي، ١٠ / ٥٣٢.

٥١- ينظر: جواهر الكلام: الشيخ الجواهري، ٣١ / ٣٠٩.

٥٢- ينظر: الزينابيع الفقهية: علي أصغر مرواريد، ١٩ / ٦٩٠.

٥٣- السرائر: ابن إدريس الحلي، ٢ / ٦٥٥.

٥٤- جواهر العقود ومعين القضاء والموقعين والشهود: شمس الدين المنهاجي الاسيوطي، تحقيق: مسعد عبد الحميد محمد السعدني، ط ١، ١٤١٧هـ، دار الكتب العلمية- بيروت، ٢ / ١٧٣-١٧٤.

٥٥- البحر الرائق شرح كنز الدقائق: زين الدين ابن نجيم الحلي، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، ط ١، ١٤١٨هـ، دار الكتب العلمية- بيروت، ٤ / ٣٠٥.

المقصد الثالث: الحامل المتوفى زوجها:

إن في نفقة الحامل التي توفى عنها زوجها روايتان، أشهرها: أنه لا نفقة لها، والثانية: ينفق عليها لكن من نصيب ولدها^(٥٦)...

التوضيح:

لا نفقة للمتوفى عنها زوجها إذا كانت حائلاً بلا خلاف لأنها من جملة البائعات، فلا نفقة لها مع الحيلولة إجماعاً. أما إذا كانت حاملاً ففي وجوب النفقة لها مذهبان. الأول: وهو عدم وجوب النفقة للمتوفى عنها زوجها وإن كانت حاملاً، والثاني: أوجب لها النفقة من نصيب ولدها^(٥٧). والقول الأول هو الأشهر في عدم وجوب النفقة على المتوفى عنها زوجها وإن كانت حاملاً ولا ينفق عليها من نصيب ولدها وذلك لأن الإنفاق حكم شرعي يحتاج إلى دليل والأصل إن لا إنفاق فإن كان على المسألة إجماع منعقد من أصحابنا قلنا به، وإلا بقينا على نفي الأحكام الشرعي إلا بأدلة شرعية. كما إن الولد الذي في بطنها إنما يكون له مال عند خروجه إلى الأرض حياً، أما وهو جنين لا يعرف له موت من حياة، فلا ميراث له ولا مال على الإنفاق فكيف ينفق عليها وهي حامل من مال من لا مال له؟^(٥٨). وعليه أن الحامل المتوفى عنها زوجها مستثناة من حكم الإنفاق.

الدليل:

إستدل أصحاب المذهب الأول بعدم وجوب النفقة على الزوجة المتوفى عنها زوجها وإن كانت حاملاً بالأدلة الآتية:

أولاً: الروايات الواردة عن أهل البيت -عليهم السلام- ومنها:-

١. (... عن علي عن أبيه عن ابن أبي عمير عن حماد عن الحلبي عن أبي عبد الله -عليه السلام- إنه قال في الحبل المتوفى عنها زوجها أنه: لا نفقة لها)^(٥٩) والرواية حسنة^(٦٠).
٢. (عده من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن أبي نصر، عن مثنى الحنات، عن زرارة، عن أبي عبد الله -عليه السلام- في المرأة الحامل المتوفى عنها زوجها هل لها نفقة؟ قال: لا)^(٦١) والرواية صحيحة^(٦٢).
٣. ما رواه (أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن علي بن فضال عن المفضل بن صالح عن زيد أبي أسامة قال: سألت أبا عبد الله -عليه السلام- عن الحبل المتوفى عنها زوجها هل لها نفقة؟ فقال: لا)^(٦٣) والرواية غير معتبرة^(٦٤).

٥٦- مسالك الإفهام: الشهيد الثاني، ٨/ ٤٥٣.
٥٧- ينظر: المذهب البارع: ابن فهد الحلبي، ٣/ ٤٣٠-٤٣١-٣٣٢.
٥٨- ينظر: السرائر: ابن إدريس الحلبي، ٢/ ٧٣٨.
٥٩- الإستبصار: الشيخ الطوسي، ٣/ ٣٤٥٣.
٦٠- إن جميع رجال الرواية هم من الإمامية الثقة: ينظر: رجال النجاشي: النجاشي، ١٤٢-٢٦٠-٣٢٦، لإعبيد الله بن علي الحلبي فإنه ممدوح ينظر: الفهرست: الشيخ الطوسي، ١٧٤.
٦١- الكافي: الشيخ الكليني، ٦/ ١١٥.
٦٢- ينظر: رجال النجاشي: النجاشي، ٢٣٣.
٦٣- الإستبصار: الشيخ الطوسي، ٣/ ٣٤٥.
٦٤- إن جميع رواة السند من الرواة الإمامية الثقة: ينظر: الفهرست: الشيخ الطوسي، ١٢٩؛ معجم رجال الحديث: السيد الخوئي، ٨٥/٣. ماعدا الحسن بن علي بن فضالة فإنه ليس بإمامي إلا إنه ثقة ينظر: الفهرست: الشيخ الطوسي، ٩٧-٩٨؛ والمفضل

ثانياً: إستدلوا بالأصل وهو براءة الذمة من الإنفاق^(٦٥)

وإستدل أصحاب المذهب الثاني: وهو وجوب الإنفاق على الحامل المتوفى عنها زوجها من نصيب ولدها بالرواية الآتية:

- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن محمد بن الفضيل، عن أبي صباح الكناني، عن أبي عبد الله -عليه السلام- قال: ((المرأة الحبلى المتوفى عنها زوجها، ينفق عليها من مال ولدها الذي في بطنها))^(٦٦) والرواية ضعيفة^(٦٧).

أقوال الفقهاء:

أختلفت أقوال الفقهاء في نفقة الحامل المتوفى عنها زوجها إلى قولين كما ذكرنا:

القول الأول: لا نفقة للحامل المتوفى عنها زوجها وهو القول المشهور وبه قال الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠هـ) في (الخلاف)^(٦٨) وتبعه القول ابن إدريس^(٦٩) (ت: ٥٩٨هـ)، وابن العلامة^(٧٠) (ت: ٧٧٠هـ)، وابن فهد الحلبي^(٧١) (ت: ٨٤١هـ)، والفاضل الهندي^(٧٢) (ت: ١١٣٧هـ)، والسيد الطباطبائي^(٧٣) (ت: ١٢٣١هـ)، والسيد الخميني^(٧٤) (ت: ١٤٠٩هـ)، والسيد السيستاني^(٧٥) وغيرهم.

القول الثاني: إن الحامل المتوفى عنها زوجها ينفق عليها من نصيب ولدها وبه قال أبو الصلاح^(٧٦) (ت: ٤٤٧هـ)، والشيخ الطوسي^(٧٧) (ت: ٤٦٠هـ) ووافقهم القول ابن البراج^(٧٨) (ت: ٤٨١هـ)، وابن حمزة^(٧٩) وغيرهم.

القول الراجح: هو القول الذي ذهب اليه المشهور في عدم وجوب النفقة للحامل المتوفى عنها زوجها وذلك للروايات التي تناولنا ذكرها مضافاً إلى الأصل وهو براءة الذمة من الإنفاق.

-
- بن صالح فإنه مجهول ينظر: الرجال لابن الغضائري: أحمد بن الحسين الغضائري الواسطي البغدادي، تحقيق: السيد محمد رضا الجلالى، ط ١، ١٣٨٠ ش- ١٤٢٢هـ، مطبعة سرور- قم، ٨٨.
- ٦٥- ينظر: الخلاف: الشيخ الطوسي، ٥ / ٦٩.
- ٦٦- الكافي: الشيخ الكليني، ٦ / ١١٥.
- ٦٧- إن جميع رجال السند من الثقة ينظر: رجال النجاشي: النجاشي، ١٩- ٣٣٠- ٣٥٣، معجم رجال الحديث: السيد الخوئي، ١٨/ ١٥٤، ما خلا أحمد بن محمد فهو مجهول ينظر: معجم رجال الحديث السيد الخوئي، ٢/ ٢٠٧.
- ٦٨- ينظر: الخلاف: الشيخ الطوسي، ٥ / ٦٨.
- ٦٩- ينظر: السرائر: ابن إدريس الحلبي، ٢ / ٧٣٨.
- ٧٠- ينظر: إيضاح الفوائد: محمد بن الحسن الحلبي، ٣ / ٢٧٨.
- ٧١- ينظر: المهذب البارع: ابن فهد الحلبي، ٣ / ٤٣٢.
- ٧٢- ينظر: كشف اللثام: الفاضل الهندي، ٧ / ٥٨٤.
- ٧٣- ينظر: رياض المسائل: السيد الطباطبائي، ١٠ / ٥٣٩.
- ٧٤- ينظر: تحرير الوسيلة: السيد الخميني، ٢ / ٣١٥.
- ٧٥- منهاج الصالحين: السيد علي الحسيني السيستاني، ط ١، ١٤١٦هـ، مطبعة ستاره- قم، ٣ / ١٢٥.
- ٧٦- الكافي في الفقه: تقى الدين بن نجم الدين أبو صلاح الحلبي، تحقيق: رضا استادي، د. ط، ١٤٣٥هـ، مكتبة الإمام امير المؤمنين -عليه السلام- العامة- طهران، ٣١٣.
- ٧٧- ينظر: النهاية: الشيخ الطوسي، ٥٣٧.
- ٧٨- ينظر: المهذب: القاضي ابن البراج، ٢ / ٣١٩.
- ٧٩- ينظر: الوسيلة: ابن حمزة الطوسي، ٣٢٩.

المقصد الرابع: ملاعنة الحامل:

إذا لاعن الزوج زوجته وبانت منه وكانت حاملاً فلا نفقة لها وذلك لإنتفاء الولد، وكذا الحكم بسقوط النفقة فيما لو طلقها ثم ظهر بها حمل فأنكره الزوج ولاعنها^(٨٠).

التوضيح:

إن البائنة باللعان إن كان لعانها لغرض نفي الولد فلا نفقة لها في العدة على القولين وذلك لأنها صارت أجنبية وإنفَى الحمل عن الزوج، فصارت هنا كالحائل، وإن كان لعانها لغرض القذف مع إعتراؤه بولدها فينبغي بناؤه على القولين، فإذا قلنا إن النفقة للحمل وجبت هنا لقوله تعالى: ﴿... وَإِنْ كُنْ أُولَتْ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ أُولَتْ...﴾^(٨١) بوجوب الإنفاق على الولد، وإن قلنا إنها للحامل فلا تجب النفقة، لأنها صارت أجنبية^(٨٢). وكذا لو طلقها ثم ظهر بها بعد ذلك حمل فأنكره ولاعنها فإنها وإن كانت مطلقة إلا أنها صارت كالحائل بالنسبة إليه بعد نفي الولد باللعان، فحينئذ لا نفقة لها على القولين أيضاً^(٨٣).

الدليل:

المطلقة الرجعية تستحق السكنى كما تستحق النفقة لقوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ...﴾^(٨٤) وقوله تعالى: ﴿... لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ...﴾^(٨٥) والمراد بيوتهن في قوله تعالى هو بيوت أزواجهن فلا يجوز للزوج أن يخرجها من بيته أي إنها تستحق السكنى^(٨٦) لا البائن وذلك للأصل ولقوله تعالى: ﴿... لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾^(٨٧) أي الرجعة بأن يغير الزوج رأيه في الطلاق ويرجع زوجته^(٨٨).

كما دل على عدم وجوب النفقة على البائن الأخبار الواردة عن أهل البيت -عليهم السلام- ومنها ما رواه:

١. (محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن سعد بن أبي خلف قال: سألت أبا الحسن موسى بن جعفر -عليه السلام- عن شيء من الطلاق فقال: إذا طلق الرجل امرأته طلاقاً لا يملك فيه الرجعة فقد بانت منه ساعة طلقها وملكته نفسها ولا سبيل له عليها وتعتد حيث شاءت ولا نفقة لها، قال: قلت: أليس الله عز وجل يقول: ﴿... لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ

٨٠- شرائع الإسلام: المحقق الحلي، ٢ / ٦٧٤.

٨١- سورة الطلاق: الآية: ٤.

٨٢- ينظر: مسالك الإفهام: الشهيد الثاني، ٨ / ٤٧٦.

٨٣- ينظر: جواهر الكلام: الشيخ الجواهري، ٣١ / ٣٦٠.

٨٤- سورة الطلاق: الآية: ٦.

٨٥- سورة الطلاق: الآية: ١.

٨٦- مجمع البيان في تفسير القرآن: الفضل بن الحسن الطبرسي، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين، ط ١، ١٤١٥هـ،

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت، ١٠ / ٤٠.

٨٧- سورة الطلاق: الآية: ١.

٨٨- ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: الشيخ الطبرسي، ١٠ / ٤٠.

يَفْجَحَ مَبْنِيَةً... فقال إنما عني بذلك التي تطلق تطليقة بعد تطليقة فتلك التي لا تخرج ولا تخرج حتى تطلق الثالثة فإذا طلقت الثالثة فقد بانت منه ولا نفقة لها... (٨٩) والرواية ضعيفة (٩٠).

٢. وروى محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن موسى بن بكر، عن زرارة، عن أبي جعفر - عليه السلام - قال: ((المطلقة ثلاثاً ليس لها نفقة على زوجها إنما ذلك للتي لزوجها عليها رجعة)) (٩١) والرواية صحيحة (٩٢).

٣. كما روى موسى بن بكر، عن زرارة، عن أبي جعفر - عليه السلام - قال: ((إن المطلقة ثلاثاً ليس لها نفقة على زوجها إنما هي للتي لزوجها عليها رجعة)) (٩٣) والرواية صحيحة (٩٤).

أقوال الفقهاء:

إن الظاهر من إستنتاج أقوال الفقهاء، إن البائدة باللعان لا نفقة لها في العدة إذا كان لعانها لغرض نفي الولد لكونها صارت أجنبية وانتفى الحمل عنه، أما إذا كان اللعان لقذفها مع الإعتراف بالولد إتجه بناء نفقتها على قولين فإن قلنا: إنها للحمل وجبت هنا وذلك لوجوب الإنفاق على الولد وعملاً بالدوران وجوداً أو عدماً كالزوجية. وإن قلنا إنها للحامل سقطت لأنها صارت أجنبية. وكذا لا نفقة لها لو طلقها ثم ظهر حمل فأنكره ولا عنها لأنها صارت كالحائل بعد نفي الولد باللعان (٩٥).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين الذي وفقنا لإتمام هذا البحث بعد رحلة من البحث والتفكير والمثابرة من أجل الإرتقاء بموضوعنا (النفقة والإستثناءات الشرعية فيها) لإخراجه بالمستوى المرجو والمطلوب إن لكل بداية نهاية، وخير الأعمال حسن خواتيمها، فأختتم جهدي المتواضع بأهم النتائج التي توصلنا إليها:-

١. إن الإسلام إهتم بالزواج وإعتنى به عناية خاصة لكونه السبيل لبقاء الانسان وإستمرار النوع الانساني والحجر الأساس الذي يقوم عليه بناء الأسرة وتكوين المجتمع.
٢. إن الاسلام رتب على الزواج حقوقاً وواجبات على كلا الزوجين، ويجب عليهما مراعاتها لما لها من دور كبير في تقوية رابطة الزوجية وإستقرار وإستقامة الحياة الأسرية ومن تلك الحقوق حق النفقة وهو الحق الواجب للزوجة على زوجها.
٣. إن النفقة تجب بأحد الأسباب الثلاثة (الزوجية) و (القراية) و (الملك) ويجب في نفقة الزوجة أن يكون العقد دائماً، والتمكين التام وبقاء الزوجية. وتقدر نفقتها بسد حاجة الزوجة من إطعام وكسوة

٨٩- الكافي: الشيخ الكليني ٩٠/٦.

٩٠- وذلك لأن احمد بن محمد المذكور في سند الرواية مجهول حيث ذكر السيد الخوئي إنه لم يرد له ذكر في كتب الرجال ماعدا البرقي الذي قال إنه من أصحاب الإمام الصادق - عليه السلام - ينظر: معجم رجال الحديث: السيد الخوئي، ٢٠٧/٢.

٩١- الكافي: الشيخ الكليني، ٤ / ١٠٤.

٩٢- ينظر: رجال النجاشي: النجاشي، ٢٣٣.

٩٣- تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي، ١٣٣/٨.

٩٤- ينظر: رجال النجاشي: النجاشي، ٢٣٣.

٩٥- ينظر: المبسوط: الشيخ الطوسي ٥ / ٢٧٥؛ المذهب: القاضي ابن البراج ٢ / ٣٤٨؛ الوسيلة: ابن حمزة الطوسي ص ٣٢٨؛ مختلف الشيعة: العلامة الحلي، ٧ / ٤٩٥؛ إيضاح الفوائد: محمد بن الحسن الحلي، ٣ / ٣٦٨؛ مسالك الإفهام: الشهيد الثاني، ٨ / ٤٧٦؛ جواهر الكلام: الشيخ الجواهري، ٣١ / ٣٦٠؛ النبايع الفقهية: علي أصغر مرواريد، ١٩ / ٥٢١.

وإدام وغيرها ويشترط في نفقة الأقارب الفقر وفي المنفق القدرة. أما في نفقة الرقيق فالمولى مخير من الإنفاق عليهم من ماله أو من كسبهما.

٤. إن الإستثناءات في أحكام الانفاق لا تعني خروج المستثنى عن دائرة الحكم بل إنها تكون في حالات وموارد خاصة لا يجري فيها التمكن من تطبيق الحكم الذي يشمل نظائرها، فجعل لهذه الموارد إستثناءاً خاصاً، من أجل المصلحة الخاصة أو العامة أو كلاهما.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
١. الاستبصار فيما اختلف من الأخبار: الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، تحقيق: حسن الموسوي الخرسان، ط ٤، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ١٣٣٦ش - ١٤٠٤هـ.
٢. الأصفى في تفسير القرآن: المولى محمد محسن الفيض الكاشاني (ت: ١٠٩١هـ)، تحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، ط ١، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي - قم، ١٤١٨هـ.
٣. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف: علاء الدين المرادوي (ت: ٨١٥هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط ١، دار أحياء التراث العربي - بيروت، ١٣٧٦هـ.
٤. إيضاح الفوائد: محمد بن الحسن الحلي (ت: ٧٧١هـ)، تحقيق وتعليق: السيد حسين الموسوي الكرماني؛ الشيخ علي بنه الاشتهاري، الشيخ عبد الرحيم البروجردی، ط ١، المطبعة العلمية - قم، ١٣٨٧هـ - ١٣٨٩هـ.
٥. البحر الرائق شرح كنز الدقائق: زين الدين بن نجيم المصري (ت: ٩٧٠هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، ط ١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٨هـ.
٦. تحرير الوسيلة: السيد مصطفى بن أحمد الحميني (ت: ١٤٠٩هـ)، ط ٢، مطبعة الآداب - النجف الأشرف، ١٣٩٠هـ.
٧. تحف العقول عن آل الرسول: الحسن بن علي بن شعبة الحراني (ت: ٣٣٦هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط ٢، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ١٣٦٣ش - ١٤٠٤هـ.
٨. تهذيب الأحكام: الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوي الخرسان، ط ٤، مطبعة خورشيد - طهران، ١٣٦٥ش - ١٤٠٦هـ.
٩. جواهر العقود ومعين القضاة والموقعين والشهود: شمس الدين المنهاجي الأسيوطي (ت: ٨٨٠هـ)، تحقيق: مسعد عبد الحميد محمد السعدي، ط ١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٧هـ.
١٠. جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام: الشيخ محمد حسن الجواهري (ت: ١٢٦٦هـ)، تحقيق وتصحيح: محمود الفوجاني، رضا الأستاذي، تصحيح: السيد إبراهيم الميانجي، ط ٢، ١٣٦٣هـ / ط ٢، ١٣٦٦هـ، ط ٣، ١٣٦٧هـ، ط ٣، ١٣٦٨هـ، دار الكتب الإسلامية - طهران.
١١. الخلاف: الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، تحقيق: السيد علي الخراساني؛ السيد جواد الشهرستاني، الشيخ مهدي نجف، إشراف: السيد مجتبی العراقي، ط ٢، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ١٤٢٠هـ.

١٢. رجال النجاشي: أحمد بن علي النجاشي، ط ٥، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ١٤١٦ هـ.
١٣. الرجال لابن الغضائري: أحمد بن الحسين الغضائري الواسطي البغدادي (ت: ٤٥٠ هـ)، تحقيق: السيد محمد رضا الجلاي، ط ١، مطبعة سرور - قم، ١٣٨٠ ش - ١٤٢٢ هـ.
١٤. الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية: الشيخ زين الدين العاملي (ت: ٩٦٥ هـ)، ط ١، مؤسسة أحياء الكتب الإسلامية - قم، ١٤٢٨ هـ.
١٥. رياض المسائل في بيان احكام الشرع بالدلائل: السيد علي الطباطبائي (ت: ١٢٣١ هـ): تحقيق: مؤسسة النشر الاسلامي، ط ١، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ١٤٢٠ هـ - ١٤٢٢ هـ.
١٦. السرائر: ابن إدريس الحلي (ت: ٥٩٨ هـ)، تحقيق: لجنة التحقيق، ط ١، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ١٤١٠ هـ.
١٧. شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام: المحقق نجم الدين جعفر الحلي (ت: ٦٧٦ هـ)، تعليق: السيد صادق الحسيني الشيرازي، ط ٤، دار العلوم - بيروت، ١٤٣٦ هـ.
١٨. الشرح الكبير: عبد الرحمن بن محمد بن قدامة المقدسي (ت: ٦٨٢ هـ)، د. ط، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ١٤٣٥ هـ.
١٩. شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين - عليه السلام -: السيد حسن السيد علي القبانجي (ت: ١٤١١ هـ)، ط ٢، مطبعة إسماعيليان - قم، ١٤٠٦ هـ.
٢٠. الشيعة في الميزان: الشيخ محمد جواد مغنية (ت: ١٤٠٠ هـ)، ط ٤، دار التعارف للمطبوعات - بيروت، ١٣٩٩ هـ.
٢١. فقه السنة: الشيخ سيد سابق (ت: ١٤٢٠ هـ)، ط ٣، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٣٩٧ هـ.
٢٢. فقه الصادق - عليه السلام -: السيد محمد صادق الروحاني، ط ٣، مطبعة فروردين - قم، المطبعة العلمية - قم، ١٤١٤ هـ.
٢٣. الفهرست: الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ)، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، ط ١، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ١٤١٧ هـ.
٢٤. الكافي في الفقه: تقي الدين بن نجم الدين أبو صلاح الحلي (ت: ٤٤٧ هـ)، تحقيق: رضا أستاذي، د. ط، مكتبة الإمام أمير المؤمنين - عليه السلام - العامة - أصفهان، ١٤٣٥ هـ.
٢٥. الكافي: الشيخ محمد بن يعقوب الكليني (ت: ٣٢٩ هـ)، تحقيق وتصحیح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط ٣، ١٣٦٧ ش - ١٤١٥ هـ / ط ٤، ١٣٦٥ ش - ١٤١٣ هـ / ط ٥، ١٣٦٣ ش - ١٤١١ هـ، مطبعة حيدري - طهران.
٢٦. كتاب الطهارة: السيد أبو القاسم بن علي أكبر الموسوي الخوئي (ت: ١٤١٣ هـ)، ط ٢، المطبعة العلمية - قم، ١٤١١ هـ.
٢٧. كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٣ هـ)، ط ١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، ١٤٠٨ هـ.

٢٨. كتاب النكاح: الشيخ مرتضى الأنصاري (ت: ١٢١٤ هـ)، تحقيق: لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم، ط ١، مطبعة باقري- قم، ١٤١٥ هـ.
٢٩. كشف اللثام عن قواعد الأحكام: بهاء الدين محمد فاضل الهندي (ت: ١١٣٥ هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، ط ١، مؤسسة النشر الإسلامي- قم، ١٤٢٠ هـ.
٣٠. كفاية الأحكام: المحقق محمد باقر السبزواري (ت: ١٠٩٠ هـ)، تحقيق: الشيخ مرتضى الواعظي الآراكي، ط ١، مؤسسة النشر الإسلامي- قم، ١٤٢٣ هـ.
٣١. كلمة التقوى: الشيخ محمد أمين زين الدين (ت: ١٤١٩ هـ)، ط ٢، ط ٣، مطبعة مهر- قم، ١٤١٣ هـ.
٣٢. المبسوط: الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ)، تحقيق وتعليق: محمد باقر البهبودي، ط ٢، المطبعة الحيدرية- طهران، ١٣٨٨ ش - ١٤٣٠ هـ.
٣٣. مجمع البيان في تفسير القرآن: الشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي (ت: ٥٤٨ هـ)، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين، ط ١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت، ١٤١٥ هـ.
٣٤. مختلف الشيعة في أحكام الشريعة: العلامة الحسن بن يوسف الحلي (ت: ٧٢٦ هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، ط ١، مؤسسة النشر الإسلامي- قم، ١٤١٥ هـ - ١٤١٨ هـ - ١٤١٩ هـ.
٣٥. مسالك الإفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام: الشيخ زين الدين العاملي (ت: ٩٦٥ هـ)، تحقيق: مؤسسة المعارف الإسلامي، ط ١، مؤسسة باسدار إسلام- قم، ١٤١٦ هـ - ١٤١٨ هـ.
٣٦. معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة: السيد أبو القاسم بن علي أكبر الموسوي الخوئي (ت: ١٤١٣ هـ)، ط ٥، مؤسسة الإمام الخوئي الإسلامية- النجف الأشرف، ١٤١٣ هـ.
٣٧. من لا يحضره الفقيه: الشيخ محمد بن علي بن الحسين الصدوق (ت: ٣٨١ هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط ٢، مؤسسة النشر الإسلامي لجامعة المدرسين في الحوزة العلمية- قم، ١٤٠٤ هـ.
٣٨. منهاج الصالحين: السيد علي الحسيني السيستاني، ط ١، مطبعة ستارة- قم ١٤١٦ هـ.
٣٩. المهذب البارع في شرح المختصر النافع: جمال الدين بن فهد الحلي (ت: ١٣٢٥ هـ)، تحقيق: الشيخ مجتبی العراقي، د. ط، مؤسسة النشر الإسلامي- قم، ١٤١١ هـ.
٤٠. المهذب: عبد العزيز بن البراج، د. ط، مؤسسة النشر الإسلامي- قم، ١٤٠٦ هـ.
٤١. النهاية في مجرد الفقه والفتاوى: الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ)، تحقيق: المؤرخ الشيخ آغا بزرك الطهراني، د. ط، د. ت، مطبعة قدس محمدي- قم.
٤٢. هداية العباد: الشيخ لطف الله الصافي، ط ١، مطبعة سبهر- قم، ١٤٢٠ هـ م.
٤٣. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق: مؤسسة آل البيت - (عليه السلام) - لأحياء التراث، ط ٢، مطبعة مهر- قم، ١٢٤١ هـ.
٤٤. الوسيلة إلى نيل الفضيلة: محمد بن علي بن حمزة الطوسي (ت: ٥٨٠ هـ)، تحقيق: الشيخ محمد الحسون، إشراف: السيد محمد المرعشي، ط ١، مطبعة الخيام- قم، ١٤٠٨ هـ.

٤٥. الينايع الفقهية: علي أصغر مرواريد، تحقيق وإشراف: علي أصغر مرواريد، ط ١، ١٤١٠هـ، دار التراث - بيروت، ط ١، مؤسسة فقه الشيعة - بيروت، ١٤١٣هـ.

مصطلح المقاصد الشرعية عند المدرسة الامامية (المكانة والآراء)

Legitimate Purposes in Imams doctrine (status and opinions)

أ.م.د حسين كاظم عزيز^(١) Assist. Prof. Hussain Kadhim Aziz

الملخص

لا أكون واحداً ممن انفرد في ايضاح المصطلح (المقاصد الشرعية)، بل مَنْ ساهم في بسطه فيها، مساحة اختلفت فيها الآراء وتوزعت في مناحيها دقائق المصطلح، لكنني جهدت أن اعرضه بما رأيته المدرسة الاصولية الامامية فحفظت لها قوام التأصيل ضمن مصنفاتها، ثم اوضحت درجة الإعراض عنه ضمن معايير تتناول الخطاب الشرعي للمدرسة.

ولم اغفل من الوجهة التراثية التجديدية بأن الكتابات المعرفية لهذا الافق العلمي قد عُصرت في أن تعطي حقه بما يضمن اهميته من الجانب التشريعي، لقد كان التطرف الموضوعي لهذا الجانب المعرفي سواء على مستوى التأسيس أو التقنين الذي أخذ على عاتقه تعويم التراكمات المعرفية للاستدلال الفقهي عند مذهب أو أكثر، في حال كانت اقدم تاريخاً وتأصيلاً.

وحاولت صراحة أن الفكر الامامي لم يحتاج الى هذا المصطلح وهذا ما يكون مودعا في فكر كثير من الباحثين، لذا اردت توظيف اصالته في المدرسة الامامية ومن ضمن متراكمها المعرفي.

Abstract

I am not one of the only ones to clarify the term (legitimate purposes), but who contributed.

In the spread of it, an area in which opinions differed and were distributed in the dimensions of the term of the term, but I tried to show him what the school saw the fundamentalist front and preserved the root of the rooting

١- كلية العلوم الإسلامية/ جامعة كربلاء.

within the work, and then clarified the degree of disobedience within the criteria dealing with the legitimate discourse of the school.

I have not neglected from the point of view of the innovative heritage that the knowledge literature of this scientific horizon has failed to give its right to ensure its importance from the legislative aspect. The objective extremism of this aspect was the knowledge of both the level of establishment or codification, which undertook to float the cognitive accumulations of the jurisprudential inflexibility of one or more denominations, In the case of the oldest date and originality.

I tried explicitly that the frontal thought did not invoke this term and this is enshrined in the thought of many researchers, so I wanted to employ its authenticity in the front school and within the accumulation of knowledge

المقدمة

لا أكون واحداً ممن انفرد في ايضاح المصطلح (المقاصد الشرعية) بل مَنْ ساهم في بسطه فيها، مساحة اختلفت فيها الآراء وتوزعت في مناحيها دقائق المصطلح، لكني جهدت أن اعرضه بما رأيته المدرسة الاصولية الامامية فحفظت لها قوام التأصيل ضمن مصنفاتها، ثم اوضحت درجة الإعراض عنه ضمن معايير تتناول الخطاب الشرعي للمدرسة.

ولم اغفل من الوجهة التراثية التجديدية بأن الكتابات المعرفية لهذا الافق العلمي قد عُصرت في أن تعطي حقه بما يضمن اهميته من الجانب التشريعي، لقد كان التطرف الموضوعي لهذا الجانب المعرفي سواء على مستوى التأسيس او التقنين الذي أخذ على عاتقه تعويم التراكمات المعرفية للاستدلال الفقهي عند مذهب او أكثر، في حال كانت اقدم تاريخاً وتأصيلاً.

ونقول صراحة إنَّ الفكر الامامي لم يحتج الى نظرية المقاصد -وهذا ما يكون مودعا في فكر كثير من الباحثين- وان اخذناه بحثاً فلا يخلو من حالة عرض وتأصيل، لان الامامية في فترة عصر النص التي طالت ثلاثة قرون وربع القرن ونيف، استثمرت المساحة الزمنية الطويلة بما وصلت من روايات مثلت تحليلاً لهم -عليه السلام- في النظر الى ملاكات الاحكام وارتباطاتها بالمصلحة والمفاسد من جهة واخرى لم تحتج الى ادلة كوسائل تلجأ اليها لضبط معيارية الدليل حتى تذهب مرة الى القياس ومرة الى المصالح المؤسلة ومرة الى سد الذرائع وفتحها ومرة الى قول الصحابي، فوفرت المدرسة الامامية ادلة تلك الملاكات حسب حركية الزمان والمكان من مصادر التشريع حتى ادلة الاصول العملية لانتاج الوظيفة الشرعية المؤمنة.

ونؤكد ذلك، اردنا ان نوظف المصطلح من خلال اصالته في المدرسة الامامية ولكن تراكم المدرسة المعرفي في غنى عنه كمصطلح بالمعنى العام المذهبي، ولكنه في بحث ملاكات الاحكام وتمكين اكتشافها هو عند المدرسة الامامية كمنهج موجود ويبحث عنه في سياقات المسائل الفقهية بالشكل الذي يتساق مع مفاهيم المدرسة لا أكثر من ذلك ولتأصيله من جانب اخر، ولا يحرم استعماله اذا فهمنا مساحته الاصطلاحية ضمن معالم المدرسة.

ومن خلال التاريخ المقاصدي تناولت رسداً له في فكر بعض المذاهب في مراحل زمنية متفاوتة اعتماداً على منهجية الجويني (ت ٤٧٨ هـ) الذي كان سبّاقاً في تقسيمه الثلاثي، وعند أبي اسحاق الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ) الذي جمع ما تفرّق عند غيره وما تراكم عند سابقه في موافقته، ومن ثم ما انطوى عليه التوجه المقاصدي عند محمد الطاهر بن عاشور (ت ٨٧٩ هـ) من وعي نقدي اراد من خلاله ان يثبت للشرعية مقاصداً تقلّل من الاختلاف ومن كثرة الآراء والفتاوى المتضاربة التي من شأنها ان تحرك العقل المقاصدي في غير اتجاهاته.

المدرسة الامامية وجدت خلطاً متعافياً في المصطلح في اكتسابه المبادئ الاشعرية، وبهذا تكون الاخيرة قد فقدت التسليم لقدرة العقل، وما ارادته المدرسة ان لا تقع في حيز التناقض عند عدم قبول قاعدة الحسن والقبح العقلية كما هي لدى الفكر الاشعري، ويضاف الى رصدها ان المصطلح باستعمالاته ابتعد عن الاعتماد على منهجية الاستقراء الشرعي للتوصل الى تحديد عدد من المقاصد التي قد لا تبدو واضحة من النص الخاص وهذا ما افوه علماء المقاصد مبتعدين بذلك عن قرارات الوجدان العقلي.

ومثل هذين الاعتبارين وابتعاد نظرية المقاصد عنهما جعلت النظرية عاجزة عن مقاومة النهج الحرفي للخصوص التي تبعت على التعبد خلافاً للنهج الوقائعي الذي تبعت طبيعته على توخيها، بينما اخذت المدرسة مجالاً اوسع في بيان المقاصد والحكم من استعمالات اخرى تحقيقاً لمناطاتها وما تبغيه من ثمرات التعرف على مقاصدها.

وما اثمرته مساحة البحث فيه تناولت في مباحثه:

المبحث الأول: الاصاله والتطور، وفي المبحث الثاني: التعريف والمكانة، وفي المبحث الثالث: من آراء المدرسة الامامية.

المبحث الأول: الاصاله والتطور وفيه:

أولاً: المسار والتميز:

الخوض في نشوء المدرسة قد يتطلب الاحاطة والعمق للظروف الدقيقة الحاسمة التي مرت عليها بدايات النشأة بمقامها المرتبط بتاريخ (١٧٠ هـ) فتوافد عليها طلاب العلم من جميع الامصار، حينذاك بدأ المكوّن المعرفي مسجدياً ومساية نظمها دوراً بعد دور لحركة الابداع والتطور سعياً لكمالها المرحلي في كل زمان، وصارت لكل دور لها طريقته الخاصة وابعادها الفكرية المختصة بها^(٢).

ولمكانة المدرسة وما يرتبط بها من تطور علمي في الفقه واصوله خاصة، ولشأنية هذه العلوم وجلال قدرها صار لها دورها الذي يتجسّم بألية هذه العلوم في تتبع حركية الاستنباط التي تعد اداته الرئيسة بما تحمل من ممارسة عملية لعملية الاجتهاد التي تهدف الى فهم الدين.

فالكلام في بدايات النشأة وتطورها العلمي يعتمد عليهما تطور المدرسة في مسارها من خلال التصنيف والتدوين، وان كانت المسيرة الاجتهادية تمثل المكانة المهمة في طابع المدرسة العلمي وفي مصنفاتها الاصولية والفقهية^(٣).

فبعد استقرار الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) مدينة النجف (٤٤٨هـ)، حاول تقعيد المدرسة بركائز منهجيته وعلميته، صار يُحسب لنشاطها الفكري في التأليف والبحث الفقهي والاصولي وتدوين الاحاديث، فخلفت ثروة فكرية ضخمة، لذا فاقت في الوصف بما تملكه اقرانها من تاريخ وعلمية، وما فلسفة ابن سينا ومنهجها ومعالمها إلا معلماً علمياً وفكرياً انفردت به المدرسة^(٤)، فقد شهدت في العقود الاخيرة دعوات لتطوير طرائقها التدريسية مع تحديث مناهجها، تمثلت بالحركات الاصلاحية العلمية^(٥). فلا تخلو المدرسة من نظمية النقد، فسارعت بإصلاح ما طاله النقد من الغموض والابهام وفترات الدراسة الطويلة بتطعيم معارفها بما جدّ من ثقافات ومعارف لها ارتباطها الوثيق برسالة العالم الديني في عصر تسارعت فيه المستجدات فاحتاج الى خطاب يتماشى ومتطلبات العصر.

ثانياً: الميزات والملامح:

١. الميزات:

تميزت المدرسة بكل مراحلها بما يأتي:

- أ. حرية اختيار المناهج بين الطالب واستاذ الحلقة الدراسية.
 - ب. من مرحلة المقدمات الى مرحلة السطوح، اهتمت بدراسة الكتب الاستدلالية الاصولية والفقهية مما اعطت للطلاب منهجية تتسم بالدقة الموضوعية.
 - ج. مرحلة البحث الخارج التي اتسمت:
 - * رعاية العلماء لتلك الحلقات.
 - * بأسلوب المناقشة والمقارنة وموازنة الآراء.
 - * يتسم استاذ البحث بالشهرة العلمية والبيان في العرض والسعة^(٦).
- يهيئ هذا الاعداد البلوغ الى مجد الاجتهاد والمتقدم رتبة علمية بمعرفة الشريعة الاسلامية اصولاً وفروعاً تجعله من جهة مهيئاً لمواجهة المستجدات وأخرى فهو مطالب بإحياء الحياة الروحية في المجتمع الاسلامي، وهذا اهم مقاصد الدراسة^(٧).

٢. الملامح

أ- شهدت المدرسة تطوراً علمياً وفكرياً وثقافياً منها الحركات الاصلاحية في المنحى التدريسي والمنهجي وحتى النظام الداخلي لها.

٣- محمد باقر الصدر: المعالم الجديدة للاصول: ٢٩.

٤- محمد الغروي: الحوزة العلمية في النجف: ٢٥٨.

٥- جعفر الدجيلي: موسوعة النجف الاشرف: ٣٥ / ٩.

٦- مجلة فقه اهل البيت - (البيت) - من مقال اساليب الدراسة في الحوزة العلمية العدد ٣٥.

٧- محمد الغروي: الحوزة العلمية في النجف الاشرف: ٢٥١ - ٢٥٨.

- ب- شهدت تيارات فكرية وعقائدية عنيفة خاصة في الشأن الكلامي.
- ج- كانت ولا تزال تتميز بنهضتها التجديدية في القطاع الاصولي والفقهية خاصة.
- د- لها رسالتها العلمية فلم يتأثر فكر المدرسة رغم الصراعات الفكرية التي اصابتها.
- هـ- تولت تدريس المادة الفقهية والاصولية طوال تاريخها.
- و- في كل دور مرت به المدرسة لها أعلامها من المبدعين والمجددين^(٨).
- كل تلك الميزات والملامح جعلتها ان تتخلق في فضائها عملية التحديث فهي في واقعها لأي ولادة تحديثية لا تكون غريبة على سياقاتها الثقافية و التاريخية لها ومنها:
- أ- النزعة العقلانية.
- ب- شيوع دراسة العرفان النظري فيها.
- ج- انفتاحها على الجامعات الحديثة وخاصة الاكاديمية.
- د- تمازجها مع روافد ثقافية من مواطن جغرافية مختلفة مما يعطي للمدرسة تراكماً ثقافياً عالياً يتعامل مع ثقافات الجميع.

ثالثاً: تطور علم الاصول في المدرسة الامامية:

المدرسة وليدة تراكم معرفي كان له جذوره وامتداداته في حساب المقاربات الوظيفية والتاريخية لأصالة مرجعيتها بما فيها من توزيع المفاهيم والتوصيات والاوامر والاحكام والتكاليف بما تشكل في محيطها المعرفي (بالأصول الاربعمائة)^(٩)، فالمرجعية المعصومة التي كانت توظف مهام المكون وتطبيقاته على تلك الحقبة حتى السفراء الاربعة والتي كانت مهامهم تمثل اعداد نقلة وظيفية للغبية الكبرى تمارسها المرجعية الاجتهادية حيث يتولى هرم القيادة فيها العلماء والمجتهدون بغية نقل المعرفة الدينية الى الاجيال اللاحقة (تشكيلات المدرسة العلمية) التي اصبحت تتبنى الاختلافات الدينية والسياسية المحبوكة بجهد منهج من نتاج معارض لهذا المكون، فكان التحدي والصمود قبال الاستئصال الاموي والعباسي من أهم وظائف المرجعية حماية من تعسف السلطة وهجمات الخصوم.

فكان علم الاصول المكون الاهم الذي شكل مع المنهج الفقهي اهتمام المدرسة العلمية بشكل كبير التي كانت بداياته كنظرية اصولية منحصرة في سلوكيات المنهج الفقهي سواء كانت على صعيد الفرد او المجتمع متمثلة بالبنية الفكرية لهذا العلم ونتاجاً من نتاجات الحلقات الدراسية التي تحمل المتراكمات الاولى لخط المرجعية المنتج ثم تطورت تلك التطبيقات العلمية على أثر التطورات السلوكية على ضوء منهج المدرسة الامامية، فأخذ تطوره خطين هما:

الأول: ما قبل انتهاء عصر النص:

الكثير من الظروف السياسية والاجتماعية في العصر الاول من النص وحسبي انها كانت البدايات الفاعلة لحركة المعارضة، ويؤيد ذلك النص النبوي "من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار"^(١٠). وفيه

٨- الامين: اعيان الشيعة: ٤١ / ١٠٤.

٩- الفيضي الكاشاني: الوافي: ٢٢.

١٠- ابن ادريس الحلي: السرائر: ٢ / ٢٩.

دعوى واضحة للتصديقات التي قامت على حسابات المعارضة^(١١)، حيث لازم ذلك الظرف انشغال الامة بالفتوحات التي ساهمت بإقلال فرص التعليم والتعلم، وهذا برز واضحاً في ظل تلك الظروف بجزالة العلاقة بين العلماء والسلطة، فضغفت بالتالي عملية التواصل بين المركز الاداري والحركة العلمية. اما حركة التدوين فقد أمتزجت بين المنع والاذن نتيجة الصراعات الداخلية التي أثرت على حركة التدوين ومنها تدوين اصول الفقه الذي هدفه برجمة السلوكيات العملية بقواعد كلية وتحديد الموقف العملي الشرعي من خلال المضامين الفقهية تحديداً استدلالياً^(١٢).

واستمرت الاعازات الى التدوين لحفظ تراث الامة ومكوثها العلمي رغم المعارضة الشديدة التي مارسها السياسات السلطوية بانعطافاتها القسرية في القتل والقمع.

لقد راجت في هذا العصر حركة الاخبار الكاذبة وما يتبعها من جهل الناقلين في معرفة الكثير من المفاهيم فالعموم والخصوص والمنطوق والمفهوم والناسخ والمنسوخ والمطلق والمقيد والتعادل والتراجع وتعارض الاخبار وحتى في أصل نصوص الكتاب، سببه التشطي في متاهات المعارضة والجري وراء المنافع السلطوية مما سبب ايضاً ابتعادهم عن اخذ الاخبار من منابعها المستفادة من المرجعية الاصل^(١٣).

فنقول إنّ بؤادر علم اصول الفقه مرتبط باستقرار علم الفقه ارتباطاً وثيقاً بدقه الروايات ومدركها واسانيدها وهذا ما اشارت اليه اغلب الدراسات التاريخية لهذا العلم وعند التعريف نجده يرتبط بالكشف عن العناصر المشتركة في عملية استنباط الحكم الشرعي^(١٤).

فالأصولي لا يبحث في الادلة من حيث ثبوتها ووصولها اليها، بل يعدها من المسلمات وان تعرض لها من قبيل المداخل والمقدمات، فقد عني بعوارضه على احوال مختلفة كالأمر والنهي والعموم وغيرها، مستعيناً ايضاً ببحثه في علوم اللغة بغية التوصل الى القواعد الكلية^(١٥).

وعند التعرض الى بداياته في النص نجد تأصيله بقول الامام جعفر الصادق -عليه السلام-: "علينا القاء الاصول وعليكم التفريع"، وهذه خصوصية اعطت الاشارة الى العمل بالقواعد الكلية، فقد صنف هشام بن الحكم (ت ١٧٩هـ) كتاباً في الالفاظ ومباحثها، وصنف يونس بن عبد الرحمن كتاباً سماه "اختلاف الحديث ومسائله"، ولذلك نجد ان المرجعية المستثناة من التاريخ المرجعي بخصوصياتها هيأت وضع الركائز العامة للاجتهاد الصحيح فهي ما ارادته من نقله نوعية للوعي الفكري والديني الى المرجعية الاجتهادية التي تهدف من هذا التبني الى حركية الدفاع عن مقومات منهجها كمصنفات "اختلاف الحديثين" و "ابطال القياس"^(١٦) وغيرها.

١١- الكليني: الكافي: ١/ ٤٧ ج ٦.

١٢- محمد باقر الصدر: دروس في علم الاصول: ٣٦.

١٣- الاصفهاني: نهاية الدراية في شرح الكفاية: ٣.

١٤- محمد باقر الصدر: دروس في علم الاصول: الحلقة الاولى / ٣٦.

١٥- مصطفى سعيد الخن، دراسة تاريخية للفقه واصوله: ١٤٩.

١٦- الشريف المرتضى: رسائل الشريف المرتضى: ١/ ١٤.

الثاني: ما بعد انتهاء عصر النص:

في هذا العصر برز الفكر الاصولي بإمكاناته المنهجية والعلمية منتقلاً من دور الرواية واسانيدھا الى التمحيص و الاستدلال والاستناد الى قواعد اصول الفقه في مقام الاستنباط، واول من اعتمد هذا النهج هو الشيخ الجليل الحسن بن علي بن ابي عقيل صاحب كتاب "المستمسك بجبل ال الرسول" ومن المهذبين لعلم الفقه آنذاك، واقتفى اثره ابن الجنيد المعروف بالإسكافي صاحب الموافقات الروحية لمضامين الشريعة في حركة القياس آنذاك^(١٧).

واستمرت الكتابة بهذا الفن عند الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ) برسالته "التذكرة باصول الفقه"، وقال النجاشي ان الكراجكي ادرجها باخرة صار في كتابه "كنز الفوائد" الذي اشتمل على تمام المباحث الاصولية، وكتب بعده تلميذه علم الهدى السيد المرتضى (ت ٤٣٦هـ) كتابه في "الذريعة الى اصول الشريعة"، تلك الجهود كانت بدايات لخط ال صنيف العلمي نقلت فيها اراء الفقهاء من المذاهب بين مناقش وناقد، قَبِل الصحيح ورد ما لم يصح عنده، كل ذلك ضمن مدرسة اصولية ذات اصالة واستقلال وليس على الكتاب من اثر التقليد والتبعية، وهو امر ملفت للنظر في اول جهد فكري تجديدي لاحتوائه على فصل مسائل اصول الفقه عن مسائل "الكلام" بخلاف من سبقه كالقاضي عبد الجبار المعتزلي في المغني ونظائره^(١٨).

وبدا بعدهم "في عهد الشيخ الطوسي" دور رائد في بلورة المفاهيم الاصولية وتطويرها حيث فيه ملامح النضج لهذا الفكر في كتابه "العدة في اصول الفقه" الذي استحق تقديرأ كثيراً من الباحثين الاصوليين، فقد حدد فيه بشكل دقيق مهمة هذا العلم وعنايته، وفرق فيه بين المسألة الاصولية والفقهية وبقيت اراءه ونظرياته لا يعدوها احد من معاصريه ولا من اجبال الفقهاء المتعاقبة بأكثر من قرن من الزمن احتراماً لمكانته العلمية^(١٩). واستمرت الحال حتى عصر ابن ادريس الحلبي (ت ٥٩٨هـ) الذي وضع اقوال الشيخ الطوسي واجتهاداته موضع الدراسة والنقد العلمي، فكان اكثر معاصريه جرأة^(٢٠)، وألفت الكثير من الكتب الاصولية والاستدلالية بين الذريعة والعدة.

واستمر التطور الاصولي حتى ظهور المحقق الحلبي (ت ٦٧٦هـ) في كتابه "المعارج" حيث المنهج والدقة المعرفية المقارنة في تنقيح الكثير من قواعده^(٢١).

واخذ ذلك الجهد في تطور وسعة وعمق ايام العلامة (ت ٧٢٦هـ)، إذ مؤلفاته الاصولية والفقهية محط انظار العلماء ومدار البحث والتدقيق، فصارت غاية المدرسة وقتئذ ان تجعل قوالب التطور فاعلة لأي منهج تجد فيه التقنية المنهجية كما في مؤلفات المحقق والعلامة، فندرك جيداً ان الجهود التي بذلت في السعي لتطوير هذا العلم كلها قد صبت في رافد المدرسة وبالتالي اصبحت هي المرجعية من حيث المقارنة والموازنة والنقاش لكل ما اخضعتة اقوال العلماء ومفكرها على بساطها العلمي كمناقشتها في مسائل

١٧- الاخوند الخراساني: كفاية الاصول: ١ / ٧.

١٨- السيد المرتضى: الذريعة الى اصول الشريعة: ٢- ٣.

١٩- الشيخ الطوسي: التبيان في تفسير القرآن: المقدمة للشيخ اغا بزرك الطهراني: ١ / ٨.

٢٠- السيد الخوئي: معجم رجال الحديث: ١٦ / ٦٦.

٢١- محمد باقر الصدر: المعالم الجديدة للاصول: ٧٦.

القياس والادلة التبعية^(٢٢). اصاله لارضية المدرسة الاصولية العلمية في كل مراحلها التاريخية، وعلى هذا الاساس اليقيني ركزت دعائم الاجتهاد الصحيح لانها به امنت خلود الدين بحقله العقائدي والتشريعي^(٢٣).

وبثمره جهود الشهيد الاول (ت ٧٨٦هـ) دونت القواعد الفقهية التي كانت لها اهميتها في مجالات الاستنباط والممارسة الاستدلالية في المنحنى الاجتهادي^(٢٤). يضاف دور المحقق الكركي في كتاب "جامع المقاصد" الذي كان رافداً له ثقله العلمي والمنهجي في المقاصد الشرعية، وهذا مما يستدعي ان نقول ان حركة الازدهار الفقهي والاصولي متواصلة في جهود المحققين الأعلام كالشاهد الثاني (ت ٩٦٥هـ) وصاحب المعالم نجل الشهيد الثاني (ت ١٠١١هـ) والفاضل التوحي (ت ١٠٧١هـ) صاحب الوافية^(٢٥). لقد اهتموا في تنقيح مباحث علم الاصول وتوظيفها في حركة الاستنباط الى التشدد في قبول الاخبار المنقولة في كتب الحديث، وما ظاهرة تربيع الاحاديث الا إيذاناً بتطوير ملحوظ في مقام العمل بأخبار الآحاد.

وفي خضم هذه الفترة نشأت الحركة الاخبارية وازدهرت في كربلاء، وبداياتها تمتد الى القرن الرابع الهجري، وما فعله الشيخ المفيد من دور الوسيط ليجمع بين الـ صدوقين والقدميين، لما كان يتمتع من شخصية علمية عالية ومنزلة قيادية مرموقة^(٢٦).

ومثل هذه الحركة التي استعادت نشاطها في القرن الحادي عشر الهجري على يد الامين الاستربادي (ت ١٠٣٣هـ) صاحب كتاب الفوائد المدنية، والفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ) والحر العاملي (ت ١١٠٤هـ) والشيخ يوسف البحراني (ت ١١٨٦هـ) وامثالهم^(٢٧).

ومن مهام هذه الحركة ان تلغي دور العقل كمصدر للقاعدة الاصولية، ولم تكن المدرسة الاصولية بعيدة عن تأثيراتها، بل كانت في صميم حلقاتها العلمية ونتائجها، فتمكن من شق المدرسة الفقهية والاصولية واضعاف حركة الاجتهاد فيها^(٢٨)، فقد مهد هذا الاتجاه ظهور مدرسة جديدة قبال المدرسة الاخبارية ترعّمها الوحيد البهبهاني (ت ١٢٠٦هـ) في فوائده الحائرية التي اثمرت جهوده وتلامذته الى تضائل النشاط الاخباري واعادت الحياة الى الاجتهاد من حيث الـ صياغة والعرض للأفكار والقواعد الاصولية، وعلى اثرها حُددت معالم الفكر الاصولي واتسعت آفاقه^(٢٩)، ولا تُغفل جهود اقطاب مدرسة الاجتهاد منهم:

أ- السيد محمد مهدي بحر العلوم ت ١٢١٢هـ.

ب- السيد جواد العاملي ت ١٢٢٦هـ.

٢٢- المحقق الحلي: المعارج: ٨٨.

٢٣- السماعي: تذكرة الاعيان: ٣٣٤.

٢٤- الشهيد الاول: كتاب نضد القواعد الفقهية.

٢٥- الطهراني: الذريعة: ٦ / ١٥.

٢٦- عبد الهادي الفضلي: دروس في فقه الامامية: ٦٢.

٢٧- علي الطباطبائي: رياض المسائل: ١ / ١٠٤.

٢٨- محمد بحر العلوم: الاخبارية اصولها وتطورها، ٢٤ - ٢٤.

٢٩- الشيخ الانصاري: كتاب المكاسب: المقدمة: ١ / ١٦.

ح- الشيخ جعفر الكبير كاشف الغطاء ت ١٢٢٨هـ.

فكانت لهم فاعليتهم في توسيع المباحث الاصولية والفقه الاجتهادي حتى مجيء الشيخ الانصاري (ت ١٢٨١هـ)، فهو الرائد لهذا الحقل في المنهجية متميزاً بإبداعاته الفقهية والاصولية^(٣٠)، ففي عهده قطع الفقه الاستدلالي شوطاً كبيراً حتى اخذت الرسائل العملية كواحدة سبيل ذلك التجديد^(٣١).

واستمر التطور لهذا العلم فكراً وتصنيفاً حتى زمن صاحب الكفاية الأخوند الخراساني (ت ١٣٢٩هـ)، إذ ادخل مسائله الكلامية والفلسفية في منهجه، ونشطت تلك المدخولات في هذا الفن خاصة في زمن الشيخ محمد حسين الاصفهاني (ت ١٣١٦هـ)، والشيخ محمد حسين النائيني (ت ١٣٥٥ هـ) حيث التأثر الواضح في الفلسفة والفكر الكلامي والمنطقي.

ورداً لهذا الاغراق، قامت محاولات اصلاحية تجاه المناهج وتطويرها ومن ابرز روادها الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء والشيخ محمد رضا المظفر ومعاصريه في جمعية المنتدى، والسيد محمد تقي الحكيم في كتابه "الاصول العامة للفقه المقارن"، وتنظيرات السيد محمد باقر الصدر في الحلقات^(٣٢).

وما ابدعه فكر السيد الخوئي في التطورات الفقهية والاصولية والرجالية^(٣٣).

وما طوّرتة الابحاث العلمية بما يتناسب مع المستجدات ووقائع الحياة المعاصرة^(٣٤).

فكان من الطبيعي ان تنجز العملية الاجتهادية تطوراً مهماً في طبيعة المستوى العلمي الذي تفاعل مع التطور الفقهي من خلال ما استحدثه العقل من وسائل جديدة لفهم النص.

فمهمة التجارب التي وردت في تطوير المدرسة ان يلفت الاصوليون الباحث والدارس الى اعادة النظر في الكتب المقررة عما اعتاده في مقررات الدرس الاصولي والعلوم الاخرى للمدرسة التي ما زالت تمثل الثروة العلمية في جهادها العلمي في الميادين كلها بنظامها وحلقاتها الدراسية واسانذتها لتكون باهى حللتها المعرفية.

المبحث الثاني: المقاصد الشرعية: التعريف والمكانة

اولاً: مراجعة تعريفية وتاريخية:

من الوجهة التراثية التجديدية لم تعط الكتابات المعرفية حقها في افق علمي له أهميته في الجانب التشريعي، ولو مسحنا غبار التكاسل عن بعض الأدلة في الفترات الزمنية لكانت جهود العقل الاسلامي واضحة في خط ادراكاته وتقعيداته التي تتصف بالتنامي استجابة لتحديات الحياة في مستحدثاتها، لا اقول قد اغفلت تلك الكتابات عنه، وانما كان التطرف الموضوعي لهذا الجانب المعرفي سواء على مستوى التأسيس او التقنين متمسكاً بعري مذهبية وظّفت استفادتها باستعمالها المصطلح العام لهذا المنحى

٣٠- المصدر نفسه.

٣١- الانصاري: كتاب الكاسب: ٢١ / ١.

٣٢- عدنان فرحان: ادوار الاجتهاد: ٣٣٣.

٣٣- عبد الهادي الفضلي: دروس في فقه الامامية: ٨٦.

٣٤- للاطلاع انظر اسحاق الفياض: المسائل المستحدثة.

المقاصدي، فأخذت على عاتقها تعويم المتراكمات المعرفية للاستدلال الفقهي التي هي بناءات تأسيسه اقدم تشريعاً وتاريخاً وعلى اية حال نسير وفق الخط العام لنشأة المنحنى المقاصدي في اداءات الشريعة.

التعريف للمقاصد:

لغة: جمع مقصد، مشتق من الفعل قصد قصداً ويراد به الاستقامة او التوجه نحو الشيء^(٣٥). اصطلاحاً: تعددت تعريفات العلماء المهتمين به ولم يحددوا المعنى، كما انهم عبّروا عن المقاصد بألفاظ مختلفة، لذا لم نجد تعريفاً محدداً او دقيقاً للمقاصد يحظى بالقبول والاتفاق من قبل العلماء كافة او اغلبهم، هذا ما حصل عند قدامى المقاصديين من المذاهب الاخرى ومنهم الجويني (ت ٤٧٨هـ) والغزالي (ت ٥٠٥هـ)، والشاطبي (٧٩٠هـ)^(٣٦).

اما عند معاصريهم فقد ذكروا تعريفات تتقارب في جملتها من حيث الدلالة على معنى المقاصد ومسماهها، ويمكن حصرها على: مراد الشارع ومقصود الوحي ومصالح الخلق^(٣٧)، وعلى هذا الحصر لا زال المعنى غير جامع ولا مانع وبالتالي يكون التعريف غير محدد وغير دقيق، ومنهم:

أ- تعريف محمد الطاهر بن عاشور بقوله: "مقاصد التشريع العامة: هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع احوال التشريع او معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من احكام الشريعة"^(٣٨).

ب- وعلال الفاسي عَرَفَهَا بقوله "المراد بمقاصد الشريعة: الغاية منها، والاسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من احكامها"^(٣٩) ويقترّب منه تعريف الزحيلي^(٤٠).

ج- اما احمد الريسوني فعَرَفَهَا بانها: "الغايات التي وضعت الشريعة لاجل تحقيقها لمصلحة العباد"^(٤١). ولو عاملناها بقانون الموازنة عند جمع الآراء لوجدنا ان المعنى فعلاً غير منحصر وغير محدد، وان تقارب عند بعضهم، فلكل تعبيره.

ويبد ومن تعبيرات الكتب المقاصدية ان تعريف علال الفاسي وابن عاشور لمقاصد الشريعة يعد مرجعاً لاغلب التعريفات المتداولة بعدها فيما كتب في الابحاث المقاصدية المعاصرة كالتعريف الذي اخذ به الريسوني^(٤٢)، وعمر الجديدي^(٤٣) الذي كان عيلاً في تعريفه على علال الفاسي، ومنهم ايضاً نور الدين الخادمي الذي اختار تعريفاً له لم يخرج فيه عن مسار تعريفات من سبقه اذ قال: "هي المعاني الملحوظة في الاحكام الشرعية والمترتبة عليها سواء اكانت تلك المعاني حكماً جزئياً ام مصالح كلية ام سمات اجمالية،

٣٥- ابن منظور: لسان العرب: ٣/ ٣٥٣.

٣٦- نور الدين الخادمي: علم المقاصد الشرعية: ١٦٥.

٣٧- نور الدين الخادمي: الاجتهاد و المقاصدي: ١/ ٤٨.

٣٨- ابن عاشور: مقاصد الشريعة: ٥١.

٣٩- علال الفاسي: مقاصد الشريعة الاسلامية ومكارمها: ٣.

٤٠- وهبة الزحيلي: اصول الفقه: ٢/ ١٠١٧.

٤١- احمد الريسوني: نظرية المقاصد عند الشاطبي: ٧.

٤٢- المصدر نفسه: ٦- ٧.

٤٣- عمر الجديدي: التشريع مع الاسلامي (اصول مقاصده): ٢٤٢.

وهي تتجمع ضمن هدف واحد هو تقرير عبودية الله ومصلحه الانسان في الدارين^(٤٤)، يبدو انه اطلال في التعريف عابراً رسمه وحدَه المنطقي هذا من جهة ومن جهة اخرى نلمس ان التعريفات كلها - من يطلع عليها بمصادرها- قد اتحدت في مضامين المصالح والغايات والحكم، ولكنها اختلفت عند كل باحث في التحديد الاصطلاحي لها، ولذلك لم يختَر الباحث تعريفاً قد يكون غير تام عند باحث اخر اضافة الى وجود النقد الذي وظّف حول منهجيتها، ومنهم من تابعها بـ صفة الاحكام الشرعية غاية وهدفاً من خلال التطبيقات الاستدلالية لها.

فمن خلال المساهمات التاريخية للمقاصد يفهم من انها ظلت يهيمن عليها النظر الكلامي المجرد والاختلاف في التعليل والغائية^(٤٥).

هذا في التعريف ولكننا يمكن رصد التاريخ المقاصدي في فكر بعض المذاهب من خلال مراحل زمنية متفاوتة:

- أ. امام الحرمين الجويني (ت ٤٧٨ هـ).
 - ب. ابو اسحاق الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ).
 - ج. محمد الطاهر بن عاشور (ت ٨٧٩ هـ).
- ولا يخلو التاريخ من ان يضم اشارات واضحه لها، كما وردت في كتاب ابن القفال (ت ٣٦٥ هـ) في كتابه (محاسن الشريعة)^(٤٦).
- وكذلك ما ورد عن ابي الحسن العامري (ت ٣٨١ هـ) من اعلام الفكر المقاصدي الذي اتسم فكره بالنزوع نحو الرؤية الكلية والاستنتاجات العامة.
- الذي يذكر بان الضرورات الخمس محور الكلام في مقاصد الشريعة^(٤٧).
- أ- الجويني في مقاصده:

عده المعنيون في تاريخ هذا الفكر من العلماء الذين له تميز في كتاباته وخاصة في قواعد مقاصد الشريعة واقسامها، فقد كان سباقاً في التقسيم الثلاثي لها (الضرورات، والحاجيات والتحسينات)، ويعد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) مديناً له في منهجيته^(٤٨).

- ب- المقاصد عند الشاطبي:
- كان له اثره في هذا الفكر، هذا ما ظهر في كتابات معاصريه ومن بعده، فقد جمع ما تفرق عند غيره وما تراكم عند سابقيه بشكل منسق في كتابه (الموافقات في اصول الشريعة) وخصص منها كتاباً تحت عنوان (المقاصد الشرعية)^(٤٩).

٤٤- نور الدين الخادمي: الاجتهاد والمقاصدي (حجيته)، ضوابطه، مجالاته: ٥٢-٥٣.

٤٥- طه جابر العلواني: من التعليل الى المقاصد: ٤٦.

٤٦- مراجعة احمد الريسوني في بحثه المقدم الى مؤسسة الفرقان بلندن تاريخ ١/ ٥/ ٢٠٠٥ بعنوان البحث في مقاصد الشريعة.

٤٧- ابو الحسن العامري: الاعلام بمناقب الاسلام: ١٢٥.

٤٨- ربحانه اليندوزي: محاضرات في المقاصد الشرعية: ١٠.

٤٩- الشاطبي: الموافقات في اصول الشريعة: الجزء الثاني.

ويزيد من البيان والتوسعة والتنظيم ليخرجه على شكل نظرية تناولت تلك الآثار من تقسيماتها الخمسة، حتى خال بعض الناس ان الشاطبي ابتدع هذا العلم. فقد قسمه الى:
أولهما: ما يرجع الى قصد الشارع.
ثانيها: ما يرجع الى قصد المكلف.

وبموجب هذا التقسيم أسس تعريفاته وبنائه المقاصدية -حسب منهجيته- من تفعيل واستثمار بعض الأدلة المشكوكة المقبولة كالاستحسان والمصلحة وسد الذرائع ويرى انه حسم الخلافات النظرية حول مفهومها وحجيتها من استثمارها في فقه تنزيل الاحكام على واقع الناس، لكن دعوى انسداد باب الاجتهاد في ذلك الزمن واستحكام التقليد، كان لهذين العاملين وجلة العوامل المصاحبة لهما، اثر في غلق تأثيرات الشاطبي في استثمار صياغته مما ادى عدم اخذ معاصرة ومن بعده تأصيل ما شرع به بشكل ما كان يقصده وينظم له^(٥٠).

وفي قبال ذلك عدّ الكثيرون من بعدهم ان مقاصد الشاطبي قفزة نوعية فتحت الباب واسعاً امام العقل الاسلامي ليس للتنظير في الواقع الفقهي فحسب بل وانما للتنظير في كل ما يقتضيه التفاعل الانساني مع الحياة ومتطلباتها^(٥١).

ح- محمد الطاهر بن عاشور في مقاصده:

انطوى التوجه المقاصدي عند ابن عاشور على وعي نقدي للأسس التي بنى عليها العقل الفقهي القديم، وعلى هاجس تطوير البناء الفكري للمنظومة التشريعية الإسلامية بنحو يجعل بما يشير في كتاباته -من التشريع- عامل تنشيط للحركة الحضارية.

كما ويصرح في اكثر من موقع بانه افاد من جهود السابقين الذين راموا تأسيس جملة من الاصول القطعية للتفقه متأثراً بمنهجية الشاطبي بشكل أكبر^(٥٢). والجديد في بنائه المقاصدي يتمثل في كونه طرح نموذجاً تطبيقياً (علم المقاصد)^(٥٣).

فقرر ان للشريعة مقاصد وغايات يجب ملاحظتها واعتبارها عند النظر في مستحدثات الامور، وابداء الرأي فيما يعرض على نظر الفقيه من قضايا لابداء الرأي فيها. فأراد ان يثبت للشريعة مقاصد تقلل من الاختلاف ومن كثرة الآراء والفتاوى المتضاربة والتي من شأنها ان تحرك العقل العامي في غير اتجاهاته، اضاف الى ما يتصوره بما يؤول اليه الوضع الاسلامي من انفلات في الفكر نتيجة الدعوة الملحة الى فتح باب الاجتهاد، وسوف لن يكون مقيداً بالشروط التي وضعها العلماء، وسيلج هذا الميدان من هو اهله ومن هو من غير اهله، كما يذكر مجدداً الفقهاء في عصره بانهم كانوا يجتهدون لا محالة مع التمسك بالضوابط التي حددها مع تهيب وعدم جرأة وتمسك الفقيه بالمذهب الفقهي الذي ينتمي اليه^(٥٤).

٥٠- ربحانه الينوزي: محاضرات في المقاصد الشرعية: ١٤.

٥١- احمد باقادر: الاسلام والنشروبولوجيا: ٤.

٥٢- محمد الطاهر بن عاشور: بين علمي اصول الفقه والمفاصلة: ١٥.

٥٣- مجلة إسلامية المعرفة، العدد/٥ من مقال " بلقاسم محمد الغالي".

٥٤- محمد الطاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة الاسلامية: ٩٧- ٩٩.

ومن مقرراته ان معظم مسائل اصول الفقه لا ترجع الى حكمة الشريعة ومقاصدها جاعلا مقاصد الشريعة الثابتة بطرق يقينية اخرى من القضايا الاصولية بالوصف بالقطعية^(٥٥). وبهذا نقول لا يظن باحث ان هذا الباب البحثي من نتاج مذهب معين بل ان تأصيلاته ومكوناته موجودة بوجود الكتاب الكريم والسنة النبوية، وما تلك إلا آراء للباحثين في هذا المنحنى المقاصدي، استثمرت من خلال حسابات التطوير والمعالجة ولا نخلو كبشر من الاشتباه او المبالغة او عرض الرأي بطريقة او أخرى.

تعقيب:

أولاً: بتتبع الباحث عن الهرمية الهيكلية العامة للمقاصد الشرعية "بمراد المذاهب" يجد واضحاً ان فكرتها تعود بالنشأة الى الاشاعرة، فأول من طالعنا بالبحث عنها هو الامام الجويني وحبك شواردها الامام الغزالي حتى اشبعها بحثاً بإسلوبه وصياغته ابو اسحاق الشاطبي فافتزن اسمه بها، ولم يأت من يضيف اليها شيئاً بعده^(٥٦).

فالاشاعرة لم يعطوا سلطة للعقل^(٥٧)، لذا كانت المقاصد العامة للشريعة مفتوحة الابواب، فقد دخلتها الكثير من النقائص والشوائب الغريبة التي أثرت على نقاء النص وثوابته وقطعيته، حتى بدأت قدسية النصوص تفقد تفاعلها وتطبيقاتها في الخطابات المعاصرة، وخاصة في خطابات الحداثة، ومن هنا لم تأخذ بعض المدارس الاصولية والفقهية -التي تهتم بقدسية النص للكتاب الكريم وبالحديث الشريف بحثاً عن سنده ودلالته بهذا المنحنى تسمية وبحثاً حتى لا تقع في حفريات تلك النظرية وثغراتها.

ثانياً: الفكر المقاصدي عند الامامية:

بقي ان نتلمس حركة الفكر المقاصدي عند الامامية، فمن الوجهة العامة، ان القرآن الكريم ونصوص اهل البيت -عليهم السلام- هي المصادر الاولى في عرض وتبيان مقاصد الشريعة، ومن الوجهة الاخرى تبقى من اهم الاشكاليات في اطار فلسفة الفقه، سواء كانت في مجال اهداف الدين او مقاصد الشريعة او ملاكات الاحكام.

لقد ازدهرت المقاصد في الفكر الامامي عند اواخر القرن الثالث الهجري حسب ما اسست له الروافد البليوغرافية، ومن يومها اخذت عنوان "كتاب العلل" منها:

أ. كتاب العلل لعللي بن ابي سهل القزويني ت ٣١١ هـ.

ب. كتاب العلل لعللي بن الحسن بن فضال، من علماء القرن الثالث.

ج. كتاب العلل للفضل بن شاذان (ت ٢٦٠ هـ).

د. كتاب العلل لمحمد بن احمد القمي (ت ٣٦٨ هـ).

هـ. كتاب العلل ليونس بن عبد الرحمن (ت ٢٠٨ هـ)^(٥٨).

٥٥- محمد الحبيب ابن الخوجه: محمد الطاهر بن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الاسلامية: ١٠.

٥٦- الشاطبي: الموافقات: المقدمة (عبد الله دراز): ١ / ٦ - ٨.

٥٧- الجويني: البرهان في اصول الفقه: ١٣.

٥٨- الطهراني: الذريعة الى تصانيف الشيعة: ١٥ / ٣١٢ - ٣١٤.

وان اقدم الكتب الموجودة بين ايدينا هو (علل الشرايع والاحكام) للشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ) ومنها علل الصوم لابي علي القمي، وعلل الفرائض لمحمد بن الحسن الجعفري وامثالها مما وصلت اليها^(٥٩). واستمرت الحال لإشارات مقتضيه في مداخل كتب الفقه حتى الشهيد الاول (ت ٧٨٦هـ) في كتابه "القواعد والفوائد"، وظهر تركيزه واضحاً في المقاصد الشرعية في قواعده، بقوله "ووجه الحصر ان الحكم الشرعي: أما ان تكون غايته الاخرة او الغرض الاهم منه الدنيا...."^(٦٠).

واشار المقداد السيوري (ت ٨٢٦هـ) بشكل واضح الى المسمى المقاصدي^(٦١)، وما عدا تلك الدراسات لا توجد اعمال او كتابات تتطرق لاهداف الفقه ومقاصد الشريعة بمعنى شمولي ومستوعب، لكنها اشارات فرعية تحت عنوانات تنقيح المناط او ملاك الحكم، وهذه متوزعة في كتب الاصول والفقه منها:

ما حصره الوحيد البهبهاني (ت ١٢٠٦ هـ) بالفائدة الحادية عشرة في كتابه (الفوائد الحائرة) واسبغ عليها عنوان "تنقيح المناط وحجية القياس المنصوص العلة"^(٦٢). وتعامل الملا مهدي النراقي (ت ١٢٠٩هـ) مع تنقيح المناط ببحثه الموجز في كتابه (تحرير الاصول)^(٦٣)، وبهذا الشأن كانت مساهمات الملا نظر علي الطالقاني (ت ١٣٠٦هـ) خطوة كبيرة على صعيد المقاصد وبناء النظم الفقهية في كتابه "مناط الاحكام" الذي يوصف بعرضه الجيد واسلوبه الرائع، وبنفس المنحى الموضوعي نجده في كتاب "الارائك" لمهدي بن محمد علي الاصفهاني^(٦٤)، والعلامة الشعراني في كتابه "المدخل الى عذب المنهل" ببحثه الموسع في الخروج عن النص وتنقيح المناط ومنصوص العلة^(٦٥).

ويستدل من كلام الاصوليين عن مبررات الكشف عن الملاك والمناط يعطي ثبوتاً ان للاحكام مصالح ومفاسد، وبما ان للأفعال قبلاً وحسناً ذاتيين -ملاكاً الحكم الشرعي- يكون بإمكان العقل ادراك الملاكات، واليه ذهب الاصوليون من الامامية الى ملازمة الحكم العقلي لحكم الشرع^(٦٦)، وبهذا تكون الاحكام الشرعية عندهم معلومة لمصالح واقعية^(٦٧)، وحتى لا يحصل التناقض كما حصل عند علماء المقاصد في المذاهب الاخرى حينما آمنوا بالحكم الاشعري لا سلطة للعقل مع كون امكانيته بادراك بعض الملاكات للاحكام.

ثالثاً: مكانة المنحى المقاصدي عند المدرسة الامامية

بعد ان شخّصنا المسار التاريخي لهذا المنحى بشكله العام، صار بالود ان نبحت قوالب مكانته في فكر المدرسة الامامية- وسبق ان اجرى باحثوها مما يؤشر الجانب الببليوغرافي وتراكمات المعرفة وما للفقه

٥٩- المصدر نفسه: ١٥ / ٣١٣ - ٣٢٤.

٦٠- الشهيد الأول: القواعد والفوائد: ١ / ٣٠.

٦١- المقداد السيوري: التنقيح الرائع لمختصر الشرايع: ١ / ١٥.

٦٢- الوحيد البهبهاني: الفوائد الحائرة: ١٤٥ - ١٥١.

٦٣- الملا مهدي النراقي: تجريد الاصول: ٩٩.

٦٤- مهدي الاصفهاني: الارائك: ١٣٥.

٦٥- الشعراني: المدخل الى عندي المنهل: ١٧٤ - ١٨٨.

٦٦- محمد رضا المظفر: اصول الفقه: ٢ / ٣٠١.

٦٧- الجواهري: جواهر الكلام: ٢ / ١٣٠.

الاسلامي من الاصاله والفكر، نجد ان لهذا الفكر تشريعاته واهدافه وغاياته التي تتحرك ضمن مساحة الدين "بفهم المدرسة" وملاحظات الاحكام.

فالمقاصد الشرعية باعتبارها -بخصوص المصطلح العام- لا تعرف حضوراً حقيقياً في الوسط الامامي كما برزت المذاهب الاخرى في كتاباتها وبحوثها، وان اغلب علماء الامامية لم يتعرضوا لها بالبحث الى قريب من تاريخنا الحاضر، ولو تتبعنا المنهج الاجتهادي نجده لا يخلو في دراساته من اعتبارات لمالات هذه النظرية خاصة في العقود الاخيرة، لكن تلك الاعتبارات والميول لا تنم عن توجه حقيقي لا عادة ببنية الاجتهاد الشرعي على اصول المدرسة المقاصدية بما ترسمه منهجية المدرسة، ويتضح ذلك في التطبيقات لبعض الباحثين ضمن موضوعات فقهية معينة، ولو تفحصناها لم نجد نزعة المقاصد تحكم حركة الاجتهاد حتى عند اكثر القائلين بضرورة تحديث الاجتهاد الفقهي في المؤسسة الدينية.

ولكن اقولها: صراحة المنهج العلمي الدقيق لا اريد -كواحد- من الباحثين ان يغفل هذا المنحنى بما يحمل معناه الاصطلاحي وتقويمه ضمن دائرة الاجتهاد الامامي، لمست ان هناك الكثير من الفقهاء لديهم الميول له، لكن لا يستطيع ان انسب لاحد منهم تبني مثل هذا المشروع، فهذا من الاخطاء التي يتعد عنها الباحث، فلديهم قبول ولديهم تطبيقات مقاصدية في بعض العمليات الاجتهادية، وليس لدنيا امكانية الاستطاعة ان نضيف هذا الفقيه او ذاك على المدرسة المقاصدية، ولكي عثرت على نصوص مكنتني على ان اقول واشد اثباتاً لتلك الميول حديثاً^(٦٨)، من خلال تطبيقاتهم منهم الشيخ حسين علي المنتظري، والشيخ محمد مهدي شمس الدين، والسيد محمد حسين فضل الله، والشيخ يوسف الصانعي والشيخ إبراهيم الجناتي وغيرهم من المباركين من الأعلام^(٦٩).

وبعد تلك الاعمال لم تظهر اعمال ذات اهمية على مستوى الصعيد المقاصدي سوى اشارات مقتضبة في مداخل كتب الفقه وقد سبق ان اشرنا اليها.

فلا توجد في المدرسة الامامية كتابات صريحة تتطرق لاهداف الفقه ومقاصد الشريعة بمعنى شمولي - قد تكون لاسباب مدروسة في حيثيات المدرسة الاصولية الامامية، قد تطرقنا الى بعضها وما زلنا في بيان البعض الآخر- الا انها لا تخلو- من انها ضمنت الدراسات الفقهية والاصولية اشارات فرعية تحت عناوين تنقيح المناط او ملاك الحكم متوزعة في بحوث تلك الدراسات.

كما وقد اشرنا فيما اشتهر عند البعض ان الشاطبي الاندلسي (٧٢٠- ٧٨٠ هـ) هو اول من توسع في دائرته. وحينما نستدرج التاريخ الامامي نجد القرن الثالث الهجري يحمل اقدم اثر معروف لهذا المنحنى للفقيه المتكلم الامامي الشهير الفضل بن شاذان في رسالته التعليلية التي نقلها الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ) في كتابه (علل الشرائع)، وما جهده الا بلورة لعلم المقاصد في منطق عقلي وعرفي يقول ابن شاذان "ان سأل سائل فقال: اخبرني هل يجوز ان يكلف الحكيم عبده فعلاً من الافاعيل بغير علة ولا معنى؟ قيل له: لا يجوز ذلك، لانه حكيم غير عابث ولا جاهل"^(٧٠).

٦٨- اثبات الميول المقاصدية تعني بالمضامين روحاً وأداءً للمنهج الامامي.

٦٩- محاضرة للشيخ حيدر حسب الله بعنوان (هل دخلت نظرية المقاصدية حيز التنفيذ) في ١٢/ ٥/ ٢٠١٤.

٧٠- الصدوق: علل الشرائع: ١/ ٢٥٤.

واستمر الخط التعليلي للأحكام عند الامامية الى اواخر القرن الثالث والرابع الهجريين من امثال يونس بن عبد الرحمن (ت ٢٠٨ هـ) فهو من اصحاب الامام الرضا -عليه السلام-، والشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ) وله في ذلك "علل الشرائع والاحكام" و "كتاب العلل" و "علل الحجج" و "علل الوضوء" وبين تلك الشخصيتين كثيرون من طرقوا موضوع العلل الذي يمثل مقاصد الشريعة مثل محمد بن خالد البرقي، وعلي بن الحسين بن فضال، ومحمد بن احمد بن داود القمي، وفي الوقت نفسه ما توفر عند الامامية لم يتوفر عند غيرهم من منابع التاصيل للنصوص^(٧١).

فمحور المقاصد هو استخراج علل الاحكام ومناطاتها، وعند الاستقراء تكون التعليقات الواردة في النصوص هي معايير يستطيع ان ينطلق منها الفقيه في حركة الاستدلال الفقهي في الجزئيات التي تشعبها الحياة بمختلف بيئاتها طالما اريد الحفاظ والدوران حول تلك العلة التي تملك المرغوبة والمصلحة في ملاكها في عالم الجعل عند المولى سبحانه، وهذا ما تؤيده المقولة الاصولية بان "الاحكام الشرعية تتبع المصالح والمفاسد الواقعية، وكل المنطقات التشريعية مما تضمنته النظرية المقاصدية من "حفظ النظام العام" والمصلحة "العامة"، هي من الدلالات للمدرسة الامامية لفقه المقاصد المؤمن لتحقيق روح الحكم.

فمن تطبيقات ذلك ما ورد في تفسير الامام الباقر -عليه السلام- لاصحابه في نهي النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- عن ذبح الحمر الاهلية، لانها حمولة الناس يخشى على فنائها ولان مصلحة اجتماعية قائمة في بقائها، ويمكن ان يكون نهي النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- هو اجراء معين اتخذه في تلك الحالة والفترة، بما انه ولي الامر المسؤول عن رعاية مصالح المسلمين، وحينئذ يكون النهي نهيًا ولائيًا بما انه -صلى الله عليه وآله وسلم- هو حاكم المسلمين^(٧٢).

كما نجد في حركة الرواية في صحيحة محمد بن مسلم ووزارة التنبيه من الامام الباقر -عليه السلام- حيث سألاه عن اكل لحوم الحمر الاهلية، فقال: "نهى رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- عن اكلها يوم خيبر، وانما نهى عن اكلها في ذلك الوقت لأنها كانت حمولة الناس، وانما الحرام ما حرم الله في القرآن" ^(٧٣). فالمقصد قد يخفى على العقل العادي لكوننا لسنا اصحاب اختصاص في الموازين بين الكائنات وحركة الكون في اتزان المنظومة الكونية او النظام الحاجياتي العام للمجتمع، اما دور ذلك العقل البشري، القيام بتنقيح المناط في عمليات الاستنباط لأحكامه، ومن امثال ذلك ما يجري في منع الاحتكار او في النهي عن الربا.

فالكتابات المعرفية التي تملك الوجهة الذاتية التجديدية قد ركزت في مطلع هذا القرن على بلورة افق هام في عالم التشريع الذي هو في فضاء حركة المتغيرات في واقع الناس، ويمثل الغايات بمثابة الكليات التي تعلو هرم التشريع الرباني للواقع، او كما يعرفها احد المعاصرين من الباحثين في هذا المجال بانها "هي الحكم المقصودة للشارع في جميع احوال التشريع او بما يسمى "مقاصد الشريعة" مشيراً الى ان النصوص قد تتوقف في حالات كثيرة من الوقائع المستجدة ضمن فعاليات الحياة "وجزئياتها وفروعها او لم يعيها المجتمع ولم تعالجها الادلة التشريعية الاربعة (الكتاب والسنة والاجماع والعقل ولا الاصول العلمية) فهنا يعذر العبد في عمله ويكون للمقاصد دورها في معالجة تلك الحوادث بصياغة احكامها^(٧٤).

٧١- الصدوق: عيون اخبار الرضا-عليه السلام-: ١٠-١٩.

٧٢- حسن الجواهري: بحوث في الفقه المعاصر: ٣٨٤ / ١.

٧٣- الحر العاملي: وسائل الشيعة: ١٦، باب ٤ من ابواب اطعمة المحرمة، ج ١.

٧٤- حمادي العبيدي: الشاطبي لمقاصد الشرعية: ١٢٠-١٢٩.

والحق اذا توقفت الذ صوص في معالجة تلك الحوادث المستجدة فلازم الاصول العملية ايجاد وظيفة عملية تحدد الموقف العملي تجاه الشريعة، ولو بحثنا في مصنفات الفقهاء نجد الكثير من العبارات من قبيل لا يتفق او لا يتوافق مع قواعد الشريعة وكلياتها وهذه تأسيسات لخط معرني استدلالى يعين وجهة المقصد من ذلك الا انهم لم يعطوه استقلاليتة او الرعاية الكاملة في متابعة حثياته التقويمية والموضوعية. ومن هنا نقول إنَّ المنحى المقاصدي موجود في ذهنية الفقهاء منذ القرون الاولى، وهو عينه الذي ابتدأوا في تأسيساته المنهجية ذوي الاختصاص، واخرجته المذاهب الاخرى بإطارة المعروف اليوم بما في مصطلحه ومعناه.

ومن الامر البديهي ان يكون لكل حكيم غاية في كل ما يرد من أمر او نهي في منهجية دستوره او نظامه الذي هدفه يوصل ذلك المقصد الى الجمع البشري، فكيف بسيد العقلاء وشؤونه في آيات خلقه، في ان تكون له غاياته في كل ما شرع، وحاشاه ان تخلو منظومته التشريعية من مقاصد للشريعة تدور الاحكام مدارها وتحقيق لتلك المقاصد مدار الاستقرار للنظام العام للإنسان، وهذا الثبات اشار اليه قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾^(٧٥).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ^(٧٦)، سبيلاً وطريقاً ليكون اداة معرفية سلوكية للوصول الى المقاصد الاعلى التي تكمن فيها مصالح العباد.

ومن هنا نقول ان امكانية تشخيص مسألة المقاصد في فكر المدرسة الامامية له جذوره النظرية العقدية، وما جاء بفكر التشريع يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتحقيق مصالح العباد، ومن قليات هذا التشخيص:

أ- الامان بوجود مصالح ومفاسد وراء تشريع الاحكام.
ب- امكانية اكتشاف واستنباط ملاك الاحكام الشرعية، فما لم تكن م صالح ومفاسد ثبوتاً، لن يكون هناك مبرر للكشف عن الملاك او المناط^(٧٧).

ففقهاء الامامية يعدون الاحكام مقيدة وتابعة لمجموعة من الم صالح التي يريد الشارع تحقيقها، التي ينهى عنها، وبهذا يكون للعقل امكانية ادراك الملاكات ضمن دائرته، واليه ذهب الاصوليون الى ملازمة الحكم العقلي للحكم الشرعي^(٧٨)، فعندهم اكتشاف الملاك وتنقيح المناط مرتبط بما ينبغي ان ينتهي الى العلم اليقيني العقلاني بقرائنه التي تؤيد للفقهاء هذا الاطمئنان، لا ان يؤخذ بالحالات المزاجية كطريق الاستحسان او القياس المذمومان، فالشريعة اساساً ارتكزت على مبدأ التعقل والتفكير لبيان ما وراء الاحكام من علل واسباب، همها معرفة الناس لأهداف الشريعة^(٧٩).

٧٥- من سورة الشورى: الآية: ١٣.

٧٦- من سورة المائدة: الآية: ٤٨.

٧٧- حسن الجواهري: جواهر الكلام: ٢ / ١٢٩.

٧٨- محمد رضا المظفر: اصول الفقه: ١ / ٣٠١.

٧٩- مجلة رسالة التقريب: العدد ٤٨: ص ١٢٣.

لذا كان الفكر الامامي مهتماً بتنقيح المناط في جريان العملية الاستنباطية للفقهاء، لان اهميتها كمقاصد لا تكمن في تعريفها اصطلاحياً للكشف عن المعنى الشرعي فحسب، بل ولا تقتصر اهمية الكشف عن المقاصد في محور التأصيل النظري، وانما تمتد لمنهج الى مستوى التطبيق، وتحويل فهم احكام الشرع الى واقع يتكيف السلوك به حتى تصبح حركة الانسان فرداً واسرة ومجتمعاً طبقاً لمراد الله في امره ونهيهِ وهي غاية التكليف وثمرته، وهذا ما افرزته المدرسة الامامية في كتاباتها الاولى تصانياً.

إذن: يتحتم علينا الوصول الى تلك المرادات وثمرتها بمراعاة مقاصد الشريعة الذي هو امر ضروري عند الفقهاء والمجتهدين ومع تغير الظروف والملابسات والاحوال نحتاج الى قراءة جديدة تنطلق من اساس ثابت هو المقصد الجوهري للشريعة^(٨٠). وان القراءة الجديدة للنص ليست وليدة الساعة، بل كان انصارها قديماً وهي اليوم في حاجة الى دفع ونفس جديدين^(٨١)، وبعضهم اكد على ان مراعاة مقاصد الشريعة هو الاساس في فهم النص الديني بانه منهج مركّز على الحكمة والغاية والمقصد عند النظر الى القران وكيفية تطبيقه^(٨٢)، لا بالفكر الذي يفهمه ويفسره العلمانيون او اصحاب الفكر الحداثي الذي يميل بوجهه عن خطابات النصوص الدينية التي تبني ركيزتها على الكتاب الكريم والسنة المطهرة، وما يقوله الشرقي مثلاً، من ابرز خصائص البحث عن معان متجددة للنص، ملائمة لظروف الحياة المتجددة وهي كذلك، على اساس ان الكتاب عند ظهوره قد تدرج ضمن استمرارية ثقافية وانه احدث قطيعة مع ثقافة العصر الى قوله فتكون هذه الخاصية دعوة الى قراءة جديدة لم يثرها النص في الماضي.. ويقول ايضاً "وفي كل الحالات فينبغي ان نقرأ الاحكام في الالتزام بها او عدم الالتزام بقراءة تحقق مقاصدها دون الالتفاف اليها في ذاتها، ولذلك فإنه على سبيل المثال فيما يتعلق بمحدّ السرقة "لا حرج البتة في التخلي عنه واستبداله بعقوبات أخرى تتماشى والاضاع التي تعيشها المجتمعات الاسلامية الحديثة طالما يمكن تحقيق الغرض منه بوسائل أخرى"^(٨٣).

ويرد احد المعاصرين على ذلك:

اولاً: إنّ مراعاة تلك المقاصد انما تعرف بالعقل المهتدي بنور الشرع ولا تسير بالعقل المحض الذي يراعى فيه التاريخ وتجربة البشر.

ثانياً: من الذي يدلنا على ان الغرض من حد السرقة يتحقق بغيره؟ أليس الذي يدلنا على ذلك هو الشرع نفسه، فهل اصحاب القراءات هم مشرعون على الامور الحالية والمستقبلية حتى يجزموا ان مقصد الحكم قد يتحقق بغير الحكم الذي ذكرته الشريعة؟

ثالثاً: ينبغي ان يلتفت الى ان الشارع قد اوجد احكاماً تقضي الى المقاصد، فهو يريد منا المقصد الذي يحصل من حكمه الشرعي، فهو لم يرد منا المقاصد باي صورة حصلت. وباي مبرر نلغي الحكم اذا حصل مقصده لنا بغير الحكم الذي شرعه النص؟!، فمثلاً: ان المقصد للشارع هو استمرار التناسل

٨٠- نصر ابو زيد: دوائر الخوف: ٦٩.

٨١- محمد الظالمي: عيال الله: ١٤٢-١٤٣.

٨٢- محمد سلمان غانم: من حقائق القرآن: ٥٨.

٨٣- عبد المجيد الشرفي: الاسلام بين الرسالة والتاريخ: ٤٢.

البشري بصورته الصحيحة من طريق الزواج الشرعي، فلا يمكن الحصول عليه من الزنا مثلاً، فالشارع يريد الحكم الذي يفضي الى مقصد معين، ولا يميز من الوصول الى المقصد بدون الحكم الشرعي^(٨٤). فتقول إنَّ روح الشريعة وغرض الشارع هي عبارة عن المقاصد والغايات والاهداف التي يراد تحقيقها والوصول اليها، وهذا لا يكون بتقنين وتنظيم مخالف، فان العاقل لا يخالف اهدافه ولا يهوي التنازل والتخلي عنها، فكيف بشرية من خلقه واهداه.

واشرنا ان الفقهاء ليسوا بمعصومين فقد تكون استدلالاتهم في امكانية اكتشاف الملاك يشوبها الخطأ، ولكن ليس في اغلب الحالات، بل يحصل ذلك، ولتلافي الاخطاء عند كشف المقاصد والتقليل منها تقنين هذه العملية واجتناب القياسات المذمومة والاستحسانات القائمة على المزاج والرأي الفردي. كما ورَّزت المدرسة الامامية على تبيين ما وراء الاحكام من علل واسباب (ضمن دائرة الكشف)، الهدف من ذلك حث الناس على فهم اهداف الشريعة بكشفهم ملاكات احكامها: بقوله تعالى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٨٥). وقوله سبحانه تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا دُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾^(٨٦).

وتطبيقاً لذلك ما نلاحظه في الكثير من الروايات والاحاديث منها، عن الامام الصادق -عليه السلام- انه سئل ما العلة التي من اجلها لا يصلي في قميص متوشحاً؟ فقال لعله التكبر في موضع الاستكانة والذل^(٨٧).

وعن الامام الرضا -عليه السلام- في جواب محمد بن سنان في علة الزكاة فانها من قوت الفقراء وتحسين اموال الاغنياء مع ما فيها من الزيادة والرفاة والرحمة لأهل الضعف والعطف على اهل المسكنة والحث لهم على المواساة، وتقوية الفقراء والمعونة لهم على امر الدين...^(٨٨).

وبغيرها من الروايات على ان البحث عن مقاصد الشريعة له اولوياته في المناهج الفقهية الامامية^(٨٩). فالاستدلال العقلي في اطار تلك النصوص تمثل اساس الاجتهاد في الفقه الامامي، فهو منهج الاستدلال في المنطق الصوري المتضمن للحجة القاطعة بخلاف التمثيل المنطقي، فهو اسلوب ظني يبتني على الكشف الاحتمالي في علل الاحكام ويسمى في الفقه "قياساً" ولذا كان مرفوضاً في بناءات الفقه الاسلامي الامامي منذ القرن الثاني الهجري، إلا في حالات الكشف عن ملاكات الاحكام بصورة قطعية، عد هذا الكشف بما يفيد الاطمئنان حجة معتبرة يمكن الاستدلال بها وضمن التوافقات الروحية للأصول الاسلامية.

وعليه كان الفقهاء الاوائل منذ القرون الاولى وحتى القرن السادس الهجري يعدون الاستدلالات العقلية من قبيل القياسات الفقهية بتعميم من اصحاب الحديث في الروايات الناهية عن القياس على جميع

٨٤- حسن الجواهري: بحوث في الفقه المعاصر: ٤ / ٣٤.

٨٥- من سورة النحل: الآية: ٤٤.

٨٦- من سورة الفرقان: الآية: ٧٣.

٨٧- الحر العاملي: وسائل الشريعة: ٣ / ٢٨٩، ح ١١.

٨٨- الحر العاملي: وسائل الشريعة: ٩ / ١٢، باب ما يجب فيه الزكاة، ج ٧.

٨٩- مجلة قضايا اسلامية معاصرة العدد ١٣ سنة ٢٠٠٠، ص ٢٢٨ - ٢٢٩.

تلك الاستدلالات العقلية التي تنهى عن الاجتهاد الشخصي، وهذا ما نَجده في كتب كثير من الكلاميين من الامامية، ولو دققنا النظر لكان الاجتهاد بمعناه الاستدلال التحليلي العقلي الذي شاع بين علماء الامامية في القرن الثاني، وفي اواخر القرن الرابع الذي غدا عندهم اسلوباً فريداً في المباحث الفقهية تلك النظرة التي ناوأت استخدام العقلية في الفقه الاسلامي - لا اقف ناقداً- التي حوّلت مناهج الاستدلال خلال تلك القرون الى نوع من العمل بالرأي والقياس، واتهم الكثير بما من فقهاء الامامية ممن يتصفون بالاستدلال الفقهي الدقيق كالفضل عن شاذان النيشابوري الفقيه والمتكلم الامامي، ويونس بن عبد الرحمن، ووزارة بن اعين الكوفي، وجميل بن دراج، وعبد الله بن بكير. في حين انهم استعملوا في فقههم الاساليب الاستدلالية التحليلية دون اسلوب القياس المعروف لدى المذاهب العامة^(٩٠).

الذي تتبع حركة الفقه الامامي في عصر اهل البيت -عليه السلام- - يجد نوعين من الحركة الاستدلالية: الاول: حركة استدلال العقل في المسائل الفقهية التي تأخذ بالاجتهاد المستند الى الضوابط والاحكام في القرآن والسنة.

الثاني: الحركة التقليدية المتشددة في تجنب الاجتهاد.

وبذلك تدل الاثار الواردة في متون فقهاء اهل البيت -عليه السلام- - على أنَّ العملية الاجتهادية بدأت منذ اواخر القرن الثاني الهجري خلافاً لما هو المشهور حول تاريخ عملية الاجتهاد^(٩١). وبناء على ذلك تكون الروايات الواردة في ذم القياس^(٩٢)، فهي لا تخص كشف المقاصد والملاكات، وانما تخص الحالات الآتية:

١- الامور التعبدية المحضة.

٢- كشف الملاك على اساس الظن والحدس الشخصي.

٣- كشف الملاك بدون ضوابط وادلة.

فتكون المقاصد في نظر الفقهاء غير قابله للتقييد ولا للتخصيص، بل هي مطلقة وعامة وتحكم جميع مطلقات وعمومات الشريعة الاسلامية، فقد ابدى فقهاء الشريعة ملاحظاتهم بموجب التطبيقات التي تقضي باعادة النظر في منهج الاجتهاد الفقهي ولا بد من النظر الى الشريعة بحسب مقاصدها، وهذا مما تقتضي دائرة البحث فيها -خارج دائرة العبادات- على اساس المقاصد الشرعية.

المبحث الثالث: من اراء المدرسة الامامية في المقاصد الشرعية (المصطلح العام)

١. محمد حسين فضل الله:

تتبين نظريته من خلال المحاور الآتية:

٩٠- المحقق الكركي: جامع المقاصد: ١/ ١١.

٩١- مدخل الى فقه الشيعة: ٣٤- ٣٧.

٩٢- المحاسن ١/ ٢١٤، ظ وسائل الشيعة: ١٨/ ٢٥.

١. إنَّ المقاصد الشرعية أوقعت خلطاً متعافياً بين ما هو جزئي وما هو كلي وبين المتغير والثابت، فتغلبت في الكثير من الموارد الجزئيات على الكليات والمتغيرات على الثوابت، وهذا مؤداه مخالفة المنهج الفقهي من جهة ومن جهة أخرى يؤدي الى غياب الرؤية الشمولية لمناهج الشريعة^(٩٣)، وبالتالي عدم وعي مقاصدها، واهدافها العامة.

وهذا مما يؤثر تأثيرات ذلك على المرتكزات المنهجية لبناء فقه الاولويات وقد ظهر واضحاً في المنهج التقليدي ومصنفاته التي ركزت على المسائل الفرعية الجزئية، وبهذا تكون قد ابتعدت عن اسلوب التأكيد على القواعد العامة التي تحكم التشريع في مفرداته والسبب ان المدارس الفقهية آنذاك كانت تتلقى الاحاديث كأجوبة لأسئلة جزئية في الموضوعات المستجدة، مما أدى الى غياب النظرة الموضوعية لدى الفقهاء، فجاءت تأكيدات فضل الله على ضرورة تحديد المنهج الذي يستثمر اكبر مساحة في مجالاته للموضوعات المستحدثة اضافة الى تحرره من الموضوعات الميتة والبعيدة عن المتطلبات المعاصرة.

٢. فهو ينتقد مثل هذا المصطلح في مساحاته التي استهدف فيها الاستغراق لعملية الاستنباط الفقهي غير المتوافق للمنهج المقاصدي مع النظرة التجديدية، وهذا أدى الى ابتعاد حركة الاستنباط عن الفهم العرفي المرتكز على المداليل اللغوية.

٣. الخضوع لقداسة المشهور في موقف الفقهاء المتأخرين- والاستغراق الاستنباطي الفقهي للجزئيات غير المتوافق مع المتطلب الحاضر جعل الكثير من رواد المدرسة الابتعاد عن ظاهرة المصطلح دون التمعن في دراسته وتشخيصه وتحديدده وهذا مما يسبب عاقبة في النمو الفقهي ووفائه لمستحدثات المعاصرة.

٤. التأثيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والاخلاقية التي استثمرت فقه الحيل الشرعية من خلال الميولات والرغبات الشخصية" أدى ذلك الى خلق معاناة في الكثير من الاحكام التشريعية، فظهرت نتائجه في فتاوى لا تنسجم مع روح الشريعة^(٩٤).

٢. الشيخ محمد مهدي شمس الدين

ويلحظ الشيخ محمد مهدي شمس الدين بان اصول الشريعة تلتقي برافدها معارف العلماء وتتهذب بها، ولذا تكون مدخلات ومخرجات اراءهم اراء مشتركة تستقي روافدها من المنبع الثر تاريخياً وتأصيلاً (المرجعية المعصومة)، فكان يشترك مع غيره من العلماء في هذا المضمار بمعاونة الفقه التقليدي من حيث الاستغراق بمنهج الاستنباط من نواح عدة:

- أ. النظرة الفردية التجزئية التي يعانيتها المنهج الفقهي.
- ب. اعتبار الشريعة مشروعاً أخروياً مما يضيق ذلك الفكر التشريعي.
- ج. عدم التفاعل مع الطبيعة ومع الواقع الموضوعي المتغير.
- د. عدم ملاحظة مقاصد الشريعة في الكثير من مجالات الفقه.

٩٣- الصدوق: الهداية: المقدمة / ١٧.

٩٤- مجلة قضايا معاصرة: العدد الثامن من سنة ١٤٢٠، ص ١٢.

ويتابع جملة ارائه منها: ان نزعة نشأت عند بعض الفقهاء مؤداها تجاوز الشريعة نفسها بذريعة تحري مقاصد الشريعة نحو الحداثة بمعناها المادي، وذلك بتحليل ما حرم الله وتحريم ما احله، وهذا يستدعي من الفقهاء اليوم وضع القواعد المنهجية بغية سلامة سياقات الاستنباط الفقهي المرتكز على رؤية الواقع وتدبره.

ويلتقي شمس الدين بنفس الخط المعرفي لرواد المدرسة الاصولية في امكانية الكشف في معرفة مقاصد الشريعة في غير العبادات بقوله: " والتعبد في العبادات المحضة امر لا ريب فيه ومسلم به، واما في مجالات المجتمع فيما نسيمه بالفقه الخاص في باب الاسرة، والمكاسب الفردية مثلاً^(٩٥). فلا بد من ملاحظة القواعد العامة حتى نحفظ للشريعة منهجها واداءها.

٣. الشيخ محمد جواد مغنية:

ويذهب في رأيه انه لا تعبد في المعاملات فغايتها والمصلحة منها قابلة للدراك، وبيان ذلك بقوله: (لان المعاملات لا تعبد فيها، ومصلحتها ظاهرة في الغالب... وبالتالي فان الجمود على حرفية النص يجب في العبادات سواء عرفنا المصلحة ام لم نعرف اما في المعاملات فينبغي التوفيق القريب بين النص والمصلحة المعلومة)^(٩٦)، فهو قد اعتبر التعبدية المحضة في العبادات، فالتمه صدي للكلام في مسائل دينية وشرعية ان لا يعتمد على مجرد ادراكه وفهمه وذلك لان دين الله لا يصاب بالعقول بل عليه ان يرجع الى مصادر الدين والشريعة ويستنتقها بمعرفة وروية^(٩٧).

٤. الشيخ محمد هادي معرفة:

وبالخط نفسه يلتقي الشيخ محمد هادي معرفة، فهو من الفقهاء الذين يؤكدون أنَّ ملاكات الاحكام غير العبادية ممكنة المعرفة لوضوحها اما العبادات فتكون احكامها غير بيّنة ولا يستطيع احد الاحاطة الدقيقة بجميع اسرار الممارسات العبادية، وهذا ما عبّرت عنه واقعية الرؤية الفقهية للفقهاء المعاصرين ويجدونها من الخصائص المدهشة في فقه الدين الاسلامي الاصيل، رؤيته ونزعت الواقعية وهذا ما بنت عليه التأسيسات الفقهية الاولى بان الاحكام الشرعية تابعة للمصالح الواقعية: ولذلك قيل (الاحكام الشرعية الطاف في الاحكام العقلية) فهو هنا بهذا القول يؤكد على وحدة التطابق بين العقل والشرع^(٩٨).

وقوله وانا على يقين من مقاصد الشريعة هي المصلحة وحتى علمنا بوجود المصلحة وجب الاخذ بها وهذا ليس اجتهداً في قبال النص بل عمل بالنص، اذ العلم بالمقصد الشرعي تماماً كالعلم بالنص^(٩٩).

٥. الشيخ عبد الهادي الفضلي

وقد التقى بالكثير من الروافد مع اشارته الى جملة من الاضافات منها:

أ. اعادة النظر في فهمنا للواقع

٩٥- عبد الجبار الرفاعي / كتاب المقاصد / ٢٤.

٩٦- محمد جواد مغنية: فقه الامام الصادق: ٣ / ١٥٧.

٩٧- المصدر نفسه: ١ / ٢٤٤.

٩٨- مجلة عالم الفكر: العدد ٢٩ / ٤٠.

٩٩- محمد جواد مغنية: الفقه على المذاهب الخمسة: ٢ / ٦٣٣.

- ب. الخروج من اطار الفردية التي اشار اليها سابقه من المعاصرين الى اطار الحياة الاجتماعية.
- ج. كما ان الشيخ اكد على دراسة بنية النص وتركيبه من خلال القواعد التي وضعها العلماء لذلك كقواعد النحو والصرف والبلاغة والرجوع الى المعاجم اللغوية.
- د. على الفقيه ان يكون سيره المنهجي معتمداً على انماط سلوكية تتحرك في الواقع وتتفاعل معه حتى يكون قريباً من حركة المقصد في بيان احكامه، فمن اهم مقاصد الشريعة تحقيق العدل الاجتماعي بين الناس، فكل الاراء متفقة على ان مقاصد الشريعة هي الاطار العام للفقه، فالتحليل على النظام والحيل الشرعية والروايات التي يحتج بها على هكذا رخص تولد شللاً للنظام الاجتماعي ولا الزام بها (١٠٠).

ويلحظ الفضلي ان اتجاهاً نشأ في الوسط العلمي الديني يميل الى قراءة النصوص بآليات فلسفية تسرب القواعد الفلسفية وادواتها الى المتون الفقهية والاصولية، وهذا يسجل اختلافاً جوهرياً بين المتأخرين والمتقدمين، مما سعى الى اخلاق منهجه العلمي في مصنفاته بغية السعي الى التفكير في دائرة التشريع.

٦. الشيخ جعفر السبحاني

الشيخ السبحاني يلتقي عموماً مع اراء العلماء الذين تكلموا عن المقاصد الشرعية في المدرسة الاصولية الامامية إلا أنه عاجل مسار المصطلح من بداياته وسائدتيه في المرحلة الاولى عند الاشاعرة الذين قالوا: إنَّ افعال الله لا تكون معللة بالأغراض والمقاصد مستدلين بأنه لو كان فعله خاضعاً للغرض لكان ناقصاً في ذاته، مستكتملاً بتحصيل ذلك الغرض (١٠١)، إلا أنهم خلطوا بين الغرض العائد الى الفاعل والغرض المترتب على الفعل، فكونه غنياً غير محتاج الى شيء وكونه حكيماً منزهاً عن العبث واللغو، التحقيق باشمال افعاله على حكم وم صالح ترجع الى العباد لا الى وجوده وذاته، كما بين القرآن الكريم في عدة آيات يجل ان تكون افعاله الكونية عبثاً بلا غرض وسدى بلا غاية لان العبث يضاد كونه حكيماً يضع الامور مواضعها.

كقوله سبحانه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ المؤمنون / ١١٥

فكان الاصل المعروف عند الاشاعرة هو خلو فعله سبحانه في مجالي التكوين والتشريع عن اي غاية وغرض، ولكن ظهر في القرن الخامس والسادس رجال من الاشاعرة انكروا هذا الاصل وقالوا بنظرية "مقاصد الشرائع الاسلامية" وقالوا إنَّ لتشريعات القرآن والسنة غايات واغراضاً، منهم ابو المعالي الجويني (ت ٤٧٨هـ)، ومحمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، وابو اسحاق الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) الا أن فترة من الركود اصابت المصطلح حتى اعيدت الحياة له في زمن محمد عبده (١٢٦ - ١٣٢٣هـ) بنقد شيوخ الازهر الذين تزموا في الدين وكونه لا يخضع للعقل ابدأ، فكرس دعوته في التأليف والتصنيف فيه وحتى وقتنا الحاضر. فمثل هذه الاهتزازات والجمود والتحجر الذي يجعل من الدين لا يواكب متطلبات الحضارات ومتغيرات الزمان اضافة الى ما اعترى المصطلح من فوضى خلقته شعاب الاشعرية ومن بخطهم، وهذا

١٠٠ - محمد الحسيني: الاجتهاد والحياة: ٢١.

١٠١ - الأبي: المواقف: ٢٣١.

عكس ما اكدوا عليه الامامية على ان الاحكام تابعة للمقاصد والاعراض، وان للتشريع نظاماً لا تعزّيه الفوضى (١٠٢).

ثم بين أنّ مقاصد الشريعة غير المصالح المرسلة الاستصلاح مبنياً وقوع الخلط في نتاج المقصد مستعرضاً تحليل تلك المصطلحات التي يتعد بعضها عن المقصد التشريعي الدقيق.

واراد في بيانه للتقسيمات الثلاثة من ضرورة وحاجيه وتحسينه ومابنوا عليها متقدمهم ومتأخريهم، كانت غاياتهم واهدافهم الارتكاز على استقراء الاحكام الشرعية وعللها في مختلف الابواب يكشف عن ان الهدف من التشريع هو حفظ ضروريات الناس وحاجياتهم وتحسيناتهم (١٠٣).

ولكن (في رأي السبحاني) ان هذا التقسيم صحيح بقوله " اذا نظرنا الى الشريعة من منظار التجزئة، اما اذا نظرنا الى مجموع الديانة الاسلامية عقيدة وشريعة وقيماً فالمقصد الاسنى للوحي المحمدي - ﷺ - وهو تربية الانسان في ظل العقيدة الصحيحة والعمل الصالح على نحو يكون موجوداً مثالياً يمثل اسماء الله وصفاته " (١٠٤).

النتائج:

١. ما نشأت المدرسة الامامية إلا في ظروف تكاد تكون في مخاضات اجتماعية وعقائدية تتطلب الاحاطة والعمق لمسارها الدقيق رغم ابعادها الفكرية والعلمية المتجسمة بألية علومها.
٢. المتمحص لكل مراحلها التي تدأب لحالة الكمال يجدها غنية بالعناصر الموروثة التي تتفاعل في محيطها المعرفي مهياً لان تتخلق في فضاءها عملية التحديث ضمن سياقاتها الثقافية والتاريخية متمثلة في علومها العقلية وروافدها العلمية مما انتج تراكماً ثقافياً عالياً يتعامل مع ثقافات الجميع رغم الاقصاءات الفكرية والعلمية والدينية التي مرت بها.
٣. كانت سياقاتها المقاصدية لها من التأصيل والتاريخية بما ركزت عليه قوة المصنفات المنقّحة خلقت جواً بحثياً من الابداعات الفقهية والاصولية والرسائل العملية كواحدة سبيل ذلك التجديد.
٤. المدرسة لم تحمل من الوجهة التراثية التجديدية اهمية الافق المقاصدي للجانب التشريعي الا ان التحديد الاصطلاحي يختلف فيه هذا من جهة وللتطرف الموضوعي بما قد استهلك او خسر خطوة القبول من القبول به على مستوى التأسيس والتقنين في المدرسة الاصولية الامامية.
٥. لاحظت المدرسة من خلال المساهمات التاريخية لهذا المصطلح مما يفهم من خلال متق صيها ظلت يهemin عليها النظر الكلامي المجرد والاختلاف الذي حصل في طول مسارة في التعليل والغائية.
٦. ان لا يظن الباحث في استفراغ جهده ان افق المصطلح (المقاصدي) من نتاج مذهب معين بل تاصيلاته ومكوناته موجودة بوجود الكتاب الكريم والسنة النبوية، الا ان ما اشار اليه الجويني (ت ٤٧٨هـ) بان هذا المصطلح وما احتواه في الخاص كانت ابعاده التأسيسية اشعرية مما جعل المدرسة الامامية ان تبعد تاصيلاتها من حيث التسويق الى مصنفاتها، مما جعل هذا المصطلح يعيش جملة من

١٠٢- السبحاني: اصول الفقه فيما لا نص فيه: ٢٥٣-٢٦٣.

١٠٣- عبد الوهاب خلاّف: علم اصول الفقه: ١٩٩.

١٠٤- السبحاني: المصدر السابق: ٣٥٤.

النقائص والشوائب الغربية نتيجة ابتعادهم عن سلطة العقل وآثار ذلك على نقاء النص وثوابته، ومن هنا اهابت المدارس الاصولية الامامية ان لا تاخذ بهذا المنحنى تسمية وبحثاً حتى لا تقع في حفريات تلك النظرية (المقاصدية) وثغراتها.

٧. فلا تخلو المصنفات الاصولية والفقهية من اشارات مراجعها منذ الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ) وإلى يومنا من التركيز الواضح الى المقاصد الشرعية لكن اشارات فرعية تمثلت في مصطلحات عدة منها (تنقيح المناط او ملاك الحكم، حجية القياس المذصوص العلة مما يعطي ثبوتاً ان للاحكام م صالحا ومفاسدا وبإمكان العقل ادراك ملاكاته فتكون الاحكام الشرعية عند الامامية معلومة لمصالح واقعية. وحتى لا يحصل التناقض كما حصل عند علماء المقاصد الذين وقعوا في شباك الاشعرية.

روافد البحث

- ١- الآخوند الخراساني: محمد كاظم، (ت ١٣٢٩ هـ)، كفاية الاصول، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت - إحياء التراث، ط ١، قم، ١٤٠٩ هـ.
- ١٠- الجويني: (ت ٤٨٧ هـ)، عبد الملك بن عبد الله (ابو المعالي)، البرهان في اصول الفقه، تحقيق: عبد الله محمود الديب، نشر: الوفاء، المنصورة، ط ٤ / ١٤١٨ هـ، مصر.
- ١١- الخادمي، نور الدين بن مختار، علم المقاصد الشرعية مكتبة العبيكان الرياض المملكة العربية السعودية الطبعة الاولى ٢٠٠١.
- ١٢- الخوئي: أبو القاسم، (ت ١٤١١ هـ)، معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، نشر: مؤسسة الفقاهة الإسلامية ط ٥، قم، ١٤١٣ هـ.
- ١٣- الزبيدي: محمد مرتضى الحنفي، (ت ١٢٠٥ هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس نشر: دار الفكر، ط ١، بيروت، ١٩٩٤ م.
- ١٤- الزحيلي (وهبة)، معاصر: اصول الفقه الاسلامي، دار الفكر، ط ١، ١٤٠٦ هـ، دمشق.
- ١٥- السيوري، (ت ٨٢٦ هـ)، التنقيح الرائع لمختصر الشرائع، تحقيق، عبد اللطيف الحسيني، نشر: مكتبة المرعشي، مطبعة الخيام / ١٤٠٤ هـ، قم. نضد القواعد الفقهية، نشر: مكتب آية الله المرعشي، تحقيق عبد اللطيف الكوهكمري، المطبعة: الخيام، قم، ١٤٠٣ هـ.
- ١٧- الشاطبي (إبراهيم بن موسى التميمي) ت ٧٩٠ هـ، الموافقات على أصول الفقه، نشر: دارالمعرفة، تحقيق: عبد الله دراز، بيروت - لبنان.
- ١٨- الشهيد الأول (محمد بن علي العاملي) ت ٧٨٦ هـ: القواعد والفوائد، نشر مكتبة المفيد، تحقيق: عبد الهادي الحكيم، قم - إيران.
- ١٩- ال صدر (محمد باقر)، (ت ١٤٠٠ هـ): المعالم الجديدة للأصول، دار التعارف للمطبوعات (د.ط)، بيروت، ١٤١٠ هـ.
- ٢- الأردبيلي (محمد بن علي الغروي) ت ١١٠١ هـ: جامع الرواة، نشر: مكتبة آية الله المرعشي، ط ١، ١٤٠٣ هـ، قم، إيران.

- ٢٢- الطهراني: آقا بزرگ، (ت ١٣٨٩ هـ)، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، نشر: دار الاضواء، ط٣، بيروت، ١٤٠٣ هـ.
- ٢٣- الطوسي (محمد بن الحسن) ت ٤٦٠ هـ: التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: احمد حبيب ق صير العاملي، مكتب الاعلام الاسلامي، دار احياء التراث العربي، ط١، مطبعة رمضان المبارك.
- ٢٤- الكاشاني (محسن بن مرتضى الملا محسن) ١٠٩٠ هـ: الوافي، مكتبة أمير المؤمنين - (عجل الله فرجه) -، ط١، ١٤١٢ هـ، أصفهان.
- ٢٥- المحقق الكركي (علي بن الحسين) ت ٩٤٠ هـ، جامع المقاصد في شرح القواعد، تحقيق مؤسسة أهل البيت - (عجل الله فرجه) - لأحياء التراث، نشر المؤسسة، قم، ١٤٠٨ هـ.
- ٢٦- الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الرازي، (ت ٣٢٩ هـ)، الكافي، تحقيق: علي أكبر غفاري، دار الكتب الاسلامية، ط٥، طهران، ١٣٦٣ هـ.
- ٣- الاصفهاني: محمد حسين الغروي، (ت ١٣٦١ هـ)، نهاية الدراية في شرح الكفاية، تحقيق: مهدي احدي امير: نشر: انتشارات سيد الشهداء، ط١، قم، ١٣٧٤ ش.
- ٤- الامين: محسن، (ت ١٣٧١ هـ)، اعيان الشيعة، تحقيق: حسن الامين، دار التعارف للمطبوعات، (د.ط) (ب.ت) بيروت - لبنان.
- ٥- الانصاري: مرتضى بن محمد امين، (ت ١٢٨١ هـ)، كتاب المكاسب، تحقيق: تراث الشيخ الاعظم، نشر المؤتمر العالمي للذكرى المئوية الثانية لميلاد الشيخ الانصاري، المطبعة: باقري، ط١، قم، ١٤١٥ هـ.
- ٦- الحر العاملي: محمد بن الحسن، (ت ١١٠٤ هـ) وسائل الشيعة (آل البيت)، تحقيق: مؤسسة آل البيت - (عجل الله فرجه) - لأحياء التراث، ط٢، المطبعة: مهر، قم، ١٤١٤ هـ.
- ٧- الحلبي، (جعفر بن الحسن) ت ٦٧٦ هـ: معارج الأصول، نشر: مؤسسة آل البيت - (عجل الله فرجه) -، تحقيق محمد حسين الرضوي، مطبعة سيد الشهداء - (عجل الله فرجه) -، ط١، قم، ١٤٠٣ هـ.
- ٨- الحلبي: محمد بن منصور بن احمد بن ادريس الحلبي، (ت ٥٩٨ هـ)، السرائر تحقيق: مؤسسة النشر الاسلامي، نشر وطبع: مؤسسة نشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين ط٢، قم، ١٤١٠ هـ.
- ٩- الجواهري: محمد حسن الفيض، (ت ١٢٦٦ هـ)، جواهر الكلام، تحقيق: عباس القوجاني، نشر: دار الكتب الإسلامية المطبعة خورشيد، ط٢، طهران، ١٣٦٧ هـ.
- ٢٧- ابن منظور: محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، (ت ٧١١ هـ)، لسان العرب تحقيق: عامر احمد، نشر دار الكتب العلمية، ط١، بيروت ١٤٢٦ هـ.
- ١٦- السبحاني (جعفر)، اصول الفقه فيما لا نص فيه، نشر مؤسسة الامام الصادق - (عجل الله فرجه) -، المطبعة: مؤسسة الامام الصادق - (عجل الله فرجه) -، ط١، ١٤٢٥ هـ.
- ٢٠- الطاهر، محمد ابن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق: محمد الطاهر الميساوي، ط٣؛ عمان: دار النفائس، ١٤٣٢ هـ/ ٢٠١١ م.

- ٢١- الطباطبائي: السيد عليّ، (ت ١٢٣١ هـ)، رياض المسائل في بيان أحكام الشرع بالدلائل، تحقيق: النشر الاسلامي، نشر المؤسسة ط١، قم، ١٤١٢ هـ.
- ٢٨- المرتضى (علي بن الحسين)، ت ٤٣٦ هـ: رسائل المرتضى، نشر: دار القرآن الكريم، مطبعة سيد الشهداء و، ١٤٠٥ هـ، قم- ايران
- ٢٩- المظفر: محمد رضا، (ت ١٣٨٨ هـ)، اصول الفقه، مطبعة دار النعمان في النجف- العراق، ط٢، ١٣٨٦ هـ.
- ٣٠- مغنية: محمد جواد، معاصر، الفقه على المذاهب الخمسة دار الجواد، ط٨، بيروت ١٤٠٤ هـ- ١٩٨٤ م.
- ٣١- الوحيد البهبهاني محمد باقر بن محمد أكمل، «الفوائد الحائرية»، مجمع الفكر الإسلامي، قم، ١٤١٥.

المُثُل والقيَم العُلَيَا في نهج البلاغة -دراسة تحليلية-

Supreme Moral values in Nahj EL-Balaga -Analytic study-

Lect. Jaafer Ali Ashoor
Dr. Jawad Auda Sabhan

م.د جعفر علي عاشور^(١)
د. جواد عودة سبهان^(٢)

الملخص

يعالج هذا البحث المثل والقيم العليا في نهج البلاغة الذي كان وما يزال نبعاً ثراً ورافداً غزيراً من روافد التراث العربي والإسلامي، فهو نافذة لأفكارنا وثقافتنا المكنوزة، تراث ما أجله قدراً، وما أعظمه سفراً. الأمر الذي كان مدعاة لأن ندرس تلك القيم التي تستند إلى أساس معرفي نابع من القرآن والسنة النبوية، والساعية إلى إصلاح الفرد والمجتمع، وهو جزء مما أسفرت عنه نتائج هذا البحث.

Abstract

This research deals with the values and ideals in "Peak of Eloquence" which is considered an abundant tributary of Islamic and Arabic heritage. It is an approach to our thought and culture; It is a highly appreciated heritage; It is an immortal book – and that is why we study such values which are based on epistemological ground stemming from Qua'ran and phrophetic Sunnah trying to reform the individual and society.

That is part of the findings which the research reached to.

١ - جامعة اهل البيت - إربل - /كلية الآداب.
٢ - المديرية العامة لتربية كربلاء المقدسة.

يُشير مفهوم القيمة إلى كل صفة ذات أهمية لاعتبارات اجتماعية أو أخلاقية، أو نفسية، أو جمالية. فالقيم هي تصور عام مجرد للسلوك، يشعر أعضاء الجماعة الاجتماعية نحوه بارتباط انفعالي شديد، ويتيح لهم مستوى الحكم على الأفعال والأهداف الخاصة. وتتمتع صفات القيم بصفة الجماعة في التنبؤ، وتمثل الموجهات العامة للسلوك، بمعنى آخر أن مجموعة القيم التي يدين بها شخص أو جماعة هي التي تحركه نحو السلوك أو الفعل، وتدفعه نحو العمل بطريقة معينة، ويتخذها مرجعاً له في الحكم بأن سلوكه مرغوب أو غير مرغوب فيه عند الجماعة أو المجتمع. فهي تشكل منظومة ثقافية أخلاقية ترشد الأفراد وتحدد سلوكياتهم، وتوجه أحكامهم واتجاهاتهم فيما يتصل بما هو مرغوب فيه من أشكال السلوك، في إطار ما يضعه المجتمع من قواعد وأسس ومعايير وشروط يستمدّها من مصادر مختلفة، دينية وثقافية وبيئية واجتماعية^(٣)، ومن ذلك ما يتصل بالمثّل^(٤) والقيم العليا وهي (نهج البلاغة) قسم من فلسفة الإمام علي -عليه السلام- الاجتماعية القائمة على الدين الذي ينظر على أساسه إلى الأحوال الخاصة والعامة، إلى كل ما يرتبط بوجودات الناس ونزعاتهم وحياتهم الداخلية، وإلى كل ما يتصل بالعلاقات العامة. وكان لا بد أن تُبنى عليه قيم الإنسان^(٥). وكان سبيله في غرسها وزرعها في عقول الأجيال واستمراريتها، هو العملة التربوية التي تنقل هذه المثّل والقيم العليا إلى الأجيال، ولم يكن هذا النقل عشوائياً في أيّ يوم من الأيام، بل كان وما يزال وسيبقى منظماً مرسوماً مقنناً ينتقل للأجيال اللاحقة بنظام وبخطّ ثابتة يرضى عنها المجتمع بما فيه من نظم وقيم وأنظمة وحكم. وقد عُرف عن الإمام علي -عليه السلام- اطلاعه الواسع وعلمه الغزير (إن علياً لمن عمالقة الفكر والروح والبيان في كل زمان ومكان)^(٦).

ومثّل وقيمه تفصح بدلائل شخصية الإمام علي -عليه السلام-، حتى لكأن معانيها وتعايرها هي خوالج نفسه بالذات تقوده عقيدته إلى الحرص الشديد عليها، يمارسها ويدعو إلى ممارستها بيقين لا يتزعزع، وهو لا يعرف بذلك هوادة ولا تسامحاً. ويقوده إيمانه الحيّ إلى الاستقامة لا تعرف التواء ولا عوجاً، بل تمضي في سبيل الحق والعدل والواجب من غير مراعاة للخواطر ولا محاباة للوجوه، وهو مثّل أعلى في الأخلاق والنزاهة والتجرد، لذا أردنا في بحثنا هذا أن نقف على المثّل والقيم العليا التي رسمها الإمام -عليه السلام- للمجتمع حتى ننعّم بالأمن والأمان بين أفرادها، ويزرع فيما بينهم المحبة والسلام والمودة، ومن أجل الوصول إلى هذا الهدف قسم البحث على أربعة مباحث، وهي:

المبحث الأول: القيم الروحية

المبحث الثاني: القيم الانسانية

المبحث الثالث: القيم الأخلاقية

المبحث الرابع: قيم روحية وإنسانية وأخلاقية تجري مجرى الحكم

٣- ينظر: دور الاعلام في ترسيخ القيم الاجتماعية، مأمون الجنان، مجلة المعرفة: ٢٨٥.

٤- (الغايات التي تسعى لتحقيقها، أو أهداف ينبغي التوصل إليها، أو توازن تسعى إلى تحقيقه). قضايا علم الأخلاق، قباري محمد اسماعيل: ١٣٢.

٥- ينظر: الإمام علي -عليه السلام- صوت العدالة الإنسانية، جورج جرداق: ١٤٦-١٤٧.

٦- الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، كلمة ميخائيل نعيمة: ٨٠٢.

المبحث الأول: القيم الروحية

نهج البلاغة تراث موسوعي يفتح على قضايا الانسان كلها في حياته الفردية والاجتماعية، وهو مدرسة لتقويم النفس، وتقوية البدن، وإسباغ الراحة والصحة النفسية والجسمية للإنسان، فضلاً عما له من تأثيرات روحية وفيوضات ربانية، فكان صاحبه يسبق العلم بالإشارة إلى قيمة الروحية، من صلاة، وصيام، وزكاة، وحج، ودعاء، وزهد، وغيرها من القيم، ليرفع النفس البشرية فوق المادة لتحيا. وهذا يوحي بأن القيم الروحية هي: (نظرة ثاقبة إلى ما وراء الحياة المادية - إلى المثل الأعلى - عالم المبادئ السامية والنظامات الروحية) (٧)، فإن ذلك يؤدي في النهاية إلى ترقية الانسان حتى يصل إلى درجة (التقوى) حيث الغاية النهائية، تلك الغاية التي تتوق إليها نفسه وتهفو إليها روحه، ويبدو أن الهدف الغائي للإمام من هذه القيم هو ايقاظ الناس من سبات الغفلة والغرور بالتقرب إلى الله، لأن في حياة الفرد جانباً مادياً وجانباً روحياً معنوياً، وإذا كانت حياة الفرد المادية تقوم بالوجود المادي العيني، فإن حياة الروح تقوم بالقيم الروحية، لذا أغنى الإمام علي - عليه السلام - بترسيخ هذه القيم عن طريق منهجه القيمي الروحي، بقوله: ((إن أفضل ما توسل به المتوسلون إلى الله سبحانه: الإيمان به وبرسوله، والجهاد في سبيله فإنه ذروة الإسلام، وكلمة الاخلاص، فإنها الفطرة، وإقام الصلاة فإنها الملة، وإيتاء الزكاة فإنها فريضة واجبة، وصوم شهر رمضان فإنه جنة من العقاب، وحج البيت واعتماره فإنهما ينفيان الفقر ويرخصان الذنب...)) (٨).

يفاد من هذا النص أن التدرج أمر أساسي يدخل في صلب النظام القيمي الروحي للإمام، لذا اعتمد فكرة التدرج في العمل الروحي، تبعاً لقوة الإيمان عند الناس، فقدم الإيمان بوصفه قيمة روحية علياً، وهو أصل الأصول كلها، ويرى الباحثان أن التقديم بهذه الطريقة جرى بقصدية باعثها توظيف الدلالة توظيفاً قيمياً روحياً. ويأتي الجهاد في المرتبة الثانية، كونه قيمة روحية علياً يهدف إلى رفع شأن الاسلام بدلالة ما ذكره الإمام - عليه السلام - بقوله: ((فإنه ذروة الاسلام))، وكأن الإمام - عليه السلام - يرمي إلى أنه لولا الجهاد ما ترفع للإسلام راية، ولا كان له عين وأثر، وتكتمل صورة العناية بعقيدة التوحيد ضمن القيم الروحية عند الإمام - عليه السلام - بتأكيد مبدأ قيمة التوحيد المتمثلة بكلمة الإخلاص. وليس المراد بكلمة الاخلاص النطق بلا إله إلا الله، وإنما المراد ما تمليه من التعبد له، والتوكل عليه وحده، أما الفطرة فهي إشارة إلى أن الإنسان بفطرته وطبيعته يستجيب لعقيدة التوحيد، بل يستجيب لكل قيمة من القيم الروحية التي هي من مبادئ الإسلام (٩). وارتشف الإمام - عليه السلام - في توظيف مفردة (الصلاة) قيمةً روحيةً علياً مخصصاً إياها بموضوعه الصلة بين قلب العبد ونور الله، وهي معراج المؤمن إلى عرش الله، وهي رمز تعبد الإنسان لله، وتسليمه لأمره في حقول حياته كافة، وهذا يكشف دقة اختيار الامام لقيمة الصلاة ووضعها في مكانها الذي يحقق التعانق بأبعادها الدلالية بوصفها الطريقة والشرعية والدين. وما يُعزّد هذه القيمة الروحية (الزكاة) التي تأتي في المرتبة السادسة، وهي أشبه بالتنظيم الاقتصادي للمجتمع، والعامل الأول في محو جذور الفقر،

٧- رسالة الأديب إلى الحياة العربية، مي زيادة: ١٥

٨- نهج البلاغة: ١٠٩/١ - ٢٤٢، إنه - عليه السلام - قد أفاد وأخذ من قول الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - في حديثه المبارك: (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان). ينظر: صحيح البخاري: ٤٠٤/٨، ورقمه ٤٥١٥.

٩- ينظر: في ظلال نهج البلاغة: شرح الشيخ محمد جواد مغنية: ١٠٥/٢.

وهذا ما يثبت عمق اندماج هذه القيمة، فأوردها الإمام -عليه السلام- لأنها تمثل وجهاً مهماً من وجوه النشاط الاقتصادي الإسلامي في كفتي الميزانية العامة لها أهدافها ونظمها الخاصة في الجباية والصرف، كانت وما تزال صفحة مشرقة من صفحات هذا النظام الإلهي العظيم، الذي شرعه الله عز وجل لعباده، لتقوية روابطهم الاجتماعية وإقامتها على أساس متين من الرأفة والرحمة والتكافل المادي والمعنوي، وبناء مجتمعاتهم بناءً صالحاً محكماً متماسكاً.

وقراءة ثانية للمقطع (وصوم شهر رمضان) تمكن القارئ المشارك من رصد القيمة الروحية (الصيام). تلك القيمة التي يمكن كشف تجلياتها الدلالية كونه من أهم العبادات وركناً من أركان الدين، ووجوبه يعد من الضروريات، فضلاً عن أنه وقاية من أدواء الروح والقلب والبدن، فمنافعه تفوق الإحساء، وأن له تأثيراً عجيماً فيه حفظ الصحة، ولا سيما إذا كان باعتدال، وقصد في أفضل أوقاته شرعاً، وحاجة البدن إليه طبعاً، ثم أن فيه من راحة القوى وأعضاء ما يحفظ عليها قواها، وفيه خاصية تقتضي إثارة وهو انتصار الإنسان على نفسه، وتزيمته على كبح الشهوات والأهواء، فيلج جانب طاعته عز وجل نجده تربية روحية وخلقية حيث الغاية النهائية للصوم.

في حين نرصد قيمة روحية (وحج البيت)، إذ إن هذه القيمة تهدف إلى قوة المسلمين ووحدهم وعظمتهم وكثرتهم، أي جانب وحدة الجنس البشري، حين يرى الأسود والأبيض، والغني والفقير، والمرأة والرجل، والكبير والصغير، كلهم واقف يلي، وكلهم يرتدي زياً موحداً أبيضاً نقياً رمزاً لطلب النقاء الروحي، ونبذاً لأدران المادة التي علقت بأجسامهم طوال أيام عمرهم. فتبعث في نفسه فكرة إزالة الفوارق ووحدة الجنس البشري الذي دعا الله إليه من دون تمييز، ومن ثم كشف هذه القيمة الروحية عن مفاتيح لدلالة مركزية واحدة هي (طاعة الله) إلى جانب نفي الفقر وغسل الذنب. تبين في موضوعه التحليل السابقة الترابط الحاصل المتحقق، والعلاقة المتواشجة المتبادلة بين موضوعة القيم ومفرداتها، وما ييثانه من تشظيات دلالية على نسيج بنية القيم كُلهَا، ويكشف هنا أثر موضوعة القيم من حيث اختيار المفردات^(١٠) وانتقائها، فيأتي بها مخصوصة في صميم الجانب الروحي.

إذ إن نجاح الالفاظ يعود في جزء كبير منه إلى قدرتها التي تولد المواقف المطلوبة، والافصاح عن المعاني الدقيقة التي تجول في نفس الباث وداخل وعيه، فليست الالفاظ (هدفاً لذاتها وإنما هي وسيلة نتخذها للتعبير عن الدلالات والخواطر التي تجول في أذهاننا)^(١١).

وعليه فالالفاظ مهمة في بناء العمل الفني بل هو الركن الرئيس لكل عمل أدبي، ومن أقوى العوامل التي تتوقف عليها قيمته الجمالية والأداء الفني أساسه الدقة في اختيار اللفظة ووضعها في بيئتها وامتزاجها مع معناها^(١٢)، فالأديب الموهب هو الذي يوفر الالفاظ جواً من اللغة والالتزام فيما بينها^(١٣).

وعليه فإن الإمام علي -عليه السلام- يجند لقيمه الروحية السياق الدقيق بما تكونه من مفردات متناسبة ومتجاوبة خاصة بموضوعته التي لا تخرج عن الدعوة إلى فرائض الإسلام وأركانه في إثارة الجوانب الروحية

١٠ - وقد عني النقاد العرب بالالفاظ وأكدها، لأن المعنى الشريف عندهم مرتبط باللفظ الشريف. ينظر البيان والتبيين: ١/ ١٣٦.

١١ - طرق تنمية الالفاظ، د. إبراهيم أنيس: ٥.

١٢ - ينظر: النثر الفني وأثر الجاحظ فيه، د. عبد الكريم بليغ: ٢١٦.

١٣ - ينظر: بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، د. إبراهيم سلامة: ٢٦٦.

الكامنة في ذات الانسان، من هنا نلاحظ أن مقطع القيم محشّد بالجمال المقرونة — (الفاء) معترضة، والقصّد التعليل، اذ تكرر ذكرها ست مرات عند ابتداء كل جملة من جمل المقطع، اذ يتوزع على ست فقرات، كل فقرة تشكّل وحدة فكرية تتمتع بإيقاع نغمي مستقل (خاص) تختلف بإيقاعها عن الفقرة التي تليها، وهذا التنوع الإيقاعي بالوقت الذي يكسر فيه رتابة التكرار فإنه بأخذ دور المحفز الذهني عند المتلقي للالتفاف إلى المضمون القيمي (الروحي) للفقرة المقروءة والتهيؤ للقادم من القيم. وتعد الفاء من الأصوات الرخوة، المهموسة المرفقة، ومن معانيها الرقة والفرح والانفراج والتوسع والابتعاد والانتشار، وهذه الصفات والخصائص التي تجتمع تناسب والقيم الروحية بتفاصيلها المتنوعة. ومن القيم الروحية الأخرى (الدعاء، والزهد، والتقوى).

أما الدعاء فيؤدي دوراً مهماً في تربية النفس البشرية وسوقها نحو مدارج السمو والرفعة والكمال، وهي الحقائق التي قد يغفلها أغلب الداعين، ناهيك عما تشتمل عليه بعض الأدعية من فضائل روحية وأخلاقية وإنسانية، ومعارف ربانية تسبغ بها النفس فتمنحها الهدوء والسكينة، فالنفس حية بالدعاء، نابضة بالورع والتقوى، ومن هنا يرى القرآن أن قيمة الإنسان تكمن في دعائه وتضرعه إلى الله: ﴿قُلْ مَا يَغْبِئُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾^(١٤)، وكيف لا يكون الدعاء بهذه الأهمية وهو الإنسان إلى معرفة الله وعشق المعبود بغية نيل رحمته والظفر بعفوه ومغفرته بوساطة التوسل بأسمائه الحسنى، من جانب آخر فإنه يكشف لنا عن قيمه الروحية التهذيبية التي تتحقق بعض صورها عن طريق إعمام الدعاء ذلك الإعمام الذي يدفع بالنفس الانسانية إلى الانفلات من دائرة الذات الضيقة والدوبان في عالم الملكوت الإلهي وإن الدعاء لا يصدر إلا لبعث الإيمان بالله والتسليم لأمره^(١٥)، وتأسيساً على ذلك، جاءت أدعية الإمام علي -عليه السلام- منطلقة من قناعاته بالمهمة العبادية التي أوكلها الله تعالى لبني البشر: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١٦)، منتهجاً فيها لغة الشريعة الإسلامية، فضلاً عن أنها إمارات أسلوبية مائزة في ميدان العلم والبيان، ولنا أن نجد بعض تجلياتها في قوله: (اللهم، داحي المدحوات، وداعم المسموكات، وجابل القلوب على فطرتها، شقيتها وسعيدها، إجعل شرائف صلواتك ونومي بركاتك، على محمد عبدك ورسولك، الخاتم لما سبق، والفتاح لما اغلف...) ^(١٧). نلاحظ أن مقطع الدعاء ومفردته الافتتاحية (اللهم) لها علاقة بنفسية الإمام علي -عليه السلام- حال دعائه الله تعالى، أن يرفع من شأن محمد -ﷺ- عنده مع علمه بأن لرسول الله عند الله ما لا يحلم به ملك مقرب ولا نبي مرسل، وإذن فلا معنى لهذا الدعاء إلا العبادة والتقرب إلى الله بتعظيم حبيبه وتقديسه^(١٨)، متزامنة مع الموضوعة التي حملت تكثيف المناسبة كلها، وهذا الاستهلال مولود في رحم الاستهلال القرآني عند قوله تعالى: ﴿اللَّهُمَّ مَا لِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾^(١٩)، وقوله

١٤ - سورة الفرقان، الآية: ٧٧.

١٥ - ينظر: في ظلال الصحيفة السجادية، محمد جواد مغنية: ٤٢.

١٦ - سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

١٧ - نهج البلاغة: ١، والمدحوات: الأرضون، لسان العرب (دحا): ٢٩٧/٤، والمسموكات:

السموات، لسان العرب (مسك): ١٣/١٠٢.

١٨ - ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٢٣٦.

١٩ - سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

تعالى: ﴿اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢٠)، وهذا لم يكن اعتباطاً، وإنما جرى بقصدية تامة جعلت منه دالاً أسلوبياً، فقد جاء مرتبطاً فكرياً وروحياً مع طبعة الدعاء قيمة روحية.

ويكرر الإمام علي -عليه السلام- النداء (اللهم): ((اللهم اغفر لي ما أنت أعلم به مني، فإن عُدْتُ فَعُدْ عليّ بالمغفرة، اللهم اغفر لي ما أويت من نفسي ولم نجد له وفاءً عندي، اللهم اغفر لي مما تقربت به إليك بلساني ثم خالفه قلبي، اللهم اغفر لي رمزات الألفاظ...))^(٢١).

والمتفحص للنص يرى أن الإمام علي -عليه السلام- قد مهّد لفضاء قيمتي روحي يتسع تدريجياً بتكرير النداء (اللهم) وإن هذا الاتساع يدفع المتلقي بالتواصل الروحي مع الله عز وجل، ويمهد لحمل المتلقي لا شعورياً على السؤال، بتكرير لفظة (اللهم) مقرونة بطلب ذاتي محتفية في نفس الداعي وإن لم يصرح به، و أعطى الإمام -عليه السلام- لأسلوب الأمر قيمة ووظيفة معنوية ودلالية يُرداد عليها القيمة اللغوية التي أسهمت في تحديد ملامح النص. ويتضح هذا بوساطة وجهة شكلت خصيصة أسلوبية تتجلى بالتركيز على استعمال الفعل (اغفر) بصيغة أمرية، فتراه قد ورد في الدعاء أربع مرات، مقروناً بـ (اللهم) اعتمده الإمام -عليه السلام- موظفاً الدلالة المعنوية ليؤكد حقيقة هي الإقرار بالعجز، فلا يمكن للإنسان تحقيق كينونته بمشيئته وإرادته على وفق ما يريد دون اللجوء والرجوع إلى الإعانة الإلهية.

إن أسلوب التوكيد من الظواهر اللغوية والأسلوبية، قد عرفته العرب قديماً قال ابن فارس: ((ومن سنن العرب التكرار والإعادة إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر))^(٢٢)، فضلاً عن انه يشكل قيمة موسيقية مهمة ووسيلة من وسائل التنوع النغمي في النص، ويسهم في تأكيد المعنى أو الصورة وتقريرها، فهو في حقيقته إلحاح على جهة مهمة في العبارة، ليكشف عن اهتمام المتكلم بها وشدة انتباه المتلقي، وهو بهذا المعنى ذو دلالة نفسية قيمة، ولهذا يرتبط بالحالة الشعرية للإنسان كما يكشف عما يشغل الاديوب من فكرة تأخذه وتسلط عليه.

ومن مظاهر الدعاء الأخرى دعاؤه: ((اللهم صُنْ وجهي باليسار، ولا تبذل جاهي بالإقتار فأسترزق طالبي رزقك واستعطف شرار خلقك، وأبتلى بحمد من أعطاني، وافتن بدم من منعي، وأنت من وراء ذلك كله وليّ الإعطاء والمنع))^(٢٣).

وظف الإمام -عليه السلام- تقابلاً لطيفاً وضدّاً جميلاً، إذ قابل بين (اليسار -الإقتار)، أي بين الغنى والفقر، و (الحمد، والذم) و(الإعطاء -المنع)، فجسد ضداً التقابل تشكياً قيمياً روحياً في صيانة الوجه وحفظه من التعرض للسؤال، معضداً ومستنداً إلى فعل الأمر (صُنْ)، إذ جاء الفعل بصيغة خطاب الأفراد لأن الإمام -عليه السلام- لا يسترزق ولا يستعطف مخلوقاً على الإطلاق، طالماً من وراء ذلك الله عز وجل، فهو وليّ الإعطاء والمنع.

فالمقابلة لم تكن أسلوباً زخرفياً، زائداً، بل جاءت لاغراض دلالية، منسجمة مع السياق النصي، ومتوافقة مع مقصده -عليه السلام- ومعبرة عن معانيه.

٢٠- سورة الزمر: ٤٦.

٢١- نهج البلاغة: ١٥٥/١.

٢٢- الصاحبى في فقه اللغة، ابن فارس: ١٧٧.

٢٣- نهج البلاغة: ٤٦٩/٢.

وأما الزهد فإنه من المفاهيم التي تعرضت لها الأديان الإلهية، على أنه يعني عدم التعلق بماديات الدنيا وحطامها، وبالطبع لا يُراد بالزهد حرمان الانسان من المال والثروة والمقام والإمكانات، وإنما يراد به عدم الانقياد والاستسلام لهذه العناصر والوقوع في أسرها، بل ينبغي له أن يكون أميراً عليها.

ومن هنا أشار الإمام -عليه السلام- إلى حقيقة الزهد قيمة روحية علياً فقال: ((أيُّها النَّاسُ، الزَّهَادَةُ قَصْرُ الْأَمَلِ، وَالشُّكْرُ عِنْدَ النِّعَمِ، وَالْوَرَعُ عِنْدَ الْحَرَامِ))^(٢٤). وقد حدد الإمام -عليه السلام- الزهد ثلاثة أوصاف: الأول (قَصْرُ الْأَمَلِ): وهو أن يحسب الانسان لنزول الموت الذي ينتقل به إلى حياة روحية خالصة، أنحزراً علماً من الحياة التي كان يحياها بجسده، ويستعد له بالعمل الصالح.

الثاني (الشُّكْرُ عِنْدَ النِّعَمِ): قيمة روحية تتمثل بالطاعة، وبالفعل لا بالقول، والاعتراف بأنها من الله والتصرف فيها على وفق ما شرع.

الثالث (الْوَرَعُ عِنْدَ الْحَرَامِ): الورع كقيمة روحية عليا تتمثل بالكف عن المحرمات، والوقوف عند الشبهات.

وهناك تفسير آخر للزهد أورده الامام -عليه السلام- في قصار كلماته، قد يبدو مختلفاً مع هذا التفسير، إلا أنه يتفق معه في المعنى قيمة روحية عليا، إذ قال -عليه السلام-: ((الزُّهْدُ كُلُّهُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾)^(٢٥)، ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطريقه))^(٢٦). فالزهد من وجهة نظر الامام -عليه السلام- هو الرضا بالميسور، فلا تحزنوا لمفقود، ولا تفرحوا بموجود.

والمستشف من النص المقدم أن الاقتباس حقق عدولاً أسلوبياً شكّل دعامة من دعائم تمييز الأسلوب بخلقه فضاء ذهنياً وتصورياً أوسع ما يحققه النص لو لم يكن الاقتباس بمعنى أن الامام -عليه السلام- بهذا الاقتباس وسّع فضاء النص واضفى عليه شيئاً من الإمتداد القيمي وبما يُمكن المتلقي من استشعار البينية من القرآن الكريم، فجاء الاقتباس أبلغ بياناً وأعمق دلالة.

وهذا ما يطلق عليه بالقرآنية المباشرة المحورة غير المحورية^(٢٧)، وهو ان يعمد الأديب إلى النص الأول (القرآني) فيأتي بتركيبه ولكن بتوظيف جديد اي دلالة اخرى، وهي مرحلة اعلى في التوظيف من القرآنية المباشرة المحورة المحورية؛ اما في هذه القرآنية فإن الأمر يتوقف على درجة واحدة وهي النص دون المحورية وذلك لأن الاستسلام للنص في الحالة الأولى كان على درجتين وهي النص والدلالة وهي تقوم على مجازة النص الأدبي للنص القرآني ومن ثم الانحراف إلى مقصدية مختلفة.

ولنا بعد ذلك أن نشير إلى التقوى التي تُعد قيمة روحية عليا تهدف إلى طاعة الله عز وجل بمعنى أن يتقي الانسان ما يغضب ربه وما فيه ضرر لنفسه أو إضرار لغيره، فالتقوى في أصل معناها جعل النفس في وقاية، ولا تجعل النفس في وقاية إلا بالنسبة لما يخاف، فخوف الله أصلها، والخوف يستدعي العلم بالمخوف، ومن هنا أم كان الذي يعلم الله هو الذي يخشاه، أم وكأن الذي يخشاه هو الذي يتقيه. لهذا

٢٤- نهج البلاغة: ١/ ١٥٨، والزهادة: تعني عدم الإغتناء بزخارف الدنيا.

٢٥- سورة الحديد، الآية: ٢٣.

٢٦- نهج البلاغة: ٤/ ٢٢٤.

٢٧- ينظر: تأصيل النص، د. مشتاق عباس معن: ١٨٣، والقرآنية في شعر الرواد، د. احسان الشيخ حاجم: ٤٥.

عني الامام -عليه السلام- بتلك القيمة الروحية، فوجه النفوس إليها بقوله: ((الحمد لله الفاشي في الخلق حمده، والغالب جُنْدُهُ، والمتعالي حُدُّهُ... أوصيكم -عباد الله- بتقوى الله فإنها حق الله عليكم، والموجبة على الله حقكم، وأن تستعينوا عليها بالله، وتستعينوا بها على الله، فإن التقوى في اليوم، الحرزُ والجُنَّة، وفي غدٍ الطريق إلى الجنة، مسلكتها واضح، وسالكها رايح، ومستودعها حافظ))^(٢٨).

نجد الإمام -عليه السلام- يستهل كلامه بأسلوب (الحمد لله)، للتعريف بقيمة (التقوى)، وهو أسلوب لا يخرج عن مرجعيته القرآنية في استهلال السُّور وفواتحها — (الحمد لله)^(٢٩)، إن مسألة الأخذ من القرآن الكريم هي ممارسة كبيرة عريقة، تمتد إلى جذور العصور الإسلامية الأولى، فضلاً عن كون المأخوذ منه نصاً مقدساً ذا أثر كبير في نفسية المرسل والمتلقي^(٣٠)، ((نظم القرآن جنس متين، واسلوب متخصص، ونبيل عن النظر (متخصص))^(٣١). لذا كان الامام -عليه السلام- يبدأ بالتحميد لله والثناء عليه اقتداءً بكتاب الله تعالى، وعملاً بما اشتهر عن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-: ((كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَمْ يَبْدَأْ فِيهِ بِالْحَمْدِ فَهُوَ أَقْطَعُ))^(٣٢)، بمعنى مقطوع بالبركة.

من هنا أراد الامام -عليه السلام- بـ (الحمد لله الفاشي في الخلق حمده) ان يبين بأن الخلائق جميعها تسبح بحمد الله بلسان المقال أو بلسان الحال، وهذا ما جعل (الحمد لله)، مختصاً به، لهذا أورد الامام -عليه السلام-: (الحمد معرفة في جملة اسمية ليدل على ثبات الحمد لله)^(٣٣)، ثم قال -عليه السلام-: ((أوصيكم -عباد الله- بتقوى الله))، كون التقوى قيمة روحية موجبة تهدف إلى طاعة الله، و يومئ الامام -عليه السلام-: ((فإنها حق الله عليكم)). وهي فرض وحتم على العبد.

ينتقل الامام -عليه السلام- لبيان حق العباد فيقرر قائلاً: ((والموجبة على الله حقكم))، يريد أن التقوى جعلها الله سبباً لاستحقاق ثوابه، ومعينة على رضائه، فالطاعة حق لله على عبده، والثواب عليها حق للعبد على ربه، والفرق ان طاعة العبد لله فرض بحكم العقل، أما الثواب على الطاعة منه تعالى فقد فرضها هو على نفسه: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾^(٣٤). ثم ينتقل إلى بيان الاستعانة: ((وأن تستعينوا عليها بالله)). اذا ما أردنا طاعة الله عز وجل فعلينا طلب العون عليها منه تعالى، يواصل الامام -عليه السلام- بعد ذلك بيان كيفية الاستعانة بها على الله: (وتستعينوا بها على الله)، اي على العافية والخلاص من عذاب الله، اذ لا سبيل إلى النجاة منه إلا بالطاعة، ثم يستمر الامام في بيان التقوى (فإن التقوى في اليوم الحرز والجُنَّة، وفي غد الطريق إلى الجنة). نلاحظ هنا أن المقطع اشتمل على صورة كنائية اسهمت في بلورة الرؤية القيمة للتقوى المراد تبليغها. فإن الإمام -عليه السلام- كنى عن الدنيا باليوم، وكنى عن الآخرة بالغد. ويبدو هنا أن تقديم المعنى الكنائي بهذه الطريقة جرى بقصدية باعثها توظيف الدلالة توظيفاً ام قيمياً روحياً في الدنيا والآخرة، فالتوظيف القيمي يتحقق بحمل المتلقي على التفكير بعاقبة التقوى وما تقول اليه

٢٨- نصح البلاغة: ٣٩٠/٢ - ٣٩١.

٢٩- ينظر: سورة الحمد (الفاتحة)، والانعام، والكهف، وسبأ، وفاطر.

٣٠- تأصيل النص: ١٣٩.

٣١- اعجاز القرآن، الباقلائي: ٣٠٥.

٣٢- ينظر: الحبل المتين: الشيخ البهائي العاملي (ت ١٠٣١هـ): ٣٣، وفواتح سور القرآن: د. حسين نصار: ٥.

٣٣- قراءة لغوية ونقدية في الصحيفة السجادية، د. كريم حسين الخالدي: ١٢٧.

٣٤- سورة الانعام، الآية: ٥٤.

حال الانسان دنيا وآخرة، فإن (مسلكها واضح)، وهي لا شك إشارة إلى الاستقامة، والعلم والعمل النافع للأفراد والجماعة و(سالكها راجح)، واي شيء أكثر ربحاً للمرء من أثر نبيل ينتفع به الناس؟ ثم يستمر الامام -عليه السلام- مبيناً مستودعها (ومستودعها حافظ، ومستودع التقوى هو الذي تكون التقوى وديعة عنده وهو الله فأمن من يتقي الله فقد جعل تقواه وديعة عند الله، وهو سبحانه يحفظها له، ويكافئه عليها بأحسن منها)^(٣٥).

وتجدر الإشارة إلى ان الكناية اجراء اسلوبي ناجح يظهر جانباً من الدلالة في النص، مما يستدعي ايلاءها عناية كبيرة من خلال استثمار الامكانات التي توفرها آليات النص الظاهري الم صرح به على سطح النص لغرض الاحالة إلى الكشف عن الداخل المكنون للنص.

فجاءت هذه الصور تنسجم ومجريات النص، لأنها عملت على تعزيز الانزياح الكنائي ودلالته الانتاجية التي تسعى إلى تمجيد (عاقبة التقوى) وتعظيمها عبر هذا التعبير الكنائي الذي غلف فضاء النص، لغرض اثبات هذه الصفات في نفس المتلقي وذهنه، فيتحسس وقعها وحضورها الفاعل.

وهكذا استطاع الامام -عليه السلام- ان يوظف قيمه الروحية التي يُريدها الإسلام للعلاقة بين أفراد مجتمعه بكل جوانبها؛ لأنها هي أساس بناء مجتمع رصين، ومن طريقها تتكون شخصية الأفراد وتجعلهم ينعمون بحياة سعيدة خالية من كل الاضطرابات النفسية.

المبحث الثاني: القيم الإنسانية^(٣٦):

للقيم الإنسانية أثر كبير في حياة الانسان، وفي معالجة القضايا التي تدور حول الانسان الذي يُعد محور المثل والقيم من حيث هو انسان بدون النظر إلى نوعه أو نسله أو لغته، وهذه الإنسانية في سموها وسموها في كل ما تنادي به من كرامة الانسان وفرضية التكريم له، إنما هو رسالة الأديان، من هنا أدرك الامام علي -عليه السلام- الدور الذي تؤديه القيم الإنسانية والآثار التي تترتب عليها، فلم ينس دوره الانساني الذي يقوم به اذ لا يعبر عن نفسه فحسب، وإنما يعبر عن اخوانه في الإنسانية، لأن الانسان الكامل الذي تسعى الشريعة الاسلامية إلى تكوينه لا يكتمل إلا بالقيم الإنسانية التي تجعل من الانسان انساناً راقياً، وتضفي عليه قيمته وشخصيته^(٣٧)، وبهذه النظرة يكون الامام -عليه السلام- قد وسع نطاق الحدود الإنسانية البعيدة التي تقف عند حد معين، وذلك تأكيداً لكرامة الجنس البشري بعناصره ومقوماته المادية والأخلاقية والإنسانية كافة، طالما ان للانسان على الانسان حقوقاً كبيرة فوق هذه في طبيعتها عقد حبل المودة والألفة بين الناس أفراداً وجماعات، قبائل وشعوباً.

طالما ان الذي يجمعهم أصل واحد وطريق مشترك، وغايات لا تتباعد وهذا ما يحاول البحث بيانه بوساطة القيم الإنسانية الآتية: (الرحمة، والمحبة، واللطف، والأخاء، والرفق، واللين، والمسأوة، والحرية، والصدقة).

٣٥- ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٦٦.

٣٦- تعني مجموعة الفضائل، وهي خلاصة الخير والعدل والرحمة والاخوة، والمحبة والمسأوة والرفق والاحساس بألم الانسان، ومثل ذلك من حميد الصفات. ينظر: قيم جديدة، د. سليمان ابراهيم العسكري، مجلة العربي، العدد ١٥٧/ ٢٠٠١م، الكويت: ٩.

٣٧- ينظر: علي سيرته الذاتية وفكره الحضاري، عبد الحميد المهاجر: ١٧١/١.

الرحمة: تمثل قيمة انسانية في نفوس الافراد وهي سمة من سمات الانسانية وهي صفة تحيي المجتمع وتنقله من مراتب الحيوانية إلى مراتب الآدمية والانسانية، وقد حث الله عز وجل على الرحمة حتى وصف نفسه بذي الرحمة قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْعَظِيمُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾^(٣٨)، وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾^(٣٩)، من هنا وجب على العبد ان يحيي في قلبه الرحمة للعباد كلهم، لأنها من صفات الخالق والعبد، واجب عليه ان يتأسي بصفات ربه عز وجل.

لهذا كان الامام علي -عليه السلام- ارحم الحاكم بالرعية، من ذلك أنه أوصى مالك الأشتر النخعي في عهده حين ولاه مصر قائلاً: ((واشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبباً ضارياً تقتنم أكلهم، فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق...))^(٤٠). وكل ذلك إشعار منه لنا بأهمية محبة الحاكم لرعيته بأنها ضرورة تماماً كالعدل، فضلاً عن ما في هذه القيم من حنان عميق ومن عطف كثير على الرعية، مما ينزع عن الوالي العبوس والتقطيب، وإذا الوالي أخ رحوم عطوف لطيف لا سبب ضار ولا وجه متجهم. وإذا الناس لديه آمنون مطمئنون، فإذا امتلأ قلب الوالي بالرحمة كان انصافاً للمظلوم ورحمة للناس.

ويرسخ الامام -عليه السلام- قيمة (الإخاء)، بين الوالي والرعية: ((إما أخ لك في الدين))، وهذا مدعاة لإشاعة أجواء الأخاء في المجتمع، وفيه إحياء لقيمة الانسان: (أليست غايته أن يشدك إلى الآخرين برابطة الأخاء؟ فإذا أوجدت رابطة الإخاء بصفة الانسان وحدها، فما في ذلك إثم)^(٤١)، ثم يترقى الامام -عليه السلام- في تربيته للوالي إلى مرتبة أسمى وهي الانسانية: (وصفة الإنسان كافية في نظر الإمام علي، لأن تجعله محترماً محبوباً، مرفوقاً به، معطوفاً عليه، غير مهذور حقه)^(٤٢)، وبذلك يثبت لنا الامام -عليه السلام- أساساً لطبيعة العلاقة بين جميع الناس في عموم الأرض سابقاً لاعلان العالمي لحقوق الانسان بأكثر من ألف سنة ويزيد^(٤٣)، و نلمح أن المقطع مصدراً بصيغة الأمر: (أشعر)، المشعرة بأن الداعية ينبغي أن يصدع بتلك القيم، وأن يتخذ منها منهاجاً وغاية، لأن في القيم حياة للمجتمع وإعماراً للأرض بالخير والصلاح. هذا وقد طبعت افعال الأمر في الشاهد (أشعر، ألطف) التركيب بطابع القوة والشدة بطلب من الامام -عليه السلام- إلى الحاكم.

وهكذا يظهر لنا أن الامام علي -عليه السلام- يربي الولاة على حب الرعية وهي الصور التي يريدتها الاسلام للعلاقة بين الوالي والرعية بكل جوانبها، اذ قام بتوصيد روح الرحمة والمحبة واللطف في نفس الوالي بوساطة منهجه القيمي التربوي الذي يربي الوالي ويعد روحياً وأنسانياً وأخلاقياً ليبنى مجتمعاً صالحاً يسوده الخير والحب والوئام.

٣٨- سورة الكهف، الآية: ٥٨.

٣٩- سورة الاعراف، الآية: ١٢.

٤٠- نهج البلاغة: ٥٧٢/٣.

٤١- الامام علي -عليه السلام- صوت العدالة الانسانية: ١٩٢.

٤٢- م. ن: ١٩٢.

٤٣- ينظر: الإمام علي صوت العدالة الانسانية: ٣٨٩.

ولا يكتفي الامام -عليه السلام- بهذا القدر من التربية، بل حث الوالي على الرفق واللين والمساواة بين الرعية في اللحظة والنظرة، والإشارة والتحية معلاً ذلك حتى لا يطمع العظماء في حيف الوالي، ولا ييأس الضعفاء من عدله، ذلك كله نجده في قوله -عليه السلام- لعامله: ((وارفق ما كان الرفق أرفق، واعتزم بالشدة حين لا تُغني عنك إلا الشدة، واخفض للرعية جناحك، وألن لهم جانبك، وآس بينهم في اللحظة والنظرة، والإشارة والتحية، حتى لا يطمع العظماء في حيفك، ولا ييأس الضعفاء من عدلك، والسلام))^(٤٤). لقد رتب الامام القيم الانسانية في هذا المقطع في تسلسل هرمي بديع سلسلة القيم التي يُبنى عليها الرفق بالرعية مبدأ من الأسس الراققة لهيكل الرعية منتهياً بمكملاتها ففصل حدود كل قيمة معلاً إياها، كان الامام -عليه السلام- واعياً تماماً لمكانة هذه القيم فبين ذلك أمراً عاملاً أن ينهج هذا الطريق في تنظيم العلاقة بينه وبين الرعية لينعم كل منهما بحقوقه كاملة وينعم معه المجتمع بحياة طيبة وهذا ما كان يهدف إليه الامام -عليه السلام-.

وعلى أساس ما تقدم نلاحظ الامام -عليه السلام- في هذا المقطع، يعتمد صيغة الأمر (أرفق - اعتزم - اخفض - ابسط - ألن - آس)، التي تقرر دلالة مدى الاستجابة التي تتوافق مع القيم الانسانية التي تتمثل بـ (الرفق - واللين - والمساواة) في حقل دلالي واحد.

إن جماليات اللغة يمكن ان تتلمسها عبر استعمال الامام -عليه السلام- لها استعمالاً فنياً تراعى فيه متطلبات العملية الادبية فتأخذ اللغة شكلاً يستقل عن سواه من خلال مجموعة الالفاظ والمعاني والاسلوب الذي تنضوي على ايحاءات مكثفة وتوظيف ايقاعي ينظم حركة الالفاظ داخل الوصية.

ثم ينقلنا الامام -عليه السلام- إلى صورة تقابلية لطيفة، إذ جسّد هذا التقابل بين (الرفق، الشدة)، و(العظماء، الضعفاء)، و(الحيف، العدل)، تشكلاً انسانياً في ايجاد العلاقة الانسانية بين الوالي والرعية، لأن الرعية لا تصلح إلا بصلاح الولاة، فهي بحاجة تامة إلى الراعي ولم يفت صر منهج الامام -عليه السلام- الانساني على الانسان فحسب بل نجد أن: ((دائرة العدل والحق والرحمة تسع في مناطق الامام حتى تشمل أبعد من حياة البشر فتسع الكائنات جميعها من حيوانات ونباتات وجمادات))^(٤٥)، اذ يقول: ((اتقوا الله في عباده وبلاده، فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم))^(٤٦)، لذلك نجده من أوائل الذين نادوا بمراعاة حقوق الحيوان والعناية به، فهو سبق بهذه الدعوة جميع المؤسسات العلمية في بريطانيا وفرنسا التي راحت تدعو إلى الرأفة بالحيوان والعطف عليه.

أما المساواة في القانون فنجد في قوله -عليه السلام-: ((واعلموا ان الناس عندنا أسوة))^(٤٧)، منهجاً صريحاً بمساواة الناس جميعاً امام القانون لا يحتمل تأويلاً ولا يعتريه إهمام. والمساواة في القانون هي رأس المساواة في الحقوق.

٤٤- نهج البلاغة: ٣/ ٥٦٤.

٤٥- المنهج السياسي عند الامام علي -عليه السلام-، عبد الهادي عاصي: ٧.

٤٦- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده: ٣/ ٥٦٦.

٤٧- نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد: ١/ ١٢٩.

و إن الامام يشير إلى المساواة امام القضاء، بوصفها بعضاً من كل، غير انه يخص فيتوجه إلى القاضي قائلاً: ((وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد))^(٤٨)، مبيناً الآثار الايجابية الكثيرة التي يتجنبها الالتزام بهذه القيمة الانسانية وما ينطوي تحتها من انصاف بين القريب والبعيد.

وأما الصداقة فمنظور إليها في كمالها هي: ((الاتحاد بين شخصين مرتبطين بحب واحترام متساويين متبادلين))^(٤٩)، ومن هذا الحد يتجلى بوضوح أن الصداقة قيمة انسانية عظيمة تقوم عليها العلاقات الاجتماعية وهي المثل الاعلى للتعاطف والتواصل فيما يتعلق بخير كل واحد من أولئك الذين يرتبطون بإرادة خيرة اخلاقياً، أما سببها فالمطابقة والانسجام فهي لا تعقد بين اثنين بالمصادفة، وانما هي جسر وطيد تتطلب إقامته عملاً جاداً موجهاً على كثر من اللين والتسامح والتعاطف والمحبة والصبر والوفاء المقيم المتمعن، وقد اعتنى الامام علي -عليه السلام- بترسيخ هذه القيم مبيناً حق الصديق على صديقه عن طريق منهجه التعليمي التربوي بقوله: ((إحمل نفسك من أخيك عند صرمة على الصلة، وعند صدوده على اللطف والمقاربة، وعند جموده على البذل، وعند تباعده على الدنوّ، وعند شدته على اللين، وعند جرمه على العذر، حتى كأنك له عيد، وكأنه ذو نعمة عليك...))^(٥٠).

يبين الامام -عليه السلام- أول حق من حقوق الصديق أن تلزم نفسك بصلة صديقك اذا قطعك، وقد يظن بك الصديق التقصير في حق من حقوقه، فيقابلك بالصد والهجران، وينبغي ان تتجاهل ذلك، ولا تعامله بالمثل وإلا أنهيت الصداقة بنفسك، ووضعت لها حداً بيدك حتى ولو كان هو البادئ، ما دام التلاقي ممكناً، فإنك إن تجاهلت، وبقيت على عادتك معه من اللطف والمدارة يذهب ما في النفس مع الأيام، وتعود المياه إلى مجراها.

يوصل الامام -عليه السلام- بعد ذلك بيان حقوق الصديق فيقول: (وعند جموده على البذل)، اشارة من الامام -عليه السلام- بأن تواسيه بنفسك حتى ولو كان البخل من طبعه، (وعند تباعده على الدنوّ)، يضعنا الامام -عليه السلام- امام حقيقة قد يهرب منها بعض الاصدقاء المقصرين في حقوق اصدقائهم بالتقرب، وإن تباعد الصديق حتى يُفضي الصديق إلى صديقه بأسراره وهمومه، إذ يشعر من أعماقه أنه ينفذ عن كاهله أثقاله وأغلاله. وأقوى شيء في الدلالة عن الصداقة أن تكون قريباً من الصديق، (وعند شدته على اللين، وعند جرمه على العذر)، يدعو الامام -عليه السلام- إلى التغاضي عن هفوات الصديق واحتمالها منه، فإن طلبت صديقاً لا تعاتبه، عشت بلا صديق مدى الحياة.

وجاء الحق السادس حاملاً ل صورة كنائية، تلك المتخفية في قوله -عليه السلام-: ((حتى كأنك له عبد))، كناية عن حسن المعاملة والتسامح مع الاخوان، لأن الصداقة اخوة لا عبودية، ووفاء لا إلقاء، ونرى ان تقديم المعنى الكنائي بهذه الطريقة جرى بقصدية باعثها إثارة المتلقي معرفياً بحمله على التأمل، ومن ثم اندماجه لا شعورياً مع النص اندماجاً فكرياً وقيماً، وتعد الكناية من الاساليب البيانية والمهيمنات الاسلوبية التي يلجأ إليها الاديب لرسم صوره وتأدية معانيه، اذ يقوم بعملية تركيب لغوي ينتقل خلالها

المعنى إلى احد لوازمه، وما يترتب عليه فيذكره عن طريق العدول عن افادة المعنى المراد مباشرة إلى افادته عن طريق لازم من لوازمه، لذا فالكناية من منظور البلاغيين هي ((ان يريد المتكلم اثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيؤمى به اليه ويجعله دليلاً عليه))^(٥١).

إن القيم الانسانية في نهج البلاغة بُنيت على أساس النظرية الاسلامية بوصفها المعين الرئيس الذي يمنح الامام -عليه السلام- على افكاره منها، اذ جاءت منسجمة معها في المبادئ والفروع، بل إن الامام -عليه السلام- استطاع ان يعطي تلك القيم زخماً انسانياً ودافعاً لتطبيقها كونه خليفة.

المبحث الثالث: القيم الأخلاقية^(٥٢)

لا شك أن القيم الاخلاقية هي الدعامة الأولى لحفظ كيان الأمم، ولهذا نجد الأديان قد اعتنت بها منذ عرف الانسان التدين، كما أكد ذلك الرسول الأعظم -عليه السلام- في قولته الشهيرة الخالدة: ((إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق))^(٥٣)، وتعبير آخر فإن الاخلاق مفتاح تركيبة النفس كما يشير إلى ذلك الامام علي -عليه السلام- بقوله: ((أيها الناس تولوا من أنفسكم تأديبها، واعدلوا بها عن ضراوة عادتها))^(٥٤)، إنَّ هذا يمثل منهجاً اخلاقياً لتوجيه المجتمع نحو سلوك اخلاقي متزن يمارسه الافراد بغية الوصول إلى حالة من التكامل الاخلاقي، و نرى الباحثين والفلاسفة قد اتفقت كلمتهم على وجوبها للفرد لصالح نفسه، وللمجتمع في جملته، فكما أن الفرد يضره ويفسد من اعماله أن تكون أفعالاً سيئة، كذلك تفسد المجتمعات بشيوع الأفعال السيئة في أحدها، ولم تتعد حياة الامام علي بن ابي طالب -عليه السلام- عن الإسلام كونه منهجاً اخلاقياً متكاملماً للحياة، لذلك لا نجد فاصلاً بين الدين والاخلاق في نهج البلاغة، بل هما جزء واحد، وهي جزء من فلسفة الامام علي -عليه السلام- الأخلاقية القائمة على الدين، لأن الواجب الديني والأخلاقي يحتم على الامام علي -عليه السلام- بوصفه رمزاً أساسياً من رموز هذه القيم وفاعلاً في دفع تطبيقها بما يتسم مع الدعوة إليها لبناء قائم على الأسس الاخلاقية في العلاقة بين افراد المجتمع.

ونظراً لأهمية هذه القيم والسعي إلى ترجمتها عملياً فإن الامام علي -عليه السلام- كان يبني بعض آرائه في الاخلاق على رأيه بأن (الدنيا دار ممر والآخرة دار مقر) وعليه فكل ما أدى إلى الفوز في الآخرة خليق بالإنسان عمله، وانطلاقاً من هذه الفكرة التي تشكل أساساً للخلفيات الروحية للأخلاق من جهة، والتي تعد من جهة اخرى قاعدة لسائر الفضائل، لذلك لم تكن القيم الاخلاقية في نهج البلاغة ابتداءً من دون نسق سابق عليه يرتوي من معينه، بل جاء نتيجة للتفاعل بين الشريعة الاسلامية وبين مبادئ الامام -عليه السلام- وقيمه لفتح منابع مع التأكيد الجوهري لذاته. وليس بعيداً عن هذا الافق المضئ رسائله التي تلقاها مالك الأشتر حين ولاه على مصر، وتعرف بعهد الأشتر قائلاً: (وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة، أو البسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء، وأرع ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت فإنه

٥١- دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ٦٦.

٥٢- هي مصدر الأفعال الجميلة غير المتكلفة، تهذيب الاخلاق، ابن مسكويه: ١٣٢.

٥٣- بحار الانوار: ٣٤/٢.

٥٤- م. ن: ٧٣/٦٧.

ليس من فرائض الله شيء... فلا تغدرن بذمتك، ولا تحيسن بعهدك، ولا تحتلين عدوك، فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقي...^(٥٥).

وهنا يلفت الامام -عليه السلام- أنظارنا إلى قيمة خلقية علينا تمثلت بـ (الوفاء)، فإذا سبق ان قطعت على نفسك عهداً فقد صار وثاقه في عنقك، ولا مناص لك منه إلا بالوفاء، ومن ثم يضع أيدينا على قيمة خلقية أخرى تمثلت بـ (الامانة) وهي: (التزام الواجبات الاجتماعية وأداؤها خير أداء)^(٥٦)، وهي لا تنحصر في أضيق معانيها وحدودها، أي: في إطار قيام الانسان بحفظ ما يودع لديه من مال، بل تكون شاملة للقيام بالتكاليف والالتزامات الاجتماعية والأخلاقية جميعها، مثلما أشار إلى ذلك الامام -عليه السلام-، فقال: (وارع ذمتك بالأمانة، وأجعل نفسك جنة دون ما أعطيت)، يرى الامام -عليه السلام- أن الأمانة خلق كريم يدل على يقظة ضمير الانسان وإحساسه بالمسؤولية المنوط به، فيتولاها ويوجه الولاة إلى أدائها حتى مع العدو، بل يشدد على من تحدته نفسه من الولاة بأن يُعطي عهداً مبهماً يحتمل التأويل والتفسير على غير المراد لمخادعة من أُعطي له العهد، وللتملص من الميثاق رغبة في نقضه وعدم التزامه، بل وصل الامام إلى ابعاد من ذلك فأكد عظيم الوفاء بالعهد (وأجعل نفسك جنة دون ما أعطيت)، الوقاية أي: حافظ على ما أعطيت من العهد بروحك، وهذا لا شك أنه تعظيم لاهمية الوفاء بالعهد وأدائه ورفع شأنه. ومن هنا نرى ان توجيه الولاة على انتهاج هذه القيم حظي بعناية خاصة من الامام، وانه -عليه السلام- في محاولته هذه لم يقصر عنايته على اساليب البيان من استعارة في قوله: ((وان عقدة... عقدة، والبسته منك))، ولم تكن عنايته باللفظ وحده، وانما لجأ إلى اساليب عدة- من شرط وامر ونهي وسجع وقصر- وظفها في هذا المقطع لتظهر احاسيسه ومشاعره بصورة فنية مختلفة كونت بمجموعها شحنات إيحائية وعلامات متميزة في السياقات التركيبية والدلالية والايقاعية للصوية لتؤثر في نفس المتلقي.

ونرى فيه مصداقاً لقوله -عليه السلام-: (واعصموا بالذمم)^(٥٧) و: (ذمتي بما أقول رهينة)^(٥٨)، وحين نحلل هذه القيم الأخلاقية نجده يضع مفهوماً للضمان والالتزام، و يمثل الوالي من وجهة نظر الامام -عليه السلام- حارساً، والولاية أمانة، وان أي تجاوز للحقوق من الوالي يُعد خيانة.

ومن القيم الاخلاقية التي يستحسنها الامام -عليه السلام- (العفو)، والعفو من معاني التقوى، قال تعالى: ﴿وإن تعفوا أقرب للتقوى﴾^(٥٩). والعفو من الصفات الحميدة التي يتحلى بها الانسان لأنها لا تصدر إلا من نفس كبيرة راجحة العقل صبرت على اعتداء الغير، ولما كان الله تعالى عفواً بعباده، فمن الحسن أن يكون العبد متصفاً بهذه الصفة، لذا نرى الامام -عليه السلام- عفواً، ويدعو إلى العفو: ((وإن أعف فالعفو لي قربة، وهو لكم حسنة، فاعفوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم...))^(٦٠)، هذه الممارسة العملية من الامام -عليه السلام- بالعفو عن قاتله ما هي إلا رغبته في الجزاء الأكبر، والثواب الأوفر، لأن العفو اقرب للتقوى،

٥٥- نهج البلاغة: ٥٩٢/٣ - ٥٩٣.

٥٦- اخلاقنا الاجتماعية، مصطفى السباعي: ٧٦.

٥٧- نهج البلاغة: ٦٩٩/٤.

٥٨- م. ن: ٦٨/١.

٥٩- سورة التوبة، الآية: ٢٣٧.

٦٠- نهج البلاغة: ٢٩٨/٢.

والتقوى مثل الامام الأعلى، وكان عفوه هذا حثاً منه للمجتمع، لأنه على يقين من أن هذه القيمة الخلقية (العفو) فيها احياء لقيم الاسلام.

ومن نماذجها الآخر ايضاً (الصبر)، فالصبر من الفضائل الخلقية، وهو في اللغة معناه حبس النفس عند الجزع، وذلك على ما يقتضيه العقل والشرع، وتختلف اسماؤه باختلاف مواقعه، فحبس النفس عن المصيبة صبر، وعند القتال شجاعة. وعند المحافظة على الحقوق أمانة، وعند الكف عن المحارم ورع^(٦١). أما في الاصطلاح فهو: (ملكة الثبات والاحتمال التي تمون على صاحبها ما يلاقيه في سبيل تأييد الحق، وإزالة الباطل، أو احتمال أذى الناس وما يلاقيه من مصائب كالفقر والمرض وفقد عزيز)^(٦٢).

وقد استخلص الامام -عليه السلام- من (الصبر) قيمةً خلقيةً علياً تتصورات عظيمة عن الحياة، واعطى لوائح خالدة في العبرة والموعظة والتربية ورسم صورة مثالية للسلوك الانساني للفرد والجماعة بمستويات مختلفة من النظر والرؤية على أن حكمة الصبر الأساسية هي: ما دام الصبر ثباتاً، اذن على المرء أن يكون حقيقياً مع نفسه ومع سواه.

ويمكن ان نثر على مثل هذه المعاني في وصيته للامام الحسن -عليه السلام-: ((وعوّد نفسك الصبر على المكروه، ونعم الخلق الصبر في الحق، وألجئ نفسك في الامور كلها إلى إلهم...))^(٦٣)، يتضح من النص أن الصبر دال على الصبر فعلى الانسان أن يكون صابراً مصابراً عند الشدائد والملمات، فلا تذهله الشدائد وتفقد صوابه وتوازنه، فينهار ويتهاوى وينزل في المتاهات.

ثم ينتقل بنا السياق إلى توجيه اخلاقي وروحي آخر، فيقول: ((وألجئ نفسك في الأمور كلها إلى إلهك)، ثق بربك، وتوكل عليه بقلب خاضع، وعمل صالح، فإن فعلت كان نصر الله معك أينما كنت ثم بعد ذلك يحاول الامام -عليه السلام- جهده أن يعلمنا حكمة الصبر المتمثلة بالثبات.

ولم يكنف الامام بهذا القدر، بل يمارس بنفسه تطبيق تلك القيمة الخلقية قائلاً: ((فرايت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الخلق شجاً))^(٦٤)، اذ كشف الامام -عليه السلام- عبر فقرته أن الصبر على هذه الحالة التي وصفها أولى بالعقل من الصولة بلا نصير، لأن: (الصبر من شؤون العقل لا من شؤون الدين، لأنه نتيجة لعملية الموازنة بين ضررين لا مفر من احدهما، يجريها الانسان بنفسه، وليس من شك أن العاقل يختار ما هو أخف وطأة وأقل ضرراً، والدين بدوره يقر العقل على حكمه واختياره)^(٦٥). لهذا كله نقول لولا الصبر قيمةً اخلاقيةً علياً لانهارت نفس الانسان من البلايا التي تنزل عليه، ولأصبح عاجزاً عن السير في ركب الحياة.

ومثلما رأى الامام -عليه السلام- التمسك بالصبر فضيلة، فقد رأى ايضاً أن يحض على قيمتي (الوفاء والصدق) وفي ذلك قال: ((أيها الناس، إن الوفاء توأم الصدق ولا أعلم جنة أوقى منه وما يغدر من علم

٦١ - لسان العرب، مادة (صبر): ٤/٤٣٨.

٦٢ - روح الدين الاسلامي، عفيف عبد الفتاح طيارة: ١٨٩.

٦٣ - نهج البلاغة: ٣/٥٢٨.

٦٤ - نهج البلاغة: ١/٥١ - ٥٢.

٦٥ - في ظلال نهج البلاغة: ٦١.

كيف المرجع^(٦٦)، استهل الامام -عليه السلام- كلامه بخطاب الجميع (أيها الناس) لما فيه من سمة خطابية عالية لذا جاء تعدد الاتيان بعبارة (الناس) مقرونة بـ (أيها)، دعوة إلى حث (النادي) بالتمسك بقيمتي الوفاء والصدق والأمر متروك للمتلقي ورؤاه.

ثم ينتقل الامام -عليه السلام- من نطاق الخطاب إلى نطاق التشبيه، فيقول: (إن الوفاء توأم الصدق)، والتوأم بمعنى الذي يولد مع الآخر في حمل واحد، ويستعمل بشأن كل شيئين يرتبطان معاً برابطة وثيقة^(٦٧)، ومن هنا فقد شبه الامام -عليه السلام- قيمتي الوفاء والصدق بالتوأم، وهو تشبيه عقلي قد استوى فيه الطرفان المشبه والمشبه به، والمقصد صود بالعقلي، ما لا يدرك واحد منهما بالحس بل بالعقل، ولعل النعمان في مفهوم هاتين القيمتين ومصدرهما الفكري والاخلاقي يفيد أن الأمر كذلك، فالوفاء يضيء الالتزام بالعهد، وهو في الواقع نوع من الصدق، وأن الصدق نوع من الوفاء. والصدق ذو معنى واسع وشامل لا يقف صر على الحديث، ولذلك عَدَّ الامام -عليه السلام- مبدأ الصدق من القيم الخلقية المهمة التي يجب الالتزام بها في دائرة العلاقات الاجتماعية، فالصدق: (هو تطابق الكلام مع الواقع سواء كان الواقع الخارجي أو الباطني)^(٦٨)، فهو يرمز إلى الطهارة في الذات والبعد عن الرذيلة، وله تأثير في جميع اعمال الانسان وسلوكياته لذا يشمل العمل ايضاً، ومن هنا صرح القرآن الكريم قائلاً: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾^(٦٩)، فمن الواضح أن المراد بصدق العهد في الآية هو الصدق في العمل، ولذلك أردفت بالقول: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾. ومن هنا تتضح عمق الرابطة بين قيمة الوفاء والصدق، ثم تطرق الامام إلى الآثار الايجابية لقيمة الوفاء بالعهد فقال: ((ولا أعلم جُنة أوقى منه))، فهذه في الواقع من أهم آثار قيمة الوفاء بالعهد وبركاته الدنيوية في أنه جُنة اي وقاية وثيقة، لأن أساس الحياة الاجتماعية يتمثل بالتعاون والتكافل والثقة المتبادلة والالتزام بالعهود والمواثيق الفردية والاجتماعية.

وعوداً على ما سبق ذكره من أن الجُنة بمعنى الدرع الذي بقي أخطار العدو في ميدان القتال، فتشبيه قيمة الوفاء الخلقية بهذا الدرع يفيد كونه يشكل الوسيلة الدفاعية تجاه الأخطار الاجتماعية التي تفرزها حالة الفوضى وعرقلة القوانين والمقررات، فضلاً عن إظهار المعاني العقلية بصورة حسية ما يدفع المخاطب إلى الانتباه على التجميل، ومنه ايضاً وجه من أوجه كمال البيان^(٧٠).

ثم أشار الامام -عليه السلام- إلى أبعاده المعنوية الاخرية، فقال: ((ولا يغدر من علم كيف المرجع))، ومن علم أن مرجعه إلى الله وهو سريع الحساب لا يمكن أن يعدل عن قيمة الوفاء الخلقية الموجبة إلى قيمة الغدر السالبة لها.

ولا يغيب عن بالنا (العدل) قيمةً خلقيةً عليا وأصلاً ثابتاً، يرمز إلى وضع الشيء بموضعه، فهو يعصم الحاكم من الطغيان ويعصم الناس من العبث والظلم والفساد، فربنا جلّ شأنه يشير إلى العدل -كأصل

٦٦- فتح البلاغة: ١١٥/١.

٦٧- لسان العرب، وثام: ٣١٠/٩.

٦٨- الأخلاق في القرآن، ناصر مكارم الشيرازي: ١٨٦/٣.

٦٩- سورة الأحزاب: الآية / ٢٣.

٧٠- ينظر: دينامية النص - تنظير وانجاز، د. محمد مفتاح: ١٥١.

أول- ويأمر به الانسان ليعرف أنه ليس الكائن الوحيد على وجه البسيطة، وليعرف أن للآخرين حقوقاً بذمته يتوجب عليه اداؤها، و له هو نفسه حقوق يتطلع إلى نيلها عن طريق اداء الآخرين لها إذ قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾^(٧١)، فالعدل من التقوى م صدقاً لقوله تعالى: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾^(٧٢)، ولهذا تردد العدل في نهج البلاغة من مثل رسالته -عجل الله فرجه- إلى عامله الأسود بن قطيبة مجلوان: ((أما بعد فإن الوالي اذا اختلف هواه منعه ذلك كثيراً من العدل، فليكن أمر الناس عندك في الحق سواء، فإنه ليس في الجور عوض من العدل...))^(٧٣)، هنا حدد الامام -عجل الله فرجه- مهمة الوالي بإقامة العدل والمساواة بين الرعية فإذا ما تقلبت اخلاق الوالي من حال إلى حال تبعاً لأهوائه وأطماعه، ضاعت الحقوق، وسادت الفوضى والبغي والفساد، واستحالت الحياة. ولا يقف الامام -عجل الله فرجه- عند هذا الحد، بل يوجه عامله: ((فليكن أمر الناس عندك في الحق سواء))، ساو بين الجميع في الحقوق والواجبات بلا تفضيل واختيار بين لون وجنس، وغني وفقير إلا بما يقدم المرء من عمل نافع للفرد أو المجتمع، ذلك كله إشعار منه لنا بأهمية اقامة العدل بين الناس لأنه سبيل لإحياء حقوق الفرد وضمان راحته وعزته ومن ثم تكون المساواة سبيلاً للامان والترقي في مراتب الكمال.

و ألم نهج البلاغة بقيمة (الحق) قيمةً خلقيةً عليا موجبة، وقد مضى الامام -عجل الله فرجه- يتحدث عنها مبيناً الحقوق والواجبات المتبادلة بين الوالي والرعية، اذ يقول: ((... أيها الناس إن لي عليكم حقاً، ولكم عليّ حق، فأما حقكم عليّ فاله صيحة لكم، وتوفير فيكم عليكم وتعليمكم كيلا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعلموا، وأما حقّي عليكم، فالوفاء بالبيعة، والنصيحة في المشهد والمغيب، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين آمركم...))^(٧٤). نجد هنا ان الامام -عجل الله فرجه- قد حدد القيم الأخلاقية المتمثلة بحقوق الرعية: (النصح للرعية، وتوفير الفيء، وتعليم الرعية وتأديبها)، ذلك كله من حقوق الرعية على الخليفة، مما يؤدي إلى تربية الذات الانسانية لأفراد المجتمع وبنائها بناءً يقوم على المثل والقيم العليا وينأى بها عن الانحراف، إذ إن ذلك من شأنه أن يخلق مجتمعاً نموذجياً في أخلاقه وقيمه.

وبعد أن حدد الامام -عجل الله فرجه- القيم الاخلاقية المتمثلة بحقوق الرعية أشار إلى القيم الاخلاقية المتمثلة بحقوق الخليفة: (الوفاء بالبيعة له، والتضحية في المشهد والمغيب، واجابة دعوة الخليفة، والطاعة)، وقد جاء بها بعد القيم الاخلاقية المتمثلة بحقوق الرعية، وعلة ذلك، لأن الخليفة جزء لا يتجزأ من المجتمع، ولأن الرعية هي سابقة على وجود الراعي.

لقد أجمال الامام -عجل الله فرجه- في هذه الفقرة مبادئ الحق كافة، إذ ربط بين حق الرعية على الراعي وحقوقه عليها، مما ينم عن وجود نظرة ثابتة لدى الامام -عجل الله فرجه-، إذ كان يسعى إلى إقامة مجتمع تسوده الحقوق بين الرعية والراعي، لأن أي خلل في تلك الحقوق ينقلب إلى ظلم وجور وضياح.

٧١- سورة النحل: الآية / ٩٠

٧٢- سورة المائدة: الآية / ٨٠.

٧٣- نهج البلاغة: ٦٠١/٣.

٧٤- نهج البلاغة: ٦٠٥/٣.

المبحث الرابع: قيم روحية وإنسانية وأخلاقية تجري مجرى الحكم (٧٥)

حكمُ الامام علي -عليه السلام- من جوامع الكلام، وهي إحدى الفضائل الإنسانية، لأن هدفها الارتقاء بالنفس البشرية عن الوقوع في منزلقات المسأوى، والخطايا، والعيوب، وتهديب النفس، وإصلاح المجتمع، وحين التأمل والنظر نجد أنها تختص بمميزات أظهرها أنها تتحقق الحياة وتنعم بدفء الحرية، فهي لم تنقطع يوماً عن شخصية صاحبها، تتمثل تجربة وقعت له، أو حادثة اتصلت به، وإلى ذلك مرد حياتها وبقائها. وهي إلى جانب ذلك، فلسفة روحية وإنسانية وأخلاقية تستند إلى الفضيلة بوصفها قيمة عليا موجبة تفرسها في نفوس الناس، وتكافح الرذيلة بوصفها قيمة سالبة وتدعو إلى استئصالها من الوجود في مجالات الحياة.

وحكمه -عليه السلام- تهدف إلى تحريك وجدان الإنسان لملازمة عالم الفضيلة والكمال وتحري السلوك الإنساني الأفضل في سيرته الحياتية قولاً، وممارسة، وتفكيراً. لذلك استوعبتها صدور الناس، وجرت على ألسنتهم وتناقلتها الأجيال جيلاً بعد جيل، ومن هنا، فهي معالجة جذرية للانحرافات الاجتماعية مبنية على نظر فلسفي عميق، وعلى نفاذ إلى مغزى الحياة الاجتماعية وفهم لحقيقتها وتطورها، لأنها صدرت من: (حكيم في طليعة حكماء العصور)^(٧٦)، يُعد موجّهاً فعلاً نحو السلوك الحكيم، ولأنها لم تكن نابعة من التجربة الشخصية فحسب، بل تستند في مطلقها إلى أساس معرفي نابع من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وترجع قيمتها المعرفية إلى اشتغالها على كثير من مفردات العلم والمعرفة والإدراك كالذكر والعرفان، والعقل^(٧٧).

وبناءً على هذه الحقيقة العلمية، نجد أن الخطاب الحكمي في نهج البلاغة بُني على أساس النظرية الإسلامية بوصفها المعين الرئيس الذي يمنح الامام -عليه السلام- افكاره منها، إذ جاء منسجماً معها في المبادئ، بل إن الامام -عليه السلام- استطاع أن يُعطي للمنهج الحكمي زخماً دافعاً لتطبيق تلك الحكم الساعية إلى صلاح الفرد والمجتمع، وهي بذلك رسمت منهجاً حياتياً متكاملًا ببعديه الديني والدنيوي، حتى أصبح أكثرها مثلاً سائداً على مر الأجيال والعصور، اتخذها قواعد للاخلاق الفاضلة، ومعيّاراً للسلوك القويم، لأنها تحوي معاني ودلالات بليغة، ذات أهداف تربوية واجتماعية وإصلاحية، وعلى هذا الأساس سنقف في هذا المبحث محددين القيم التي تجري مجرى الحكم في نهجه، وهذا ما لمسناه في قوله -عليه السلام-، وهو يدعو إلى قيم روحية عليا: (ال صلاة قربان كل تقي والحج جهاد كل ضعيف، ولكل شيء زكاة، وزكاة البدن الصيام)^(٧٨)، وإذا نظرنا إلى حكم الامام -عليه السلام- وجدناها تدعو إلى مجموعة من القيم الروحية العليا وهي تجري مجرى الحكم: (الصلاة، والحج، والصيام) ذات الصبغة الدينية التي تتضمن توجيهاً صريحاً في الحث على الالتزام بهذه القيم بوصفها من الفرائض، فالحكمة النفسية التي تظهر لنا من قيمة الصلاة

٧٥- هي: (عصارة خبرة في الحياة وفهم لأسرارها يُدبجها ذهن ذكي فطن)، الامثال العربية القديمة والعصر الجاهلي، محمد توفيق:

٤٨.

أو هي: (الكلام القائم على العلم والموجه إلى الصواب والسداد في القول والفعل)، الحكم والامثال، حنا الفاخوري: ٨.

٧٦- الامام علي صوت العدالة الإنسانية: ٧٩٩.

٧٧- ينظر: الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي: ٢٥٩/٢.

٧٨- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده: ٦٥٨/٤.

تتمثل بالمصلي المتقي الذي يقبل على الله بقلبه وكيانه، لقوة شعوره بالحاجة إلى الله ورحمته، لأن الصلاة انتزاع للنفس من ماديات الحياة وآلامها وتوجه لها إلى الله بالذكر والدعاء، والخضوع لكبريائه وعظمته، وهذا من شأنه أن يضيف على النفس السكينة والرضا، ويجعلها تشعر بفيض من السعادة فتتجدد قواها الروحية.

وأما الصوم فقيمة روحية عليا قائمة على الضبط النفسي والاخلاقي، وبذلك يتعدى في مفهومه الامتناع عن المأكول والمشرب، فهو تهذيب للنفس، وتقوم لها بالامتناع عن كل ما يكرهه الله سبحانه وتعالى.

وأما الحج فقيمة روحية تصفو فيه الأرواح، وهي تستشعر قربها من الله في بيته الحرام، فهو من الجهاد أو شبيهه به يوم كان الحجاج يقطعون الصحراء على الدواب والجمال، ويعانون آلام البرد والحر، والجوع والعطش، والخوف على النفس والمال، فضلاً عن أعماله التي تؤدي مع عناء ومشقة لبعد الشقة وعظم المسافة، وخصوصاً إذ نأت الجهات عن أماكنه المقدمة.

ولم تقتصر قيمة الروحية -عليه السلام- على ما ذكرنا، بل تعدتها إلى العبادات الأخرى التي تُعد من الروابط المثبتة بين الخالق والمخلوق، ومن ذلك قوله: (سُوسُوا إيمانكم بالصدقة، وحصنوا أموالكم بالزكاة، وادفعوا أمواج البلاء بالدعاء)^(٧٩)، بدأ الامام -عليه السلام- قيمة الروحية التي تجري مجرى الحكم (ال صدقة، والزكاة، والدعاء) بأفعال الأمر (سُوسُوا، وحصنوا، وادفعوا)، على وجه الإلزام والتشديد المتمثل بالزكاة التي تعد ركناً أساسياً من أركان الاسلام، ووسيلة من وسائل المؤمن للتقرب إلى الله سبحانه وتعالى، فضلاً عما تحدثه من تطهير النفس من الرذائل، ودفع البلاء بالدعاء بوصفه روح العبادة، ولما فيه من الدلالة على الشعور بالحاجة إلى الله تعالى والتعلق به، وبهذا تكون الطاقة الإلزامية واضحة المعالم في ضرورة الانصياع لتفعيل هذه القيم، لدلالاتها الواضحة على توجيه الأمر على نحو بارز، فجاءت قيمة الروحية -عليه السلام- لتسهم في بناء المجتمع بناءً دينياً وروحياً وفكرياً. ونبه الامام -عليه السلام- الناس على مراعاة (التقوى) في السر بوصفها قيمة روحية مثلى قائلاً: ((إتقوا معاصي الله في الخلوات، فإن الشاهد هو الحاكم))^(٨٠)، ينصح الامام -عليه السلام- هنا بالإلتزام بمبدأ التقوى حتى في لحظات الخلوة والانفراد، لأن الله سبحانه وتعالى هو الرقيب الذي لا يخفى عنه شيء فهو الشاهد الحاكم، موظفاً صيغة فعل الأمر (إتقوا) بدلالاتها غير المباشرة على إيصال المعنى. وبهذا الأسلوب يأخذ الامام -عليه السلام- دوره الاصلاحى في التربية الذاتية والنفسية للمجتمع، ولا يخفى علينا ما للعبادة بوصفها قيمة روحية عليا، والغاية الكبرى من الخلق مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٨١)، فما كان منه -عليه السلام- إلا أن يُشير موجهها إلى أساسيات العبادة ودعائهم، فوجدناها على وفق رؤية الامام -عليه السلام-، وقد قامت على الإلتزام بأداء الفرائض التي أوجبهها الله سبحانه وتعالى على عباده: (لا عبادة كأداء الفرائض)^(٨٢) فضلاً عن قيم روحية

٧٩- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده: ٤/ ٦٥٩.

٨٠- م ن: ٤/ ٧٠٠.

٨١- سورة الذاريات، الآية: ٥٦

٨٢- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده: ٤/ ٦٥١.

أخرى حددها الامام -عليه السلام- بوساطة قيمه التي تجري مجرى الحكم كالزهد^(٨٣)، والمعاد^(٨٤)، والتوبة^(٨٥)، والاسلام^(٨٦)، والجهاد^(٨٧)، والثواب^(٨٨)، والحق^(٨٩).

لقد بين الامام -عليه السلام- عبر قيمه الروحية التي تجري مجرى الحكم بكل وضوح كثيراً من الأهداف والغايات الاسلامية الداعية إلى ضرورة الالتزام بالمنهج الروحي في حياة الفرد، وعمل بوساطتها على توثيق الصلة بين الانسان وخالقه من جانب، وصلته بسواه من البشر من جانب آخر، وحثه على تطبيق تلك القيم كما جاءت في القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة.

وإذا مضينا نبحث عن القيم الانسانية التي تجري مجرى الحكم في نهج البلاغة وجدناها تدعو إلى التحرر من الرذائل والفواحش، وتأمر بالتمسك بالقيم الانسانية النبيلة، وتعمل على ترسيخ مبادئ الخير والمحبة والوفاء والحرية، وتهدف إلى تهذيب العواطف. لذا جاءت لترفع من شأن المسلم اجتماعياً، وعقلياً، وروحياً، وهو ارتفاع من شأنه أن يسمو بإنسانيته، وهذه المسألة تبدو أكثر وضوحاً من خلال ادراكنا لمبدأ (الحرية) بوصفها قيمة انسانية عليا في قوله -عليه السلام-: ((لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً))^(٩٠)، توجيهاً صريحاً إلى من يريد أن يشق بنفسه، ويستشعر روح الحرية ومعناها، فألقى في نفسه ما يوقظه على اصل من اصول وجوده، وهو: أن الله جعله حراً لا يتمرد ولا يطيع، ولا يعمل ولا يقول إلا على أساس من هذا الحق الطبيعي، وتحذيراً من كل ما من شأنه أن يضيق عليه ويسلبه حقه في ان يكون حراً، وفي هذا التوجيه الذي يوجهه اعتراف اصيل بأن الناس احرار في المولد والمنشأ لا قسر يجوز عليهم ولا إكراه^(٩١)، ولم يقف -عليه السلام- في منهجه القيمي الانساني عند حدود الحرية، بل نراه يُعرج على قيمة انسانية أخرى تجري مجرى الحكم، وتعد من أهم القيم الانسانية التي أُسس عليها المجتمع المسلم ألا وهي (الأخوة الإسلامية)، فيحدد -عليه السلام- لنا منهجاً في الاستعتاب قائلاً: ((عاتب أخاك بالاحسان إليه، واردد شره بالأنعام عليه))^(٩٢)، مشيراً إلى اهمية مراعاة الإحسان اليه بدل عتابه بالقول والفعل، ومن ثم الإنعام اليه، وبذلك تصفو القلوب، وتزول الضغينة، امام الإحسان.

وإذا كانت الاخوة هي الرابطة الاجتماعية الوثيقة التي تربط أفراد المجتمع المسلم، فإن هنالك جهةً آخر من وجوه الاخوة لا يقل قيمة، بل يتفوق أحياناً وهو (الصدقة)،

لذا لم يغفل الامام -عليه السلام- أمرها، فدعا إلى نشر هذه القيمة الانسانية السامية بين المجتمع، واضعاً لها الأسس الصالحة لممارستها بما يكفل الديمومة والاستمرار، فجاءت حكمته: ((لا يكون الصديق صديقاً

٨٣- ينظر: م ن: ٤/٦٣١.

٨٤- م ن: ٤/٦٣٧.

٨٥- م ن: ٤/٧١٠.

٨٦- م ن: ٤/٧١٠.

٨٧- م ن: ٤/٦٨٠.

٨٨- م ن: ٤/٦٥١.

٨٩- م ن: ٤/٦٨٨.

٩٠- نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد: ٣٦٩/١٨.

٩١- ينظر: الامام علي صوت العدالة الانسانية: ٢٣٧.

٩٢- نهج البلاغة، شرح ابن ميثم البحراني: ٤٠١/٥.

حتى يحفظ أخاه في ثلاث: في نكبته، وغيبته، ووفاته^(٩٣)، يضع لنا الامام حداً كاملاً لل صديق، فالصديق في نظره هو من يشارك صديقه آلامه، ويواسيه بنفسه، ويدافع عنه في غيبته، وأن يذكره بخير حياً كان أو ميتاً.

وننتقل مع حكم الامام علي -عليه السلام- إلى القيم الأخلاقية التي حث عليها الاسلام م صدقاً لقوله تعالى: ﴿وَأِنْ تَعَفُّواْ وَدَّ صَفَحُواْ وَتَغَفَّرُواْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(٩٤)، فنراه يدعو إلى العفو عن الاساءة مع الأعداء مخاطباً روح الانسان وكيانه الإنساني قائلاً: ((إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شُكراً للقدرة عليه))^(٩٥)، على الرغم من أن الظفر بالعدو والقدرة عليه هي اللحظة التي يتمناها الانسان، ولكن الامام -عليه السلام- جعل العفو عنه في تلك اللحظة ارتقاء بالنفس إلى اعلى درجات الانسانية والنبيل.

على أننا نستطيع أن نرصد مظهراً آخر من مظاهر القيم الاخلاقية متمثلاً بقوله -عليه السلام-: (من كفارات الذنوب العظام، إغاثة الملهوف، والتنفيس عن المكروب)^(٩٦)، يوجز الامام -عليه السلام- الدعوة إلى إغاثة الملهوف بوصفها احدى الوسائل التي تكفر الذنوب وتمحوها، وهي ايضاً جزء لا يتجزأ من الاخلاق الانسانية الفاضلة التي يستطيع بوساطتها الفرد نيل محبة الناس ومودتهم، ولا يخفى ما لحسن الخلق من أهمية كبيرة بين الفضائل الاخلاقية، إذ انه (ملاك الفضائل ونظام عقدها)^(٩٧) لذا نجد الامام -عليه السلام- يؤكد هذه الفضيلة الأخلاقية، لأنها تمثل وجهاً من وجوه الرقي الأخلاقي في التعامل مع الآخرين، اذ يقول -عليه السلام-: ((خالطوا الناس مخالطة إن مُثِمَّ معها بكوا عليكم، وإن عشتُم حنوا إليكم))^(٩٨)، إذ ان التحلي بحسن الخلق في التعامل مع الناس في نظر الامام -عليه السلام- يجعل الانسان يسمو به حياً ويخلده ميتاً.

من الواضح ان الامام -عليه السلام- يُعنى عناية شديدة بأسلوب الشرط، ومن ادوات هذا الاسلوب التي استعان بها في اعلاه (اذا، وإن) وهما للشرط في الاستقبال فهو بهذا الاسلوب أكد احساسه العميق بأن للقيم الاخلاقية ينبغي ان تُذاع ويعرفها الكل.

ولو أردنا أن نأتي ما قيل عن القيم الروحية والانسانية والاخلاقية التي تجري مجرى الحكم في نهج البلاغة لطال بنا المقام وحسبنا ما ذكرناه شهادة وبرهانا^(٩٩).

٩٣- نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد: ٤٦٣/١٨.

٩٤- سورة التغابن، الآية: ١٤.

٩٥- نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد: ٢٨٦/١٨.

٩٦- م. ن: ٢٨٨/١٨.

٩٧- أخلاق اهل البيت، مهدي الصدر: ٩.

٩٨- شرح نهج البلاغة، الشيخ محمد عبده: ٦٢٨/٤.

٩٩- ولغرض الاستزادة ينظر ايضاً: نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده: ج ٤/٤٤٤، ٤/٦٤٥، ٤/٦٥٢، ٤/٦٥٤،

٤/٦٥٨، ٤/٦٦٦، ٤/٦٦٨، ٤/٦٧١، ٤/٦٧٣، ٤/٦٧٥، ٤/٨٢٦، ٤/٦٢٧، ٤/٦٣٨، ونهج البلاغة، شرح ابن أبي

الحديد: ١٩/٤١٦، ٢٠/٤٢٤، ١٩/٢٨، ١٨/٣٤٩، ١٨/٤٠١، ١٦/٣٠٣، ١٩/٢١٠، ١٨/٤٦٥، ٢/٣٥٤، ١٩/٢١١،

١٨/٥٢٦، ١٧/٢٦، ١٩/٢٤١، ١٨/٥٢٩، ١٩/٢١٩، ١٩/٦٩، ١٨/٤٧٤، ١٨/٤٠٠، ٤/١١٣، ٢٠/٥٥٥، ١٨/٥١٥،

١٨/٤٦١، ١٩/١٤٥، ١٨/٤٦٧، ٢٠/٤٢٤.

بعد أن منّ الله تعالى علينا بإتمام هذه الدراسة، لا بد من الإشارة إلى أهم النتائج التي توصلنا إليها في رحلتنا مع القيم الروحية والانسانية والأخلاقية التي تجري مجرى الحكم في نهج البلاغة وهي:

- تبين من خلال البحث أن القيم الروحية والانسانية والأخلاقية في نهج البلاغة تستند إلى أساس معرفي نابع من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، مما جعلها تتعدى إطار التجربة الشخصية إلى قيم عامة جاءت معبرة عن تعاليم الدين الإسلامي الحنيف ومبادئ الشريعة السامية إلى اصلاح الفرد والمجتمع.

- كشف البحث عن أن القيم في نهج البلاغة جاءت موجهة، ويمكن القول إنها قد رسمت منهجاً حياتياً متكاملًا يبعديه الديني والديني، وذلك من خلال مقاصدها المتنوعة بتشعباتها الدقيقة، فلم يترك النهج جانباً من جوانب الحياة إلا وأنجز فيه الحديث بقيمة من القيم تنظيمًا له وتوجيهاً.

- ظهر أن القيم التي جرت مجرى الحكم في النهج لم تصدر عن العدم، ولم تخلق في فراغ، وإنما يؤكدّها الوجود القيمي، إذ نشأت عن التجارب التي مضت وانقضت، لذلك استوعبتها صدور الناس، وجرت على ألسنتهم وتناقشتها الأجيال جيلاً بعد جيل.

- أوضحت لنا أن نهج البلاغة سبق الاعلان العالمي لحقوق الانسان والحيوان بأكثر من ألف سنة ويزيد.

- ظهر ان قيم النهج تفصح عن شخصيّة الامام علي -عليه السلام- حتى لكأنّ معانيها وتعابيرها هي خواجه نفسه بالذات، تقوده عقيدته إلى الحرص الشديد عليها. فيمارسها ويدعو إلى ممارستها بيقين لا يتزعزع.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ١. أخلاق أهل البيت، مهدي الصدر، ط ١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٢٠٠٨م.
- ٢. الأخلاق في القرآن، ناصر مكارم الشيرازي، مكتبة الجيل الشباب، قم، ايران، ٢٠٠١م.
- ٣. أخلاقنا الاجتماعية، مصطفى السباعي، دار السلام، القاهرة- مصر، ١٤١٨هـ.
- ٤. أعجاز القرآن، الباقلائي، ابو بكر محمد بن الطيب، (ت ٤٠٣هـ)، تحقيق: احمد صقر، دار المعارف بمصر، (د. ت).
- ٥. الامام علي سيرته الذاتية وفكره الحضاري، عبد الحميد المهاجر، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٢م.
- ٦. الامام علي صوت العدالة، جورج جرداق، إخته صره وحققه حسن حميد السنيد، ط ١، بيروت، ٢٠١٠م.
- ٧. الأمثال العربية القديمة والعصر الجاهلي، محمد توفيق، ط ١، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٨م.
- ٨. بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، ط ٢، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣م.
- ٩. بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، د. إبراهيم سلامة، مطبعة خمير، القاهرة، ١٩٥٢م.
- ١٠. البيان والتبيين، ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، (د. ت).

١١. تأصيل النص، قراءة في ايديولوجية التناس، د. مشتاق عباس معن، ط ١، الناشر مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ٢٠٠٣م.
١٢. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ابن مسكويه (ت ٤٢١هـ)، مطبعة الترقى، مصر، ١٣١٧هـ.
١٣. الحكمة في الشعر العربي قبل الاسلام، ابراهيم علي شاكر، ط ١، مطبعة الطيف، بغداد، ٢٠٠٨م.
١٤. الحكم والأمثال، حنا الفاخوري، دار المعارف، (د. ط)، (د. ت).
١٥. دراسات نفسية، تربوية، اجتماعية، د. عبدة علي الجسماني، مركز عبادي للطباعة والنشر، صنعاء، ٢٠٠٢م.
١٦. دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه، محمد محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٩م.
١٧. دينامية النص، تنظير وإنجاز، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٨٧م.
١٨. رسالة الأديب إلى الحياة العربية، مي زيادة، مطبعة الكشاف، بيروت، ١٩٣٨م.
١٩. روح الدين الاسلامي، عفيف عبد الفتاح طبارة، ط ٤، مطبعة الجهاد، بيروت، ١٩٦٠م.
٢٠. الصاحب في فقه اللغة، ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا ٣٩٥هـ، مطبعة المؤيد، ١٤١٠هـ.
٢١. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل بن أبي عبد الله البخاري (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط ٣، دار ابن كثير للصحافة، بيروت، ١٩٨٧م.
٢٢. طرق تنمية الالفاظ، د. إبراهيم أنيس، النهضة الجديدة، القاهرة، ١٩٧٦م.
٢٣. فواتح سور القرآن، د. حسين نصار، ط ١، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ٢٠٠٢م.
٢٤. في ظلال الصحيفة السجادية، محمد جواد مغبنة، تحقيق: سامي الغزيري، ط ١، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي، قم، ٢٠٠٢م.
٢٥. في ظلال نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد جواد مغبنة، دار التيار، منشورات الرضا، بيروت، ٢٠١٣م.
٢٦. قراءة لغوية ونقدية في الصحيفة السجادية، د. كريم حسين الخالدي، ط ١، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠١٠م.
٢٧. القرآنية في شعر الرواد، د. إحسان الشيخ حاجم، ط ١، مطبعة دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠١٣م.
٢٨. قضايا علم الأخلاق، قباري محمد اسماعيل، ط ٢، الهيئة المصرية الجامعة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٨م.
٢٩. لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، تحقيق: علي شيري، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨م.
٣٠. المنهج السياسي عند الامام علي -عليه السلام-، تقديم: محمد حسين فضل الله، ط ١، دار الأمير، بيروت، ١٩٩٦م.
٣١. الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، ط ٢، دار الكتب الاسلامية، طهران، ١٣٨٩هـ.
٣٢. النشر الفني وأثر الجاحظ فيه، د. عبد الكريم بلبع، ط ١، مطبعة لجان البيان العربي، ١٩٦٩م.

٣٣. نَهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة المصرية، (د. ط)، بيروت، ٢٠٠٨م.

٣٤. نَهج البلاغة، شرح ابن ميثم البحراني، ط١، مطبعة وفا، إيران، ١٤٢٧هـ.

٣٥. نَهج البلاغة، شرح الامام الأكبر الشيخ محمد عبده، خرّج م صادره الشيخ حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ٢٠٠٣م.

المجلات:

١. دور الإعلام في ترسيخ القيم الاجتماعية، مأمون الجنان، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، سوريا، العدد/٥٢٧، آب، ٢٠٠٧م.

٢. قيم جديدة، د. سليمان إبراهيم العسكري، مجلة العربي، الكويت، العدد ٥١٧، ٢٠٠١م.

مشاركة المتجنس في العملية السياسية

(بحث في اثار التجنس الفردية في القانون العراقي)

The Naturalised Participation in the Political process (research in the effects of individual Naturalisation in Iraqi legislation)

Prof.Dr. Kareem Miziel Shabi

أ.د. كريم مزعل شبي^(١)

Abstract

The issue of enjoying naturalized with political rights or participating in political process an issue deserve to discuss and checking because of led to exercising or nomination in elections and taking part in political parties as founder or member and act of taking executive positions such as presidency of republic or vice of president or prier ministers or his deputy and as a minister and then, does shall open the door for the naturalized to exercised or prevented or limited?

When we identify the influence of participating the naturalized in political process we shall ensuring exercised it and success its results which led to achieving the interests of the country and overcome on unloyalty or confidence and integrity or unknown with the country which the naturalized resident which shall restricted in some country's institutions through limitations some exercises of political process in origin citizen without naturalized or participating him in some of these exercises after passing

١ - وزارة الاتصالات والمعلوماتية.

confidence period in order to provide a trust or arising spiritual relation between him and society which shall granted a nationality.

Conclusions

1- The Iraqi legislator stipulated to be Iraqi voter in article (5) of elections law parliament council No. 45 of 2013 without determined whether was fellow citizen or naturalized.

2- The elections law of provinces council, districts & suburbs No. 36 of 2008 in article 5 provided that should a voter be Iraqi without limitation whether was Iraqi fellow citizen or naturalized.

3- For nominates as deputy prime minister didn't mentioned in constitution 2005 but mentioned deputies of prime ministers in internal system of ministers' council No. (8) Of 2014. No items stipulated the conditions for the nominates of the deputy of prime minister.

Recommendations

1- We suggest to include Iraqi nationality law No. 26 of 2006 provided that the naturalized voter in elections of parliament council or province with period of confidence for 10 years. Due to partnership in elections very hazardous process because of concerning to select who shall presented the people.

2- We suggest that the Iraqi nationality law No.(26) of 2006 refers to the necessary enjoying the candidate membership of parliament council & province with origin Iraqi nationality due to risks their authorities. For providing loyalty& safety factors by supposed fellow citizen entitled in contrary with the naturalized.

3- Cancellation article (9/thirdly) of Iraqi nationality law No. 26 of 2006.

4- We suggest that the Iraqi nationality law No. 26 of 2006 to handle the nationality of the deputy of prime ministers as being acquired or origin because of the Iraqi constitution didn't handle it by the Iraqi constitution for 2005 and his loyalty and faithfulness and shall not be danger on the security of the state in reference to the nationality of the prime minister.

المقدمة

التعريف:

الولاء والثقة من الامور الواجب توافرها بالمواطنين لأنهم من يقومون ببناء البلاد و توفير الامان والتطور فيه بخلافه لا تتحقق تلك المعادلة، وقد يتمتع الشخص بجنسيته من حين ميلاده فيكون مواطن اصلي يتوافر فيه او مفترض فيه الولاء والثقة والرابطة الروحية، وهل يتوافر ذلك في من يحصل على الجنسية بعد ميلاده اي انه مواطن متجنس؟ فهل تتوافر فيه رابطة الروحية الوثيقة بينه وبين البلد الذي منحه الجنسية

مشاركة المتجنس في العملية السياسية (بحث في اثار التجنس الفردية في القانون العراقي) المكتسبة؟ لا سيما ان الحقوق التي تمنح له قد تكون مدنية وقد تكون سياسية والاخيرة ترتبط بصميم كيان الدولة وتتصف بالطابع القيادي والامني والسياسي.

المشكلة:

فقضية تمتع المتجنس بالحقوق السياسية او مشاركته في العملية السياسية قضية جديدة بالبحث والتدقيق؛ لأنها تنصرف الى ممارسة انتخابات او الترشيح فيها و المشاركة في الاحزاب السياسية كمؤسس او كعضو وتسند المناصب التنفيذية كرئاسة الجمهورية او نائبه او رئاسة الوزراء او نائبه و منصب الوزير، ومن ثم هل يفتح الباب امام المتجنس لمزاوتها ام يمنع منها ام يقيد؟ لان التمتع بتلك الحقوق يدخل المتجنس في قلب الدولة و مفاصلها التنفيذية والتشريعية و السياسية ونرجع الى ما ذكرناه سابقا من شرط توافر الولاء و الثقة من عدمه و قد يشكل عدم معرفته الدقيقة بالبلد لأنه نشأ في بيئة اخرى او قد يكون لا يجيد لغة البلد وذلك يشكل عائقاً في فهم متطلبات المجتمع ولا نبتعد عن فرضية تخلخل العنصر الامني فيه لحداثة ارتباطه بالبلد، كل تلك الامور علامات استفهام حول مشاركة المتجنس في العملية السياسية.

الاهمية:

عند تحديد ابعاد مشاركة المتجنس في العملية السياسية نستطيع ضمان ممارستها و نجاح نتائجها مما يحقق مصلحة البلد و تخليصها من عدم الولاء أو الثقة أو الامانة أو عدم معرفة البلد المحتمل وجودها في المتجنس الذي قد يقيض في بعض مفاصل الدولة، و ذلك من خلال حصر بعض ممارسات العملية السياسية بالمواطن الاصلي دون المتجنس او اشراك المتجنس ببعضها بعد مروره بفترة الاستيثاق ليتوافر فيه الثقة او ان تنشأ الرابطة الروحية بينه و بين المجتمع مانح الجنسية له.

النطاق:

يتحدد نطاق بحثنا بالتجنس والعملية السياسية بفروضاها (العملية الانتخابية، المناصب التنفيذية، والمشاركة في الاحزاب السياسية) وذلك في ظل التشريعات العراقية التي عاصرت فترة سقوط النظام البائد وتأسيس العراق الديمقراطي و بالأساس قانون الجنسية العراقي رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٦ و مرورا بالدستور العراقي الدائم لسنة ٢٠٠٥ و التشريعات العراقية المتعلقة بالانتخابات والمحافظات غير المنتظمة بإقليم والمتعلقة بالترشيح لمنصب رئاسة الجمهورية ونائبه.

المنهجية:

اتبعنا المنهج الوصفي في المبحث التعريفي الخاص بتعريف المتجنس والعملية السياسية والمنهج التحليلي لنصوص التشريعات العراقية والمنهج الاستنباطي للفروض التي لا توجد حلول لها في التشريعات العراقية.

الهيكلية:

بعد اطلاعنا على المصادر ذات الصلة بموضوع البحث ارتأينا ان نخصص مبحثاً تعريفياً خاصاً بتحديد العملية السياسية والمتجنس والانتخابات والاحزاب السياسية و بتخصيص مطلب لكل مكون للمبحث الاول.

وبعد ان نعرف مشاركة المتجنس في العملية السياسية نستطيع الانتقال لتحديد دور الجنسية كشرط اساس في المشاركة في العملية السياسية في القانون العراقي المبحث الثاني من خلال بيان دورها في الانتخابات كناخب او مرشح و في تسنم المناصب التنفيذية (رئيس الجمهورية ونائبه ورئيس الوزراء ونائبه والوزير والمشاركة في تأسيس وعضوية الحزب السياسي).

واخيرا نستطيع تقييم مشاركة المتجنس في العملية السياسية في القانون العراقي ابتداء بالعملية الانتخابية ومرورا بتسنم المناصب التنفيذية واخيرا المشاركة في الاحزاب السياسية.

المبحث الاول: تعريف المشاركة السياسية للمتجنس

من نوافل القول في موضوع بحثنا تعريف عناصر اساسية في البحث لفهم واستيعاب ما نتناوله في بحثنا من جهة ومن جهة اخرى تحديد تلك العناصر، فلا نستطيع الخوض في البحث من دون تعريف المشاركة في العملية السياسية و صورها و مروراً بتعريف المتجنس محور بحثنا لأنه من نريد ان نقيم مشاركته في العملية السياسية المعرفة مقدما و نعرف العملية الانتخابية لأننا نريد ان نحدد مشاركة المتجنس كناخب و مرشح ما بين القبول او الرفض او التقييد واخيرا نعرف الحزب السياسي لتحديد امكانية مشاركة المتجنس كمؤسس للحزب السياسي او كعضو فيه وسنخصص مطلباً لكل من الموضوعات الاربعة المذكورة و نتناول ذلك كما يأتي:

المطلب الاول: تعريف المشاركة في العملية السياسية

وتعني المشاركة السياسية عند (د.رسل جي دالتون) (جميع صور اشتراك أو إسهامات المواطن في توجيه أجهزة السلطة على المستوى الوطني والمحلي أو المباشرة بالمهام التي يتطلبها المجتمع سواء كان طابعها استشارياً أو تقريرياً أو تنفيذياً أو رقابياً وسواء أكان مباشراً أم غير مباشر وفقاً لطبيعة قيام الأفراد بالمشاركة السياسية سواء بشكل مباشر أو غير مباشر)^(٢).

وتعني عن عند (صموئيل هنتنكتون و جون بيلسون) (النشاط الذي يقوم به المواطنون العاديون بقصد التأثير في عملية صنع قرار الحكومة سواء أكان هذا النشاط فردياً أو جماعياً منظماً أو عفوية متواصلاً أم منقطعاً سلمياً أم عنيفاً شرعياً أو غير شرعي مخالاً أم غير مخال)^(٣).

وعرفها (داود الباز) (إعطاء المواطنين الفرص المتكافئة في صياغة شكل الحكم والإسهام في تقرير دولتهم على النحو الذي يريدونه، بحيث يكون بإمكانهم صياغة الأوضاع السياسية بالطريقة التي يرغبونها)^(٤).

٢- د.فلاح مطرود العبودي/ طبيعة السلطة العامة واثرها في المشاركة السياسية (دراسة مقارنة)/ الطبعة الاولى/ مكتبة زين الحقوقية والادبية/ لبنان سنة ٢٠١٥/ ص٥٧.

٣- د.علي أحمد خليفة/ القانون الانتخابي/ منطلقات الحقوق ومحددات المشاركة وتحددات التمثيل/ الطبعة الاولى/ مكتبة زين الحقوقية والادبية/ لبنان سنة ٢٠١٧/ ص٢٨٨-٢٨٩.

٤- فلاح مطرود العبودي/ مصدر سابق / ص٥٨.

والمشاركة السياسية لها معنى عام يرتبط بمشاركة بأمر عميقة ومختلفة ذات ربط بسياسة الدولة كتحديد الحكام أو سياسة الدولة أو صناعة القرار ولها معنى ضيق يرتبط ارتباطاً بمراقبة القرارات بعد صدورها أو التأثير في السياسة السائدة بالدولة⁽⁵⁾.

صور المشاركة السياسية:

أولاً: تنقسم المشاركة السياسية حسب المشاركة سواء أكانت مباشرة أم غير مباشرة إلى صورتين:

أ- الصورة التقليدية:

وتتصرف تلك الصورة إلى وسائل الديمقراطية كآلة صويت في الانتخابات والاستفتاءات والتبرع للحملات الانتخابية والانتماء للأحزاب والمشاركة في المؤتمرات والاجتماعات والترشيح للمناصب التمثيلية والتنفيذية⁽⁶⁾.

ب- الصورة غير التقليدية:

وتتصرف تلك الصورة إلى المشاركة في المظاهرات والاعتصامات والاحتجاجات ورفع الشكاوى وغيرها من الأفعال القانونية⁽⁷⁾.

ثانياً: وتنقسم المشاركة السياسية حسب رسميتها من عدمها إلى صورتين:

أ- المشاركة السياسية الرسمية:

وتتداول من خلال استلام المناصب الحكومية (من داخل السلطة) والمداومة بها رغم الظروف المتغيرة والضغط من جماعات الضغط وأحزاب المعارضة⁽⁸⁾.

ب- المشاركة السياسية غير الرسمية:

وتتم من خلال المعارضة السياسية من قبل أبناء المجتمع من خارج السلطة⁽⁹⁾. ومن ثم المشاركة السياسية تشمل المشاركة في العملية الانتخابية كمرشح و ناخب في الانتخابات البرلمانية أو المحلية، وتسند المناصب التنفيذية كمحافظ أو وزير أو رئيس وزراء و نائبه أو رئيس الجمهورية و نائبه، وتأسيس الأحزاب السياسية والانتماء لها، والمشاركة في المظاهرات والاحتجاجات وغيرها. وبحسبنا يشمل فروض المشاركة المذكورة خلا المشاركة في المظاهرات والاحتجاجات وغيرها و هل بإمكان المتجنس مزاولتها ام لا.

المطلب الثاني: تعريف التجنس

عرف (باتيفول) التجنس (منح الجنسية من قبل الحكومة لأجنبي يطلبها)⁽¹⁰⁾.

٥- فلاح مطرود العبودي/ مصدر سابق/ ص ٥٨/ د.علي احمد خليفة/ مصدر سابق/ ص ٢٨٨.

٦- د.علي احمد خليفة/ مصدر سابق/ ص ٢٩٠/ فلاح مطرود العبودي/ مصدر سابق/ ص ٥٧.

٧- د.علي احمد خليفة/ مصدر سابق/ ص ٢٩١/ فلاح مطرود العبودي/ مصدر سابق/ ص ٥٧.

٨- د.عبد الكريم علوان/ النظم السياسية والقانون الدستوري/ الطبعة الاولى/ دار الثقافة للنشر والتوزيع/ الاردن، ٢٠١٠/ ص ٥٧.

٩- د.عبد الكريم علوان/ مصدر سابق/ ص ٥٧.

10- د.عباس العبودي/ شرح احكام قانون الجنسية العراقية رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٦ والمواطن ومركز الاجانب/ مكتبة السنهوري/ بيروت سنة ٢٠١٥/ ١٥ ص ٧٩.

وعرفه (د. مصطفى كامل يس) (منح الجنسية من قبل الحكومة لأجنبي يطلبها بعد توافر شروط قانونية معينة في الشخص طالب التجنس)^(١١).

وعرفها (د. عباس العبودي) (ترك الفرد جنسيته الأولى وحصوله على جنسية جديدة وذلك بناء على طلبه وموافقة الدولة المانحة بعد توفر الشروط القانونية المطلوبة فيه)^(١٢).

وعرف داحمد عبد الحميد عشوش (طريق لكسب الجنسية بمنحها من الدولة حسب تقديرها المطلق للأجنبي الذي يطلبها بعد استيفاء الشروط التي يتطلبها القانون)^(١٣).

وهي جنسية يحصل عليها الشخص بعد ولادته لا فور ولادته فهي جنسية بعد الميلاد وتتوافر شروط الحصول عليها بعد ميلاد الشخص أي أثناء حياته وتسمى بالجنسية (اللاحقة أو الطارئة أو الممنوحة) ويتطلب الحصول عليها إذن الدولة وتقديم طلب من الشخص الراغب بالتجنس^(١٤).

والجنسية المكتسبة الممنوحة بموجب التجنس تختلف عن الجنسية الأصلية، لأن الجنسية الأصلية تمنح للشخص مع ولادته حكماً وفق الأساس العائلي (الدم) أو الأساس الجغرافي (الإقليم) أو تمنح على كلا الأساسين فهي تمنح فور الولادة وبقوة القانون ولا تحتاج إلى تقديم طلب أو إذن الدولة^(١٥).

وقد يكون الهدف من التجنس جلب الكفاءات والخبرة التي تحقق مصلحة الدولة وبحسب ما يعبر عنه (زيادة الثروة السكانية من حيث النوع) وقد يكون الهدف منه زيادة عدد السكان أي (زيادة الثروة السكانية من حيث الكم) أو قد يكون الهدف منه تمكين رؤساء الطوائف الدينية من الحصول على جنسية الدولة كما في مصر^(١٦).

ولحصول التجنس يشترط توافر شروط موضوعية (كالإقامة، الأهلية، تقديم طلب، حسن السيرة والسلوك، السلامة من الأمراض الانتقالية، امتلاكه وسيلة مشروعة للرزق) وشروط شكلية (أداء اليمين، نشر قرار التجنس في الجريدة الرسمية)^(١٧).

11- ياسين السيد طاهر الياسري/ الوافي في شرح قانون الجنسية العراقي/ الطبعة الرابعة/ شركة العاتك لصناعة الكتب/ القاهرة سنة ٢٠١١/ ص ١٤٧.

١٢- د. عباس العبودي/ مصدر سابق/ ص ٧٨.

١٣- د. احمد عبد الحميد عشوش/ القانون الدولي الخاص (الجنسية، تنازع القوانين)/ المكتبة القانونية العربية/ مصر سنة ٢٠١٢/ وعرفه د. فؤاد اديب (دخول الفرد في الجنسية الدولة بناء على طلبه ويقرر من السلطة المختصة اذا توفرت فيه الشروط المقررة لذلك في تشريع الدولة الناظم للتجنس) / د. فؤاد اديب/ القانون الدولي الخاص/ منشورات المكتبة الافتراضية السورية سنة ٢٠١٨/ ص ٤٧/ <http://pedia.svuonline.org> / (٢٠١٨/٨/٢٣).

14- د. غالب علي الداودي/ د. حسن الهداوي/ ج ١/ الجنسية والمواطن ومركز الاجانب/ الطبعة الاولى/ مطبعة دار الحكمة/ بغداد سنة ١٩٨٨/ ص ٥٤/ د. احمد عبد الحميد عشوش / المصدر نفسه / ص ٨٥/ د. سعد ربيع عبد الجبار / م. رياض أحمد عبد الغفور / م. ليث صلاح الدين حبيب/ النظام القانوني للتابع دراسة مقارنة في قوانين الجنسية العراقية/ مجلة جامعة تكريت للحقوق/ العدد ٢٠/ المجلد ٦/ السنة ٨، ٢٠١٦/ ص ١٢٩-١٣٠.

15- د. غالب علي الداودي، د. حسن الهداوي/ مصدر سابق/ ص ٤٤/ د. أحمد عبد الحميد عشوش/ مصدر سابق/ ص ٨٥/ د. د. رعد مقداد، عدالة عبد الغني محمود/ اعتبارات الطفولة في ثبوت واكتساب الجنسية العراقية/ مجلة جامعة تكريت للحقوق/ العدد ٣/ المجلد ٢/ السنة ٢، ٢٠١٨/ ص ٥-٦ و ١٤.

16- ياسين السيد طاهر الياسري/ مصدر سابق/ ص ١٤٨.

17- د. عباس العبودي/ مصدر سابق/ ص ٨٠-٨١/ ياسين السيد طاهر الياسري/ مصدر سابق/ ص ١٤٨ وما بعدها.

أي ان التجنس فعل ارادي يتوافق بين الدولة و طالب الجنسية فالتجنس منحة من الدولة و طلب من الشخص طالب التجنس^(١٨).

ودلالة طلب التجنس تقديم الولاء للوطن لنشوء الارتباط القانوني والروحي والسياسي لاكتمال الاندماج في المجتمع والغاء الارتباط بالمجتمع السابق الذي ينتمي له طالب التجنس^(١٩).

وصور التجنيس وفق قانون الجنسية العراقي رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٦ هي ٦ حالات كما يأتي:

- ١- منح الجنسية للمولود من أم عراقية وأب مجهول.
- ٢- منح الجنسية على أساس الولادة المضاعفة (المادة ٥).
- ٣- منح الجنسية على أساس الإقامة الطويلة (المادة ٦).
- ٤- منح الجنسية على أساس زواج غير العراقي من العراقية (المادة ٨).
- ٥- منح الجنسية على أساس زواج غير العراقية من العراقي (المادة ١١).
- ٦- منح الجنسية على أساس التبعية (التحاق الأبناء غير الراشدين بجنسية أبيهم مكتسب الجنسية العراقية) (المادة ١٤).^(٢٠).

فباكتساب الجنسية يصبح مواطن فيتمتع بكل حقوق المواطن السياسية و المدنية ويتكلف بالأعباء التي يتحمل بها المواطنين و لكن قد يحرم المتجنس كمواطن من بعض الحقوق السياسية كالترشيح للانتخابات و للمناصب التنفيذية دائمة او مؤقتة^(٢١).

فبعض البلدان تساوي المتجنس بالمواطن الاصيل بالحقوق مباشرة بعد اكتسابه الجنسية و قسم اخر من البلدان يضع المتجنس يمر بفترة ربية او تجربة للتأكد من ولاءه للبلد لان منح المتجنس للحقوق يجب ان يكون تدريجيا و بالذات الحقوق السياسية كتولي المناصب العامة او الترشيح لمجلس النواب او المشاركة بالانتخابات و بعد اجتيازه لفترة التجربة يصبح كالمواطن الاصيل في التمتع بالحقوق كافة^(٢٢).

فبحثنا يتعلق بمكتسب الجنسية المتجنس لا بالمواطن الاصيل من حيث مشاركته في العملية السياسية. فقانون الجنسية النافذ رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٦ اشار الى تمتع حامل الجنسية العراقية بكل حقوق المواطن الا ما استثنى بنص وفق المادة (٩/اولا) أي ان مكتسب الجنسية يتمتع بحقوق المواطن الاصيل الا ما استثنى بنص.

وسنحدد مدى مشاركة المتجنس في العملية السياسية وفق قانون الجنسية المذكور والدستور العراقي ٢٠٠٥ و قوانين الانتخابات العراقية النافذة و قوانين تتعلق باختيار رئيس الجمهورية و نائبه و قانون

١٨- د.احمد عبد الحميد عشوش، المصدر نفسه، ص ١٠٥.

١٩- د.ايداد مطشر صيهود، اكتساب الجنسية العراقية دراسة تحليلية في ضوء قانون الجنسية النافذ رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٦، مجلة جامعة كربلاء العلمية، العدد ١، المجلد السادس، ٢٠٠٨، ص ١١.

٢٠- د.فراس كريم شيخان، د.علي هادي حميدي، روافد محمد علي /اكتساب الجنسية في التشريع العراقي (دراسة مقارنة)، مجلة المحقق الحلي، العدد الثالث، السنة الثامنة، ٢٠١٦، ص ٨٢ و ما بعدها، د.محمد عباس محسن، حق اكتساب الجنسية الاصلية من الام في دستور العراق لسنة ٢٠٠٥ دراسة موازنة لأحكام التشريع والقضاء العراقيين، مجلة واسط للعلوم الانسانية، العدد السابع عشر، السنة ٢٠١١، ص ٨٦ و ما بعدها.

٢١- د.احمد عبد الحميد عشوش، المصدر السابق، ص ١١٤. د.فؤاد ديب، مصدر سابق، ص ٥٨.

٢٢- مثنى محمد عبد، اثر الزواج المختلط على جنسية الزوجة(دراسة مقارنة)، رسالة ماجستير، كلية القانون - جامعة بابل، ٢٠٠٢، ص ١٠٤-١٠٥.

المحافظات غير المنتظمة بإقليم و قانون الاحزاب السياسية و النظام الداخلي لمجلس الوزراء و هو ما سنشره في ثانيا بحثنا.

المطلب الثالث: تعريف الانتخابات:

من خلال العصور الماضية علاقة الحاكم بالشعب مرت بصراعات أساسها الفكر الديني أو الفلسفي أو العلمي تجسدت بتضحيات وثورات لمواجهة الظلم والجور للقضاء على ألوهية وجبروت الحاكم إلى وضعه في قلبه الإنساني وصولاً لوضع السلطة في قلبها القانوني على أساس مشاركة الشعب في الحكم من خلال الانتخابات⁽²³⁾.

ومن ثم أصبح المواطنون يشاركون في الانتخابات لاختيار من يحكمهم في المجالس النيابية. ويتم تلك العملية من خلال النظام النيابي (الديمقراطية النيابية) حيث يقوم الأشخاص باختيار (النواب) الذي يزاولون السيادة نيابة عن الشعب ومن أركان النظام النيابي وجود مجلس نواب يتكون من النواب وينتخب من خلال الأشخاص من خلال الانتخابات⁽²⁴⁾.

وعرفت الانتخابات:

(مكنة المواطنين الذين تتوفر فيهم الشروط القانونية للمساهمة في اختيار الحاكم وفق لما يروونه صالحاً لهم)⁽²⁵⁾.

وعرفت بتعريف مشابه لكنه يركز على رضا الناخبين (اختيار الناخبين لشخص أو أكثر من بين عدد من المرشحين لتمثيلهم ففي حكم البلاد)⁽²⁶⁾.

وعرفت الانتخابات بأنها (مجموعة من الإجراءات والتصرفات القانونية متعددة الأطراف والمراحل يخضع بمقتضاها تحديد الهيئات الحاكمة العليا في الدولة لموافقة ورضاء المحكومين أصحاب السلطة الحقيقية في المجتمع)⁽²⁷⁾.

وعرفت (الوسيلة الأساسية والوحيدة لإسناد السلطة في النظم الديمقراطية المعاصرة من ناحية ولتحقيق حق المشاركة في الحياة السياسية من جانب أفراد الشعب من ناحية أخرى)⁽²⁸⁾.

ومن التعاريف المذكورة فالعملية الانتخابية تتضمن شخصاً ناخباً و شخصاً آخر مرشح ينتخب من قبل الناخب وكلاهما يحمل جنسية الدولة الحاصل فيها الانتخابات و الانتخابات قد تكون نيابية او محلية.

23- د.علي احمد خليفة، مصدر سابق، ص ٢٧ - ٢٨.

24- د.عبدالكريم علوان، مصدر سابق، ص ١٥٦ - ١٥٧.

25- د.صالح جواد كاظم، د.علي غالب العاني، مطبعة دار الحكمة، (بغداد، ١٩٩١)، ص ٣٥.

26- د.رائد حمدان عاجب، التداول السلمي لمنصب رئاسة الدولة (دراسة مقارنة)، رسالة دكتوراه، مقدمة الى كلية القانون - جامعة بابل، ٢٠١١، ص ٥٤.

27- د.محمد فرغلي محمد علي، نظم وإجراءات انتخابات أعضاء المجالس المحلية في ضوء القضاء والفقه، نقلاً عن العبدلي، ص ٢٦.

28- سعد مظلوم العبدلي، الانتخابات ضمانات حريتها ونزاهتها (دراسة مقارنة)، ط ١، دار دجلة، (الاردن، ٢٠٠٩)، ص ٢٧.

وبحثنا يذ صرف في احد مجالاته الى بيان مشاركة المتجنس في العملية الانتخابية سواء اكان ناخبا في انتخابات نيابية او محلية او المشاركة بالانتخابات كمرشح في الانتخابات النيابية و المحلية.

المطلب الرابع: تعريف الحزب السياسي

ينشأ الحزب السياسي لإيجاد أرضية صالحة لتلاقح الأفكار المختلفة في البلاد وتوجيه الحكام بالاتجاه الصحيح ولضمان الاختيار الأمثل في الحكام من خلال الانتخابات ولتنظيم الحراك الشعبي ويتوصل لذلك الحزب من خلال الانتخابات بحصوله على ثقة الشعب للتوصل إلى الحكم⁽²⁹⁾.

فعرف (جيل فيرويل) الحزب السياسي (جماعة اجتماعية منظمة بطريقة مستدامة ومثلة على المستوى المحلي، وتسعى إلى الحصول على الدعم الشعبي من أجل ممارسة السلطة مباشرة)⁽³⁰⁾.

وعرفه (اومتارني): (جماعة منظمة ذات استقلال ذاتي تقوم بتعيين مرشحيها وتخوض المعارك الانتخابية على أمل الحصول على المناصب الحكومية وللهيمنة على خطط الحكومة)⁽³¹⁾.

وعرفه (فانسوليميو): (منظمات عادة ما تكون دائمة وهي وسيط بين الحكام والمحكومين تسعى من خلال الانتخابات للحصول على دعم الجمهور من أجل السيطرة على المناصب الرئيسية في الجهاز الحكومي)⁽³²⁾.

فالْحزب السياسي اجتماع رضائي واتفاقي بين مجموعة من أبناء المجتمع على أسس وأهداف محددة من أبناء المجتمع على أسس وأهداف محددة للمشاركة في العملية السياسية ونستطيع القول إن للحزب ثلاثة أركان اجتماع منظم للأفراد والإيمان بإيديولوجية معينة وهدف هؤلاء الأفراد تسنم سدة الحكم في الدولة والوصول للحكم يكون من خلال الوسائل الديمقراطية أي من خلال الانتخابات⁽³³⁾.

يذهب (د. طارق علي الربيعي) بأن الحزب السياسي (مجموعة من الناس ينظمهم تنظيم معين وتجمعهم مصالح ومبادئ معينة ويهدفون الوصول إلى السلطة أو المشاركة فيها)⁽³⁴⁾.

ويرى د. الربيعي أن أركان الحزب السياسي هي (ال جماهير، وحدة المصلحة والمبادئ، وحدة التنظيم، وحدة القيادة، الوصول إلى السلطة)⁽³⁵⁾.

ومن ثم الحزب السياسي يتضمن نوعين من الاشخاص مؤسسين للحزب و اعضاء في الحزب.

29- صفى الرحمن المباركفوري، الاحزاب السياسية في الاسلام، ط ١، دار سبيل المؤمنين، (مصر، ٢٠١٢)، ص ١٦ - ١٧.

30- د. المهدي الشيباني دغمان، الاحزاب السياسية (الثقافة سوسيولوجية)، مجلة الجامعة، العدد السادس، المجلد الاول، شباط،

٢٠١٤، ص ١٤.

31- د. طارق علي الربيعي، الاحزاب السياسية، (بغداد، ١٩٨٦)، ص ٦٤.

32- د. المهدي الشيباني دغمان، مصدر سابق، ص ١٤.

33- ليث كمال نصرالدين، النظام القانوني للأحزاب السياسية في الاردن (دراسة مقارنة)، المجلة الدولية للقانون، مجلد ٢٠١٧، دار

جامعة حمد بن خليفة للنشر، ص ٤ - ٥.

34- د. طارق علي الربيعي، مصدر سابق، ص ٦٥.

35- د. طارق علي الربيعي / مصدر نفسه / ص ٦٧ وما بعدها.

وتقر حرية تأسيس الاحزاب السياسية باعتبارها من مظاهر النظام الديمقراطي و الحزب السياسي ضماناً للديمقراطية^(٣٦). وبحثنا في احد فروضه ينصرف الى مشاركة المتجنس كمؤسس او عضو في حزب سياسي ما بين الايجاب او الرفض او التقييد.

المبحث الثاني: الجنسية شرط للمشاركة في العملية السياسية في القانون العراقي

بعد ان اسعفنا المبحث الاول في فهم مشاركة المتجنس في العملية السياسية لا بد ان نتقل الى بيان عنصر اساسي في المشاركة في العملية السياسية في ظل القانون العراقي وهو التمتع بالجنسية العراقية لان صور المشاركة في العملية السياسية تقتصر على المواطن دون غير المواطن لتوافر عنصر الثقة و الامان و معرفة لغة و طبيعة المجتمع العراقي لذلك بات لزاما علينا ان نحدد اهمية دور الجنسية في المشاركة السياسية في ظل القانون العراقي على اختلاف صوره (المشاركة في العملية الانتخابية، المشاركة في المناصب التنفيذية، المشاركة في الاحزاب السياسية) لأننا بتحديدنا ذلك سيمهد الطريق الينا لتقييم مشاركة المتجنس في العملية السياسية في القانون العراقي في المبحث الثالث و سنخصص في المبحث الثاني مطلباً لكل صورة من صور المشاركة المذكورة و نتطرق اليها كما يأتي:

المطلب الاول: الجنسية شرط للمشاركة في العملية الانتخابية

الفرع الاول/ بالنسبة للناخب:

يشترط في الناخب أن يكون حاملاً لجنسية الدولة وبخلافه لا يحق له أن يكون ناخباً^(٣٧)؛ لأن حق المواطن في الانتخاب ينتهي باختيار الحاكم في الدولة فلا يمارس ذلك الدور إلا ابن الدولة، فالمواطنون مصدر السلطات وغطاها القانوني ويتحقق ذلك من خلال الانتخاب، فالمواطنون يختارون الحاكم الذي يمارس السلطة نيابة عن المواطنين، ولا يجوز الانتخاب لغير المواطن لأنه ليس من المواطنين ولا يكون لهم ولاهم ويشكل غير المواطن فيما إذا كان ناخباً في دولة أخرى غير دولته تدخل في المسائل الوطنية والداخلية للدولة ولا يمكن أن يترك مصير الدولة بيد غير المواطنين لما أوردناه آنفاً^(٣٨).

واشترط المشرع العراقي ان يكون الناخب عراقياً في المادة (٥) من قانون انتخابات مجلس النواب رقم ٤٥ لسنة ٢٠١٣، وأشار لذلك قانون انتخابات مجالس المحافظات والاقضية و النواحي رقم (٣٦) لسنة ٢٠٠٨ في المادة (٥) منه^(٣٩).

٣٦- د.غني زغير عطية، د.ميسون طه حسين/ قانون الاحزاب السياسية العراقي في ميزان الدستورية (دراسة تحليلية)/ مجلة كلية الدراسات الانسانية الجامعة/ العدد ٦٠٢٠١٦ / ص ٢١٣.

37- د.عبد الكريم علوان/ مصدر سابق /ص/ ١٨٢.

38- د.وائل منذر البياتي/ الاطار القانوني للاجراءات السابقة على انتخابات المجالس النيابية (دراسة مقارنة)/ الطبعة الاولى/ المركز

القومي للاصدارات القانونية / مصر سنة ٢٠١٥ / ص ١٧-١٨.

٣٩- يشترط في الناخب ان يبلغ سن معينة لمزاولة الانتخاب ليمكن الناخب من ادراك مايصدر منه من تصرفات قانونية يترتب عليها القانون أثراً مهماً /ويطلق على ذلك بالاهلية السياسية بخلاف الاهلية المدنية المشترطة في القانون د.وائل منذر البياتي / مصدر سابق / ص ٢١-٢٢.. فمثلاً كان سن الرشد في فرنسا بالنسبة لمزاولة حق الانتخاب (٢١ سنة) ومن ثم نزل به السن (١٨ سنة) وهي الاهلية السياسية الموافقة للاهلية المدنية (١٨ سنة) د.عصام نعمة إسماعيل/ النظم الانتخابية (دراسة مقارنة) / الطبعة الثانية / منشورات زين الحقوقية والادبية / لبنان ٢٠٠٩ / ص ٣٧-٣٨ / د.علي مقلد، د.عصام نعمة إسماعيل، د.عبدو سعد/ النظم الانتخابية (دراسة

الفرع الثاني/ بالنسبة للمرشح:

مح صلة العملية الانتخابية اختيار نائب كان مرشحاً قبل ذلك أي يجب أن يوجد مرشح في قبال الناخب أي يوجد حق في الانتخاب بمقابل حق الترشيح ومن هنا نجد الترابط الكبير بين الحقين⁽⁴⁰⁾. ويشترط أن توجد مواصفات معينة بالمرشح كما هو الأمر في الناخب لأنه يعبر عن مصالح أبناء الشعب فيصدق في تلك المواصفات ليصبح مؤهلاً ليكون مرشحاً⁽⁴¹⁾. ويشترط في المرشح أن يكون حاملاً للجنسية العراقية ويحدد ذلك وفق قانون الجنسية⁽⁴²⁾. فلا يزاوّل حق الترشيح إلا من خلال مواطني البلد ومن ثم ليس لغير المواطن ممارسة الترشيح⁽⁴³⁾. وذلك ما اشترطته المادة (٨) قانون انتخابات مجلس النواب رقم ٤٥ لسنة ٢٠١٣ وأيضاً أشار لذلك قانون المحافظات غير المنتظمة بإقليم رقم (٢١) لسنة ٢٠٠٨ المادة (٥)⁽⁴⁴⁾.

المطلب الثاني: الجنسية شرط للترشيح للمناصب التنفيذية

الفرع الاول/ بالنسبة لمنصب رئاسة الجمهورية و نائبه:

يشترط بالمرشح لرئاسة الجمهورية أن يحمل جنسية الدولة المرشح لرئاستها فليس من المنطق أن يكون الأجنبي رئيساً لدولة أخرى غير دولته ولا ارتباط ذلك الموضوع بالأمن القومي والمصالح العليا للدولة⁽⁴⁵⁾.

حول العلاقة بين النظام السياسي والنظام الانتخابي / الطبعة الاولى/ منشورات الحلبي الحقوقية/ لبنان ٢٠٠٥/ ص ٤١. واشترط المشرع العراقي توافر سن معينة للناخب في المادة (٥) من قانون الانتخابات لمجلس النواب رقم ٤٥ لسنة ٢٠١٣ وأشار لذلك قانون انتخابات مجالس المحافظات والاقضية والنواحي رقم (٣٦) لسنة ٢٠٠٨ في المادة (٥) منه. يشترط في الناخب أن يتمتع بأهلية أداء كاملة أي صلاحية الشخص لصدر التصرفات منه على وجه يترتب القانون عليها أثراً كالجنون أو السفه أو المعتوه أو ذو الغفلة د. وائل منذر البياتي / مصدر سابق / ص ٢٦-٢٧ / د. نعيم كاظم جبر / أحكام قانون انتخابات مجالس المحافظات والاقضية والنواحي رقم ٣٦ لسنة ٢٠٠٨ / مكتبة السنهوري/ بغداد ٢٠٠٩ / ص ١٣. فالمصابون بنقص أو انعدام الاهلية غير مؤهلين لمزاولة الانتخاب الى حين رفع الحجر عنهم بموجب حكم قضائي د. صالح جواد كاظم، د. علي غالب العاني / مصدر سابق / ص ٤٢. وهو ما اشترط في الناخب في قانون انتخابات مجلس النواب رقم ٤٥ لسنة ٢٠١٣ وأشار لذلك قانون انتخابات مجالس المحافظات والاقضية والنواحي رقم (٣٦) لسنة ٢٠٠٨ في المادة (٥) منه.

40- د. وائل منذر البياتي / مصدر سابق / ص ٧٩، نعمة / ص ٤٦. وتحدد الجنسية هنا وفق قانون الجنسية العراقي رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٦. د. ميثم حنظل شريف/ التنظيم الدستوري والقانوني لشروط الترشيح في انتخابات المجالس النيابية / مجلة القانون المقارن/ العدد ٤٦ عام ٢٠٠٧ / ص ١٢٤.

41- د. وائل منذر البياتي، مصدر نفسه، ص ٧٩، نعمة، ص ٥١.

42- د. نعيم كاظم جبر، مصدر سابق، ص ٦١.

43- د. وائل منذر البياتي، مصدر نفسه، ص ٨٩.

٤٤- يشترط في المرشح أن يصل إلى سن معينة لأجل أن يصبح مرشحاً لتتوافر فيه النجدة والاتزان والتجارب الحياتية التي تساعد في اتخاذ القرارات الصحيحة د. وائل منذر البياتي، مصدر سابق، ص ٩٦. واشترطت المادة (٨) من قانون انتخابات مجلس النواب العراقي رقم ٤٥ لسنة ٢٠١٣ عمر معين للمرشح لمجلس النواب و أكدت ذلك المادة (٥) من قانون المحافظات غير المنتظمة بإقليم رقم (٢١) لسنة ٢٠٠٨ يشترط كمال الأهلية للمرشح والمقصود بها هنا أهلية الأداء، فلا يعتبر منطقياً منح شخص صفة المرشح ومن ثم تمثيل مصالح الشعب وهو لا يستطيع تدبير شؤون الخاصة د. وائل منذر البياتي، مصدر نفسه، ص ١٠٣. وكمال الأهلية يشترط أن يكون سنه (١٨ سنة) وأن لا يعترضه عارض من عوارض الأهلية وفق المادة (١٠٦) قانون مدني عراقي رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١. نعيم كاظم جبر، مصدر سابق، ص ٦٢. وكمال الأهلية يشترط أن يكون سنه (١٨ سنة) وأن لا يعترضه عارض من عوارض الأهلية وفق المادة (١٠٦) قانون مدني عراقي رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١. نعيم كاظم جبر، مصدر سابق، ص ٦٢. وذلك ما اشترطته المادة (٨) من قانون انتخابات مجلس النواب رقم ٤٥ لسنة ٢٠١٣ وكذلك المادة (٥) من قانون المحافظات غير المنتظمة بإقليم رقم (٢١) لسنة ٢٠٠٨.

45- د. رائد حمدان عايب، مصدر سابق، ص ١٠٨-١٠٩.

وتناولت موضوعة جنسية رئيس الجمهورية دستور العراق لعام ٢٠٠٥ المادة (٦٨/أولاً) حيث اشترطت أن يكون عراقياً وكذلك قانون أحكام الترشيح لمنصب رئيس الجمهورية رقم ٨/٣١ لسنة ٢٠١٢.

وتحدد جنسية رئيس الجمهورية وفق قانون الجنسية العراقي رقم (٢٦) لسنة ٢٠٠٦. ولنفس الأسباب المذكورة بصدد جنسية الناخب والمرشح لعضوية مجلس النواب والمحافظ، نضيف عليها قضية عدم فهم غير المواطن للمجتمع علاوة على اختلاف اللغة والتي تشكل حاجزاً من فهم المجتمع ومن ثم حاجز بين غير المواطن والمجتمع.

ونائب رئيس الجمهورية يشترط فيه ذلك الشرط وفق قانون رقم (١) لسنة ٢٠١١ الذي يحدد أحكام اختيار نائب رئيس الجمهورية فقد أشارت المادة (٢) من القانون المذكور (يشترط في نائب رئيس الجمهورية ما يشترط في رئيس الجمهورية طبقاً لأحكام المادة (٦٨)...) يقصد المادة (٦٨) من دستور العراق (٢٠٠٥) (٤٦).

الفرع الثاني/ فيما يخص منصب رئيس مجلس الوزراء و نائبه:

يشترط توافر جنسية الدولة في من يرشح لرئاسة مجلس وزرائها أي يجب ان يكون وطنياً ولنفس الاسباب المذكورة المتعلقة بالولاء والعنصر الامني و فهم المجتمع.

ومن ثم ذلك الشرط يجب توافره في رئيس مجلس الوزراء وذلك وفق المادة (٧٧) فقرة (أولاً) من دستور ٢٠٠٥ التي تشير إلى ضرورة توافر شروط رئيس الجمهورية في رئيس مجلس الوزراء.

أما بالنسبة للمرشح ككاتب لرئيس الوزراء فلم يرد ذكره في دستور العراق (٢٠٠٥) ولكن ذكر نواب رئيس الوزراء في النظام الداخلي لمجلس الوزراء رقم (٨) لسنة (٢٠١٤) المادة (١) (ثانياً) يتألف المجلس من رئيس مجلس الوزراء ونوابه والوزراء بعد تأديتهم اليمين الدستورية أمام مجلس النواب فنياب رئيس الوزراء يجب أن تكون جنسيته أصلية لا مكتسبة لافتراض توافر الولاء والإخلاص فيه للبلد و لا يشكل خطراً على أمن الدولة (٤٧).

٤٦- و اشتراط السن لتوافر مواصفات معينة للمرشح كالخبرة والاكتمال العقلي والدرابة بشؤون الدولة السياسية لقيادة وإدارة الدولة بصورة صحيحة وحكيمة د.رائد حمدان عاجب، مصدر نفسه، ص ١٠٩ - ١١٠.. وتناولت ذلك المادة (٦٨/ثانياً) من الدستور العراقي (٢٠٠٥) أن يكون عمر رئيس الجمهورية لا يقل عن ٤٠ سنة وقانون أحكام الترشيح لمنصب رئيس الجمهورية رقم (٨) لسنة ٢٠١٢ المادة (أولاً) واشترطت أن يكون عمر المرشح لا يقل عن ٤٠ سنة. و نائب رئيس الجمهورية يشترط فيه ذلك الشرط وفق قانون رقم (١) لسنة ٢٠١١ وفق المادة (٢) من القانون المذكور. يشترط كمال الأهلية العقلية لمرشح رئاسة الجمهورية وهي أهلية الأداء أي خلوه من عيوب الرضا وعوارض الأهلية ولاكتمال الأهلية يشترط تتوافر سن معينة ويحرم المرشح من الترشيح إذا كان غير مكتمل الأهلية على أن يكون ذلك ثابتاً بحكم قضائي د.رائد حمدان عاجب، مصدر سابق، ص ١١١ - ١١٢. وعالج ذلك دستور العراق لعام ٢٠٠٥ المادة (٥٨) حيث اشترطت كمال الأهلية للمرشح لرئاسة الجمهورية وكذلك اشترط ذلك قانون أحكام الترشيح لمنصب رئيس الجمهورية رقم ٨ لسنة ٢٠١٢ حيث يشترط أن لا يعتريه عارض من عوارض الأهلية أو يصيبه عيب من عيوب الرضا وكذلك بلوغه سن (١٨) وذلك وفق أحكام القانون المدني العراقي رقم (٤٠) لسنة ١٩٥١. و نائب رئيس الجمهورية يشترط فيه ذلك الشرط وفق قانون رقم (١) لسنة ٢٠١١ وفق المادة (٢) من القانون المذكور.

٤٧- يشترط ان يكون سن من يرشح لرئاسة مجلس الوزراء ٤٠ سنة و لنفس الاسباب المذكورة المتعلقة بالخبرة و النضج و الدراية. ويتطلب توافر ذلك الشرط في رئيس الوزراء لأنه ما يتوافر في رئيس الجمهورية يجب أن يتوافر في رئيس مجلس الوزراء وذلك ما تقضي به المادة (٧٧) فقرة (أولاً) من الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥. أما بالنسبة للمرشح ككاتب لرئيس الوزراء كما بينا فلم يرد ذكره في دستور العراق (٢٠٠٥) ولكن ذكر نواب رئيس الوزراء في النظام الداخلي لمجلس الوزراء رقم (٨) لسنة (٢٠١٤) فنياب رئيس الوزراء يجب أن يكون سنه لا يقل عن ٤٠ سنة قياساً على رئيس مجلس الوزراء لأنه يتمتع بصلاحيات تقرب الى صلاحيات رئيس الوزراء.

الفرع الثالث/ بالنسبة للترشيح لمنصب الوزير او المحافظ:

يشترط توافر جنسية الدولة المرشح لمنصب الوزير او المحافظ فيها للأسباب المذكورة سابقا بصدور جنسية الناخب والمرشح في الانتخابات و المرشح لرئاسة الجمهورية (و نائبه) و رئاسة الوزراء (و نائبه). فيشترط في الوزير ما يشترط في عضو مجلس النواب وذلك ما أشارت له المادة (٧٧) فقرة (ثانياً) من الدستور العراقي (٢٠٠٥) ومن ثم يشترط بالوزير أن يكون عراقي الجنسية. لأمر تتعلق بالولاء للبلد والإخلاص للأمة ولقضايا أمنية تتعلق بكون الأجنبي يثير شكوك عديدة تحوم حوله لكونه ليس من أبناء البلد.

والشروط المطلوبة نفسها في عضو مجلس المحافظة وفق المادة (٢٥) من قانون المحافظات غير المنتظمة بإقليم رقم (٢١) لسنة ٢٠٠٨ تشترط في المحافظ لأنه أعلى شخص تنفيذي في المحافظة ويمثل رئيس الوزراء وينفذ سياستها ويمثل أيضاً رئيس الدولة^(٤٨). فوفق المادة (٢٥) من قانون المحافظات غير المنتظمة بإقليم رقم (٢١) لسنة ٢٠٠٨ تشترط ان يتوافر في المحافظ شروط عضو مجلس المحافظة الواردة في المادة (٥) (أولاً) و منها (أن يكون عراقياً...) أي يجب أن يكون المرشح للمجلس ذا جنسية عراقية أي مواطناً (يتوافر فيه الأمان والولاء لحماية مصالح البلاد)^(٤٩).

يشترط ان يكون المرشح لرئاسة مجلس الوزراء كامل الأهلية أي اهلية الاداء ليتمكن من اداء المهام المناطة به. و يشترط توافر ذلك الشرط في رئيس مجلس الوزراء أيضاً وفق ما تؤدي إليه المادة (٧٧) فقرة (أولاً) من دستور العراق لعام ٢٠٠٥ من ضرورة توافر مواصفات رئيس الجمهورية في رئيس الوزراء. أما بالنسبة للمرشح كنائب لرئيس الوزراء كما بينا فلم يرد ذكره في دستور العراق (٢٠٠٥) ولكن ذكر نواب رئيس الوزراء في النظام الداخلي لمجلس الوزراء رقم (٨) لسنة (٢٠١٤) فنائب رئيس الوزراء يجب أن يكون كامل الأهلية و نفس الاسباب المعروضة في بحثنا بصدور توافر كمال الاهلية.

48- صداع دحام طوكان، اختصاصات رئيس الوحدة الادارية الاقليمية في العراق، ط١، (بغداد، ٢٠٠٩)، ص٤٨.

49- د.حنان محمد القيسي، الجوزي في شرح قانون المحافظات غير المنتظمة في اقليم رقم ٢١ لسنة ٢٠٠٨، (بغداد، ٢٠١١)، (scholar. google.com/citations/)، (٢٢-٨-٢٠١٨)، ص٢٦. يشترط توافر سن معينة للمرشح لمنصب الوزير او المحافظ فيها للأسباب المذكورة سابقا بصدور جنسية الناخب و المرشح في الانتخابات و المرشح لرئاسة الجمهورية (و نائبه) و رئاسة الوزراء (و نائبه). و من ثم يجب أن لا يقل سن المرشح للوزارة عن (٣٠ سنة) لأن ما يشترط بعضو البرلمان يشترط في الوزير وفق المادة (٧٧) فقرة (ثانياً) من الدستور العراقي لسنة ٢٠٠٥. و يجب أن لا يقل سن من يرشح لعضوية مجلس المحافظة عن (٣٠ سنة) وذلك وفق المادة (٥/أولاً) من قانون المحافظات غير المنتظمة بإقليم رقم (٢١) لسنة ٢٠٠٨ و نفس الشرط يجب ان يتوافر في المحافظ و ذلك وفق المادة (٢٥) من القانون المذكور ذلك ليتمكن من أداء المهام المكلف بها إزاء سكان المحافظة الذين انتخبوه مما يتطلب تمتعه بالخبرة في الأمور السياسية والإدارية د.حنان محمد القيسي، مصدر سابق، ص٢٧. يشترط كمال الاهلية في المرشح لمنصب الوزير او المحافظ فيها للأسباب المذكورة سابقا بصدور جنسية الناخب و المرشح في الانتخابات و المرشح لرئاسة الجمهورية (و نائبه) و رئاسة الوزراء (و نائبه) و من ثم يشترط كمال الأهلية أيضاً في الوزير قياساً على عضو البرلمان وفق المادة (٧٧) فقرة ثانياً من دستور ٢٠٠٥ التي تشترط توافر شروط عضو البرلمان في الوزير ومنها كمال الأهلية. و وفق المادة (٥/أولاً) من نفس القانون يشترط في المرشح لعضوية المجلس أن يكون كامل الأهلية أي أهلية الأداء أي خالٍ من عارض من عوارض الأهلية ونفس الشروط تنطبق على المحافظ بدلالة المادة (٢٥) من القانون المذكور.

المطلب الثالث: الجنسية شرط للمشاركة في الأحزاب السياسية

الفرع الأول/ بالنسبة لمؤسس الحزب السياسي:

يشترط أن يتمتع مؤسس الحزب السياسي جنسية الدولة المؤسس فيها الحزب لأن المؤسس قد يتولى منصباً قيادياً في الدولة في السلطة التشريعية أو التنفيذية أي قد يتسهم مركزاً حساساً وذلك قد يضر بالدولة إذا كان المؤسس من جنسية دولة أخرى⁽⁵⁰⁾.

وأشار لذلك قانون الأحزاب السياسية العراقي رقم (٣٦) لسنة (٢٠١٥) المادة (٩) (يشترط في من يؤسس حزباً أن يكون: أولاً: عراقي الجنسية)^(٥١).

الفرع الثاني/ بالنسبة للعضوية في الحزب السياسي:

يجب لمن يريد الانتماء للحزب أن يتمتع بجنسية الدولة التابع لها الحزب فلا يسمح لغير المواطن أن ينتمي للحزب⁽⁵²⁾. لأن عضو الحزب قد يتسهم منصباً مهماً في الدولة تنفيذياً وتشريعياً وبالضرورة تكون سياسية فلا يترك أمر العضوية لغير المواطن.

وذلك ما أيده قانون الأحزاب رقم (٣٦) لسنة (٢٠١٥) المادة (١٠): (يشترط فيمن ينتمي لعضوية أي حزب أن يكون: أولاً: عراقي الجنسية)^(٥٣).

المبحث الثالث: مشاركة المتجنس السياسية في القانون العراقي

بعد ان فرشنا في الاوراق الماضية معلومات تشكل مقدمات و اسس مهمة في البحث تمهد للمبحث الثالث الذي نتطرق فيه الى تقييم مشاركة المتجنس في ظل القانون العراقي و سنكرس المطلب الاول الى تقييم مشاركة المتجنس في العملية الانتخابية كناخب او مرشح و المطلب الثاني لمشاركة المتجنس في

50- د. بن يحيى بشير، حرية تكوين الاحزاب السياسية في النظام الدستوري الجزائري و دورها في التجربة الديمقراطية الجزائرية، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق - جامعة الجزائر، ٢٠١٥، ص ٨١.

٥١- يجب أن يتمتع مؤسس الحزب بسن معينة ليصل إلى إدراك فكري يعينه في تقييم الأمور وتكون لديه خبرات عملية تفيده في إدارة الدولة لأنه هنا يكون الشخص يتمتع بقدر من الحكمة وحسن التقدير للأمور وفهم الأمور الشعب العسكرية والاقتصادية والديبلوماسية والاجتماعية وغيره. د. بن يحيى بشير، مصدر نفسه، ص ٨٣. وأشار لذلك قانون الأحزاب السياسية العراقي رقم (٣٦) لسنة (٢٠١٥) المادة (٩) (ثانياً): ((أكمل الخامسة والعشرين من العمر...)). يجب أن يكون المؤسس كامل الأهلية وذلك لأهمية دور المؤسس. د. بن يحيى بشير، مصدر نفسه، ص ٨٣. أي يجب أن تتوافر في أهلية الأداء فيجب أن لا يعتريه أي عارض من عوارض الأهلية كالجنون والعته والسفه وفق أحكام القانون المدني. وذلك ما أشار إليه قانون الأحزاب السياسية العراقي رقم (٣٦) لسنة (٢٠١٥) المادة (٩): (يشترط في من يؤسس حزباً أن يكون: ثانياً: ... ومتمتعاً بالأهلية القانونية).

52- د. بن يحيى بشير، مصدر سابق، ص ٨٥.

٥٣- يشترط في عضوية الحزب السياسي أن يصل الشخص إلى سن معينة تؤهله ممارسة ذلك الحق. د. بن يحيى بشير، مصدر نفسه، ص ٨٥. لأن الانتماء للحزب يرتب التزامات بذمة العضو وينشأ حقوق له بذمة الحزب يجب أن يصل الشخص إلى سن معينة بحيث يدرك تلك الالتزامات والحقوق وما هو دوره في ذلك الحزب، إضافة إلى ان بلوغ سن معينة تكسب الشخص الخبرة والمعرفة ليمارس دوره المطلوب في الحزب السياسي. وذلك ما ذهب إليه قانون الأحزاب السياسية رقم (٣٦) لسنة (٢٠١٥) وفق المادة (١٠) (ثانياً): (أكمل (١٨) الثامنة عشر سنة من العمر). يجب أن يكون المنتمي للحزب السياسي كامل الأهلية أي أن لا يعتريه أي عارض من عوارض الأهلية ويتم ذلك بموجب حكم قضائي ويؤجل الحجر بحكم قضائي أيضاً. د. بن يحيى بشير، مصدر سابق، ص ٨٥ - ٨٦. لأن الانتماء للحزب مسؤولية ويرتّب حقوق والتزامات وقد يتسهم العضو في الحزب منصب تنفيذي أو تشريعي فيجب أن يكون كامل الأهلية أي (أهلية الأداء). و ذلك ما أيده قانون الأحزاب العراقي رقم (٣٥) لسنة (٢٠١٥) المادة (١٠) (ثانياً): (... ومتمتعاً بالأهلية القانونية).

مشاركة المتجنس في العملية السياسية (بحث في اثار التجنس الفردية في القانون العراقي)

المناصب التنفيذية كرئيس جمهورية او نائبه و كرئيس وزراء او نائبه و كوزير او محافظ و مطلب ثالث تتناول فيه مشاركة المتجنس في الاحزاب السياسية كمؤسس او عضو و تتناول ذلك كما يأتي:

المطلب الاول: مشاركة المتجنس في العملية الانتخابية

تد صرف المشاركة في العملية الانتخابية الى المشاركة فيها كناخب في انتخابات مجلس النواب او انتخابات مجالس المحافظات و هو ما نتناوله في الفرع الاول و المشاركة كمرشح و ايضا في الانتخابات سواء اكانت نيابية او للمجالس المحافظات و هو ما سنكرسه في الفرع الثاني و نتناول ذلك كما يأتي:

الفرع الاول: مشاركة المتجنس في العملية السياسية كناخب في انتخابات مجلس النواب او المحافظة

على صعيد انتخابات مجلس النواب أو المحافظة بينا أن من شروطه أن يتمتع بجنسية الدولة الحاصل فيها الانتخاب ولا يجوز ذلك لمن لا يحمل جنسية الدولة فالسؤال الذي يثور هنا هل بإمكان مكتسب الجنسية أن يكون ناخباً في انتخابات مجلس النواب أو المحافظة في العراق؟

وفق قانون انتخابات مجلس النواب رقم (٤٥) لسنة ٢٠١٣ المادة (٥) يشترط في الناخب أن يكون أولاً: عراقي الجنسية... نستنتج من عموم النص^(٥٤) انه حكم النص يبيح الانتخاب للمواطن حامل الجنسية الأصلية أو المكتسبة ولا يوجد مخ صص لعموم ذلك النص وأفراده المواطن الأصل والمواطن المتجنس.

فإذن من حاز الجنسية العراقية اليوم فإذا صادف غداً انتخابات مجلس النواب فللمتجنس المشاركة في الانتخابات.

وبالنسبة لانتخابات مجلس المحافظة فقد أشار قانون انتخابات مجالس المحافظات والأقضية والنواحي رقم (٣٦) لسنة ٢٠٠٨ المادة (٥) يشترط في الناخب أن يكون أولاً: عراقي الجنسية (ونلاحظ هنا تشابه ذلك النص بنص المادة (٥) من قانون انتخابات مجلس النواب المذكور) وكذلك هنا فأشار النص إلى أن يكون الناخب في انتخابات مجلس المحافظة عراقي الجنسية فقط دون تحديد أن يكون مواطناً أصلياً أم متجنساً أي أن الحكم عام فيشمل أفراده المواطن الأصلي والمتجنس لعدم ورود مخصص لحكم النص، أي للمتجنس أن يكون ناخباً بغض النظر عن فترة حصوله على الجنسية العراقية.

ولكن المشاركة في الانتخابات عملية خطيرة جداً لأنها تتعلق باختيار من يمثل الشعب ومن يقومون بسن التشريعات وتحديد السياسات العامة في الدولة فلا تترك هكذا أمور للمتجنس بل يجب أن يمر بفترة زمنية بعدها يسمح له أن يكون ناخباً في انتخابات مجلس المحافظة أو النواب للاستيثاق من ولائه للبلد ونقترح أن تكون فترة الاستيثاق (١٠ سنوات).

٥٤- العام (اللفظ الشامل بمفهومه لجميع ما يصلح انطباق عنوانه عليه في ثبوت الحكم له و قد يقال للحكم بانه عام ايضا باعتبار شموله لجميع افراد الموضوع او المتعلق او المكلف) محمد رضا المظفر، اصول الفقه، ج ٢٠١، ط ١، دار الغدير للطباعة، (ايران، ١٤٣٢ هجري)، ص ١١٧ (ما دل على مسميات باعتبار امر اشتركت فيه مطلقاً)، (كل لفظ اشتمل على مسمين فصاعداً)، د. احمد كاظم البهادلي، مفتاح الوصول الى علم الاصول، ج ١، ط ٢، دار المؤرخ العربي، (لبنان، ٢٠٠٨)، ص ٣٨٨.

الفرع الثاني: مشاركة المتجنس في العملية السياسية كمرشح في انتخابات مجلس النواب او المحافظة

كما بينا آنفاً فإنه يشترط في المرشح لعضوية مجلس النواب أو المحافظة أن يكون مواطناً ولا يجوز أن يكون من غير جنسية الدولة الحاصل فيها الانتخاب للأسباب المذكورة سابقاً. فهل يجوز أن يكون المتجنس مرشحاً لعضوية مجلس نواب العراق؟ أجابت عن ذلك المادة (٨) من قانون انتخابات مجلس النواب العراقي رقم (٤٥) لسنة ٢٠١٣ (يشترط في المرشح لعضوية مجلس النواب إضافة للشروط الواجب توفرها في الناخب ما يلي:....).

ومن شروط الناخب وفق قانون انتخابات مجلس النواب العراقي أن يكون عراقي الجنسية ومن ثم يشترط في المرشح لمجلس النواب العراقي أن يكون عراقي الجنسية ويثور تساؤل هنا هل جنسية المرشح أصلية أم مكتسبة؟ أجابت عن ذلك السؤال المادة (٩/ثانياً) من قانون الجنسية العراقي رقم (٢٦) لسنة ٢٠٠٦ (لا يجوز لغير العراقي الذي يحصل على الجنسية العراقية بطريقة التجنس وفقاً لأحكام المواد (٤)، (٦، ٧، ١١) من هذا القانون أن يكون وزيراً أو عضواً في هيئة برلمانية قبل مضي عشر سنوات على تاريخ اكتسابه الجنسية العراقية).

فالمادة (٤) تنص على اكتساب الجنسية للمولود من الأم العراقية وأب مجهول أو عديم الجنسية خارج العراق. و المادة (٦) اكتساب الجنسية على أساس الإقامة الطويلة. و المادة (٧) اكتساب الجنسية لغير العراقي المتزوج من عراقية. و المادة (١١) اكتساب الجنسية لغير العراقية المتزوجة من عراقي.

أي يمكن للمتجنس وفق المواد (٤، ٦، ٧، ١١) أن يكون مرشحاً لمجلس النواب بعد مرور (١٠ سنوات) من تاريخ حصوله على الجنسية العراقية^(٥٥).

وموقف المشرع العراقي في قانون الجنسية مبرر للصلاحيات الجسيمة لمجلس النواب الواردة في المادة (٤٩) من الدستور العراقي الدائم لسنة ٢٠٠٥، ولجسامة صلاحيات مجلس النواب نقترح أن يقرر صراحة الترشيح لمجلس النواب على المواطن الأصلي دون المتجنس لتوافر الولاء في المواطن الأصلي المفترض فيه وللاستيثاق منه من الناحية الأمنية لأن المتجنس وإن مرت عليه (١٠ سنوات) من اكتسابه الجنسية إلا أنه قد يكون يخضع لأجندة أجنبية أو أن ولاءه لبلد آخر.

ونشير إلى نص المادة (٩) المذكورة من قانون الجنسية العراقي استثنت من حكمها مكتسب الجنسية وفق المادة (٥) اكتساب الجنسية استناداً للولادة المضاعفة ووفق المادة (١٤) اكتساب الجنسية استناداً للرابطة التبعية لغير البالغين سن الرشد تبعاً لاكتساب أبيهم الجنسية العراقية.

وكان من الأجدر بالمشرع العراقي في المادة (٩/ثانياً) في قانون الجنسية أن يشمل مكتسب الجنسية وفق المادتين (٥) و(١٤) لأن كلتا الحالتين اكتساب جنسية فلا مبرر للاستثناء ويتوافر فيها فرض قلة أو عدم الولاء للبلد وكذلك وفرض الخضوع لأجندة أجنبية.

٥٥- وهذا يشير الى اعتماد المشرع العراقي في قانون الجنسية رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٦ لفترة اختبار د.ميشم حنظل شريف، مصدر سابق، ص ١٢٥.

وهل يجوز للمتجنس أن يكون مرشحاً لعضوية مجلس المحافظة؟
من المسلّم به انه يجب أن يكون مرشحاً لعضوية مجلس المحافظة من مواطني البلد ولا يجوز أن يكون من غيرهم ولكن هل يجوز أن يكون متجنساً وليس مواطناً أصلياً؟ أف صح بالإجابة عن ذلك قانون المحافظات غير المنتظمة بإقليم رقم (٢١) لسنة ٢٠٠٨ في المادة (٥) منه (يشترط في المرشح لعضوية المجالس تحقق الشروط الآتية: أولاً: أن يكون عراقياً...) فالحكم عام ويشمل المواطن العراقي والمتجنس ولا يوجد مخصص بحيث يستثني حكم المتجنس من الترشيح، وفي خضم ذلك ولخطورة صلاحيات مجلس المحافظة وفق المادة (٧) من قانون المحافظات غير المنتظمة بإقليم فنقترح أن يحظر الترشيح لعضوية مجلس المحافظة على المتجنس وأن يقتصر على المواطن الأصلي لتوافر عنصر الولاء والأمان المفترض فيه بخلاف المتجنس.

المطلب الثاني: مشاركة المتجنس في المناصب التنفيذية

تتضمن المشاركة في المناصب التنفيذية تسنم منصب رئيس الجمهورية و نائبه و تتناول ذلك في الفرع الاول و تسنم منصب رئاسة الوزراء و نائبه و تتناول ذلك في الفرع الثاني و تسنم منصب وزير او محافظ و تتناول ذلك في الفرع الثالث و تتناول ذلك كما يأتي:

الفرع الاول: مشاركة المتجنس كرئيس جمهورية أو نائبه

بينما انه يشترط في المرشح رئاسة الجمهورية أن يكون عراقياً ولا يجوز أن يكون من غير جنسية الدولة فهل يمكن أن يكون رئيس الجمهورية مواطناً متجنساً وليس أصلياً؟
حسمت إجابة ذلك التساؤل المادة (٦٨) من الدستور العراقي (٢٠٠٥) (يشترط في المرشح لرئاسة الجمهورية أن يكون: أولاً: عراقياً بالولادة ومن أبوين عراقيين) وقانون أحكام الترشيح لمنصب رئيس الجمهورية رقم (١) لسنة ٢٠١٢ المادة (١) (يشترط في من يرشح نفسه لمنصب رئيس الجمهورية ما يأتي: أولاً: عراقي بالولادة ومن أبوين عراقيين) أي يجب أن يكون من أبوين عراقيين من حيث الولادة أي أن تكون جنسيته أصلية بغض النظر عن جنسية أبويه العراقية فيما إذا كانت أصلية أم مكتسبة، وأضاف النص أن تكون ولادة المرشح في العراق، واشترك ذلك كون رئيس الجمهورية رمز وحدة الدولة وسيادتها وحارس الدستور وذلك وفق المادة (٦٧) من الدستور العراقي ولجسامة صلاحيات رئيس الجمهورية وفق المادة (٧٣) من الدستور العراقي.

ونشير إلى أن قانون الجنسية رقم (٢٦) لسنة ٢٠٠٦ المادة (٩/ثالثاً) (لا يجوز لغير العراقي الذي يحصل على الجنسية العراقية وفقاً لأحكام المواد (٤، ٦، ٧، ١١) من هذا القانون أن يشغل منصب رئيس جمهورية العراق).

نعتقد أن نص المادة (٩) المذكور يجب أن يلغى للأسباب الآتية:

١- مسألة ترشيح المتجنس لمنصب رئاسة الجمهورية عولجت بموجب المادة (٦٨) من دستور (٢٠٠٥) وأشارت إلى أن يكون المرشح ذا جنسية أصلية ومن ثم لا يجوز للمتجنس الترشيح لمنصب الرئاسة فنص المادة (٩/ثالثاً) جاء تكراراً للنص الدستوري المذكور فما الجدوى منه؟

٢- ذكرت المادة (٩/ثالثاً) حالات التجنس وفق المواد (٤، ٦، ٧، ١١) لا يجوز للمتجنس بموجبها الترشيح لمنصب رئاسة الجمهورية ولم تذكر حالات التجنس في قانون الجنسية رقم (٢٦) لسنة ٢٠٠٦ وفق المادتين (٥) الولادة المضاعفة و(١٤) اكتساب الجنسية بالتبعية أي أنها حالي استثناء وفق نص المادة (٩/ثالثاً) ومن باب القياس من مفهوم المخالفة أي يجوز لمكتسب الجنسية وفق المادتين (٥) و(١٤) أن يرشح لمنصب رئاسة الجمهورية وذلك يخالف نص المادة (٦٨) من دستور (٢٠٠٥) التي تشترط أن يكون المرشح لمنصب رئاسة الجمهورية ذا جنسية أصلية وليست مكتسبة.

أما بالنسبة للترشيح لمنصب نائب رئيس الجمهورية، فقد أشارت المادة (٦٩/أولاً) من الدستور العراقي (٢٠٠٥) إلى (تنظم بقانون أحكام اختيار نائب أو أكثر لرئيس الجمهورية) أي أحالت إلى البرلمان مسألة تحديد شروط الترشيح لمنصب نائب رئيس الجمهورية وعلى ضوء ذلك صدر قانون رقم (١) لسنة ٢٠١١ يحدد أحكام اختيار نائب رئيس الجمهورية فقد أشارت المادة (٢) من القانون المذكور (يشترط في نائب رئيس الجمهورية ما يشترط في رئيس الجمهورية طبقاً لأحكام المادة (٦٨)...) بقصد المادة (٦٨) من دستور العراق (٢٠٠٥) أي أن الشروط الواجب توافرها في رئيس الجمهورية وفق المادة (٦٨) من دستور العراق يجب أن تتوفر في المرشح لمنصب نائب رئيس الجمهورية ومنها الفقرة (أولاً) من المادة (٦٨) من دستور العراق التي تشير إلى وجوب أن يكون المرشح مولوداً من أبوين عراقيين أي يجب أن تكون جنسية المرشح لمنصب نائب رئيس الجمهورية أصلية لا مكتسبة، وذلك لخطورة من صبه؛ لأنه نائب رئيس الجمهورية أساس وحدة العراق وحامي الدستور علاوة على أن نائب رئيس الجمهورية يحل محل رئيس الجمهورية عند خلو المنصب وفق المادة (٧٥) من دستور العراق (ثالثاً) (يحل نائب رئيس الجمهورية محل رئيس الجمهورية عند خلو من صبه لأي سبب كان...) أضف إلى أن النائب يحل محل الرئيس عند غيابه وفق المادة (٧٥/ثانياً) (يحل نائب رئيس الجمهورية محل الرئيس عند غيابه).

وكما بينا آنفاً حكم المادة (٩) قانون الجنسية العراقي النافذ فقرة ثالثاً بصدد المرشح لرئيس الجمهورية فإن حكمها يشمل المرشح لمنصب نائب رئيس الجمهورية والملاحظات نفسها التي ذكرناها آنفاً تفرض نفسها هنا.

الفرع الثاني: المشاركة السياسية للمتجنسين كرئيس لمجلس وزراء (و نائبه)

بينما أنه يجب أن يكون المرشح لرئاسة الوزراء حاملاً جنسية الدولة المرشح لرئاسة وزارتها فهل يجوز ذلك للمتجنس؟

بينت المادة (٧٧/أولاً) من الدستور العراقي (٢٠٠٥) إلى (يشترط في رئيس مجلس الوزراء ما يشترط في رئيس الجمهورية...) أي يجب أن تتوفر في المرشح لرئاسة الوزراء الشروط الواردة في المادة (٦٨) من دستور العراق (٢٠٠٥) ومنها الفقرة (أولاً) (عراقياً بالولادة ومن أبوين عراقيين) أي يجب أن يكون مواطناً أصلياً لا متجنساً.

وذلك الحكم راجع إلى كون رئيس مجلس الوزراء المسؤول المباشر عن تنفيذ السياسة العامة للدولة والقائد العام للقوات المسلحة ومديراً لمجلس الوزراء فلا يجوز أن يكون متجنساً وفق المادة (٧٨) من

دستور العراق (٢٠٠٥) ولكونه مديراً لمجلس الوزراء الذي يتمتع بصلاحيات خطيرة جداً الواردة في المادة ٨٠ من دستور العراق (٢٠٠٥).

أما بالنسبة للمرشح كنائب لرئيس الوزراء فلم يرد ذكره في دستور العراق (٢٠٠٥) ولكن ذكر نواب رئيس الوزراء في النظام الداخلي لمجلس الوزراء رقم (٨) لسنة (٢٠١٤) المادة (١) (ثانياً) (يتألف المجلس من رئيس مجلس الوزراء ونوابه والوزراء بعد تأديتهم اليمين الدستورية أمام مجلس النواب) والمادة (٣) (يقوم رئيس المجلس بإدارة المجلس وترؤس اجتماعاته وفي حالة غيابه يعقد الاجتماع برئاسة من يخوله من نوابه) والمادة (٢١/أ) (لرئيس المجلس ثلاثة نواب يمارس كل منهم جزءاً من مهامه في رئاسة شؤون أحد اللجان القطاعية الآتية:

١. لجنة الشؤون الاقتصادية.

٢. لجنة شؤون الطاقة.

٣. لجنة شؤون الاعمار والخدمات).

علاوة على مواد كثيرة تشير إلى صلاحيات خطيرة ومهمة لنائب رئيس الوزراء في النظام الداخلي لمجلس الوزراء، فنسأل هنا ما هي شروط اختياره؟

وبرغم عدم ورود ذكر في الدستور إلا انه يدير مجلس الوزراء وينوب عن رئيس المجلس في حالة غيابه ويدير لجان مهمة تتحكم باقتصاد وطاقة وخدمات واعمار البلد فيجب معالجة شروط اختيار نائب رئيس الوزراء في نفس النظام الداخلي لمجلس الوزراء وأن تكون شروطه نفس شروط اختيار رئيس المجلس لما ذكرناه آنفاً وهي الشروط الواردة في المادة (٦٨) من دستور العراق (٢٠٠٥) ومن أهمها أن يكون عراقياً بالولادة ومن أبوين عراقيين أي أن تكون جنسيته أصلية لا مكتسبة أي لا يمكن أن يكون نائب رئيس الوزراء متجنساً أي أن تكون جنسيته أصلية لا مكتسبة لافتراض توافر الولاء والإخلاص فيه للبلد ولا يشكل خطراً على أمن الدولة.

الفرع الثالث: المشاركة السياسية للمتجنس كوزير او كمحافظ

وفق المادة (٧٧) (ثانياً) من دستور العراق (٢٠٠٥) (يشترط في الوزير ما يشترط في عضو مجلس النواب...) ومن شروط الترشيح لعضوية مجلس النواب وفق المادة (٤٩) (ثانياً) من دستور العراق (٢٠٠٥) أن يكون عراقياً أي انه يجب أن يكون الوزير مواطناً دون تحديد كونه متجنساً أم مواطناً أصلياً. ولكن نص المادة (٩/ ثانياً) من قانون الجنسية العراقي رقم (٢٦) لسنة (٢٠٠٦) (لا يجوز لغير العراقي الذي يحصل على الجنسية العراقية بطريق التجنس وفقاً لأحكام المواد (٤، ٦، ٧، ١١) من هذا القانون أن يكون وزيراً أو عضواً في هيئة برلمانية قبل مضي عشر سنوات على تاريخ اكتسابه الجنسية العراقية).

وبصدد ذلك النص ندرج هنا الملاحظات نفسها التي ذكرناها في موضوعة ترشيح المتجنس لعضوية مجلس النواب، والخلاصة هنا يجب أن يكون الوزير مواطناً أصلياً لا متجنساً ووفقاً أيضاً لما ذكرناه في موضوعة عضوية المتجنس لمجلس النواب.

بيننا سابقاً انه يجب أن يكون المرشح لمندوب المحافظ عراقياً ولكن هل يمكن أن يكون المتجنس محافظاً؟ بالرجوع للمادة (٥) من قانون المحافظات غير المنتظمة في إقليم رقم (٢١) لسنة (٢٠٠٨) تشترط في المرشح لعضوية مجلس المحافظة أن يكون عراقياً ونرجع لتلك المادة بدلالة المادة (٢٥) من القانون نفسه (أولاً) يشترط في المرشح لمندوب المحافظ الشروط الواجب توافرها في عضو مجلس المحافظة... ومن ثم يمكن أن يكون المحافظ مواطناً متجنساً أو أصلياً لعموم الحكم ولكن بما ان المحافظ رئيس الوحدة الإدارية (المحافظة) وفق المادة (١) من القانون نفسه وهو الرئيس التنفيذي الأعلى في المحافظة وفق المادة (٢٤) من القانون نفسه وله صلاحيات جسيمة وواسعة واردة في المادة (٣١) بأحد عشر فقرة فلا يمكن أن يسلم هكذا مندوباً للمتجنس لأنه يتطلب الثقة أمنياً والولاء والمعرفة بأبناء المحافظة فلا بد أن يكون مواطناً أصلياً.

المطلب الثالث: مشاركة المتجنس في تأسيس الاحزاب وعضويتها

الصورة الاخيرة للمشاركة السياسية في بحثنا هي المشاركة في الاحزاب السياسية سواء كمؤسس في الحزب السياسي و نتناول ذلك في الفرع الاول و او كعضو في الحزب السياسي و نتناول ذلك في الفرع الثاني و نكرس ذلك كما يأتي:

الفرع الاول: مشاركة المتجنس في تأسيس الحزب السياسي

كما بيننا سابقاً ان المشارك في تأسيس الحزب السياسي أن يكون حاملاً لجنسية الدولة المؤسس فيها الحزب السياسي وفي ظل قانون الأحزاب السياسية العراقي رقم (٣٦) لسنة ٢٠١٥ (المادة ٩/أولاً) اشترط في من يشترك في تأسيس الحزب السياسي أن يكون عراقي الجنسية دون تحديد أن يكون مواطناً أصلياً أم متجنساً ولعموم حكم النص نستطيع القول إن المتجنس والمواطن الأصلي يجوز أن يشترك في تأسيس الحزب السياسي في العراق.

ولكن الحزب السياسي يهدف للوصول إلى السلطة وقيادة الدولة وفق المادة (٢/أولاً) من قانون الأحزاب العراقي وقد يكون الحزب أداة لنشر أفكار عنصرية أو إرهابية أو تكفيرية أو طائفية أو لأفكار حزب البعث العربي الاشتراكي حيث حظر على الحزب المؤسس في العراق تبني تلك الأفكار وفق المادة (٥) من قانون الأحزاب العراقي.

لذلك يجب أن يكون المشترك في تأسيس الحزب مواطناً أصلياً لا متجنساً للدور الخطير للحزب السياسي في البلد الذي قد يتخذ كأداة للجهات الخارجية في تدمير البلد من خلال تسنم المناصب المهمة في البلد أو نشر الأفكار الهدامة.

الفرع الثاني: مشاركة المتجنس في عضوية الحزب السياسي

بيننا سابقاً بأن يكون حاملاً لجنسية الدولة من يرغب في الانضمام لعضوية حزب معين وهو ما أيده قانون الأحزاب السياسية العراقي رقم (٣٦) لسنة (٢٠١٥) في المادة (١٠/أولاً) بأن يكون طالب الانضمام للحزب السياسي عراقي الجنسية وأيضاً ترك الموضوع هنا دون تحديد أي هل يكون مواطناً أصلياً أم متجنساً ونعيد هنا أيضاً ونكرر ان حكم النص عام ويشمل المتجنس والمواطن الأصلي ولكن

بيننا آنفأ أن للحزب السياسي دوراً خطيراً جداً لأنه أساس العملية الديمقراطية في الدولة وهو مصدر لأعضاء مجلس النواب ومجلس المحافظة وقد يفرز مرشح لأجهزة أمنية خطيرة كالمحافظ أو وزير علاوة على أن الحزب قد يكون مصدراً لخلق شبكات معادية للدولة أو ينشر أفكاراً هدامة في الدولة فلا يترك هكذا أمر إلى المتجنس فلا بد أن يتم التمحيص في من يكون عضواً في الحزب وأول شرط للتأكد منه أن يكون مواطناً أصلياً لا متجنساً لضمان الولاء للبلد والجوانب الأمنية فيه.

الخاتمة

الاستنتاجات:

١. اولاً: المشاركة في العملية السياسية تشمل المشاركة في العملية الانتخابية كمرشح و ناخب في الانتخابات البرلمانية او المحلية، و تسنم المناصب التنفيذية كمحافظ او وزير او رئيس وزراء و نائبه او رئيس الجمهورية و نائبه، و تأسيس الاحزاب السياسية و الانتماء لها، و المشاركة في المظاهرات و الاحتجاجات و غيرها.
٢. ثانياً: صور التجنس وفق قانون الجنسية العراقي رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٦ هي ٦ حالات هي (منح الجنسية للمولود من أم عراقية وأب مجهول (المادة ٤)، منح الجنسية على أساس الولادة المضاعفة (المادة ٥)، منح الجنسية على أساس الإقامة الطويلة (المادة ٦)، منح الجنسية على أساس زواج غير العراقي من العراقية (المادة ٨)، منح الجنسية على أساس زواج غير العراقية من العراقي (المادة ١١)، منح الجنسية على أساس التبعية (التحاق الأبناء غير الراشدين بجنسية أبيهم مكتسب الجنسية العراقية) (المادة ١٤).
٣. ثالثاً: بعض البلدان تساوي المتجنس بالمواطن الاصلي بالحقوق مباشرة بعد اكتسابه الجنسية و قسم اخر من البلدان يضع المتجنس يمر بفترة ريبية او تجربة للتأكد من ولاءه للبلد لان منح المتجنس للحقوق يجب ان يكون تدريجياً و بالذات الحقوق السياسية كتولي المناصب العامة او الترشيح لمجلس النواب او المشاركة بالانتخابات و بعد اجتيازه لفترة التجربة ي صبح كالمواطن الاصيل في التمتع بالحقوق كافة، و قانون الجنسية النافذ رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٦ اشار الى تمتع حامل الجنسية العراقية بكل حقوق المواطن الا ما استثني بنص و فق المادة (٩/اولا) أي ان مكتسب الجنسية يتمتع بحقوق المواطن الاصلي الا ما استثني بنص و تحدد مشاركة المتجنس في العملية السياسية وفق قانون الجنسية المذكور و الدستور العراقي ٢٠٠٥ و قوانين الانتخابات العراقية النافذة و قوانين تتعلق باختيار رئيس الجمهورية و نائبه و قانون المحافظات غير المنتظمة بإقليم و قانون الاحزاب السياسية و النظام الداخلي لمجلس الوزراء.
٤. رابعاً: اشترط المشرع العراقي ان يكون الناخب عراقياً في المادة (٥) من قانون انتخابات مجلس النواب رقم ٤٥ لسنة ٢٠١٣ دون تحديد ان كان مواطناً أصلياً أم متجنساً و ان يكون المرشح كذلك وفق ما اشترطته المادة (٨) قانون انتخابات مجلس النواب رقم ٤٥ لسنة ٢٠١٣.

٥. خامساً: واشترط في قانون انتخابات مجالس المحافظات و الاقضية و النواحي رقم (٣٦) لسنة ٢٠٠٨ في المادة (٥) منه ان يكون الناخب عراقياً دون تحديد ان كان مواطناً اصلياً ام متجنساً واشترط في المرشح لعضوية مجلس المحافظة وفق قانون المحافظات غير المنتظمة بإقليم رقم (٢١) لسنة ٢٠٠٨ المادة (٥) ان يكون عراقياً دون تحديد ان كان مواطناً اصلياً ام متجنساً.
٦. سادساً: اشترط المشرع العراقي بالنسبة لمنصب رئاسة الجمهورية أن يكون عراقياً بالولادة و من والدين عراقيين وتناولت موضوعة جنسية رئيس الجمهورية دستور العراق لعام ٢٠٠٥ المادة (٦٨/أولاً) حيث اشترطت ذلك و كذلك قانون أحكام الترشيح لمنصب رئيس الجمهورية رقم ٨/٣١ لسنة ٢٠١٢، و نائب رئيس الجمهورية يشترط فيه ذلك وفق قانون رقم (١) لسنة ٢٠١١ الذي يحدد أحكام اختيار نائب رئيس الجمهورية فقد أشارت المادة (٢) من القانون المذكور (يشترط في نائب رئيس الجمهورية ما يشترط في رئيس الجمهورية طبقاً لأحكام المادة (٦٨)...) يقصد المادة (٦٨) من دستور العراق (٢٠٠٥).
٧. سابعاً: بالنسبة لمنصب رئيس مجلس الوزراء يشترط فيه الجنسية الاصلية وذلك وفق المادة (٧٧) فقرة (أولاً) من دستور ٢٠٠٥ التي تشير إلى ضرورة توافر شروط رئيس الجمهورية في رئيس مجلس الوزراء، أما بالنسبة للمرشح كنائب لرئيس الوزراء فلم يرد ذكره في دستور العراق (٢٠٠٥) ولكن ذكر نواب رئيس الوزراء في النظام الداخلي لمجلس الوزراء رقم (٨) لسنة (٢٠١٤) فلا توجد مواد تحدد شروط المرشح لنائب رئيس الوزراء.
٨. ثامناً: يشترط في الوزير ما يشترط في عضو مجلس النواب وذلك ما أشارت له المادة (٧٧) فقرة (ثانياً) من الدستور العراقي (٢٠٠٥) ومن ثم يشترط بالوزير أن يكون عراقي الجنسية.
٩. تاسعاً: الشروط المطلوبة نفسها في عضو مجلس المحافظة وفق المادة (٢٥) من قانون المحافظات غير المنتظمة بإقليم رقم (٢١) لسنة ٢٠٠٨ تشتط في المحافظ و منها تمتعه بالجنسية العراقية.
١٠. عاشراً: تشترط الجنسية العراقية في المؤسس الحزب السياسي وأشار لذلك قانون الأحزاب السياسية العراقي رقم (٣٦) لسنة (٢٠١٥) المادة (٩)، و كذلك تشترط الجنسية العراقية في العضوية في الحزب السياسي وذلك ما أيده قانون الأحزاب رقم (٣٦) لسنة (٢٠١٥) المادة (١٠) دون تحديد ان كان متجنساً ام مواطناً اصلياً في كلا الفرضين.
١١. حادي عشر: يشترط في المرشح لمجلس النواب العراقي أن تمضي ١٠ سنوات على حصوله على الجنسية العراقية وفق المادة (٩/ثانياً) من قانون الجنسية العراقي رقم (٢٦) لسنة ٢٠٠٦ وفقاً لأحكام المواد (٤، ٦، ٧، ١١) من هذا القانون و لكن نص المادة (٩) المذكورة من قانون الجنسية العراقي استثنت من حكمها مكتسب الجنسية وفق المادة (٥) اكتساب الجنسية استناداً للولادة المضاعفة و وفق المادة (١٤) اكتساب الجنسية استناداً للرابطة التبعية لغير البالغين سن الرشد تبعاً لاكتساب أيهم الجنسية العراقية.

١٢. ثاني عشر: يشترط في المرشح لعضوية مجلس المحافظة ان يحمل الجنسية العراقية دون تحديد ان كانت اصلية ام مكتسبة وفق قانون المحافظات غير المنتظمة بإقليم رقم (٢١) لسنة ٢٠٠٨ في المادة (٥) منه.

١٣. ثالث عشر: نص المادة (٩/ ثانياً) من قانون الجنسية العراقي رقم (٢٦) لسنة (٢٠٠٦) تشترط في المرشح للوزارة ان يمر على تجنسه ١٠ سنوات ان كان تجنسه وفق المواد (٤، ٦، ٧، ١١)، و لكن نص المادة (٩) المذكورة من قانون الجنسية العراقي استثنت من حكمها مكتسب الجنسية وفق المادة (٥) اكتساب الجنسية استناداً للولادة المضاعفة و وفق المادة (١٤) اكتساب الجنسية استناداً للرابطة التبعية لغير البالغين سن الرشد تبعاً لاكتساب أيهم الجنسية العراقية.

١٤. رابع عشر: يشترط في المرشح لمنصب المحافظ ان يكون عراقياً دون تحديد فيما اذا كان مواطناً اصلياً ام متجنساً وفق المادة (٥) و (٥٢) قانون المحافظات غير المنتظمة في إقليم رقم (٢١) لسنة (٢٠٠٨).

١٥. خامس عشر: وفق قانون الأحزاب السياسية العراقي رقم (٣٦) لسنة ٢٠١٥ (المادة ٩/ أولاً) اشترط في من يشترك في تأسيس الحزب السياسي أن يكون عراقي الجنسية دون تحديد أن يكون مواطناً أصلياً أم متجنساً، و وفق القانون المذكور نفسه المادة (١٠/ أولاً) اشترط فيمن يرغب في الانضمام لعضوية حزب معين ان يكون حاملاً للجنسية العراقية دون تحديد ان يكون مواطناً أصلياً أم متجنساً.

المقترحات:

١. اولاً: نقترح ان يتضمن قانون الجنسية العراقي رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٦ اشتراط ان يمر الناخب المتجنس في انتخابات مجلس النواب او المحافظة بفترة استيثاق لمدة ١٠ سنوات، لان المشاركة في الانتخابات عملية خطيرة جداً لأنها تتعلق باختيار من يمثل الشعب ومن يقومون بسن التشريعات وتحديد السياسات العامة في الدولة فلا تترك هكذا أمور للمتجنس من حين تجنسه بل يجب أن يمر بفترة زمنية بعدها يسمح له أن يكون ناخباً في انتخابات مجلس النواب او المحافظة.

٢. ثانياً: نقترح ان يشير قانون الجنسية العراقي رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٦ الى ضرورة تمتع المرشح لعضوية مجلس النواب و المحافظة بالجنسية العراقية الاصلية لخطورة صلاحياتهما، لتوافر عنصر الولاء والأمان المقترض فيه بخلاف المتجنس.

٣. ثالثاً: الغاء نص المادة (٩/ ثالثاً) من قانون الجنسية العراقي رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٦، لان مسألة ترشيح المتجنس لمنصب رئاسة الجمهورية عولجت بموجب المادة (٦٨) من دستور (٢٠٠٥) وأشارت إلى أن يكون المرشح ذا جنسية أصلية ومن ثم لا يجوز للمتجنس الترشيح لمنصب الرئاسة فنص المادة (٩/ ثالثاً) جاء تكراراً للنص الدستوري المذكور فما الجدوى منه.

٤. رابعاً: نقترح ان يعالج قانون الجنسية العراقي رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٦ جنسية نائب رئيس الوزراء من حيث كونها مكتسبة ام اصلية لأنه لم يعالجها الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ و ان تكون جنسيتها

- اصولية لافتراض توافر الولاء والإخلاص فيه للبلد و لا يشكل خطراً على أمن الدولة قياساً على جنسية رئيس الوزراء، و ذلك بسبب صلاحياته الجسيمة وفق النظام الداخلي لمجلس الوزراء.
٥. خامساً: نقترح تعديل نص المادة (٩/ثانياً) من قانون الجنسية العراقي رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٦ بان يشمل حكمها من يكتسب الجنسية وفق المادتين (٥) و(١٤) لأن كلتا الحالتين اكتساب جنسية فلا مبرر للاستثناء ويتوافر فيها فرض قلة أو عدم الولاء للبلد وكذلك وفرض الخضوع لأجندة أجنبية.
٦. سادساً: نقترح ان يشير قانون الجنسية العراقي رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٦ الى ضرورة تمتع المحافظ بالجنسية الاصلية، لأنه رئيس الوحدة الإدارية (المحافظة) وفق المادة (١) من القانون نفسه وهو الرئيس التنفيذي الأعلى في المحافظة وفق المادة (٢٤) من القانون نفسه وله صلاحيات جسيمة وواسعة واردة في المادة (٣١) بأحد عشر فقرة فلا يمكن أن يسلم هكذا منصب للمتجنس لأنه يتطلب الثقة أمنياً والولاء والمعرفة بأبناء المحافظة فلا بد أن يكون مواطناً أصلياً.
٧. سابعاً: نقترح ان يشير قانون الجنسية العراقي رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٦ الى ضرورة تمتع المؤسس و العضو في الحزب السياسي بالجنسية الاصلية لان الحزب السياسي يهدف للوصول إلى السلطة وقيادة الدولة وفق المادة (٢/أولاً) من قانون الأحزاب العراقي وقد يكون الحزب أداة لنشر أفكار عنصرية أو إرهابية أو تكفيرية أو طائفية أو لأفكار حزب البعث العربي الاشتراكي حيث حظر على الحزب المؤسس في العراق تبني تلك الأفكار وفق المادة (٥) من قانون الأحزاب العراقي.

مصادر البحث

الكتب:

- ١- د. احمد عبد الحميد عشوش، القانون الدولي الخاص (الجنسية، تنازع القوانين)، المكتبة القانونية العربية، (مصر، ٢٠١٢).
- ٢- د. احمد كاظم البهادلي، مفتاح الوصول الى علم الاصول، ج ١، ط ٢، دار المؤرخ العربي، (لبنان، ٢٠٠٨).
- ٣- د. حنان محمد القيسي، الوجيز في شرح قانون محافظات غير المنتظمة في اقليم رقم ٢١ لسنة ٢٠٠٨، (بغداد، ٢٠١١)، ([scholar. google.com/citations/](http://scholar.google.com/citations/)) (٢٢-٨-٢٠١٨).
- ٤- سعد مظلوم العبدلي، الانتخابات ضمانات حريتها و نزاهتها (دراسة مقارنة)، ط ١، دار دجلة، (الاردن، ٢٠٠٩).
- ٥- د. صالح جواد كاظم، د. علي غالب العاني، مطبعة دار الحكمة، (بغداد، ١٩٩١).
- ٦- صدام دحام طوكان، اختصاصات رئيس الوحدة الادارية الاقليمية في العراق، ط ١، (بغداد، ٢٠٠٩).
- ٧- د. صفى الرحمن المباركفوري، الاحزاب السياسية في الاسلام، ط ١، دار سبيل المؤمنين، (مصر، ٢٠١٢).

- ٨- د. طارق علي الربيعي، الاحزاب السياسية، (بغداد، ١٩٨٦).
- ٩- د. عباس العبودي، شرح احكام قانون الجنسية العراقية رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٦ و المواطن و مركز الاجانب، مكتبة السنهوري، (بيروت، ٢٠١٥).
- ١٠- د. عبدالكريم علوان، النظم السياسية و القانون الدستوري، ط ١، دار الثقافة للنشر و التوزيع، (الاردن، ٢٠١٠).
- ١١- د. عصام نعمة اسماعيل، النظم الانتخابية (دراسة مقارنة)، ط ٢، منشورات زين الحقوقية و الادبية، (لبنان، ٢٠٠٩).
- ١٢- د. علي احمد خليفة، القانون الانتخابي، منطلقات الحقوق و محددات المشاركة و تحديات التمثيل، ط ١، مكتبة زين الحقوقية و الادبية، (لبنان، ٢٠١٧).
- ١٣- د. علي مقلد، د. عصام نعمة اسماعيل، د. عبدو سعد، النظم الانتخابية (دراسة حول العلاقة بين النظام السياسي و النظام الانتخابي)، ط ١، منشورات الحلبي الحقوقية، (لبنان، ٢٠٠٥).
- ١٤- د. غالب علي الداودي، د. حسن الهداوي، ج ١، الجنسية و الوطن و مركز الاجانب، ط ١، مطبعة دار الحكمة، (بغداد، ١٩٨٨).
- ١٥- د. فلاح مطرود العبودي، طبيعة السلطة العامة و اثرها في المشاركة السياسية (دراسة مقارنة)، ط ١، مكتبة زين الحقوقية و الادبية، (لبنان، ٢٠١٥).
- ١٦- د. فؤاد ديب، القانون الدولي الخاص، منشورات المكتبة الافتراضية السورية، ٢٠١٨، <http://pedia.svuonline.org>، (٢٣-٨-٢٠١٨).
- ١٧- محمد رضا المظفر، اصول الفقه، ج ١ و ٢، ط ١، دار الغدير للطباعة، (ايران، ١٤٣٢ هجري).
- ١٨- د. نعيم كاظم جبر، احكام قانون انتخابات مجالس المحافظات و الاقضية و النواحي رقم ٣٦ لسنة ٢٠٠٨، مكتبة السنهوري، (بغداد، ٢٠٠٩).
- ١٩- د. وائل منذر البياتي، الإطار القانوني للإجراءات السابقة على انتخابات المجالس النيابية (دراسة مقارنة)، ط ١، المركز القومي للإصدارات القانونية، (مصر، ٢٠١٥).
- ٢٠- ياسين السيد طاهر الياسري، الوافي في شرح قانون الجنسية العراقية، ط ٤، شركة العاتك لصناعة الكتب، (القاهرة، ٢٠١١).

الاطاريح و الرسائل:

- ٢١- د. بن يحيى بشير، حرية تكوين الاحزاب السياسية في النظام الدستوري الجزائري و دورها في التجربة الديمقراطية الجزائرية، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق - جامعة الجزائر، ٢٠١٥.
- ٢٢- د. رائد حمدان عايب، التناول السلمي لمنصب رئاسة الدولة (دراسة مقارنة)، رسالة دكتوراه، مقدمة الى كلية القانون - جامعة بابل، ٢٠١١.
- ٢٣- مثنى محمد عبد، اثر الزواج المختلط على جنسية الزوجة (دراسة مقارنة)، رسالة ماجستير، كلية القانون - جامعة بابل، ٢٠٠٢.

البحوث:

- ٢٤- د.اياد مطشر صيهود، اكتساب الجنسية العراقية دراسة تحليلية في ضوء قانون الجنسية النافذ رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٦، مجلة جامعة كربلاء العلمية، العدد ١، المجلد السادس، ٢٠٠٨.
- ٢٥- د.المهدي الشيباني دغمان، الاحزاب السياسية (التفاته سوسيولوجية)، مجلة الجامعة، العدد السادس، المجلد الاول، شباط، ٢٠١٤.
- ٢٦- د.رعد مقداد، عدالة عبدالغني محمود، اعتبارات الطفولة في ثبوت و اكتساب الجنسية العراقية، مجلة جامعة تكريت للحقوق، العدد ٣، المجلد ٢، السنة ٢، ٢٠١٨.
- ٢٧- د.سعد ربيع عبدالجبار، م.رياض احمد عبدالغفور، م.ليث صلاح الدين حبيب، النظام القانوني للتابع دراسة مقارنة في قوانين الجنسية العراقية، مجلة جامعة تكريت للحقوق، العدد ٢٠، المجلد ٦، السنة ٨، ٢٠١٦.
- ٢٨- د.غني زغير عطية، د.ميسون طه حسين، قانون الاحزاب السياسية العراقي في ميزان الدستورية (دراسة تحليلية)، مجلة كلية الدراسات الانسانية الجامعة، العدد ٦، ٢٠١٦.
- ٢٩- د.فراس كريم شيعان، د.علي هادي حميدي، روافد محمد علي، اكتساب الجنسية في التشريع العراقي (دراسة مقارنة)، مجلة المحقق الحلي، العدد الثالث، السنة الثامنة، ٢٠١٦.
- ٣٠- ليث كمال ن صراوين، النظام القانوني للأحزاب السياسية في الاردن (دراسة مقارنة)، المجلة الدولية للقانون، مجلد ٢٠١٧، دار جامعة حمد بن خليفة للنشر.
- ٣١- د.محمد عباس محسن، حق اكتساب الجنسية الاصلية من الام في دستور العراق لسنة ٢٠٠٥ دراسة موازنة لأحكام التشريع و القضاء العراقيين، مجلة واسط للعلوم الانسانية، العدد السابع عشر، السنة ٢٠١١.
- ٣٢- د.ميثم حنظل شريف، التنظيم الدستوري و القانوني لشروط الترشيح في انتخابات المجالس النيابية، مجلة القانون المقارن، العدد ٤٦، عام ٢٠٠٧.

التشريعات:

- ٣٣- دستور العراق لعام ٢٠٠٥.
- ٣٤- القانون المدني العراقي رقم (٤٠) لسنة ١٩٥١.
- ٣٥- قانون الجنسية العراقي رقم ٢٦ لسنة ٢٠٠٦.
- ٣٦- قانون أحكام الترشيح لمنصب رئيس الجمهورية رقم ٨/٣١ لسنة ٢٠١٢.
- ٣٧- قانون أحكام اختيار نائب رئيس الجمهورية رقم (١) لسنة ٢٠١١.
- ٣٨- قانون المحافظات غير المنتظمة بإقليم رقم (٢١) لسنة ٢٠٠٨.
- ٣٩- قانون انتخابات مجالس المحافظات و الاقضية و النواحي رقم (٣٦) لسنة ٢٠٠٨.
- ٤٠- قانون انتخابات مجلس النواب رقم ٤٥ لسنة ٢٠١٣.
- ٤١- قانون الأحزاب السياسية العراقي رقم (٣٦) لسنة ٢٠١٥.
- ٤٢- النظام الداخلي لمجلس الوزراء رقم (٨) لسنة ٢٠١٤.

مساندة الصحافة العراقية

لثورة الأمير محمد عبد الكريم الخطابي ١٩٢١-١٩٢٧

*Iraqi press supports to the Revolution of prince
Muhammad Abudel Kareem Elkhatabi 1921-1927*

أ.م.د. صالح عباس ناصر الطائي^(١)

Assist. Prof. Dr. Salih Abbas Nasir Al-Tae

المستخلص

ان متابعة ما كتبه ال صحافة العراقية عن ثورة الأمير محمد عبد الكريم الخطابي في الريف المغربي، يقدم صورة متكاملة عن الثورة وقائدها، وعن التنظيمات العسكرية والسياسية لثورة الريف المغربي، والتعرف على طبيعة التحدي الاستعماري الاسباني والفرنسي لتلك الثورة وأهدافها، وهي أهداف استعمارية معروفة تلخص في القضاء على كل حركة وطنية تسعى إلى الحرية والاستقلال والوحدة في الوطن الواحد. انقسمت الصحافة في العراق آنذاك إلى قسمين صحافة وطنية وقومية كانت المساند الحقيقي لثورة الخطابي، وأخرى ناطقة باسم الحكومة أو تابعة لها لم تحرك ساكنا حول تلك الثورة. انفردت صحيفتنا الاستقلال والعالم العربي والمعروفان بخطهما الوطني والقومي في الدعوة والمساندة لثورة الخطابي من معركة انوال ١٩٢١ وحتى استسلامه عام ١٩٢٦. رغم أن باقي الصحف الوطنية في العراق كانت مساندة لثورة الخطابي ولكنها متفاوتة في نشر اخبار الثورة في جميع أعدادها.

Abstract

The follow-up to what the Iraqi press wrote about the revolution of Prince Mohamed Abdel-Karim Al-Khattabi in the Moroccan countryside provides an integrated picture of the revolution and its leader, the military and political

١- كلية الآداب / قسم الصحافة.

organizations of the Moroccan rural revolution, and the nature of the Spanish and French colonial challenge to that revolution and its objectives, and on every national movement seeking freedom, independence and unity in the same homeland.

The press in Iraq was then divided into two sections, national press that were the real backers of the revolution, and a government or subordinate press that did not move a finger about that revolution.

The two newspapers The Independent and the Arab World were known for their patriotic and nationalist line of advocacy and support for the rhetorical revolution from the Battle of Anoual 1921 to its surrender in 1926. Although the rest of the national newspapers in Iraq were supportive of the rhetorical revolution.

المقدمة

اهتمت الصحافة العراقية بثورة محمد عبد الكريم الخطابي، فكتبت عن مولده ونشأته وثقافته، ودراسته، ومؤهلاته الشخصية والقيادية، كما قدمت معلومات تفصيلية عن السياسة الاستعمارية الاسبانية والفرنسية تجاه المغرب العربي، ولم تقصص الصحافة العراقية على ذكر خطورة الاستعمارين الفرنسي والاسباني على بلاد المغرب، بل دعت إلى نصرة ثورة الزعيم محمد عبد الكريم مادياً ومعنوياً. جاءت أخبار ومقالات الصحافة العراقية عن ثورة الامير محمد عبد الكريم الخطابي ضد الاستعمارين الفرنسي والاسباني من عام ١٩٢١ وحتى ١٩٢٧ من خلال أعلام عراقية وعربية، وهي على العموم تعطي صورة واضحة عن الثورة وتؤرخ أحداثها بدقة. عالجت الصحافة العراقية ثورة محمد عبد الكريم الخطابي خاصة الوطنية منها والتي سيتناولها البحث في صفحاته القادمة.

مشكلة البحث:

هي لمعرفة كيف ساندت الصحافة العراقية ثورة محمد عبد الكريم الخطابي، في المغرب الأقصى؟ وهل أن جميع الصحف العراقية كانت على خط المساندة؟ وما نوع المساندة التي قدمتها تلك الصحف؟ هذا ما سيتناوله البحث في الصفحات القادمة.

أهداف البحث:

إن أهداف البحث هي ليطلع أبناء الجيل الجديد على ما قام به الآباء والاجداد في مساندة حركات وثورات التحرير التي قام بها أبناء الأمة العربية أين ما كانوا، ومساندة الصحافة الوطنية في العراق لتلك الحركات والثورات.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في تناوله لدور الصحافة العراقية في مساندة حركات التحرر في الوطن العربي من أقصاه إلى أقصاه، رغم عدم وجود البث الإذاعي والتلفاز في ذلك الزمان، وقلة بل وندرة عملية الاتصال إلا عن طريق الصحافة المقروءة.

الدراسات السابقة:

كُتبت العديد من الرسائل والاطاريح والبحوث والكتب حول ثورة الريف في المغرب العربي، بقيادة الأمير محمد عبد الكريم الخطابي ضد الاستعمارين الفرنسي والاسباني، إلا أن الباحث لم يصل على دراسة تناولت مساندة الصحافة الوطنية العراقية لتلك الثورة، لذلك سيتم تناولها في هذا البحث.

منهجية البحث:

قسم البحث إلى مقدمة مزدوجة وثلاثة مباحث وخاتمة، إذ تناول المبحث الأول: نشأة محمد عبد الكريم الخطابي من خلال صحيفة الاستقلال. أما المبحث الثاني فسلط الضوء على: الأمير محمد عبد الكريم الخطابي وإعلان الثورة في الصحافة العراقية.

والمبحث الثالث تحدث عن: ثورة الأمير محمد عبد الكريم الخطابي في الصحافة العراقية. أما المبحث الرابع فقد سلط الضوء على: مساندة الصحافة العراقية لثورة محمد عبد الكريم الخطابي. اعتمد الباحث على العديد من المصادر منها موسوعة الحروب والأزمات الإقليمية في القرن العشرين -أفريقيا- للمؤلف موسى مخول، وكذلك موسوعة حضارة العراق، الجزء الثالث عشر، وصحافة العراق لرفائيل بطي و روم لاندو، تاريخ المغرب في القرن الحديث وغيرها.

المبحث الأول: نشأة محمد عبد الكريم الخطابي من خلال صحيفة الاستقلال^(٢):

ذكرت جريدة الاستقلال أن ولادة الأمير محمد عبد الكريم الخطابي عام ١٨٨٢ في قرية أجدير في بني ورياغل، إحدى القبائل الرئيسية في إقليم الريف، وتعود أصوله إلى الحجاز، وقد استندت الصحيفة إلى قول الأمير: "نحن من العجير، ومنتسب إلى بني ورياغل، جاءت عائتي ونزلت على بني ورياغل في مراكش، المغرب، حوالي القرن الثالث من الهجرة... فوطني منذ أكثر من ألف سنة هو بقعة الأرض الممتدة بين جوف الحسيمة وتاركيست"^(٣).

٢- صحيفة سياسية أدبية اجتماعية تصدر في الاسبوع ٤ مرات، صدر العدد الاول منها في ١٨ حرم ١٣٣٩هـ، الاول من تشرين الاول ١٩٢٠، بأشراف محمد عبد الحسين الكاظمي وعبد الرزاق الحسيني. هاشم احمد نعيمش الزوبعي، صحافة النجف ١٩١٠-١٩٦٨، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٥، ص٦١؛ ابراهيم خليل احمد، الصحافة العراقية ١٩١٤-١٩٥٨، حضارة العراق، ج١٣، بغداد، ١٩٨٥، ص٢٢٧.
٣- صحيفة الاستقلال، في ٢٣ أيار، ١٩٢٧، ص٢.

تعلم على يد والده الفقيه عبد الكريم إذ أشار إلى ذلك بقوله: "قضيتنا طفولتنا مع شقيقي إسماعيل تحت سماء أجدير، وقد وقف والدنا نفسه على تثقيفنا وتربيتنا، يساعده في ذلك عمنا عبد السلام"^(٤). أكمل دراسته الابتدائية في مدينة تطوان ثم انتقل إلى مدارس مدينة فاس، بعدها دخل جامعة القرويين، ذكرت ذلك جريدة الاستقلال عنه قوله: "ومن تطوان إلى فاس حيث قضيت سنتين في إحدى مدارس فاس، وتلقيت العلوم المؤهلة لدخول جامعة القرويين الكبرى"^(٥).

عاد الأمير إلى مدينة فاس مرة ثانية بأمر من والده إذ أشار إلى ذلك بقوله: "كان والدي قد كلفني بمهمة سياسية، وكانت هذه المهمة بنظري مقتصرة على اطلاع المراجع العليا هناك على سياسة الريف إزاء مراكش وتيات أبنائه نحو سلطانه"^(٦).

عاد الأمير ما بين عامي ١٩٠٥-١٩٠٩ إلى جامعة القرويين، وأتصل بكبار الشخصيات المسؤولة في الدولة، ونجح في ربط الاتصال صال بين الدولة والحكومة المغربية، وتحديد موقف والده من الاستعمارين الفرنسي والاسباني^(٧).

عاش الأمير محمد عبد الكريم الخطابي الفترة العاصية التي مرّ بها الريف المغربي نتيجة للصراع بين الأخوين عبد العزيز بن الحسن الأول وعبد الحفيظ بن الحسن الأول بشأن العرش، حتى استلم عبد الحفيظ العرش بعد تأييد الشعب المغربي له من (١٩٠٩-١٩١٢) بعد أن تعهد بطرد النفوذ الأجنبي من البلاد^(٨).

عاش الأمير محمد عبد الكريم الخطابي في الفترة الممتدة من عام ١٩١٣ إلى عام ١٩١٩، قريباً من سلطات الاحتلال الاسباني، فتعلم وعرف الكثير من الأمور السياسية والإدارية والعسكرية^(٩). عين معلماً في مدينة مليلة عام ١٩١٣، كما عين مستشاراً في مكتب شؤون المغاربة في وزارة الخارجية الاسبانية لإتقانه اللغة الاسبانية والفرنسية^(١٠).

عرف الأمير كل نقاط القوة والضعف عند الاسبان، بسبب قربهم منهم. وعندما قرر والده عبد الكريم الخطابي قيادة الكفاح المسلح ضد الاسبان بعد توغلهم واحتلالهم لمدينة الريف المغربي ونقضهم لمعاهدة فاس ١٩١٢^(١١).

قام الأمير بجمع السلاح والأموال واعداد الرجال للقتال ضد الاسبان، مما أدى إلى القاء القبض عليه وسجنه سبعة أشهر، حاول الهروب لكنه لم يستطع، وبعد أن قضى مدة السجن أطلق سراحه^(١٢).

٤- المصدر نفسه.

٥- المصدر نفسه، ص ٣.

٦- المصدر نفسه.

٧- روم لاندو، تاريخ المغرب في القرن الحديث، ترجمة الدكتور نقولا زيادة، ج ١، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٠، ص ١٢٧.

٨- للمزيد من المعلومات حول الصراع بين عبد العزيز وعبد الحفيظ أولاد الحسن الأول، وعن نسبها الذي يرجع إلى الامام الحسن

بن علي بن ابي طالب (عليه السلام) - ينظر: روم لاندو، ج ١، ص ٢، ٣، المصدر السابق.

٩- جريدة الاستقلال، المصدر السابق.

١٠- المصدر نفسه.

١١- للمزيد من المعلومات حول اتفاقية فاس واسبابها ونتائجها ينظر: روم لاندو، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٠ وما بعدها.

١٢- المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٢.

استمر الأمير محمد عبد الكريم الخطابي في تحشيد الرأي العام المغربي ضد المحتلين الاسبان حتى أعلن الثورة في منتصف عام ١٩٢١، وأصبح رئيسًا لجمهورية الريف والتي أعلنها في التاسع عشر من أيلول ١٩٢١^(١٣).

ظهر مما سبق أن صحيفة الاستقلال نشرت كل ما يخص حياة الأمير الخطابي منذ الطفولة وإلى الدراسة، وكذلك بواكير العمل الجهادي مع والده، واعداد جيل مؤمن بالحرية والدفاع عن الوطن ضد الغزاة الاسبان، كذلك واكبت الصحافة الوطنية العراقية دوره في اعلان الثورة، ضد الاسبان والفرنسيين.

المبحث الثاني: الأمير محمد عبد الكريم الخطابي وإعلان الثورة في الصحافة العراقية:

كتبت الصحف العربية والعالمية ومنها العراقية الوطنية عن شخصية الأمير من خلال لقاءات مباشرة معه وغير مباشرة لمراسلي الصحف، فكتب الكثير عن صفاته وقدراته القيادية، وأسلوب ادارته للثورة بعد أن أصبح قائدها الأوحد.

اعلان الثورة في الصحافة العراقية:

قام المغاربة بعد استكمال استعداداتهم العسكرية، بأول عمل عسكري ضد الاسبان في معركة "أبران" في الأول من حزيران ١٩٢١، وكان انتصارًا ناجحًا ضد المستعمرين^(١٤).

كان الانتصار الثاني في معركة أنوال في الرابع والعشرين من تموز ١٩٢١، وخسر فيها الاسبان آلاف القتلى والجرحى، وتدمير مئات المعدات والمؤن^(١٥).

قام محمد عبد الكريم الخطابي بعد معركة أنوال ضد الاسبان بمحاولة لتحجيد الفرنسيين وعدم مساندتهم للإسبان ضد الثوار المغاربة، وذلك بإقامة علاقات مع الحزب الشيوعي الفرنسي، الذي دعا بالفعل إلى الاضراب العام في فرنسا من أجل مساندة ثورة الريف المغربي، وشارك الحزب الشيوعي كل من العمال الفرنسيين ورابطة الجمهوريين الفرنسيين للمحاربين القدماء. كل تلك الأسباب أدت إلى عزل الاسبان وتحقيق الانتصار عليهم^(١٦).

تابعت قوات الأمير فلول القوات الاسبانية المنهزمة نحو مدينة مليلية وحسب ما ذكرته صحيفة لسان العرب "انكسر الاسبان شرّ انكسار قرب مليلية على يد الثوار"^(١٧).

ذكرت صحيفة لسان العرب أن خسائر الاسبان هي فادحة قائلة: "أن القوات الاسبانية خسرت أيضًا ٢٩٥٤٠ بنديقة و ١٣٩٠ مدفعًا و ٣٩٢ مدفعًا رشاشًا، اغتنمهم جميعًا العرب"^(١٨).

١٣- روم لاندو، المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٢.

١٤- صحيفة دجلة، في ٣ آب، ١٩٢١، ص ٢. صدرت صحيفة دجلة في بغداد في ٢٥ حزيران ١٩٢١ واغلقت في ٢٦ تشرين أول، ١٩٢٢. للمزيد من المعلومات عن صحيفة دجلة ينظر: رفايل بطي، المصدر السابق، ص ٣٨.

١٥- صحيفة دجلة، المصدر السابق؛ موسى مخول، المصدر السابق، ص ١٩١.

١٦- موسى مخول، المصدر نفسه، ص ١٩١.

١٧- صحيفة لسان العرب، في ٢١ ايلول، ١٩٢١. صدرت صحيفة لسان العرب في بغداد يوم ٢٣ حزيران ١٩٢١، ثم توقفت عن الصدور في اذار ١٩٢٢، للمزيد من المعلومات ينظر: رفايل بطي، المصدر السابق، ص ٧٥.

١٨- صحيفة لسان العرب، في ٢٨ أيلول، ١٩٢١.

استمرت صحيفة لسان العرب في نشر الانته صارات التي حققتها قوات الأمير محمد عبد الكريم الخطابي، "وقع الجنرال نابارو الذ خلف سلفستري اسيراً مع ما تبقى من قواته في ايدي الريفين الذين احرقوا بأبواب مليلية مركز إدارتهم، ودار بين الطرفين قتال استبسل فيه الفريقان ودام ١٢ ساعة على أبواب المدينة، حتى أصبح موقف الاسبان حرجاً" (١٩).

وأضافت صحيفة لسان العرب قائلة: "كان بإمكان محمد عبد الكريم تحرير مدينة مليلية بكل سهولة، لكنه أثر عدم ذلك خوفاً على السكان المغاربة من الإبادة بأيدي القوات الاسبانية المحاصرة" (٢٠). اشارت صحيفة دجلة إلى حقيقة تاريخية عرفت فيما بعد أن ثورة الريف هي: "أول ثورة هناك بلغت هذه الدرجة من الشدة والخطورة" (٢١).

استمرت صحيفة دجلة في دعمها لثوار المغرب ونقل اخبارهم إلى أبناء الشعب العراقي، الذي كان يريد أن يسمع المزيد من اخبار انتصارات ثوار الريف المغربي، خاصة عندما أشارت إلى أن القوات الوطنية التي كان الاستعمار قد جندتها في جيشه انضمت إلى قوات الثوار فكتبت عن ذلك: "قد انضمت إلى الثوار بسلاحها وذخيرتها فأزداد بها الثوار عدداً من المدربين على المدفعية والفنون الحربية الذين كان لهم تأثير في الثورة" (٢٢).

اشارت صحيفة دجلة إلى انتصار الثوار في معركة انوال قائلة: "واصلت ثورة الريف عملياتها الحربية بعد معركة انوال، طيلة عام ١٩٢٢ وحتى نهاية عام ١٩٢٣، واستطاعت تحرير كامل إقليم الريف" (٢٣). حاولت اسبانيا الدخول في مفاوضات عام ١٩٢٣ مع حكومة الريف بإعطاء الريف استقلالاً ذاتياً، إلا أن إصرار الأمير محمد عبد الكريم الخطابي على طرد المستعمر الأجنبي من أرض المغرب العربي، وأشارت صحيفة العالم العربي على ذلك قائلة: "سنقاتل المحتل حتى الرمح الأخير، ان لم توافق اسبانيا على مفاوضة أساسها الاعتراف باستقلال الحكومة الريفية التي سلكت سبيل النظام وعرفت مالها وما عليها" (٢٤).

تفاخرت صحيفة مرآة العراق (٢٥) باستمرار عمليات التحرير طيلة عامي ١٩٢٣ و ١٩٢٤، وبنجاح القوات المغربية في معارك ضارية أجبرت الاسبان على التراجع إلى الساحل (٢٦).

وحول انسحاب القوات الاسبانية إلى الساحل المغربي، وما قامت به من جرائم ضد السكان، أدانت صحيفة الاستقلال الممارسات اللاإنسانية التي ارتكبتها القوات الاسبانية اثناء انسحابها أمام القوات المغربية، بحق الأهالي الأبرياء من سكان المغربي بقولها: "لقد اشتدت فظاعة الاسبان اثناء انسحابها أمام

١٩- المصدر نفسه؛ صحيفة دجلة، في ٢١ أيلول، ١٩٢١.

٢٠- صحيفة دجلة، في ٢١ أيلول، ١٩٢١.

٢١- المصدر نفسه.

٢٢- صحيفة دجلة، في ٢١ أيلول، ١٩٢١.

٢٣- المصدر نفسه، في ١٧ أيلول ١٩٢٣؛ صحيفة الاستقلال، في ١٧ أيلول ١٩٢٣.

٢٤- صحيفة العالم العربي، في ٦ و ٩ تموز، ١٩٢٤.

٢٥- صدرت صحيفة مرآة العراق في بغداد يوم ١٧ تشرين الثاني ١٩٢٤، وهي صحيفة أسبوعية، أدبية اقتصادية، أغلقتها الحكومة بعد صدور بضعة أعداد منها. للمزيد من المعلومات ينظر: رفائيل بطي، المصدر السابق، ص ٧٩.

٢٦- صحيفة مرآة العراق، المصدر السابق.

القوات الريفية، فأكثرها من إطلاق الغاز الخانق والمواد الملتهبة والقنابل المسمّية للبر، والساخنة للجلد على أبناء الريف المغربي، الذين لا يعملون سوى الذود عن أوطانهم^(٢٧).

ظهر مما سبق أن الصحافة الوطنية العراقية كانت تراقب عن كثب سير العمليات العسكرية بين المجاهدين المغاربة بقيادة الأمير محمد عبد الكريم الخطابي من جهة وبين القوات الاسبانية المحتلة من جهة ثانية حتى أن تلك الصحف قد تابعت عملية التحرير يوماً بيوم حتى تمكنت القوات المغاربة تحرير الأرض وطردها الأعداء إلى الساحل المغربي، تلك الصحف إما كانت ناطقة باسم الأحزاب الوطنية، وأما كانت مستقلة لكن انتماءها العربي ودينها الإسلامي كان هو الحافز الرئيسي لتلك الصحف في مساندة الصحف وتشجيع الجيش المغربي ضد أعدائه وأعداء الأمة الإسلامية.

المبحث الثالث: ثورة الأمير محمد عبد الكريم الخطابي ضد الاحتلالين الفرنسي والاسباني من خلال الصحافة العراقية

أولاً: الثورة ضد الاحتلال الفرنسي من خلال الصحافة العراقية

أثار انتصار الأمير محمد عبد الكريم الخطابي في معركة انوال ١٩٢١ على الاسبان، قلق سلطات الاحتلال الفرنسي في جنوب المغرب العربي، خاصة قلق المقيم الفرنسي في المغرب "ليوتي"^(٢٨)، فعبر عن ذلك بقوله: "لا بد أولاً من البقاء على الحذر دون أن يعني ذلك أن ننتظر حصول الأحداث"^(٢٩).

حذر ليوتي من خلال تقارير رفعها إلى باريس حكومته من قيام حكومة مغربية قوية مجاورة لمنطقة نفوذه في المغرب بعد الانتصارات الساحقة لقوات الأمير محمد عبد الكريم الخطابي الأخيرة، وعلى ذلك القلق الذي انتاب ليوتي علقت صحيفة الاستقلال بقولها: "نفخت الانتصارات الباهرة التي أحرزها الأمير محمد عبد الكريم الخطابي على الاسبان روحاً جديدة في صدور سكان شمال إفريقيا، وايقظت شعور الشمم والإباء الكامن في نفوسهم فتحركوا وتحفزوا، فلم يزلوا الأمور الفرنسية في المغرب بدءاً من النزول إلى الميدان"^(٣٠).

بدأ ليوتي بالاستعداد العسكري، كما قام باستعراض قواته العسكرية لإرهاب السكان. وفي أواخر عام ١٩٢٤ بدأت القوات الفرنسية بأنشاء التحصينات العسكرية ودفعت بالمزيد من قواتها إلى الجبهة الامامية الواجبة لقوات الأمير محمد عبد الكريم الخطابي، إلا أن الأمير استمر في سياسة عدم الاصطدام العسكري حتى يتمكن من سحق القوات الفرنسية قبل ان يتوجه إلى القوات الفرنسية^(٣١).

٢٧- صحيفة الاستقلال، ٢١ كانون الثاني، ١٩٢٥.

٢٨- للمزيد من المعلومات عن ليوتي. ينظر: روم لاندو، ج٣، المصدر السابق، ص ١٢٣.

٢٩- صحيفة العراق، في ١٧ أيلول، ١٩٢٥. صدرت صحيفة العراق في بغداد يوم ١ حزيران ١٩٢٠، تعرضت للتعتيل عام ١٩٣٢ ثم استأنفت الصدور عام ١٩٣٤. للمزيد ينظر: رفائيل بطي، المصدر السابق، ص ٤٨.

٣٠- صحيفة الاستقلال، في ١٦ آذار، ١٩٢٧.

٣١- المصدر نفسه.

قرر الأمير محمد عبد الكريم الخطابي في الثالث عشر من من نيسان ١٩٢٥ بشن هجوم واسع على طول الجبهة الجنوبية، وعلى طول (٣٠٠) كم حققت قواته انتصارات قوية ضد الفرنسيين، وكبدتهم خسائر فادحة في الأرواح والمعدات^(٣٢).

حاولت فرنسا بعد خسائرها امام الجيش المغربي ان تكسب المزيد من الوقت، فأدعت رغبتها في الصلح واجراء مفاوضات مع الأمير محمد عبد الكريم، إلا انها تلك المفاوضات باءت بالفشل نتيجة اصرار فرنسا على فرض الحماية على الريف المغربي، كما أرادت اسبانيا ذلك، وحول تلك المفاوضات قالت صحيفة العالم العربي: "أن مسألة عرض الصلح لم تكن إلاّ سخريّة مؤلمة"^(٣٣).

يمكن القول ومن خلال ما ذكرت الصحافة العراقية آنذاك ان الاستعمار الفرنسي عندما وجد نفسه خاسراً أمام القوات المجاهدة المغربية، قرر أنه أراد التفاوض مع الأمير الخطابي، وذلك لكسب الوقت من أجل الاستعداد الكامل لقواته للقتال ضد قوات الخطابي، وفعلاً تحقق له ذلك فيما بعد.

ثانياً: الاتفاق الفرنسي الاسباني ضد الأمير محمد عبد الكريم الخطابي.

عقد لقاء فرنسي اسباني منذ السابع عشر من حزيران ولغاية الخامس والعشرين من تموز ١٩٢٥، قرر العسكريون المهجوم في وقت واحد ومن الشمال والجنوب، وكان ذلك في السابع من أيلول ١٩٢٥، واشترك في ذلك المهجوم أكثر من (٢٨٠) ألف جندي و(١٢) طياراً امريكياً بقيادة الكولونيل سوبيتي، في حين لم يتجاوز الجيش المغربي عن (٦٠) ألف، وعن ذلك الهجوم كتبت صحيفة العالم العربي قائلة: "اخذ الأمير يفوز فوزاً يستوقف النظر، وقد عجزت الدولتان الحليفان عن سحقه بسرعة كما كانت تتوقعان، بل أن كثرته شلّت الهجوم الاسباني على أجدير، واقفت زحف الكتائب الزاحفة عليه، وهو الان مصمم على ان يستولي عنوة على تطوان"^(٣٤).

أما صحيفة العراق فقد اشارت جهودهم وانتصاراتهم على القوات الفرنسية في الجنوب فقالت: "وها ان جنود فرنسا المحاربة ترتد على اعقابها تجر وراءها أذيال الخزي والعار، تقرّ أمام ابطال المغرب فرار المعزى إذا شدّ عليها الذئب، هذا الصوت هو صوت الحق الذي صعقت سماعة أذان فرنسا واسبانيا"^(٣٥).

حشد الأمير محمد عبد الكريم الخطابي في بداية عام ١٩٢٦ وحسب ما ذكرته صحيفة نداء الشعبي^(٣٦) فقالت: "حشد جيشاً قواته عشرون ألفاً فهجم على مؤخرة الجيش الاسباني فيما قامت قوات مغربية أخرى بالهجوم على المواقع الفرنسية واعترفت القيادة الفرنسية بذلك مؤكدة صلابة الموقف العسكري للمغاربة وان جنود الريف تهاجم بكل قوة مناطق التواجد الفرنسي"^(٣٧).

٣٢- صحيفة العالم العربي، ٢٤ أيلول، ١٩٢٥.

٣٣- المصدر نفسه، في ١٦ آذار، ١٩٢٥.

٣٤- العالم العربي، ٢٤ أيلول، ١٩٢٥.

٣٥- صحيفة العراق، في ٤ تشرين الثاني، ١٩٢٥.

٣٦- نداء الشعب، صدرت في بغداد في يوم ٢٠ كانون الأول ١٩٢٦، واستمرت في الصدور حتى ٩ تموز ١٩٢٧، وكانت ذات اتجاه وطني ضد الاحتلال البريطاني. للمزيد ينظر: رفايل بطي، المصدر السابق، ص ٥٦.

٣٧- صحيفة نداء الشعب، في ٢١ آذار، ١٩٢٦.

اعلن الامير الخطابي الجهاد العام وأرسل رسلاً إلى جميع أبناء المغرب العربي لمساندته ضد المحتلين من الاسبان والفرنسيين، وفي شباط بدأت الاستعدادات العسكرية للهجوم على المحتلين^(٣٨).

شرع الأمير بهجوم كبير في جميع الساحات الحربية مستفيداً من رداءة الطقس وكان ذلك في شباط عام ١٩٢٦، وعندما لم تستطع القوات الفرنسية والاسبانية من القضاء على ثورة الخطابي، قرر المقيم الفرنسي ستيج أن طلب من حكومته ضرورة فتح باب المفاوضات مع الأمير الخطابي، واعداد خطة للقضاء عليه وعلى ثورته بدون قتال بحجة المفاوضات^(٣٩).

كانت فترة المفاوضات هي فرصة سانحة للطرفين الاسباني والفرنسي من أجل اكمال الاستعدادات العسكرية القوية والتي لا يستطيع الأمير من مواجهتها، وعندما رفض الأمير مبدأ الحماية، قررت القوات المعادية المهجوم عليه وعلى اتباعه.

ثالثاً: استسلام الأمير الخطابي في الصحافة العراقية.

بدأ الهجوم الفرنسي الاسباني في بداية شهر مايس ١٩٢٦، بجيش تعداده (٤٢٥,٠٠٠) ألف جندي مقابل بضعة الاف من مقاتلي الريف المغربي، بالإضافة إلى السلاح المتطور من بوارج حربية وطائرات، فحاصرت القوات المعادية. قوات الأمير الخطابي بعد ثلاث معارك قاتل فيها أبناء الريف بكل ما يملكون من قوة وإيمان، الا أن قوة الأعداء كانت أقوى قوة وأكثر عدداً مما أضطر الأمير الى اعلان استسلامه خوفاً على أبناء الريف المغربي من الابداء على يد الفرنسيين والاسبان، فكتبت صحيفة نداء الشعب تحت عنوان دمعه على الريف قالت: "اصطكت الركب واستولى الفرع والحزن على جميع أبناء العروبة ساعة نقل إليهم البرق تسليم البطل العربي الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي للفرنسيين بعد ان جالدهم جلاذاً يبيض صفحة العرب وأعاد إليهم مفاخرهم الوطنية"^(٤٠).

وأضافت الصحيفة واثنت على صمود الأمير الخطابي وبسالته ولم تر في استسلامه هزيمة، وانما كان ذلك تعبيراً عن الشعور بالمسؤولية الإنسانية فقالت: "وبقي يجاهد زحفاً غير قصير بصديق العقيدة وشرف النفس ويقاوم دولتين عسكريتين كبيرتين، فنكس غير مرة اعلامها ودحر جيوشها، ولكنه اضطر أخيراً وهو الأبى العيوق الى التسليم محاولاً بهذه الحركة حقن دماء عزيزة عليه بعد ان اعتقد إن إراقتها لا تثمر نفعا لبلاده ولا تزيدها إلا جراحاً"^(٤١).

المبحث الرابع: مساندة الصحافة العراقية لثورة محمد عبد الكريم

الخطابي.

حظيت ثورة الأمير محمد عبد الكريم الخطابي بتمجيد واضح والدعوة له صرّتها من قبل الصحافة العراقية، منذ بدايتها وحتى استسلام الأمير للفرنسيين. إنّ قيام ثورة الأمير الخطابي ضد الاحتلال الأجنبي كان مثاراً للفخر كما أشارت إلى ذلك صحيفة الاستقلال إذ قالت: "هناك على مقربة من جبل طارق

٣٨- المصدر نفسه.

٣٩- المصدر نفسه، في ٣١ أيار، ١٩٢٦.

٤٠- صحيفة نداء الشعب، في ٣١ مايس، ١٩٢٦.

٤١- صحيفة نداء الشعب، في ٣١ أيار، ١٩٢٦.

وقبور العرب المندسة شيت الحروب بين العرب والأسبان، وفي تلك الأنحاء النائية في أفريقيا العربية، قام محمد عبد الكريم البطل ومزق رايات الأسبان وشتت شمامهم بعزمه وشهامته...^(٤٢). كما كتبت صحيفة العالم العربي مقالاً جاء فيه: "يشهد التاريخ ووقائعها، أن العرب وقد طبعوا على الحرية، ونشأوا وارض الله ببيتهم والسماء الفسيحة سقفهم، لا ينقادون للاستعباد، وقد يتحملون الضيم فترة من الزمان ولكن لا يلبثون ان ينهضوا ويثبوا وثبة الليوث على خصومهم، فلا النار ولا الرصاص ولا القنابل ولا أي شيء كان يصد غاراتهم، ويأما أرخص الأرواح عندهم يوم الوغى"^(٤٣).

وعن الرفض القاطع للحماية الأسبانية والإصرار على مواجهة المستعمر، أشادت صحيفة الاستقلال بقول الأمير الخطابي: "أنا لا أرضى بإسبانيا حامية لي وأنا الشريف العزيز ذو الكيان السياسي المستقل الذي حاربت من اجله ومازلت أحارب وسأحارب حتى النفس الأخير..."^(٤٤).

كذبت صحيفة العالم العربي نقلاً عن الأمير الخطابي، الادعاء القائل بوجود ضباط أجنب يساعدون حكومة الريف في كفاحهم، فأشارت إلى حقيقة تاريخية معروفة بصحتها فقالت: "أنه لا صحة لوجود ضباط أجنب يدرّبون جيشنا ويقودونه، فضباطنا كلهم من الريف المغربي"^(٤٥)، كما نفت وجود أي علاقة بين بريطانيا والأمير الخطابي مستشهدة بقول (تشميرلن) رئيس الوزارة البريطانية آنذاك، الذي قال: "لا علاقة تربطنا مع الخطابي"^(٤٦).

انفردت صحيفتنا الاستقلال والعالم العربي المعروفتان بخططهما الوطني والقومي في الدعوة إلى نصرة ثورة الأمير الخطابي، وتبئية المغاربة والعرب والعالم الإسلامي إلى تلك الثورة ومخاطر التحديات الاستعمارية التي تواجهها، والعمل على مؤازرتها ودعمها، وفي هذا المجال نهت صحيفة العالم العربي قائد الثورة إلى مخاطر التعاون الدولي للقضاء على الثورة فقالت: "...فالمهمة التي تدعوه إليها طبيعة الموقف هي أن يكون سياسياً وعسكرياً في وقت واحد لكي يستطيع أن يستفيد من الحالة الدولية التي تحف به، كما يستفيد من الحالة العسكرية، وليس المأمول أن يدركه الفشل إلا إذا سها عن الحالة الدولية ولم يعمل تجاهها العمل اللازم في الوقت المناسب"^(٤٧).

أما صحيفة الاستقلال فكان لها الدور الريادي في مساندة ثورة الأمير الخطابي، فكانت تدعو الشعب العراقي والعلمين العربي والإسلامي إلى نصرة ثورة الخطابي، فقالت: "...ولا نخال أن قومًا أقرب وأحق لمساعدته نحن عرب العراق خاصة وسائر الأقطار العربية عامة... فلذلك يجب أن نساعد هذا البطل ونكافئه في هذه الظروف التي يسعى العرب لإعادة عزيمهم وسلطانهم،... أيها العرب النجباء ينادي هذا الزعيم... وبكم بعد الله يستغيث... أفلا نجيبه؟... فأجيبوه، وخذوا بناصره وشدوا أزره، فو الله أنه داعي الله في تلك الربوع"^(٤٨).

٤٢- صحيفة الاستقلال، في ٢٨ أيلول، ١٩٢٣.

٤٣- صحيفة العالم العربي، في ٦ أيلول، ١٩٢٤.

٤٤- صحيفة الاستقلال، في ١٦ نيسان، ١٩٢٥.

٤٥- صحيفة العالم العربي، في تشرين الثاني، ١٩٢٤.

٤٦- المصدر نفسه.

٤٧- صحيفة العالم العربي، في ٣٠ آذار، ١٩٢١.

٤٨- صحيفة الاستقلال، في ١٦ شباط، ١٩٢٣.

الخاتمة

إنَّ متابعة ما كتبت الصحافة العراقية عن ثورة الأمير محمد عبد الكريم الخطابي في الريف المغربي، يقدم صورة متكاملة عن الثورة وقائدها، وعن التنظيمات العسكرية والسياسية لثورة الريف المغربي، والتعرف على طبيعة التحدي الاستعماري الاسباني والفرنسي لتلك الثورة وأهدافها، وهي أهداف استعمارية معروفة تتلخص في القضاء على كل حركة وطنية تسعى إلى الحرية والاستقلال والوحدة في الوطن الواحد. انقسمت الصحافة في العراق آنذاك إلى قسمين صحافة وطنية وقومية كانت المساندة الحقيقي لثورة الخطابي، وأخرى ناطقة باسم الحكومة أو تابعة لها لم تحرك ساكناً حول تلك الثورة. انفردت صحيفتا الاستقلال والعالم العربي والمعروفتان بخطهما الوطني والقومي في الدعوة والمساندة لثورة الخطابي من معركة انوال ١٩٢١ وحتى استسلامه عام ١٩٢٦. رغم أن باقي الصحف الوطنية في العراق كانت مساندة لثورة الخطابي ولكنها متفاوتة في نشر اخبار الثورة في جميع أعدادها.

المصادر والمراجع

أولاً: الصحف:

١. صحيفة الاستقلال: في اعدادها: ١٦ شباط ١٩٢٣
١٧ ايلول ١٩٢٣
٢٨ أيلول ١٩٢٣
٢١ كانون الثاني ١٩٢٥
١٦ نيسان ١٩٢٥
١٦ اذار ١٩٢٧
٢٣ أيار ١٩٢٧
٢. صحيفة دجلة، في اعدادها: ٣ آب، ١٩٢١
٢١ أيلول ١٩٢١
٢٦ تشرين اول ١٩٢٢
٣. صحيفة العالم العربي، في اعدادها: ٣٠ آذار، ١٩٢١.
٦ و ٩ تموز، ١٩٢٤.
٦ أيلول، ١٩٢٤.
٢٤ أيلول، ١٩٢٥.
٤. صحيفة العراق، في اعدادها: ١٧ أيلول، ١٩٢٥.
٤ تشرين الثاني ١٩٢٥.
٥. صحيفة لسان العرب، في اعدادها: ٢١ ايلول، ١٩٢١.
٢٨ أيلول، ١٩٢١.
٦. صحيفة مرآة العراق: ١٧ تشرين الثاني ١٩٢٤.

٧. صحيفة نداء الشعب: في اعدادها: ٢٠ كانون الأول ١٩٢٦.
٢١ اذار، ١٩٢٦.
٣١ ايار، ١٩٢٦.
٣١ مايس ١٩٢٦.

ثانياً: الرسائل الجامعية:

١. هاشم احمد نعيمش الزوبعي، صحافة النجف ١٩١٠-١٩٦٨، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٥.

ثالثاً: المصادر:

١. ابراهيم خليل احمد، الصحافة العراقية ١٩١٤-١٩٥٨، حضارة العراق، بغداد، ١٩٨٥.
٢. رفائيل بطي، بغداد، ١٩٨٥.
٣. روم لاندو، تاريخ المغرب في القرن الحديث، ترجمة الدكتور نقولا زياده، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٠.

أثر العلوم الإنسانية في قراءة محمد أركون للتراث الإسلامي

The Effect of Humanities in the Reading of Mohammad Erkon of Islamic Heritage

Lect. Hussain Hadi

م.د حسين هادي^(١)

الملخص

إنَّ أركون ليس مفكراً حيادياً ولا كلاسيكياً أي تلفيقياً أو توقيفياً، وإنما باحث متعدد المنهجيات لم يقف على أرضية واحدة، بل يمسك بالأطروحات الفكرية الغربية بشكل واسع، يسمح له بالانتقال بين موضوعاته بسهولة. لذلك شكّل أركون ظاهرة في الفكر العربي الإسلامي. وتعود هذه الظاهرة إلى قوة ومثانة الأدوات المعرفية التي يستعملها في التحليل والنقد فتميزت كتاباته بقوة إطلاعه على المنهجيات الحديثة، مع سعة مناقشة لها، وطرحه لرؤى جديدة لم يكن معمولاً بها سابقاً، كاشفاً عن اللافكر فيه من القضايا المدفونة في أعماق الماضي.

Abstract

Arkoun is not an impartial nor a classical thinker, i.e, not asyncretist nor conciliatory. He is a researcher with various methodologies, he does not stand on one ground, but rather holds different western intellectual theses, that he can easily switch between them.

Arkoun is considered a phenomenon in the Islamic and Arabic world. This is due to his powerful tools in analysis and criticism. His writings reveal his wide readings and they unveil what is not thought of in the past issues.

١ - جامعة بغداد - كلية الآداب.

في الوقت المعاصر طغت العلوم الإنسانية على حقول المعرفة وأخذت الفلسفة بالتخلي عن مكانتها القديمة بسبب الهالة التي أحدثتها هذه العلوم، مما جعل المشتغلين بالفلسفة يأخذون من هذه العلوم من دون قيد أو شرط كل حسب موضوعاته.

وبمعنى آخر، فإنَّ طرح السؤال الفلسفي لا يمكننا معرفة ماهيته إلا من خلال المواجهة مع التاريخ المعرفي، ومن الممكن بطريقة ما رؤية المواجهة برومتها كنوع من رجوع الصدى بين الفلسفة والعلوم الإنسانية، إذ ارتبطت الأولى بهيمنة لث صور كلي وشامل للمعرفة، وانتهت الثانية بانفصال هذا الكل المتراكم إلى أجزاء، عندما انفصلت هذه العلوم عن الفلسفة، أخذت هذه العلوم بالاستقلال وإنشاء مفاهيمها ومصطلحاتها الخاصة بها، امتثلت الفلسفة للطرح الجديد من خلالها بشكل مباشر أو من العلوم الإنسانية المنفصلة عنها، تعرضت للنقد وأصبحت تمثل مرحلة سابقة للمعرفة كما هو الحال عند أوغست كونت، أو بؤس الفلسفة عند كارل ماركس، هذا ما جعل الفلسفة المعاصرة ليس في الفلسفة من شيء سوى أنها تتغذى على العلوم الإنسانية، وتطرح أسئلة كبرى على الثقافة المنتمية إليها مما كوّن طرح مفاهيمي منظم كما يحلو لجيل دولوز أن يطلق على الفلسفة بأنها: نتاج وصياغة المفاهيم. وضمن هذا المنطق للعلوم الإنسانية تتدرج الأعمال التي قدّمها المفكر محمد أركون، فكل أبحاثه ما هي إلا قراءة نقدية للعقل الإسلامي على ضوء العلوم الإنسانية الحديثة من أجل تفسير جذري وجديد للتراث، وقد اعتمد أركون في دراساته التي استقها من منهجيات العلوم الإنسانية بكافة اتجاهاتها من كبار المفكرين الغربيين أمثال: جاك دريدا، ميشيل فوكو، غادامير، جاك غودي، جومسكي، هابرماس، غريماش، آلان تورين، بول ريكور، بورديو، كاسترياديس وغيرهم، وبذلك أراد أركون إدخال العلوم الإنسانية إلى الثقافة العربية من أجل فتح باب المواجهة العميقة بين التراث والحداثة، والأصالة والمعاصرة، ولا يعني بذلك إن أركون يستسلم للحداثة ويرفض من التراث كل شيء، وإنما حاول نقد العقل الإسلامي بتحرير العقل بوساطة النقد المستمر بذاته من أجل تنشيط العقل وبيان أصوله التي احتوت التراث والثقافة، فالأصول ما هي إلا ركائز العقل الذي يسعى أركون إلى تفكيكه بوساطة منهجيات العلوم الإنسانية النقدية.

لذا نرى أن أركون ليس مفكراً حيادياً ولا كلاسيكياً أي تليفياً أو توفيقياً، وإنما باحث متعدد المنهجيات لم يقف على أرضية واحدة، بل يمسك بالأطروحات الفكرية الغربية بشكل واسع، يسمح له بالانتقال بين موضوعاته بسهولة. لذلك شكّل أركون ظاهرة في الفكر العربي الإسلامي. وتعود هذه الظاهرة إلى قوة ومتانة الأدوات المعرفية التي يستعملها في التحليل والنقد فتميزت كتاباته بقوة إطلاعه على المنهجيات الحديثة، مع سعة مناقشة لها، وطرحه لرؤى جديدة لم يكن معمولاً بها سابقاً، كاشفاً عن اللامفكر فيه من القضايا المدفونة في أعماق الماضي.

فالمشروع الأركوني متنوع ومفتوح، مما أطلق تساؤلات عدّة جعلتها تأخذ ثلاثة أبعاد بحسب نظرنا

وهي:

١- البعد الإجرائي (المنهج، الآليات).

٢- البعد النظري (الرؤية، المفاهيم).

ونحن بدورنا سنعمل جاهدين الخوض في البُعدين الأول والثاني، أما البُعد التطبيقي (الثالث)، سنؤجل البحث فيه.

البُعد الأول(المنهج): أركون والعلوم الإنسانية:

تأثر أركون كثيراً بالعلوم الإنسانية، فهو يقول: "لم يؤثر عليّ أي مفكر بعينه، بمعنى أنه لا يوجد مفكر واحد فقط يؤثر على مساري الفكري ويوجهني ويسيطر عليّ، أن بعضهم سيطر عليه ماركس، والبعض الآخر نيتشه والبعض الآخر فرويد(....) والبعض الآخر هيجل أو كانط... الخ أما أنا فلم أتأثر بالأشخاص بقدر ما تأثرت بالعلوم والمنهجيات"^(٢). ويقصد محمد أركون من هذا النص بيان مدى تأثره بالعلوم الإنسانية، فهي التي حددت مساره الفكري، وأن فهم أركون يستدعي استيعاب مكونات الخطاب الأركوني ومقارنتها مع العلوم الإنسانية التي استقصى منهجيته لقراءة التراث، من أجل توضيح مباني تلك القواعد والمنهجيات وتطبيقاتها.

وإذا كان أركون قد أشار من خلال مترجمه هاشم صالح إلى عشرات المصادر والأعلام والمناهج، لكن تبقى هنالك علامات مميزة في التطبيق لهذه المناهج. فالذي يقرأ أركون يطلع على عروض دقيقة لمختلف مفاتيح المعرفة في كل المبادئ والحقول مثل: اللامفكر، نظام الفكر، القطيعة، الابستمولوجيا، الخيال الاجتماعي، الرأسمال الرمزي... الخ، لذا يتطلب منا إحداث موازنات موجزة بين تلك المفاهيم والمنهجيات للعلوم الإنسانية وبين استعمال أركون لها.

أولاً: (مفهوم الخيال): أركون بين كاستر ياديس وجيلبير دوران:

تعود نشأة مفهوم الخيال في الدراسات الحديثة لكاستر ياديس اجتماعياً، وجيلبير دوران انثروبولوجياً، فقد سبق هذان الفيلسوفان دراسات سارتر في التخيل والخيال، وإذا ذهنياً أبعد من ذلك، فسوف نرى كانط الذي جعل للخيال تأثيراً مهماً، فالخيال عنده هو الذي يعطي القوة لمقولة الفهم وربطها بالعالم الخارجي.

فقد استعار أركون مفهوم الخيال الاجتماعي من كاستر ياديس الذي يعد الخيال جذراً لكل إنسانية وهو منبع لا ينضب للتجديد، فالإنسان في نظر كاستر ياديس ما هو إلا كائن متخيل^(٣). فالمتخيل لا يمثل حالة فردية، بل هو أن المتخيل عنده اجتماعي يقول: "إن متخيل الأمة هذا يتبدى من كل مكان أكثر صلابة من كل الحقائق الواقعية"^(٤).

ولا يفتقر صر في تحليل ياديس للمخيل على الثقافات الحديثة والمعاصرة؛ لأنَّ العالم الحديث لا يقل ارتباطاً بالمتخيل عن أية ثقافة قديمة أو تاريخية^(٥)؛ لأنَّ المتخيل لثقافة يمثل رؤيتها لهذه الثقافة، فحين نصف بالمتخيل ضمن ثقافة قديمة أو ثقافة أخرى فإنه يمثل رؤيتها للعالم، فالمتخيل هو وسيط بين الثقافة

٢- أركون، محمد، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، دار الساقى، بيروت، ط/٢، ١٩٩٨، ص ٢٥٣.

٣- يُنظر: التقديم الذي وضعه المترجم ماهر الشريف لكتاب كوستر ياديس، تأسيس المجتمع تخيلاً، دار المدي، دمشق، ص.

٤- المصدر نفسه، ص ٢٠٨.

٥- المصدر نفسه، ص ٢١٨.

والواقع، وبحسب ياديس لكل مجتمع دلالات متخيلة تحمل طابع ثقافي تمثل رؤيتها للعالم والتفكير والتصرف والعيش فيه^(٦).

أما أركون فقد أستلهم الدرس السيوسولوجي للمخيل وقد طبقه على الفكر الإسلامي القديم والمعاصر، يقول أركون: "ولكي أعطي فكرة سريعة عنه سوف أقول أن متخيل فرد ما أو فئة اجتماعية ما أو أمة ما هو إلا مجمل التصورات المنقولة بواسطة الثقافة. وكانت هذه الثقافة معمة شعبياً في الماضي بواسطة الملاحم والشعر والخطاب الديني، وهي اليوم معمة شعبياً بواسطة وسائل الإعلام أولاً (تليفون، راديو، صحافة مكتوبة) ثم بواسطة المدرسة... يمكن القول أن لكل فرد ولكل مجتمع متخيله الخاص المرتبط باللغة المشتركة، فالمتخيل مجموعة التصورات المشتركة لدى شعب ما أو فئة اجتماعية ما تجاه فئة أخرى أو شعب آخر"^(٧).

فالمخيل سمات مكونة للاجتماعي الذي يستقر فيه التاريخي والذي يمكن النظر إليه من خلال هذه الزاوية^(٨)، وهو السبب الذي دفع أركون للتحدث عن كيفية التولد الخيالي للمجتمعات البشرية، لا يكفي أركون بالمخيل الاجتماعي فحسب، بل يرى أن هناك المتخيل الديني أيضاً والذي يمثل مجمل العقائد المفروضة والمطلوب إدراكها وتأملها بل وعيشها وكأنها حقيقة لا تقبل أي نقاش أو تدخل للعقل النقدي المستقل، وعلى خلاف ذلك يصح العقل مصدراً للزندقة والانحراف والضلال، إذ لم يقبل بأن يصبح كلياً الخادم المطيع للمتخيل الديني^(٩).

أما جيلبير دوران فيؤكد دور المتخيل وثناء المخيلة الرمزية واستمرار وظائفها منذ البدايات إلى الآن، فيقول في كتابه: البنى الانثروبولوجية للمخيل "للفكر الغربي بشكل عام والفلسفة الفرنسية على وجه الخصوص تقليد ثابت هو التقليل من الأهمية لأنطولوجية للصورة الذهنية والأهمية للصورة الذهنية والأهمية النفسية لدور الخيال الذي هو مصدر الخطأ والتزييف بحسب القول الشائع (...). أو خطيئة ضد التفكير أو طفولة الإدراك"^(١٠).

وكما يرى دوران أن الثقافة الغربية بعقلانياتها أقصت أهم ما يجسد إنسانية الإنسان بل وما يشكل النظام العام لهذه العقلانية نفسها إلا ما هو متخيل، وهو الذي يعكس تفاعلات الإنسان في محيطه، وهذه الصورة التي يرسمها دوران للفكر الغربي نراها مقاربة لما عند أركون عندما ينظر إلى الفكر الإسلامي، فيرى أن مفهوم المخيل أكثر غياباً، ليس التصور الذي قدّمه المسلمون والمستشرقون معاً، عندما راحوا يعتقدون أن عمليات الانبهار والزخرفة والمجاز الخلاب هي أشياء مقيمة صورة على الأدب والشعر، لكن إصرار أركون أن التنافس بين العقل والخيال شيء موجود في كل الثقافات البشرية^(١١).

٦- المصدر نفسه، ص ٢٢٥.

٧- محمد أركون، الفكر الإسلامي، نقد واجتهاد، ص ٤٠.

٨- يُنظر: محمد أركون، الفكر الأصولي، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، دار الساقي، ١٩٩٩، ص ٣٤٨.

٩- محمد أركون، الإسلام الأخلاق والسياسة، ترجمة: هاشم صالح، دار النهضة العربية، مركز الإنماء القومي، بيروت، ٢٠٠٧، ص ١٠.

١٠- جيلبير دوران، الانثروبولوجيا رموزها، أساطيرها، أنساقها، ترجمة: مصباح الصمد، بيروت، المؤسسة العربية، بيروت، ط ١/، ١٩٩٢، ص ١٢.

١١- محمد أركون، الإسلام وعلم السياسة، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد ٤٧ سنة ١٩٨٧، ص ١٧.

إذا كان أركون سعى من أجل تفكيك التاريخ وأثر الأساطير العالق فيه وقد تكون محتفية في النص التاريخي، فلا يمكن الوصول إليها إلا ببيان الذهنية المنتجة للخيال. فخطاب التخيل واللغة المتخيلة الرمزية والقول بالامتداد الزمني للأسطورة، كل هذا يستدعي طرح موقع التاريخ، فهو حجر الأساس في تبني أركون مفهوم الخيال هو ضرورة الانفتاح المنهجي على جميع الصور الذهنية كالأسطورة والخيال والشعر والوحي وضرورة استمرارها في العمل التاريخي^(١٢).

ثانياً: سلطة القارئ وجماليات التلقي عند (ياوس)

يعطي أركون للقارئ دوراً في فهم النص عبر التاريخ، وإنَّ هنالك علاقة تربط القارئ بالنص؛ لأنَّ القارئ لا يأتي إلى النص إلا وهو محمل بفهم معين، وهذا ما يؤكد أركون عندما يقول: "أصبحنا قادرين بفضل علماء الألسنيات والنقد الأدبي، على أن نميز بين المعنى الحرفي الملاصق لخطاب ما، وبين آثار المعاني المتولدة عن قراءته لدى القراء، فقد يفهم القراء إيجاءات وأشياء في النص لم يكن قصدها المؤلف ولم يفكر بها، فالقراءة تخلق النص أيضاً"^(١٣).

ويبني أركون مفهوم التلقي (القراءة) وهو مكمل لمفهوم التاريخية الذي يستعمله ولا يتوانى بأن يذكر تأثره بمدرسة كونستانس، ولا سيما ياوس في كتابه (جمالية التلقي)^(١٤)، ولكن على الرغم من اختلاف فهم مدرسة كونستانس الألمانية للتلقي عن توظيف أركون لمفاهيم التلقي، فقد نشأت مدرسة النقد الألمانية في نقد كيفية تلقي النص الأدبي من قبل القراء الذين ينتمون إلى مختلف فئات المجتمع أو طبقاته، أما أركون فيرى أن "من الممكن لهذه المنهجية أن تطبق على النصوص الدينية التي تقرأ في كل الأوساط الاجتماعية الثقافية، وعندئذٍ نعرف كيف تتلقى هذه الأوساط وكيف نفهمها، وما الفرق بين فهم هذه الفئة أو تلك"^(١٥).

تعود هذه المدرسة للأصول التأويلية الألمانية ولا سيما هوسرل وغادامير، فهو سرل يرى قراءة النص فعلاً قصدياً يدفع القارئ للبحث عن المعنى الذي لا يتحقق إلا بتكوين علاقة وشيجة مع النص حتى يحصل الفهم، أما الفهم عند غادامير "فهو يقضي استعداداً للتعبير عن شيء للنص وانطلاقاً منه (....) فهي تستلزم بالأحرى المطابقة ومقاصد النص، والكشف عن آراء القارئ (..) ينبغي أن ينتبه القارئ إلى تمييزه حتى يتمكن النص من الظهور"^(١٦).

١٢- عبد الله عبد اللاوي، التاريخ والاختلاف عند محمد أركون، الميخال ضد العقل، ضمن الفلسفة في الوطن العربي في مائة عام، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٢، ص ٥٣.

١٣- محمد أركون، الإسلام أوروبا الغرب، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقى، بيروت، سنة ١٩٩٣، ص ٢٦.

١٤- محمد أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقى، بيروت، ط ١/ ١٩٩٧، ص ٣٦، وأيضاً أركون، الإسلام أوروبا الغرب، ص ٢٦.

١٥- محمد أركون، الإسلام أوروبا الغرب، ص ٢٦.

١٦- غادامير، هانس غيورغ، فلسفة التأويل، ترجمة: محمد شوقي الزين، منشورات الاختلاف، بيروت، ٢٠٠٦، ص ١٢٤-

ثالثاً: إشكالية التاريخ ونظام الفكر: أركون وفوكو

كان فوكو قد أحدث ثورة منهجية في كتابة التاريخ المعرفي وبين الاختلاف بين تاريخ الأفكار (التقليدي) و (التاريخ الحضري أو الجديد)، يرى فوكو أن التاريخ التقليدي يسعى إلى أن يجعل من نصب الماضي وأثرياته (ذاكراته) ويجولها إلى وثائق وبحث تلك الآثار على التكلم، تلك الآثار التي غالباً ما تكون خرساء في حد ذاتها، أما اليوم فإن التاريخ هو ما يحول الوثائق إلى نصب أثرية ويعرض كمية من العناصر التي ينبغي عزلها والجمع بينها وإبرازها والربط بينها وحصرها في مجموعات^(١٧)، وعلى غرار فوكو ينتقد أركون التصور السائد للتاريخ فينظر إلى التواريخ الرسمية للمدارس والجامعات وهي التي تبني التصور الخطي المستقيم لحركة التاريخ يعني أن التاريخ ينطلق من أصل معين أو نقطة بداية في أذهاننا وعقولنا عن مسيرة التاريخ (...). وإذا كان هذا التصور هو السائد، فإننا لا نستطيع أن نستوعب القطيعة التي تحصل في مجرى التاريخ أو القطيعة التي تقوم بها من حين لآخر عندما يحتفظ بأحداث معينة ويحدث ما عداها^(١٨). وعلى خلاف هذه الرؤية للتاريخ، فإن تاريخ الأفكار لا يهتم سوى بالبدايات أو النهايات، وبإعادة إنشاء التطورات الخطية المتعاقبة للتاريخ^(١٩).

وتأسيساً للمنهج الحفري، فقد انشغل في وضع مفهوم النظام المعرفي (الابستمية)، والذي يعني به: مجمل المسلّمات الضمنية التي تتحكم بكل الإنتاج الفكري في مدة معينة من دون أن يظهر على السطح، أو تلك الرؤية للعالم في مدة زمنية محددة^(٢٠). وقد استعمل أركون هذا المصطلح لتحقيق الفكر العربي الإسلامي ابستمولوجياً أي عميقاً، كما أنه (أركون) في الحوار الذي أجراه معه هاشم صالح أخذ يتحدث عن الفضاء العقلي الفروسطي الذي يشمل عالم المسيحية والإسلام معاً طوال القرون الوسطى التي انتهت في الغرب ولم تنته عندها. يقصد أركون بذلك بالمعطيات التاريخية للأشياء المتعلقة أحداثاً علمية وأحداثاً فكرية جرت في لحظة معينة من لحظات التاريخ، ثم خلقت فضاءات جديدة سوف يشغل داخلها ويصل العقل ويجول^(٢١). عندما يتحدث أركون واصفاً منهجيته، نراه يفسر مفهوم النظام المعرفي (الابستمية)، يقول: "فعندما أقرأ كتاباً في علم الفقه والكلام، فيلني أسئلة فوراً عن العلاقات الكائنة بين الفكر اللاهوتي للمؤلف وبين التصورات والمفاهيم اللغوية السائدة في عصره، أنا أطرح هذا السؤال: ماذا تعني اللغة بالنسبة له؟ ثم انتقل بعدئذٍ إلى مرحلة ثانية لكي أرى ما هي تصورات هذا المؤلف في ما يخص علم البلاغة، ماذا تعني البلاغة بالنسبة له؟ ماذا كانت صورته للمجاز مثلاً؟ ونحن نعلم أنه أحد أدوات البلاغة الشهيرة، ماذا كانت صورته للمجال المستخدم في اللغة اللاهوتية؟ هل كان ينظر إليه بصفته مجازاً أم بصيغة حقيقة؟ هذا تساؤل حاسم في ما يخص تقييمنا له وتحديدنا لنوعية نظام الفكر الذي ينتمي إليه، هل هو نظام فكر حديث أم نظام فكر قروسطي... كما وأسئلة عن ماهية صورته لعلم التاريخ:

١٧- ميشيل فوكو، حفرات المعرفة، ترجمة: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط١/، ١٩٨٦، ص ٩.

١٨- محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، ترجمة: هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت، ط١/، ١٩٩٨، ص ٩٤.

١٩- ميشيل فوكو، حفرات المعرفة، مصدر سابق، ص ١٢٦.

٢٠- هاشم صالح، الترجمة والعلوم الإنسانية في كتاب محمد أركون، أين هو الفكر الإسلامي، دار الساق، بيروت، ١٩٩٣، ص ١.

٢١- محمد أركون، الفكر الإسلامي، نقد واجتهاد، ص ٢٣٨.

كيف كان يكتب التاريخ مثلاً؟ فمن المعروف أن المؤلف في ذلك العصر كان فقيهاً ولغوياً ومؤرخاً ومحدثاً ومفسراً... الخ كيف كان يتصور معرفة الماضي أو الطريقة المتبعة لمعرفة الماضي؟ باختصار فإني أنظر إلى مجمل العلوم والمعارف التي كانت شائعة في زمنه، وليس إلى علم واحد فقط (كعلم الفقه مثلاً) مما الأمر يتعلق هنا بالفقيه)، ولا أنا أنظر إلى جميع العلوم ثم أعيد تركيب نظام الفكر الذي ساد في زمنه وبالشكل الذي يمكنني من موضعه عمله اللاهوتي أبستمولوجياً^(٢٢)، وهذا ما يطلق عليه فوكو التشكيلية الخطابية التي تسمح بظهور علم معين في مدة ثقافية معينة^(٢٣).

كما أن فوكو لجأ في كتابة الكلمات والأشياء لتحقيب الثقافة الغربية درس العلوم الإنسانية انطلاقاً من الشبكة المفهومية للمعارف التي تشرط في إمكانية تشكيلها، والكائنات الطبيعية والتبادلات للكشف عن المنظومات التي أفرزتها علوماً مترابطة^(٢٤)، أن فوكو عندما درس تاريخ الفكر الغربي بوساطة اللغة والعلامة وفق أبستميمية معينة لكل عصر انطلاقاً من القرن السادس عشر الذي كَوّن (أبستميمية) التشابه وهي المقولة المركزية في نظام المعرفة الغربية، فإنَّ الفكر يقوم على مبدأ التطابق والتشابه مع العلاقة والكلمات هي الأشياء، والأشياء هي الكلمات بحيث تصبح الحقيقة انكشافاً لطبيعة الأشياء من حيث تماثلها، أما القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر (أبستميمية التمثيل) فلم تعد المعرفة تتحرك داخل فضاء التشابه وساد بدلاً عنه مبدأ (النظام) وبدأت تنفصل اللغة عن الأشياء وظهر الإنسان بكل منتوجاته مادة للمعرفة وانتقل الفكر في القرن التاسع عشر ليحدث قطيعة كاملة في نظام المعرفة الغربية^(٢٥).

وتأسيساً على فوكو يطرح أركون تساؤلاً مع عدم إشارته إليه [فوكو] ما هي العلاقات التي يتعاطاها العقل مع العلاقة الدلالية؟ وبهذا السؤال يذهب أركون بعيداً، إذ إنَّ هذا السؤال ينطبق على كل الثقافات وعلى كل المستويات الثقافية، ولم يقتصر على ثقافة واحدة، لكن أركون عندما ينظر إلى الفكر الإسلامي الكلاسيكي والمعاصر يراه ينتمي إلى أبستميمية فضاء القرون الوسطى من خلال العلاقة أو العلاقات التي يتعاطاها العقل مع العلامة والتي بموجبها يكون بإمكاننا أن نحدد نوعية العقلانية المستعملة في كل عملية معرفية، وإذا كانت العلامة اللغوية منخرطة في خطاب ديني يقدم نفسه على أنه كلام الله، فتصبح عقلانية مشروطة من قبل إكراهات الخيال والمتخيل التي تحتزنه وتهمين عليه^(٢٦).

لذا ظلَّ نظام الفكر (الأبستميمي) يتراوح مع كل الأدبيات التاريخية التي توجهها الرؤيا الإسلامية، وتسيطر عليها ولم يطرأ أي تغير على هذا الأبستميمي من مرحلة السرد والإخبار على طريقة الطبري إلى مرحلة العقلية نفسها ومبادئ الإدراك والتأويل نفسها.

لم يكتفِ أركون بنقده الفكر الإسلامي الكلاسيكي والمعاصر، فقد طال أيضاً المنهج الإستشراقي، وهو ما دفع بأركون أن يبتعد عن دائرة تاريخ الفكر الخطي الذي سار عليه المنهج الإشرقي؛ لأنَّ التقسيم

٢٢- محمد أركون، الفكر الإسلامي، نقد واجتهاد، ص ٢٣٩.

٢٣- يُنظر: ميشيل فوكو، حفرات المعرفة، ص ١٦٤.

٢٤- يُنظر: السيد ولد أباه، التاريخ والحقيقة عند ميشيل فوكو، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط/٢، ٢٠٠٤، ص ١٢٥-١٢٦.

٢٥- يُنظر: المصدر نفسه، ص ١٢٦، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٢.

٢٦- محمد أركون، من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، ط/٢، بيروت، سنة ١٩٩٢، ص ٨٢.

المعرفي على خلاف ذلك، يأخذ بعين الاعتبار المجال الزمني لتشكيل النظام المعرفي فقط، بل اعتمد على النظام المعرفي المتمثل في كل العلوم التي تتعايش في زمن معرفي واحد.

رابعاً: المنهجية التقدمية التراجعية أو التراجع الزمني: باشلار وأركون:

يمكن القول إنَّ المنهجية التقدمية التي بشَّر بها أركون استلهمها من الدرس الباشلاري، ولم يذكرها صراحةً ولا ضمناً، كما غاب ذلك عن مترجمه وشارحه هاشم صالح وفي أي مقارنة توضيحية بين باشلار وأركون يمكن ملاحظة ذلك بوضوح على الرغم من اختلاف تطبيقاتهما، وإذا كان باشلار قد أوجد منطلقات تجديدية أساسية لتاريخ العلم وحقق التجاوز وقد أحدث تحولاً فكرياً في بنية التفاعل الفلسفي مع الممارسات العلمية، فإنه (أركون) أراد إحداث خلخلة في التاريخ الفكري العربي الإسلامي؛ وذلك بممارسة منهجيات متعددة، وقد ابعَد أركون أصل المنهجية التقدمية التراجعية؛ لأنها لم تشكل المحور الأساسي في عمل باشلار مثل القطيعة المعرفية، والعقبة المعرفية، فإنَّ مفهوم التراجع الزمني هو من أوائل المفاهيم الاستمولوجية التي أدخلها جاستون باشلار إلى ميدان فلسفة العلوم، وهذا مفهوم يجعل فلسفة العلوم بوصفها معرفة نظرية أو تاريخاً نظرياً أمراً ممكناً^(٢٧). وإذا كان باشلار أراد تكوين مفاهيم جديدة لتاريخ العلم وتشكيل رؤية ترتقي مستويات عالية من التفكير، فإنَّ أركون أراد قراءة التاريخ الإسلامي بصورة مختلفة بواسطة المنهجية التقدمية التراجعية والتي يقصد بها (العودة إلى الماضي ليس من أجل إسقاط حاجيات المجتمعات الإسلامية المعاصرة ومشاكلها على النصوص الأساسية السابقة كما يفعل علماء الدين الإصلاحيون وإنما من أجل أن يتوصل إلى الآليات التاريخية العميقة والعوامل التاريخية التي أنتجت هذه النصوص وحددت لها وظائف معينة وهذه هي المنهجية التراجعية.

أما المنهجية التقدمية: والتي يريد منها أركون ذات أهمية، حيث أن النصوص القديمة لا تزال حية وناشطة في مجتمعاتنا حتى اليوم بصفقتها نظاماً أيديولوجياً خاصاً من الاعتقاد والمعرفة يصوغ المستقبل أو يسهم في تشكيله، لهذا السبب ينبغي علينا أن ندرس عملية التحول الطارئة على مضامين هذه النصوص ووظائفها السابقة ثم توليد مضامين ووظائف جديدة^(٢٨)، يبدو أنَّ أركون هنا يسير على خطى باشلار عندما أراد قراءة تاريخية العلم، فنظر باشلار إلى تاريخ العلم على أنه ينبغي دراسته من نهايته وليس من بدايته، أي من الحالة الراهنة للعلم ثم تبدو مراجعته لكل تاريخ العلم انطلاقاً من الحاضر^(٢٩).

فإنَّ أركون يضع التراث العربي الإسلامي أمام عقبات من الصعوبة تتجاوزها من دون اختراق لهذه الذهنيات أو العقليات التي تتلقى هذا التراث بشكل يصفها أركون ما قبل العلمية، وقد حدد باشلار المرحلة ما قبل العلمية للفكر الغربي بأنها تشمل الأزمنة الكلاسيكية القديمة وعصر النهضة ومعظم تراث القرنين السادس عشر والسابع عشر وحتى أواسط القرن الثامن عشر^(٣٠).

٢٧- روبير بلانشي، نظرية المعرفة العلمية (الاستمولوجية)، ترجمة: حسن قبسي، جامعة الكويت للمطبوعات، ١٩٨١، ص ٢٤.

٢٨- محمد أركون القدسي والثقافي والتغير، في مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد/٢٩، سنة/٩، ١٩٩٨، ص ١٨.

٢٩- حسين عبد الحميد، التفسير الاستمولوجي، نشأة العلم، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد السابع عشر، العدد الثالث، ١٩٨٦، ص ١٣٨.

٣٠- عمر مهيل، إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، منشورات الاختلاف، بيروت، ٢٠٠٥، ص ٨٤.

أما أركون فإنه يرى الثقافة العربية الإسلامية محاطة بفضاء القرون الوسطى ولم تستطع تجاوز أية عقبة من العقبات المعرفية الأساسية من دون أن تتمكن من إحداث قطيعة معرفية.

خامساً: القراءة الألسنية والسيمائية النقدية (غريماس، أركون):

يتبنى أركون المنهجية السيميائية والألسنية في قراءة التراث العربي الإسلامي، مفاهيم مدرسة باريس السيميائية ولاسيما غريماس وألسنيات دي سوسير. يتساءل أركون من خلال هذا المنهجية كيف تقوم العلامات المستعملة في النصوص بالدلالة وتوليد المعنى؟ ما الآليات الألسنية أو اللغوية المستعملة من أجل إنتاج هذا المعنى المحدد، وليس أي معنى آخر غيره؟ لمن ينبثق هذا المعنى وضمن أية شروط؟^(٣١).

ويخبرنا أركون أن هذه الأسئلة لا تهدف إلى نزع صفة الوحي عن النصوص ولا إزالة شحنتها التقديسية ولا إزالة آثار معانيها الروحية بالنسبة للمؤمنين وعلى العكس فإنها تهتم بهذه الأشياء والسمات، وبوظائف المعنى بصفتها أساليب توليد الدلالة ولا تزال تنظر إلى تحديد مكانتها المعرفية ضمن مقارنة شاملة تهتم بكل ما يعني ويدل (أو بكل ما ينتج المعنى والدلالة)^(٣٢).

وهذا يتطابق مع الرؤية السيميائية لمدرسة باريس عندما تنظر إلى النص على أساس الوظيفة النصية، وليس للنص أي ارتباط بمرجع خارجي أي أن المعنى يتكون جراء علاقات بين العناصر الدالة داخل النص.

ينظر أركون للتحليل السيميائي على أنه يوجب على الدارس ممارسة تمرين التقشف والتقاء العقلي والفكري ويمثل ذلك فضيلة ثمينة جداً ولاسيما أن الأمر يتعلق هنا بقراءة نصوص محددة كانت قد ولدت وشكّلت طيلة أجيال عديدة الحساسية والمخيال الجماعيين والفرديين^(٣٣).

ومن خلال القراءة السيميائية التي لا تهدف إلى المساس بالنصوص الدينية، بل تحفظ هويتها وقديسياتها، فإن هناك مسافة منهجية تجاه النصوص أو بيننا وبين النصوص المقدسة ولا إطلاق لأي حكم من الأحكام الاستمولوجية أو التاريخية^(٣٤). على الرغم من دعوة أركون إلى تبني المناهج السيميائية والألسنية في قراءة التراث، فهو يشكو من عدم تطبيق التحليل الألسني على النصوص الدينية، كذلك عدم بلورة علم للسيمائيات خاص باللغة الدينية مع ذلك جعل يلوح بأن قراءته بواسطة السيميائيات والألسنيات تدعو إلى تحرير النصوص وقراءتها على وفق لحظاتها الزمنية، أي كما يقول أركون: (كل ما

٣١- محمد أركون، الفكر الإسلامي، قراءة علمية، ص ٣٣.

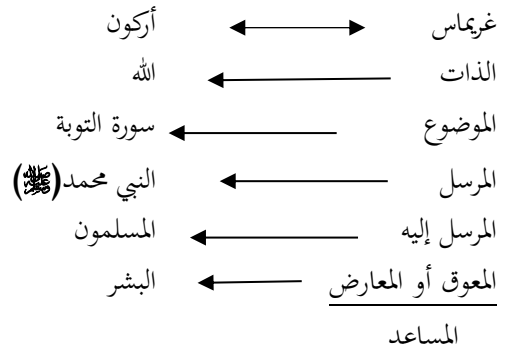
٣٢- المصدر نفسه، ص ٣٣.

٣٣- المصدر نفسه، ص ٣٣.

٣٤- المصدر نفسه، ص ٣٢.

أسعى إليه هو محاولة فرض قراءة تاريخية للنص القرآني قراءة تمتنع منذ الآن فصاعداً عن أية عملية إسقاط أيديولوجية على هذا النص أو ذاك. وهذا هديني الأساسي، أريد القيام بقراءة تزامنية^(٣٥) (٣٦).

يبدو أن أركون لا يتوانى عن قراءة النص الديني قراءة سيميائية بواسطة منهجية غريماس السردية، ولكن غريماس يرفض تطبيق منهجيته على النص الديني، فيرى أن هنالك اختلافاً بين النص الديني والحكايات الشعبية^(٣٧). فإصرار أركون قراءة النص القرآني على وفق الخطاطة الغريماشية تجعله يضع النص القرآني بمقارنة مجردة من أي اكتشاف جديد للنص القرآني، فالتحليل الأركوني السيميائي يتعدى التصور التاريخي للنص، ويصل إلى مفاهيم دقيقة ذات تجريدات بسيطة لا تترك جوهر الواقع التاريخي لكن تعمل على تركيبه لسانياً وبصورة تزامنية، فقيمة التحليل اللساني - السيميائي عند أركون ما هو إلا إبراز دقة المعرفة التيولوجية التي يريدها أن تشكل نقطة انطلاق سليمة ومفتاح قراءته للوحي وفقاً لهذا المخطط:



فالنص عند أركون من الناحية السيميائية (....) يبرز من خلاله عدة أدوار داخل النص القرآني (....). فإنَّ (الفاعل - الذات) المطلق المثالي الكبير في أنه معاً مرسل ومرسل إليه أي يرسل الأعمال التوصيلية (كالأوامر) والسردية والمرجعية والمعرفية التشريعية... الخ إلى البشر وكل هذه الأعمال تعود إليه في النهاية. فهذا الفاعل المطلق أي (الله) يقع في علاقة تحالفية مباشرة مع المرسل إليه الأول - أي محمد - الذي يمتلك أيضاً موقعاً مزدوجاً، فهو من جهة يمثل الرسول الواسطة التي يمر من خلالها كلام الفاعل المطلق، وهو من جهة ثانية (فاعل الذات) مرسل يبلغ البشر كلام الله. إنه معبأ بالقوة الكلامية والنطقية للعبارة المنقولة (للايات)، كما أنه مسؤول بحكم وظيفته هذه عن تحيين الرسالة وتجسدها في التاريخ عن طريق انخراط شخص ثالث هو المرسل إليه الجماعي (....) ولكن من الناحية التاريخية المحسوسة، فإنَّ هذا المرسل إليه

٣٥- التزامنية: لقد طور سوسير دراسة آنية تزامنية (سينكرونية) وهي الكيفية التي تعمل بها اللغة في لحظة زمنية معينة، فلا يتم إدراك دلالة الجملة قبل أن تنتهي ويتم النظر إلى مجموع علاماتها وإشاراتها مجتمعة في لحظة زمنية معينة وهذه الدراسة تختلف عما كان سائداً في زمانه، إذ سادت الدراسة التاريخية (الدايكرونية)، فسوسير يرى أنَّ ظاهرة لغوية معينة يمكن دراستها، أما دراسة تزامنية آنية على أنها جزء واحد من نظام يتزامن مع نفسه، أو دراستها على أنها جزء من سلسلة تاريخية نتجت أو عكست غيرها من الظواهر التي ترتبط بها، وهذا ما لا يفضل ولا ينكره سوسير، بل دراسة أي كلمة دراسة تزامنية على أنها ترتبط بغيرها من الكلمات التي يتزامن استعمالها مع استعمال المفردة المدروسة، ففي الدراسة التزامنية الآنية يقوم المرء بدراسة الحالة اللغوية بكاملها في لحظة زمنية محددة (سعد البازعي وميجان الرويلي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط ٣، ٢٠٠٢، ص ٣٥).

٣٦- محمد أركون، الفكر الإسلامي، قراءة علمية، ص ٣٢.

٣٧- هاشم صالح، طوبولوجيا الخطابات البشرية، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد ٤٤-٤٥، ١٩٨٧، ص ٥٧.

وخواصها الدلالية والبلاغية، فنقد أركون للمدلول المتسامي يتمثل في الخطاب اللاهوتي والميتافيزيقي وحتى التشريعي (أصول الفقه) لكن ذلك ينطبق على الإسلام وعلى كل تقاليد الفكر الديني والفلسفي^(٤١). فأركون التمس من دريدا رؤيته النقدية لأن الأخير قد نقد مركزية اللوغوس وبيّن مدى تركز اللوغوس العقل الغربي حول الصوت. وهذا واضح عند أركون بنقد اللوغوس المركزي والحقيقة الدينية في الفكر الإسلامي وهذا الرأي أكدته هالير عندما قال قدم لنا دريدا تطبيقاً على مفهوم المركزية في عالم الفكر الغربي، وقدم لنا أركون تطبيقاً لهذا المفهوم في الفكر الإسلامي^(٤٢).

ولكن من الواضح إن لكل ثقافة نظامها المعرفي الذي جعلها تختلف وتتمايز عن الثقافات الأخرى، فحسب دريدا إن الثقافة الغربية المنطقية المركزية أو العقلانية بالمعنى المحدد للكلمة أو الأشياء مركزة ومتمحورة حول اللوغوس^(٤٣) (Logos) أي أنها تدخل العقل أو خطاب العقل بصفة اللوغوس (...). فلا يمكننا التحدث عن المنطقية المركزية في أي ثقافة غير الغربية، فمعنى ذلك أن الثقافات البشرية لها سياجاتها بالتأكيد ولكن هذه السياجات لا تتخذ هيئة المنطقية المركزية الخاصة بالثقافة الغربية ويمكن القول إن الثقافة العربية الإسلامية لها الهيبة المنطقية والمركزية المرتبطة بها^(٤٤)، فلكل ثقافة عملية تقاطعات تصل داخل السياج العقلاني المركزي^(٤٥). وعلى هذا الأساس فإن نقد أركون التفكيكي للعقل الإسلامي يعمل على زحزحة هذا السياج المركزي وصرفه عن معنى التحطيم أو التدمير الدريدي، فأركون يسعى إلى أن يفكك كل هذا البناء الشامخ والمقدس الذي يحتمي به من أجل الحصول على المشروع أو من أجل المحافظة عليها ولا يكتفي بذلك، بل تفكيك الأنظمة اللاهوتية كافة التي تشكلت في العصور الوسطى في المجالات الدينية كافة (اليهودية، المسيحية، الإسلامية) فهذه الأنظمة بتحديداتها الثنائية مؤمن/كافر/حرام/حلال طاهر/نجس بحاجة إلى تفكيك وإعادة (...). لأنها تنتمي إلى فترة تاريخية محددة هي فترة

٤١- أركون، معارك من أجل الأنسنة، الفصل الخامس (اللوغوس المركزي والحقيقة الإسلامية)، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ط١/١، ٢٠٠١، ص ٢٠٨.

٤٢- هالير، العقل الإسلامي أمام تراث عصر الأنوار في الغرب، ص ٥٥.

٤٣- اللوغوس: وهو الكلمة الإلهية، لكن معانيها اختلفت فاللوغوس عند هيرقليطس وهو أول من قال به هو القانون الكلي، يقول هيرقليطس كل القوانين الإنسانية تنغذي من قانون إلهي واحد، الآن هذا يسود كل من يريد ويكفي للكل ويسيطر على الكل، وبهذا الرأي أخذ الروافيون فقالوا إن العقل أو اللوغوس هو المبدأ الفعال في العالم، وهو الذي يشيع فيه الحياة وهو الذي ينظم ويرشد العنصر السلبي في العالم وهو المادة.

ثم جاء فيلون اليهودي فقال عن اللوغوس إنه أول القوى الصادرة عن الله وإنه محل (الصورة) والنموذج الأول لكل الأشياء، وهو القوة الباطنة التي تحيي الأشياء وتربطها فيما بينها (إنه رباط الكون، الحافظ كل أجزائه وبدونه تنحل، وهو يتدخل في تكوين العالم لكنه ليس خالق، وهو الوسيط بين الله والناس ويمكنهم من الارتفاع إلى رؤية الله، ولكن دوره هو دائماً دور الوسيط، بأنه إلهي ويميزه من الله أداة التعريف التي تضاف إلى الله لكنها لا تضاف إلى اللوغوس.

كما إن الإنجيل الرابع المنسوب إلى يوحنا تستهل بالحديث عن (الكلمة) وفي البدء كانت الكلمة، والكلمة كانت عند الله، والله هو الكلمة بكل شيء كان وبعد لم يكن شيئاً مما كان، وهذا اللوغوس أو الكلمة هو الذي كان قبل خلق الكون، كان عند الله وهو الله وهذا اللوغوس أو الكلمة تجسد أي يتحد جسداً وحل بين الناس، فكشف لهم حقيقة النجاة (الخلاص) وبث فيهم الحياة الخالدة ممكناً إياهم من أن يصيروا أنبياء الله.

وجاء الغنوصيون فقررنا إن اللوغوس هو أدنى الأيونات (eons) وإنه الذي يتولى تكوين العالم (...). ومنذ ذلك التاريخ كان اللوغوس، معنى دينياً أكثر من فلسفياً نجده خصوصاً عند الصوفية وبخاصة عند أي عربي بين الصوفية المسلمين لم يعد له مكان عند الفلاسفة المحدثين اللهم على سبيل التعبير الديني عند بعض الاتجاهات، كما نجد ذلك عند فتشه (...). لكنه يرى في اللوغوس إنه هو الأنا. (عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج٢، ١٤٢٧هـ، قم، دار ذوي القربي، ص ٣٧١-٣٧٢).

٤٤- يُنظر: حوار هاشم صالح مع جاك دريدا، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد ٥٢، ١٩٨٨، ص ١٠٩-١١٠.

٤٥- المصدر نفسه، ص ١١٠.

العصور الوسطى مع ذلك فهي تحاول أن تخلع على ذاتها صفة اللاتاريخية أي صفة الجواهرانية الأزلية الصالحة لكل زمان ومكان^(٤٦).

ولكن اقتصار أركون في دراساته على التوجه إلى تفكيك الفكر الإسلامي بشكل خاص دون الإلحاح على الأنظمة الدينية الأخرى، واقتراجه من مناخ الفكر الإسلامي جعله يوضح بعمله التفكيكي كيفية الخروج من السياج المركزي الديني، وما هي الأولوية التي جعلت الفكر يتموضع داخل آلية من التكرار دون تعرض خطابات هذا الفكر إلى تفكيك، ويرغب أركون الدخول في هذه المغامرة، كمؤرخ يقول أنه يستطيع المساعدة على الخروج من السياج المتشكل تاريخياً بواسطة الحل المنهجي والإبستمولوجي الذي يحاول تطبيقه على الفكر الإسلامي الكلاسيكي من أجل دراسته وإضاءته إلى أقصى حد ممكن، فالهدف الذي ينبغي تحقيقه في نهاية المطاف هو وضع حد لاجترار أو تكرار الكتابة التراثية التي يسعى أركون إلى تفكيكها ذات آلية تكرارية وزمن ديني، وفي الزمن الديني يتحول الحاضر إلى ماضي، وإنَّ هذه الثقافة لا تتطلع إلى مستقبل ولا تشعر الإنسان بذلك، بل تزل تتحرك في زمن ثقافي سابق له لا تأثير له بإنشائه سوى إحاطته بسياج لا يستطيع الخروج منه وبذلك تظل معرفته ماضوية ذات دلالة معينة ورؤية محددة.

البُعد الثاني المفاهيمي (الاصطلاحي):

أولاً: العقل الإسلامي هو عقل (السياج الدوغمائي المغلق)

ما هو مفهوم الدوغمائية؟ قبل أن يبدأ أركون بتكوين المصطلح الخاص به (السياج الدوغمائي المغلق)، ركز على أبحاث روكيش التي نقلت إلى الفرنسية بواسطة ديكونش، فإنَّ (روكيش) قد انطلق أولاً من مفهوم الصرامة العقلية، قبل أن يتوصل إلى البلورة النهائية لمفهوم الدوغمائية ووظائفه العقلية، فقد عرف الصرامة العقلية كما يأتي: "عدم قدرة الشخص على تغيير جهازه الفكري أو العقلي، عندما تتطلب الشروط الموضوعية ذلك، وعدم القدرة على إعادة ترتيب أو تركيب حقل ما يتواجد فيه عدّة حلول لمشكلة واحدة، وذلك بهدف حل هذه المشكلة بفاعلية أكبر...^(٤٧)".

ويركز روكيش كما يوضح هاشم على نظام الإيمان والذي يتحدد بواسطة ثلاث نقاط:

١. عبارة عن تشكيلة معرفية مغلقة قليلاً أو كثيراً ومشكّلة من العقائد واللاعقائد أو (القناعات واللاعقائد) الخاصة بالواقع.
٢. إنه متمحور حول مكزية من القناعات (أو الإيمانات اليقينية) ذات الخصائص الخاصة والأهمية المطلقة.

٣. إنه يولّد سلسلة من أشكال التسامح واللاتسامح اتجاه الآخر..^(٤٨). وعليه فإنَّ نظرية روكيش تقوم على أساس مفهوم الجمود في علاقته بمفهومي انفتاح الذهن (Open Minded) وانغلاقه (Closed) وهو يمثل لب أنساق المعتقدات.

٤٦ - محمد أركون، معارك من أجل الأنسنة، ص ٢٠٥.

٤٧ - هاشم صالح، مترجم كتاب الفكر الإسلامي، قراءة علمية، ص ٥.

٤٨ - المصدر نفسه، ص ٦.

وقد يرى روكيش أن أنساق المعتقدات تمر عبر متصل ثنائي القطب يقع الأشخاص (منغلقو الذهن) في أحد قطبيه والأشخاص منفتحو الذهن في القطب الآخر (...). وهذه المفاهيم التي تستعمل في وصف أنساق المعتقدات لا ترتبط بأي نسق معتقدات نوعي، لكنها تنطبق بصورة متعادلة على كل أنساق المعتقدات^(٤٩). معنى ذلك أن التركيز يكون على بناء المعتقدات أي صورتها أو شكلها أكثر من مضمونها، فالشخص ذو التفكير الجامد (منغلق الذهن) لا يستطيع أن يتقبل أفكار غيره أو يفهمها، بينما الشخص منفتح الذهن يستطيع أن يفعل ذلك من دون أية صعوبات؛ وذلك على الرغم من اختلاف مضمونها معه، فحسب روكيش "أن هناك ثلاثة جوانب مهمة ينبغي أخذها بالحسبان في أثناء تناول أنساق المعتقدات هي المعرفية والأيدولوجية والانفعالية (الشخصية) وإن هذه الجوانب على علاقة بعضها ببعض" (٥٠).

يعرف أركون التصلب العقلي المرتبط بالروح الدوغمائية بصفته عدم القدرة على تغيير الحكم أو الرأي (المتعلق بقضية ما) في الوقت الذي تتطلب فيه الشروط الموضوعية حدوث ذلك، وعدم القدرة على إعادة تركيب حقل معرفي ما حيث توجد فيه مجموعة من الحلول لمشكلة واحدة؛ وذلك بهدف حل هذه المشكلة بأقصى ما يمكن من الفعالية. إنَّ الدوغمائية تنظم معرفي مغلق قليلاً أو كثيراً من الاعتقادات واللااعتقادات المتعلقة بالواقع، إنها متركزة حول لعبة مركزية للاعتقادات ذات مفعول مطلق وهي تولد سلسلة من النماذج للتسامح واللاتسامح فيما يخص الآخر^(٥١).

لذا نرى مع أركون أن الأفكار الدوغمائية تتميز بعدم القدرة على التغيير، فهي ذات نسق فكري محافظ وليس هناك ما يدفعها على التغيير، كما أنها ليست منتجة لأفكار قيمة وجديدة، إلا بشكل ضيق ومحدود، وإن رافق ظهورها أفكار ذات أهمية، لكنها تبقى في ذات النسق المهيمن وهذا النسق الدوغمائي لا فرصة لتغييره إلا أن يحدث فيه خلخلة بمستوى كبير، فإنَّ تحليلاً علمياً لبنية النسق الدوغمائي يستلزم بالضرورة البدء بإخضاع مفاهيم هذا الفكر للنقد وتعريته، وهذا ما يراه أركون تطبيق الروح الدوغمائية على النصوص التيولوجية (اللاهوتية) الكلاسيكية أو التفنيدات الإسلامية والمعاصرة (الاستشراق) كما أن نقد أركون لا يقتصر على ذلك، بل يتعدى تصورات المسلمين نحو القرآن فيراهم يطالبون بـ (براهين تاريخية) ومن هؤلاء العلماء المزعمون الذين يشعرون، إذ ذاك بالإخفاق، والعجز عن أرضيتهم أنفسهم، هكذا نجد أن الروح الدوغمائية تجيز لمصلحتها وضعاً مستحيلاً لا يمكن الدفاع عنه^(٥٢).

فالأفكار ذات النسق الدوغمائي لا تزول، وإن زالت فذلك لا يعني موتها بل تحولها من موقع إلى آخر، من موقع الهيمنة إلى الكمون مما يجعلها تتأثر بالظهور مرة أخرى حسب الظروف المناسب، فزوالها يعني عدم قدرتها على إعادة الإنتاج ولكن كيف يحدث؟ إذا كان الإطار الاجتماعي والثقافي لم يتغير، فإنها ذات زمن ثقافي يسمح بالتكرار، وتعيش في أزمنة مختلفة، فمنطقه هو الثبات التاريخي، فالماضي هو الذي يحدد الحاضر وهو المسؤول عن الجمود الفكري مما يجعل الحاضر متداخلاً مع الماضي التاريخي

٤٩- معتز سيد عبد الله، الاتجاهات العصبية، عالم الكتب، الكويت، ١٩٨٩، ص ١٢٥.

٥٠- معتز سيد عبد الله، الاتجاهات العصبية، ص ١٢٥.

٥١- محمد أركون، الفكر الإسلامي، قراءة علمية، ص ١٢٥.

٥٢- المصدر نفسه، ص ١٢٥-١٢٦.

فلا يستطيع الحاضر أن يعلن استقلاله وكما يؤكد أركون "إنَّ الانتقال من الفكر الأسطوري إلى حالة الفكر الإيجابي (الواقعي) لم تنجز نهائياً وبشكل عام (...). هكذا يبدو أن زمننا الراهن يمتاز بأنه يعترف وللمرة الأولى بالأسطورة كأسطورة وإدخالها مع كل قيمها الإيجابية، يسمح لما هذا الوضع المعرفي الجديد، أن نفهم كيفية اشتغال الفكر الديني، من دون أن نضطر إلى معاكسته برفض العقل المنطقي المركزي (...). إذا كان الفكر الإيجابي (الواقعي) هو فكر تاريخي، فهو يدرس التغير والانقطاع كما يدرس الاستمرارية والبنية المتصلة، إنَّ الفكر الأسطوري الذي هو تحليلي وتركيب في الوقت نفسه والذي يرجع دائماً إلى الوراثة (...). نحو تاريخ مضى لكنه حي دائماً أي نحو الأصل الممحو (المنسي) لكن المعيش أبداً لمسوّغات وجود النظام الحاضر للعالم، هذا الفكر الأسطوري لا يمكن أن يبدو إلاً فكرياً لا زمنياً، يصعد باستمرار نحو أصول الأشياء ويعرّي أسسها التوليدية والمتزامنة^(٥٣). يعني الحدث الزمني متبلور على شكل أن الأحداث التي تقع في الماضي هي التي ستقع في الحاضر، مما يجعلها ذات بني زمنية ثابتة. هذا ما لاحظته عالم الإيمان (مرسيا الياد)^(٥٤)، "إنَّ الزمان بالنسبة للإنسان المتدين أكثر من المكان، تجانساً واستمرار، بتوحد مُدد الزمن المقدس (...). الإنسان المتدين يستطيع بواسطة الشعائر (المور) من المدة الوقتية العادية إلى الزمن المقدس (...). إنَّ المدة الزمنية الدنيوية قابلة لتكون دورياً (متوقفة) بواسطة الطقوس، والزمن غير تاريخي (بمعنى أنه لا ينتمي منه لحاضر تاريخي) (...). وليس الزمن التاريخي الراهن هو الحاضر أبداً، والزمن المعاش مثلاً في الشوارع، والمنازل المجاورة.

وإنما الزمن الذي فيه الوجود التاريخي المقدس (...). هو زمن أسطوري وبدائي غير قابل للمطابقة مع الماضي التاريخي، زمن أصولي بمعنى أنه سال (فجأة) لم يسبق زمناً آخر^(٥٥)، فإنَّ القول بالنهوض بهذا الزمن وجعله في مجابهة ذاته (الحاضر) ليست بالمحاولة الجديدة، ولكنها مهمة صعبة تكمن في تدوين المعرفة الماضوية ونقدها، وتفكيكها وعدم حصرها في مجموعة بشرية (تاريخية)، كما أن نقد الثقافة لم يكن إلاً نقداً للتاريخ والمتجسد بالحاضر والذي يحتوي على عقبات معرفية، وإن هذا النقد لا يتناول مبادئ الأفكار فحسب، بقدر ما يتناول كل النظام الاجتماعي الذي يعكس هذا النظام الثقافي والذي تشكل منه ما يسميه (أركون) بالسياج الدوغمائي المغلق، إذن ما هو السياج الدوغمائي المغلق؟

يقول أركون: إنَّ الذي أقصده بالسياج الدوغمائي المغلق (محمل العقائد الدينية والتصورات والمسلّمات والموضوعات التي تتيح لنظام من العقائد/ واللاعقائد أن يشتغل بمنأى عن كل تدخل نقدي سواء من الداخل أو من الخارج، المؤمنون المغلقون داخل السياج الدوغمائي يتبعون إستراتيجية معينة ندعوها بإستراتيجية الرفض وهي تستعمل ترسانة كاملة من الاكراهات والجربات الاستدلالية والشكلانية التي تنتج المحافظة على الإيمان أو تحييشه وتعبئته إذا لزم الأمر)^(٥٦).

٥٣- محمد أركون، الفكر الإسلامي، قراءة علمية، ص ١٢٦.

٥٤- نرى النص الأركوني (هنا) يتطابق فكرياً أو مستوحى من نص مرسيا الياد، لهذا عرضنا نص مرسيا الياد.

٥٥- مرسيا الياد . المقدس والمدنس، ترجمة: عبد الهادي عباس، دار دمشق، ١٩٨٨، ص ٥٧.

٥٦- محمد أركون، الفكر الأصولي، ص ٦٦-٦٧.

ثانياً: الإسلاميات التطبيقية: بوصفها ممارسة نقدية ضد الاستشراق

يطرح أركون الإسلاميات التطبيقية في مقابل الإسلاميات الكلاسيكية (الاستشراقية) فالإسلاميات الكلاسيكية التي بقصدتها أركون خطاب غربي حول الإسلام ذلك أن مصطلح (الإسلاميات) يعني الخطاب الذي يهدف إلى العقلانية في دراسة الإسلام، يرى أركون "أنه في الواقع اختراع غربي-يكتفي فيه المسلمون-فيما يخصهم بالحديث عن الإسلام مثلما يفعل المسيحيون أن العلم المدعو هكذا، لم يحظ في السابق بأي تأمل منهجي" (٥٧). ومن ثم فقد طبق هذا المنهج على التراثين المسيحي والإسلامي... وعلى الرغم من انتقاد أركون للمستشرقين فإنه يرى أنهم (المستشرقين) الكلاسيكيين كانوا يحصرون في أعمالهم بدراسة هذه النصوص أو تحقيقها أو ترجمتها إلى اللغات الأوروبية من فرنسية وإنكليزية وألمانية... الخ، وفي القرن التاسع عشر عندما نشأ الاستشراق، وترعرع "راحوا يعتمدون بشكل حصري على هذه النصوص لكي يكتبوا تاريخ الإسلام، ونحن نعلم أن هذه النصوص بحد ذاتها سكونية أو تعطي وهما بالسكونية والثبوتية والإطلاقية، ومن ثم فقد نقلوا في دراساتهم الطابع الثبوتي أو السكوني لكتابة التاريخ كما كانت قد وجدت في المصادر الإسلامية؛ لأن مؤرخي تلك المدة كانوا يستعملون المنهجية الفيلولوجية-التاريخية. وهي منهجية وضعية سكونية بطبيعتها؛ لأنها تفرق في التفاصيل واستخلاص الوقائع والتواريخ والأحداث من النصوص القديمة ثم تقوم بترتيبها وفرزها وتصنيفها لكي تكتب تاريخ الإسلام بشكل خطي مستقيم (...). أما اليوم فقد أصبح موقف المؤرخ مختلفاً تماماً من الناحيتين المنهجية والابستمولوجية ولكنه لم يتغير كلياً في الساحة الاستشراقية حتى الآن" (٥٨). ويعزو أركون هذا البطء في التقدم في المنهجيات المستعملة من قبل المستشرقين إلى الأقسام الاستشراقية في الجامعات الأوروبية التي لا تزال متخلفة عن حركة البحث العلمي السائدة في الأقسام الأخرى التي تدرس المجتمعات الأوروبية والتاريخ الأوربي (٥٩).

وعندما نقارن المناهج بين المستشرقين والمؤرخين والاثروبولوجيين واللسانيين وجميع ما يتعلق بالعلوم الإنسانية والاجتماعية نجد فرقاً كبيراً بين المناهج الاستشراقية ومناهج هؤلاء العلماء (٦٠)؛ لأن المستشرقين لا يتابعون الإنتاج الفكري في جميع العلوم، كما هو موجود في الميادين التي يمارسها المتخصصون الذين يدرسون المجتمعات والمسائل الفكرية (٦١). فأركون يتعاطى مع المنهج الاستشراقي (الفيلولوجي) منتقداً بذلك ضيقهم الفكري وانطلاقهم داخل مجال معرفي محدد لم يستطيعوا أن يتجاوزوه، صحيح أن

٥٧- محمد أركون، تاريخية الفكر الإسلامي، ترجمة: هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط ٢، ١٩٩٦، ص ٥١.

٥٨- محمد أركون، الإسلام، أوربا، الغرب، ص ١٨٢.

٥٩- المصدر نفسه، ص ١٨٢.

٦٠- هذا أمر اكتشفته في باريس ولا زالت أكافح ضده ولكنه هو كفاح منهجي ومعرفي وليس بكفاح أيديولوجي، لذلك فالقراء الذين يقرأون كتيبي يعرفون اهتمامي بهذه المسائل ولكن قد لا يدركون أهمية النقد وأهمية هذا الوقف ويعتبرونه موقفاً غريباً بصفة عامة ولا يدركون كنه هذا الموقف الذي يقصد نقد الأعمال الاستشراقية التي تتجاهل تطبيق المناهج والإشكاليات الحديثة في دراسة الثقافة الغربية. هذا هو موقفي الحقيقي من الاستشراق ولا زلت منذ سنين، ولا زلت أدعو في محاضراتي وكتبي من أجل تطبيق مناهج حديثة في الدراسات العربية، وألح على هذه النقطة الأساسية، يجب على الباحثين العرب أن ينتقلوا من النقد الأيديولوجي المحض الجدلي لما يسمونه الاستشراق إلى النقد العلمي المعرفي وأنهم إذا انتقلوا إلى هذا المستوى من النقد سيدركون ضرورة تغير المناهج التي يتبناها الباحثون المسلمون عن الفكر الإسلامي والمسائل الإسلامية؛ لأننا إذا لم ندرك أهمية الابستمولوجيا لا يمكننا أن نتقدم في تحديث البحوث التي تتناول المسائل العربية والإسلامية، لذلك أنقد نقداً حاسماً مواقف المستشرقين الذين يقفون بعيداً عن المناهج الحديثة، وانتقد أيضاً المسلمين الذين يرفضون هذه المناهج؛ لأنها مناهج غربية، ما معنى هذا الكلام؟

٦١- محمد أركون، ضمن كتاب حوار الاستشراق، لأحمد الشيخ، المركز العربي للدراسات الغربية، بيروت، ١٩٩٩، ص ٦٤.

الاستشراق لعب دوراً تاريخياً كما يرى أركون في القرن التاسع عشر، إذ أضاف البُعد التاريخي أي دراسة التاريخ كعلم وضعي يتناول ما يحدث فعلياً داخل المجتمع وهذا من شأنه أن يـ صـحـح الرؤيا الميثولوجية للتاريخ (...). لقد أفاد الاستشراق تراثنا العربي بهذه الفيلولوجية (...). مستنداً بذلك مقاييس مستمدة من ثقافتهم" (٦٢).

وفي ضوء هذه المنهجية للإسلاميات التطبيقية، فإنَّ أركون يستعيد طروحات "روجيه باستيد" في مجال الانثروبولوجيا هذا ما يؤكده عندما يقول في سياق ما أدعوه بـ، (إسلامولوجيا تطبيقية) مثل الانثروبولوجيين الفرنسيين ومنهم روجيه باستيد^(٦٣)، الذي يؤكد بدوره على أن الروابط ما بين العلم والتطبيق أو -على الأقل- التـ صور الذي نكونه عن هذه الروابط. كانت قد عدلت بشكل عميق (جذري) منذ النموذج الذي قدّمه ديكارت في كتابه مقال في المنهج، وحتى النموذج الذي أعطاه كارل ماركس. ينبغي إذن أن نبتدئ بتجديد موضع الانثروبولوجيا التطبيقية في مكان ما بين هذين النموذجين المتضادين هذا النص لروجيه باستيد الذي يمثل عند أركون انطلاقة لفتح ممارسة جديدة في التطبيق الإسلامي لذلك يعتمدن؛ لأنَّ الإسلاميات الكلاسيكية في العهد الاستعماري كانت قد خضعت للنموذج الديكارتي الذي يمكن تقديمه عبر المعادلة الآتية: "أن تفهم أو أن تعرف = أن تتأهب للشيء من أجل السيطرة عليه، ولكن من أجل أن تسيطر فإنه ينبغي البدء بالمعرفة أولاً، لكنك لن تستطيع أن تعرف (أو تفهم الشيء) إلا بشرط أساسي هو أن تتحرر ولو للحظة واحدة من هاجس السيطرة"^(٦٤).

من الواضح أن أركون قد قام بعملية تمثيل الأفكار الانثروبولوجيا التطبيقية ثم توظيفها في الرد على الاستشراق وإبراز حدوده، وقد تبين لنا أنه أراد أن يميز أناسته عن الفكر الوضعي القائم على الحتمية والحقيقة ذات الجذور الديكارتية ويمكن العودة إلى باستيد من خلال نصه الذي يقول: لا يمكن أن نؤسس بشكل ثابت في ميدان الفعل إذا لم نعرف أولاً القواعد الصارمة للحتمية أن نعرف هو أن تتأهب لتسيطر، إلا أن هذه لها نقيضها، فلكي نسيطر ينبغي البدء بالمعرفة ولا يمكن أن نعرف إلا بشرط التخلص من هاجس السيطرة منذ الوهلة الأولى"^(٦٥).

يتبين من خلال هذا النص أن أركون أراد من إسلامياته التطبيقية التحرر من سيطرة التراكم الهائل للمعارف المدعاة استشراقية من فللوجية ووضعية تثبت ظاهرياً بصورة سلبية محددة مسبقاً من حيث المنهج والرؤية، فهناك ثغرات بالغة داخل العلم الاستشراقي يتسرب منها ضعف هذا الخطاب، فإنَّ فهم الخطاب الاستشراقي عند أركون لا يبتعد كثيراً عن الخطاب الإسلامي الكلاسيكي والمعاصر، فيرى أركون أن ضيق

٦٢- محمد أركون، حوار البدايات أجراه محمد رفائي ضمن مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، العدد ٦٨/٦٩، ١٩٨٩، ص

٩٠.

٦٣- محمد أركون، التأمل الاستمولوجي غائب عند العرب، حوار في مجلة الفكر العربي المعاصر، ع/٢٠-٢١ لسنة ١٩٨٢، ص

٨١.

٦٤- محمد أركون، تاريخية الفكر الإسلامي، ص ٥٤.

٦٥- روجيه باستيد، (الانثروبولوجيا التطبيقية) بالفرنسية نقلاً عن: مختار الفجاري، نقد العقل الإسلامي عند محمد أركون، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٥، ص ٢٢.

التطور المنهجي الذي طرحت خلاله المسألة فضلاً عن عدم الجسارة الفكرية أوجب على الاستشراق أن يخرج من حذره المزمّن لكي يتجرأ على طرح الإشكاليات في العمق^(٦٦).

لذا نقد أركون الإسلاميات الكلاسيكية وقامت الإسلاميات التطبيقية بديلاً لها من أجل تطبيق منهجيات العلوم الإنسانية لغرض تعريض النص الديني لحك النقد التفكيكي والنقد التاريخي والألسني والتأمل الفلسفي مثلاً يوضح لنا أركون أن الأساس من مشروعه هو محاولة "التوفيق بين ما يقتضيه علم الإسلام في شكله الكلاسيكي، فهو على الرغم من إنجازاته اللغوية بقي مرتبطاً بمسلمات التشكل الثقافي السائد في الغرب في العصر الكلاسيكي.

فمن منظور علم الإسلام التطبيقي تفرض التحولات التي طرأت على المجتمعات الإسلامية مهمات عملية تتلخص في المراجعة النقدية للتراث الإسلامي بكيته، وتعني المراجعة النقدية تطبيق أساليب البحث العلمية المعتمدة في الغرب واكتشاف عناصر التراث الحية وعوامل التحرر والاستلاب الكامنة في الحداثة فا (الغرض من هذه المراجعة النقدية هو تخلص الفكر الديني في الإسلام من الأسطورية والأيدولوجية، والعدول عن العودة إلى الإسلام الأصلي النقي، ودراسة ما جاء في القرآن من مواضع مفتوحة وذلك بذهنية علمية جديدة)^(٦٧).

يسعى أركون إلى وضع شروط معينة لدخول عالم الإسلاميات التطبيقية وهي الإحاطة بكل ما يصدر من علوم إنسانية جديدة حتى يتمكن الباحث من فهم الظاهرة الإسلامية، فعالم الإسلاميات يجب أن يتمرس على العلوم الاجتماعية من الانثروبولوجيا والانتوغرافيا وعلم النفس التاريخي، واللسانيات، كما يفترض أركون "أن الإسلاميات التطبيقية هي ممارسة علمية متعددة الاختصاصات، وهذا ناتج عن اهتماماتها المعاصرة (...). لذا يتوجب على عالم الإسلاميات أن يكون مختصاً بالألسنيات بشكل كامل وليس فقط متطفاً على أحد أنواعها في الوقت ذاته، فإن الإسلام كظاهرة دينية لا يمكن لنا أن نتخزله إلى مجرد نظام من الأفكار المجردة"^(٦٨).

الخاتمة

افرز البحث نتائج عدة ظهرت بين ثنايا هذه السطور لتكون محصلة نخرج بها من هذه الدراسة، وهذه النتائج يمكن ضبطها بإيجاز كما يلي:

١. إن المنهج الأركوني لنقد العقل الإسلامي كثيراً ما اتجه نحو التنظير دون الممارسة، وحين نعلم أن المنهجية الحقّة هي ربط الممارسة التنظيرية بالممارسة التطبيقية ولا يمكن فصل عراها من السيورة نفسها، وهي سيورة البحث المتكامل، إن المنهج إذن هو دراسة المحددات النظرية والتطبيقية، فكل منهج هو عبارة توفيقية من المفاهيم والمصطلحات والعلاقات فيما بينها وآفاق تطبيقها وكل منهج لا يثبت صحته إلا إذا كانت العلاقات المقدمة من أدوات منهجية وفرضيات تنسجم مع النص المقروء

٦٦- يُنظر: أركون، قضايا في نقد العقل الديني، ص ١٤٧.

٦٧- محمد أركون، أبحاث في الفكر الإسلامي، دار ميزون، باريس، ١٩٧٣، ص ٣٥١، ضمن كتاب التراث والحداثة (نصوص)

لبولس خوري، معهد الإنماء القومي، بيروت، ١٩٨٣، ص ٧٦.

٦٨- أركون، تاريخية الفكر الإسلامي، ص ٥٧.

وعلى الناقد المنهجي (المعرفي) ألا يفكر في سرد النظرية دون تطبيقها بشكل متكامل، أن التشديد الذي قام به أركون عندما غلب نزعة التنظير على نزعة الممارسة (التطبيق) مما جعل النقد الأركوني يفقد مشروعيته، بل يمكن القول أن نقد العقل الإسلامي مشروع نظري.

٢. وكموقف نقدي منهجي لأركون نرى أنه قد أسرف في أرقام سلسلة هائلة من الأدوات الفكرية المفهومية و المنهجية التابعة للعقل الغربي الفلسفي والفكري وحاول بطريقة أو أخرى إقحامها في أتون مدونات منفصلة و مستقلة نتج عن ذلك:

أ- اتصاف كتابات أركون بالتشظي المنهجي من خلال التعددية المنهجية ذات الاختصاصات المختلفة.

ب- كثيراً ما سعى أركون إلى استعمال عدة مناهج في العلوم الإنسانية من مدارس مختلفة المدرسة الألمانية و الفرنسية مع العلم أن هاتين المدرستين تختلفان في منطلقاتها النظرية والتطبيقية وخاصة المدرسة التأويلية (التلقي) وخلافها الجذري مع مدرسة باريس السيميائية.

٣. يمكن النص الأركوني الباحث من الاطلاع على المنهجيات المعاصرة للعلوم الإنسانية، نتيجة إلمام أركون الواسع بهذه المنهجيات فهو يحقق وبامتياز فوائد منهجية ونظرية.

٤. يتميز مشروع نقد العقل الإسلامي لأركون بأنه يلي مطلباً صعباً لكنه فريد في قراءته، فانه يقرأ العقائد الدينية على مستوى واحد، دون تغلب أحدهما على الآخر، وينظر أركون برغبة متسامحة في فهم مختلف التيارات العقائدية على أنها تمثل فكراً شمولياً.

٥. حاول أركون في قراءته الجديدة للعقل الإسلامي تجاوز منطق الثنائيات حلال، حرام / طاهر، نجس / مؤمن، كافر/ خير، شر/... الخ -دون اغفالها- بواسطة منهجية التفكيك: أي تفكيك الانظمة اللاهوتية التي تشكلت في العصور الوسطى في المجالات الدينية كافة من أجل الوصول إلى منطق تعددي ذي رؤية تاريخية بعيدة عن صفة جوهرانية وأزلية صالحة لكل زمان و مكان.

٦. ينطلق أركون في نقده للعقل الإسلامي من النص القرآني باعتباره نصاً مؤسساً يقوم عليه الفكر الإسلامي في كافة اتجاهاته وتياراته أو جميع أرثوذكسياته، وهو يسعى لنقد تاريخي على هذا النص و يميز أركون بين النص الكتابي و الشفاهي حيث أولى الأهمية للروايات الشفاهية على حساب المدونة النصية المغلقة للقرآن الكريم.

٧. تجاوز أركون حدود المنهج الفيلولوجي الاستشراقي والفكر الأصولي الإسلامي من أجل بلورة قراءة طموحة وجديدة للفكر الإسلامي يطلق عليه أركون بالاسلاميات التطبيقية ويحاول بهذه القراءة تحرير المعرفة من الأصولية إن كانت استشراقية أو إسلامية لتوفير معرفة تاريخية للوعي الإسلامي متحررة من كل ثوابت المناهج وضعية كانت أم إسلامية.

مدونات قواعد السلوك كوسيلة لمكافحة الفساد في شركات القطاع

الخاص (دراسة قانونية مقارنة)

Records of Behaviours Basics as a tool for combating corruption of private sector companies (Legal comparison study)

م.د. ملاك عبد اللطيف^(١)
Lect. Malak Abdul-Latif

م.م. احمد زكي يحيى الجبوري^(٢)

Assist. Lect. Ahmad Zaki Yaha Al-Jaboory

م.م. جلال حسن حنتوش الحسناوي^(٣)

Assist. Lect. Jalal Hassan Hantush Al-Hasnawy

المستخلص

يعد البحث من المواضيع الهامة في الوقت الحاضر سواء على الصعيد القانوني والعملي بالنسبة الى عمل المؤسسات التجارية، خاصة ان النشاط التجاري يمارس من قبل الاشخاص المعنوية في الوقت الحاضر، ومن الاشخاص الطبيعية والمتمثلة الاولى بالشركات التجارية التي تحتل المساحة الكبرى في النشاط التجاري لدورها الكبير في القيام بالأعباء التي قد لا يتحملها الشخص الطبيعي.

وان البيئة التجارية التي تسعى فيها الشركات الى غاية فذة وهي تحقيق الربح التجاري، من الركائز التي تقوم عليها بعض اخلاقيات العمل التجاري وسلامة النشاط التجاري، لتحقيق الشفافية والنزاهة من خلال اتباع هذه المؤسسات مدونات قواعد السلوك للعاملين فيها، وخاصة ما اكدت عليه اتفاقية الامم

١- كلية الصفوة الجامعة.

٢- كلية القانون- جامعة اهل البيت-النجف.

٣- كلية القانون- جامعة اهل البيت-النجف.

المتحدة لمكافحة الفساد في المادة الثانية عشر منها على (وضع مدونات قواعد السلوك من اجل قيام المنشآت التجارية) وتعد المدونات كعامل تدعيم الثقة والائتمان الذي يقوم عليه النشاط التجاري، وتكمن اشكالية البحث في الفراغ التشريعي لمدونات قواعد السلوك، والاسس التي تقوم عليها، لذلك سوف نتبع المنهج التحليلي الاستقرائي لآراء الفقه ونصوصه القانونية ان وجدت فيه، وذلك من خلال مطلبين الاول لبيان مفهوم مدونات قواعد السلوك، اما المطلب الثاني فيكون مخصصاً لأحكامها، ثم نختم البحث بأهم النتائج والمقترحات.

Abstract

Research is one of the important topics at the present time, both at the legal and practical level for the work of commercial institutions, especially since the commercial activity is practiced by moral persons at the present time, and natural persons and the first represented by commercial companies that occupy the largest area in the commercial activity for its large role in doing With the burdens that the natural person might not bear The commercial environment in which companies strive to achieve this goal is to achieve commercial profit, one of the pillars on which some business ethics and the safety of business activity, to achieve transparency and integrity through the adoption of these institutions codes of conduct for their employees, especially as confirmed by the United Nations Convention against Corruption in Article XII of them (0000 development of codes of conduct for the establishment of commercial enterprises 00000). These codes are considered as a factor to enhance confidence and credit, which is based on business activity, as well as being the pillars and criteria of classification of companies and being an attractive factor for foreign investment.

المقدمة

اولاً: أهمية البحث:

يعد موضوع البحث من المواضيع ذات الاهمية بالنسبة لعمل المؤسسات التجارية، لأنه يعد احد الركائز التي تقوم عليها سلامة العمل من خلال اتباع قواعد السلوك للعاملين فيها، ودوره في تحقيق النزاهة والشفافية، وبالتالي القضاء الى حد كبير على الفساد فيها، وكما لهذه المستويات دورٌ كبير في العملية الاقتصادية للبلد.

حيث تعد مدونات قواعد السلوك من اهم العناصر التي يمكن ان تدخل في تصنيف الشركات المعتمدة لغرض مكافحة الفساد، فكلما كانت الشركة معتمدة على مدونات قواعد السلوك في تعاملاتها، والتي تلعب دوراً مهماً في مكافحة الفساد.

ثانياً: اشكالية البحث:

ان اشكالية البحث تكمن في الفراغ التشريعي لمدونات قواعد السلوك في المؤسسات التجارية من جهة، ومن جهة اخرى عدم وجود ضمانات قانونية كافية للحد من الفساد في شركات القطاع الخاص عن طريق المدونات كما هو الحال في المؤسسات العامة.

ومن جانب اخر عدم بيان الاسس التي تقوم عليها هذه المدونات، ومدى فعاليتها في مكافحة الفساد وتحقيق النزاهة فيها، وغيرها من الإشكاليات التي يثيرها البحث والتي سوف نعالجها من خلال طيات البحث.

ثالثاً: منهجية البحث:

سنعتمد في بحثنا المنهج التحليلي الاستقرائي للآراء الفقهية في هذا الصدد، و ما جاءت به بعض المدونات قواعد السلوك في بعض الشركات، وكذلك النصوص القانونية المتعلقة بهذا الموضوع قدر الامكان وخاصة ما جاءت به من قواعد اتفاقية الامم المتحدة في هذا الصدد.

رابعاً: خطة البحث:

سنتناول هذا البحث وذلك من خلال مطلبين الاول بيان مفهوم مدونات قواعد السلوك وذلك من خلال الفرع الاول لتعريفها والفرع الثاني لشروطها وانواعها اما الفرع الثالث لمبادئها.

اما المطلب الثاني فيكون مخصصاً لأحكامها وذلك في ثلاثة فروع، فيكون الفرع الاول لبيان دورها في مكافحة الفساد، اما الفرع الثاني للمعوقات التي تعيق تحقيق مكافحة الفساد في شركات القطاع الخاص، اما الفرع الثالث يخصص للمسؤولية الناجمة عن الاختلال بها، ثم نختم البحث بأهم النتائج والمقترحات.

المطلب الأول: مفهوم مدونات قواعد سلوك المؤسسات التجارية

تمثل مدونات قواعد السلوك احد العناصر المهمة في مكافحة الفساد في شركات القطاع الخاص، وذلك من خلال لزام العاملين بتلك الشركات من الالتزام بها.

ولغرض معرفة هذه المدونات سنحاول في هذا المطلب التعرف على هذه المدونات وذلك من خلال تقسيم المطلب الى ثلاثة فروع، نتناول في الفرع الاول تعريف مدونات قواعد السلوك، اما في الفرع الثاني نبين فيه شروط هذه المدونات، في حين يكون محور الفرع الثالث فيحصص لبحث المبادئ التي تقوم عليها، وعلى النحو الاتي:

الفرع الأول: تعريف مدونات قواعد سلوك المؤسسات التجارية

تعد مدونات قواعد السلوك الخاصة بالمؤسسات التجارية من بين الوسائل المهمة في مكافحة الفساد وتحقيق النزاهة واحترام القانون، وتحقيق الغاية المنشودة منها في شركات القطاع العام والخاص على حد سواء مع الخصوصية في شركات القطاع الخاص، لقلة الرقابة عليها عدم تطبيق تلك القواعد فيها لو قورنت بالمؤسسات العامة..

وبالركون الى موقف الفقه القانوني في تعريف مدونات قواعد السلوك في شركات القطاع الخاص، نجد انهم اختلفوا في اعطاء تعريف مانع جامع لها.

مدونات قواعد السلوك كوسيلة لمكافحة الفساد في شركات القطاع الخاص (دراسة قانونية مقارنة)

والدليل على ذلك هو عدم وجود تعريف موحد وشامل لها ودقيق مما يزيد من التلاعب بتلك القواعد مما يؤدي بالنتيجة عدم مكافحة الفساد في تلك الشركات.

فقد عرفت مدونات قواعد السلوك بكونها (المعايير الاخلاقية والسلوكيات والقيم الواجب مراعاتها عند اداء العمل الوظيفي)^(٤).

وما يعاب على هذا التعريف بكونه اقتصرت على الاشارة الى المعايير الاخلاقية فقط كجزء من قواعد السلوك التي تشير اليها، دون الاشارة الى المعايير المهنية والتي لا تقل اهمية عن المعايير الشخصية او الاخلاقية.

كما عرفت مدونات قواعد السلوك بكونها (النشاط الذي يعبر عنه الفرد من خلال علاقاته بمن حوله أي مجموعة من المبادئ والمعايير التي تهدف الى ضمان النزاهة، والشفافية، والمساءلة في جميع ما تعلق بنشاط الفرد والمواطنين والعاملين)^(٥).

وان ما يلاحظ على هذا التعريف فضلا عن بيانه لطبيعة تلك المدونات أي ذات طابع شخصي من جهة، ومن جهة اخرى بين اهمية تلك المدونات في ضمان تحقيق النزاهة والشفافية والتي تعد من اهم ما تسعى اليه المدونات لمكافحة الفساد في شركات القطاع الخاص.

وقد عرفها البعض بكونها عبارة عن (مجموعة من السلوكيات والمعايير الاخلاقية التي يتم اعتمادها للعمل في اطار المؤسسات العامة، والتي تحدد للعاملين فيها مجموعة سلوكيات وقيم واجب مراعاتها اثناء اداء مهامهم، وفي علاقاتهم بالجمهور)^(٦).

وهكذا نجد ان هذه التعريفات تبين قواعد السلوك التي يجب على العاملين بالمؤسسات التجارية الالتزام بهما، وبيان الطريق الصحيح في تحقيق الخدمة من وراء عملهم.

ومن صور هذه القواعد والمعايير التي اشارة اليها تلك المدونات كالولاء للمؤسسة التي يعمل بها، او الكفاءة العالية، والنزاهة والانصاف وعدم التحيز، او تلقي الهدايا والمنافع، والابتعاد عن كل ما يؤثر في اداء العمل في هذه المؤسسات.

اما على الصعيد القانوني فنجد ما جاء به اتفاقية الامم المتحدة لمكافحة الفساد وذلك في المادة (١٢) منها في الفقرة الثانية منها (بالعمل على وضع معايير واجراءات تتضمن صون نزاهة كيانات القطاع الخاص ذات الصلة بما في ذلك وضع مدونات سلوك من اجل قيام المنشأة التجارية وجميع المهن ذات الصلة بممارسات انشطتها على وجه صحيح ومشرف وسليم.....).

والتي انظم لها العراق بموجب رقم ٣٥ لسنة ٢٠٠٧، والتي لم تعرف تلك المدونات، وانما دعت الشركات الى الالتزام بها لضمان مكافحة الفساد قدر الامكان.

٤- بلال البرغوثي، والشفافية والمساءلة في مواجهة الفساد، فلسطين، الطبعة الرابعة، من دون جهة نشر، ٢٠١٦، ص ١٦١.

٥- قواعد السلوك واخلاقيات العمل، بورصة البحرين، بحث منشور على موقع الانترنت [www. Alajain covp.com](http://www.Alajain covp.com) ص ٢.

٦- د. سامي عبد الباقي، تعارض المصالح في الانشطة الخاضعة لقانون سوق رأس المال المصري، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠١٦، ص ٣٧٠.

وخاصة هذا ما اشارت اليه المادة (١٠) فقره (٥) من قانون هيئة النزاهة رقم ٣٠ لسنة ٢٠١١ في الفقرة الخاصة (تتولى القيام بما يلزم لتعزيز السلوك الاخلاقي في القطاعين العام والخاص بالتعاون مع المنظمات غير الحكومية.....).

وكذلك ما جاءت به قوانين الشركات من خلال الاشتراط بأعضاء مجلس الادارة ان لا يكون ممنوعاً قانونياً او محكوماً عليه بجنحة او جناية اخلاقية^(٧) وغيرها.

وتتناز قواعد السلوك بالعديد من المزايا ومنها كونها قواعد سلوك اخلاقية أي بمقتضى ضمان الالتزام السلوكي للعاملين في المؤسسات التجارية بقواعد السلوك المهنية مثل النزاهة والامانة والمصادقية وكذلك الثقافية والحفاظ على السمعة الاقتصادية لها^(٨).

وكما انها قواعد تنظيمية، أي تعمل على تنظيم عمل المؤسسات التجارية من خلال تحديد السلوك الواجب اتباعه عند اداء العمل أي السلوك المثالي والذي لا يترك لاجتهاد التخفي لكل موظف، وتشجيع الموظفين على تنمية قدراتهم ومهاراتهم الفنية والوظيفية الادارية، وبالتالي المحافظة على الثقة بين المتعاملين^(٩).

الفرع الثاني: انواع مدونات قواعد السلوك

تشتمل مدونات قواعد السلوك على العديد من المدونات التي يجب مراعاتها في شركات القطاع الخاص، وسبب تعدد هذه المدونات يعود الى تنوع وتعدد القواعد التي تتضمنها تلك المدونات من جهة، ولعدة اعتبارات والتي نحاول بيانها من خلال الفقرات الآتية:-

اولاً: انواع المدونات من حيث طبيعة قواعدها:

تنقسم مدونات قواعد السلوك من حيث طبيعة القواعد التي تتضمنها على قسمين، الاولى قواعد متعلقة بقيم الكفاءة المهنية لقواعد السلوك، والتي يجب على الموظف او العامل في شركات القطاع الخاص من الالتزام بها.

ومن امثلة تلك القواعد هي الكفاءة المهنية العالية، والمعايير التي تقوم عليها او التزام الموظف بها عند اداء عمله، كذلك بذل العناية اللازمة أي العناية المهنية والتقيد بأوقات العمل والسرية وغيرها.

اما القسم الثاني من قواعد السلوك لتلك المدونات، هي القيم الشخصية لقواعد السلوك، ومنها تجنب تضارب المصالح، والولاء الى المؤسسة التي ينتمي لها، والتصرف اللائق وحسن المعاملة^(١٠).

٧- ينظر المادة (٤٨) من قانون الشركات رقم ١٢ لسنة ١٩٦٤ الفلسطيني وكذلك المادة (١٠٦) من قانون الشركات العراقي رقم ٢١ لسنة ١٩٩٧.

٨- بلال البرغوثي، مصدر سابق، ص ٥٧، قواعد السلوك واخلاقيات العمل، مصدر سابق، ص ٤٣.

٩- باسل منصور، التدابير التشريعية والادارية لمكافحة الفساد في القطاعين الاهلي والخاص وفق قواعد اتفاقية الامم المتحدة لمكافحة الفساد ٢٠٠٣، بحث منشور في مجلة النجاح، كلية القانون، جامعة النجاح، فلسطين، ٢٠١٣، ص ١٧-١٨.

١٠- قواعد السلوك واخلاقيات العمل، مصدر سابق، ص ٣٢.

ثانياً: انواع المدونات من حيث جهة اصدارها:

فمن جانب اخر قد تعدد هذه المدونات من حيث جهة اصدارها فقد تكون رسمية أي توضع من قبل الدولة.

كما هو الحال في لائحة السلوك الوظيفي رقم (١) لسنة ٢٠١٦ الصادرة عن هيئة النزاهة العراقية، وكذلك مدونة سلوك الوظيفة العامة الفلسطينية عام ٢٠١٢^(١١).

هذا من جانب، ومن جانب اخر، قد تكون مدونات قواعد السلوك غير رسمية أي توضع من قبل القطاع الخاص أي شركات تضع.

قواعد سلوك تلزم بها موظفيها من باب تنظيم العمل في تلك المؤسسات، ومثل مدونه قواعد السلوك الاصدار الثاني لعام ٢٠١٤ الخاص بمجموعة وير للصناعات.

او قد تكون هذه القواعد عالية وهذا ما جاءت به اتفاقية الامم المتحدة لمكافحة الفساد وذلك في المادة (١٢) منها في الفقرة الثانية منها (بالعمل على وضع معايير واجراءات تتضمن صون نزاهة كيانات القطاع الخاص ذات الصلة بما في ذلك وضع مدونات سلوك من اجل قيام المنشأة التجارية وجميع المهن ذات الصلة بمسارات انشطتها على وجه صحيح ومشرف وسليم.....).

والتي انظم لها العراق بموجب رقم ٣٥ لسنة ٢٠٠٧، وكذلك مدونة قواعد سلوك لموردي للأمم المتحدة لعام ٢٠١٣.

وخاصة ان هذه المدونات تؤدي الى تصحيح المسار في عمل المؤسسات وكذلك وضع التدابير لمنع الفساد من خلال تأهيل وتدريب الاشخاص العاملين في تلك المؤسسات ووضع الشخص المناسب والنزاه والقضاء على الفساد فيها.

وخاصة هذا ما اشارت اليه المادة (١٠) فقره (٥) من قانون هيئة النزاهة رقم ٣٠ لسنة ٢٠١١ في الفقرة الخاصة (تتولى القيام بما يلزم لتعزيز السلوك الاخلاقي في القطاعين العام والخاص بالتعاون مع المنظمات غير الحكومية.....).

وكذلك ما جاءت به قوانين الشركات من خلال الاشتراط بأعضاء مجلس الادارة ان لا يكون ممنوعاً قانونياً او محكوماً عليه بجناية او جنائية اخلاقية^(١٢) وغيرها.

فكل ذلك يؤدي علن قواعد السلوك والمعايير المجتمعية والاخلاقية الواجب توافرها في العاملين بتلك المؤسسات أي اختيار الرجل المناسب والتي من شأنها ان تحد من الفساد سواء كان متعلقاً بالرشوة او الاختلاس او استغلال النفوذ وغيرها.

١١- د. سالم روضان، المركز القانوني لقواعد السلوك الخاصة بموظفي الدولة والقطاع العام، بحث منشور على موقع alivaq.com.

www.Javar، ص ٢١.

١٢- ينظر المادة (٤٨) من قانون الشركات رقم ١٢ لسنة ١٩٦٤ الفلسطيني وكذلك المادة (١٠٦) من قانون الشركات العراقي رقم ٢١ لسنة ١٩٩٧.

الفرع الثالث: مبادئ مدونات قواعد السلوك

حيث تقوم مدونات قواعد السلوك على العديد من المبادئ الاساسية والتي تلعب دوراً مهماً في تقييم هذه المدونات لتمكينها من مكافحة الفساد اثناء ممارسة نشاط التجاري في المؤسسات التجارية الخاصة، والتي سوف نبينها في الفقرات الآتية وعلى النحو الآتي:

اولاً: التوعية بالمدونات:

يقصد بالتوعية بالمدونات قواعد السلوك هو ان تقوم المؤسسات التجارية بأعلام العاملين لديها بوجود مدونات قواعد سلوك، وذلك من خلال نشرها وتعميمها على العاملين، او عقد مؤتمرات او ورشات عمل حول المدونة من اجل الالتزام بها او الترويج للمعايير المهنية واخلاقيات السلوك^(١٣).

ثانياً: احترام القانون:

ويكون ذلك من خلال الخضوع للقواعد القانونية المنظمة لعمل تلك المؤسسات وكذلك اللوائح والتعليمات، فضلاً عن الاخذ بالمعايير والاتفاقيات الدولية، والحرص على الامام بالقوانين والانظمة والتعليمات النافذة بعمله وتطبيقها من دون اخلاص من قبل العاملين في تلك المؤسسات^(١٤).

ثالثاً: الشفافية:

أي أن تقوم هذه المدونات على اساس الشفافية، والتي تتعلق بسلوكيات. الادارة ووضوح الادارة في تصرفاتها التي تبشرها وذلك في اطار الهيكل.. التنظيمي للمؤسسة التجارية^(١٥) او ان لا تعامل بسرية مع العاملين معها وضرورة اشراكهم في صنع القرار، وذلك من خلال انشاء اللجان الداخلية مثل لجنة التوظيف و لجان التدقيق كأداة من ادوات الوصول الى تحقيق الشفافية او التعامل بكل نزاهة مما يؤدي الى تحقيق البيئة الداخلية السليمة لعمل المؤسسة التجارية^(١٦).

رابعاً: النزاهة:

يجب ان يكون سلوك الموظف فوق كل الشبهات، ولا يشوبه أي مأخذ او ضرورة كسب ثقة المتعاملين معه، والذي يمكن قياسه من مدى ارتباط عملة بمصلحة الشخص، والتي تتطلب النزاهة والابتعاد عن استغلال أي منصب او صلاحيات، وضرورة ابلاغ الجهات في حال وجود أي نشاط غير قانوني واخلاقي^(١٧).

خامساً: الامانة والحيادية:

يجب ان يكون سلوك العاملين في المؤسسات التجارية يتصف بالامانة والاستقامة والتحلي بكل الصفات الحميدة والتجرد والحياد مع الحرص على تطبيق القوانين.

١٣- بلال البرغوثي، مصدر سابق، ص ٥٦.

١٤- امير فرج يوسف، الحوكمة ومكافحة الفساد، مكتبة الوفاء القانونية، الاسكندرية، الطبعة الاولى، ٢٠١٦، ص ٢١٦.
15- ENGUELELE GueleStephane, Etats corruption et blanchiment, l'Harmattan, Paris, 2015, p. 56.

١٦- بلال البرغوثي، مصدر سابق، ص ٥٧، باسل منصور، مصدر سابق، ص ٢٣.

١٧- امير فرج يوسف، مصدر سابق، ص ٢١٧.

فضلاً عن الحيادية في العمل والتي تحقق النزاهة والشفافية والعمل بمهنية عالية.

سادساً: المساواة والاجتهاد:

على المؤسسة التجارية ان تعامل مع العاملين كافة معها بدرجة واحدة لا يمكن لأي شخص الانتفاع بشكل غير اعتيادي عن طريق اخفاء معلومات او اساءة استعمال المعلومات السرية او ضرورة الاجتهاد من خلال القيام بعملية بكل عناية ودقة، وذلك من خلال تقديم النصيحة وتجنب السلوك الذي يتم عن الاهمال.

سابعاً: ضرورة التعاون:

يجب على العاملين في المؤسسات التجارية ضرورة التعاون مع الجمعيات الرقابية عند اعداد التقارير او جهات التحقيق، وضرورة الامتناع عن قبول أي هداية او مكافأة او منحة او عمولة مباشرة او بالواسطة، مع ضرورة الافصاح عن سلوك المؤسسات التجارية وذلك وفق حدود القانون (١٨).

ثامناً: الاقتصاد والفعالية:

حيث ينفي على العاملين في المؤسسات التجارية عند قيامه بواجباته ان يضمن عدم تبذير المال الخاص بالمؤسسة او اساءة استعماله بطريقة غير صحيحة، ويجب ان يدير المؤسسة واموالها بطريقة تحافظ على الممتلكات مع ضمان تقديم الخدمة بفاعلية وجودة عالية.

المطلب الثاني: احكام مدونات السلوك في شركات القطاع الخاص

تلعب قواعد مدونات السلوك دوراً هاماً في مكافحة الفساد، بالرغم من اصطدامها بالعديد من المعوقات التي تحول من تحقيق غرضها المنشود، وما تثيره تلك المدونات من مسؤولية على الشركات في حال مخالفتها.

وهذا ما سنتناوله في هذا المطلب، وذلك في ثلاثة فروع، فيكون الفرع الاول لبيان دورها في مكافحة الفساد، اما الفرع الثاني للمعوقات التي تعيق تحقيق مكافحة الفساد في شركات القطاع الخاص، اما الفرع الثالث يخص المسؤولية الناجمة عن الاختلال بها، وذلك على النحو الآتي:-

الفرع الاول: دور مدونات قواعد السلوك في مكافحة الفساد

نظراً لخطورة الاعمال التي تقوم بها شركات القطاع الخاص على القطاع اصادي، لذلك كانت مدونات قواعد السلوك احد الاليات للحد من ذلك، لما لقواعد السلوك التي تأتي بها المدونات دور كبير في مكافحة الفساد ومنع حالات انتهاك القانون الى حد كبير.

ومن تلك الاليات هو من خلال احترام القوانين والمعايير الدولية في ادارة المؤسسات التجارية وخاصة ان هذه المدونات تمتاز بدورها الوقائي من خلال التمسك بقواعدها للحيلولة دون وقوع المخالفة. فهي تهدف الى الترويج للمعايير المهنية واخلاقيات السلوك والذي يعد من مقومات ومحاور نجاح المؤسسات التجارية لأنها سوف يتم العمل وفق بيئة تتسم بالشفافية والنزاهة التامة.

كما تعمل على دفع العاملين الى التعاون مع جهات التحقيق والرقابة عند حصول حالة الكسب غير المشروع من خلال تقديم البيانات الصادقة دون أي تضليل او خداع^(١٩). وتحارب ايضا الفساد باشكالها كلها، ومنها منع الانحراف ويحد من امكانية الاستفادة من المعلومات الداخلية للمؤسسة التي يعملون فيها بهدف تحقيق منافع خاصة لهم او لغيرهم بشكل مخالف للقانون ومنع تضارب المصالح عن طريق قبول عمولات بنفسه او عن الغير.

وكما تهدف قواعد السلوك الى تحقيق الشفافية والنزاهة للعاملين في المؤسسات التجارية من خلال الابتعاد عن الاجتهاد الشخصي في تفسير نصوص القوانين، من خلال وضع قواعد سلوك مهنية مثالية^(٢٠).

كما تلعب دورا مهما في تحقيق الحيادية في ممارسة العمل في المؤسسات وخاصة فيما يتعلق بالتعيين وحالات الترقية وتقديم الخدمات، والذي بدوره يؤدي الى الامتناع عن قبول الهدايا والمنح والعمولة بالمباشرة او الواسطة من جهات او اشخاص اخرين بفرض تسهيل القيام بالعمل او تحقيق مصالح شخصية او عائلية وغيرها^(٢١).

وهكذا فيكون لها دوراً كبيراً في مكافحة الفساد ومحاربه من خلال اتباع هذه القواعد وتطبيق احكام القوانين والاورام والتي تعد احد الركائز في المؤسسات التجارية لتحقيق النزاهة والشفافية فيها، وخاصة ان هذه القواعد يشترط بها ان تشتمل على قدر وفير من البيانات والمعلومات عن المؤسسة التجارية، وعدم حجب أي من البيانات وخاصة بسلوك العاملين الذي يجب اتباعه من قبلهم، فضلا عن ان صافها بالعمومية والدقة و لارتباطها بالمساءلة واحكامها وهذا ما تعيق بعض المعوقات والتي سوف نبينها في الفرع الاتي.

الفرع الثاني: معوقات مدونات قواعد السلوك وحلول تفعيلها

هناك العديد من المعوقات والتحديات التي تؤدي الى عدم تحقيق مدونات قواعد السلوك غايتها في مكافحة الفساد في المؤسسات التجارية، والتي سنحاول بيانها من خلال الفقرات الاتية ومنها:

اولا: غياب جهة الاختصاص:

بأعداد والاشراف على تكوين المدونات قواعد السلوك الخاصة بالمؤسسات التجارية ومراقبة تنفيذها من قبل المؤسسات التجارية وخاصة أنَّ اتفاقية الامم المتحدة قد نصت في مادتها الثانية عشر على ضرورة اعداد مدونات سلوك لممارسة المستويات التجارية وتركت الامر الى الدول في ذلك. فضلا عن عدم وجود لجان لتفسير احكامها ووضع الادوات والنماذج اللازمة لتفعيل تطبيقها، او مراقبة تطبيقها^(٢٢).

١٩- معين البرغوثي، واقع الالتزام بتطبيق مدونات السلوك، فلسطين، بحث منشور على موقع الانترنت www.Collago.ps، ص ٢١.

٢٠- جلال البرغوثي، مصدر سابق، ص ٥٧.

٢١- جلال البرغوثي، مصدر سابق، ص ٢٣.

٢٢- جلال البرغوثي، مصدر سابق، ص ٢٣.

ثانيا: غياب التعاون بين المؤسسات التجارية:

في مسألة اعداد المدونات لقواعد السلوك وخاصة ذات النشاط الواحد، او عدم عمل نموذج معين او اكثر بحيث تقوم بتطبيق المدونة عليها.

ثالثا: عدم وجود جهة مختصة في فرض الجزاء:

على المؤسسات التجارية فيما لو حصل اخلال حتى وان كان ذلك بطريقة غير مباشرة وخاصة انها قواعد ذات طابع اخلاقي تطوعي^(٢٣).

رابعا:

ان ادخال المدونات ومبادئها ضمن الاطار العام للعمل في المؤسسات التجارية يحتاج الى تكاليف اضافية مادية وبشرية.

خامسا: عدم وجود سياسية واضحة

والآليات يمكن من خلالها ادخال المدونات في عمل المؤسسات التجارية وعدها احد المعايير التي يمكن تقييم عمل الموظف او المؤسسة منها.

اما الحلول لتفعيل دور مدونات قواعد السلوك في مكافحة الفساد فيكون من خلال ما يأتي:
اولا:- ضرورة انشاء جهة مختصة بأعداد والاشراف على تنفيذ المدونات في المؤسسات التجارية ومراقبتها مع امكانية مشاركة المؤسسات ذاتها في اعدادها، وتعميمها على المؤسسات التجارية والعمل بها.

ثانيا:- ضرورة القيام بحملة توعية للعاملين في المؤسسات التجارية بالمدونة والتدريب عليها ؛ صورة واضحة.

ثالثا:- ضرورة اعطاء المدونات صيغة الزامية مع تضمينها كحواجز او جعلها احد معايير تقييم المؤسسة والموظف وتحقيق النزاهة والشفافية فيها.

رابعا:- اجراء مراجعة دورية لأظمية الشركات واجراءات العمل بمهدف تبني مبادئ المدونة وتنظيمها على ان يتم ذلك بالاستعانة بالخبراء فضلاً عن جعلها احد شروط تأسيسها.

خامسا:- ضرورة اصدار مدونة قواعد سلوك خاصة بالقطاع الخاص (المؤسسات التجارية) وتشتمل على قواعد السلوك الخاصة بها مقارنة بقواعد سلوك موظفي الدولة رقم (١) لسنة ٢٠٠٥.

الفرع الثالث: المسؤولية المترتبة على الاخلال بقواعد مدونات سلوك المؤسسات التجارية

إنَّ الالتزام بقواعد مدونات سلوك التزام يقع على العاملين في المؤسسات التجارية الخاصة والغاية منه مكافحة الفساد في المؤسسات سالفة الذكر، وبالتالي أي اخلال بهذه القواعد يؤدي الى قيام المسؤولية؛ لان الغاية من المسؤولية هو تفعيل الحامة القانونية للعاملين في هذه المؤسسات.

والغير على حد سواء، سواء كان ذلك الاخلال عن قصد او عن اهمال، سواء كان بعدم نشرها او عدم دقة البيانات فيها او عدم بذل العناية اللازمة لتفعيلها في الشركة وغيرها من الصور.

وعند الكلام عن المسؤولية الناتجة عن الاخلال بقواعد مدونات السلوك نجد انه لا توجد جهة متخصة في المساءلة المؤسسات التجارية عن الاخلال بها، كما هو الحال في مدونة سلوك موظفي الدولة الصادرة عن هيئة النزاهة رقم ١ لسنة ٢٠١٦ والتي تحاسب الموظفين في القطاع العام دون القطاع الخاص هذا من جانب ومن جانب اخر نجد ان الكثير ما يطلق على هذا القواعد بكونها قواعد تطوعية اخلاقية تأديبية أي غير ملزمة للعاملين في شركات القطاع الخاص.

ولكن نجد انه يمكن التأسيس لقواعد المسؤولية لهذه المدونات في حال مخالفة العاملين بها في المؤسسات التجارية وخاصة لدينا الاساس القانوني الخصب حتى وان كان غير مفعل ومنها ما جاءت به المادة ١٢ من اتفاقية الامم المتحدة لمكافحة الفساد لعام ٢٠٠٣ والمصادق عليها العراق لعام ٢٠٠٧ والتي يمكن من تفعيل دورها في فرض الجزاء في حال المخلفة.

هذا من جانب ومن جانب اخر نجد لها الاساس في قانون النزاهة رقم ٣٠ لسنة ٢٠١١ في المادة ١٠ منه والذي اعطى لها الحق في تقرير النزاهة والشفافية في القطاع الخاص في الفقرة الخامسة منها.

وكذلك ما نصت عليه المادة ١٠٦ من قانون الشركات العراقي مثل لجان التفتيش وغيرها فيمكن ان تقوم المسؤولية القانونية والمعاقب عليها ولكن لا تكون بصورة مباشرة وانما بصورة غير مباشرة وخاصة في الوضع الحالي وخاصة ما يكون عن طريق صور مخالفة هذه القواعد ومنها (استغلال الوظيفة لتحقيق منفعة او ربح شخصي له او الى الغير او القيام بواجبات الوظيفية بحسب تقرر القوانين والانظمة والتعليمات).

حيث نجد ان هذه الـ صور معاقب عليها في العديد من القوانين في حال تبني الدولة لها والزام المؤسسات التجارية الخاصة بالالتزام بها مثل قانون الخدمة المدنية وكذلك قانون العقوبات وقانون النزاهة وغيرها من القوانين.

وقد تكون هناك عقوبات على المؤسسات التجارية ذاتها وليس فقط على العاملين بها مثل عدم تسجيلها من قبل مسجل الشركات او عدم اعطائها شهادة تأسيس او ادراجها ضمن شركات القائمة السوداء وغيرها من العقوبات التي ندعو المشرع العراقي الى الاخذ بها.

الخاتمة:

من خلال استعراضنا للمحاور السابقة حول موضوع مدونات قواعد السلوك في المؤسسات التجارية توصلنا الى العديد من النتائج والمقترحات:-

اولاً: النتائج:

١- من خلال بحثنا وجدنا أنَّ المدونة هي عبارة عن (مجموعة من القواعد الواجب اتباعها من قبل العاملين في المؤسسات التجارية من اجل تحقيق النزاهة والشفافية ومكافحة الفساد).

- ٢- وجدنا أنَّ هذه المدونات قد تكون رسمية صادرة من جهة رسمية أو غير رسمية تصدر من قبل الشركات التجارية وتشمل نوعين من القواعد السلوك المهنية والاخلاقية.
- ٣- تقوم مدونات قواعد السلوك على العديد من المبادئ ومنها النزاهة والشفافية، واحترام القانون والامانة والحيادية.
- ٤- وجدنا ان لمدونات قواعد السلوك دوراً مهماً في مكافحة الفساد من خلال دورها الوقائي والتدبيري فضلاً عن دورها في ارساء المعايير المهنية والاخلاقية.
- ٥- تبين لنا هناك العديد من المعوقات التي تقف حائلاً بين المدونات ومكافحة الفساد مثل عدم وجود جهة مختصة أو عدم قيام المؤسسات التجارية بتبنيها أو عدم وجود حلول ناجحة لها.

ثانياً: المقترحات:

- ١- نقترح على المشرع العراقي ان يتضمن قانون الشركات العراقي رقم ٢١ لسنة ١٩٩٧ نصوصاً تلزم الشركات التجارية بتبني مدونات قواعد السلوك وجعلها احد شروط تأسيسها، وخاصة انه قد انظم الى اتفاقية الامم المتحدة لمكافحة الفساد وذلك بحسب المادة (١٢) فقرة (٢- ب) منها.
- ٢- نقترح عليه اعداد جهة مختصة بأعداد والاشراف على تنفيذ المؤسسات التجارية لمدونات السلوك.
- ٣- ضرورة اعطاء المدونات نوع من الالزام وجعلها احد معايير تحقيق النزاهة والشفافية فيها.
- ٤- ضرورة الزام المؤسسات التجارية بالقيام بحملات توعية ومراجعة دورية للمدونات وادخال ما هو جديد مراعاة للتطور الحاصل في نشاط الشركات التجارية.

المصادر:

اولاً: الكتب القانونية:

- ١- جلال البرغوثي، النزاهة والشفافية والمساءلة في مواجهة الفساد، فلسطين، الطبعة الرابعة، ٢٠١٦.
- ٢- د. سامي عبد الباقي، تعارض المصالح في الانشطة الخاضعة لقانون صرف راس المال المصري، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠١٦.
- ٣- قواعد السلوك واخلاقيات العمل، بورصة البحرين، بحث منشور على موقع الانترنت www.alyjaincovp.
- ٤- سالم روضان، المركز القانوني لقواعد السلوك الخاصة بموظفي الدولة. والقطاع العام، بحث منشور على موقع www.dovav-alivaq.com.
- ٥- باسل من صور، التدابير التشريعية والادارية لمكافحة الفساد في القطاعين الاهلي والخاص وفق قواعد الشفافية للأمم المتحدة لمكافحة الفساد ٢٠٠٣، بحث منشور في مجلة النجاح، كلية القانون، جامعة النجاح، فلسطين، ٢٠١٢.
- ٦- امير فرج يوسف، الحوكمة ومكافحة الفساد، مكتبة الوفاء القانونية، الاسكندرية، الطبعة الاولى، ٢٠١١.

٧- معين البرغوثي، واقع الالتزام بتطبيق مدونات السلوك، فلسطين، بحث منشور على موقع الانترنت www.collago.ps.com.

ثانيا: القوانين والمدونات:

- ١- لائحة السلوك الوظيفي رقم (١) لسنة ٢٠١٦.
- ٢- مدونة سلوك الوظيفة العامة الفلسطينية ٢٠١٢.
- ٣- مدونة سلوك شركة ادوية الحكمة.
- ٤- مدونة مجموعة وير للصناعات ٢٠١٤.
- ٥- اتفاقية الامم المتحدة لمكافحة الفساد ٢٠٠٣.
- ٦- مدونة سلوك لموردي للأمم المتحدة ٢٠١٣.
- ٧- قانون النزاهة رقم ٣٠ لسنة ٢٠١١.
- ٨- قانون الشركات الفلسطيني رقم ١٢ لسنة ١٩٦٤.
- ٩- قانون الشركات العراقي رقم ٢١ لسنة ١٩٩٧.

ثالثا: المصادر الاجنبية:

1-ENGUELELE GueleStephane, Etats corruption et blanchiment, l'Harmattan, Paris, 2015.

حكم انتقال التركة العقارية بالوفاة مع اختلاف الجنسية

في التشريع العراقي

The Verdict of Inheritance transmission by death in spite of different nationalities in Iraqi legislation

أ.د. حيدر حسين الشمري^(١) Prof. Hayder Hussain AL-Shammari

م.م. احمد خليل^(٢) Assist. Lect. Ahmad Khalil

الملخص

تعد مسألة انتقال التركة العقارية بالارث من الامور التي تناولها المشرع العراقي بالتنظيم من العناية والحذر. فالتركة العقارية هي الاموال العقارية او حقوق الارتفاق المتعلقة بها والتي يتركها المتوفى سواء اكانت متعلقة بملكية الرقبة ام حق المنفعة ام كانت املاكاً صرفة ام اميرية (مفوضة بالطابو).

واذا كان انتقال ملكية مثل هذه الاموال بالوفاة سواء عن طريق الوصية ام الميراث امرا مسموحاً به في التشريع العراقي عند اتحاد جنسية المالك والمنقول له الا ان الامر ليس بمثل هذه السهولة عند اختلاف الجنسية بينهما (الموصي و الموصى له - الوارث والمورث)، حيث ان مثل هذا الامر يعد خطاً احمر من وجهة نظر المشرع العراقي حاله حال بقية المشرعين في دول العالم لما تشكله الملكية العقارية من قيمة وضمانة لسيادة الدولة فادى ذلك الى التشدد في الجواز وفقاً لشروط معينة بل انما في بعض الاحيان غير مقبولة وان تحققت مثل هذه الشروط.

ان موضوع البحث وان كانت في اطار القانون الدولي الخاص الا ان مضمونها القانوني يجد مكانة في ظل التشريعات المدنية النافذة كالقانون المدني رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١ وقانون الاحوال الشخصية رقم ١٨٨ لسنة ١٩٥٩ وقانون التسجيل العقاري رقم ٤٣ لسنة ١٩٧١ وغيرها من القوانين الاخرى.

1- كلية القانون - جامعة كربلاء.

٢- كلية الحلة الجامعة.

كما ان اشكاليات البحث تنصب في المسائل الاتية هل ان المشرع العراقي قد شدد في انتقال الملكية العقارية بالوفاة ام تراخى عنها؟ واذا ما قلنا بالتشديد فهل ان مثل هذا التشديد يصل حد المنع في بعض الاحيان؟ وهل أنَّ المشرع العراقي فرق بين الوصية بالعقار والارث به في الحكم؟ وهل ان الامر واحد في ملكية الرقبة والمنفعة؟

عليه فاننا سنحاول في هذه الدراسة أن نعلم الى بيان حكم المشرع العراقي فقط عامدين الى استعراض المنظومة التشريعية النافذة بهذا الخصوص وسنقسم هذه الدراسة على مبحثين نتطرق في الاول الى حكم الايصاء العقاري وفي الثاني الى حكم الارث العقاري وسنضع خاتمة لاهم النتائج والتوصيات التي سنخلص اليها في هذه الدراسة راجين من الله الموفقية والعون.

Abstract

The issue of transferring the real estate legacy by inheritance is one of the matters dealt with by the Iraqi legislature, with the organization and with some care and caution. The real estate inheritance is the real estate property or the easement rights related to it that the deceased leaves, whether it is related to the ownership of the neck or the right of usufruct, or it is pure property or emiriya (delegated to the title deed).

And if the transfer of ownership of such inheritance by death, whether through a will or inheritance, is permissible in Iraqi legislation when the nationality of the owner and the transferee is united, but the matter is not as easy when the nationality is different between them (the testator and the trustee - the heir and the heir), as This matter is considered a red line from the point of view of the Iraqi legislator, the situation of the rest of the legislators in the countries of the world because of the value of real estate ownership and a guarantee of state sovereignty.

The topic of the research, even if it is within the framework of private international law, but its legal content finds a place under the civil legislation in force, such as Civil Law No. 40 of 1951, Personal Status Law No. 188 of 1959, Real Estate Registration Law No. 43 of 1971 and other laws.

Also, the problems of research focus on the following issues: Has the Iraqi legislator stressed the transfer of real estate ownership by death, or was it reluctant to it? And if we say with strictness, does such strictness reach the point of prohibition at times? And is the Iraqi legislator now a difference between the will of the property and the inheritance with it in ruling? Is the matter the same regarding ownership of the neck and the benefit?

Therefore, we will try in this study to intend to clarify the ruling of the Iraqi legislature only, intending to review the legislative system in force in this regard, and we will divide this study into two studies. In the first we will deal

with the ruling on real estate trusteeship and in the second the ruling on real estate inheritance and we will put a conclusion to the most important findings and recommendations that we will conclude in this Study, hoping for good luck and help.

المقدمة

تعد مسألة انتقال التركة العقارية بالارث من الامور التي تناولها المشرع العراقي بالتنظيم وبشئ من العناية والحذر. فالتركة العقارية هي الاموال العقارية او حقوق الارتفاق المتعلقة بها والتي يتركها المتوفى سواء أكانت متعلقة بملكية الرقبة ام حق المنفعة ام كانت املاكاً صرفة ام اميرية (مفوضة بالطابو). وإذا كان انتقال ملكية مثل هذه التركات بالوفاة سواء عن طريق الوصية ام الميراث امراً مسموحاً به في التشريع العراقي عند اتحاد جنسية المالك والمنقول له الا ان الامر ليس بمثل هذه السهولة عند اختلاف الجنسية بينهما (الموصي و الموصى له - الوارث والمورث)، حيث ان مثل هذا الامر يعد خطاً احمر من وجهة نظر المشرع العراقي حاله حال بقية المشرعين في دول العالم لما تشكله الملكية العقارية من قيمة وضمانة لسيادة الدولة فادى ذلك الى التشدد في الجواز وفقاً لشروط معينة بل انما في بعض الاحيان غير مقبولة وان تحققت مثل هذه الشروط.

إنّ موضوع البحث وان كانت في اطار القانون الدولي الخاص الا ان مضمونها القانوني يجد مكانة في ظل التشريعات المدنية النافذة كالقانون المدني رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١ وقانون الاحوال الشخصية رقم ١٨٨ لسنة ١٩٥٩ وقانون التسجيل العقاري رقم ٤٣ لسنة ١٩٧١ وغيرها من القوانين الاخرى. كما اشكاليات البحث تنصب في المسائل الاتية هل ان المشرع العراقي قد شدد في انتقال الملكية العقارية بالوفاة ام تراخى عنها؟ واذا ما قلنا بالتشديد فهل ان مثل هذا التشديد يصل حد المنع في بعض الاحيان؟ وهل أنّ المشرع العراقي فرق بين الوصية بالعقار والارث به في الحكم؟ وهل ان الامر واحداً في ملكية الرقبة والمنفعة؟

عليه فاننا سنحاول في هذه الدراسة ان نعلم الى بيان حكم المشرع العراقي فقط عامدين الى استعراض المنظومة التشريعية النافذة بهذا الخصوص وسنقسم هذه الدراسة على مبحثين نتطرق في الاول الى حكم الايصاء العقاري وفي الثاني الى حكم الارث العقاري وسنضع خاتمة لاهم النتائج والتوصيات التي سنخلص اليها في هذه الدراسة راجين من الله الموفقية والعون.

المبحث الاول: حكم الايصاء العقاري

عرف الفقهاء المسلمون الوصية بتعاريف مختلفة في الصياغة ولكن متشابهة في المعنى، فمنهم من عرفها بأنها "تمليك مضاف ما بعد الموت بطريق التبرع سواء أكان الموصى به عيناً أم منفعة"^(٨). ومنهم من عرفها بأنها "تصرف في التركة مضاف الى ما بعد الموت"^(٩). اما الوصية العقارية فيمكن تعريفها بأنها التصرف الوارد على التركة العقارية للموصي بعد وفاته سواء تعلق بملكية الرقبة ام المنفعة.

وعموماً فاننا سنقسم هذا المبحث على مطلبين: الاول نتطرق الى الوصية بالاملاك الـ صرفة والثاني نتطرق الى الوصية بالاراضي الاميرية.

المطلب الاول: الوصية بالاملاك الصرفة

ظل العراق طوال قرون عدة احدى الولايات التابعة للدولة العثمانية وكان خاضعا لتنظيمها القانوني، اذ طبقت الدولة العثمانية احكام الشريعة الاسلامية وظل الحال عليه الى ان جاء الاحتلال البريطاني وادخل قوانينه على العراق، وبعد اعلان الدولة العراقية وصدور قانون الجنسية رقم ٤٢ في عام ١٩٢٤ حلت عبارة (الجنسية) محل عبارة (اختلاف الدارين) الواردة في التشريعات العثمانية، وفي عام ١٩٣١ صدر قانون الاحوال الشخصية صية للأجانب^(٣)، الذي اوجب على المحاكم العراقية عند النظر في دعاوى المواد الشخصية المتعلقة بالأجانب، ان تطبق ذلك القانون وفق احكام حقوق الدول الخاصة باعتبارها القانون الشخصي (الجنسية)^(٤). وأشار الى وجوب تطبيق القوانين العراقية على صحة الوصية بالأموال غير المنقولة الكائنة في العراق والعائدة الى متوفى اجنبي وفي كيفية انتقالها^(٥). وإذا كان هذا القانون لم يشر صراحة الى جواز الوصية مع اختلاف الجنسية، إلا انه يمكن القول بجواز الوصية مطلقاً مع اختلاف الجنسية في ظل ذلك القانون، وهذا ما يستشف من نصوص هذا القانون المتعلقة بالوصية، حيث اشار الى انه اذا وجدت وصية للمتوفى الاجنبي فتقدم الى المحكمة وعلى المحكمة ان تؤشر عليها وتختتمها بختمها ويوقع الحاكم عليها^(٦). وأشار هذا القانون الى قرارات المحاكم الاجنبية التي يكون قانون دولتها القانون الشخصي للمتوفى اذا كانت متعلقة بحقوق الارث او الوصية، فتعد لدى المحاكم العراقية كحجج قطعية للاستدلال بمضامينها^(٧). واستمر الحال بجواز الوصية بالعقار مع اختلاف الجنسية حتى بعد صدور القانون المدني رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١ المعدل، والذي نظم احكام الوصية في اطار القانون الدولي الخاص^(٨)، حيث اشار هذا القانون الى ان قضايا الميراث والوصية وسائر التصرفات المضافة ما بعد الموت يسري عليها قانون الموصي وقت موته^(٩). كما وأشار الى تطبيق القوانين العراقية في صحة الوصية بالأموال غير المنقولة الكائنة في العراق والعائدة الى المتوفى الاجنبي وفي كيفية انتقالها^(١٠). وأشار هذا القانون الى ان المسائل الخاصة بالملكية والحياة والحقوق العينية الاخرى وبنوع خاص طرق انتقال هذه الحقوق بالعقد والميراث والوصية وغيرها، يسري عليها قانون الموقع فيما يخص العقار^(١١).

غير أنَّ الامر تغير بصدور قانون الاحوال الشخصية^(١٢) الذي اشار الى سريانه على العراقيين المسلمين او المسلمين غير العراقيين الذين تطبق احكام القانون المدني على احوالهم الشخصية، وقد اشار هذا

٣- المرقم ٧٨ لسنة ١٩٣١ المعدل المنشور في جريدة الوقائع العراقية بالعدد ٩٢٢ في ٩ / ٦ / ١٩٣١ وينبغي الإشارة الى ان هذا القانون يسري على الاجانب غير المسلمين فيما يتعلق دعاوى المواد الشخصية و يسري على المسلمين الاجانب عندما يكون قانونهم الشخصي مدنيا اما بالنسبة للمواطنين المسلمين على اختلاف المذاهب تطبق بحكم الاحكام الشرعية على المذهب السني او الامامي والتي كما رأينا سابقاً تجيز الوصية مع اختلاف الملة (الدين او الجنسية) وفق شروط ذكرناها سابقاً.

٤- ينظر: المادة (٢) من هذا القانون.

٥- ينظر: المادة (٤) من هذا القانون.

٦- ينظر: المادة (٨) من هذا القانون.

٧- ينظر: المادة (١٧) من هذا القانون.

٨- علماً ان المادة (١٣٨١) من هذا القانون قد الغت المواد (١، ٤ المعدلة ٥، ٦).

٩- ينظر: المادة (١/٣) من هذا القانون.

١٠- ينظر: م (٢/٣) من هذا القانون.

١١- ينظر: المادة (٢٤) من هذا القانون.

١٢- رقم ١٨٨ لسنة ١٩٥٩ المعدل.

القانون الى انه^(١٣) "تصح الوصية بالمنقول فقط مع اختلاف الدين ويصح به مع اختلاف الجنسية شرط المقابلة بالمثل"، وأوضح بوجوب الغاء جميع النصوص التشريعية التي تتعارض و احكام هذا القانون. والمفهوم المخالف لنص المادة (٧١) من هذا القانون، يقودنا الى القول بعدم جواز الوصية بالعقار مع اختلاف الجنسية. وعليه فلو اتحد الموصى له والموصي بالدين واختلفا بالجنسية فلا تجوز الوصية العقارية بينهما، وعليه فلو ان مسلماً مصرياً اوصى بعقار له في العراق لمسلم عراقي فلا تصح الوصية حسب النص المتقدم.

و نتسأل عن مغزى هذا النص الذي لم نجد له نظيراً في التشريعات العربية، وإذا كانت الحكمة هي الحفاظ على اراضي البلاد وعدم الانتقال الى الاجانب، اذن ما الحكمة في عدم جوازها من غير العراقي الى العراقي هل في ذلك ضرر^{(١٤)؟}

ويلاحظ أنَّ النص المتقدم جاء مطلقاً فيشمل ملكية الرقبة والمنفعة ويشمل الاشخاص الطبيعيين او المعنويين^(١٥). حتى قانون التسجيل العقاري رقم ٤٣ لسنة ١٩٧١ المعدل، اشار في م (٢٥٥) منه الى وجوب مراعاة "احكام القوانين العراقية الخاصة بالأجنبي في تسجيل الوصية الواردة على حق الملكية العقارية العائدة له اضافة الى الاحكام الواردة في هذا القانون"^(١٦). علماً ان هذا القانون اشار الى أنَّه^(١٧) "لا يجوز تسجيل الوقف او الوصية على العقار المسجل باسم اجنبي اذا كان الموقوف عليه او الموصى له جهة اجنبية خارج العراق"، مع ملاحظة أنَّ قانون التسجيل العقاري قد حدد مفهوم الاجنبي، بأنه كل شخص لا يحمل الجنسية العراقية ولم يكن من رعايا الدول او الامارات العربية و اوجب عند توفر الشروط الاتية^(١٨) لتسجيل العقار باسم الاجنبي وهي:

- أ- أن يقع ضمن حدود البلدية وان يبعد العقار عن خط الحدود بما لا يقل عن ٣٠ كم^٢.
- ب- توفر مبدأ المقابلة بالمثل.
- ت- عدم وجود مانع اداري وعسكري بتأييد كل من المحافظ والسلطة العسكرية المختصة.
- ث- موافقة وزير الداخلية.

وقصر هذا القانون تسجيل الملكية العقارية للأجنبي فقط على حق الملكية والحقوق العينية الاصلية الاخرى عدا حق التصرف في الاراضي الاميرية بما لا يتجاوز دار واحدة للسكن ومحلاً للعمل واعتبر الحصة الشائعة ملكية تامة لهذا الغرض^(١٩).

١٣- المادة (٧١) من هذا القانون.

١٤- في تفاصيل هذه الملاحظات ينظر: حيدر حسين كاظم: اثبات الوصية بالعقار وتسجيلها في التشريع العراقي، بحث منشور في مجلة جامعة كربلاء، العدد (٤)، كانون الاول ٢٠٠٦، ص ١٢٥.

١٥- كما يمكن القول بجواز الوصية بالعقار مع اختلاف الجنسية في حالة ان تكون الوصية للموصى به بكل التركة وليس له وارث خاص فهنا سيدخل في حكم الورثة التي اشارت اليهم م (٣/٨٨)، ومن ثم يستحق التركة على اساس الوصية بل على اساس الميراث وتطبق عليه احكام الارث مع اختلاف الجنسية الذي اجازته م (٢٣) مدني شرط المقابلة بالمثل.

١٦- ينظر م (٢٥٥) من هذا القانون. مع ملاحظة ان الموصي والموصى له لو كانا متحدا الجنسية كان يكون الموصى مسلم او عربي والموصى له مسلم او عربي والموصى به عفار في العراق صحت الوصية لاتحاد الدين والجنسية.

١٧- ينظر: المادة (١٥٧) من هذا القانون.

١٨- ينظر: المادة (١/١٥٤) من هذا القانون.

١٩- ينظر: المادة (١٥٥) من هذا القانون.

علماً أنَّ تعليمات التسجيل العقاري المرقمة ٣ لسنة ١٩٨٧، قد اشارت الى انه يراعى بخصيص معاملات نقل الملكية باسم الاجنبي فيما يتعلق بتملكه لوحدة عقارية في العراق احكام قانون تملك الاجنبي للعقار رقم ٣٨ لسنة ١٩٦١ المعدل، بشرط توفر مبدأ المقابلة بالمثل مع الإقامة في العراق لمدة سبع سنوات، وعند عدم توفر شرط الإقامة يقضى بتصفية هذه الملكية بيعاً استناداً لإحكام المواد ١١ و ١٢ و ١٣ من هذا القانون^(٢٠).

ويلاحظ ان قانون التسجيل العقاري قد ميز بين العربي والأجنبي، اذ بين ان رعايا الدول والإمارات العربية الاخرى، يخضع في تسجيل الحقوق العقارية الاصلية الى موافقات الجهات التي يعينها القانون مع مراعاة القيود والإجراءات المقررة قانوناً^(٢١). ومع ان هذا القانون لم يقيّد حق ملكية العربي إلا أنّ تعليمات التسجيل العقاري رقم ٣ لسنة ١٩٨٧، قد حددت ضوابط للتملك ميزت فيها بين المواطن العربي غير المقيم في العراق، حيث اوجبت فيما يخص تملكه للعقار في العراق الاحكام الواردة في القانون رقم ٥ لسنة ١٩٥٥، إضافة الى وجود توفر مبدأ المعاملة بالمثل واستحصال موافقة وزارة الداخلية ومصادقة وزارة العدل، اما المواطن العربي المقيم في العراق اقامة دائمة (خمس سنوات)، فيراعى في تملكه العقار في العراق احكام القانون رقم ٧٢ لسنة ١٩٧٨، الذي لا يشترط توافر مبدأ المقابلة بالمثل او وجوب استحصال موافقة وزارة الداخلية ومصادقة وزارة العدل عليها^(٢٢).

وأمام ملاحظتنا بخصوص المادة (٧١) من قانون الاحوال الشخصية النافذ، نرى ضرورة تعديل هذه المادة وجعلها بالصياغة الآتية "تصح الوصية بالعقار والمنقول مع اختلاف الدين وتصح الوصية بالمنقول فقط مع اختلاف الجنسية، اما العقار فلا تصح الوصية بها مع اختلاف الجنسية إلا اذا كان الموصى له عراقي الجنسية وقت انشاء الوصية ووقت وفاة الموصي". ونرى ان هذه الصياغة اقرب الى العدل والمنطق ولا تتعارض ومصلحة البلاد.

المطلب الثاني: الوصية بالأراضي الاميرية

إنَّ الاراضي الزراعية هي التي تكون ملكية رقبته للدولة وهي ما تعرف بالتشريع العراقي بالأراضي الاميرية التي تعود رقبته الى الدولة (وزارة المالية)، اما حق التصرف فيها^(١٣٥) والانتفاع بها، إما ان يبقى بيد الحكومة وتسمى في هذه الحالة (اميرية صرفة)^(١٣٦)، او تفوضه الحكومة الى الاشخاص او تمنحه بالزمة^(٢٣).

٢٠- ينظر: المادة (٥) من هذا القانون.

٢١- ينظر: المادة (١٥٩) من هذا القانون.

٢٢- ينظر: المادة (١٢/١٢) من هذه التعليمات مع ملاحظة ان قانون تملك الكويتيين اموالاً غير منقولة رقم (٩) لسنة ١٩٥٢ قد استثنى الكويتيين من القيود القانونية المفروضة على تملك الاجانب للأموال الغير منقولة بما في ذلك البساتين في العراق عدا الاراضي الزراعية إلا ان قانون التسجيل العقاري النافذ قد اخضع تسجيل الاراضي الزراعية المملوكة باسم الكويتي الى موافقة الجهات الرسمية التي يعينها القانون وهي مجلس الوزراء مع ملاحظة ان رعايا دولة الكويت يعاملون معاملة العراقي دون حاجة لأخذ موافقات بشأن تسجيل الملكية العقارية عدا الاراضي الزراعية، ينظر م (١٦٠) من قانون التسجيل العقاري و المادة (٣/١٢) و المادة (١/١٣) من تعليمات التسجيل العقاري رقم ١٣ لسنة ١٩٨٧.

٢٣- وقد عرف قانون التسجيل العقاري النافذ في م (٧) منه الاراضي الاميرية بأنها "التي تعود رقبته للدولة و تكون على ثلاثة انواع: أ- الاراضي الاميرية الصرفة وهي التي تعود رقبته وجميع حقوقها الى الدولة. ب- الاراضي الاميرية المفوضة في الطابو: هي التي تفوض حق التصرف فيها الى اشخاص وفق احكام القوانين وتعتبر الاراضي الموقوفة وفقاً غير صحيح التي يقتصر وقفها على الرسوم

وبخصوص الاراضي الزراعية فقد كانت مسألة انتقالها بالوصية مع اختلاف الجنسية ممنوعاً، فلو رجعنا الى فترة العهد العثماني ولغاية صدور القانون المدني العراقي النافذ رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١، كانت الاراضي الاميرية خاضعة لحكم م (١١٠) من قانون الاراضي العثماني لسنة ١٢٧٤هـ، الذي كان لا يجيز انتقال الاراضي العثمانية الى غير العثماني بوصية او ميراث او غيرها، اذ نصت هذه المسألة على انه "لا تنتقل اراضي العثماني الى ورثته الاجانب وليس للأجانب حق الطابو في اراضي العثماني" (٢٤). وظل قانون الاراضي العثماني باقياً حتى صدور القانون المدني العراقي ونفاذه عام ١٩٥٣ الذي الغاه، وإذا كان هذا الاخير لم يشير صراحة الى جواز او عدم جواز الوصية بالأراضي الاميرية مع اختلاف الجنسية، إلا انه كان يستفاد المنع قياساً على منع انتقال حق التصرف بين العراقي والأجنبي، اذ اشار هذا القانون الى انه "لا يثبت حق الانتقال ما بين المختلفين في الدين ولا بين عراقي وأجنبي" (٢٥). وجاءت م (٧١) من قانون الاحوال الشخصية لتؤكد هذا المنع على اعتبار عدم جواز الوصية بالعقار مع اختلاف الجنسية، وصدر قانون التسجيل العقاري عام ١٩٧٠، الذي اكد على وجوب ان يراعى احكام القوانين العقارية الخاصة بالأجنبي في تسجيل الوصية الواردة على حق الملكية العقارية العائدة له، اضافة الى الاحكام الواردة في هذا القانون.

وإذا كان هذا القانون (٢٦)، قد منع تسجيل الوصية الواردة على حق التصرف في الاراضي الاميرية او الموقوفة وفقاً غير صحيح، وكذلك عدم جواز تسجيلها على المنشآت و المغروسات المحدثة عليها بعد نشر قانون حق التصرف وان اجاز تسجيل الوصية بالتمليك او الوصية بالعين الواردة على المغروسات او المنشآت المحدثة على الاراضي الاميرية او الموقوفة وفقاً غير صحيح قبل نشر قانون التصرف (٢٧)، فهذا النص جاء قطعياً سواء اكانت الوصية بين عراقيين او مختلفي الجنسية، ومن ثم القول بعدم جواز الوصية في الاراضي الاميرية (الزراعية) تبين متحدي الجنسية او مختلفيها ولا يجوز تسجيل مثل هذه الوصية بدوائر التسجيل العقاري، وهذا المنع برأينا يعني بطلان مثل هذه الوصية وعدم جواز ترتيب اي اثر لها، سواء تعلقت بالرقبة ام بالمنفعة، علماً ان قانون التسجيل العقاري قد اخضع تسجيل الاراضي الزراعية المملوكة باسم الكويتيين الى موافقة الجهات الرسمية التي يعينها القانون" (٢٨).

والأعشار او كليهما بحكم الاراضي الاميرية المفوضة بالطابو. ج- الاراضي الاميرية الممنوحة باللمزة: هي الاراضي التي منح حق التصرف فيها للأشخاص حسب احكام قانوني التسوية و اللمزة". علماً ان هذا الأنواع قد تم توحيدها بمسمى الأراضي الأميرية المملوكة للدولة حسب المادة الاولى من قانون توحيد أصناف أراضي الدولة رقم ٥٣ لسنة ١٩٧٦.

٢٤- ينظر: د. جابر جاد عبد الرحمن، القانون الدولي الخاص ط ١، شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة - بغداد، ١٩٧٢، ص ٣٣٩.

٢٥- ينظر: م ١١٩٩ من هذا القانون.

٢٦- ينظر: م (٢٥٥) من هذا القانون.

٢٧- مع ملاحظة ان م (٢/٢٥٠) قد اجازت تسجيل الوصية بالتمليك بالعين الواردة على المؤسسات او المنشآت المحدثة على الاراضي الاميرية او الموقوفة وفقاً صحيحاً قبل النشر ويتصل حق التصرف في الاراضي للموصى له تبعاً للمنشآت او المؤسسات إلا ان هذا برأينا يشمل العراقيين فقط ولا يشمل مختلفي الجنسية طبقاً للقوانين النافذة المشار اليها سابقاً.

٢٨- ينظر: المادة (٢/١٦) من هذا القانون مع ملاحظة الفقرة (١٣) من تعليمات التسجيل العقاري رقم ١٣ لسنة ١٩٧٨، قد اشارت الى ان تملك رعايا الاخطار العربية للأراضي الزراعية يخضع للضوابط الآتية:

- أ- يجوز لرعايا دولة الكويت تملك البستان دون اي موافقات اما الارض الزراعية فلا يجوز لهم تملكها الا بموافقة مجلس الوزراء.
- ب- لا يجوز لرعايا الدول العربية الاخرى تملك الاراضي الزراعية والبساتين الا في الحالات التي يجيزها قانون الاصلاح الزراعي والقرار ١٧٨ لسنة ١٩٨٤ بالنسبة للتأجير والاستصلاح الزراعي.

ويذهب رأي انه لا يستقيم القول بان إخضاع وصية الاجنبي بالعقار في العراق ينطبق على الاراضي الاميرية، إذ كيف يمكن القول بإخضاع الوصية للقانون العراقي في فرض عدم امكان الوصية اصلاً. وان الاستثناء المقرر بنص الفقرة (٢) من المادة (٢٣) مدني عراقي، لا يتناول الاراضي الاميرية ولا يتعلق بهذه الأراضي، فهو موجه أو في الاقل يفترض ان يوجه لوصية الاجنبي بعقار، مما يجوز له تملكه و الايصاء به، أي وصية الاجنبي بعقار من الاملاك الصرفة أو الملك التام بحسب تعبير القانون المدني العراقي، وذلك على فرض اجازة القانون العراقي تملك هذا النوع من العقارات للأجنبي في حدود معينة^(٢٩).

المبحث الثاني: حكم الارث العقاري

يعرف البعض الميراث بانه "خلافه المنتمي إلى الميت الحقيقي أو الحكمي بنسب، أو سبب حقيقة أو حكماً"، فالحكمي كالمفقود، والحكم كالولاء الثابت بالإقرار أو بالبينة. والخلافه في الإرث جبرية باعتبار الشارع^(٣٠). وعرفه آخر بانه "الإرث: هو ما يتركه الميت من خير قابل للتملك يثبت لورثته بعد موته"^(٣١). وعرفه آخر انه "أن يحل الوارث محل مورثه فيما كان له من أموال أو حقوق مالية عند وفاته"^(٣٢). وعرفه آخر بانه "انتقال التركة من الميت الى ورثته الاحياء سواء اكان المتروك مائلاً أو عقاراً او حقاً من الحقوق الشرعية"^(٣٣). اما الارث العقاري فيمكن للباحث تعريفه بانه التركة المنصبة على العقار او أي حق عيني متعلق به سواء اكان هذا العقار ملكاً صرفاً ام ارضاً ميرية.

وعموماً فقد مر موقف المشرع العراقي بخصوص تملك العقار بالارث مع اختلاف الجنسية بعدة مراحل ابتداء عندما كان خاضع للدولة العثمانية وتلاها صدور قانون الاحوال الشخصية للاجانب عام ١٩٣١ وبعدها القانون المدني العراقي النافذ.^(٣٤)

عليه سنقسم هذا المبحث على مطلبين، نتطرق في الاول الى الاتجاه بخصوص الاملاك الصرفة والثاني الاتجاه بخصوص الاراضي الاميرية.

المطلب الاول: الارث العقاري بالاملاك الصرفة

مر الارث العقاري بالاملاك الصرفة بدورين الاول قبل عام ١٩٣١ والثاني بعده الامر الذي يجعلنا من تقسيم هذا المطلب على فرعين الاول الموقف قبل صدور قانون الاحوال الشخصية للاجانب عام ١٩٣١ والثاني بعد صدور القانون اعلاه.

الفرع الاول: الموقف قبل صدور قانون الاحوال الشخصية للاجانب عام ١٩٣١

يبدأ هذا الدور في ظل الدولة العثمانية حيث ظل العراق طوال قرون عدة احدى الولايات التابعة للدولة العثمانية وكان خاضعاً لتنظيمها القانوني، اذ طبقت الدولة العثمانية احكام الشريعة الاسلامية

٢٩- منصور يحيى عبد الله محمد، تنازع القوانين في مسائل الميراث والوصية (دراسة مقارنة)، رسالة ماجستير - كلية القانون - جامعة الموصل، ٢٠٠٢، ص ٥٤.

٣٠- الشيخ محمد مصطفى شلي: احكام الموارث بين الفقه والقانون، ١٩٦٧م، ص ٤٠، ٥٨.

٣١- أحمد عبد الجواد، أصول علم الموارث (قسمة التركة بالطريقة لحسابية وبالقيراط)، ١٩٧٥، ص ١.

٣٢- علي الخفيف، أحكام المعاملات الشرعية، مطبعة السنة المحمدية، ط ٤، القاهرة، ص ٣٦.

٣٣- محمد علي الصابوني: الموارث في الشريعة الاسلامية في ضوء الكتاب والسنة، دار الحديث القاهرة، بدون سنة طبع، ص ٣٤.

حيث كان المعمول وفق قوانينها النافذة ان اختلاف الدارين (الجنسية) بالنسبة لغير المسلمين يعد مانعا من الارث شرط اختلاف المنعة (العسكر) بين الدوليتين وانقطاع العصمة بينهما واستحلال كل منهما قتال الاخرى اما المسلمون فيتوارثون فيما بينهم اذا يعتبرون دار واحدة ولا تختلف الديار فيما بينهم مهما كانت الجهة التي يقيمون فيها^(٣٥) وهو رأي ابو حنيفة الذي اخذ به مجلس شورى الدولة العثماني بقرار له بتاريخ ٢٧ مارس سنة ١٣٢٤ هـ مفاده (ان الوراثة تبني على النصرة والولاية فاذا وجد التعاون والتناصر والتعاقد بين الدولتين تثبت الوراثة واذا انتفى هذا التعاون والتعاقد امتنعت^(٣٦) ومن ثم فالاجني الذي يقيم في انكلترا وهي دولة بينها وبين العراق انذاك تعاون مشترك يستطيع ان يرث العراقي بعكس ما اذا كان مقيم في دولة اخرى انقطع بينهما وبين العراق التعاون والتناصر واستحل كل منهما قتال الاخرى وظل العمل باحكام الشريعة الاسلامية في ظل الدولة العثمانية الى ان صدر قانون الاراضي العثماني الصادر سنة ١٣٧٤ هـ والذي منع في م(١١٠) منه انتقال اراضي العثماني الى ورثته الاجانب كما لم يجر حق الطابو للاجني في اراضي العثماني الا ان هذا القانون لم يوضح او يبين الحل القانوني بصدد انتقال اراضي العثماني الى ورثته من الاجانب او العثمانيين مما دفع مجلس شورى الدولة العثماني الى اصدار عدة قرارات تضمنت المبادئ الاتية^(٣٧).

الاول: إنَّ املاك واراضي المتوفين من التبعة العثمانية لا تتوارث ولا تنتقل الى ورثتهم واقاربهم الاجانب.
الثاني: ان الاملاك الـ صرفة والعقارات الموقوفة ذات المقاطعات التي بعهدة الاجانب تنتقل الى ورثتهم الاجانب.

الثالث: ان الاملاك الـ صرفة والاراضي الزراعية الاميرية الموقوفة العائدة الى الاجانب تنتقل الى ورثتهم العثمانيين^(٣٨).

الرابع: ان قضية اختلاف الدار الشرعية لا تطبق في انتقال الاراضي العثمانية الموقوفة^(٣٩)، الا ان الامر تغير فيما بعد لاسيما وان الدولة العثمانية قد دخلت في تعاملات مع دول عديدة منها فرنسا والمانيا وبريطانيا وابرامها لاتفاقيات وبروتوكولات ومعاهدات عديدة ما دفع الدولة العثمانية لاصدار قانون تملك التبعة الاجنبية للاراضي العثمانية حيث اصبح الامر من السهولة وان من حق رعايا الدول الاجنبية الموقعة على البروتوكول الملحق بالقانون ان تملك الاملاك الـ صرفة والـ صرف بالاراضي الزراعية الاميرية^(٤٠).

وظل الحال عليه الى ان جاء الاحتلال البريطاني وادخل قوانينه على العراق، وبعد اعلان الدولة العراقية وصدور قانون الجنسية رقم ٤٢ في عام ١٩٢٤ حلت عبارة (الجنسية) محل عبارة (اختلاف الدارين) الواردة في التشريعات العثمانية وصار مقتضى ذلك ان المنتمي الى دولة اخرى غير العراق لا يرث

٣٥- د. جابر جاد عبد الرحمن، مرجع سابق، ص ٢٣٧.

٣٦- د. جابر جاد عبد الرحمن، مرجع سابق، ص ٢٣٧.

٣٧- ينظر: صالح عبد الزهرة الحسون، حقوق الاجانب في القانون العراقي، ط١، دار الاوقاف الجديد، ١٩٨٦، ص ٣١١.

٣٨- يقصد بمصطلح العثمانيين كل شخص تابع لدولة تحت سيطرة الدولة العثمانية التي عاصمتها الاستانة انذاك.

٣٩- ينظر: صالح عبد الزهرة الحسون، مرجع سابق، ص ٣١٢.

٤٠- ينظر: صالح عبد الزهرة الحسون، مرجع سابق، ص ٣١٢.

من العراقي ولا يرث من الاجنبي لاختلاف الجنسية بينهما مهما كانت العلاقات الدولية بين العراق والدول الاخرى^(٤١).

الفرع الثاني: الموقف بعد عام ١٩٣١

في هذه الفترة صدر قانون الاحوال الشخصية للاجانب^(٤٢) الذي اوجب على المحاكم العراقية عند النظر في دعاوى المواد الشخصية المتعلقة بالاجانب، ان تطبق ذلك القانون وفق احكام حقوق الدول الخاصة باعتبارها القانون الشخصي (الجنسية)^(٤٣). وعندما صدر القانون المدني العراقي اجاز الارث مع اختلاف الجنسية شرط المقابلة بالمثل اذ نصت م (٢٢) مكنه على ان "قضايا الميراث يسري عليها قانون الموروث وقت موته مع مراعاة ما يلي: أ- اختلاف الجنسية غير مانع من الارث في الاموال المنقولة والعقارات، غير ان العراقي لا يرثه من الاجانب الا من كان قانون دولته يورث العراقي منه. ب- الاجنبي الذي لا وارث له تؤول امواله التي في العراق للدولة العراقية ولو صرح قانون دولته بخلاف ذلك"، ونصت م (٢٣) من هذا القانون على ان "المسائل الخاصة بالملكية والحيازة والحقوق العينية الاخرى، وبنوع خاص طرق انتقال هذه الحقوق بالعقد والميراث والوصية وغيرها، يسري عليها قانون الموقع فيما يختص بالعقار، ويسري بالنسبة للمنقول لقانون الدولة التي يوجد فيها هذا المنقول وقت وقوع الامور الذي ترتب عليه كسب الحق او فقده. علماً ان تعليمات التسجيل العقاري المرقمة ٣ لسنة ١٩٨٧، قد اشارت الى انه يراعى بخصوص معاملات نقل الملكية باسم الاجنبي فيما يتعلق بتملكه لوحدة عقارية في العراق احكام قانون تملك الاجنبي للعقار رقم ٣٨ لسنة ١٩٦١ الملغى، بشرط توفر مبدأ المقابلة بالمثل مع الإقامة في العراق لمدة سبع سنوات، وعند عدم توفر شرط الإقامة يقضى بتصفية هذه الملكية بيعاً استناداً لإحكام المواد ١١ و ١٢ و ١٣ من هذا القانون^(٤٤).

ونفس ما اشرنا اليه في الوصية ينطبق على الميراث بخصوص تعليمات التملك وشروطه الا اننا ننوه انه استمر جواز التملك العقاري للأجانب^(٤٥) حتى عام ١٩٩٤ حيث صدر قرار مجلس قيادة الثورة المنحل رقم ٢٣ لسنة ١٩٩٤ وبموجبه أوقف العمل بجميع القوانين و القرارات التي تبيح التملك العقاري لغير العراقيين. واستمر الوضع هكذا حتى بعد صدور دستور العراق الدائم لعام ٢٠٠٥ حيث نظمت المادة (١/٣/٢٣) إحكام التملك العقاري حيث نصت على (للعراقي الحق في التملك في أي مكان في العراق ولا يجوز لغيره تملك غير المنقول ألا ما استثنى بقانون) وهذا النص يعني ان التملك العقاري من قبل الأجانب يقتضي ان ينظم بقانون ولم يصدر لحد الان مثل هكذا قانون إلا أن قانون الاستثمار رقم (١٣)

٤١- حامد مصطفى: القانون الدولي الخاص العراقي، ط١، بغداد، بدون سنة طبع، ص١٦٣.

٤٢- المرقم ٧٨ لسنة ١٩٣١ المعدل المنشور في جريدة الوقائع العراقية بالعدد ٩٢٢ في ١٩٣١/٦/٩ وينبغي الاشارة الى ان هذا القانون يسرى على الاجانب غير المسلمين فيما يتعلق دعاوى المواد الشخصية و يسرى على المسلمين الاجانب عندما يكون قانونهم الشخصي مدنيا اما بالنسبة للمواطنين المسلمين على اختلاف المذاهب تطبق بحقهم الاحكام الشرعية على المذهب السني او الامامي.

٤٣- ينظر: المادة (٢) من هذا القانون.

٤٤- ينظر: المادة (٥) من هذا القانون.

٤٥- ولو من الناحية النظرية او التشريعية.

حكم انتقال التركة العقارية بالوفاة مع اختلاف الجنسية في التشريع العراقي لسنة ٢٠٠٦ في المادة (١٠) اجاز للمستثمر الأجنبي الاحتفاظ بالأرض وقد تم تعديل النص باتجاه جواز السماح له بالتملك، وهو خارج نطاق بحثنا بالنسبة للإرث.

لذا آن الاوان للمشروع العراقي ان يلغي القرار ٢٣ لسنة ١٩٩٤ ويعيد النظر بمسألة الارث العقاري شرط المقابلة بالمثل وفق ضوابط و محددات يضعها المشرع منها ان تكون الجنسية الفعلية للوارث عراقية في حالة تعدد الجنسيات وان تكون له اقامة فعلية في العراق لاتقل سنويا عن ثلاثة اشهر.

المطلب الثاني: الارث العقاري بالاراضي الاميرية

سبق وان اوضحنا مفهوم الاراضي الاميرية في مسألة الوصية وبالامر نفسه ينطبق هنا و لا داعي للتكرار الا انه ينبغي الاشارة الى ان الاراضي الاميرية بعدها اراضي زراعية لها خصوصية في مسألة انتقال ملكيتها بالارث مع اختلاف الجنسية فلو رجعنا الى الى فترة العهد العثماني ولغاية صدور القانون المدني العراقي عام ١٩٥١ كانت الاراضي الاميرية خاضعة للمادة (١١٠) من قانون الاراضي العثمانية لسنة ١٢٧٤هـ الذي كان لا يميز انتقال ملكية هذه الاراضي اذا كانت عائدة لمتوفى عثماني (عراقي) الى ورثته الاجانب كما اشارت الى انه ليس للاجانب حق الطابو في الاراضي العثمانية (العراقية) حيث نص على انه "لا تنتقل اراضي العثماني الى ورثته الاجانب وليس للاجانب حق الطابو في اراضي العثماني..."^(٤٦)، مع ملاحظة انه اذا كانت هذه الاراضي عائدة الى اجنبي بسبب تملكها او اكتساب حق التصرف فيها بمقتضى قانون تملك التبعية الاجنبية المؤرخ في ٧ صفر لسنة ١٢٤٨ هـ فانه يجوز ان تنتقل الى ورثته الاجانب وذلك طبقا لمقررات مجلس شورى الدولة^(٤٧). وبعد نفاذ القانون المدني عام ١٩٥٣ فقد الغي قانون الاراضي العثماني ولم يميز هذا القانون (المدني) انتقال هذه الاراضي مع اختلاف الجنسية حيث اشار في م ١١٩٩ منه الى انه "لا يرث حق الانتقال ما بين...عراقي و اجنبي" وعزز هذا الامر قانون التسجيل العقاري النافذ حيث اشترط ان يكون اصحاب حق الانتقال (اي ورثة المتصرف المتوفى) من العراقيين فان كان قسما منهم لا يحمل الجنسية العراقية فينحصر انتقال حق التصرف بالعراقيين منهم واذا كان جميعهم لا يحمل الجنسية العراقية فتعد الارض الاميرية منحلة وتسجل باسم وزارة المالية^(٤٨) كما ان رعايا الدول والامارات العربية هم ايضا مشمولون بالحضر رغم عدم اعتبارهم اجانب وفق احكام هذا القانون وعليه فان اختلاف الجنسية بين المتصرف واصحاب حق الانتقال مانع من هذا الانتقال وان العبرة بوقت اختلاف الجنسية او اتحادها وقت سبب نشوء حق الانتقال سواء بالوفاة ام بالغيبه المتقطعة^(٤٩).

وواضح أنّ المشرع العراقي قد تشدد حين صدور القانون المدني في مسألة تملك الاراضي الزراعية للاجانب سواء عن طريق الارث ام غيره لما تمثله هذه الاراضي من قوت للشعب وخطورة ان توضع بين يد الاجانب لما له دور في الاقتصاد الزراعي والصناعي والتجاري للبلد.

٤٦- ينظر: جابر جاد عبد الرحمن، مرجع سابق، ص ٣٣٩.

٤٧- الصادرة في ٢٤ تموز سنة ١٢٩١ هـ و ١٣ ذي القعد سنة ١٣١٨ هـ و ١٣ مارس سنة ١٣١٥ هـ و ٨ جمادي الاولى سنة

١٣٢٦ هـ و ٢٥ مارس سنة ١٣٢٤ هـ.

٤٨- ينظر م ١٩١ من هذا القانون.

٤٩- مصطفى مجيد، مرجع سابق، ص ١١٨.

اولا: النتائج

١. هنالك تشدد واضح من قبل المشرع العراقي في الاوانه الاخيرة بخصوص التملك العقاري للاجانب عموما والتملك به عن طرق الوصية والارث خصوصا.
٢. مرت الوصية العقارية بالاملاك الصرفة مع اختلاف الجنسية بمرحلتين الاولى قبل عام ١٩٥٩ والثانية بعده حيث كانت قبل هذه المدة جائزة في ظل القوانين النافذة اما بعد صدور قانون الاحوال الشخصية النافذ فان منع الوصية بالعقار مع اختلاف الجنسية.
٣. اما بخصوص الايصاء باراضي الاميرية فان هذا الحظر وارد في القانون المدني ومن ثم عدم صحته.
٤. الارث العقاري بالاملاك الـ صرفة وان كان جائزا في ظل التشريعات النافذه (المدني والتسجيل العقاري) الا ان التطبيقات العملية كانت تضع المعوقات عليه حتى صدور القرار رقم ٢٣ لسنة ١٩٩٤ الذي أوقف العمل بجميع القوانين و القرارات التي تبيح التملك العقاري لغير العراقيين. واستمر الوضع هكذا حتى بعد صدور دستور العراق الدائم لعام ٢٠٠٥ حيث نظمت المادة (١٣/٢٣) إحكام التملك العقاري حيث نصت على (للعراقي الحق في التملك في أي مكان في العراق ولا يجوز لغيره تملك غير المنقول إلا ما استثنى بقانون) وهذا النص يعني ان التملك العقاري من قبل الأجانب يقتضي ان ينظم بقانون ولم يصدر لحد الآن مثل هكذا قانون.
٥. الارث العقاري للاراضي الاميرية غير جائز في التشريع العقاري منذ نفاذ القانون المدني ولايجوز انتقال هذه الاراضي للاجانب وان لم يوجد صاحب حق انتقال عراقي ابدا فان الارض تنحل وتسجل باسم وزارة المالية.

ثانيا: التوصيات

١. أمام ملاحظتنا بخصوص المادة (٧١) من قانون الاحوال الشخصية النافذ، نرى ضرورة تعديل هذه المادة وجعلها بالصياغة الآتية "صح الوصية بالعقار والمنقول مع اختلاف الدين وتصح الوصية بالمنقول فقط مع اختلاف الجنسية، اما العقار فلا تصح الوصية بها مع اختلاف الجنسية إلا اذا كان الموصى له عراقي الجنسية وقت انشاء الوصية ووقت وفاة الموصي". ونرى ان هذه الصياغة اقرب الى العدل والمنطق ولا تتعارض ومصلحة البلاد.
٢. لذا آن الآوان للمشرع العراقي ان يلغي القرار ٢٣ لسنة ١٩٩٤ ويعيد النظر بمسألة الارث العقاري شرط المقابلة بالمثل وفق ضوابط و محددات يضعها المشرع منها ان تكون الجنسية الفعلية للوارث عراقية في حالة تعدد الجنسيات وان تكون له اقامة فعلية في العراق لانتقل سنويا عن ثلاثة اشهر.

المصادر

اولا: المؤلفات والبحوث

- ١- أحمد عبد الجواد، أصول علم الموارث (قسمة التركة بالطريقة لحسابية وبالقياط)، ١٩٧٥، ص ١.

- ٢- د. جابر جاد عبد الرحمن، القانون الدولي الخاص ط ١، شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة - بغداد، ١٩٧٢.
- ٣- حامد مصطفى: القانون الدولي الخاص العراقي، ط ١، بغداد، بدون سنة طبع.
- ٤- حيدر حسين كاظم: اثبات الوصية بالعقار وتسجيلها في التشريع العراقي، بحث منشور في مجلة جامعة كربلاء، العدد (٤)، كانون الاول ٢٠٠٦.
- ٥- صالح عبد الزهرة الحسون، حقوق الاجانب في القانون العراقي، ط ١، دار الاوقاف الجديد، ١٩٨٦.
- ٦- علي الخفيف، أحكام المعاملات الشرعية، مطبعة السنة المحمدية، ط ٤، القاهرة.
- ٧- محمد علي الصابوني: الموارث في الشريعة الاسلامية في ضوء الكتاب والسنة، دار الحديث القاهرة، بدون سنة طبع.
- ٨- محمد مصطفى شلبي: احكام الموارث بين الفقه والقانون، ١٩٦٧ م.
- ٩- مصطفى مجيد شرح قانون التسجيل العقاري رقم ٤٣ لسنة ١٩٧١، ج ١، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٧٣.
- ١٠- منصور يحيى عبد الله محمد، تنازع القوانين في مسائل الميراث والوصية (دراسة مقارنة)، رسالة ماجستير - كلية القانون - جامعة الموصل، ٢٠٠٢.

ثانياً: - القوانين والأنظمة والتعليمات العراقية

- ١- قانون الاراضي العثماني لسنة ١٢٧٤ هـ الملغي.
- ٢- قانون الأحوال الشخصية للأجانب رقم ٧٨ لسنة ١٩٣١ المعدل والنافذ.
- ٣- قانون حق التصرف في الأموال غير المنقولة لسنة ١٩٤٣ الملغي.
- ٤- القانون المدني رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١ المعدل والنافذ.
- ٥- قانون تملك الكويتيين اموالا غير منقولة رقم (٩) لسنة ١٩٥٢ النافذ.
- ٦- قانون الأحوال الشخصية النافذ رقم ١٨٨ لسنة ١٩٥٩ المعدل والنافذ.
- ٧- قانون التسجيل العقاري رقم ٤٣ لسنة ١٩٧١ والمعدل والنافذ.
- ٨- قانون توحيد أصناف أراضي الدولة رقم ٥٣ لسنة ١٩٧٦ النافذ.
- ٩- تعليمات التسجيل العقاري رقم ١٣ لسنة ١٩٨٧ والنافذ.

أثر قدرات التجديد التنظيمي في تحقيق استراتيجية الاستدامة
الاستباقية -دراسة تحليلية لآراء عينة من المديرين في شركات الاتصالات
(زين العراق - أسيا سيل)

The impact of organizational renewal capabilities in achieving a proactive sustainability strategy -An Analytical Study for A Sample Of Managers In The Mobile Communication Companies In Iraq (Zain Iraq- Asia Cell)

Prof. Alaa Farhan Talip
Lect. Muhammad Jabbar Hadi

أ.د. علاء فرحان طالب^(١)
م. محمد جبار هادي^(٢)

المخلص

تهدف الدراسة إلى تحديد وتشخيص إبعاد قدرات التجديد التنظيمي، واستراتيجية الاستدامة الاستباقية على مستوى شركتي (زين العراق، أسيا سيل) للاتصالات المتنقلة، ولغرض تحقيق أهداف الدراسة تم تقسيمها إلى أربعة مباحث، استعرض الأول المنهجية العلمية للدراسة، وتضمن الثاني عرض نظري لمتغيرات الدراسة، أما الثالث فقد تطرق إلى اختبار الفرضيات وتحليل نتائجها، بينما أشار الرابع إلى الاستنتاجات والتوصيات، وتم استخدام استمارة الاستبانة وتوزيعها على (١٣٠) عينة من المديرين في الشركتين للاتصالات المتنقلة، وأشارت نتائج التحليل الإحصائي باستخدام تحليل الارتباط وتحليل الانحدار إلى التحقق من فرضيات الدراسة الرئيسية والفرعية في المنظمة (مجتمع) الدراسة، ومن أبرز

١- جامعة كربلاء/ كلية الإدارة والاقتصاد.

٢- المعهد التقني/ كربلاء.

== أثر قدرات التجديد التنظيمي في تحقيق استراتيجية الاستدامة الاستباقية -دراسة تحليلية لآراء عينة من المديرين في شركات الاتصالات الاستنتاجات هو اهتمام ادارة الشركات المبحوثة بالقدرة على التواصل وادارة وتنظيم وتنمية العلاقات الاجتماعية مع الافراد و تطوير وتحسين الاداء وتبادل المعلومات بين الافراد العاملين، وإحداث التغيير الذي يؤدي الى نجاح الشركات في التجديد التنظيمي. وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من التوصيات.

Abstract

The study aims at identifying and diagnosing the dimensions of the organizational renewal capabilities and the proactive sustainability strategy at the level of the mobile telecom companies (Zain Iraq, Asia Cell). In order to achieve the objectives of the study, the study was divided into four sections. The first reviewed the scientific methodology of the study. The questionnaire was used and distributed to (130) sample managers in mobile telecom companies. The results of the statistical analysis were indicated using correlation analysis and analysis The main findings are the concern of the management of companies with the ability to communicate, manage, organize and develop social relations with individuals, develop and improve performance, exchange information among working individuals, and bring about change that leads to the success of companies. In organizational renewal, The study reached a number of recommendations.

المقدمة

جذب التجديد التنظيمي انتباه الأكاديميين والممارسين بوصفه احد القضايا الجوهرية التي تسعى إليها المنظمات، فهو الوسيلة المستمرة لتحسين قدرات ومهارات العاملين في المنظمات وزيادة إنتاجيتها، لذا تسعى المنظمات الى اعتماد التجديد ضمن رسالتها ورؤيتها ومنهجها لتتماشى مع التطورات الجديدة في المجالات المختلفة (البيئية، التكنولوجية، الاستراتيجية والتنظيمية)، وهو محاولة لإرساء طرائق ومفاهيم تنسجم مع الظروف والمواقف والأزمات التي تمر بها المنظمات، لذا فان الانخراط في عمليات بناء قدرات التجديد يُمكن المنظمات من تحقيق الاستدامة الاستباقية، وبالتالي يتطلب من المنظمات التفكير دائما بإعادة ترتيب استراتيجيتها وتجميع مواردها لتقديم منتجات وخدمات تلبي حاجات زبائنها.

ونظرا للدور المهم والبارز التي تؤديه قدرات التجديد التنظيمي في تحقيق أهداف المنظمة المرجوة وزيادة قيمتها وقدرتها التنافسية وصولا إلى تحقيق الاستدامة الاستباقية، إذ باتت المنظمات أكثر إدراكا أن الاستدامة الاستباقية العامل الحاسم في بقائها ونجاحها وكونه العنصر الثمين في تحقيق الميزة التنافسية المستدامة، وتحقيقاً لما تقدم تتجسد مشكلة الدراسة، بالجدل الفكري حول متغيرات الدراسة الرئيسة، وذلك بسبب حداثة الموضوع عند الكتاب والباحثين، وهدفت الدراسة الى تحديد وتشخيص إبعاد قدرات التجديد التنظيمي، واستراتيجية الاستدامة الاستباقية في شركات الاتصالات المتنقلة (زين العراق، أسياسيل)، وتم تبويب الدراسة إلى مجموعة مباحث خ صص الأول للمنهجية العلمية للدراسة وتناول المبحث الثاني الإطار النظري بشقيه قدرات التجديد التنظيمي واستراتيجية الاستدامة الاستباقية وبرز

عناصرها، وتناول المبحث الثالث اختبار علاقة الارتباط والتأثير بين متغيرات الدراسة، وجاء المبحث الرابع بعرض اهم الاستنتاجات والتوصيات.

المبحث الاول: المنهجية العلمية للدراسة Study Methodology

أولاً: مشكلة الدراسة Problems of the study

إنَّ التحديات والتغيرات الكبيرة التي تحدث، قد تتسبب بقيام المنظمة باستبدال وتحديث وتحسين وتطوير وتغيير أجزاء جوهرية من المنظمة لتضمن بقاءها واستمراريتها في ممارسة أعمالها بالشكل الذي يمكنها من منافسة المنظمات الأخرى وفق تطلعاتها المستقبلية من خلال عمليات الابداع والابتكار والمعرفة، وبالتالي فإن مثل هذا التحول يستلزم القيام ببناء قدرات التجديد التنظيمي التي تكون بمثابة الآلية للتكيف مع البيئات الديناميكية المعقدة، وعند صر أساسي مؤثر في استدامة الشركة، وعليه فان قدرات التجديد التنظيمي تمثل تحديا كبيرا بالنسبة للعديد من المنظمات.

وتمثل هذه المشكلة بالجدل الفكري حول متغيرات الدراسة الرئيسة، وذلك بسبب حداثة الموضوع عند الكتاب والباحثين، وان قدرات التجديد التنظيمي، لم تحظ باهتمام بالغ من الباحثين، وافترقت الدراسات لبيان مفهوم استراتيجية الاستدامة الاستباقية على الرغم من تعاظم أهميتها بسبب التطورات البيئية والاقتصادية والاجتماعية وازدياد وعي وثقافة الزبائن واهتمام الدول في تحسين واقع البيئة المحيطة، وسن العديد من القوانين والتشريعات الصارمة في حماية البيئة الداعمة لدينونة الموارد والقدرات والحفاظ على البيئة، وعلى الرغم من الجهود السابقة في بيان مفاهيم هذه الموضوعات وتحليل مضامينها الفكرية، إلا ان هناك كثيراً من القضايا المعرفية مازالت بحاجة إلى مزيد من البحث والتقصي، ويمكن تأطيرها بالتساؤلات الآتية:-

- أ. ما طبيعة علاقات الارتباط والأثر ونوعها بين قدرات التجديد التنظيمي واستراتيجية الاستدامة الاستباقية؟
- ب. كيف يمكن الاستفادة من قدرات التجديد التنظيمي في تحقيق استراتيجية الاستدامة الاستباقية للمنظمة؟
- ت. ما هي الاسس والمرتكزات الفلسفية والمفاهيمية لموضوعات الدراسة والجدل الفكري بينهما (قدرات التجديد التنظيمي، استراتيجية الاستدامة الاستباقية)؟.
- ث. هل تمتلك ادارة الشركات المبحوثة تصورا واضحا عن قدرات التجديد التنظيمي وتأثيرها في تحقيق استراتيجية الاستدامة الاستباقية؟

ثانياً: أهمية الدراسة Importance of study

تتمثل أهمية الدراسات العلمية بشكل عام بالانعكاسات والفوائد المتحققة من جراء تنفيذها ومدى مساهمتها في تطوير الواقع الميداني للدراسة، لذا يمكن تقسيم أهمية الدراسة الحالية ضمن محاور ثلاثة هي:-

== أثر قدرات التجديد التنظيمي في تحقيق استراتيجية الاستدامة الاستباقية -دراسة تحليلية لآراء عينة من المديرين في شركات الاتصالات

المحور الأول: الأهمية النظرية

تتجسد الأهمية النظرية للدراسة في ضوء النقاط الآتية:-

١. دراسة حديثة تحاول الربط بين موضوعات في مجالات مختلفة (،نظرية المنظمة، الادارة الاستراتيجية) بما يقدم اغناء معرفيا وفكريا وهي محاولة متواضعة لتقديم مفاهيم وأسس جديدة لمنظمات الأعمال.
٢. ركزت الدراسة الحالية على موضوع التجديد التنظيمي واستراتيجية الاستدامة الاستباقية يمكن ان تساهم في توفير بعض المفاهيم والنتائج التي تم التوصل لها في زيادة الإثراء الفكري والتراكم المعرفي للباحثين في مجال متغيرات الدارسة.

المحور الثاني: الأهمية الميدانية

تتجلى الأهمية الميدانية بتقديم المعالجات والمقترحات لإدارة الشركات المبحوثة (شركات الات صالات المتنقلة (زين العراق، اسيا سيل العراقية) ووضعها موضع التنفيذ والافادة منها، لأجل الارتقاء بواقع أداء الشركات المبحوثة من خلال جهود مدراء الشركات ودورهم في تحقيق الابداع والتميز ومقابلة حالات عدم التأكد البيئي من خلال الافادة من تطبيق مفاهيم قدرات التجديد التنظيمي، واستراتيجية الاستدامة الاستباقية، وبالتالي تحقيق أهداف الشركات في التميز والابداع والابتكار.

ج. المحور الثالث: الأهمية البشرية

إنَّ الدراسة الحالية ذو دور كبير في تطوير القدرات الابداعية لمدراء الشركات المبحوثة، وذلك من خلال إيضاح ابرز نقاط الضعف والعوائق التي تواجه المدراء التي تحول دون تطبيق ابعاد قدرات التجديد التنظيمي، وكذلك ضعف إدراكهم لمسؤوليتهم الاجتماعية اتجاه زبائنهم، وبلاستفادة من التوصيات والمقترحات المقدمة، اضف إلى ذلك أهمية ما قد تحققه من أثار ايجابية على البيئة المحيطة بالشركات والمتمثلة بالمجتمع نتيجة تحسين واقع البيئة وديمومة القدرات التنظيمية.

ثالثا: أهداف الدراسة Objective Study

إنَّ الهدف الرئيس للدراسة هو التحقق من العلاقة والتأثير بين (المهارات السياسية، بناء قدرات التجديد التنظيمي، استراتيجية الاستدامة الاستباقية) وذلك في ضوء مشكلة الدراسة وأهميتها، وبشكل أكثر تحديداً تهدف الدراسة إلى تحقيق الآتي:

١. تأطير معرفي متكامل لموضوعات الدراسة الأساسية، المتمثلة، بقدرات التجديد التنظيمي، استراتيجية الاستدامة الاستباقية، من خلال الاطلاع على أهم الطروحات العلمية الخاصة بهذه الموضوعات في مجالات عديدة (نظرية المنظمة والادارة الاستراتيجية) والتأطير المعرفي الموجود فيها.
٢. تحديد وتشخيص إبعاد قدرات التجديد التنظيمي، واستراتيجية الاستدامة الاستباقية في شركات الاتصالات المتنقلة.
٣. تحديد مدى قدرة الشركات المبحوثة على امتلاك أبعاد بناء التجديد التنظيمي والمتمثلة بـ(المقدرة الاستراتيجية، استثمار الوقت، الممارسات القيادية، التواصل، التوجه نحو التعلم، ادارة المعرفة) التي تؤهلها لمواكبة التغيرات البيئية والتكيف معها من أجل تحقيق استراتيجية الاستدامة الاستباقية.

٤. التعرف على الإجراءات الفعلية المتخذة من قبل الشركات عينة الدراسة لبناء قدرات التجديد التنظيمي.
٥. الكشف عن واقع ممارسة استراتيجية الاستدامة الاستباقية في الشركات العراقية للاتصالات المتنقلة (عينة الدراسة).

رابعاً: حدود الدراسة Bounders Study

إنَّ حصر حدود الدراسة ضمن نطاقات محددة واضحة المعالم ضرورة أساسية؛ لأية دراسة أكاديمية ضمن اختصاص علمي معين، وبذلك أصبح إلزاماً تشخيص الحدود الزمانية والمنظماتية والبشرية والمكانية والعلمية على النحو الآتي:-

١. الحدود الزمانية: تتجسد الحدود الزمانية للدراسة بالمدة التي قام الباحث بإجراء الدراسة فيها والمتمثلة بعملية جمع البيانات وإتمام الجانب النظري والعملية الممتدة من (٢٥/٥/٢٠١٧) ولغاية (٢٦/٧/٢٠١٨) التي شملت إعداد الدراسة التطبيقية في الشركتين المبحوثتين، تخللتها فترة توزيع استمارة الاستبانة واستمارة المقابلة الشخص صية، ومقابلة المدراء وتدارس آرائهم ومقترحاتهم عن الدراسة وأهدافها، مع الحصول على الموافقات الرسمية اللازمة لانجاز الدراسة.
٢. الحدود المنظماتية: تمثلت الحدود المنظماتية بشركة زين العراق وشركة أسيا سيل التي تنتمي الى قطاع الاتصالات.
٣. الحدود البشرية: استهدفت الدراسة المستويات الادارية (العليا، الوسطى) في شركات الاتصالات المتنقلة (زين العراق، أسيا سيل)، وتم اختيار عينة من الادارات العليا من (الرئيس التنفيذي ورؤساء واعضاء مجلس الادارة ورؤساء الاقسام ومدراء الشعب وغير ذلك)، وعددهم (١٣٠) مديراً من ذوي الخبرة والاختصاص والمهارات المتميزة ولهم الدور الفاعل في عملية صناعة القرار الاستراتيجي في الشركات المبحوثة.
٤. الحدود المكانية: تم اختيار شركات الاتصالات المتنقلة (زين العراق، أسيا سيل) عينة للدراسة كونها الأقرب والأنسب لتحقيق فرضيات الدراسة وأهدافها الرئيسية، الرقعة الجغرافية المتمثلة بمحافظتي بغداد وكربلاء بالنسبة (لشركة أسيا سيل)، ومحافظة بغداد المركز الرئيس لشركة (زين العراق)، ويتبع محافظة بغداد كل من المحافظات (ديالى، السماوة، الناصرية)، ويتبع محافظة كربلاء كل من محافظات (النجف، بابل، القادسية).
٥. الحدود العلمية: إنَّ البحث محدد علمياً بما جاء بأهدافه.

خامساً: فرضيات الدراسة Study Hypotheses

اعتماداً على أهمية الدراسة وتحقيقاً لأهدافها فقد اعتمدت الدراسة على مجموعة من الفرضيات الرئيسة والفرعية وهي كالآتي:

== أثر قدرات التجديد التنظيمي في تحقيق استراتيجية الاستدامة الاستباقية -دراسة تحليلية لآراء عينة من المديرين في شركات الاتصالات

أولاً: فرضيات الارتباط Connection of Hypotheses

- الفرضية الرئيسة الأولى (H0₁) لا توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين قدرات التجديد التنظيمي بأبعادها واستراتيجية الاستدامة الاستباقية بأبعادها) وتتفرع هذه الفرضية ثلاث فرضيات فرعية هي:-
- أ. لا توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين ابعاد قدرات التجديد التنظيمي والاستدامة البيئية الاستباقية.
- ب. لا توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين ابعاد قدرات التجديد التنظيمي والاستدامة الاقتصادية الاستباقية.
- ت. لا توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين ابعاد قدرات التجديد التنظيمي والاستدامة الاجتماعية الاستباقية.

ثانياً: فرضيات التأثير Influence of the hypotheses

- الفرضية الرئيسة الثانية H0₂ (لا توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية لقدرات التجديد التنظيمي بأبعادها على استراتيجية الاستدامة الاستباقية) وتتفرع من هذه الفرضية ست فرضيات فرعية هي:
- أ. لا توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية للمقدرة الاستراتيجية على استراتيجية الاستدامة الاستباقية.
- ب. لا توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية للتواصل على استراتيجية الاستدامة الاستباقية.
- ت. لا توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية للاستغلال الوقت على استراتيجية الاستدامة الاستباقية.
- ث. لا توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية للتوجه نحو التعلم على استراتيجية الاستدامة الاستباقية.
- ج. لا توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية للممارسات القيادية على استراتيجية الاستدامة الاستباقية.
- ح. لا توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية لإدارة المعرفة على استراتيجية الاستدامة الاستباقية.

سادساً: منهج الدراسة Study Of Method

اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي أسلوباً في معالجة الموضوع لأنه يعد ملائماً لدراسة الظواهر الاجتماعية، إذ يقدم البيانات عن واقع هذه الظواهر مبيناً أسبابها ونتائجها ويتعرف على العوامل المؤثرة فيها ويفيد من وراء ذلك الخروج باستنتاجات وتوصيات بشأنها.

سابعاً: الأساليب الإحصائية Statistical Methods

اعتمد الباحث على مجموعة من الأساليب الإحصائية في معالجة البيانات إحصائياً والتوصل إلى الاستنتاجات وكانت هذه الأساليب تتمثل بمعامل الارتباط الخطي لبيرسون (person correlation) وكذلك الانحدار الخطي البسيط (Simple Regression) واختبار (T) واختبار (F) للثبوت من معنوية النماذج وذلك باستخدام برنامج (ssps 20) و (Excel).

ثامناً: مجتمع الدراسة وعينته Society and Study Sampling

- أ. مجتمع الدراسة: يتكون مجتمع الدراسة الأصلي من شركات الاتصالات المتنقلة (زين العراق، آسياسيل) الواقعة ضمن الرقعة الجغرافية المتمثلة بمحافظتي بغداد وكرلاء بالنسبة (لشركة آسياسيل)،

ومحافظة بغداد المركز الرئيس لشركة(زين العراق)، ويتبع محافظة بغداد كل من المحافظات (ديالى، السماوة، الناصرية)، ويتبع محافظة كربلاء كل من محافظات (النجف، بابل، القادسية).

ب. عينة الدراسة: وتكونت عينة الدراسة من (١٣٠) من المستجيبين من المديرين ورؤساء الأقسام والشعب العاملين في شركات الاتصالات المتنقلة (زين العراق، أسياسيل) في محافظتي (كربلاء المقدسة، بغداد)، التي تم اختيارها ليقترّب العدد من التوزيع الطبيعي الضروري في اختبارات الارتباط والانحدار، إذ إن عدد المشاهدات الذي يتجاوز (٣٠) يعد مقبولا في مثل هذه الاختبارات لأنه يقترّب من التوزيع الطبيعي (Palta, 2003: 6)، وقد تم اعتماد المقياس الذي قدمته (Survey System) بمستوى ثقة (0.99) وهامش خطأ بين العينة والمجتمع يبلغ (10%) ومكملها (90%) هو مدى استجابة عينة الدراسة، وهو مقياس لتحديد أقل حجم عينة لمجتمع كبير جدا او غير معروف (www.Survey System.com)، وكان أقل عدد مقبول للعينة (١٢٤)، ومع الأخذ بنظر الاعتبار نسبة من الاستثمارات التي لا يتم استرجاعها، اذ تم توزيع (141) استمارة استبانة على العينة قيد الدراسة أعيد منها (١٣٠) جميعها صالحة للتحليل أي بنسبة استجابة بلغت (٩٢٪).

المبحث الثاني: الجانب النظري للدراسة Study Theoretical Part

المحور الاول: قدرات التجديد التنظيمي

اولاً: مفهوم قدرات التجديد التنظيمي Concept of Organizational Renewal Capabilities

إنّ مفهوم التجديد التنظيمي لم ينال الاهتمام الكافي من قبل الكتاب والباحثين وذلك بسبب حداثة هذا المفهوم في الدراسات والبحوث من جانب ونتيجة الاختلاط بينه وبين مفهوم التغيير من جانب آخر، اذ ان معظم الدراسات تركز على عملية التغيير، وذكر التجديد في آيات القرآن الكريم ويدل معنى التجديد في قوله تعالى ﴿الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق ان يشأ يذهبكم ويأتى بخلق جديد﴾ (سورة ابراهيم: ١٩) اذ تدل على الاحياء والاعادة لما كان موجود، وقوله تعالى ﴿وقالوا اذا كنا عظاما ورفاتا انا لمبعوثون خلقا جديدا﴾ (سورة الاسراء: ٤٩) اي خلقاً مثل الاول ولكن بحال جديد، ولمعرفة معنى كلمة تجديد (Renewal) تم البحث عنها في القواميس العربية والاجنبية، في قاموس (Merriam-Webster Dictionary, 2008) أن الفعل تجديد يختلف عن الفعل تغيير، وكذلك أن الفعل تجديد يتميز عن الفعل تغيير في تعريفه الواسع، وفي (المعجم الغني، ٢٠١٣) يشير أن التجديد هو جدد الشيء صيره جديداً، والتجديد أنشاء شيء جديد، أو تبديل شيء قديم، وهو مادي لتجديد الملابس، السكن او معنوي لتجديد مناهج التفكير وطرق التعليم، واما فعل التغيير يعني جعل أو عمل الشيء مختلف كما جاء في القواميس (Merriam-Webster Online Dictionary 2008, Webster's Seven New 1962 Collegiate Dictionary)، ويشمل التغيير الانتعاش أو الاستبدال، وان معنى التجديد اصطلاحاً كما جاء في قواميس اللغة الانكليزية، اذ إن أغلبها تشير أن اصل الفعل تجديد (Renewal) يعني جعل الشيء كأنه الشيء الجديد، وفي قاموس (Oxford

== أثر قدرات التجديد التنظيمي في تحقيق استراتيجية الاستدامة الاستباقية -دراسة تحليلية لآراء عينة من المديرين في شركات الاتصالات (University press, 2014) ان الفعل جدد يعني إعادة تأسيس (علاقة)، أو إعطاء حياة جديدة أو قوة أو استبدال (شيء هو كسر أو هالك)، وان فعل التجديد هو عملية إجراء تغييرات على شيء من أجل تحسينه بحيث يصبح أكثر نجاحا <http://dictionary.cambridge.org>.

وفي الواقع أنَّ القدرة التنظيمية على الابتكار المستمر والتعديل والتغيير وإعادة إنشاء الموارد والقدرات والاستراتيجيات التنظيمية هي المصدر الرئيسي للقدرة التنافسية المستدامة في البيئات المضطربة (Eisenhardt & Martin, 2000:1106)، وتحدد قدرة المنظمة على التجديد مدى كفاءتها وقدرتها على استخدام مواردها للتعليم والابتكار، وتشمل القدرة على التجديد التنظيمي قدرات المنظمة على إنتاج التعلم ومخرجات الابتكار، أي المنتجات والعمليات والأفكار الجديدة وبالتالي التكيف مع التغيرات الخارجية وكذلك خلق التغيير من داخل المنظمة، وبعبارة أخرى فإن المنظمة ذات القدرة العالية على إعادة التجديد ليس فقط قادرة على الاستجابة لتحديات اليوم ومواكبة التغيرات في البيئة، ولكن أيضا أن تكون رائدة من خلال خلق التغيير في داخل المنظمة وبالتالي تغيير قواعد السوق (Nisula, & Kianto, 2013).

ويؤكد (Spender, 1996a: 68) أنَّ التجديد التنظيمي هو قدرة المنظمة ككل بدلا من مجموع مهارات أفرادها، وتم تضمين القدرة على التجديد التنظيمي في المعرفة الجماعية (2004:12, Poyhonen)، ويضيف (Helfat & Peteraf, 2003:1002) ان تجديد القدرات هو عملية تدريجية وتطورية مسترشدة بالاستثمارات والإجراءات المدروسة وبدعم من موارد وقدرات الشركة الأخرى مثل القيادة و الثقافة التنظيمية (Kusar ٢٠١٠:١٠)، وان قدرات التجديد التنظيمي هي قدرات تنظيمية متعددة لإعادة خلق وتعديل الأصول غير الملموسة من خلال آليات التعلم المستمر والابتكار (Kianto, 2007:345)، وكذلك قدرة التجديد التنظيمي هي القدرة الشاملة للمنظمة وتجدد نفسها باستمرار من خلال التعلم المستمر والابتكار، هذا أمر أساسي في البيئات المتغيرة وكذلك تتمكن المنظمات من تبني أحداث غير متوقعة والحفاظ على نفسها وتشغيلها في بيئة ثابتة في حالة التدفق المستمر (Nisula Kianto, 2014:99)، وكذلك يمكن تعريف قدرة التجديد على أنها قدرة المنظمة بالحفاظ على عوامل النجاح الحالية (أصول المعرفة) في الوقت نفسه بناء قدرات استباقية جديدة للمستقبل (المعرفة الجديدة) (Poyhonen, 2004b, 44)، و ينبغي أن تكون المنظمة قادرة على تطوير أصولها المعرفية القائمة لخلق معارف جديدة، التعلم والابتكار نتيجة التفاعل بين أصول المعرفة وقدرات التجديد (Harju, 2010: 28).

وبناء على ما تقدم يعرف الباحث مفهوم قدرة التجديد التنظيمي بأنها القدرة الشاملة للمنظمة التي تجدد نفسها باستمرار من خلال التعلم المستمر والابتكار، وتحافظ على عوامل النجاح الحالية (أصول المعرفة) وفي الوقت نفسه تقوم ببناء قدرات استباقية جديدة للمستقبل (المعرفة الجديدة)، وان تكون ذات قدرة تجديد عالية قادرة على تطوير وتغيير وتعديل وإعادة تنظيم الموارد وأصول المعرفة، والروتين بطريقة ظرفية ومناسبة، والتي من خلالها يمكن تحقيق ميزة تنافسية مستدامة.

ثانياً: أهمية قدرات التجديد التنظيمي Importance of organizational Renewal Capabilities

المنظمات بحاجة الى تجديد نفسها من أجل الحفاظ على الزيادات التنافسية، ويرجع ذلك جزئياً إلى التحول في الصناعة الناجمة عن التكنولوجيا الرقمية (Nylen, 2015: 1) ومع ذلك فإن معظم المنظمات تفشل في البقاء على قيد الحياة نتيجة التحولات الكبيرة ويحذر (Fligstein, 1990) أن المنظمات غالباً ما تفشل إذا لم تجد نفسها بشكل دوري وتقتصر أن المنظمات تكون أكثر عرضة للفشل إذا لم تجد نفسها باستمرار، ويجب على قادة التنظيم أن يسألوا أنفسهم لماذا تنجح بعض المنظمات بينما تفشل منظمات أخرى؟ الإجابة عن هذا السؤال سوف تتعلم أن المنظمات التي يتم تجديدها باستمرار أو إعادة تصميمها لتلبية المتطلبات التنافسية تضمن البقاء على قيد الحياة وتظهر أقوى من أي وقت مضى (Taneja, 2012:30).

وكذلك التجديد التنظيمي والتغيير يكون ضرورة للأعمال لكنه يحمل تكاليف كبيرة وليس أقلها على شكل مقاومة من قبل الموظفين ومقاومة الموظفين للتغيير في مكان العمل هو ظاهرة موثقة جيداً في تاريخ علاقات العمل (Hamme, et al, 1994:3)، القدرة على التجديد يجب أن تكون مرنة وذات جودة عالية وكفاءة وبالتوقيت المناسب وبالإضافة إلى ذلك يجب أن تشمل المنظمة بأكملها في كيانها الوظيفي والتشغيلي والاستراتيجي، ويجب على المنظمة أن تدفع بالتغيير وتخلق أسواقاً جديدة بشكل فعال من خلال ابتكار خدمات جديدة (Uimonen, 2015:26)، أن تحقيق ميزة تنافسية في الأعمال التجارية العالمية وغالباً ما تكون في (البيئة المضطربة)، يجب أن يكون لدى الشركات القدرة على التكيف المستمر مع الأسواق والقدرة على التجديد (Hong and Stahle, 2005: 130)، ويؤكد (Harju, 2010: 28)، أن إدارة المعرفة مهمة لتجديد المنظمات وأن إدارة المعرفة تمهد الطريق لتطوير وتجديد المنظمة، واحد من الأسباب الرئيسية لاستخدام المنظمات أنشطة إدارة المعرفة هو خلق معارف جديدة من شأنها أن تؤدي إلى قدرة تنافسية أفضل.

ثالثاً: أبعاد قدرات التجديد التنظيمي Organizational Renewal Capabilities Dimensions

إن الافتراض الأساسي لأنموذج قدرات التجديد التنظيمي يتمثل في أن بيئة اليوم المتغيرة بسرعة تجبر المنظمات على أن تكون الاستجابة سريعة وإبداعية، وبالتالي فلا بد من وجود مجموعة من الأبعاد التي تحتاجها المنظمة من أجل تحقيق تلك الاستجابة، وكما أثرت الخلفيات المعرفية للكتاب والباحثين في مجال القدرات التنظيمية على مفاهيمهم، و أثرت كذلك على تحديدهم لأبعاد هذه القدرات، وتأسيساً على ذلك يتفق الباحث في دراسته مع ما ذهب إليه كل من الباحثين:-

(Nisula, & Gleich, et al, 2010:88) (Kianto, 2008a, 2008b; Poyhonen, 2005) (62) (Jokela, Nisula, & Kianto 2013) (2013: 100) (2014: 100) (Nisula, & Kianto 2013) (2013: 54) (Uimonen, 2015:30)، في تحديد أبعاد قدرات التجديد التنظيمي الست المتمثلة بـ (المقدرة

== أثر قدرات التجديد التنظيمي في تحقيق استراتيجية الاستدامة الاستباقية -دراسة تحليلية لآراء عينة من المديرين في شركات الاتصالات الاستراتيجية، استثمار الوقت، الممارسات القيادية، التواصل، التوجه نحو التعلم، إدارة المعرفة) وفيما يلي شرح خاص بكل بعد من هذه الأبعاد:-

١. المقدرة الاستراتيجية Strategic Competence

تمثل المقدرة الاستراتيجية ربط عنصر الرؤية والمهمة الأساسية والهوية والمبادئ التوجيهية العامة بالمنظمة ككل (Nisula & Kianto, 2013:62) (Kianto & Nisula, 2014:100)، المنظمات القادرة على التعلم المستمر والابتكار تتميز بالقدرة على صياغة رؤى واستراتيجيات استباقية مقنعة تمكن التنمية المركزة ولكنها تترك مجالا للتطورات الناشئة والمرونة وينبغي أن يركز مضمون الاستراتيجية على الابتكار والمخاطرة والمستقبل (Francis et al, 2003)، بالإضافة إلى ذلك من المهم أن يكون لدى المنظمة موقف استباقي تجاه البيئة ومنظمات التجديد التي تقوم بتحديد الفرص الجديدة واستشعار الإشارات الضعيفة في البيئة والموجهة بقوة للزبائن أيضا، وتقوم هذه المنظمات أيضا برصد منافسيها بنشاط والبقاء على متابعة التطورات الخارجية (Kianto, 2008:73).

ويمكننا تحديد المقدرة الاستراتيجية كقدرة للمنظمات (أو بـ صورة أدق لأعضائها) للحصول على المعلومات وتخزينها واستدعائها وتفسيرها والتصرف بها بناء على معلومات ذات الصلة ببقاء المنظمة ورفاهيتها على المدى الأطول. وبناء على ما تقدم يرى الباحث أن المقدرة الاستراتيجية هي القدرة على التعلم المستمر والابتكار والمخاطرة والتوجه نحو المستقبل وصياغة رؤى واستراتيجيات استباقية للاستشعار عن الاتجاهات المستقبلية وتطوير السوق وإدراك حاجات ورغبات الزبائن ورصد المنافسين ضمن المهمة الأساسية للمنظمة.

٢. التواصل Connectivity

التواصل يمثل الهيكل ونوعية العلاقات الاجتماعية داخل وعبر الحدود التنظيمية (Kianto, 2013:62)، الاستفادة وخلق راس المال الفكري هو الأساس في النشاط الاجتماعي، عادة ما يتم إنشاء المعرفة وإثرائها وتقاسمها والاستفادة منها في المجال الاجتماعي و التفاعل بين عدة أشخاص، ومعظم حل المشاكل واتخاذ القرار يحدث داخل الجماعات (Kianto, 2008:73)، والمنظمات التي لديها الكثير من احتمالات التفاعل الاجتماعي والحوار والمناقشات تميل إلى أن تكون أكثر ابتكارا من المنظمات التي تخضع لرقابة صارمة على العلاقات، وكلما زاد التفاعل هناك كلما زادت إمكانيات المشاركة في المعرفة الضمنية والمعرفة الجديدة، كما يشمل التواصل قدرة أعضاء المنظمة على تحديد موقع مصدر المعلومات ذات الصلة، وهذا يشمل إيجاد المعرفة الصريحة على سبيل المثال قواعد البيانات ولكن الأهم من ذلك القدرة على إيجاد الأشخاص والاتصال مع المهمة والمعرفة الضمنية ذات الصلة (Uzz, 1997:46).

ويشير (Kianto, 2008:13) أن التواصل هي عمليات المعرفة وهي بالأساس اجتماعية وتتضمن التعاون، علاقات المجموعة، التفاعل داخل المنظمة، العلاقات بين المنظمات، معرفة من، الفريق والمناخ التنظيمي، العاطفة والالهام، ويرى (Uimonen, 2015:29) أن التواصل يتضمن إدارة العلاقات والثقافة التنظيمية: الابتكار، المرونة، الاتصال، التشاور، قيم النزاهة الأخلاقية والقدرة على إدارة العلاقة، حيث

يمكن أيضاً للابتكارات أن تحدث، وأيضاً التفاعل بين داخل وخارج المنظمة هو المهم لتحقيق حالة من التدفق السلس من المعلومات والمعرفة (Harju, 2010: 14).

وبناءً على ما تقدم يرى الباحث أنّ التواصل هو القدرة على ادارة وتنظيم وتنمية العلاقات الاجتماعية، بين الافراد التي تعمل على تطوير وتحسين الاداء والابداع وبناء الثقة والالتزام وتبادل المعلومات بين الافراد، ويدعم ويشجع العمل بروح الفريق الواحد، ويعمل على تنسيق الاعمال الاخرى بين اقسام المنظمة المختلفة، كما يمكن أن يعمل على تحفيز روح التكاتف واشكال التفاعل الاجتماعي داخل المنظمة وخارجها.

٣. استثمار الوقت Exploiting Time

إنّ منظمات التجديد هي سادة الوقت، هذه المنظمات قادرة على استثمار الوقت بوعي كأصول تنافسية من أجل إنتاج أفكار جديدة وتحويلها إلى مخرجات ناجحة وهي تمتلك الاحساس بالوقت، وقد تم تصور القضايا في عملية خلاقة ونقاط التشعب في الابداع، وهي عملية لتوضيح كيفية الوعي الظرفي والقدرة على اتخاذ القرارات في الوقت المناسب وتكون ضرورية للإبداع (Stahle, 1998: ٩٣)، ويؤكد (Kianto, 2008: 11) ان استغلال الوقت عبارة عن اغتنام الفرص، عمليات التوقيت المشترك، توفير الموارد بالوقت المناسب، فهم نقاط التشعب في العملية الإبداعية، تحقيق التوازن بين الأبعاد الزمنية المختلفة، الإيقاع الداخلي للتغييرات.

ويرى (Chapman 2: 2008)، أنّ استخدام الوقت يعتمد على المهارات المكتسبة من خلال التحليل الذاتي والتخطيط والتقييم وضبط النفس، الوقت هو سواء كان ذا قيمة أو محدود يجب أن يكون محمياً ويستخدم بحكمة، الافراد الذين يمارسون إدارة الوقت بشكل جيد غالباً ما يستخدمون التقنيات ومنها:- هي أكثر إنتاجية، الحصول على المزيد من الطاقة للأشياء التي تحتاج إلى إنجاز، الشعور بضغوط أقل، وتزداد أهميته خاصة في الحياة الشخصية للأشخاص وفي المنظمات العامة والخاصة بدءاً من القادة الإداريين في قمة الهرم الإداري إلى المشرفين والعاملين في المستويات التنفيذية، فالإدارة الجيدة تسعى إلى استثمار الوقت لأنه يعد مورداً فريداً لا يمكن ادخاره وإنما استخدامه بحكمة ومنطق. www.abahe.co.uk.

ويعتقد الباحث فان استثمار الوقت هو قدرة المنظمة على اتخاذ القرارات الضرورية بالوقت المناسب وبشكل استباقي من أجل إنتاج وابتكار افكار جديدة وتحويله الى مخرجات ناجحة.

٤. التوجه نحو التعلم Learning Orientation

يمثل التوجه نحو التعلم المواقف العامة لأعضاء المنظمة نحو الإبداع والتعلم، ومدى دعم هذه الأنشطة والسماح لها من قبل الهياكل التنظيمية والعمليات (Kianto, 2013: 62)، المعرفة و التنمية هي محل تقدير كبير في جميع أنحاء المنظمة (Leonard-Barton, 1995)، وينظر إلى الموظفين في امتلاك المعرفة القيمة والتنمية المحتملة، على العكس من ذلك الثقافات التنظيمية تأكد على القواعد، الرقابة، الكفاءة، التقييم والعجز عن العمل غير ملائمة للتجديد (Kianto, 2008: 74)، المشهد المعرفي لمنظمة التجديد هو التدفق

== أثر قدرات التجديد التنظيمي في تحقيق استراتيجية الاستدامة الاستباقية -دراسة تحليلية لآراء عينة من المديرين في شركات الاتصالات المستمر و يتم بذل جهود كبيرة لتحسين فهم وفعالية السلوك من قبل الجميع، وجمع ومقارنة وجهات النظر المختلفة بشأن القضايا الهامة.

إنَّ منظمات التجديد تحفز ال صراعات المتعلقة بالمهام وتشجع الحوار ال صادق وردود الفعل بطلاقة(3: 1999, Pelled et al)، من المهم أن تجري بطريقة بناء وبالمقابل الانسجام المفرط والتفكير الجماعي والنماذج الذهنية الصارمة تضعف التجديد التنظيمي، وتتميز المنظمات المتجددة بالانعكاسية والتحدي الدائم من النماذج العقلية والعمليات القائمة، القدرة على التشكيك في أساسيات الحالة الراهنة والتفكير خارج المنظمة هو شرط ضروري وخصوصا للتجديدات الجذرية، مثل الابتكار الجذري، تعلم الحلقة المزدوجة، التغير وتدمير الكفاءة، خلق المعرفة الجديدة يتضمن دائما عند صرا من عدم اليقين والمخاطرة ولا يمكن تجنبه، حيث أن بعض محاولات الابتكار تفشل في تحقيق النتائج المرجوة، ومن أجل تمكين التطوير المستمر، من المهم أن الفشل وأوجه القصور يستخدم كمادة لمزيد من التعلم بدلا من معاقبة الجناة، والإذلال أو رفض الموارد في المستقبل(Kianto, 2008:74).

ومن وجهة نظر الباحث ان التوجه نحو التعلم هو وسيلة لتجديد المنظمة من خلال زيادة المعرفة والابداع والتعلم من الخبرات السابقة، ودعم الموظفين لحل المشاكل المتعلقة بالعمل وكذلك إيجاد طرق جديدة ومبتكرة للعمل، والانفتاح على وجهات النظر البديلة والنقد البناء، التعلم من الفشل والاستجابة والتكيف للتغيرات المستقبلية التي تحدث في المنظمة.

٥. الممارسات القيادية Leadership Practices

هناك بعدان رئيسيان لقدرات القائد لتعزيز المنظمة هما التعلم المستمر والابداع: المهارات في إدارة وتنظيم الابداع و العمليات والمهارات في تعزيز الابداع والتعلم من خلال بناء تمكين الظروف، وهذان الوجهان استجابة للطبيعة الملحة للتجديد: من جهة، التعلم والابداع لا يمكن السيطرة عليه بالكامل من قبل الإدارة العليا في المنظمة، ومحاولة القيام بذلك من شأنه أن يمنع هذه العمليات ومن جهة أخرى، يمكن جعل الابداع وخصوصا التدريجي والتعلم أكثر كفاءة من خلال الروتين المستقر وهياكل الدعم الدائم (Junell& Stahle, 2011:251).

ويشير (Whittington, 2006: ٦١٩) أن هناك ظاهرة أخرى حدثت مؤخرا هي الممارسة" في الدراسات القيادية حيث كانت سائدة في السياق التاريخي الثقافي في القيادة الفعالة وتشير الممارسات إلى الروتينية المشتركة للسلوك بما في ذلك التقاليد والمعايير والإجراءات للتفكير والتصرف واستخدام "الأشياء"، وهذا الأخير في أوسع معانيها، ويرى (Dovey & Chew, ٢٠١٥: ٢٥٤) ان القيادة تسير على نحو متزايد من قبل مجموعة واسعة من أصحاب المصلحة من خلال مجموعة من الممارسات المقبولة (أو الروتينية) مدعومة بالالتزام المشترك بالتعلم، والتحويل (على أساس ذلك التعلم) وتقديم قيمة مستدامة للزبائن.

ويمكننا القول ان الممارسات القيادية هي مجموعة من الممارسات المقبولة (أو الروتينية) المشتركة بالسلوك وبما في ذلك التقاليد والمعايير والاجراءات التفكير والتصرف التي تعزز قدرات التعلم والابداع للمنظمة وتدعم التوجه الاداري الذي يشجع الموظفين على المشاركة في صنع القرار المشترك و ممارسة

السيطرة على عملهم. واخذ زمام المبادرة لحل المشاكل في العمل، ومكافأة المبدعين وتقديم اقتراحات ورؤى جديدة لخلق الافكار الابداعية الجديدة.

٦. ادارة المعرفة Knowledge Managing

تمثل إدارة المعرفة الممارسات المنهجية للمنظمة وادوات لتخزين المعلومات وتبادل المعرفة (Kianto, 2013:63)، وتحدد المنظمات باستمرار وتتميز بالكفاءة في التعامل مع مختلف موجودات المعرفة داخل الحدود والوصول إلى المنظمة، نقطة البداية لإدارة المعرفة هي الاعتراف بأهمية المعرفة والمعلومات للمنظمة، وتحديد من الناحية الاستراتيجية المعرفة الكبيرة داخل الشركة، وبعبارة أخرى ينبغي للمنظمة تقييم مخزون رأس المال الفكري والتعرف على الاحتياجات التنموية بما يعرف ذلك أيضاً، صياغة رؤية واعية للمعرفة واستراتيجية للمنظمة وتمكن الابتكار والتعلم من خلال إدارة المعرفة (Von,Krogh et al, 2001)، امر مهم في إدارة المعرفة للتجديد هو فهم أنواع مختلفة من موجودات المعرفة، وبعض موجودات المعرفة مقننة وصريحة في حين البعض الآخر جزء لا يتجزأ من المعرفة الضمنية للموظفين والروتين التنظيمي، أنواع مختلفة من المعرفة تتطلب أساليب إدارية متميزة وآليات لتكامل المعارف وترتبط مع التعلم والذاكرة المتميزة والعمليات (Kianto, 2008:76).

بالإضافة إلى ذلك تعد إدارة المعرفة جزءاً لا يتجزأ من المنظمة والتعلم، وتمتلك المنظمات المبتكرة أيضاً موقفاً استباقياً نحو جمع المعلومات من البيئة، على سبيل المثال نظم ملاحظات الزبائن واستخراج البيانات و التعاون مع الشركاء والمؤسسات البحثية من سمات التجديد للمنظمات، وعلاوة على ذلك ينبغي استيعاب المعرفة المكتسبة في المنظمة عبر التواصل الداخلي وتحويلها إلى تحسين المنتجات والخدمات والعمليات والنماذج العقلية في جميع أنحاء المنظمة وتتضمن إدارة المعرفة الوعي بالمعرفة ذات الأهمية الاستراتيجية، استراتيجية المعرفة، إدارة وحماية المعرفة الصريحة، نظم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات المعرفة الضمنية، الروتينية والأنشطة، اكتساب المعرفة واستيعابها من مصادر خارج المنظمة، خلق المعرفة (Kianto, 2008:14).

وتأسيساً على ما تقدم نرى أنّ إدارة المعرفة هي تمثل الممارسات المنهجية للمنظمة وادوات لتخزين المعلومات وتبادل المعرفة بوعي، وخلقها، وتوزيعها وتخزينها، وصياغة رؤية واضحة بالمعرفة ذات الأهمية الاستراتيجية، إدارة وحماية المعرفة الصريحة، نظم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات و المعرفة الضمنية، الأنشطة الروتينية، اكتساب المعرفة واستيعابها من مصادر خارج المنظمة.

المحور الثاني: استراتيجية الاستدامة الاستباقية

اولاً: مفهوم استراتيجية الاستدامة الاستباقية Sustainability strategy

Concept of proactive

عرف (Aragon& Correa,1998:557) الاستراتيجية الاستباقية بأنها توجه المنظمة نحو المبادأة لأحداث التغيير في أساليبها الاستراتيجية، أكثر من احداث ردة فعل اعتيادية تجاه حاجات السوق، وقد تأثرت استجابة الشركات تجاه قضايا الاستدامة بشكل كبير من خلال تزايد المخاوف المتعلقة بالاستدامة

== أثر قدرات التجديد التنظيمي في تحقيق استراتيجية الاستدامة الاستباقية -دراسة تحليلية لآراء عينة من المديرين في شركات الاتصالات الداخلية والخارجية، الضغوط التنظيمية، وتزايد الشعور بالمسؤولية الاجتماعية والأخلاقية من قبل الادارة العليا، وفرص الأعمال الجديدة، وعوامل التكلفة، مثل ضريبة الكربون. ويجادل الباحثون بأن المديرين يدمجون بشكل استباقي قضايا الاستدامة في الاستراتيجية بدلا من مجرد الامتثال للمتطلبات التنظيمية (Wijethilake, 2016: 126) ومن الناحية النظرية، فإن الاستراتيجية الاستباقية تحسن من مستوى الاداء المستدام للشركات ومن خلال الاستخدام الفعال للموارد، وزيادة ميزة التكلفة، والحد من النفايات والتفريغ وتعزيز السمعة الاجتماعية، وتحسين تفضيلات الزبائن، وتوليد قدرات ابتكارية جديدة (Wijethilake, 2017: 570).

ويضيف (Huang et al., 2011: 305) ان الشركات الاستباقية تبحث عن الفرص لتقديم منتجات وخدمات جديدة لكي تكون في استباقية المنافسين، وتأخذ للمستقبل التغير في الطلب وتشكيل اتجاهات البيئة، أذ إن الشركات الاستباقية تكون قادرة على الاستفادة من الفرص الناشئة الجديدة، وبالتالي تحقق الضمان لميزة المتحرك الأول في قطاعات السوق المتميزة المستهدفة والخالية من المنافسين، وكذلك أن الاستباقية من المتوقع ان تكون ذات قيمة كبيرة لضمان تحقيق الأداء المتميز للمنظمة. ويشير (Araujo & Gava, 2012: 187) ان الشركة الاستباقية والاستراتيجيين يجب ان تأخذ بنظر الاعتبار كونها استباقية بالنسبة للسوق لا تعني بالضرورة ان تكون رائدة، وقد تكون الاستراتيجية الاستباقية والتفاعلية استراتيجيات تكميلية، وان الشركات الاستباقية تعتمد السوق الاستباقي كخيار استراتيجي لتجاوز ردة الفعل وهذا لا يعني انها تتخلى عنه فجأة وقد تكون مرتبطة بعقود حصرية او بقوة كبيرة من الموردين و تتضمن نشاطات وامدادات سلسلة القيمة، والشركة لديها افضل المعدات والمهنيين في السوق ولديها امدادات الوصول الى القنوات الرئيسية وتعرض براءات الاختراع، حقوق التأليف والنشر، والعلامات التجارية المسجلة.

ويضيف (Sriboonlue, 2016: 13) أن الاستدامة الاستباقية هي اكتشاف وفهم وإرضاء احتياجات الزبائن الكامنة، وكونها استباقية لا تتفاعل فقط مع التغير عندما يحدث، ولكن في اتخاذ الفعل من خلال إحداث تغيير نحو الحالة (Dencker et al, 2009)، وان الدعم النشاط الاستباقي يشير إلى التزام الشركة في تعزيز عقليات الشركات التي تركز على الفرص المتاحة، ولها منظور البصيرة، ومبادرة الحركة الأولى لتعزيز المواقع التنافسية بقوة والقدرة على ولاء زبائن الشركة، والحصة السوقية، والعلاقات مع أصحاب المصلحة وتحديد المواقع التنافسية، وأداء الأعمال. وعلى ضوء ما تقدم يرى الباحث ان استراتيجية الاستدامة الاستباقية هي اتجاه الشركة بأجراء تغييرات في الاستراتيجيات المختلفة بدلا من الاستجابة للأحداث، وتبحث عن الفرص لتقديم منتجات وخدمات جديدة لكي تكون في استباقية المنافسين مثل إدخال منتجات أو خدمات جديدة، وتعزيز السمعة الاجتماعية، وتحسين تفضيلات الزبائن، وتوليد قدرات ابتكارية جديدة تكون ذات قيمة كبيرة في ضمان تحقيق الأداء المتميز للمنظمة..

ثانياً: أنواع استراتيجيات الاستدامة الاستباقية Sustainability Strategies Proactive

Types of

يؤكد الباحثون أن استراتيجيات الاستدامة الاستباقية تلعب دوراً هاماً في تطوير قدرات الشركة، ولكن هناك نقص في البحوث حول الآليات التي تعزز الصلة بين استراتيجيات الاستدامة و تطوير القدرات، ان المكونات الثلاثة ذات الصلة في تطوير القدرات، وهي عمليات (١) الترقب، (٢) مشاركة الفاعل، و (٣) التغيير، هذه الاستراتيجيات الثلاث تسهم في تطوير القدرات التنظيمية الخاصة، كل استراتيجية تجيب على أسئلة مختلفة فيما يتعلق بتطوير القدرة على سبيل المثال يساعد الترقب فهم ما هي المبادرات المختارة؟ إشراك الممثل يساعد الإجابة على من يسهم في الاختيار ونشر المبادرة؛ وتغيير العملية يبين كيفية تنفيذ المبادرات (Ratiu,2011:54) ويناقش (Baumgartner,2005:16) ان هناك انواع مختلفة من الاستراتيجيات الاستدامة:-

- أ. الانطوائية- استراتيجية التخفيف من المخاطر: التركيز على المعايير القانونية وغيرها من المعايير الخارجية المتعلقة بالبيئة والجوانب الاجتماعية من أجل تجنب مخاطر الشركة.
- ب. المنفتحة- الاستراتيجية الشرعية: التركيز على العلاقات الخارجية، ترخيص للعمل.
- ت. المحافظة- استراتيجية الكفاءة: التركيز على الكفاءة البيئية والإنتاج النظيف.
- ث. الرؤية- الاستراتيجية الشاملة للاستدامة: التركيز على قضايا الاستدامة في جميع الأنشطة التجارية، وتستمد المزايا التنافسية من التمايز والابتكار، وتقدم للزبائن وأصحاب المصلحة مزايا فريدة من نوعها (Baumgartner , et al ,2010:77).

ويؤكد (Dyllick et al, 1997; Gminder et al, 2002) ان هناك انواعاً مختلفة من الاستراتيجيات الموجهة للاستدامة وتتبنى الشركة استراتيجيات "آمنة" لضمان موقفها وقدراتها في السوق ويمكن التغلب على أي قيود المحتملة، والمجالات التي تميز هذه الاستراتيجيات هي العمليات، والمالية، والمراقبة القانونية للمخاطر، وتحسين السمعة، وبما أن الشركة تصبح أكثر استباقية، فإنها تستخدم استراتيجيات "ذات مصداقية" لحماية نفسها من الصورة المحتملة أو ضرر السمعة (Gabriel,2012:32) وتشمل هذه الاستراتيجيات بنشاط بناء صورة الشركة، وتحديد أصحاب المصلحة الحاليين والمستقبليين للشركة، ومعالجة توقعاتهم.

وقد تتخذ الشركة إجراءات دفاعية عندما يكون هناك خطر كبير على قيمة العلامة التجارية أو هناك تهديد الصناعة، والاستراتيجيات "الفعالة" هي أكثر استباقية لأنها تركز على تحسين الإنتاجية والكفاءة الإيكولوجية، على النحو الذي تحدده اللوائح البيئية الحالية والمستقبلية والاعتبارات الاجتماعية. الهدف الاستراتيجي هو خفض التكاليف ويمكن أن تشمل الجوانب الاجتماعية التي تعالج هذه الاستراتيجية البطالة والحد من زيادة الشراكات الاجتماعية التي ستعكس الأداء الاجتماعي للشركة، وتركز الاستراتيجيات "المبتكرة" على جوانب المنتجات / الخدمات البيئية و / أو الاجتماعية من خلال توفيرها الزبائن ذوي القيمة المضافة من خلال تمايز المنتج / الخدمة، ويمكن للشركة تحقيق التمايز باستخدام التسويق الاجتماعي، وكذلك العلامات البيئية و / أو الاجتماعية، ومن منظور داخلي يمكن للشركة أن

== أثر قدرات التجديد التنظيمي في تحقيق استراتيجية الاستدامة الاستباقية -دراسة تحليلية لآراء عينة من المديرين في شركات الاتصالات
تدمج الاستدامة من خلال تحسين عمليات إدارة المعرفة وبناء المهارات ذات الصلة
(Gabriel,2012:33).

ويمكننا القول ان الشركات تتبنى انواعاً مختلفة من استراتيجيات الاستدامة الاستباقية لضمان موقفها
وقدراتها في السوق، والسيطرة على المخاطر، وتحسين سمعة الشركة، وابتكار المنتجات والخدمات.

ثالثاً: أبعاد استراتيجية الاستدامة الاستباقية Sustainability of Dimensions Strategy proactive

أشارت مراجعة أدبيات استراتيجية الاستدامة الاستباقية المتمثلة بمساهمات العديد من الباحثين
والكتاب امثال (Linnenluecke, 2009) (Baumgartn, 2010) (Torugsa,2010) (et al,2013),
(Nuttaneeya Ann) (Wijethilake ٢٠١٧) ان مفاهيم استراتيجية الاستدامة الاستباقية اجتمعت
حول ثلاثة ابعاد اساسية تشكل جوهر استراتيجية الاستدامة الاستباقية وهي (الاستدامة البيئية
الاستباقية، الاستدامة الاقتصادية الاستباقية، الاستدامة الاجتماعية الاستباقية)، وأدناه نناقش هذه الابعاد
بشيء من التفصيل، وكالآتي:

١. الاستدامة البيئية الاستباقية Proactive Environment Sustainability

لقد نفذت عدد كبير من الشركات الممارسات البيئية التي تتجاوز حدود اللوائح البيئية من أجل
خفض استهلاك الطاقة لديها، وذلك لتقديم المنتجات الخضراء والتكنولوجيات إلى مستهلكيها، والتقليل
إلى أدنى حد من اثارها البيئية، لتحقيق هذا الهدف معظم هذه الشركات اعتمدت الإدارة البيئية التي
تشمل التقنية و الأنشطة التنظيمية التي تقوم بها الشركة لغرض الحد من الاثار البيئية وتقليل آثارها على
البيئة الطبيعية، ويمكن تعريف الإدارة البيئية للشركات (CEM) بأنها إدارة اثار أنشطة الشركة ومنتجاتها
وخدماتها على البيئة الطبيعية، حيث يمكن قياس نتائج الإدارة البيئية من خلال الأداء البيئي
(Albertini,2013:431).

وتطور المنهج المؤسسي لحماية البيئة من وضع ردة الفعل القائم على التنظيم إلى منهج أكثر استباقي
ينطوي على دوافع التغيير تنظيمي داخليا في ثقافة الشركات والممارسات الإدارية نحو التنظيم الذاتي البيئي،
وتتخذ كثير من الشركات وجهة نظر استراتيجية نحو الإدارة البيئية واعتماد ممارسات الإدارة البيئية التي
تضع إجراءات رسمية وإجراءات روتينية يمكن أن تساعد على تحقيق الأهداف البيئية، وفي هذا المجال يشير
(Darnall, et al, 2009: ٢) أن قدرة أصحاب المصلحة بالضغط على الشركات لتبني ممارسات بيئية
استباقية من المحتمل ان تختلف باختلاف حجم الشركة، وبسبب حجمها، تجتذب العديد من الشركات
الصغيرة والزبائن والموظفين من المجتمع المحلي، كما السمعة الجيدة أمر أساسي للمشاريع الصغيرة وبالتالي
فإن الشركات الصغيرة من المرجح أن تكون أكثر استجابة لأصحاب المصلحة. وبناء على ما تقدم يرى
الباحث ان استراتيجية الاستدامة البيئية الاستباقية هي عبارة عن مجموعة من الأنشطة والممارسات البيئية
الاستباقية التي تقوم بها الشركة لغرض الحد او التقليل من اثار منتجاتها وخدماتها على البيئة الطبيعية من
خلال تقديم المنتجات الخضراء والتكنولوجيات إلى مستهلكيها، و تحسين فهم احتياجات الزبائن وبناء
الكفاءة حول المنتج.

٢. الاستدامة الاقتصادية الاستباقية Proactive Economic Sustainability

ويؤكد (European Commission, 2003b:11)، إن طريقة عمل الشركات في السوق هي مؤشر حاسم لكيفية دمج اهتمامات الاستدامة في هيكلها التنظيمي الرئيسي وعملية صنع القرار فيها، وإن الممارسة الاقتصادية الاستباقية هي الوسيلة التي تحاول الشركات من خلالها استباق قضايا الاستدامة الاقتصادية التي قد تنشأ في تفاعلاتها مع الزبائن والموردين والمساهمين في السوق (Nuttaneeya Ann, 2012:6, et al)، وبهذه الطريقة، ترتبط الممارسات الاقتصادية الاستباقية بمبادئ السلامة الاجتماعية والبيئية، والشركات التي تمارس القضايا الاقتصادية الاستباقية تولي اهتماماً برضا الزبائن وجودة المنتجات والسلامة، والتسعير العادل، وأخلاقيات التسويق والإعلان، فضلاً عن الجوانب الاجتماعية والبيئية لإدارة سلسلة التوريد (من المصادر إلى الدفع النهائي)؛ والهدف من هذا المنهج هو اكتساب فرص السوق من خلال التمايز بين المنتجات والعمليات، وتعزيز السمعة، وبالتالي فرصة جذب أفضل المستثمرين والحصول على التمويل المصري (Nuttaneeya Ann, 2010:46).

ويؤكد (Gabriel, 2012: ٤١) أن مسؤولية الشركة تنطوي على فهم أكثر للجوانب الاقتصادية وتطوير المنتجات و/أو الخدمات والامتثال للمعايير التنظيمية لتحقيق هوامش الربح المحددة مسبقاً، والشركة المستدامة اقتصادياً تنتج باستمرار عائدات أعلى من المتوسط، وتضمن أن لديها التدفقات النقدية الكافية لضمان السيولة.

ومما سبق يعرف الباحث استراتيجية الاستدامة الاقتصادية الاستباقية وهي ممارسة الشركة للقضايا الاقتصادية الاستباقية وتولي الاهتمام برضا الزبائن وجودة المنتجات والسلامة، والتسعير العادل، وأخلاقيات التسويق والإعلان، والهدف من هذا المنهج هو اكتساب فرص السوق من خلال التمايز بين المنتجات والعمليات، وتعزيز السمعة، وبالتالي فرصة جذب أفضل المستثمرين.

٣. الاستدامة الاجتماعية الاستباقية Proactive Social Sustainability

الاستدامة الاجتماعية للمنظمة هي وعي المسؤولية من تلقاء نفسها والإجراءات فضلاً عن التزام حقيقي وموثوق (في الغالب على المدى الطويل) في جميع الأنشطة التجارية وأكثر من ذلك تهدف إلى البقاء بنجاح في السوق لفترة طويلة، وتهدف الاستدامة الاجتماعية إلى التأثير إيجابياً على جميع العلاقات الحالية والمستقبلية مع أصحاب المصلحة، وعلاوة على ذلك فإن تلبية احتياجاتهم تركز على ولاء أصحاب المصلحة للشركة (Ebner, 2008: 28). وهناك تعريف تقليدي للمسؤولية الاجتماعية للشركات هو "الالتزام المستمر من جانب الشركة لجعل مكاسب الاقتصاد ضمن وسائل أخلاقية ومتوافقة في الوقت نفسه مع تحسين نوعية الحياة ليس فقط للقوى العاملة الداخلية ولكن للمجتمع ككل، وهو أساس متين لفهم المسؤولية الاجتماعية للشركات و علاوة على ذلك الاعتراف بأن الاستدامة البيئية الاستباقية (PES) تخلق القيمة للبعد الاجتماعي للنموذج المسؤولية الاجتماعية (CS).

المسؤولية الاجتماعية للشركات ذات الصلة الاجتماعية، مثل إشراك الموظفين وتوفير التدريب الموجه نحو القيم وفرص تنمية الموظفين، يمكن أن تكمل المسؤولية الاجتماعية للشركات ذات الصلة بالبيئة من

== أثر قدرات التجديد التنظيمي في تحقيق استراتيجية الاستدامة الاستباقية -دراسة تحليلية لآراء عينة من المديرين في شركات الاتصالات خلال بناء الوعي والالتزام بالقيم البيئية، فضلا عن تحسين المهارات التقنية والإدارية الضرورية لاعتماد مثل هذا النشاط البيئي (Graafland et al, 2003:8).

وبالإضافة الى ذلك، يمكن للشركات التي لها سمعة في المسؤولية الاجتماعية للشركات الاستباقية ذات الصلة البيئية أيضا ان تقوم ببناء المهارات والموارد المعرفية من خلال جذب واستبقاء الموظفين المؤهلين تأهيلا عاليا والاهتمام بالإدارة البيئية الوقائية، التكامل قد يؤدي الى إنشاء قوة دافعة في الشركة التي تقود التحول نحو البعد الاقتصادي للمسؤولية الاجتماعية للشركات الاستباقية (CSR)، الممارسات المسؤولة والمصممة بشكل سليم اجتماعيا وبيئيا يمكن أن تؤدي إلى الابتكارات التي تخفض تكلفة المنتج وتحسينه (Chang & Kuo, 2008:367).

ويضيف (Ibe, et al, 2015:277) ان الاستراتيجية الاستباقية هي القدرة الاستراتيجية في المسؤولية الاجتماعية للشركات و قدرة الشركة على التنبؤ و الاستفادة من الفرص من خلال تنفيذ المسؤولية الاجتماعية للشركات في المجالات الأساسية للمجتمع ومواءمة قيمة الأعمال مع قيم المجتمع بطريقة تعود بالفائدة على كل من الأعمال التجارية والمجتمع، وقد وصف هذا النوع من القدرة من قبل الشركات بأنها وسيلة لتوليد تصور إيجابي من أصحاب المصلحة، الاستراتيجية الاستباقية هي القدرة التي تكون اساسية لتنفيذ الاستراتيجية الاستباقية للمسؤولية الاجتماعية للشركات (Miles Snow, 1978)، أن الشركات التي تدار استراتيجيا تميل إلى تطوير الإنتاج وريادة الأعمال والعمليات الإدارية التي تتطابق مع الفرص الخارجية والمعلومات التي تعكس مزاياها التنافسية.

وتأسيسا على ما تقدم يرى الباحث ان استراتيجية الاستدامة الاجتماعية الاستباقية هي جميع الأنشطة التجارية الاستباقية التي تهدف إلى البقاء بنجاح في السوق لفترة طويلة، التي تؤثر إيجابيا على جميع العلاقات الحالية والمستقبلية مع أصحاب المصلحة، وعلاوة على ذلك فإن تلبية احتياجاتهم تركز على مشاركة الموظفين في عملية اتخاذ القرار وتحسين صحة الموظفين وسلامتهم والاستثمار في تنمية راس المال البشري ودعم مبادرات المجتمع المحلي وتكافئ الفرص في مكان العمل.

المبحث الثالث: الجانب العملي

أولا: اختبار علاقة الارتباط والتأثير بين متغيرات الدراسة

اعتمد الباحث على معامل الارتباط البسيط (Pearson) لاختبار الفرضية الرئيسية الأولى والمتمثلة بعلاقات الارتباط بين ابعاد (قدرات التجديد التنظيمي) والمتغير المعتمد (استراتيجية الاستدامة الاستباقية)، يظهر في الجدول (١) م صفوفة معاملات الارتباط البسيط (Pearson) بين هذه المتغيرات وابعادها، وقبل الدخول في اختبار هذه الفرضية يشير الجدول أيضاً إلى حجم العينة (١٣٠) ونوع الاختبار (2-tailed)، ومختصر (Sig.) ويظهر اختبار معنوية معامل الارتباط من خلال مقارنة قيمة (T) المحسوبة مع الجدولية من غير أن يظهر قيمها.

١-الفرضية الرئيسية الاولى:

(H0) لا توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين ابعاد قدرات التجديد التنظيمي واستراتيجية الاستدامة الاستباقية).

(H1) توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين ابعاد قدرات التجديد التنظيمي واستراتيجية الاستدامة الاستباقية.

يظهر الجدول (١) م صفوفه معاملات الارتباط البسيط بين أبعاد هذه المتغيرات، وتتفرع من هذه الفرضية ثلاث فرضيات فرعية هي:

أ. (H0) لا توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين ابعاد قدرات التجديد التنظيمي والاستدامة البيئية الاستباقية.

(H1) توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين ابعاد قدرات التجديد التنظيمي والاستدامة البيئية الاستباقية.

يظهر جدول م صفوفه الارتباط (١) بأن هنالك علاقات ارتباط موجبة ومعنوية عند مستوى (1%) بين قدرات التجديد التنظيمي وأبعاده (المقدرة الاستراتيجية، التواصل، استثمار الوقت، التوجه نحو التعلم، الممارسات القيادية، إدارة المعرفة) والاستدامة البيئية الاستباقية، وقد بلغت قيم معاملات الارتباط بين هذه الأبعاد (٠,٢٣٩، ٠,٣١٦، ٠,٥٣٣، ٠,٣٨٠، ٠,٧٤٣، ٠,٦٧٠) على الترتيب، وتدعم هذه النتيجة رفض فرضية العدم للفرضية الفرعية (١) وقبول الفرضية البديلة، وهذا يدل على أن أبعاد قدرات التجديد التنظيمي تسهم في تحقيق الاستدامة البيئية الشاملة والمحافظة على البيئة داخليا وخارجيا.

ب. (H0) لا توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين ابعاد قدرات التجديد التنظيمي والاستدامة الاقتصادية الاستباقية.

(H1) توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين ابعاد قدرات التجديد التنظيمي والاستدامة الاقتصادية الاستباقية.

يبين جدول م صفوفه الارتباط (١) بأن هنالك علاقات ارتباط موجبة ومعنوية عند مستوى (1%) بين قدرات التجديد التنظيمي وأبعاده (المقدرة الاستراتيجية، التواصل، استثمار الوقت، التوجه نحو التعلم، الممارسات القيادية، إدارة المعرفة) والاستدامة الاقتصادية الاستباقية، وقد بلغت قيم معاملات الارتباط بين هذه الأبعاد (٠,٣٢٦، ٠,٣٩٥، ٠,٤٢١، ٠,٦٤٤، ٠,٣٨١، ٠,٧٨٩) على الترتيب، وتدعم هذه النتيجة رفض فرضية العدم للفرضية الفرعية (٢) وقبول الفرضية البديلة، وهذا يدل على أن أبعاد قدرات التجديد التنظيمي تسهم في اتخاذ قرارات استراتيجية تنسجم مع التطور الحاصل في البيئة الخارجية وتعزيز حالة استدامة الابتكارات.

ت. (H0) لا توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين ابعاد قدرات التجديد التنظيمي والاستدامة الاجتماعية الاستباقية.

(H1) توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين ابعاد قدرات التجديد التنظيمي والاستدامة الاجتماعية الاستباقية.

== أثر قدرات التجديد التنظيمي في تحقيق استراتيجية الاستدامة الاستباقية -دراسة تحليلية لآراء عينة من المديرين في شركات الاتصالات

يظهر جدول م صفوف الارتباط (١) بأن هنالك علاقات ارتباط موجبة ومعنوية عند مستوى (1%) بين متغير قدرات التجديد التنظيمي وأبعاده (التواصل، استثمار الوقت، التوجه نحو التعلم، الممارسات القيادية، ادارة المعرفة) والاستدامة الاجتماعية الاستباقية، ومستوى (0.05) لبعد المقدرة الاستراتيجية وبعد الاستدامة الاجتماعية الاستباقية وقد بلغت قيم معاملات الارتباط بين هذه الأبعاد والاستدامة الاجتماعية الاستباقية (٠,١٩٠، ٠,٣٣٢، ٠,٤٧٠، ٠,٤٧٠، 0.591، 0.660) على التوالي، وتدعم هذه النتيجة رفض فرضية العدم للفرضية الفرعية (٣) وقبول الفرضية البديلة، وهذا يدل على أن أبعاد قدرات التجديد التنظيمي تسهم في تنمية راس المال البشري ومشاركة الافراد العاملين في اتخاذ القرارات.

وبعد التأكد من صحة الفرضيات الفرعية السابقة يتم اختبار الفرضية الرئيسة الثالثة، إذ يظهر جدول م صفوف الارتباط (١) بأن هنالك علاقات ارتباط قوية موجبة وذات دلالة معنوية عند مستوى (١%) بين قدرات التجديد التنظيمي وأبعاده (المقدرة الاستراتيجية، التواصل، استثمار الوقت، التوجه نحو التعلم، الممارسات القيادية، ادارة المعرفة) واستراتيجية الاستدامة الاستباقية حيث بلغت قيمة معاملات الارتباط (0.2٧٧، ٠,٣٨٩، ٠,٤٦٦، ٠,٥٣٢، 0.734، 0.789) على التوالي، فيما بلغت قيمة معامل الارتباط بين قدرات التجديد التنظيمي واستراتيجية الاستدامة الاستباقية (0.703) وتدل النتائج المذكورة في الجدول (1) على رفض فرضية العدم (H0) وقبول فرضية الوجود (H1) بالنسبة للفرضية الرئيسة الثالثة وفرضياتها الفرعية كافة، وهذا يدل على ان قدرات التجديد التنظيمي تساهم بشكل كبير في تحقيق استراتيجية الاستدامة الاستباقية.

		Y1 SC	Y 2 C	Y3 ET	Y4 LO	Y5 LP	Y6 KM	Y ORC
Z1 P. En.S	Pearson Correlation	.239(**)	.316(**)	.533(**)	.380(**)	.743(**)	.670(**)	.637(**)
	Sig. (2-tailed)	.006	.000	.001	.000	.000	.000	.000
	N	130	130	130	130	130	130	130
Z2 P. Ec.S	Pearson Correlation	.326(**)	.395(**)	.421(**)	.381(**)	.644(**)	.789(**)	.650(**)
	Sig. (2-tailed)	.000	.000	.000	.000	.000	.000	.000
	N	130	130	130	130	130	130	130

Z3 P. So. S	Pearson Correlation	.190(*)	.332(**)	.470(**)	.470(**)	.591(**)	.660(**)	.599(**)
	Sig. (2-tailed)	.031	.000	.000	.000	.000	.000	.000
	N	130	130	130	130	130	130	130
P. S. St Z	Pearson Correlation	.277(**)	.389(**)	.532(**)	.466(**)	.734(**)	.789(**)	.703(**)
	Sig. (2-tailed)	.001	.000	.000	.000	.000	.000	.000
	N	130	130	130	130	130	130	130

وعلى مستوى الابعاد كانت اقوى علاقة ارتباط بين كل من بعدُ ادارة المعرفة من متغير قدرات التجديد التنظيمي وبعدُ الاستدامة الاقتصادية الاستباقية من متغير استراتيجية الاستدامة الاستباقية، اذ بلغت قيمة معامل الارتباط بينهما (٠,٧٨٩) وتعد علاقة قوية وهذا يدل على امتلاك المدراء المهارات والقدرات المعرفية التي تساهم بشكل كبير في زيادة الارباح المجزية والدخول في الاسواق والمنافسة مع الشركات التنافسية، فيما كانت اضعف علاقة ارتباط بين بعدُ المقدرة الاستراتيجية من متغير قدرات التجديد التنظيمي، وبعدُ الاستدامة البيئية الاستباقية من استراتيجية الاستدامة الاستباقية، اذ بلغت قيمة معامل الارتباط بينهما (0.190) وتعد علاقة ارتباط ضعيفة، وهذا مؤشر يدل على ان تعزيز الابتكار وتقليل المخاطر البيئية والتوجه نحو المستقبل، لم تحظ بالاهتمام الكافي من قبل صانعي القرار، فينبغي على مدراء شركات الات صالات امتلاك المقدرة الاستراتيجية في تطبيق استراتيجية بيئية استباقية متكاملة للمحافظة على المنتجات والخدمات وتقليل المخاطر على البشر والبيئة.

جدول (١) م صفوفة معاملات الارتباط بين ابعاد قدرات التجديد التنظيمي واستراتيجية الاستدامة الاستباقية

المصدر: من اعداد الباحث في ضوء مخرجات الحاسبة الكترونية.

N= 130 ** Correlation is significant at the 0.01 level (2-tailed).

* Correlation is significant at the 0.05 level (2-tailed).

ثانيا: اختبار فرضيات التأثير بين متغيرات الدراسة:

في هذه الفقرة تحديدا سنسعى إلى اختبار الفرضية الرئيسة الثانية ومن اجل التحقق من ثباتها عكف الباحث على استخدام الانحدار الخطي البسيط (Simple Regression Analyses) بالإضافة إلى استخدام اختبار (F) ومعامل التفسير (R²) لغرض قياس نسبة ما تفسره قدرات التجديد التنظيمي وأبعاده من تغيرات تؤثر على استراتيجية الاستدامة الاستباقية.

١ - الفرضية الرئيسة الثانية

== أثر قدرات التجديد التنظيمي في تحقيق استراتيجية الاستدامة الاستباقية -دراسة تحليلية لآراء عينة من المديرين في شركات الاتصالات
(H0) لا يوجد تأثير ذو دلالة معنوية لابعاد قدرات التجديد التنظيمي على استراتيجية الاستدامة الاستباقية.

(H1) يوجد تأثير ذو دلالة معنوية لابعاد قدرات التجديد التنظيمي على استراتيجية الاستدامة الاستباقية

وتتفرع من هذه الفرضية ست فرضيات فرعية:

أ. (H0) لا يوجد تأثير ذو دلالة معنوية لبعد المقدرة الاستراتيجية على استراتيجية الاستدامة الاستباقية.
(H1) يوجد تأثير ذو دلالة معنوية لبعد المقدرة الاستراتيجية على استراتيجية الاستدامة الاستباقية.

يشير من جدول نتائج تحليل الانحدار (1) هنالك تأثير ذو دلالة معنوية عند مستوى (0.1) لبعد المقدرة الاستراتيجية على استراتيجية الاستدامة الاستباقية، إذ بلغت قيمة معامل بيتا (0.275)، وقد بلغت قيمة (F) المحسوبة (10.629) وهي أكبر من قيمة (F) الجدولية البالغة (6.85)، مما يدل على معنوية نموذج الانحدار الخاص بهذه الفرضية، وقد بلغ معامل التحديد لبعد المقدرة الاستراتيجية (0.77)، بمعنى أن المقدرة الاستراتيجية يفسر ما نسبته (70.7%) من التغيرات التي تطرأ على استراتيجية الاستدامة الاستباقية، وتدعم هذه النتيجة رفض فرضية العدم وقبول الفرضية البديلة للفرضية الفرعية (1).

ب. (H0) لا يوجد تأثير ذو دلالة معنوية لبعد التواصل على استراتيجية الاستدامة الاستباقية.

(H1) يوجد تأثير ذو دلالة معنوية لبعد التواصل على استراتيجية الاستدامة الاستباقية

يظهر من جدول نتائج تحليل الانحدار (2) هنالك تأثير ذو دلالة معنوية عند مستوى (0.1).

لبعد التواصل على استراتيجية الاستدامة الاستباقية، إذ بلغت قيمة معامل بيتا (0.369)، وقد بلغت قيمة (F) المحسوبة (22.836) وهي أكبر من قيمة (F) الجدولية البالغة (6.85)، مما يدل على معنوية نموذج الانحدار الخاص بهذه الفرضية، وقد بلغ معامل التحديد لبعد التواصل (0.151) ويعني ذلك أن بعد التواصل يفسر (10.1%) من التغيرات التي تطرأ على استراتيجية الاستدامة الاستباقية، وتدعم هذه النتيجة رفض فرضية العدم وقبول الفرضية البديلة للفرضية الفرعية (2).

ت. (H0) لا يوجد تأثير ذو دلالة معنوية لاستثمار الوقت على استراتيجية الاستدامة الاستباقية

(H1) يوجد تأثير ذو دلالة معنوية لاستثمار الوقت على استراتيجية الاستدامة الاستباقية

من جدول نتائج تحليل الانحدار (2) هنالك تأثير ذو دلالة معنوية عند مستوى (0.1) لبعد استثمار الوقت على استراتيجية الاستدامة الاستباقية. إذ بلغت قيمة معامل بيتا (0.496)، وقد بلغت قيمة (F) المحسوبة (50.557) وهي أكبر من قيمة (F) الجدولية البالغة (6.85)، مما يدل على معنوية نموذج الانحدار الخاص بهذه الفرضية، وقد بلغ معامل التفسير لاستثمار الوقت (0.283) ويعني ذلك أن بعد استثمار الوقت يفسر (28.3%) من التغيرات التي تطرأ على استراتيجية الاستدامة الاستباقية، وتدعم هذه النتيجة رفض فرضية العدم وقبول الفرضية البديلة للفرضية الفرعية (3).

ث. (H0) لا يوجد تأثير ذو دلالة معنوية للتوجه نحو التعلم على استراتيجية الاستدامة الاستباقية.

(H1) يوجد تأثير ذو دلالة معنوية للتوجه نحو التعلم على استراتيجية الاستدامة الاستباقية.

يظهر من جدول نتائج تحليل الانحدار (2) هنالك تأثير ذو دلالة معنوية عند مستوى (١٪) للتوجه نحو التعلم على استراتيجية الاستدامة الاستباقية، إذ بلغت قيمة معامل بيتا (٠.394)، وقد بلغت قيمة (F) المحسوبة (35.560) وهي أكبر من قيمة (F) الجدولية البالغة (6.85)، مما يدل على معنوية أنموذج الانحدار الخاص بهذه الفرضية، وقد بلغ معامل التحديد للتوجه نحو التعلم (٠.217) ويعني ذلك التوجه نحو التعلم يفسر (21.7%) من التغيرات التي تطرأ على استراتيجية الاستدامة الاستباقية. وتدعم هذه النتيجة رفض فرضية العدم وقبول الفرضية البديلة للفرضية الفرعية (٤).

ج. (H0) لا يوجد تأثير ذو دلالة معنوية للممارسات القيادية على استراتيجية الاستدامة الاستباقية.
(H1) يوجد تأثير ذو دلالة معنوية للممارسات القيادية على استراتيجية الاستدامة الاستباقية.

يظهر من جدول نتائج تحليل الانحدار (2) هنالك تأثير ذو دلالة معنوية عند مستوى (١٪) للممارسات القيادية على استراتيجية الاستدامة الاستباقية، إذ بلغت قيمة معامل بيتا (٠.566)، وقد بلغت قيمة (F) المحسوبة (149.250) وهي أكبر من قيمة (F) الجدولية البالغة (6.85)، مما يدل على معنوية أنموذج الانحدار الخاص بهذه الفرضية، وقد بلغ معامل التفسير (R^2) للممارسات القيادية (٠.538) ويعني ذلك التوجه نحو التعلم يفسر (٥٣.٨٪) من التغيرات التي تطرأ على استراتيجية الاستدامة الاستباقية. وتدعم هذه النتيجة رفض فرضية العدم وقبول الفرضية البديلة للفرضية الفرعية (٥).

ح. (H0) لا يوجد تأثير ذو دلالة معنوية لإدارة المعرفة على استراتيجية الاستدامة الاستباقية
(H1) يوجد تأثير ذو دلالة معنوية لإدارة المعرفة على استراتيجية الاستدامة الاستباقية

يشير جدول نتائج تحليل الانحدار (2) هنالك تأثير ذو دلالة معنوية عند مستوى (١٪) لإدارة المعرفة على استراتيجية الاستدامة الاستباقية، إذ بلغت قيمة معامل بيتا (٠.٤٨٩)، وقد بلغت قيمة (F) المحسوبة (211.414) وهي أكبر من قيمة (F) الجدولية البالغة (6.85)، مما يدل على معنوية أنموذج الانحدار الخاص بهذه الفرضية، وقد بلغ معامل التحديد لإدارة المعرفة (٠.623) ويعني ذلك إدارة المعرفة يفسر (٦٢.٣٪) من التغيرات التي تطرأ على استراتيجية الاستدامة الاستباقية. وتدعم هذه النتيجة رفض فرضية العدم وقبول الفرضية البديلة للفرضية الفرعية (6).

وبعد التأكد من صحة الفرضيات الفرعية السابقة يتم اختبار الفرضية الرئيسة السادسة، إذ يظهر من جدول نتائج تحليل الانحدار (2) بأن هنالك تأثيراً ذا دلالة معنوية عند مستوى (١٪) لمتغير قدرات التجديد التنظيمي على استراتيجية الاستدامة الاستباقية، إذ بلغت قيمة معامل بيتا (٠.798)، وقد بلغت قيمة (F) المحسوبة (125.213) وهي أكبر من قيمة (F) الجدولية البالغة (٦,٨٥)، مما يدل على معنوية أنموذج الانحدار الخاص بهذه الفرضية، وقد بلغ معامل التفسير لمتغير قدرات التجديد التنظيمي (٠.494) ويعني ذلك أن متغير قدرات التجديد التنظيمي يفسر (٤٩.٤٪) من التغيرات التي تطرأ على استراتيجية الاستدامة الاستباقية، وتدعم هذه النتيجة رفض فرضية العدم وقبول الفرضية البديلة للفرضية الرئيسة السادسة، بمعنى أنه يوجد تأثير ذو دلالة معنوية لقدرات التجديد التنظيمي على استراتيجية الاستدامة الاستباقية.

جدول (٢) معادلات الانحدار وقيم (R^2) و قيمة F المحسوبة للفرضية الرئيسة الثانية

المتغيرات المستقلة	معادلة الانحدار	قيم F	قيمة R2
المقدرة الاستراتيجية	$Z = 0.593 + 0.275 X1$	10.629	0.077
التواصل	$Z = 0.523 + 0.369 X2$	22.836	0.151
استثمار الوقت	$Z = 0.431 + 0.496 X3$	50.557	0.283
التوجه نحو التعلم	$Z = 0.509 + 0.394 X5$	35.560	0.217
الممارسات القيادية	$Z = 0.372 + 0.566 X5$	149.250	0.538
ادارة المعرفة	$Z = 0.297 + 0.651 X6$	211.414	0.623
استراتيجية الاستدامة الاستباقية	$Z = 0.193 + 0.798 X$	125.213	0.494

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات الحاسبة الالكترونية

المبحث الرابع: الاستنتاجات والتوصيات

اولا: الاستنتاجات

١. إن مفهوم قدرات التجديد التنظيمي مفهوم ديناميكي غالبا ما يرتبط بالأفكار والمطالب والتطلعات الخاصة بالمنظمة فضلا عن التغيرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والديموغرافية وبالتالي فهو مفهوم ما يزال لم يصل الى مستوى الاطار الشامل المتكامل فكريا وفلسفيا وتطبيقيا.
٢. اتضح اهتمام المنظمات بالقدرة على التواصل وادارة وتنظيم وتنمية العلاقات الاجتماعية مع الافراد و تطوير وتحسين الاداء وتبادل المعلومات بين الافراد العاملين، وإحداث التغيير الذي يؤدي الى نجاح الشركات في التجديد التنظيمي.
٣. اظهر ضعف اهتمام المنظمات بمشاركة زبائنهم في عملياتها الابداعية والابتكارية. والحرص على تحفيز روح التكاتف واشكال التفاعل الاجتماعي داخل المنظمة وخارجها.
٤. اظهر اهتمام مدراء المنظمات في دعم ورعاية مبادرات المجتمع المحلي من خلال الندوات والمؤتمرات والانشطة الخيرية وغيرها من المساهمات الأخرى.
٥. اظهر ضعف اهتمام عينة الدراسة بتبني مبدأ مشاركة الافراد العاملين في عملية اتخاذ القرارات.
٦. تبين ضعف الاهتمام في تعزيز حالة استدامة الابتكارات في المنظمات.

ثانيا: التوصيات

١. تُعد العروض الجديدة التي تقدمها شركات الاتصالات إلى السوق أساس استمرارها ونموها، ولأن الشركات قيد الدراسة تتمتع بالمرونة اللازمة والتي تمكنها من إعادة ترتيب مواردها بالشكل الذي يحقق لها إمكانية إنتاج منتجات او خدمات جديدة، ومواجهة التقلبات الشديدة الحاصلة في البيئة

الخارجية، فأن ذلك يتطلب تفعيل الجهود البحثية التي تضمن تقديم المنتجات والخدمات الجديدة التي تلائم السوق العراقية والعالمية، أو العمل على تنفيذ السياسات التي تحقق تفوق الشركات في مجال عملها.

٢. يتطلب من الشركات عينة الدراسة توطيد العلاقات مع الزبائن الحاليين وتحفيز روح التكاتف واشكال التفاعل الاجتماعي داخل وخارج المنظمة و بالإضافة الى مشاركة زبائنهم في عملياتها الابداعية والابتكارية وان تواصل الافراد وتنظيم علاقاتهم الاجتماعية أمر مهم لجميع أنواع التحولات التنظيمية، ومن ثم فانه مهم لإدارة التغيير بنجاح في الشركة.

٣. ضرورة الاستمرار في تجديد وتحديث وتطوير قدراتها التنظيمية لتواكب التقدم العلمي والتكنولوجي واعتماد افضل التقنيات العالمية للارتقاء بواقع التجديد التنظيمي في المجالات كافة عبر مجموعة من الاليات منها:-

أ. تبني روي واستراتيجيات استباقية للاستشعار عن الاتجاهات المستقبلية وتطور السوق بما يعزز قدراتها نحو تحقيق استراتيجية الاستدامة الاستباقية.

ب. ضرورة التعاون ومد جسور الثقة مع منظمات المجتمع المحلي لكسب المعلومات لتطوير وتحسين المنتجات والخدمات والبحث عن بدائل او تصاميم جديدة بطريقة اسرع من المنافسين.

ت. سرعة الاستجابة لحاجات ومتطلبات الزبائن من خلال استغلال الوقت في تطوير القدرات والمهارات او من خلال تنظيم طرق واساليب العمل بغية تحقيق استراتيجية الاستدامة الاستباقية.

ث. ضرورة اكتساب العاملين التعلم التنظيمي اثناء ممارستهم لوظائفهم، فهم الذين تقع عليهم مسؤولية رسم مستقبل الشركة فلا بد من التفاعل معهم وزيادة المعرفة والتعلم من خلال الخبرات المتراكمة والاستفادة من حالات الفشل في الاستجابة والتكيف للتغيرات المستقبلية.

٤. من المهم أن تعي إدارات الشركات عينة الدراسة بأن استراتيجية الاستدامة الاستباقية هي ضرورة أكثر من أن تكون التزاماً تفرضه التحديات التنافسية، وهذا يستدعي تحفيز إدارات تلك الشركات الى تجديد وتطوير قدراتها وإمكانياتها وخبراتها لمواجهة التحديات التنافسية.

٥. يتطلب من ادارة شركتي (زين العراق، أسياسيل) العمل على استدامة الابتكارات من خلال:-
أ. مواكبة التطورات الاقتصادية الحاصلة في البيئة.

ب. اتخاذ عدد من القرارات الاستراتيجية التي تنسجم مع التطور الحاصل في البيئة الخارجية للشركة، وما يعزز توجه نحو الاستدامة الاقتصادية الاستباقية.

ت. ان تضع في سلم أولوياتها تحقيق الأرباح المحزية الأمر الذي سيعزز دافعية العمل لدى الافراد العاملين ويشجعهم على الاداء الكفوء والفاعل.

٦. يتطلب من ادارة الشركات المبحوثة زيادة الاهتمام بمبدأ مشاركة الافراد العاملين في اتخاذ القرارات من خلال:-

أ. الاهتمام بالأنشطة الاجتماعية الاستباقية التي تهدف الى البقاء بنجاح في السوق لفترة طويلة، والتي تؤثر إيجاباً على جميع العلاقات الحالية والمستقبلية مع أصحاب المصلحة.

== أثر قدرات التجديد التنظيمي في تحقيق استراتيجية الاستدامة الاستباقية -دراسة تحليلية لآراء عينة من المديرين في شركات الاتصالات
 ب. العمل على تلبية احتياجاتهم والتي تركز على مشاركة الموظفين في عملية اتخاذ القرارات وتحسين
 صحة الموظفين وسلامتهم.
 ت. الاستثمار في تنمية رأس المال البشري.

المصادر

أولاً: المصادر العربية

❖ القرآن الكريم

❖ القواميس والمعاجم

١. ابو العزم، عبد الغني، (٢٠١٣)، "معجم الغني الالكتروني" فهرسة وتنسيق فواز زكانة، عربي -عربي.

Second: references

1. Aragon-Correa, (1998), "Strategic Proactivity and Firm Approach to The Natural Environment", Academic of Management Journal, Vol. 41, No. 5, 558-567.
2. Albertini, Elisabeth,.(2013),"Does Environmental Management Improve Financial Performance? A Meta- Analytical Review." Organization & Environment 26 (4): 431-57.
3. Baumgartner R.J., (2005),"Sustainable business management," Grundlagen, Strategien und Instrumente einer nachhaltigen Unternehmensführung. In Wertsteigerung durch Nachhaltigkeit
4. Baumgartner, Rupert J.; Ebner, Daniela,(2010),"Corporate Sustainability Strategies: Sustainability Profiles and Maturity Levels," Sustainable Development Sust. Dev. 18, 76-89.
5. Chapman Michael Rupured, Sue W,(2008), "10 strategies for better time management", The University of Georgia and Ft. Valley State University, the U.S. Department of Agriculture and counties of the state cooperating. Cooperative Extension.
6. Chang, D. and L. R. Kuo,(2008), 'The Effects of Sustainable Development on Firms' Financial Performance - An Empirical Approach', Sustainable Development 16, 365-380.
7. Chew, Eng; Dovey, Kenneth Anthony,(2014),"Learning to create sustainable value in turbulent operational contexts: the role of leadership practices," The Learning Organization Vol. 21 No. 4PP. 243-257.
8. Darnall, Nicole; Henriques, Irene & Sadorsky, Perry,(2009)," Adopting Proactive Environmental Strategy: The Influence of Stakeholders and Firm Sizejoms", Journal of Management Studies.

9. Eisenhardt, K., & Martin, J. ,(2000)", Dynamic capabilities, what are they? Strategic Management Journal, 21, PP: 1105-1121.
10. Gabriel, Amir,(2012)," Relationship between firm's sustainability strategic behavior and performance: a meta-analytic review and theoretical integration," master thesis of Applied Science in Management Sciences, Canada.
11. Graafland, J., B. van de Ven and N. Stoffele,(2003), "Strategies and Instruments for Organising CSR by Small and Large Businesses in the Netherlands", Journal of Business Ethics 47,1.
12. Gleich, Ronald; Kierans, Gordana; Hasselbach,(2010)," Value in due in diligence contemporary strategies for merger and Acquisition success, published by Gower company limited.
13. Harju, Riikka,(2010)," Diagnosing And Developing Knowledge Management Capability -Knowledge Management Capability In Upm-Kymmene Wood Oy", Master's Thesis, Lappeenranta University of Technology.
14. Hammer, Tove H.; Ingebrigtsen, Bente; Karlsen, Jan Irgens; Svarva, Arne,(1994)," Organizational Renewal: The Management of Large-Scale Organizational Change in Norwegian Firms", (CAHRS Working Paper #94-21), Ithaca, NY: Cornell University, School of Industrial and Labor Relations, Center for Advanced Human Resource Studies.
15. Helfat, C.E. and Peteraf, M.A,(2003) "The dynamic resource-based view: capability lifecycles", Strategic Management Journal, 24,. PP: 997-1010.
16. Hong, J. and Stahle, P., (2005), "The co-evolution of knowledge and competence management", International Journal of Management Concepts and Philosophy, Vol. 1 No. 2, PP. 129-45.
17. Huang, Kai-Ping et al ,(2011) "Revealing the Effects of Entrepreneurial Orientation on Firm Performance:A Conceptual Approach" Journal of Applied Sciences, Vol.11,No16 .
18. Ibe, Chidi M; Min, Wang Z; Ling, Kwek & C; D. S. K, Yii,(2015)," Exploring the Impact of Strategic Proactivity on Perceived Corporate Social Responsibility in Nigeria's Petroleum Industry: A Structural Equation Modeling Approach", Asian Social Science; Vol. 11, No. 4.
19. Jokela, Tekija; Matti, (2015)," Perusopetuksen Koulun Uudistumiskyvyn Edistaminen Osaamisen Johtamisen Menetelmin", Master thesis of Lappeenranta Teknillinen Korkeakoulu.

- == أثر قدرات التجديد التنظيمي في تحقيق استراتيجية الاستدامة الاستباقية -دراسة تحليلية لأراء عينة من المديرين في شركات الاتصالات
20. Junell, J., & Stahle, P., (2011)," Measuring organizational renewal capability", Case training service business. Competitiveness Review: An International Business Journal, 21(3), PP: 247-268.
 21. Kianto, A, (2007)" What do we really mean by the dynamic dimension of intellectual capital?", International Journal of Learning and Intellectual Capital, Vol. 4, No. 4, PP.342–356.
 22. Kianto,Aino,(2008), "key enablers of organizational renewal", expertise in technology and economies, school of business Lappeenranta university of technology, Aino ,kianto @lut.fi.
 23. Kianto, Aino, (2008), "Keyemblers of organization renewal", school of Business Lappeenranta University of Technology.
 24. Kusar, Mika Tatum,(2010)," The Development And Renewal Of Strategic Capabilities", Thesis For The Degree of Doctor of Philosophy In the Robinson College of Business Of Georgia State University.
 25. Nisula, A-M., & Kianto, A., (2013)," Evaluating and developing innovation capabilities with a structured method. Interdisciplinary", Journal of Information, Knowledge, and Management, 8, PP: 59-82.
 26. Nisula, Kianto,(2014),"Assessing and developing organizational renewal capability in the public sector", Int. J. Knowledge-Based Development, Vol. 5, No. 1.
 27. Nuttaneeya Ann, Torugsa, ,(2010)," Proactive Corporate Sustainability Practices And Performance In Small And Medium Enterprises". Doctor thesis of Philosophy, University of Tasmania.
 28. Nuttaneeya Ann; Torugsa; Wayne, O'Donohue,; Robert, Hecker,(2012)," Proactive CSR: An Empirical Analysis of the Role of its Economic, Social and Environmental Dimensions on the Association between Capabilities and Performance", Journal of Business Ethics, June 2013, Volume 115, Issue 2, PP: 383-402.
 29. Nylen, D, (2015)," Digital__innovation and changing identities: investigating organizational implications of digitalization," doctoral theses, Umea University.
 30. Nylen, D, (2015)," Digital__innovation and changing identities: investigating organizational implications of digitalization," doctoral theses, Umea University.
 31. Palta, Mari,(2003), " Quantitative Methods in population health: Extensions of ordinary regression", Wiley – IEEE.
 32. Poyhonen, Aino,(2004), "Modeling And Measuring Organizational Renewal Capability," Thesis for the degree of Doctor of Science

- (Economics and Business Administration) Lappeenranta University of Technology.
33. Poyhonen, A. (2004b), "Organizational capability for renewal: Combining effective maintenance, incremental development and radical innovation for sustained competitive advantage". In: Hannula, M., & Stahle, . , Perspectives on organizational knowledge and its measurement. Lappeenranta University of Technology, Studies in Business Administration.
 34. Pöyhönen, A. (2005) 'Exploring the dynamic dimension of intellectual capital: renewal capability, knowledge assets and production of sustained competitive advantage', A Paper Presented at the 2005 PMA IC Symposium: Management and Measurement of Intangible Assets and Intellectual Capital: Multidisciplinary Insights, New York, 15–16 December.
 35. Pelled, L.H., Eisenhardt, K.M. and Xin, K.R. ,1999), " 'Exploring the black box: an analysis of work group diversity, conflict, and performance", Administrative Science Quarterly, Vol. 44, No. 1.
 36. Ratiu, Catalin,(2011)," Proactive sustainability strategies and capability development: Insights from the public transportation industry," Doctor thesis of Philosophy ,Business Administration.
 37. Spender, J.-C. (1996a)." Organizational knowledge, learning and memory: Three concepts in search of a theory", Journal of Organizational Change, 9, 1,PP: 63-78..
 38. Stähle, P. (1998) Supporting a System's Capacity for Self-Renewal, Helsinki: Yliopistopaino.
 39. Sriboonlue, Pankom,(2016)," Strategic innovation capability and firm sustainability: Evidence from auto parts businesses in Thailand," Journal of Business and Retail Management Research (JBRMR) Vol. 10 Issue 2
 40. Taneja, Sonia; Pryor, Mildred Golden; Gibson, Jane Whitney; Toombs, Leslie A,(2012), "Organizational Renewal A Strategic Imperative", Delhi Business Review X Vol. 13, No. 1.PP:29-40.
 41. Uimonen, Anna,(2015), "The role of customer perspective in organizational renewal. A comparative case study of knowledge-intensive business services", Master's, thesis Lappeenranta University of Technology School of Business Knowledge Management.
 42. Uzzi, B. (1997), 'Social structure and competition in interfirm networks: the paradox of embeddedness', Administrative Science Quarterly, Vol. 42, PP.35–67.

== أثر قدرات التجديد التنظيمي في تحقيق استراتيجية الاستدامة الاستباقية -دراسة تحليلية لأراء عينة من المديرين في شركات الاتصالات

43. Whittington, R. (2006), "Completing the practice-turn in strategy research", Organization Studies, Vol. 27 No. 5, PP: 613-
44. Wijethilake, Chaminda,(2017)," Proactive sustainability strategy and corporate sustainability performance: The mediating effect of sustainability control systems", Journal of Environmental Management 196 ,PP: 569-582.

Theird: Internet

1. <http://dictionary.cambridge.org>
2. www.surveysystem.com.
3. www.abahe.co.uk/.

دور الذكاء الاستراتيجي في تحقيق الأداء العالي -دراسة استطلاعية

لآراء المديرين في الشركة العامة لصناعة السمنت الجنوبية-

Role of strategic Inteligence in Fulfilling High performance -Exploratory study of the view of managers of Southern General Company for Cement Industry-

أ.د. أكرم محسن الياسري^(١) Prof. Akram Muhsin Al-Yasiry

م.م. علي عبد الحسين حميدي العامري^(٢)

Assist. Lect. Ali Abdulhussain Humaidy Al-Amiry

المستخلص

سعت هذه الدراسة إلى بيان دور (الذكاء الاستراتيجي) في تحقيق (الأداء العالي). وفي إطار مشكلة الدراسة، ذهبت هذه الدراسة باتجاه البحث عن إجابات لتساؤلات مفادها:-

- (١) هل يمتلك مديري معامل الإسمنت عينة الدراسة، تصوراً واضحاً عن متغيرات الدراسة؟.
- (٢) ما مستوى أهمية متغيرات الدراسة (الذكاء الاستراتيجي، الأداء العالي) بأبعادهما الفرعية، على مستوى المعامل عينة الدراسة؟.

وبناءً على ذلك، تتمحور مشكلة الدراسة على نحو كبير في هذا الجانب المهم والحيوي الذي عن طريق تقييمه وتشخيصه سوف يمكن للمعامل المبحوثة تحقيق الأداء العالي، لذا ذهبت هذه الدراسة باتجاه مجموعة الخصائص التي تُسهم في تحقيق الأداء العالي (علماً إن ميدان تطبيق هذه الدراسة، هو على عينة من معامل الاسمنت العراقية وهي (المعاونية العامة للسمنت الجنوبية، معمل كربلاء، معمل الكوفة، معمل السماوة، معمل بابل، معمل النورة) وقد وقع الاختيار على هذه المعامل، لما تُمثله من دورٍ فاعلٍ وأثرٍ كبيرٍ

١- جامعة كربلاء/ كلية الإدارة والاقتصاد.

٢- جامعة كربلاء/ كلية الإدارة والاقتصاد.

===== دور الذكاء الاستراتيجي في تحقيق الأداء العالي -دراسة استطلاعية لأراء المديرين في الشركة العامة لصناعة السمنت الجنوبية-"

في الاقّة صاد الوطني، فضلاً عن التحديات الكبيرة التي تواجهها في ظل الظروف الحالي. وتهدف هذه الدراسة إلى بيان دور الذكاء الاستراتيجي في تحقيق الأداء العالي.

وبهدف تحقيق هذا الهدف فقد تبنت الدراسة مخططاً فرضياً يعبر عن العلاقات المنطقية بين متغيرات الدراسة.، وقد بلغ حجم العينة التي شملتها الدراسة (١١٣) مديراً والتي تتمثل (بمدراء المعامل ومدراء الأقسام ومدراء الشُعَب) (وهم كُُل المدراء الموجودين). وقد اظهرت نتائج التحليل التطبيقي لمتغيرات الدراسة مجموعة من الاستنتاجات، كان من أهمها، إن تفاعل أبعاد الذكاء الاستراتيجي معا يؤثر إيجاباً وبشكل واضح في الأداء العالي. وقد تضمنت هذه الدراسة توصيات عديدة كان من أهمها:-

١. تدعيم الشراكة مع المعامل والشركات المنافسة والتواصل مع الأخرى الدولية.
٢. ضرورة الاهتمام بمتطلبات الأداء العالي من تحسين جودة الإدارة والعاملين ومن ثم الوصول إلى منتجات (صديقة للبيئة).

Abstract

This study sought to demonstrate the role of strategic intelligence in achieving high performance. In the context of the problem of study, this study went towards the search for answers to the questions:

- 1.Does the cement plant managers have a sample study, a clear perception of the variables of study?
- 2.What is the level of importance of the variables of the study (strategic intelligence, high performance) with their sub-dimensions, at the level of the sample study laboratories.?

Accordingly, the problem of the study is largely focused on this important and vital aspect which through its evaluation and diagnosis will enable the investigated laboratories to achieve high performance, so this study went towards the set of characteristics that contribute to the achievement of high performance (the field of application of this study is On the sample of the Iraqi cement factories (the General Cooperative of Southern Cement, Karbala, Kufa, Samawah, Babel, and Al Nora). These laboratories were chosen because they represent an effective role and a major impact on the national economy, Which they face under the The aim of this study is to demonstrate the role of strategic intelligence in achieving high performance.

In order to achieve this objective, the study adopted a hypothesis that expresses the logical relations between the variables of the study. The sample size of the sample was (113) managers, which are (factory managers, department managers and managers of the people) (they are all existing managers). The results of the applied analysis of the variables of the study showed a set of conclusions, the most important of which is that the interaction of the dimensions of strategic intelligence together positively

affects the performance of high performance. The study included several recommendations, the most important of which were:

1. To strengthen partnership with laboratories and competing companies and to communicate with other international organizations.
2. The need to pay attention to the requirements of the high performance of the improvement of the quality of management and employees and then access to products (environmentally friendly.).

المقدمة

المبحث الأول: منهجية الدراسة

أولاً: مشكلة الدراسة:

تواجه منظمات الأعمال بشكل عام والعراقية بشكل خاص، تحديات وصعوبات كبيرة في بيئة الأعمال التي تتسم بالتغير المستمر الذي وصل إلى حد الاضطراب وأصبح سمة ملازمة للمنظمات، ولعل كثيراً من العوامل المتغيرة أصبحت بهذه السمات والتي من أهمها انفتاح الحدود واشتداد المنافسة الخارجية وتوسع الأعمال عالمياً والتنوع في مواصفات المنتجات المطلوبة، كل ذلك فرض على المنظمات، البحث عن العناصر الأساسية التي عن طريقها تستطيع مواجهة هذه التحديات والوقوف على نحو قوي تجاهها، كي تتمكن من المنافسة والاستمرار وتحقيق النجاحات المستمرة في أعمالها.

وفي إطار مشكلة الدراسة الحالية، فإنها تستلزم تشخيصاً معرفياً وعلمياً دقيقاً، استناداً إلى مجموعة من المرتكزات المفاهيمية الخاصة بمتغيرات الدراسة (الذكاء الاستراتيجي، والأداء العالي) وطبيعة العلاقة بينهما، إذ يمكن النظر إليها بشقين:-

الأول: تمثل في مشكلة الدراسة الفكرية التي تُحدد بضعف اتفاق الباحثين نظرياً حول متغيراتها، وطبيعة العلاقة بين هذه المتغيرات معرفياً، وفي ضوء ذلك يمكن تحديد التساؤلات الفكرية الآتية:-

١. ما المرتكزات الفكرية لمتغيرات الدراسة بشكل عام؟.
٢. ما مفهوم وأهمية الذكاء الاستراتيجي، أنواعه، مداخل تفسيره، عملياته، تحدياته، نماذجه وطرائق قياسه، أهم العوامل المؤثرة فيه، أدواره، فضلاً عن أبعاده، وممارساته؟.
٣. ما المحتوى المفاهيمي للأداء العالي، مداخله، نماذجه، متطلبات ومكونات بناء منظمات الأداء العالي، فضلاً عن أبعاده ومتطلبات تطوير ثقافة الأداء العالي؟.
٤. ما طبيعة العلاقة المنطقية بين متغيرات الدراسة الرئيسة والفرعية، وكيف تُستخدم للإفادة منها في الجانب الميداني؟.

الثاني: تمثل في مشكلة الدراسة الميدانية، التي تضمنت مدى حاجة معامل الإسمت عينة الدراسة، إلى تطبيق والاستفادة من دور الذكاء الاستراتيجي في تحقيق الأداء العالي. وفي ضوء ذلك يمكن حصر مشكلة الدراسة، بمجموعة من التساؤلات الميدانية الآتية:-

١. هل يمتلك مديري معامل الإسمت عينة الدراسة، تصوراً واضحاً عن متغيرات الدراسة؟.

===== دور الذكاء الاستراتيجي في تحقيق الأداء العالي -دراسة استطلاعية لآراء المديرين في الشركة العامة لصناعة السمنت الجنوبية-"

٢. ما مستوى أهمية مُتغيرات الدراسة (الذكاء الاستراتيجي، الأداء العالي) بأبعادهما الفرعية، على مستوى المعامل عينة الدراسة؟.

٣. ما هي طبيعة علاقات الارتباط واتجاهات التأثير بين المتغيرين، الذكاء الاستراتيجي والأداء العالي في المعامل عينة الدراسة؟.

ثانياً: أهمية الدراسة

- (١) تنبثق أهمية الدراسة من كونها تدرس قطاعاً مهماً ورافداً حيوياً للاقتصاد الوطني.
- (٢) كما وتنبثق أهمية الدراسة في تبني عدد من عمليات الإدارة الاستراتيجية في المنظمات التي تعاني ضعفاً في تنفيذ هذه العمليات بوصفها أساس عمل منظمات اليوم الصناعية بالذات في ظل حالة التنافس المتزايدة والتسابق حول تبني الخيارات الاستراتيجية التي تمكن المنظمة من المحافظة على حصتها السوقية.
- (٣) الجانب الميداني والذي سيسهم في معرفة توجه المنظمات عينة الدراسة نحو تبني استراتيجية تنافسية تعزز من ادائها المستقبلي بما يحقق لها ميزة تنافسية.
- (٤) الجانب الاقـ صادي الذي تبلور من نظرة الفكر الاقـ صادي الحديث لهذه المنظمات في تدعيم المنافسة.
- (٥) الجانب الأكاديمي والذي يتمثل بمساهمتها المتواضعة في إثراء مكتبة الإدارة العلمية.

ثالثاً : أهداف الدراسة:

انطلاقاً من أهمية الدراسة وتساؤلاتها، يمكن لهذه الدراسة وعن طريق التطبيق العملي أن تقدم حلولاً للمشكلات التي تعاني منها المنظمات المبحوثة ولا سيما في كيفية الوصول إلى الأداء العالي، فضلاً عن تحديد أبرز المتطلبات التي تساعد على تبني هذا النهج، والمتمثل بوصف متغيرات الدراسة وتشخيصها، فضلاً عن تحديد طبيعة علاقات الارتباط ونوعها والتأثير بينها على مستوى (مجتمع الدراسة) فضلاً عن الأهداف الفرعية الآتية:

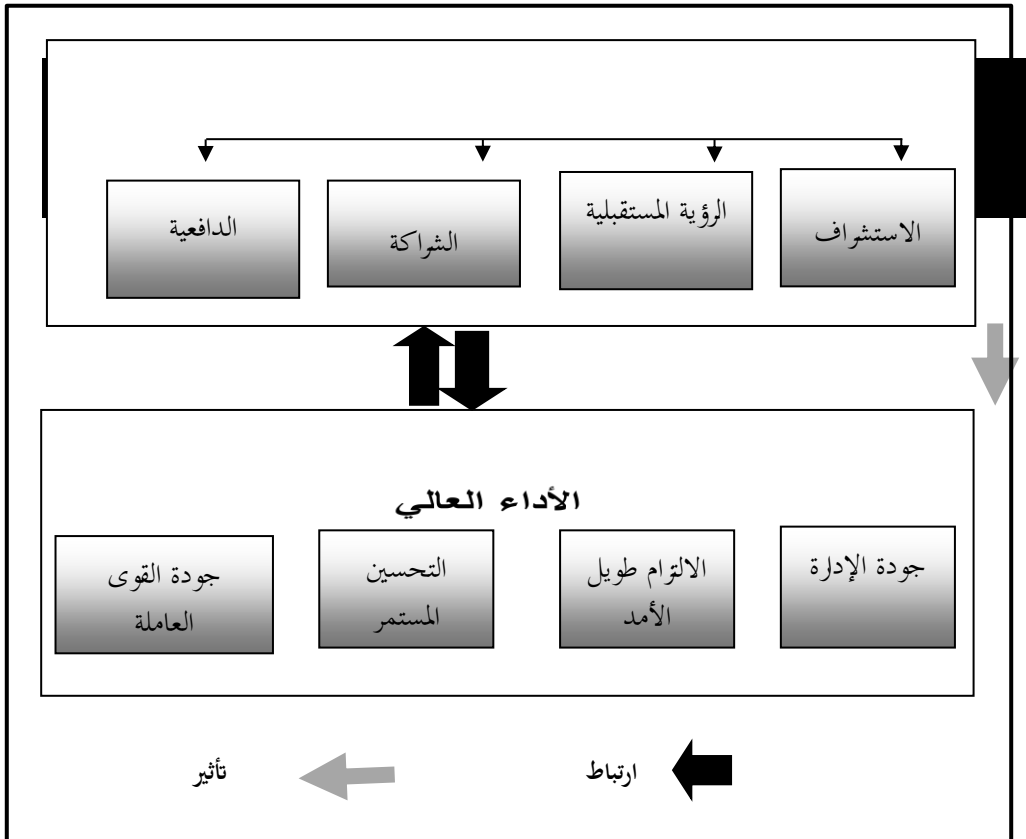
١. التعرف على ماهية الذكاء الاستراتيجي من حيث المفهوم والأهمية.
٢. المساهمة في بلورة إطار نظري للعلاقة بين الذكاء الاستراتيجي وتحقيق الأداء العالي.
٣. تقديم توصيات للمعامل المبحوثة من خلالها تستطيع تحقيق الأداء العالي، عن طريق تحديد وقياس دور الذكاء الاستراتيجي.

رابعاً: مخطط الدراسة الفرضي:

في ضوء مشكلة الدراسة وأهدافها وضمن إطارها النظري والتطبيقي تم تصميم مخطط فرضي يعبر عن العلاقات المنطقية بين متغيرات الدراسة وكما موضح في الشكل (١) الذي تم استخلاصه من واقع الأدبيات الإدارية والذي يشير إلى مُتغيرين وهما كالآتي:-

١- المُتغير المستقل:- (الذكاء الاستراتيجي) (X) وأبعاده (الاستشراف، الرؤية المستقبلية، الشراكة، الدافعية).

٢- المتغير التابع:- (الأداء العالي) (Z) وأبعاده (جودة الإدارة، الالتزام طويل الأمد، التحسين المستمر، جودة القوى العاملة).



شكل (١) مخطط الدراسة الفرضي
المصدر: إعداد الباحث وفق ما عكسته الأدبيات الإدارية.

خامساً: فرضيات الدراسة:

- تعتمد هذه الدراسة على فرضيات رئيسة وتتفرع منها فرضيات فرعية عديدة وهي كالآتي:-
١. الفرضية الرئيسة الأولى: لا توجد علاقات ارتباط ذات دلالة معنوية بين أبعاد (الذكاء الاستراتيجي) و(الأداء العالي).
 ٢. الفرضية الرئيسة الثانية: لا يوجد تأثير ذو دلالة معنوية (للذكاء الاستراتيجي) في (الأداء العالي). وسيتم تفصيل واختبار الفرضيات الرئيسة والفرعية المنبثقة عنها، في الجانب التطبيقي للدراسة.

سادسا: حدود الدراسة:

- الحدود المكانية: تتمثل الحدود المكانية للدراسة بمعامل الإسمنت العراقية المتمثلة بـ(معمل كربلاء/ شركة لافارج الفرنسية، معمل الكوفة، معمل سمنت السدة/ بابل، معمل النورة، معمل السماوة، معاوية السمنت الجنوبية) لغرض إجراء الجانب الميداني، قد تم اختيارها لما تملكه من إمكانات وقدرات وطرائق وأساليب علمية متفوقة، ولما لها من الأثر الكبير في الاقتصاد الوطني، وتجدد الإشارة إلى إن معمل سمنت كربلاء مدار من قبل شركة (لافارج) الفرنسية التي تتمتع بكفاءة كوارها وقابلياتهم التي مكنتها من الحصول على عقد حكومي لإدارة شركة حكومية في قطاع صناعي مهم جداً في البلد.
- الحدود الزمنية: لقد أنجزت عملية جمع البيانات للجانب العملي وإجراء المقابلات الشخصية للدراسة للمدة ما بين ١٠/١/٢٠١٦ ولغاية ١٠/١/٢٠١٧.
- الحدود البشرية: تتمثل الحدود البشرية للدراسة في مديري (المعامل، الشركات، الأقسام، والشعب) في المعامل المبحوثة كافة، والبالغ عددهم (١٢٥) مديراً، إذ تم اختيارهم بشكل قصدي، وهم يمثلون أفراد عينة الدراسة، وتم استرجاع (١١٣) استمارة صالحة وكما في الجدول (١) توضيح مفصل لعينة الدراسة.

جدول (١) وصف تفصيلي لعينة الدراسة (٣)

ت	المتغيرات	الفئات المستهدفة	التكرار	النسبة المئوية
١	الحالة الاجتماعية	متزوج	٩٦	٨٥%
		أعزب	١٧	١٥%
	المجموع		١١٣	١٠٠%
٢	النوع الاجتماعي	ذكور	٩٧	٨٥.8%
		إناث	١٦	14.2%
	المجموع		١١٣	١٠٠%
٣	العمر	٢٠ - أقل من ٣٠	٩	٨%
		٣٠ - أقل من ٤٠	٢٧	٢٣.9%

		٤٠ - أقل من ٥٠	٤٩	%43.4
		٥٠ - أقل من ٦٠	٢١	%18.9
		٦٠ فأكثر	٧	%6.2
		المجموع	١١٣	%١٠٠
٤	التحصيل العلمي	إعدادية	١١	%12.43
		دبلوم	١٠	%8.85
		دبلوم عالي	4	%1.8
		بكالوريوس	٨٤	%70.8
		ماجستير	٤	%1.8
		دكتوراه	٠	%٠
		المجموع	١١٣	%١٠٠
٥	سنوات الخدمة في المنصب الحالي	١ - أقل من ٥	١٥	%13.8
		٥ - أقل من ١٠	١٦	%14.2
		١٠ - أقل من ١٥	٣٢	%28.3
		١٥ - أقل من ٢٠	٤٣	%38
		٢٠ فأكثر	٧	%6.2
		المجموع	١١٣	%١٠٠
٦	سنوات الخدمة الكلية	٥ - أقل من ١٠	٢٧	%23.9
		١٠ - أقل من ١٥	١٤	%12.4

١٥- أقل من ٢٠	٤٠	35.4%
٢٠ فأكثر	٥	٥.٧%
المجموع	١١٣	١٠٠%

المبحث الثاني الجانب النظري

أولاً: الذكاء الاستراتيجي:

١. مفهوم الذكاء الاستراتيجي:

تباينت وجهات النظر حول مفهوم الذكاء الاستراتيجي، لذلك سيتم عرض وجهات النظر المختلفة في الجدول (٢) الآتي:-

جدول (٢) مفاهيم الذكاء الاستراتيجي من وجهة نظر بعض الكتاب والباحثين

ت	الباحث / الكاتب	المفهوم
١.	White, 2004:2, 2005:12	عملية منهجية ومستمرة من إنتاج الذكاء لتحقيق قيمة استراتيجية في شكل عملي لتسهيل اتخاذ القرارات على المدى الطويل.
٢.	(Freedman, 2006:1-2)	درجة عمق واتساع المعلومات المعتمدة في بناء القرارات الاستراتيجية.
٣.	Laudy et al, 2006:1	الاستخدام الذكي للمعلومات المتاحة في عملية صنع القرار وعملية لتحقيق الميزة التنافسية للأعمال التجارية.
٤.	Brouard, 2006:1	عملية معلوماتية تصغي المنظمة من خلالها إلى بيئتها، كي تقرر وتتخذ الإجراءات وتحدد الأنشطة المطلوبة في إطار سعيها لتحقيق أهدافها.
٥.	(Donald R., & Harvey.,:2006)	ما تحتاج (المنظمة) أن تعرفه عن بيئة أعمالها لتضع تصورها إزاء عملياتها الراهنة، واستباق وإدارة التغيرات استعداداً للمستقبل، وتصميم الاستراتيجيات الملائمة لخلق القيمة للزبون، وتحسين الربحية في الأسواق الحالية والجديدة.
٦.	(International Design Team Meeting, 2007: 10)	هو التبصر والتحذير من الأحداث والاتجاهات في البيئة العالمية الكبيرة التي يمكن أن تؤثر على الرفاه، أو الأمن، أو الدولة، أو الأعمال، أو أي كيان آخر.
٧.	Burns, 2008: 3	المعرفة المسبقة بالعالم، والأساس لاتخاذ أي قرار من القرارات والقيام بالأنشطة.
٨.	Seitovirta, 2011: 8	جمع وتحليل ونشر البيانات ذات الصلة لاتخاذ القرارات الاستراتيجية.

هو نظام لخبرات إدارة الموارد البشرية الذي يحقق التناغم والتناسق فيما بينها باتجاه العرض المراد تحقيقه لدعم الإمكانيات التنظيمية والتحفيز والقرص لتقدم خدمات إدارة الموارد البشرية للمنظمة مما يجعل أدائها ذو مستوى عالي.	(Chan & Mak, 2012:137)	٩.

المصدر: إعداد الباحث وفق ما عكسته الأدبيات الإدارية.

وعلى أساس ما تقدم وضع الباحث مفهومه عن الذكاء الاستراتيجي والذي يراه بأنه "المقدرة التي يتمتع بها الفرد والتي يحيط من خلالها بالعالم، وتوفر له أساساً لصناعة قرارات ناجعة وإنجاز الأنشطة بأفضل أسلوب، فضلاً عن أنه يقوم على استقراء المستقبل من خلال التحليل الاستراتيجي لعوامل البيئة الداخلية والخارجية لمساعدة المنظمة على صناعة القرارات الاستراتيجية وصياغة الاستراتيجيات على الأمد البعيد بما يضمن السيادة الاستراتيجية للمنظمة".

٢. أهمية الذكاء الاستراتيجي:

تبرز أهمية الذكاء الاستراتيجي من خلال الاهتمامات البحثية التي جاءت بخصوص هذا المتغير، ومع تزايد التنافس بين المنظمات والتطورات الحاصلة في القرن الحادي والعشرين أصبح من المهم أن نعرض أهمية الذكاء الاستراتيجي لكي يتسنى لنا فهمه بصورة واضحة وما يصوره لنا من رؤية واضحة حول المستقبل ويمكن إبراز أهمية الذكاء الاستراتيجي بالنقاط الآتية:-

١. إن دمج وتضافر الجهود من (ذكاء الأعمال، والذكاء التنافسي، وإدارة المعرفة) جنباً إلى جنب تمثل الذكاء الاستراتيجي، وسوف يُسمح للمنظمات من خلال قدرتها على استيعاب مصادر المعلومات لإدراج جميع المعلومات الخاصة بهم ورأس المال الفكري في عملية واحدة ويمكن التحكم بها بسهولة، وكذلك النظام يلي متطلبات الذكاء من إدارة التخطيط الاستراتيجي وعملية صنع القرار (Pellissier & Kruger, 2011: 1).

٢. الذكاء الاستراتيجي يركز على الأهداف طويلة الأمد للوكالات والمنظمات والحكومات، وأنه يتعامل مع الأهداف المهمة والخطة الشاملة لذا لا تحتاج المنظمة إلى أن تعمل في بيئة تشغيلية مقربة من العمل اليومي وهذا يعتمد على المستوى الذي يوجد فيه الزبون الاستراتيجي (McDowell, 2009: 39).

٣. تُظهر دراسة (Kruger, 2010) إنّ المنظمات لم تتمكن من اعتناق نموذج تعاون عالمي بالكامل داخل الشركات، نظام الذكاء الاستراتيجي يستطيع أن يدمج جميع جوانب "الذكاء الاستراتيجي" في مورد واحد لكي تتمكن من التحكم بسهولة في إدارة التخطيط الاستراتيجي وعملية صنع القرار، وإن الذكاء الاستراتيجي يعزز قدرة المنظمات على الصمود في وجه هجمات المنافسين العالميين وتوسيع أعمالهم في أسواق جديدة، وحماية السوق المحلية والاندماج والاستحواذ وتحديد الأهداف المحتملة وزيادة الابتكار داخل المنظمات (Pellissier, René, & Kruger, 2011: 2).

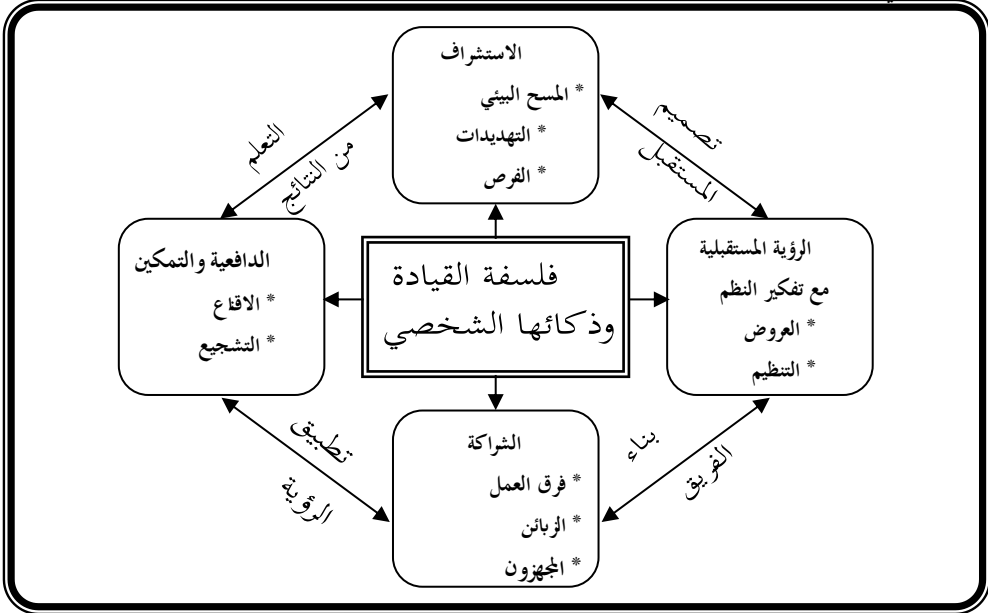
٤. إن عملية الذكاء الاستراتيجي للمنظمة تؤدي إلى المساعدة في رسم نظرة شمولية لظاهرة معقدة وتحاول أن تضع استراتيجية فاعلة للتأثير على قضايا معينة، وينبغي للمنظمة أن لا تعتمد على

===== دور الذكاء الاستراتيجي في تحقيق الأداء العالي -دراسة استطلاعية لآراء المديرين في الشركة العامة لصناعة السمنت الجنوبية-"

استراتيجية واحدة أو أسلوب واحد بدلا من ذلك ينبغي أن تعتمد على استخدام مناهج متعددة، والذي يضمن لها استراتيجيات وأساليب مختلفة لجوانب مختلفة من هذه القضايا (Kuosa, 2011: 9).

٣. أبعاد الذكاء الاستراتيجي

يهدف هذا الجزء من المبحث للتعرف على الأبعاد الفلسفية للذكاء الاستراتيجي التي تمت الإشارة إليها في العديد من الأدبيات وقد قدم (Maccoby, 2011: 5) نموذجا أوضح فيه أبرز أبعاد الذكاء الاستراتيجي وكما يظهر في الشكل (٢):-



شكل (٢) أبعاد الذكاء الاستراتيجي (٤)

لقد تم اقتراح العديد من الأبعاد للذكاء الاستراتيجي في الأدبيات، وعلى الرغم من التشويش الحاصل حول وضع تصور واضح لهذه الأبعاد، إلا أنه يمكن دراسة مجموعة من هذه الأبعاد بما يتلاءم مع موضوع الدراسة الحالية وهي الآتية:-

١) الاستشراف (بُعد النظر):

فقد عرّف (Maccoby, 2011: 1) الاستشراف بأنه القدرة على التفكير بالقوى غير الواضحة التي لا يمكن تحديدها رغم إنها هي التي تصوغ المستقبل، فهو يعني "استشعار موجة قادمة ثم التهيؤ لركوبها". ويرى (محمود، 2011: 66) بأن الاستشراف هو جهد علمي منظم يؤول الى صياغة مجموعة من التنبؤات المشروطة التي تشمل المعالم الرئيسة لأوضاع معينة تمتد عبر مدة زمنية لأكثر من عشرين عاما. وهو التطلع نحو المستقبل من خلال توسيع حدود الإدراك والوعي بالأحوال الناشئة واتخاذ القرارات للاستفادة من

4- Source: Maccoby, Michael, (2011) "Strategic Intelligence: A Conceptual System Of leadership For Change", issue of Performance Improvement, www.leadersweneed.com, P:5.

التطورات المستقبلية وأخذ الاستعدادات اللازمة لتقليل حدوث التغيرات (الحدراوي، 58: 2010). والاستشراف ينجح عندما تكون فيه رؤية بديلة للواقع وهذا هو عندما استكشفت ذلك سيناريوهات المستقبل التي كانت مبتكرة سواء في التصميم أو الإبداع (Mojica, 2010: 7).

٢) الرؤية المستقبلية:

الرؤية هي وصف واضح وموجز لما تريد أن تكون عليه المنظمة والمجتمع بعد أن تنفذ استراتيجياتها بنجاح وتحقق كامل إمكانياتها، وهي تعبير من قبل الأفراد حول ما يريدون للمنظمة أن تكون مستقبل أفضل كلمة أو صورة لمنظمة^(٥) ويوضح (Thompson & Strickland, 2003) إن القائد الرؤيوي هو ذلك القائد الذي يستطيع خلق رؤية مستقبلية للمنظمة وتوضيحها تصف بالواقعية والجاذبية وامكانية الاعتماد عليها من قبل الجميع في المنظمة والتي تنمو وتتطور مع مرور الوقت، والرؤية المستقبلية هي صورة ملونة ثلاثية الأبعاد للمستقبل عالقة في الذهن ومفعمة بالحياة والأحاسيس، والرؤية بهذه الكيفية تظهر طموح المنظمة وأعمالها وتؤمن الرؤية بانورامية (رؤية شاملة) كي توجه المنظمة وتجعل من خططها المستقبلية محددة. والرؤية الاستراتيجية هي العملية التي يناقشها أعضاء المجتمع التي تخص القضايا في الماضي والحاضر، وتحديد الصفات الإيجابية والأصول وتحديد أهداف المستقبل ووضع خطة للمجتمع وتنفيذ سلسلة من الإجراءات وتقييم النتائج (Lachapelle, 2011: 1). ويرى (العيسوي وآخرون، 588 2012) إن واحدة من المهام الرئيسة للقيادة هي اشعار المنظمة بالتوجه، والقائد القوي هو الذي يملك الرؤية لما ستؤول إليه المنظمة وأكثر ما يدعم ذلك، البلاغة الكامنة لإيصال هذه الرؤية إلى الآخرين في المنظمة بمصطلحات تحفز هؤلاء الأفراد، ولاشك إن الاستقامة في توضيح الرؤية أمر دائم حتى تصبح وكأنها جزء من ثقافة المنظمة وتكون أمر ضروري للقائد الاستراتيجي ولا يمكن الاستغناء عنه.

ومن الجدير بالذكر إن الذكاء يعتمد على كل من فلسفة القيادة والذكاء الشخصي ومعرفة الذات العميقة ومعرفة الآخرين والغرض المبين بوضوح بمجموعة من القيم والمبادئ والمعتقدات وإعداد القادة للنظر في المستقبل والتركيز على الاتجاهات ذات الصلة وخلق رؤية نظامية، لذا فإن تحقيق هذه الرؤية إلى واقع يكون من خلال تطوير الشركاء الاستراتيجيين (Maccoby, 2011: 8). وعلى الصعيد الاستراتيجي ينبغي أن يضع الاستراتيجيات التي تطابق رؤى المنظمة وكذلك التغيرات في العالم الخارجي هذه المرحلة في كثير من الأحيان تعمل على تحديد مفاتيح النجاح.

٣) الشراكة:

يتفق كل من (العبدلي، 2010: 79) و (Maccoby et al, 2004: 9) إن الشراكة تمثل "عملية التعاون وتبادل المعلومات بين منظمين أو أكثر لبناء استراتيجية أعمال ناجحة والاستغلال الذكي لكامل طاقة (الشراكة) لتحقيق الأهداف المنشودة"، كذلك فالشراكة تعكس قدرة المدير الذكي استراتيجياً على إقامة تحالفات استراتيجية.

والعناصر الرئيسة لهذه الشراكة هي الآتية:-

===== دور الذكاء الاستراتيجي في تحقيق الأداء العالي -دراسة استطلاعية لآراء المديرين في الشركة العامة لصناعة السمنت الجنوبية-

أ. تقاسم السلطة والمسؤولية.

ب. الاستثمار المشترك للموارد (الوقت، العمل، التمويل، المواد، الخبرات، المعلومات).

ج. المنافع المتبادلة، أي (حالات الفوز).

وتعبر الشراكة عن القدرة على بناء علاقات جيدة مع الزبائن والمزلاء والتأثير وتأمين التزام الأفكار أو دورات العمل المقترحة (Mullins, 2010: 34). وإن الشراكة هي إحدى أنواع التحالفات الاستراتيجية وهي ما تسمى بالمشاريع المشتركة والتي يقصد بها "منظمتان أو أكثر تقومان بإنشاء منظمة مستقلة قانونياً بالتشارك مع بعضهم في مواردهم وقابلياتهم"، وإن الشركاء هنا يمتلكون نسباً متساوية ويساهمون بشكل متساوٍ في عملياتهم المشتركة، ويتم اللجوء إلى مثل هذا النوع من التحالف الاستراتيجي عندما تتوفر الرغبة لدخول سوق ذي عدم تأكد عالٍ (العيساوي وآخرون، 2012: 724).

ويرى الباحث "إن الثقة والالتزام وقدرة الشركاء على حل الصراعات التي قد تبرز بينهم ومشاركتهم في المعلومات وفي تصميم المنتج، هي مقومات رئيسية لتعزيز دور الذكاء الاستراتيجي من خلال عنصر الشراكة ولنمو المنظمات المنضوية تحت لواء الشراكة واستفادتها من المزايا التي تحققها أعمال الشراكة".

٤) الدافعية:

يرى (McShane & Glinow, 2010:132) إن الدافعية هي القوى الموجودة داخل الشخص والتي تؤثر على اتجاه وشدة واستمرار السلوك الطوعي. وقد عُرفت الدافعية على إنها هي بعض القوة الدافعية داخل الأفراد التي من خلالها محاولة لتحقيق بعض الأهداف من أجل تحقيق بعض الحاجة أو التوقع (Mullins, 2010: 253).

وقد عرفا (Gopalrao & Kondalkar, 2007: 99) الدافع بأنه "حرق العاطفة الداخلية الناجمة عن الحاجة والإرادة والرغبة التي تدفع الفرد إلى بذل الطاقة البدنية والعقلية لتحقيق الأهداف المنشودة". والدافعية تشير إلى القوى داخل الفرد لحساب ذلك المستوى، من الاتجاه والاستمرار في الجهد المبذول في العمل (John et al, 2010: 110).

أقوى الدوافع الجوهرية هو عندما يكون القادة جزءاً من مجموعات متماسكة وفرق، والحفاظ على المرونة في الحاضر والمستقبل (Maccoby, 2011: 9).

وعليه يرى الباحث بأن الدافعية هي تلك العوامل التي توجه سلوك الفرد أو المجموعة، وتدفع نحو تحقيق الهدف، فهناك علاقة وثيقة بين دافعية الموظف وإشباع رغباته أو حاجاته، فالدافع الذي يدفعه إلى سلوك معين يتجسد بنشاط أو أداء عمل معين الأمر الذي يؤدي إلى إشباع حاجاته أو رغباته.

ثانياً: الأداء العالي High performance

١. مفهوم الأداء العالي

برغم من كثافة التراكم المعرفي في موضوع الأداء العالي للمنظمات، إلا أنه من الصعب تأطير المفهوم بتعريف محدد لتباين الفلسفات والمداخل والاهتمامات ذات الصلة بقضية تحليل وقياس الأداء العالي، ومع

هذا الاختلاف أكدت مراجعة الأدبيات وجود اتفاق ضمني للتعبير عن الأداء بدلالة قدرة المنظمة على تحقيق الأهداف والغايات.

فقد عرّف مجموعة من الكتاب والباحثين الأداء العالي بأنه "الأداء الذي يحقق للمنظمات نتائج مالية وغير مالية بشكل أفضل من المنظمات الأخرى خلال مدة زمنية من خمس سنوات إلى عشر سنوات".^(٦) وبَيَّن (Millington, 2009: 3) هي عملية وضع التدابير لكيفية المساهمة والقضاء على الحواجز وضمان توفر الموارد اللازمة واختيار أفضل المدراء والموظفين وإزالة سوء الأداء. بينما نظر (Armstrong, 2009: 113) إليه على أنه "إجراءات يمكن أن تسهل عملية احتواء العاملين في عمليات التحسين والتحفيز. وأشار (De Waal, et, al 2014: 24) إلى إن منظمة الأداء العالي هي تلك المنظمة التي تحقق أفضل النتائج المقارنة مع نظيراتها من المنظمات الأخرى، وقدرتها على التكيف مع التغيرات الخارجية وتحسين القابليات الرئيسية فيها واحتواء موظفيها باعتبارهم الثروة الحقيقية الرئيسية للمنظمة. ومن وجهة نظر متواضعة يرى الباحث، إن الأداء العالي هو دالة لقدرة المنظمة على الاستفادة القصوى من مواردها التنظيمية المادية وغير المادية لتحقيق نتائج متميزة في الأمد الطويل وتحقيق القيمة المستدامة، للفرد والمجتمع والمنظمة، بمنظور استراتيجي طويل الأمد، والحفاظ على البيئة.

٢. أهمية الأداء العالي:

أوضح (Leggat, et al., 2011: 281) إن أنظمة العمل ذات الأداء العالي (HPWS) تمكن الإدارة من تحفيز العاملين في أماكن العمل لتحقيق أهداف المنظمة، وإن تجارب وخبرات أنظمة العمل ذات الأداء العالي تفرض الأداء المؤثر للعاملين من خلال دعم المعرفة والمهارات والقابليات للعاملين ودرجة الالتزام وتقدم إليهم مع المعلومات القدرة على التمييز الضرورية لتمثيل المهارات والالتزام في إنجاز أعمالهم وذلك يسمح للعاملين من تحقيق أهداف المنظمة من خلال إدارة موارد بشرية فعالة وذلك يشجع على زيادة تدفق المعلومات ودعم قوة اتخاذ القرار والذي يقود إلى أكبر إنتاجية للمنظمة.

وأشار (Arocas & Camps, 2008: 27-37) إن الأداء العالي يزيد من الفاعلية التنظيمية من خلال خلق الممكن لجعل العاملين أكثر شمولية في المنظمة ويعملوا بجهد لتنفيذ أهدافها، وبعبارة أخرى زيادة الالتزام لدى العاملين اتجاه المنظمة وإشباع العمل، وحدد (DeWaal, 2008: 2) الأداء العالي بعملية تكيف المنظمات ونشاط الشركات والمرونة في التنظيم الذي يؤدي إلى ارتفاع أداء العمل.

ورأى (Rao, G. Koteswara; & Dey Shubhamoy, 2012: 137) إن الأداء العالي للموارد البشرية في المنظمة هو نظام لخبرات إدارة الموارد البشرية يحقق التناغم والتناسق فيما بينها باتجاه الغرض المراد تحقيقه لدعم الإمكانيات التنظيمية والتحفيز والفرص لتقديم خدمات إدارة الموارد البشرية للمنظمة مما يجعل ادائها ذو مستوى عالٍ.

وبَيَّن (Morgan & Anthony, 2008: 29) إن الأداء العالي يحقق للمنظمة العدالة في تلبية الحاجات الوظيفية وحاجات الأشخاص، والاستدامة في البيئة التي تعمل فيها، والمرونة للتكيف مع التغيرات بأقل

===== دور الذكاء الاستراتيجي في تحقيق الأداء العالي -دراسة استطلاعية لآراء المديرين في الشركة العامة لصناعة السمنت الجنوبية-"

وقت وجهده وضياح، وتكليف بسهولة في تلبية متطلبات الأشخاص والجماعات، والترابط لتتمكن من التعامل والتواصل الكامل، والثقة وتقليل الضياح في الخدمات والوقت.

ووجد (Lussier, 2008:323) إن مستوى الأداء المطلوب يعتمد على ثلاثة عوامل، هي (القابلية، التحفيز، الموارد) إن القابلية والتحفيز عاملان يقودان جهود العاملين للسلوك الذي يخلق مستوى الأداء، ولكي يكون الأداء عالياً، يجب أن تكون تلك العوامل الثلاثة عالية أيضاً، فإن انخفاض أو فقد أحدهم فإن مستوى الأداء سيتأثر بشكل عكسي (فإن صيغة الأداء = القابلية * التحفيز * الموارد). ومن الجدير بالذكر إن هناك أربعة عناصر أساسية ينبغي تواجدها في المنظمة لكي تصبح عالية الأداء هي الآتية (Lussier, 2008:323):

١. الالتزام المتميز: أي العمل لإنجاز مهام محددة من خلال برامج واضحة وتقوم على أسس ومعايير ملتزم بها.
٢. إدارة التغير الفاعل: الثابت الوحيد في الحياة هو التغير، ومن الطبيعي إن ذلك الأمر ينطبق على المنظمات غير الهادفة للربح أيضاً، التي ينبغي ألا يكون لديها الاستعداد للتكيف بقدر ما يتوفر فيها قادة يمكنهم إدارة التغير بشكل فاعل وهذا يعتمد على القدرة على توقع التغيرات التي تؤثر على قدرة المنظمة لإشراك موظفيها في تخطيط وتنفيذ التغيرات بشكل يتماشى مع رؤية ورسالة وقيم المنظمة.
٣. الاتصالات المفتوحة المتعددة الاتجاهات: الإقناع هو نتيجة الاستماع إلى الآخرين وتقديم معلومات مستنيرة وتدفعها من الأعلى إلى الأسفل أو بالعكس، الأمر الذي يقود إلى مناقشة القضايا وتنفيذ المشاريع بشكل مشترك ويعزز الفهم على المستويات جميعها، ويشجع الاتصالات المفتوحة عبر الإدارات الهرمية.
٤. ثقافة التعلم المستمر: ينبغي أن يسعى الموظفون إلى البحث عن سبل المعرفة بشكل مستمر للوصول إلى معلومات جديدة وتطبيقها في مكان العمل، ولعل من أهم جوانب التعليم والاعتراف بأن بناء منظمة عالية الأداء هي عملية مستمرة لا تنتهي.

٣. أبعاد الأداء العالي

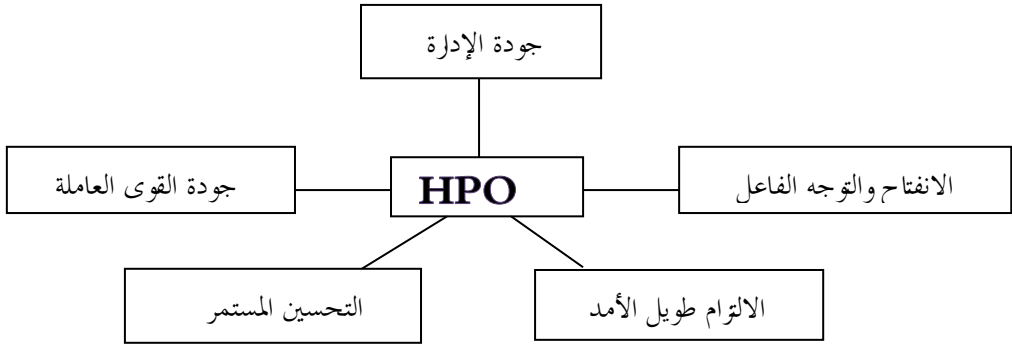
لقد اتفق العديد من الكتاب والباحثين على مجموعة من أبعاد للمنظمات ذات الأداء العالي من أمثال:

(DeWaal & Jansen, 2013: 45) (DeWaal,etal, 2014: 37-38)

(DeWaal & Frijns, 2012: 4) (DeWaal & Sultan, 2012:216)

وحيث قدم (DeWaal, etal, 2014: 37-38) بـ(٢٩٠) دراسة مختصة بالأداء العالي للمنظمات من خلال استبيان وزع على (١٤٧٠) منظمة وحصل على (٢٠١٥) استجابة حدد من خلالها (٣٥) خاصية للأداء العالي تقسم في ضوء خمسة عوامل أساسية هي (جودة الإدارة، الانفتاح والتوجه الفاعل، الالتزام طويل الأمد، التحسين المستمر، جودة القوى العاملة) ويتفق الباحث مع الباحثين المذكورين في أعلاه، بخصوص أبعاد الأداء العالي والتي سنعتمد أربعة منها في دراستنا هذه كأبعاد فرعية لتغير الأداء

العالي كونها طبقت على مدى واسع في المنظمات والتي بدورها أفرزت تلك الخصائص لتكون مميزات تتميز بها منظمات الأداء العالي، والتي هي (جودة الإدارة، الالتزام طويل الأمد، التحسين المستمر، جودة القوى العاملة) والشكل (٣) يوضح ذلك مع شرح موجز ومركز لهذه الأبعاد الخمسة:-



شكل (٣) أبعاد منظمات الأداء العالي^(٧)

١. جودة الإدارة:

تُعد جودة الإدارة في المنظمة إحدى الخصائص المميزة لمنظمات الأداء العالي، فالمديرون يحرصون على بناء علاقات الثقة مع العاملين في كل المستويات التنظيمية والتعامل معهم باحترام، كما أنهم يؤدون عملهم بنزاهة ويعكسون مستويات عالية من الالتزام والاحترام والحماس والتوافق مع الآخرين، كما يقوم هؤلاء المديرون باتخاذ القرارات الموجهة نحو النشاط وتجنب الإسهاب في التحليل والتركيز بدلاً من ذلك على القرارات والأعمال الجوهرية، كما إن إدارة منظمة الأداء العالي تتميز باهتمامها بتدريب العاملين لزيادة قدراتهم على تحقيق أفضل النتائج من خلال دعم الإدارة لهم ومساعدتهم وحمايتهم من التدخلات الخارجية في مقابل تحميلهم مسؤولية النتائج ومحاسبة المقصرين.

٢. الانفتاح والتوجه الفاعل:

لا تقتصر هذه الخاصية على خلق ثقافة الانفتاح فحسب، بل التركيز على توصيفه لتحقيق النتائج المرجوة، فإدارة منظمات الأداء العالي تُعنى بآراء العاملين من خلال إقامة الحوارات معهم وإشراكهم في الأعمال المهمة كلها، كما تمكنهم إجراء التجارب والتعلم من أخطائهم وبالتالي تصبح الفرصة كبيرة للتعلم، كما إنها تشجع العاملين على تحمل نوع من المخاطرة المحسوبة وتبادل المعرفة بهدف الحصول على أفكار جديدة تساهم في تحقيق نتائج أفضل، وتعمل منظمات الأداء العالي على تشجيع الأفراد العاملين على تطوير قابلياتهم الديناميكية والدفع باتجاه التغيير، والتجديد، والمشاركة الشخ صية لإدارة تلك المنظمات في هذه العملية.

وتتملك منظمات الأداء العالي ثقافة مفتوحة وتعني قيام الإدارة بتقييم أداء الموظفين وتشغيلهم في عمليات منظمة مهمة، ويكون ارتكاب الخطأ أمراً مسموحاً به؛ لأنه يُعدّ فرصة للتعلم، ويقضي الأفراد في

٧- إعداد الباحث استناداً إلى: (De Waal, etal, 2014: 37-38)

===== دور الذكاء الاستراتيجي في تحقيق الأداء العالي -دراسة استطلاعية لآراء المديرين في الشركة العامة لصناعة السمنت الجنوبية-"

هذا النوع من المنظمات الكثير من الوقت في التفاوض وتبادل المعلومات والمعرفة من أجل تطوير أفكار جديدة هادفة إلى تحسين أدائهم وأداء المنظمة.

٣. الالتزام طويل الأمد:

إن من بين أهم السمات الأساسية لمنظمات الأداء العالي هي الالتزام طويل الأمد إتجاه أصحاب المصالح من حملة الأسهم، وزبائن، وعاملين، وموردين، والمجتمع بشكل عام، فمنظمات الأداء العالي تكافح باستمرار لتحسين عملية خلق القيمة للزبائن من خلال معرفة ماذا يريدون والحرص على بناء علاقات ممتازة معهم والتواصل معهم باستمرار والاستجابة لرغباتهم، وتلتزم إدارة منظمات الأداء العالي بالعمل على تحقيق الأهداف التنظيمية وتحفيز العاملين على أن يكون شعارهم الأساس هو خدمة المنظمة في الوقت ذاته الذي تسعى فيه إلى تحقيق مصلحة أعضائها وتلبية احتياجاتهم، والعمل على خلق بيئة عمل آمنة من خلال منح العاملين الإحساس بالأمان والاستقرار، والحفاظة على المواهب الداخلية بهدف خلق وتطوير القيادات الإدارية من داخل المنظمة.

٤. التحسين المستمر:

عادةً ما يبدأ التحسين والإبداع المستمر في منظمات الأداء العالي من خلال تبني المنظمة الاستراتيجيات التي تميزها عن غيرها من المنظمات الأخرى، من خلال تطوير العديد من الخيارات الاستراتيجية الجديدة واختيار أفضلها لتحل محل الاستراتيجيات السابقة، ومن ثم تقوم المنظمة بتوجيه مواردها وقابليتها لخلق مصادر جديدة للميزة التنافسية وتحسين وتنظيم عملياتها لتحسين مقدراتها على الاستجابة للأحداث والتغيرات التي تحصل في البيئة الخارجية، من خلال تطوير منتجات وخدمات تلبي حاجات الزبائن المتغيرة والمتطورة.

٥. جودة القوى العاملة:

إن من بين خصائص منظمات الأداء العالي بناء فريق إدارة وفرق عمل متنوعة ومكملة بعضها لبعض الآخر، وذات مرونة عالية للمساعدة في اكتشاف التعقيد في العمليات وتشجيع الحلول الابتكارية لها، حيث تعمل المنظمات على تدريب العاملين فيها لكي يكونوا مرنين والسماح لهم بالتعامل مع الآخرين من خلال دخولهم بشراكات مع الموردين والزبائن ليتمكنوا من تحقيق نتائج استثنائية ويتحملوا مسؤولية أدائهم ويكونوا مبدعين بالاعتماد على طرائق جديدة لتحقيق النتائج المطلوبة.

المبحث الثالث: وصف واختبار أداة الدراسة

يتضمن هذا المبحث فحص واختبار الأداة الرئيسة لجمع البيانات الخاصة بالدراسة بهدف التأكد من مدى دقتها في توفير المعلومات اللازمة لاختبار فرضيات الدراسة وهذا يشمل الصدق الظاهري، وصدق المحتوى، فضلاً عن التحليل العملي الاستكشافي، والتحليل العملي التوكيدي، وصدق الثبات، والاتساق الداخلي بين فقرات الاستبانة، وكما يأتي:-

أولاً: التوصيف

تتكون أداة الدراسة (استمارة الاستبانة) من جزئين هما: الذكاء الاستراتيجي، والأداء العالي، وكل جزء يتكون من أبعاد فرعية عديدة، إذ يُبين الجدول (3) تحديد كل مُتغير وكل بُعد وتحديد مصدر الحصول على المقياس وعدد فقرات كل بُعد:-

جدول (3) وصف مكونات استمارة الاستبانة^(٨)

المتغير الرئيس	البُعد	عدد الفقرات	المصدر
الذكاء الاستراتيجي	1. الاستشراف	٥	(Mojica, 2010: 7) (Mullins, 2010: 253) (De Waal, 2006: 14) (Maccoby et al, 2004:) (9)
	2. الرؤية المستقبلية	٥	
	3. الشراكة	٥	
	4. الدافعية	٥	
		٢٠	
الأداء العالي	1. جودة الإدارة	٥	De Waal & Sultan,) (2012: 216 (DeWaal,etal.,2014:37- 38)
	2. الالتزام طويل الأمد	٥	
	3. التحسين المستمر	٥	
	4. جودة القوى العاملة	٥	
		٢٠	
		٦٠	

ثانياً: صدق أداة الدراسة

ينبغي إجراء الاختبارات اللازمة للتأكد من دقة وصحة البيانات التي تم الحصول عليها عبر استخدام استمارة الاستبانة وتُدور هذه الاختبارات حول مجال الصدق والثبات، وكالآتي:

١- الصدق الظاهري للأداة: تم عرض أداة الدراسة في صورتها الأولية على عدد من المحكمين المتخصصين في مجال إدارة الأعمال. وقد أعد الباحث استمارة خاصة لاستطلاع آراء المحكمين حول مدى وضوح كل عبارة من حيث المحتوى الفكري والصياغة وتصحيح ما ينبغي تصحيحه من العبارات

٨- المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على الأدبيات المذكورة أعلاه.

===== دور الذكاء الاستراتيجي في تحقيق الأداء العالي -دراسة استطلاعية لآراء المديرين في الشركة العامة لصناعة السمنت الجنوبية-"

مع إضافة أو حذف ما يرى المحكم من عبارات في أي محور من المحاور، وفي ضوء الآراء التي أظهرها المحكمون، قام الباحث بإجراء التعديلات التي اتفق عليها (٨٠٪) من المحكمين، وتعديل وصياغة بعض العبارات التي رأى المحكمون ضرورة إعادة صياغتها لتكون أكثر وضوحاً.

٢- الصدق البنائي الاستكشافي لأداة القياس: يعتمد الصدق البنائي الاستكشافي على أسلوب التحليل العاملي الاستكشافي (EFA) الذي يتمثل غرضه الأساس، بتلخيص وتقليل المتغيرات المتعددة بأقل عدد من المتغيرات إذ يطلق عليها عوامل (Factors). ويكون لكل عامل من هذه العوامل بعض أو كل من هذه المتغيرات. والتحليل العاملي الاستكشافي يعطي الفقرات الحرية في الارتباط بالعامل الذي يتلاءم ويتفق معها بحيث لا يعتمد على البناء الافتراضي للدراسات السابقة بخصوص هيكل المقاييس. وفي الدراسة الحالية سيتم الاعتماد على التحليل العاملي الاستكشافي باستخدام برنامج (SPSS, V.18) لاختبار مقياس المتغير المستقل (الذكاء الاستراتيجي) والمتغير المعتمد (الأداء العالي) وذلك من أجل الاستكشاف الصريح للأبعاد التي تنطوي تحت هذه المقاييس، لذلك سيتم استخدام التحليل العاملي الاستكشافي كي يساعد على تحديد الأبعاد التي يشملها المقياس وكذلك تحديد الفقرات التي لا ترتبط مع بنية المقياس والتي يتوجب أبعادها منه، ومن خلال اعتماد خمسة معايير ينبغي توافرها في نتيجة هذا التحليل هي (Field, 2009: 647):-

- أ. كفاية العينة ووجود علاقات الارتباط بين المتغيرات.
- ب. إنَّ النسبة المئوية التراكمية للتباين المفسر تُعطي دلالة أكبر عندما تزيد عن (0.60).
- ج. أن لا تقل قيمة الجذر الكامن (Eigen Value) عن الواحد الصحيح.
- د. زيادة تشبعات الفقرات (Loading) عن (0.30) حتى تكون ذات دلالة إحصائية.
- هـ. الفقرات الجيدة ستحصل على تشبعات عابرة على العوامل الأخرى منخفضة (Cross-loading) (أقل من 0.30).

ثالثاً: اختبار صدق متغيرات الدراسة

يتطلب الاستكشاف الصريح للأبعاد التي تنطوي تحت مقياس مؤشرات الدراسة الذي يتكون من (60) فقرة إلى استخدام أسلوب التحليل العاملي الاستكشافي (EFA) بغية تحديد الفقرات الصالحة التي ستنطوي تحت هذا المقياس وما هو البعد الذي تنتمي إليه؟ وكذلك تستبعد الفقرات التي لا تحقق الاعتبار الرابع والخامس من المعايير المذكورة أعلاه.

١. الذكاء الاستراتيجي

- أ. كفاية العينة ووجود علاقات الارتباط بين المتغيرات:
- إنَّ شرط كفاية عينة الدراسة (Sampling Adequacy) من أهم الشروط الضرورية الواجب توفرها لاستخدام التحليل العاملي الاستكشافي. وللتحقق من هذا الشرط فإن الباحثين أوصوا باستخدام مقياس كاييسر- ماير- أولكين (KMO) (The Kaiser-Meyer-Olkin Measure) الذي يُعدُّ أحد الخطوات المهمة في هذا التحليل، وتتراوح إحصائية (KMO) بين (0-1). والقيمة (0) تؤشر بأن

مجموع الارتباطات الجزئية أكبر من مجموع الارتباطات الكلية وهذا يبين بأن النموذج الارتباط يكون منتشرًا (وهنا يكون استخدام التحليل العاملي الاستكشافي غير ملائم). أما إذا كانت القيمة تقترب من (1) فإن هذا يؤكد بأن النموذج الارتباطات متوافق، والتحليل العاملي سيكون ذو م صدقية ويوصي (Kaiser, 1974) بأن القيم المقبولة تكون أكبر من (0.50) والقيم التي تكون أدنى من هذه القيمة يعني بأن على الباحث أن يجمع بيانات أكثر (زيادة حجم العينة) أو يعيد التفكير بالمتغيرات المتضمنة في المقياس (Field, 2009). وكما يظهر من الجدول (5) فإن قيمة (KMO) هي أكبر من (0.50) والتي بلغت (0.919) وبحسب تصنيف (Kaiser) تُعدُّ قيمة كبيرة.

أما بخصوص وجود علاقات ارتباط بين المتغيرات فقد أُستخدم اختبار بارتليت (Bartlett) الذي يختبر فرضية العدم (Null Hypothesis) والتي تشير إلى أنه م صفوف الارتباط هي م صفوف وحدة (Unity Matrix) وإذا كانت مصفوفة الارتباط مصفوفة وحدة، فذلك يعني بأن كل معاملات الارتباط تساوي صفراً، لذلك ينبغي أن يكون الاختبار معنوياً، واختبار المعنوية سوف يخبرنا بأن مصفوفة الارتباط ليست مصفوفة وحدة. كما يظهر في الجدول (٤) فإن اختبار (Bartlett) يشير إلى وجود المعنوية.

جدول (٤) اختبار (KMO) و (Bartlett) لفقرات الذكاء الاستراتيجي^(٩)

Kaiser-Meyer-Olkin Measure Sampling Adequacy	.919
Bartlett's Test of Sphericity	
Approx. Chi-Square	3034.245
Df	190
Sig.	.000

والنتائج أعلاه تؤكد التحقق من المعيار الأول الضروري من معايير اختبار التحليل العاملي الاستكشافي (EFA).

ب. طريقة المكونات الأساسية

يتطلب التحقق من المعايير الأربعة المتبقية أعلاه باستخدام طريقة المكونات الأساسية التي تساعد أيضاً في التحقق من صدق العبارات ومن عدد الأبعاد الكامنة للمقياس، ويوضح الجدول (5) نتائج التحليل العاملي وفق طريقة المكونات الأساسية التي تُعدُّ أكثر طرق التحليل العاملي من حيث الدقة وشيوع الاستخدام.

جدول (5) نتائج التحليل العاملي لمقياس أبعاد الذكاء الاستراتيجي

عبارات المقياس	تشبعات العوامل

٩- المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على برنامج (SPSS 18).

العامل الخامس	العامل الرابع	العامل الثالث	العامل الثاني	العامل الأول	
					1. العامل الأول: الدافعية
				.895	الفقرة 1
				.887	الفقرة 2
				.875	الفقرة 3
				.871	الفقرة 4
				.860	الفقرة ٥
					2. العامل الثاني الشراكة
			.911		الفقرة 1
			.904		الفقرة 2
			.902		الفقرة 3
			.861		الفقرة 4
			.853		الفقرة ٥
					٣- العامل الثالث: الرؤية المستقبلية
	.877				الفقرة ١
	.848				الفقرة ٢
	.841				الفقرة ٣
	.807				الفقرة ٤
	.788				الفقرة ٥
					٤- العامل الرابع: الاستشراف
.867					الفقرة ١
.864					الفقرة ٢

الفقرة ٣					.850
الفقرة ٤					.806
الفقرة ٥					.733

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على برنامج (SPSS, 18)

يظهر من الجدول (٥) أن تشبعات الفقرات على العوامل جميعها أكبر من (٠,٤٠) وهو ما يدعم المعيار الرابع، كما لا توجد فقرة من الفقرات قد حصلت على تحميلات عابرة على أكثر من عامل، فلا توجد فقرة لها تحميلات على أكثر من عامل تفوق (٠,٣٠) وهذا يدعم تحقق المعيار الخامس. أما الجدول (٦) فيظهر القيم الكامنة الأولية التي تعني أنه كلما حصل العامل على قيمة أكبر من الواحد الصحيح فإن ذلك يجعل من الضروري اعتبار هذا العامل من الأبعاد الرئيسة للمقياس ويتم إهمال العوامل التي لا تحصل على قيمة أكبر من واحد.

جدول (٦) الجذور الكامنة والتباينات لمتغير الذكاء الاستراتيجي

العوامل	1	2	3	4
الجذر الكامن	11.036	2.925	1.971	1.613
النسبة المئوية للتباين المفسر %	٥٥.١٧٨	14.623	9.857	8.067
النسبة المئوية التراكمية للتباين %	55.178	69.801	79.658	87.725

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على برنامج (SPSS, 18)

وتجدر الإشارة إلى إن ترتيب عوامل مقياس الدراسة، جاء حسب نتائج التحليل العاملي الاستكشافي، فالعامل الذي يحصل على جذر كامن أعلى أو نسبة تباين أكبر سيأتي في البداية وتأتي العوامل الأخرى بعده حسب تسلسل قيمها.

٢. الأداء العالي

أ. كفاية العينة ووجود علاقات الارتباط بين المتغيرات:

يظهر من الجدول (7) إن قيمة (KMO) أكبر من (0.50) وقد بلغت (0.865) وبحسب تصنيف (Kaiser) تعدُّ قيمة كبيرة، وكما يظهر في الجدول أيضاً إن اختبار (Bartlett) يشير إلى وجود المعنوية.

جدول (7) اختبار (KMO) و (Bartlett) لأبعاد الأداء العالي^(١٠)

Kaiser-Meyer- Olkin Measure Sampling Adequacy	0.865
Bartlett's Test of Sphericity	

١٠- المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على برنامج (SPSS,18).

Approx. Chi-Square	3677.064
Df	190
Sig.	.000

والنتائج أعلاه تؤكد التحقق من المعيار الأول الضروري من معايير اختبار التحليل العاملي الاستكشافي (EFA).

ب. طريقة المكونات الأساسية

يوضح الجدول (8) نتائج التحليل العاملي وفق طريقة المكونات الأساسية.

جدول (8) نتائج التحليل العاملي لمقياس الأداء العالي^(١١)

عبارات المقياس				
العامل الأول	العامل الثاني	العامل الثالث	العامل الرابع	
				1. العامل الأول: جودة القوى العاملة
.919				الفقرة 1
.916				الفقرة 2
.911				الفقرة 3
.896				الفقرة 4
.879				الفقرة ٥
				2. العامل الثاني: جودة الأداء
	.896			الفقرة 1
	.888			الفقرة 2
	.872			الفقرة 3
	.835			الفقرة 4
	.822			الفقرة ٥

عبارات المقياس			
العامل الأول	العامل الثاني	العامل الثالث	العامل الرابع
			٣. العامل الثالث: الالتزام طويل الأمد
		٨٨٧.	الفقرة ١
		٨٦٠.	الفقرة ٢
		٨٥١.	الفقرة ٣
		٨٤٩.	الفقرة ٤
		٨٤٨.	الفقرة ٥
			٤ - العامل الرابع: التحسين المستمر
			الفقرة ١
		٨٦٧.	الفقرة ٢
		٨٦٣.	الفقرة ٣
		٨٣٥.	الفقرة ٤
		٨٢٥.	الفقرة ٥
		٨١٣.	

يظهر من الجدول (٨) إن تحميلات الفقرات على العوامل جميعها أكبر من (٠,٤٠) وهو ما يدعم المعيار الرابع، كما لا توجد فقرة من الفقرات قد حصلت على تحميلات عابرة على أكثر من عامل فلا توجد فقرة لها تحميلات على أكثر من عامل تفوق (٠,٣٠) وهذا يدعم تحقق المعيار الخامس. أما الجدول (٩) فيظهر القيم الكامنة الأولية التي تعني (أنه كلما حصل العامل على قيمة أكبر من الواحد الصحيح فإن ذلك يجعل من الضروري اعتبار هذا العامل من الأبعاد الرئيسة للمقياس ويتم إهمال العوامل التي لا تحصل على قيمة أكبر من واحد).

جدول (٩) الجذور الكامنة لأبعاد الأداء العالي

العوامل	١	٢	٣	٤
الجذر الكامن:	١١.٨٨٦	٢.٨٠٧	١.٨٢٧	١.٦٩٣

8.466	9.137	14.033	٥٩.٤٢٨	النسبة المئوية للتباين المفسر %
91.065	82.598	73.461	59.428	النسبة المئوية التراكمية للتباين %

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على برنامج (SPSS, 18)
وتجدر الإشارة الى إن ترتيب عوامل مقياس الدراسة جاء حسب نتائج التحليل العاملي الاستكشافي، فالعامل الذي يحصل على جذر كامن أعلى أو نسبة تباين أكبر سيأتي في البداية وتأتي العوامل الأخرى بعده حسب تسلسل قيمها.

رابعاً: التحليل العاملي التوكيدي:

لمعرفة فيما إذا كانت فقرات مقياس البحث تتمتع بـ صدق البناء (المفهوم) تم إجراء التحليل العاملي التوكيدي باستعمال البرنامج الإحصائي المتقدم (Amos v.21) وكما يظهر في الجدول (١٠):-
جدول (١٠) ترميز أبعاد متغيرات الدراسة^(١٢)

أبعاد متغير الأداء العالي	أبعاد متغير الذكاء الاستراتيجي
جودة الادارة M Q	الاستشراف F
Z1, z2,z3,z4,z5	X1, X2,X3,X4,X5
الالتزام طويل الاجل LC	الرؤيا المستقبلية F V
Z6,z7,z8,z9,z10	X6,X7,X8,X9,X10
التحسين المستمر C I	الشراكة P
Z11,Z12,Z13,Z14,Z15	X11, X12,X13,X14,X15
جودة القوى العاملة Q M	الدافعية M
Z16,Z17,Z18,Z19,Z20	X16,X17,X18,X19,X20

المبحث الرابع: اختبار الفرضيات

في هذا المبحث تم الاعتماد على مجموعة من الوسائل لغرض اختبار فرضيات الدراسة، وهي مصفوفة الارتباط (معاملات ارتباط بيرسون) وتحليل الانحدار البسيط، وقد استخدمت مصفوفة معاملات الارتباط البسيط لغرض التحقق من قوة واتجاهات علاقات الارتباط الموجودة ما بين أبعاد متغيرات الدراسة في

١٢- المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على برنامج (Amos v.21).

حين استخدمت تحليل الانحدار البسيط لغرض اختبار علاقات الأثر المباشر بين أبعاد متغيرات الدراسة الرئيسة، وعلى النحو الآتي:-

أولاً: اختبار فرضيات الارتباط

الفرضية الرئيسة الأولى: لا توجد علاقات ارتباط ذات دلالة معنوية بين أبعاد (الذكاء الاستراتيجي) و(الأداء العالي).

يُظهر الجدول (١١) م صفوفة معاملات الارتباط البسيط بين أبعاد هذه المتغيرات، وقبل الدخول في اختبار الفرضيات الفرعية الأربع لهذه الفرضية الرئيسة فإن الجدول (١١) يشير أيضاً إلى حجم العينة (١١٣) ونوع الاختبار (2-tailed). ومختصر (Sig.) في الجدول يشير إلى اختبار معنوية معامل الارتباط من خلال مقارنة قيمة (t) المحسوبة مع الجدولية من غير أن يظهر قيمها، فوجود علامة (**) يدل على معنوية معامل الارتباط عند مستوى (٠,٠١).

وتتفرع من هذه الفرضية أربع فرضيات فرعية هي الآتية:-

أ. لا توجد علاقات ارتباط ذات دلالة معنوية بين أبعاد الذكاء الاستراتيجي وجودة الإدارة.

يُظهر جدول م صفوفة الارتباط (١١) بأن هنالك علاقات ارتباط ذات دلالة معنوية عند مستوى (١٪) بين أبعاد الذكاء الاستراتيجي (الاستشراف والرؤية المستقبلية والشراكة والدافعية) وبُعد جودة الإدارة. وقد بلغت قيم معاملات الارتباط بين هذه الأبعاد وجودة الإدارة (٠,٣٩٤، ٠,٤٠٤، ٠,٣١٦، ٠,٤٩١) على الترتيب. وبذلك يتم رفض فرضية العدم للفرضية الفرعية الأولى وقبول الفرضية البديلة. ويدل هذا على أن أبعاد الذكاء الاستراتيجي تُسهم في حرص الإدارة على بناء علاقات الثقة مع العاملين في كل المستويات التنظيمية والتعامل معهم باحترام.

ب. لا توجد علاقات ارتباط ذات دلالة معنوية بين أبعاد الذكاء الاستراتيجي والالتزام طويل الأمد.

يُظهر جدول م صفوفة الارتباط (١١) بأن هنالك علاقات ارتباط ذات دلالة معنوية عند مستوى (١٪) بين أبعاد الذكاء الاستراتيجي (الاستشراف والرؤية المستقبلية والشراكة والدافعية) والالتزام طويل الأمد. وقد بلغت قيم معاملات الارتباط بين هذه الأبعاد والالتزام طويل الأمد (٠,٥٥٦، ٠,٤٧٣، ٠,٣٤٧، ٠,٦٥٤) على الترتيب. وبذلك يتم رفض فرضية العدم للفرضية الفرعية الثانية وقبول الفرضية البديلة. ويدل هذا على أن أبعاد الذكاء الاستراتيجي تسهم في تحسين عملية خلق القيمة لأصحاب المصالح من خلال معرفة ماذا يريدون، والحرص على بناء علاقات ممتازة معهم والتواصل معهم باستمرار والاستجابة لرغباتهم.

ت. لا توجد علاقات ارتباط ذات دلالة معنوية بين أبعاد الذكاء الاستراتيجي والتحسين المستمر.

يُشير جدول م صفوفة الارتباط (١١) بأن هنالك علاقات ارتباط ذات دلالة معنوية عند مستوى (١٪) بين أبعاد الذكاء الاستراتيجي (الاستشراف والرؤية المستقبلية والشراكة والدافعية) وبُعد التحسين المستمر، وقد بلغت قيم معاملات الارتباط بين هذه الأبعاد والتحسين المستمر (٠,٤١٧، ٠,٤٦٦، ٠,٥٢٧، ٠,٥٧٥) على الترتيب. وبذلك يتم رفض فرضية العدم للفرضية الفرعية الثالثة وقبول الفرضية

===== دور الذكاء الاستراتيجي في تحقيق الأداء العالي -دراسة استطلاعية لأراء المديرين في الشركة العامة لصناعة السمنت الجنوبية-"

البديلة، ويدل هذا على أن أبعاد الذكاء الاستراتيجي تسهم في تبني المعامل الاستراتيجية التي تميزه عن غيره من المعامل الأخرى، من خلال تطوير العديد من الخيارات الاستراتيجية الجديدة واختيار أفضلها لتحل محل الاستراتيجيات القديمة.

ث. لا توجد علاقات ارتباط ذات دلالة معنوية بين أبعاد الذكاء الاستراتيجي وجودة القوى العاملة.

يُظهر جدول م صفوفة الارتباط (١١) بأن هنالك علاقات ارتباط ذات دلالة معنوية عند مستوى معنوية (١٪) بين أبعاد الذكاء الاستراتيجي (الرؤية المستقبلية والشراسة والدافعية) وجودة القوى العاملة بينما كانت معنوية العلاقات بين الاستشراف وجودة القوى العاملة (٠,٠٥). وقد بلغت قيم معاملات الارتباط بين هذه الأبعاد وجودة القوى العاملة (٠,٢٣٦، ٠,٣٨٢، ٠,٣٨٢، ٠,٣٨٥) على الترتيب. وبذلك يتم رفض فرضية العدم للفرضية الفرعية الرابعة وقبول الفرضية البديلة، وهذا يدل على أن أبعاد الذكاء الاستراتيجي تسهم في بناء فريق إدارة، وفرق عمل متنوعة ومكاملة بعضها البعض الأخر وذات مرونة عالية للمساعدة في اكتشاف التعقيدات في العمليات وتشجيع الحلول الابتكارية.

وبعد التأكد من رفض فرضيات العدم وقبول الفرضيات البديلة للفرضيات الفرعية السابقة سيتم اختبار الفرضية الرئيسة الأولى: إذ يشير جدول مصفوفة الارتباط (١١) بأن هنالك علاقات ارتباط ذات دلالة معنوية عند مستوى (١٪) بين أبعاد الذكاء الاستراتيجي (الاستشراف والرؤية المستقبلية والشراسة والدافعية) وبين الأداء العالي، وقد بلغت قيم معاملات الارتباط بين هذه الأبعاد ومتغير الأداء العالي (٠,٥٠١، ٠,٥٣٣، ٠,٤٢٥، ٠,٦٥٤) على الترتيب، وتدعم هذه النتيجة رفض فرضية العدم الرئيسة الأولى وصحة الفرضية البديلة، وهذا يدل على أن أبعاد الذكاء الاستراتيجي تُسهم في تحسين الأداء العالي للمعامل قيد الدراسة.

جدول (١١) مصفوفة معاملات الارتباط بين أبعاد الذكاء الاستراتيجي وأبعاد الأداء العالي^(١٣)

الأداء العالي	جودة القوى العاملة	التحسين المستمر	الالتزام طويل الأمد	جودة الإدارة		
.501(**)	.236(*)	.417(**)	.556(**)	.394(**)	Pearson Correlation	الاستشراف
.000	.012	.000	.000	.000	Sig. (2-tailed)	
.533(**)	.382(**)	.466(**)	.473(**)	.404(**)	Pearson Correlation	الرؤية المستقبلية
.000	.000	.000	.000	.000	Sig. (2-tailed)	
.452(**)	.382(**)	.427(**)	.347(**)	.316(**)	Pearson	

					Correlation	الشراكة
.000	.000	.000	.000	.001	Sig. (2-tailed)	
.654(**)	.385(**)	.575(**)	.654(**)	.491(**)	Pearson Correlation	الدافعية
.000	.000	.000	.000	.000	Sig. (2-tailed)	
.679(**)	.443(**)	.600(**)	.640(**)	.508(**)	Pearson Correlation	الذكاء الاستراتيجي
.000	.000	.000	.000	.000	Sig. (2-tailed)	
113	113	113	113	113	N	

** Correlation is significant at the 0.01 level (2-tailed).

* Correlation is significant at the 0.05 level (2-tailed).

ثانياً: اختبار فرضيات التأثير:

الفرضية الرئيسة الثانية: لا يوجد تأثير ذو دلالة معنوية (للذكاء الاستراتيجي) في (الأداء العالي). ولغرض اختبار الفرضية الرئيسة الثانية، فإن الدراسة ستعتمد على تحليل الانحدار البسيط باستخدام معامل بيتا وقيمة (F) ومعامل التحديد (التفسير) (R^2) وتتفرع من هذه الفرضية أربع فرضيات فرعية هي كالآتي:-

أ. لا يوجد تأثير ذو دلالة معنوية للاستشراف في الأداء العالي.

يُظهر من معادلة وجدول نتائج تحليل الانحدار (12) هنالك تأثير ذو دلالة معنوية عند مستوى (٠.١) للاستشراف في الأداء العالي، إذ بلغت قيم معامل بيتا (٠,٤٩٠) بمعنى أن التغير في قيمة بعد الاستشراف بمقدار وحدة واحدة يقود الى تغير بمقدار (٠,٤٩٠) في متغير الأداء العالي، وقد بلغت قيمة (F) المحسوبة (٣٧,١٦٧) وهي أكبر من قيمة (F) الجدولية البالغة (٦,٨٥). مما يدل على معنوية انموذج الانحدار الخاص بهذه الفرضية، وقد بلغ معامل التحديد (٠,٢٥١) بمعنى أن الاستشراف يفسر ما نسبته (٢٥,١) من التغيرات التي تطرأ على الأداء العالي، وبذلك يتم رفض فرضية العدم الفرعية الأولى وقبول الفرضية البديلة.

$$Z=1.813+0.490 X1$$

جدول (12) مُعادلات الانحدار وقيم (R^2) وقيمة (F) المحسوبة للفرضية الفرعية الأولى من الرئيسة

الثانية^(١٤)

Model		Sum of Squares	df	Mean Square	F	Sig.
1	Regression	14.647	1	14.647	37.167	.000(a)

١٤- المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات الحاسبة الالكترونية

	Residual	43.743	111	.394		
	Total	58.389	112			
r		Unstandardized Coefficients		Standardized Coefficients	t	Sig.
0.501		B	Std. Error	Beta		
R ²	(Constant)	1.813	.349		5.201	.000
0.251	X1	.490	.080	.501	6.096	.000

ب. لا يوجد تأثير ذو دلالة معنوية لبُعد الرؤية المستقبلية في مُتغير الأداء العالي.

يُظهر من معادلة وجدول نتائج تحليل الانحدار (13) هنالك تأثير ذو دلالة معنوية عند مستوى (٠.١٪) للرؤية المستقبلية في الأداء العالي، إذ بلغت قيم معامل بيتا (٠,٤٥٨) بمعنى أن التغير في قيمة بُعد الرؤية المستقبلية بمقدار وحدة واحدة يؤدي الى تغير بمقدار (٠,٤٥٨) في متغير الأداء العالي، وقد بلغت قيمة (F) المحسوبة (٤٤,١٠٧) وهي أكبر من قيمة F الجدولية البالغة (٦,٨٥) مما يدل على معنوية النموذج الانحدار الخاص بهذه الفرضية، وقد بلغ معامل التحديد (٠,٢٨٤) بمعنى أن الرؤية المستقبلية تفسر ما نسبته (٢٨,٤٪) من التغيرات التي تطرأ على الأداء العالي، وبذلك يتم رفض فرضية العدم الفرعية الثانية وقبول الفرضية البديلة.

$$Z=2.11+0.458 X2$$

جدول (13) مُعادلات الانحدار وقيم (R²) وقيمة (F) المحسوبة للفرضية الفرعية الثانية من الرئيسة

الثانية

Model		Sum of Squares	df	Mean Square	F	Sig.
1	Regression	16.604	1	16.604	44.107	.000(a)
	Residual	41.785	111	.376		
	Total	58.389	112			
r		Unstandardized Coefficients		Standardized Coefficients	t	Sig.
0.533		B	Std. Error	Beta		
R ²	(Constant)	2.110	.277		7.625	.000
0.284	X2	.458	.069	.533	6.641	.000

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات الحاسبة الالكترونية

ت. لا يوجد تأثير ذو دلالة معنوية للشراكة في الأداء العالي.

يُظهر من معادلة وجدول نتائج تحليل الانحدار (١٤) هنالك تأثير ذو دلالة معنوية عند مستوى (٠.١٪) للشراكة في الأداء العالي، إذ بلغت قيم معامل بيتا (٠,٣٦٢) وقد بلغت قيمة (F) المحسوبة (٢٨,٥١١) وهي أكبر من قيمة (F) الجدولية البالغة (٦,٨٥) مما يدل على معنوية النموذج الانحدار الخاص

بهذه الفرضية، وقد بلغ معامل التحديد ($0,204$) بمعنى أن الشراكة تفسر ما نسبته ($20,4\%$) من التغيرات التي تطرأ على الأداء العالي، وبذلك يتم رفض فرضية العدم الفرعية الثالثة وقبول الفرضية البديلة.

$$Z=2.506+0.362 \times X3$$

جدول (14) مُعادلات الانحدار وقيم (R^2) وقيمة (F) المحسوبة للفرضية الفرعية الثالثة من الرئيسة

الثانية

Model		Sum of Squares	Df	Mean Square	F	Sig.
1	Regression	11.933	1	11.933	28.511	.000(a)
	Residual	46.457	111	.419		
	Total	58.389	112			
R		Unstandardized Coefficients		Standardized Coefficients	t	Sig.
0.452		B	Std. Error	Beta		
R^2	(Constant)	2.506	.269		9.306	.000
0.204	X3	.362	.068	.452	5.340	.000

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات الحاسبة الالكترونية

ث. لا يوجد تأثير ذو دلالة معنوية للدافعية في الأداء العالي.

يُظهر من معادلة وجدول نتائج تحليل الانحدار (١٥) يوجد هناك تأثير ذو دلالة معنوية عند مستوى (1%) للدافعية في الأداء العالي، إذ بلغت قيم معامل بيتا ($0,504$) بمعنى إن التغير في قيمة الدافعية بمقدار وحدة واحدة يؤدي الى تغير بمقدار ($0,504$) في متغير الأداء العالي، وقد بلغت قيمة (F) المحسوبة ($82,901$) وهي أكبر من قيمة (F) الجدولية البالغة ($6,85$) مما يدل على معنوية انموذج الانحدار الخاص بهذه الفرضية، وقد بلغ معامل التحديد ($0,428$) بمعنى إن الدافعية تفسر ما نسبته ($42,8\%$) من التغيرات التي تطرأ على الأداء العالي، وبذلك يتم رفض فرضية العدم الفرعية الرابعة وقبول الفرضية البديلة.

$$Z=1.932+0.504 \times X4$$

جدول (15) مُعادلات الانحدار وقيم (R^2) وقيمة (F) المحسوبة للفرضية الفرعية الرابعة من الرئيسة

الثانية

Model		Sum of Squares	df	Mean Square	F	Sig.
1	Regression	24.964	1	24.964	82.901	.000(a)
	Residual	33.425	111	.301		
	Total	58.389	112			
R		Unstandardized Coefficients		Standardized Coefficients	t	Sig.
0.654		B	Std. Error	Beta		
R^2	(Constant)	1.932	.223		8.667	.000
0.428	X4	.504	.055	.654	9.105	.000

===== دور الذكاء الاستراتيجي في تحقيق الأداء العالي -دراسة استطلاعية لآراء المديرين في الشركة العامة لصناعة السمنت الجنوبية-"

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات الحاسبة الالكترونية

وبعد التأكد من صحة الفرضيات الفرعية السابقة يتم اختيار الفرضية الرئيسة الثانية، إذ يُظهر جدول نتائج تحليل الانحدار (16) هنالك تأثير ذو دلالة معنوية عند مستوى (٠.١) للذكاء الاستراتيجي في الأداء العالي، إذ بلغت قيم معامل بيتا (٠,٧٢٤) بمعنى أن أي تغير في قيمة المتغير المستقل الذكاء الاستراتيجي تقود الى تغير بنفس الاتجاه وبمقدار (٠,٧٢٤) من المتغير التابع الأداء العالي، وقد بلغت قيمة (F) المحسوبة (٩٤,٨٤٢) وهي أكبر من قيمة (F) الجدولية البالغة (٦,٨٥) مما يدل على معنوية النموذج الانحدار الخاص بهذه الفرضية، وقد بلغ معامل التحديد (٠,٤٦١) بمعنى أن متغير الذكاء الاستراتيجي يفسر ما نسبته (٤٦,١)٪ من التغيرات التي تطرأ على الأداء العالي أما النسبة المتبقية والبالغة (٥٣,٩)٪ فتعود لمتغيرات أخرى غير داخلة بالنموذج، وبذلك يتم رفض فرضية العدم الفرضية الرئيسة الثانية وقبول فرضية الوجود البديلة.

$$Z=1.014+0.724 X$$

جدول (16) مُعادلات الانحدار وقيم (R^2) و قيمة (F) المحسوبة للفرضية الرئيسة الثانية^(١٥)

Model		Sum of Squares	df	Mean Square	F	Sig.
1	Regression	26.903	1	26.903	94.842	.000(a)
	Residual	31.486	111	.284		
	Total	58.389	112			
R		Unstandardized Coefficients		Standardized Coefficients	t	Sig.
0.679		B	Std. Error	Beta		
R ²	(Constant)	1.014	.301		3.365	.001
0.461	X	.724	.074	.679	9.739	.000

المبحث الخامس: الاستنتاجات والتوصيات

أولاً: الاستنتاجات:

يركز هذا المبحث على مجموعة من الاستنتاجات التي تمثل تعليلاً لبعض النتائج التي ظهرت عبر الدراسة، وتفسيرات للمتغيرات التي حققت تأثيرات مميزة، والتي تسهم في ارشاد الباحثين والمتخصصين إلى مجالات جديدة تستحق البحث والدراسة والتطوير.

أظهرت نتائج التحليل التطبيقي لمتغيرات الدراسة للمعامل المبحوثة، مجموعة من الاستنتاجات كان أهمها الآتي:-

١. تبين من خلال انخفاض الأوساط الحسابية لفقرات الدافعية نسبة إلى باقي الأوساط في أبعاد متغير الذكاء الاستراتيجي، بأن هناك حاجة ملحة من قبل الإدارة العليا لزيادة العمل بمبدأ الشفافية

١٥ - المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات الحاسبة الالكترونية.

والانفتاح والثقة مع العاملين فضلا عن خلق بيئة عمل تحقق الرضا الوظيفي والسعادة (نوعية حياة عمل) وذلك من أجل تدعيم قيم الدافعية وتحسين القوى الموجودة داخل الشخص والتي تؤثر على اتجاهه وشدة واستمرار سلوكه الطوعي داخل وخارج المعمل.

٢. الحاجة إلى تدعيم الشراكات مع المعامل الأخرى خصوصاً الدولية عبر عمل إدارة للشركة العليا وإقامة التحالفات الاستراتيجية، والاستثمار الفاعل للموارد، مثل الوقت والجهد والمعلومات والخبرات والمواد وغيرها مع الشركاء رغم وجود التعاون الفاعل وتبادل المعلومات بين المعامل المبحوثة ونظيراتها المحلية، وقد بنيت هذه المعلومات اعتماداً على الانخفاض الواضح في الأوساط الحسابية الموزونة لبعدها الشراكة نسبة إلى باقي أبعاد متغير الذكاء الاستراتيجي.

٣. تمتلك المعامل المبحوثة وصفاً واضحاً وموجزاً لما تريد أن تكون عليه مع مشاركة فاعلة في صياغة الرؤية المستقبلية للمعمل من قبل جميع المدراء بكل المستويات، وهذا ما بينه الارتفاع النسبي في الوسط الحسابي الموزون لبعدها الرؤية المستقبلية.

٤. ارتفاع الوسط الحسابي الموزون لبعدها الاستشراف، أي التطلع نحو المستقبل وبشكل واضح عبر توسيع الإدراك بكل المستجدات وترتيب عميلة صنع القرار والاستفادة من التطورات المستقبلية والاستعداد الضروري للتكيف مع جميع التغيرات البيئية، فضلاً عن امتلاك رؤية بديلة للواقع المتبدل وغير الأكيد.

٥. تبني مبدأ التحسين المستمر والإبداع في كافة جوانبها ومسمياتها الإدارية والتشغيلية وتطوير القابليات البشرية والمعرفية لخلق مصادر جديدة للتحسين المستمر استجابة لتغيرات البيئتين الداخلية والخارجية لها.

٦. لم يكن هناك دعم كاف لعمليات اكتشاف المواهب والتميزين، فضلاً عن تدعيم مراكز التأهيل والتطوير ونشر هذه المواهب بما يحقق التكامل في العمل والثقة العالية بين جميع المستويات التنظيمية للمعمل، وهذا ما أكدته النتائج الإحصائية في انخفاض الوسط الحسابي الموزون لبعدها جودة الإدارة نسبة إلى باقي أبعاد متغير الأداء العالي.

٧. امتلاك مقومات الالتزام طويل الأمد اتجاه أصحاب المصالح (حملة الأسهم، والزبائن، والعاملين، والموردين، والمجتمع بشكل عام) رغم أن هناك حاجة ضرورية لتقوية هذا الاتجاه لتحسين عملية خلق القيمة عبر معرفة رغبات واحتياجات أصحاب المصالح والاستجابة لها.

٨. هناك إمكانية تحقيق الأداء العالي من خلال اعتماد الذكاء الاستراتيجي، فقد ظهر بأن هناك علاقة ارتباط إيجابية ومعنوية بين المتغيرين يمكن الاستناد إليها في تأكيد هذا الاستنتاج، وقد كانت أعلى معاملات ارتباط لبعدها الدافعية مع الأداء العالي، بمعنى أن هناك ضرورة قصوى لرفع مستويات الدافعية لدى العاملين والتأكيد عليها باعتبار أنها لم تحقق أعلى المستويات في ترتيب أبعاد الذكاء الاستراتيجي.

===== دور الذكاء الاستراتيجي في تحقيق الأداء العالي -دراسة استطلاعية لآراء المديرين في الشركة العامة لصناعة السمنت الجنوبية-

٩. أظهرت النتائج المتعلقة بعلاقات الأثر بين المتغيرين بأن هناك أثراً معنوياً للذكاء الاستراتيجي في تحقيق الأداء العالي، مما يؤكد أن استقراء المستقبل من خلال التحليل الاستراتيجي لعوامل البيئة الداخلية والخارجية، يحقق بما لا يقبل الشك نتائج مالية وغير مالية جيدة.
١٠. ظهر من النتائج الإحصائية لتحليل الأثر بأن بُعد الدافعية كان له الأثر الأكبر على متغير الأداء العالي، بينما حظي بُعد الشراكة بالتأثير الأقل في الأداء العالي مما يشير إلى أن المزايا المادية والمعنوية الممنوحة للعاملين تُسهم في تحسين الأداء العالي بشكل كبير.

ثانياً: التوصيات والمقترحات المستقبلية

- برزت أثناء مرحلة البحث الميداني وتقصي المعلومات والرجوع إلى المصادر المختلفة، وفي إطار ما ورد من استنتاجات، برزت مجموعة من التوصيات والمقترحات التي تُفيد المعامل عينة الدراسة بشكل خاص والباحثين المهتمين بالفكر الإداري عموماً، ويمكن تلخيصها على النحو الآتي:-
١. ينبغي زيادة العمل بمبدأ الشفافية والانفتاح والثقة مع العاملين، من خلال تشكيل فرق عمل لحل المشاكل والمشاركة في وضع الأهداف وتوضيحها والعمل على زيادة ثقة الأفراد بأنفسهم، من خلال تطوير المهارات والدورات التدريبية الإجرائية والنفسية وذلك من أجل تطوير العمل المبني على الرغبة الشخصية وتحقيق التوازن بين مصالح العاملين والمصالح العليا للمعمل.
 ٢. تدعيم الشراكة مع المعامل والشركات المنافسة والتواصل مع الأخرى الدولية، من خلال تبادل الخبرات وإعارة فرق العمل المتبادلة بين الشركات أو إنشاء اتفاقيات للتعاون الفني والإداري بين الشركات المحلية والدولية عبر العمل والاستثمار الفاعل للموارد، من خلال تبادل المنافع والمعلومات وبناء أنظمة متطورة للاتصالات لتنفيذ هذه المهمة.
 ٣. ضرورة الاهتمام بموضوع الخصائص الشخصية للمديرين وتحديد تأثيرها على أدائهم وكيفية القيام بالمسؤوليات القيادية الملقاة على عاتقهم، لما يؤديه المدراء من مهمة حساسة سواء على مستوى المعمل أو على مستوى المجتمع.
 ٤. ضرورة الاهتمام بتطوير الذكاء الاستراتيجي لدى المديرين، من خلال ادخالهم دورات تدريبية خاصة، وكذلك السعي المتواصل لتشخيص الصعوبات التي تعترض عملهم والدخول في نقاشات بناءة مع مستشارين معتمدين ورؤساء الأقسام للوصول إلى حلول من شأنها أن تزيد من إدراك المدير وتوسيع آفاقه نحو المستقبل.
 ٥. تطوير أنظمة للمساعدات النقدية والعينية للعاملين، من خلال الاعتماد على الاستحقاق ما يؤدي إلى الرضا والقناعة وزيادة الثقة بالإدارة العليا وأنظمة العمل لدى جميع العاملين، مع تفعيل آلية للتداول والتحاور بين الإدارة والعاملين لتوضيح وجهات النظر، من خلال الاجتماعات الدورية والتي تُبنى على الصراحة والثقة.
 ٦. الاهتمام باكتشاف المواهب والتميزين، عن طريق البحث الدائم عن الموهب والتميزين داخل المعمل وخارجه، والعمل على انشاء مراكز التأهيل والتطوير وتوزيع مخرجات هذه المراكز من المواهب لزيادة فاعلية جميع الأقسام والمصانع في المعمل.

٧. الحاجة إلى زيادة الاهتمام بالعاملين لتحقيق السعادة والرضا، من خلال إشراكهم في صناعة القرارات والعمل على حل مشاكلهم بأسرع وقت.

قائمة المصادر:

أولاً: المصادر العربية

الكتب

- أ. الصميدعي، محمود جاسم، ويوسف ردينة عثمان (٢٠١١) "التسويق الاستراتيجي" الطبعة الأولى، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان - الأردن.
- ب. عقيلي، عمر وصفي، والعبدلي، قحطان بدر، الغدير، حمد راشد (٢٠١٠) "مبادئ التسويق مدخل متكامل"، دار زهران للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، عمان - الأردن.

ثانياً: المصادر الأجنبية

A. Books

1. Armstrong, Michael (2009) "Strategic human resource management: a guide to action", 4th edition, Kogan Page, Great Britain, Cambridge, University Press, New York, U.S.A.
2. Brown, Donald and Harvey, Don, (2007) "An Experiential Approach to Organization Development" 7th Edition, Pearson, New Jersey.
3. Laura Camilla, (2011) "The Role of Strategic Seitovirta, Intelligence Services in Corporate Decision Making", Aalto University School of Economics, p:37.
4. Lussier, Robert N, (2008) "Human Relation in Organizations: Applications and Skill Building" 7th Ed., McGraw-Hill Irwin, New York, USA.
5. Schermerhorn, John R., (2010) "Management", John Wiley and sons, Inc.

B-Journals

1. Arocas, Roberto Luna, and Camps, Joaquin, (2008) "A model of high performance work practices and turnover intentions" Emerald Group Publishing Limited, Personnel Review Vol. 37 No. 1.
2. De Waal Andre, and Orij Ruben, Rosman, Jantien and Zevenbergen, Marijke, (2014) "Applicability of the high-performance organization framework in the diamond industry value chain", Emerald Group Publishing Limited, Journal of Strategy and Management, Vol. 7 No. 1.
3. De Waal, A. A, (2011), "Strategy Only Matters A Bit The role of Strategy in the High Performance Organization", Maastricht School of Management, No.2.

4. De Waal, André A. and Frijns, Miriam, (2012) "Applicability of the high performance organizations framework in central Africa: the case of Rwanda's minaloc".
5. De Waal, André A., and Bagorogoza, Janet (2010) "The role of knowledge management in creating and sustaining high performance organizations: The case of financial institutions in Uganda" Emerald Group Publishing Limited, World Journal of Entrepreneurship, Management and Sustainable Development, Vol. 6. Iss: 4.
6. De Waal, André A., et al., (2012) "Characteristics of high performing managers in The Netherlands" Emerald Group Publishing, Leadership and Organization Development Journal, Vol. 33, No. 2.
7. De Waal, Andre and Jansen, Paul, (2013) "The bonus as hygiene factor: the role of reward systems in the high performance organization", Emerald Group Publishing Limited, Evidence-based HRM: A Global Forum for Empirical Scholarship, Vol. 1 No. 1.
8. De Waal, André (2017) "Maastricht School of Management," Maastricht, The Netherlands and HPO Center, Hilversum, Netherlands).
9. De Waal, Andre, and Orij, Ruben, and Rosman, Jantien and Zevenbergen, Marijke, (2014) "Applicability of the high-performance organization framework in the diamond industry value chain", Emerald Group Publishing Limited, Journal of Strategy and Management, Vol. 7 No.1.
10. Morgan, Andrew and Anthony, Sarah, (2008) "Creating a high-performance workplace: a review of issues and opportunities" Emerald Group Publishing Limited, Journal of Corporate Real Estate, Vol. 10, No. 1.
11. Rice, President, and Blessing white, CEO (2007) "Driving long-Term Engagement through a High-Performance culture".

C. Net

1. Maccoby, M., (2004),"Only the Brainiest Succeed", RTM", Vol. 44, No. 5,.
2. Pode, A., (2000) "The Business Intelligence Page", Adam Pode. <http://www.podeiboro.ac.uk/>. pp. 1-11.

تقويم كتاب اللغة العربية للصف الأول المتوسط على وفق معايير

جودة الكتاب المدرسي

Evaluating First Intermediate Arabic Language Book According to Standards of Quality of school Books

أ.م.د. أحمد جبار راضي العابدي^(١)

Assist. Prof. Ahmed Jabbar Radhi Al-Abidy

الملخص

هدفت الدراسة الحالية إلى (تقويم كتاب اللغة العربية للصف الأول المتوسط على وفق معايير جودة الكتاب المدرسي).

تكونت عينة الدراسة من (١٢٠) مدرساً ومدرسةً من مدرسي اللغة العربية ومدرساتها في المدارس المتوسطة والثانوية في مركز محافظة كربلاء، واعتمد الباحث المنهج الوصفي؛ لأنه يتلاءم وإجراءات هذا البحث، عبر استبانة ضمت (٧٤) فقرة موزعة على خمس مجالات، وُزعت على أفراد عينة البحث بعد إيجاد الصدق والثبات لها، إعتد الباحث معامل ارتباط بيرسون، والوسط المرجح، والوزن المتوي وسائل إحصائية، والنسبة المئوية وسيلة حسابية للتعامل مع نتائج البحث إحصائياً.

وتوصل الباحث إلى عدد من النتائج منها:

- أن معايير الجودة لم تتوافر بشكل كامل في كتاب اللغة العربية للصف الأول المتوسط.

- الكتاب في مقدمته لم يحقق معايير الجودة الشاملة.

- محتوى الكتاب حقق معيار الجودة على الرغم من وجود بعض جوانب القصور في فقراته.

- الامثلة والتمرينات جيدة وإن كانت بعض فقراتها غير متحققة.

- الاخراج الفني للكتاب لم يصل الى مستوى المعيار العام للجودة.

١ - المديرية العامة للتربية في محافظة كربلاء المقدسة.

وفي ظل النتائج التي توصل إليها البحث الحالي يوصي الباحث بما يأتي:
يجب الاخذ بأراء مدرسي اللغة العربية ومدرساتها في تحسين هذا الكتاب وإشراكهم في لجان التأليف والتطوير.

Abstract

Evaluating First Year Intermediate Arabic Language Textbook According to Total Quality Standards. By Asst. Prof Ahmad Jabar Radi Alabidi. Phd. The present study aims at evaluating First Year Intermediate Arabic Language Textbook According to Total Quality Standards. The sample of the study consists of (120) teachers (male and female) in Intermediate and secondary schools in Kerbala governorate. The researcher adopts the descriptive approach, because it is suitable to the study, through a questionnaire with (74) items divided into (5) domains. After ensuring validity and reliability of the questionnaire, it is distributed to the sample of the study. The researcher uses pearson correlation formula, mean, median as statistical means and he uses the percentage to gain results of the study. The researcher concludes some conclusions among them are: -The total Quality Standards are not completely.

fulfilled in the first year Intermediate_Arabic Language Textbook._ The introduction of the Textbook does not achieve total Quality Standards.

The content of the Textbook achieve the Standards of the Total Quality although there is some shortage in it. The examples and exercises of the Textbook are good but it need some changes. The technical finishing of the Textbook does not achieve Standards of the Total Quality. According to the results of the study, the researcher mentions some recommendations among them are: There is a need to pay attention to the teachers viewpoints to enhance this Textbook besides they must be included in the teams who write and develop such Textbook.

مشكلة البحث:

بما أن الجودة تُعد من المطالب الرئيسة في المهن كلها؛ فالحاجة إليها تمثل مطلباً رئيساً وضرورياً في العملية التربوية والتعليمية؛ لأنها تمثل أم المهن وتصبح مخرجاتها في مدخلاتها انظمة المهن كلها، وبما أن الكتاب المدرسي يعد من الادوات التعليمية المناسبة، لذلك يجب اتصافه بالجودة، وإلا ستكون هنالك فجوة ما بين الطلاب والمناهج المدرسية، وأن هذه الفجوة سوف تؤدي الى النفور والأحباط من قبل الطلبة والمدرسين من هذه الكتب وعدم قدرتهم على اداء دورهم بشكل فعال وهذا بدوره يؤدي الى عدم تحقيق الاهداف التربوية المطلوبة، مع وجود فارق كبير بين المدخلات والمخرجات (عطيه، ٢٠٠٨: ١٧)، لذا جاءت هذه الدراسة تبحث في تقويم كتاب اللغة العربية للصف الاول المتوسط، (لأنه يمثل منهجا

جديداً في تأليفه وإخراجه، فهو يعد التجربة الأولى في العراق المؤلفة على الطريقة التكاملية التي حذت حذو تجارب البلدان العربية الشقيقة التي تعتمد نصاً واحداً تشتق منه فروع اللغة العربية كلها) وذلك من أجل بيان مدى توافر معايير الجودة الشاملة ومواكبته للتطورات الحديثة بمجال اللغة وتوظيف المادة التعليمية توظيفاً فعلياً وعملياً لتخدم المستفيدين من الطلبة والمدرسين عبر التعرف والوقوف على معايير الكتاب وبنيتة الأساسية، لذلك حرص الباحث على أن تكون هناك معايير معتمدة وواضحة مستندة إلى الجودة يمكن الاعتماد عليها في إصدار الاحكام الدقيقة على المناهج المدرسية.

ومن المعروف أن المدرس هو الشخص الأول الذي يستطيع أن يتابع النتائج والمخرجات المترتبة على تدريس المنهج، وكذلك ملاحظة مدى تقبل الطلبة واستجابتهم له، وهذا الأمر يتطلب أن يكون المدرس هو أول من يصدر حكماً تقويمياً على أي كتاب من حيث مدى التزامه بالتطورات التربوية الحديثة من حيث تكامل المعرفة ومسايرته لطبيعة المرحلة والفئة العمرية، وقدرته على تحقيق الغرض الرئيس للمادة المراد تدريسها وتكاملها من خلال حسن تنظيمه وعرضه وحسن إخراجه وما يحتويه من رسوم توضيحية (فتح الله، ٢٠٠٧: ٨٢-٨٣). لذا فقد أصبح من المسلمات الأساسية الأخذ بأراء مدرسي المواد الدراسية ووجهات نظرهم في تقويم أي كتاب، ومن هذه المسؤولية انطلق الباحث بالاعتماد على آراء مدرسي اللغة العربية لتقويم كتاب اللغة العربية على وفق معايير الجودة الشاملة.

أهمية البحث:

تعد اللغة العربية أوضح خصائص الجنس البشري تميزاً له مما سواه من الأجناس الأخرى، وهي في حد ذاتها ليست مجرد نظام لتوليد الأصوات الناقلة للمعنى فهي مرآة للعقل وأداة التفكير ووعاء المعرفة في المجتمعات الإنسانية، فاللغة لا تُدرَس بوصفها غاية في ذاتها، بل هي وسيلة لبلوغ غاية أكبر، ألا وهي تربية الأجيال واعدادها إعداداً يتناسب مع ظروف الحياة. وإن الإنسان يسعى دائماً إلى تطوير أساليبه وهذا أمر مُسلم به، وأن أي جديد في ميادين البحث التربوي لا بد وأن يتعكس على المنهج بوصفه المخطط العلمي الموضوع لتعليم الأفراد (أبو مريم ٢٠٠٦: ٢٥)، ومن هنا يستطيع واضعو المناهج تحديد الخبرات التربوية التي يجب أن تقدمها المدرسة، ليلتحق فيها المتعلمون في كل مرحلة من مراحل التعليم، إلا أن تحديد الخبرات التربوية التي تحتويها المناهج لا بد أن تتصف بمواصفات الجودة الشاملة وترتبط ارتباطاً وثيقاً بتحديد الطرق التي يستطيع المعلم أن يستخدمها في تناول تلك المناهج على المستوى التنفيذي، (الدليمي، الوائلي ٢٠٠٣: ١٦).

وتعد الجودة الشاملة من الأساليب الإدارية الحديثة التي تسللت إلى مجال التعليم من الصناعة. فقد ظهر هذا المفهوم أساساً في مجال الصناعة، وأثبت فاعليته في تحسين جودة المنتجات الصناعية على اختلاف أنواعها، ونظراً لما يمتلكه هذا الأسلوب الإداري الحديث من قدرات وإمكانات هائلة لتحسين جودة المنتج فقد أمكن الاستفادة منه في مجال الخدمات التي من أهمها التعليم. (علي، ٢٠٠٢، ص ٢٣٢).

وحتى تتحقق الجودة في العملية التعليمية لا بد من تحقق معايير معينة، فجودة المنهج تتطلب وجود معايير ترتبط بعناصر المنهج مثل: معايير، الأهداف التعليمية، والمحتوى التعليمي، والوسائل التعليمية والتمارين والتدريبات.... الخ ويعد الكتاب المدرسي من أهم وسائل تحقيق الأهداف التربوية، فعلى الرغم من تعدد

تقويم كتاب اللغة العربية للصف الأول المتوسط على وفق معايير جودة الكتاب المدرسي
الأنشطة التربوية والمواد التعميمية وتنوعها، فما زال الكتاب المدرسي الوسيلة الفعالة التي تستخدم بصورة
كبيرة في داخل الفصل من أجل الدراسة المنظمة في المواد الدراسية المختلفة وقيمتها بوصفه مصدراً تعليمياً
أساسياً.

وبما أن الجودة ترتبط ارتباطاً مباشراً بالخدمات التي تقوم على أساس تحسين المنتجات لذلك يكون
معنى الجودة يمثل عنصر التغير ولا يمثل مفهوم الثبات، لأن الأشياء قد تكون إيجابية في الوقت الحاضر لكنها
قد لا تكون كذلك في المستقبل، وإن الذي يصلح في مجتمع معين قد لا يكون جيداً في المجتمعات الأخرى
وهذا يعني أن مفهوم الجودة يختلف بحسب الهدف والزمان والمكان (أحمد، ٢٠٠٧: ١٥٣).

وفي ضوء ذلك أصبح من الضروري الاقتناع بضرورة تطوير المناهج المدرسية وهذا نابع من الإيمان بأن
الكتاب المدرسي يمثل النهضة الحقيقية والوجه التطبيقي للأهداف التربوية المنشودة؛ لأنه يمثل الإطار
المكاني المتحرك لأية نهضة فكرية تتلاءم مع متطلبات المستقبل الذي يوجه المجتمعات (شحاته، ٢٠٠٣:
٢٥٧)، لذا تكمن أهمية البحث الحالي في:

تقويم كتاب اللغة العربية للصف الأول المتوسط، والمساهمة في توضيح المعايير المهمة لجودة الكتاب
المدرسي لأطراف العملية التعليمية جميعها، ومحاولة الكشف عن بعض جوانب الضعف والقوة في كتاب
اللغة العربية وقد تسهم نتائج البحث الحالي في تطوير مواصفات الكتاب المدرسي في مدارسنا.

هدف البحث:

يهدف بحثنا هذا الى (تقويم كتاب اللغة العربية للصف الأول المتوسط على وفق معايير جودة الكتاب
المدرسي) من خلال الاجابة عن السؤال الآتي: ما مدى توافر مواصفات الجودة الشاملة في كتاب اللغة
العربية لهذه المرحلة؟

حدود البحث:

- كتاب اللغة العربية للصف الأول المتوسط، الطبعة الأولى ٢٠١٦ م.
- مدرسو اللغة العربية ومدرساتها في المدارس المتوسطة والثانوية للعام الدراسي ٢٠١٧-٢٠١٨
بمحافظة كربلاء.

الفصل الأول: تحديد المصطلحات:

التقويم:

التقويم: لغة

أُشتُقَّتْ كلمة تقويم من الأصل (قَوَّمَ) والجمع قَوَّومٌ، وية صد بالتقويم تقدير القيمة، كما في قولهم قَوَّمَ
السلعة أي قَدَّرَها، فالتقويم لغة هو تقدير الشيء وتعديله ومساواته، وت صحيح الاعوجاج. (الخطاط،
٢٠٠٩: ٣٥).

التقويم: إصطلاحاً

١. (ال صمادي) ٢٠٠٤: عملية منظمة لجمع المعلومات وتحليلها بغرض تحديد تحقق الاهداف التربوية واتخاذ القرارات بشأنها لمعالجة جوانب الضعف (الصمادي، ٢٠٠٤: ٣٠).
٢. (الامام) ١٩٩٠: هو الاوصاف الكمية والنوعية للسلوك المراد تقوية مضافاً اليها الاحكام القيمية التي ترتبط بمدى قبول ذلك السلوك او عدمه واتخاذ القرارات لتحسين السلوك (الامام، ١٩٩٠: ٢٤).

التعريف الاجرائي للتقويم:

هو اصدار حكم معين على كتاب اللغة العربية للصف الأول المتوسط في ضوء أهم النتائج التي سوف نحصل عليها من خلال البحث.

الصف الأول المتوسط:

هو المرحلة الأولى من الدراسة المتوسطة التي أمدتها ثلاث سنوات في سلم النظام التعليمي في العراق وتأتي بعد المرحلة الابتدائية التي أمدتها ست سنوات، وقبل المرحلة الإعدادية التي أمدتها ثلاث سنوات (وزارة التربية، ٢٠٠٨: ٤).

المعيار:

أ- تعريف المعايير لغة "جاء في معجم الوجيز أن المعيار هو ما اتخذ أساساً للمقارنة والتقدير". (جمهورية العراق، ٢٠١٠: ٩).

ب- المعيار (اصطلاحاً): يعرفه حلس بأنه: "مجموعة من الشروط والأحكام المضبوطة علمياً التي تستخدم كقاعدة أو أساس للمقارنة والحكم على النوعية أو الكمية بهدف تعزيز مواطن القوة لتعزيزها، وتشخيص مواطن الضعف لعلاجها (حلس: ٢٠٠٤، ١١).

ويعرفه الباحث إجرائياً: هو الخ صائص الواجب توافرها في كتاب اللغة العربية للصف الأول المتوسط التي تضمنتها (الاستبانة) في مجالاتها الخمسة التي أعدها الباحث، وأصدر في ضوءها حكماً على مدى توافر جودة هذا الكتاب.

الجودة الشاملة:

وعرفها

- (خالد، ٢٠٠٦) بأنها: "مجموعة من الخصائص والسمات التي تعبر بدقة وشولية عن مضمون التربية وحالتها بما في ذلك ابعادها المختلفة التي تشمل: المدخلات والعمليات والمخرجات والتغذية الراجعة و التفاعلات المستمرة المتواصلة التي تؤدي إلى تحقيق الأهداف المنشودة للمجتمع" (خالد، ٢٠٠٦: ٢٦).

- (الحريري، ٢٠١٠) بأنها: - "أسلوب قيادي ينشئ فلسفة تنظيمية تساعد على تحقيق أعلى درجة ممكنة لجودة السلع والخدمات وتسعى إلى دمج مفاهيمها ببيئة المنظمة، مع الاخذ بنظر الاعتبار ان نجاحها يتوقف على قناعة أفراد المنظمة بمبادئها" (الحريري، ٢٠١٠: ١٥).

ويعرفها الباحث إجرائياً: هي تكامل المواصفات في كتاب اللغة العربية للصف الأول المتوسط التي يمكن أن تنال رضا الجميع من مدرسين وطلبة، وتكون قادرة على اشباع حاجاتهم التربوية وتحقيق آمالهم وطموحاتهم وتحقيق أفضل ما يمكن تحقيقه من النتائج.

الفصل الثاني: اطار نظري ودراسات سابقة

المحور الأول: اطار نظري:

مفهوم الجودة الشاملة:

يعد مفهوم الجودة من المصطلحات الجديدة التي تهدف إلى تطوير الاداء بصفة مستمرة وعلى الرغم من ذلك نجد له تعريفات متعددة، ومنها: عملية مستمرة، ونشاط منظم لقياس الجودة على وفق معايير قياسية بقصد تحليل أوجه القصور المكتشفة واتخاذ الإجراءات اللازمة لتحسين الأداء وتطويره ثم قياس الجودة مرة أخرى لتحديد التحسن الذي تحقق (عطية، ٢٠٠٨: ٢١)، وعُرفت أيضاً "على أنها ثورة تشاركية في الطريقة التي تعمل بها الإدارة التي تنظر وتدبر العمليات بشكل يحقق النتائج وليس الإدارة التي تنظر إلى النتائج"، كما ان استعمال فرق العمل في شكل تعاوي لأداء الأعمال من طريق تحريك المواهب والقدرات للعاملين كافة في المنظمة وذلك لتحسين الإنتاجية والجودة بشكل مستمر (الحري، وسعد زناد درويش، ٢٠١٠: ١٥)، وفي مجال العملية التعليمية تعرف الجودة الشاملة: بأنها أسلوب في الممارسة الإدارية تتطلب تحولا كبيرا في طريقة إدارة مدخلات المؤسسة التعليمية بهدف الوصول إلى التحسين المستمر للمخرجات والخدمات التي تقدمها المؤسسة التربوية بما يضمن رضا المستفيدين من العملية التعليمية (علي، ٢٠١١: ٢٥٦).

أهداف إدارة الجودة وفوائدها:

إنَّ أبرز أهداف تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات الإنتاجية والخدمية هو تطوير المنتجات أو الخدمات مع إحراز تخفيض في التكاليف وتقليل الوقت والجهد الضائعين لتحسين الخدمة أو المنتج المقدم للمستهلك، وعلى العموم تسعى الجودة إلى تحسين المخرجات (المنتجات) بشكل مستمر وخلق بيئة للدعم والتطوير المستمر والمحافظة عليه و تقليل الهدر في الجهد والوقت و تعمل على اشراك الجميع في عملية تطوير ادوات قياس الاداء وكسب ثقة المستفيدين والمحافظة عليها باستمرار.

وفي ما تقدم يمكننا القول بأنَّ بُني إدارة الجودة الشاملة كأسلوب يمكن ان يحقق الكثير من الفوائد فهي تعمل على تقوية المكانة التنافسية للمؤسسة مع المؤسسات الأخر لأنها عندما تتبنى هذا النظام تقدم خدمة او منتج بجودة عالية تصبح أكثر انسجاما ومتطلبات المستفيد وزيادة العائد من استثمار الموارد البشرية مما يُحسِّن العلاقات بين العاملين ويرفع روحهم المعنوية، وكذلك تزيد القدرة على التخطيط والتحليل واتخاذ القرارات، وتعمل على رفع كفاية القيادة الإدارية وتوسيع افقها وتوجيه تفكيرها و جعل المؤسسة أكثر استجابة للمتغيرات البيئية (لافي، ٢٠١٢: ٢١٧).

خصائص الجودة الشاملة:

تتماز إدارة الجودة الشاملة بخصائص وسمات أهمها الشمول، فهي تشمل القطاعات والمستويات والوظائف الخاصة في المنظمة كلها، والزبائن في الجودة يمثلون شيئاً حيوياً جوهرياً لأداء المنظمة اذ انه لا يوجد عمل من دون وجود زبائن وبطبيعة الحال لا يكون للمنظمة أي وجود اذا كانت من دون عمل و تركز إدارة الجودة الشاملة على التطوير والتحسين المستمرين في أنشطة وعمليات المنظمة في التقنيات وعناصر الأداء المختلفة وذلك بإتباع المنهجية العلمية التي تعتمد على التحليل والتصميم والتخطيط والتنظيم لكل نشاط في المنظمة، لتحقيق الكفاءة والانطلاق من قمة الهرم الوظيفي حيث يتوقف نجاح العمل على اقتناع الإدارة العليا بمبدأ المبادرة وتوفير المساندة الكاملة للقائمين على التصميم وتشغيل الأعمال في المنظمة، ومن خصائص الجودة الشاملة التنظيم الشبكي حيث يتم التعامل مع المنظمة كشبكة متكاملة بحيث يتحقق التدفق الأفضل للعمليات وتصل الخدمات للمستفيدين بأعلى جودة وكفاءة ممكنة وذلك بتنمية الرقابة الذاتية والاعتماد عليها بدلا من الرقابة الخارجية فهي لا تفرض على الفرد بل تتبع منه نتيجة الاقتناع وأخيراً تتسم بالحسم، ويعني تبني فكرة منع الخطأ بدلا من كشف الخطأ ومحاولة إصلاح أثاره (الحريري، ٢٠١١: ٢٥).

مفهوم المعايير:

هي المواصفات اللازمة للتعليم الجيد الذي يمكن قبوله وهي الضمان لجودته والمقياس المرجعي الذي يمكن الاسترشاد به عند تقييم الأداء التعليمي في اية دولة عربية من خلال مقارنته مع المستويات القياسية المنشودة، وقد تكون المعايير عبارة عن مستويات تضعها إحدى الجهات الخارجية أو مستويات انجاز في مؤسسة أخرى يتم اختيارها للمقارنة، (وزارة التعليم العالي، ٢٠١٠: ٩).

المعايير والجودة والاعتماد:

ارتبطت حركة المعايير بحركتين كبيرتين هما الجودة الشاملة، والاعتماد التربوي، وشكلت الحركات الثلاث فكرًا تربويًا مترابطًا ثلاثي الأبعاد خلال التسعينات، حتى أصبحت المعايير المدخل الحقيقي إلى جودة التعليم في مؤسسة ما، وأصبح الاعتماد هو الشهادة بأن المؤسسة التعليمية قد حققت معايير الجودة المعلنة، وارتبطت العناصر الثلاثة ارتباطًا تاريخيًا لا يمكن الفصل بينها (البيلالي، وآخرون، ٢٠٠٨: ٢٤).

جودة الكتب التعليمية:

جودة الكتاب المدرسي مطلب أساس تسعى المؤسسات التربوية إلى تحقيقه وهذا يتطلب تصميمًا متميزًا للكتاب على أساس اختيار أفضل البدائل المكونة لبنائه وادخال عناصر أساسية مكونة له، وإذا أريد تحقيق الجودة في الكتاب المدرسي، فإن ذلك يستلزم التعرض للشروط والخصائص التي يجب توافرها في الكتاب الجيد، ومن ثم استخلاص مؤشرات ومعايير للجودة يمكن من خلالها الحكم على جودة الكتب المدرسية وتوظيفها في تقييم هذه الكتب وتطويرها. (دياب، ٢٠٠٦: ٢).

معايير جودة الكتاب المدرسي الجيد وعناصره:

١- الأهداف التعليمية: أن تصدر الكتاب المدرسي الأهداف المطلوب تحقيقها من تدريسه، وتعكس السلوك المتوقع من الطالب وتمثل نتاجاً قابلاً للملاحظة والقياس وملبية لحاجات المتعلم ومراعية خصائصه الفردية. (حمادات، ٢٠٠٨: ٢٣٥).

٢- المقدمة: أن تكون وافية لكل من المعلم والمتعلم بحيث تُبصرهم بأهداف الكتاب ومادته العملية وطرائق التدريس والأنشطة التعليمية وأساليب التقويم. وتوضح أهمية الكتاب للمدرس والطالب، والمبادئ التربوية والنفسية التي روعيَتْ في تأليف المحتوى وتنظيم المادة التعليمية (مرعي والحيلة، ٢٠٠٩: ٢٦٠).

٣- المحتوى: أن يحتوي الكتاب على قدر من المادة العلمية المناسبة لمستوى المتعلمين في ذلك الصف، وأن تتسم هذه المادة بالدقة والحداثة والدلالة والاهمية. وتغطي موضوعاته مفردات المنهج المقرر، ويراعي المحتوى الفروق الفردية بين المعلمين، ويوازن بين عمق المحتوى وشموله ويشتمل على وسائل تعليمية مناسبة ذات صلة بالمادة التعليمية ويكثر من الاشكال والرسوم والجداول والصور التوضيحية المناسبة (سعيد، عبد الله، ٢٠٠٧: ٩)، أن تكون فصول الكتاب متدرجة، إذ يكون كل جزء مبنياً على الجزء السابق له وممهّد للجزء اللاحق له. (العبادي وآخرون، ٢٠١٢: ١٢٩)، وتختتم فصوله ووحداته بمجموعة من الأسئلة والأنشطة التي تدعو المتعلم للبحث والاستقصاء في الحصول على الإجابات.

٤- الأنشطة والتدريبات: يجب أن تستند الى الأهداف التعليمية الخاصة بالوحدة التعليمية وتثير دافعية الطالب للتعلم الذاتي وتناسب مستوى نضج المتعلم وخبراته وتسلسل خطوات تنفيذ النشاط منطقاً ونفسياً وتزود الطالب بالتغذية الراجعة الفورية والمتكررة وتساعد على تطبيق ماتعلمه في مواقف جديدة (حمادات، ٢٠٠٨: ٢٣٦).

٥- الإخراج الفني: أن يكون اخراج الكتاب جيداً، من حيث متانة الغلاف ونوعية الورق والألوان ويكون شكل الكتاب جذاباً، ويعبر عن محتواه (التميمي، ٢٠٠٩: ٢٤٦)، ويكون نمط الكتاب مناسباً لعمر المتعلمين وورقه صقيلاً ويفضل أن تكون عناوين الفصول وال فقرات ملونة بلون مختلف عن لون النص، وأن يتضمن النص العدد المناسب من الوسائل التعليمية (الصور، والرسوم التوضيحية والخرائط والرسوم البيانية). (العبادي وآخرون، ٢٠١٢: ١٣٠)، ويجب أن يشتمل الكتاب على فهرس بالمحتويات، وعلى قائمة بالمصادر والمراجع، وقائمة بالمصطلحات الواردة في الكتاب.

ويرى الباحث بعد ان أضحت الجودة الشاملة معياراً أساساً في إصدار الاحكام التقييمية في المجالات عامة، إذ لا بد أن تكون هناك معايير تقويم في ضوء الجودة الشاملة نلتزم بها في مؤسساتنا التربوية؛ من اجل النهوض بالواقع التربوي والتعليمي، وبما أن الكتاب المدرسي يمثل القاعدة التي نستطيع ان نترجم كل ما نحتاجه فيه، إذن لا بد من الكتاب أن يكون على وفق جودة عالية تُرضي أطراف العملية التربوية جميعها.

المحور الثاني: دراسات سابقة

١- دراسة (الحارثية ٢٠٠٨)

(واقع ممارسة مشرفات اللغة العربية بعض اساليب الاشراف التربوي في ضوء معايير الجودة الشاملة) أُجريت هذه الدراسة في المملكة العربية السعودية وكانت تهدف الى معرفة واقع ممارسة مشرفات اللغة العربية بعض أساليب الاشراف التربوي في ضوء معايير الجودة وذلك عن طريق تحديد معايير جودة اساليب الاشراف التربوي على تعليم اللغة العربية، والوقوف على درجة تحقيق هذه الاساليب لمعايير الجودة الشاملة. وقد تكونت عينة البحث من المشرفات التربويات في إختصاص تعليم اللغة العربية بمدينة مكة المكرمة وعددهن (١٨) مشرفة تربوية وبعض معلمات اللغة العربية في المرحلة الثانوية بمدينة مكة المكرمة وعددهن (١٥٨) معلمة.

تم استعمال المنهج الوصفي واستخدمت الباحثة الاستبانة اداة لجمع البيانات والمعلومات من عينة البحث وتم التأكد من صدق الاستبانة بعرضها على مجموعة من الخبراء كما استخدمت معادلة ألفا كرونباخ لاستخراج الثبات وبعد تطبيق الاداة استخدمت مجموعة من الأساليب الإحصائية لتحليل البيانات وقد توصلت هذه الدراسة الى مجموعة من معايير الجودة لأساليب الإشراف التربوي وقد وجدت ان الأساليب الإشرافية لا تحقق معايير الجودة من وجهة نظر المعلمات في حين توصلت الى تحقق تلك المعايير من وجهة نظر المشرفات فضلاً على وجود معوقات تحد من تحقق معايير الجودة من وجهة نظر المعلمات و المشرفات (الحارثية، ٢٠٠٨: ٤ - ٧٤).

٢- دراسة (أبو عنزة ٢٠٠٩)

التي تناولت تقويم كتاب اللغة العربية بهدف التعرف على تقويم كتاب اللغة العربية "المطالعة والأدب والنقد" للصف الثاني عشر في محافظات غزة من وجهة نظر المعلمين في ضوء معايير الجودة. مستخدماً استبانة من إعداد الباحث بغرض جمع المعلومات وأسفرت عن نتائج منها: أن أفضل معايير الكتاب عند المعلمين هو الإخراج الفني للكتاب وتليه طريقة عرض المادة ومن ثم المادة المعروضة.

٣- دراسة (معمار ٢٠١٠):

(مدى تطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة في التدريب التربوي) أُجريت هذه الدراسة في المملكة العربية السعودية- المدينة المنورة وكانت تهدف الى التعرف على مدى تطبيق معايير ادارة الجودة الشاملة في التدريب التربوي من وجهة نظر مشرفي التدريب والمشرفين المتعاونين بمنطقة المدينة المنورة وذلك من خلال الاجابة عن مجموعة من التساؤلات، وقد استخدم الباحث الاستبانة بوصفها اداة لجمع المعلومات وتكونت عينة الدراسة النهائية من (٦٠) فرداً من العاملين في قطاع التربية والتعليم، وقد استعمل مجموعة من الإجراءات الإحصائية في تحليل النتائج وتفسيرها، وتوصلت هذه الدراسة الى ان مبادئ إدارة الجودة الشاملة يمكن تطبيقها في التدريب التربوي الا انها تواجه مشاكل ومعوقات في تطبيقها، و ان مبادئ الجودة الشاملة في التدريب التربوي تمارس بدرجة ضعيفة (معمار، ٢٠١٠: ١٣٠).

٤- دراسة (الزبيدي ٢٠١١)

(تقويم المناهج الدراسية لأقسام اللغة العربية في كليات التربية في الجامعات العراقية في ضوء معايير الجودة الشاملة)

أُجريت هذه الدراسة في العراق جامعة بغداد كلية التربية ابن رشد وكانت تهدف الى تقويم المناهج الدراسية لأقسام اللغة العربية بكليات التربية في الجامعات العراقية في ضوء معايير الجودة الشاملة، استعمل الباحث الاستبانة بوصفها أداة لجمع البيانات من العينة وتضمنت (١٧٣) فقرة وتضمنت معايير كل عنصر ومؤشراته وبسبعة مجالات هي: المرامي، المحتوى، طرائق التدريس واساليبه، الانشطة المصاحبة، التقويم، الاعداد والتأليف، ولغة الكتاب واخراجه. وعرضها على لجنة من المحكمين والخبراء ثم تثبت من صدقها وتمييز فقراتها وثباتها وقد بلغ عدد العينة (٣٠٠) تدريسي من المجتمع الاصلي ثم أجرى التطبيق النهائي للأداة ولغرض تحليل البيانات التي حصل عليها استعمل مجموعة من الاجراءات الاحصائية وقد توصلت هذه الدراسة الى مجموعة من الاستنتاجات منها ان المناهج في قسم اللغة العربية في كليات التربية في العراق لا تتصف بالجودة و لا توجد معايير لمناهج اللغة العربية تتصف بالجودة والمعايير التي وضعتها وزارة التعليم العالي لم تطبق بعد و ان مناهج اقسام اللغة العربية في الجامعات العراقية لا تتصف بالجودة، وهناك قلة اهتمام بالنواحي النفسية والتربوية مثل التنوع والتشويق و التحفيز (الزبيدي، ٢٠١١: ١٧-٢٠٠).

موازنة بين الدراسات السابقة والدراسة الحالية:

اهداف البحث:

هدفت الدراسات السابقة الى اهداف متعددة منها معرفة واقع ممارسة مشرفات اللغة العربية بعض اساليب الاشراف التربوي في ضوء معايير الجودة كدراسة (الحارثية ٢٠٠٨) وهدفت دراسة (معمار ٢٠١٠) الى معرفة مدى تطبيق مبادئ الجودة الشاملة في التدريب التربوي، وهدفت دراسة (الزبيدي ٢٠١١) الى تقويم مناهج الدراسية لأقسام اللغة العربية في ضوء معايير الجودة الشاملة بينما هدفت دراسة بعض الدراسات الى تحديد مدى الاخفاق والنجاح في تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات التعليمية، وكان هدف الدراسة الحالية هو تقويم كتاب اللغة العربية على وفق معايير الجودة الشاملة.

العينات:

استعملت الدراسات السابقة عينات متباينة في الحجم ففي دراسة (الحارثية ٢٠٠٨) بلغت عينة الدراسة (١٨) مشرفة تربوية و(١٥٨) معلمة، وفي دراسة (معمار ٢٠١٠) بلغت عينة الدراسة (٦٠) فردا، في حين بلغت عينة دراسة (الزبيدي ٢٠١١) (٣٠٠) تدريسي، اما الدراسة الحالية فقد بلغت عينتها (١٢٠) مدرسا ومدرسة.

ادوات البحث:

استعملت الدراسات السابقة الاستبانة اداة للبحث وكذلك الدراسة الحالية اعتمدت الاداة نفسها.

نتائج الدراسات:

أكدت معظم نتائج الدراسات السابقة على أهمية الجودة الشاملة ومعاييرها في التعليم، فقد وجدت دراسة (الحارثية ٢٠٠٨) ان الأساليب الإشرافية لا تحقق معايير الجودة من وجهة نظر المعلمات في حين توصلت الى تحقق تلك المعايير من وجهة نظر المشرفات فضلاً على وجود معوقات تحد من تحقق معايير الجودة من وجهة نظر المعلمات و المشرفات، ووجدت دراسة (معمار ٢٠١٠) ان تطبيق معايير الجودة الشاملة كان يتسم بالضعف، و توصلت نتائج دراسة (الزبيدي ٢٠١١) الى عدم توافر معايير الجودة الشاملة في مناهج اقسام اللغة العربية في كليات التربية، كذلك الدراسة الحالية اكدت على اعتماد معايير الجودة الشاملة عند تأليف كتاب قواعد اللغة العربية للصف الاول متوسط.

الفصل الثالث: منهجية البحث وإجراءاته

يتناول هذا الفصل منهج البحث والإجراءات التي اتبعتها الباحثة لتحقيق هدف بحثه وبناء الأداة وصدقها وثباتها، وتحليل الفقرات والوسائل الإحصائية التي استخدمتها في تحليل النتائج. وسيعرضها الباحث على النحو الآتي:

أولاً: منهج البحث:

بما ان الدراسة تهدف إلى "تقويم كتاب اللغة العربية للصف الاول متوسط على وفق معايير الجودة الشاملة" فقد تبني الباحث المنهج الوصفي: وهو احد أشكال التحليل والتفسير العلمي المنظم لوصف ظاهرة او مشكلة محددة وتصويرها كمياً من طريق جمع بيانات او معلومات مقننة عن المشكلة او الظاهرة وتصنيفها وتحليلها وإخضاعها للدراسة الدقيقة (الجبوري، ٢٠١٣: ١٩٧).

ثانياً: مجتمع البحث وعينته:

ويقصد به مجموعة العناصر أو الأفراد الذين يصب عليهم الاهتمام في دراسة معينة او مجموعة المشاهدات أو القياسات التي تجمع من تلك العناصر (عليان وآخرون، ٢٠٠٨: ١٨١)، ويتمثل مجتمع البحث الحالي بمدركسي اللغة العربية ومدرساتها في محافظة كربلاء، ولما كانت المجتمعات الدراسية كبيرة الحجم في الغالب فانه لا يمكن لباحث واحد ان يقوم بدراسة الظاهرة او الحدث في ذلك المجتمع منفرداً لذلك يلجأ لاختيار عينته الدراسية من ذلك المجتمع بحيث تمثل تمثيلاً صادقاً (ملحم، ٢٠١٠: ٢٦٩)، لذا اختار الباحثة عينة من أفراد المجتمع، بلغت (١٢٠) مدرساً ومدرسة.

ثالثاً: أداة البحث:

لأجل تحقيق أهداف البحث لابد من توافر أداة يمكن بواسطتها جمع البيانات ذات العلاقة بالبحث، وقد اختيرت الاستبانة أداة للبحث كونها أفضل وسيلة ثلاثية، وتعرف بانها: "أداة لجمع البيانات المتعلقة بموضوع بحث محددة عن طريق استمارة يجري تعبئتها من قبل المستجيب" ولها أهمية كبيرة في جمع البيانات اللازمة في البحوث التربوية والنفسية (ملحم، ٢٠١٠: ٣٠٧) إذ إنها تتيح مزيداً من الحرية لعينة البحث بالتعبير عن آرائهم، وهي أداة تستعمل على نطاق واسع وكبير لمسح وجمع المعلومات والبيانات عن

- الأفراد، إذ إنها توفر بيانات رقمية منظمة في كثير من الأحيان وان المعلومات التي تجمع من طريقها غالباً ما تتصف بالمرونة وعدم التعقيد. ولإعداد الاستبانة اتبع الباحث الخطوات الآتية:
- توجيه استبانة مفتوحة الى عدد من مدرسي اللغة العربية ومدرساتها، تضمن السؤال الآتي: "ما مدى توافر معايير الجودة الشاملة في كتاب اللغة العربية للصف الاول المتوسط؟".
- الاعتماد على الخلفية النظرية والدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع البحث. ونتيجة للخطوات السابقة تم التوصل الى (٨٠) فقرة بصيغة اولية.

رابعاً: صدق الاداة:

يعد الصدق من الشروط الواجب توافرها في أداة البحث كونه يحدد فيما اذا كانت الأداة تقيس فعلاً ما وضعت لأجله، فضلاً على ملاءمة فقراتها واتساقها مع الغرض الرئيس منها، وفقدان هذا الشرط يعني عدم صلاحية المقياس وهذا يؤدي الى استحالة اعتماد نتائجه ومن أكثر أنواع الصدق الذي يعتمد في هذا المجال هو "الصدق الظاهري" الذي يعرف بأنه: "الشكل العام للأداة او إطارها الخارجي من حيث الموضوعية ووضوح فقراتها وتعليماتها" (المحاسنة وعبد الحكيم مهيدات، ٢٠١٣: ٢١٨)، ولتحقيق هذا النوع من الصدق عرض الباحث أدواته على مجموعة من الخبراء، واعتمدت نسبة ٨٠٪ كحد أدنى لقبول الفقرة في الاداة من عدمها (بلوم، ١٩٨٣، ص ١٢٦)، وكل فقرة حصلت على أدنى من هذه النسبة قام الباحث باستبعادها وعدّلت بعضها بحسب آراء الخبراء.

وفي ضوء آراء الخبراء ومقترحاتهم، عدل الباحث بعض الفقرات، واستبعدت الفقرات التي لم تصل على نسبة (٨٠٪) من اتفاق الخبراء، وبذلك أصبح عدد فقرات الاستبانة بصيغتها النهائية (٧٤) فقرة. وبعد ذلك وضع الباحث إزاء كل فقرة ثلاثة بدائل متدرجة للإجابة وهي (متحققة بدرجة كبيرة) و (متحققة بدرجة متوسطة) و (غير متحققة).

خامساً: ثبات الاداة:

يعد الثبات من الخصائص الأساسية التي ينبغي أن تتوفر في الأداة لكي تكون صالحة للاستعمال، ويقصد به "الاتساق الداخلي في قياس الشيء الذي تقيسه أداة القياس" (ملحم، ٢٠١٠: ٢٤٨) وهناك ثلاثة طرق لحساب معامل الثبات الطريقة الاولى أعادة الاختبار، والثانية الصور المتكافئة، و الثالثة التجزئة النصفية (الإمام، ١٩٩٠: ٥٢)، وقد اعتمد الباحث الطريقة الاولى (اعادة الاختبار) لأنها من أكثر طرائق حساب الثبات شيوعاً، ولتحقيقه اختار الباحث عينة عشوائية (٢٥) مدرسا ومدرسة من خارج عينة البحث الأساسية وبعد مرور أسبوعين من تاريخ التطبيق الأول أعيد تطبيق الأداة على العينة نفسها، وبعد تطبيق معادلة ارتباط بيرسون بين درجات التطبيق الأول والثاني حصل على معامل ارتباط بلغ (٠,٨٣) وهذا يؤكد ان الاداة على درجة عالية من الثبات وبذلك اصبحت الاداة جاهزة للتطبيق.

سادساً: تطبيق الاداة:

طبق الباحث اداته بصيغتها النهائية على افراد عينة البحث الاساس البالغ عددهم (١٢٠) مدرساً ومدرسة للغة العربية في مركز محافظة كربلاء.

سابعا: الوسائل الاحصائية والحسابية:

١. معامل ارتباط بيرسون: لاستخراج معامل ثبات الأداة (العزاوي، ٢٠٠٧: ٩٩).
٢. معادلة الوسط المرجح: لترتيب فقرات الاستبانة ومعرفة جوانب القوة والضعف في كل مجال (عدس، ١٩٨٠: ١٣١).
٣. معادلة الوزن المثوي: وتستعمل لبيان القيمة النسبية لكل فقرة من فقرات الاستبانة لترتيب الفقرات بشكل عام وتفسير النتائج (عطية، ٢٠٠١: ٢٧٥).

الفصل الرابع (نتائج البحث)

اتبع الباحث الخطوات الآتية:

١. حساب تكرارات الإجابات لكل فقرة من فقرات الاستبانة على وفق البدائل الثلاثة، ومعالجتها إحصائياً.
 ٢. اعتماد معادلة الوزن المثوي والوسط المرجح لتحديد الفقرات المتحققة والفقرات غير المتحققة في كل مجال من مجالات الاستبانة، وتم وضع ثلاث درجات (متحققة بدرجة كبيرة) للبديل الاول، ودرجتين للبديل الثاني (متحققة بدرجة متوسطة) درجتان، أما البديل الثالث (غير متحققة) وضعت له درجة واحدة.
 ٣. استخراج متوسط درجات المقياس الثلاثي وكانت قيمته (٢) ليكون محكاً للفصل بين الفقرات المتحققة والفقرات غير المتحققة، وهذا يعني أن الفقرة التي تحصل على وسط مرجح (٢) فما فوق تكون متحققة، أما تلك التي تحصل على أقل من (٢) فتعد فقرة غير متحققة.
 ٤. ترتيب فقرات الاستبانة ترتيباً تنازلياً من حيث الأوساط المرجحة وأوزانها المثوية ضمن كل مجال من مجالات الاستبانة.
- اعتمد الباحث محكاً لتقويم كتاب قواعد اللغة العربية للصف الاول المتوسط ولكل مجال من مجالاتها قدره (٨٠،٠) بعد اخذ رأي عدد من الخبراء في مجال القياس والتقويم الذين اتفقوا على صلاحية هذا المحك في تقويم كتاب قواعد اللغة العربية للصف الاول المتوسط على وفق المعايير التي اعددها الباحث. وسوف نعرض أهم النتائج:

المجال الاول: مقدمة الكتاب

تضمن مجال مقدمة الكتاب على (١٣) معياراً، وقد بينت نتائج الدراسة أن عدد المعايير المتحققة بلغت (٥) وتراوحت اوساطها المرجحة ما بين (٢,٧٠٠) الى (٢,٢٠٤)، واما اوزانها المثوية فقد تراوحت ما بين (٩٠) الى (٧٣,٤٦)، واما غير المتحققة فقد بلغت (٨) وكانت اوساطها المرجحة بين (١,٥٤٠) الى (١,١١٠)، واما اوزانها المثوية فقد تراوحت ما بين (٥١,٣٣) الى (٣٧)، بحسب الجدول (١).

جدول (١) المعايير في مجال مقدمة الكتاب

ت	الفقرات المعيارية	الوسط المرجح	الوزن المثوي	الملاحظات

١	تبين الرأي التربوي الذي بنى عليه الكتاب	٢,٧٠٠	٩٠	متحققة
٢	تعطى فكرة موجزة عن محتوياته	٢,٥٠٠	٨٣,٣٣	متحققة
٣	تثير دافعية الطلبة وتحفزهم لقراءة موضوعات الكتاب	٢,٤٢٨	٨٠,٩٣	متحققة
٤	تتصف بالوضوح والابتعاد عن التعقيد	٢,٢٠٥	٧٣,٥	متحققة
٥	تبين أهمية الكتاب للمدرس والطلبة	٢,٢٠٤	٧٣,٤٦	متحققة
٦	تحدد مصادرها التعلم الأخرى المساعدة والمساندة	١,٥٤٠	٥١,٣٣	غير متحققة
٧	تشير الى عدد موضوعات الكتاب	١,٤٧٩	٤٩,٣	غير متحققة
٨	تتضمن أهداف تدريس المادة	١,٤٤٣	٤٨,١	غير متحققة
٩	تبين الجهود التي ينبغي ان يقوم بها المدرس	١,٢٠٩	٤٠,٣	غير متحققة
١٠	تشير الى ارشادات تساعد الطلبة في استعمال الكتاب	١,١٥٣	٣٨,٤٣	غير متحققة
١١	تشير الى ارشادات تساعد المدرس في استعمال الكتاب	١,١٤٧	٣٨,٢٣	غير متحققة
١٢	توجه الطلبة الى مراجعة مصادرها التعلم الأخرى المساعدة والمساندة	١,١٢٧	٣٧,٥٦	غير متحققة
١٣	تبين الجهود التي ينبغي ان يقوم بها الطلبة	١,١١٠	٣٧	غير متحققة

الجدول في الأعلى يتضح منه أن نسبة المعايير المتحققة بلغت (٣٨٪) وهي اقل من درجة المحك المعتمد في هذه الدراسة البالغ (٨٠٪)، وهذا يعني أن مقدمة كتاب اللغة العربية للصف الاول المتوسط لم تتحقق فيها معايير الجودة. وقد يُعزى ذلك الى عدم عناية المؤلفين بمقدمة الكتاب وافتقاره الى التوجيهات والارشادات التي تساعد المدرس والطالب في استخدام الكتاب، ويؤكد (مرعي والحيلة) أنّ مقدمة الكتاب يفضل أن تتبع أسلوب الحوار الذاتي مع الطالب والمعلم وتشتمل على الأهداف التعليمية العامة التي سيحققها تعلم مادة الكتاب المدرسي، وتشير الى الوحدات التعليمية والموضوعات الرئيسة التي تعالجها مادة الكتاب المدرسي من أنشطة وتدريبات وأسئلة التقويم الذاتي، وتحدد مصادرها التعلم المساعدة والساندة، وتبين المبادئ التربوية والنفسية التي روعيّت في تأليف الكتاب وتنظيم المحتوى. (مرعي والحيلة، ٢٠٠٤: ٢٦٠)، كما أن المقدمة لم تقترح مجموعة من طرائق التدريس المناسبة للمادة الدراسية، ويُعزى ذلك الى اعتماد مؤلفي الكتاب على المدرسين والمدرسات في تحديد أو اختيار الطريقة المناسبة للموضوع.

المجال الثاني: محتوى الكتاب

ويحتوي هذا المجال على (١٨) معياراً، وقد أوضحت نتائج الدراسة أن المعايير المتحققة في هذا المجال بلغت (١٥) معياراً وتراوحت اوساطها المرجحة ما بين (٢,٧١٥) الى (٢,١٧٥)، واما اوزانها المئوية فقد تراوحت ما بين (٩٠,٥) الى (٧٢,٥)، واما غير المتحققة فقد كان عددها (٣) معايير وتراوحت اوساطها ما بين (١,٢١٩) الى (١,١٩٨)، واما اوزانها المئوية فقد تراوحت ما بين (٤٠,٦٣) الى (٣٩,٩٣)، وكما موضح في الجدول (٢).

جدول (٢) المعايير في مجال محتوى الكتاب

ت	الفقرات المعيارية	الوسط المرجح	الوزن المئوي	الملاحظات
١	يكثر من الامثلة التي تساعد على فهم المادة	٢,٧١٥	٩٠,٥	متحققة
٢	ينتهي كل موضوع بخلاصة مناسبة ترتبط بالأهداف التعليمية للمادة	٢,٧٠٠	٩٠	متحققة
٣	يراعي تنظيم المادة الدراسية على شكل عناوين رئيسة وأخرى فرعية	٢,٦٨٩	٨٩,٦	متحققة
٤	يراعي تسلسل المعلومات وتربطها منطقياً	٢,٦٧٠	٨٩	متحققة
٥	يتدرج بالمادة من الصعوبة الى السهولة	٢,٦٥٣	٨٨,٤٣	متحققة
٦	يتصف بتتابع الافكار والمعلومات وتماسكها	٢,٤٤٨	٨١,٦	متحققة
٧	ينمي انواع متعددة من مهارات التفكير لدى الطلبة	٢,٤٣٧	٨١,٢٣	متحققة
٨	يتصف بالحدثة ومسايرته للتطورات العلمية	٢,٤٣٠	٨١	متحققة
٩	مناسب لعدد الحصص المخصصة لتدريسه	٢,٣٧٠	٧٩	متحققة
١٠	يشجع على مراعاة الفروق الفردية والخصائص النمائية للطلبة	٢,٣٠٠	٧٦,٦	متحققة
١١	يرتبط مع مستوى تأهيل الطلبة وحاجاتهم وقدراتهم	٢,٢٩٠	٧٦,٣٣	متحققة
١٢	يراعي جوانب التعلم المعرفية	٢,٢٨٠	٧٦	متحققة
١٣	يتميز بالواقعية في تلبية رغبة الطلبة	٢,٢٠٠	٧٣,٣٣	متحققة

١٤	يحقق التوازن بين الجوانب النظرية والتطبيقية	٢,١٨٠	٧٢,٦٦	متحققة
١٥	يسهم في تحقيق الاهداف العامة للمادة	٢,١٧٥	٧٢,٥	متحققة
١٦	يراعي جوانب التعلم المهارية	١,٢١٩	٤٠,٦٣	غير متحققة
١٧	يراعي جوانب التعلم الوجدانية	١,٢٠٩	٤٠,٣	غير متحققة
١٨	ينمي مهارة التعلم الذاتي	١,١٩٨	٣٩,٩٣	غير متحققة

يتضح من الجدول (٢) أن نسبة المعايير المتحققة في هذا المجال بلغت (٨٣٪) وهي أعلى من (٨٠٪) التي تمثل درجة المحك وهذا يعني أن مجال محتوى كتاب اللغة العربية للصف الأول المتوسط تتحقق فيه معايير الجودة، ويعد المحتوى روح المنهج الدراسي والعنصر الذي تدور حوله بقية عناصر الكتاب من أنشطة وأساليب تقويم، فمن الضروري أن تكون العلاقة واضحة بين محتوى الكتاب وتنظيمه، وأن يتصف بالحدثة والعمق والشمول، وهذا ما أكدته (الهاشمي وعطية) في أن يحتوي الكتاب المدرسي على حقائق ومعلومات ومفاهيم ملائمة لمستويات الطلبة الثقافية والعلمية. (الهاشمي وعطية، ٢٠١١: ٩٢).

المجال الثالث: الأنشطة (الأمثلة- التمرينات)

تضمن مجال الأنشطة (الأمثلة- التمرينات) على (٢٠) معياراً، وكان عدد المتحقق منها (١٦) معياراً وتراوحت اوساطها المرجحة ما بين (٢,٨٠٠) الى (٢,١٢٠)، واما اوزانها المئوية فقد تراوحت ما بين (٩٣,٣٣) الى (٧٠,٦٦)، واما غير المتحققة فقد بلغت (٤) معايير وتراوحت اوساطها المرجحة ما بين (١,١٧٨) الى (١,١٠٠)، واما اوزانها المئوية فقد تراوحت ما بين (٣٩,٢٦) الى (٣٦,٦٦)، وكما مبين في الجدول (٣).

جدول (٣) المعايير في مجال الأنشطة (الأمثلة- التمرينات)

ت	الفقرات المعيارية	الوسط المرجح	الوزن المئوي	الملاحظات
١	تتنوع في الموضوع الواحد	٢,٨٠٠	٩٣,٣٣	متحققة
٢	ترتبط بمحتوى الموضوعات	٢,٧٧٥	٩٢,٥	متحققة
٣	للطالب دور واضح ومحدد	٢,٧١٤	٩٠,٤٦	متحققة
٤	تناسب مع وقت الدرس	٢,٦٥٣	٨٨,٤٣	متحققة
٥	تناسب مع المستوى العقلي للطلبة	٢,٤٤٨	٨١,٦	متحققة
٦	تساعد المدرس التعرف على مدى تحقق الاهداف التعليمية	٢,٤٢٨	٨٠,٩٣	متحققة
٧	ترتبط بالأهداف الخاصة بالوحدة التعليمية	٢,٢٠٥	٧٣,٥	متحققة
٨	تتميز بالوضوح والدقة	٢,٢٠٤	٧٣,٤٦	متحققة
٩	تناسب مع اهتمامات وميول الطلبة	٢,٢٠٠	٧٣,٣٣	متحققة

١٠	توفر للطلاب التغذية الراجعة الفورية	٢,١٩٥	٧٣,١٦	متحققة
١١	تساعد المدرس التعرف على خبرات الطلبة السابقة	٢,١٨٠	٧٢,٦٦	متحققة
١٢	قابلية للتطبيق والتنفيذ في اطار الامكانيات المتوافرة في بيئة الطالب	٢,١٧٥	٧٢,٥	متحققة
١٣	يراعي الفروق الفردية بين الطلبة	٢,١٦٠	٧٢	متحققة
١٤	تثير انواع من مهارات التفكير لدى الطلبة	٢,١٤٥	٧١,٥	متحققة
١٥	يقيس الجوانب المعرفية	٢,١٣٢	٧١,٠٦	متحققة
١٦	يربط خبرات الطالب السابقة بالخبرات الجديدة	٢,١٢٠	٧٠,٦٦	متحققة
١٧	يقيس الجوانب المهارية	١,١٧٨	٣٩,٢٦	غير متحققة
١٨	تثير دافعية الطلبة للتعلم الذاتي	١,١٥٣	٣٨,٤٣	غير متحققة
١٩	يقيس الجوانب الوجدانية	١,١٢٧	٣٧,٥٦	غير متحققة
٢٠	بعضها ينجز خارج الصف او المدرسة	١,١٠٠	٣٦,٦٦	غير متحققة

يتضح من الجدول (٣) أن عدد المعايير المتحققة في مجالات الانشطة (الامثلة- التمرينات) بلغت (٨٠٪) وهي ضمن درجة المحك المعتمد، وهذا يعني أن كتاب اللغة العربية للصف الاول المتوسط تتحقق فيه معايير الجودة في مجال الانشطة (الامثلة- التمرينات)، من حيث أنها تتنوع في الموضوع الواحد وترتبط بمحتوى الموضوعات وبالأهداف الخاصة بالوحدة التعليمية وللطالب دورٌ واضح ومحدد، إذ توفر له التغذية الراجعة الفورية، كما أنها تساعد المدرس التعرف على خبرات الطلبة السابقة، وهذا نابع من إهتمام المؤلفين بالفروق الفردية بين الطلبة، وربط الخبرات السابقة بالخبرات اللاحقة، وهذا هدف المنهج التكاملي.

المجال الرابع: لغة الكتاب

تضمن مجال لغة الكتاب على (٨) معايير، عدد المتحقق منا (٧) معايير وتراوحت اوساطها المرجحة ما بين (٢,٦٠٠) الى (٢,١١٦)، واما اوزانها المئوية فقد تراوحت ما بين (٨٦,٦٦) الى (٧٠,٥٣)، واما عدد المعايير غير المتحققة قد بلغت (١) معيار بوسط مرجح (١,٤١٥) ووزن مئوي (٤٧,١٦) وبين الجدول (٤) ذلك.

جدول (٤) المعايير في مجال لغة الكتاب

ت	الفقرات المعيارية	الوسط المرجح	الوزن المئوي	الملاحظات
١	خالي من الاخطاء آلية	٢,٦٠٠	٨٦,٦٦	متحققة
٢	تهتم بعلاجات الترتيب	٢,٦٥٣	٨٨,٤٣	متحققة
٣	تتميز بالسهولة والوضوح	٢,٤٢٨	٨٠,٩٣	متحققة

٤	سليمة من حيث بناء الجمل والعبارات وتراكيبها	٢,٢٠٥	٧٣,٥	متحققة
٥	توفر عنصر التشويق	٢,٢٠٤	٧٣,٤٦	متحققة
٦	مناسبة لخصيلة الطالب اللغوية	٢,٢٠٠	٧٣,٣٣	متحققة
٧	تخلو من الحشو المخل بالمعنى	٢,١١٦	٧٠,٥٣	متحققة
٨	تراعى توحيد المصطلحات العلمية	١,٤١٥	٤٧,١٦	غير متحققة

يتضح من الجدول (٤) عدد المعايير المتحققة في هذا المجال بلغت (٨٧٪) وهي أعلى من درجة المحك المعتمد، وهذا يعني أن مجال لغة الكتاب في كتاب اللغة العربية للصف الأول المتوسط تحققت فيه معايير الجودة. وتشير هذه النتيجة الى تفهم المؤلفين أن لغة الكتاب لها دور كبير في إيصال المادة العلمية الى اذهان الطلبة.

المجال الخامس: مجال الاخراج الفني للكتاب

تضمن هذا مجال على (١٥) معياراً، وقد وكان عدد المعايير المتحققة (٨) معايير وكانت اوساطها المرجحة بين (٢,٧٠٠) الى (٢,٢١٥)، واما اوزانها المئوية فقد تراوحت ما بين (٩٠) الى (٧٣,٨٣)، واما غير المتحققة قد بلغت (٧) معايير وتراوحت اوساطها المرجحة ما بين (١,٦٣٥) الى (١,١٥٣)، واما اوزانها المئوية فقد تراوحت ما بين (٥٤,٥) الى (٣٨,٤٣)، كما في الجدول (٥).

جدول (٥) المعايير في مجال الاخراج الفني للكتاب

ت	الفقرات المعيارية	الوسط المرجح	الوزن المئوي	الملاحظات
١	عناوينه الرئيسة والفرعية واضحة	٢,٧٠٠	٩٠	متحققة
٢	يناسب حجمه العمر الزمني للطلبة	٢,٦٩٠	٨٩,٦٦	متحققة
٣	طباعته جيدة	٢,٦٥٣	٨٨,٤٣	متحققة
٤	تتمايز العناوين الرئيسة والفرعية من حيث حجم الحرف واللون	٢,٤٤٨	٨١,٦	متحققة
٥	ال صورة الموجودة على الغلاف الخارجي تعبر عن موضوعه	٢,٤٢٨	٨٠,٩٣	متحققة
٦	يتميز لون الورق المستعمل فيه بالجودة وكذلك وزنه وملمسه	٢,٢٠٥	٧٣,٥	متحققة
٧	يتصف غلافه الخارجي بالقوة والمتانة	٢,٢٠٤	٧٣,٤٦	متحققة
٨	تناسب فيه المسافة بين السطور والكلمات	٢,٢١٥	٧٣,٨٣	متحققة
٩	تكون فصول الكتاب منظمة ومتناسقة	١,٦٣٥	٥٤,٥	غير متحققة

١٠	تتوافر فيه الهوامش المساعدة على توضيح المفاهيم	١,٥٤٠	٥١,٣٣	غير متحققة
١١	يخلو من الأخطاء المطبعية	١,٥٣٥	٥١,١٦	غير متحققة
١٢	يتميز عنوانه بالوضوح والاختصار	١,٤٧٩	٤٩,٣	غير متحققة
١٣	تستعمل في طباعته ألوان مناسبة وجذابة	١,٣٤١	٤٤,٧	غير متحققة
١٤	يتضمن قائمة بأسماء المراجع والمصادر المستعملة فيه	١,١٧٨	٣٩,٢٦	غير متحققة
١٥	أسماء المراجع والمصادر المستعملة فيه مرتبة وفق الحروف الهجائية	١,١٥٣	٣٨,٤٣	غير متحققة

يتضح من الجدول (٥) عدد المعايير التي تحققت في مجال الإخراج الفني بلغت (٥٣٪) وهي أقل من درجة المحك، وهذا يعني أن مجال الإخراج الفني لكتاب اللغة العربية للصف الأول المتوسط لم تتحقق فيه معايير الجودة، حيث لم تتوافر فيه الهوامش المساعدة على توضيح المفاهيم ووجود بعض الأخطاء المطبعية، ولم يتضمن الكتاب قائمة بأسماء المراجع والمصادر المستعملة فيه.

الفصل الخامس: (الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات)

الاستنتاجات:

١. في ضوء نتائج البحث استنتج الباحث ما يأتي:
١. أن معايير الجودة لم تتوافر بشكل كامل في كتاب اللغة العربية للصف الأول المتوسط.
٢. يفتقر الكتاب إلى مقدمة يكون فيها الهدف من تدريس الكتاب واضحاً.
٣. إنَّ محتوى الكتاب قد تحققت فيه معايير الجودة على الرغم من أنه يعاني بعض نقاط الضعف والقصور في بعض فقراته.
٤. أنَّ لغة الكتاب جيدة وقد حققت معايير الجودة، لكنها بحاجة إلى تعديل وإعادة صياغة في بعض فقراتها.
٥. إنَّ شكل الكتاب وإخراجه الفني بحاجة إلى الاعتناء به ليزيد من تشويق الطلبة إليه.

التوصيات:

١. إنَّ مراجعة الكتاب وتقومه ثم تطويره، يُعدُّ من العمليات المفيدة لمعرفة مدى تناسب الكتاب مع كفايات الطلبة وهي عملية يجب أن تكون مستمرة طالما إنَّ عملية التعليم والتعلم في هذا الكتاب مستمرة.
٢. أن يهتم المدرس بتعليم المهارات الأربع التي تمثل الأهداف الأساسية في تعليم اللغة العربية، ألا وهي مهارة الاستماع، والكلام، والقراءة، والكتابة على حد سواء.
٣. ضرورة الأخذ بآراء مدرسي اللغة العربية ومدرساتها في تحسين هذا الكتاب وإشراكهم في لجان التأليف والتطوير.

٤. تطوير دروس اللغة العربية بحيث تكون شاملة للمناقشة والكتابة وأسلوب الفهم والتعبير.
٥. ضرورة إجراء عمليات التقويم والتطوير والتعديل لكتب اللغة العربية ضمن خطوات مدروسة، وضمن لجان من المختصين في المادة، والعلوم التربوية والنفسية، وطرائق التدريس والتربية وعلم الاجتماع.

المقترحات:

١. تقويم كتاب اللغة العربية للصف الثاني المتوسط على وفق معايير الجودة، لأنه مؤلف حديثاً على وفق المنهج التكاملي.
٢. إجراء دراسة مقارنة بين طريقة المنهج التكاملي في العراق وبين طريقة المنهج التكاملي في البلاد العربية في تدريس كتب اللغة العربية للصف الأول المتوسط والثاني المتوسط في ضوء معايير الجودة الشاملة.
٣. تقويم الأسئلة والتمرينات الخاصة بكتاب اللغة العربية للمرحلة المتوسطة في ضوء معايير الجودة الشاملة.

المصادر:

١. أبوعنزة، يوسف عوض عبد الرحمن "دراسة تقويمية لكتاب اللغة العربية للصف الثاني عشر في محافظات غزة من وجهة نظر المعلمين في ضوء معايير الجودة". رسالة ماجستير غير منشورة. الجامعة الإسلامية. غزة فلسطين، ٢٠٠٩م.
٢. أحمد، حافظ فرج. الجودة الشاملة في المؤسسات التربوية، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، ٢٠٠٧م.
٣. الامام، مصطفى محمد، وآخرون. القياس والتقويم، دار الحكمة، بغداد، العراق، ١٩٩٠ م.
٤. بلوم، بنيامين وآخرون. تقييم تعلم الطالب التجميعي والتكويني، ترجمة محمد أمين المفتي وآخرون، مطابع المكتب المصري الحديث، القاهرة. ١٩٨٣م.
٥. البيلاوي، حسن حسين وآخرون، الجودة الشاملة في التعليم، ط ١، دار المسيرة، عمان، الأردن، ٢٠٠٨م.
٦. التميمي، عواد جاسم، المنهج وتحميل الكتاب، ط ١، دار الحوار، بغداد- العراق، ٢٠٠٩م.
٧. الجبوري، حسين محمد جواد. منهج البحث العلمي مدخل لبناء المهارات البحثية، ط ١، دار الصفاء، عمان- الاردن، ٢٠١٣م، (اطروحة دكتوراه غير منشورة).
٨. جمهورية العراق، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. المقاييس النوعية والمؤشرات الكمية لضمان الجودة والاعتمادية للجامعات العراقية، اعداد قسم الجودة والاعتماد الاكاديمي وفق مؤشرات ومقاييس اتحاد الجامعات العربية، ٢٠١٠م.
٩. الحارثية، رماء عايض علي. واقع ممارسة مشرفات اللغة العربية بعض اساليب الاشراف التربوي في ضوء معايير الجودة الشاملة، المملكة العربية السعودية، جامعة ام القرى، كلية التربية، ٢٠٠٨م، (رسالة ماجستير غير منشورة).

١٠. الحري، رافدة. الجودة الشاملة في المناهج وطرق التدريس، ط ١، دار المسيرة، عمان- الأردن، ٢٠١٠م.
١١. -، الجودة الشاملة في المناهج وطرق التدريس، ط ١، دار المسيرة، عمان- الأردن، ٢٠١١م.
١٢. حلس، سالم عبدالله، تحليل الاتجاهات للمناهج، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
١٣. حمادات، محسن حسن، المناهج التربوية، نظرياتها ومفهومها، دار الحامد، عمان، الأردن، ٢٠٠٨م.
١٤. خالد ونزيه. الجودة في الإدارة التربوية والمدرسة والاشراف التربوي، ط ١، دار أسامة ودار المشرق الثقافي، عمان - الاردن، ٢٠٠٦ م.
١٥. الخياط، ماجد محمد، اساسيات القياس والتقويم في التربية، دار الراية، عمان، ٢٠٠٩م.
١٦. الدليمي، طه علي حسين والواللي، سعادة عبد الكريم عباس: اللغة العربية مناهجها وطرائق تدريسها. عمان: دار الشروق، ٢٠٠٣م.
١٧. دياب، سيهل، تطوير اداة لقياس جودة الكتاب المدرسي وتوظيفها في قياس جودة كتب المناهج الفلسطينية، بحث منشور في مجلة المؤتمر الأول لكمية التربية جامعة الأقصى، غزة، ٢٠٠٦م.
١٨. الزبيدي، رائد يونس. تقويم المناهج الدراسية لاقسام اللغة العربية في كليات التربية في الجامعات العراقية في ضوء معايير الجودة الشاملة، العراق، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد ٢٠١١م.
١٩. سعيد، عبد الله، جودة الكتاب الجامعي وآفاق تطوير، دراسة مقدمة الى الندوة الوطنية لتطوير المناهج والاختصاصات التي تنظمها وزارة التعليم العالي في جامعة حلب، ٢٠٠٧م.
٢٠. شحاته، حسن. المناهج الدراسية بين النظرية والتطبيق، ط ٣، الناشر مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣م.
٢١. الصمادي، عبدالله، القياس والتقويم النفسي، ط ١، دار وائل للنشر، الاردن، ٢٠٠٤م.
٢٢. العبادي، رفيف ناصر وآخرون، المنهج والكتاب المدرسي، ط ١ دار الأمير، بغداد- العراق، ٢٠١٢م.
٢٣. عدس، عبد الرحمن. مبادئ الإحصاء في التربية وعلم النفس، ج ١، ط ٢، منشورات مكتبة النهضة الإسلامية، عمان، ١٩٨٠م.
٢٤. العزاوي، رحيم يونس. القياس والتقويم في العملية التدريسية، ط ١، دار دجلة، عمان، ٢٠٠٧م.
٢٥. عطية، السيد عبد الحميد. التحليل الاحصائي وتطبيقاته في دراسة الخدمة الاجتماعية، ط ١، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، ٢٠٠١م.
٢٦. عطية، محسن علي: الكافي في أساليب تدريس اللغة العربية، عمان: دار الشروق، ٢٠٠٦م.
٢٧. -، المناهج الحديثة وطرائق التدريس، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٨م.
٢٨. علي، محمد السيد. موسوعة المصطلحات التربوية، ط ١، دار المسيرة، عمان- الاردن، ٢٠١١م.
٢٩. علي ونادية حسن السيد. تصور مقترح لتطوير نظام تعليم البنات بالمملكة العربية السعودية في ضوء معايير الجودة الشاملة مستقبل التربية العربية، مصر، ٢٠٠٢م.

- تقويم كتاب اللغة العربية للصف الأول المتوسط على وفق معايير جودة الكتاب المدرسي
٣٠. عليان، ربحي م مصطفى، وآخرون. اساليب البحث العلمي وتطبيقاته في التخطيط والادارة، ط١، دار الصفاء، عمان- الاردن، ٢٠٠٨م.
٣١. فتح الله، عبد الكريم. معلم الصف كفاياته، مسؤولياته، نموه المهني، مكتبة دار طلاس للنشر، دمشق، ٢٠٠٧م.
٣٢. لافي، سعيد عبد الله. تنمية مهارات اللغة العربية، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠١٢م.
٣٣. المحاسنة، ابراهيم محمد، وعبد الكريم مهيدات. القياس والتقويم الصفي، ط١ دار جرير، عمان- الاردن، ٢٠١٣م.
٣٤. مرعي، توفيق أحمد، ومحمد محمود الحيلة، المناهج التربوية الحديثة، ط١، دار المسيرة، عمان، الأردن، ٢٠٠٤م.
٣٥. -، المناهج التربوية الحديثة، مفاهيمها وعناصرها وأسسها وعملياتها، ط١، دار المسيرة، عمان، الأردن، ٢٠٠٩م.
٣٦. معمار، صلاح صالح درويش، مدى تطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة في التدريب التربوي، المملكة العربية السعودية، جامعة كولمبوس الامريكية، كلية ادارة الموارد البشرية، ٢٠١٠م. (اطروحة دكتوراه غير منشورة).
٣٧. ملحم، سامي محمد. مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ط٦، دار المسيرة، عمان- الاردن، ٢٠١٠م.
٣٨. الهاشمي، عبد الرحمن، ومحسن علي عطية، تحليل مضمون المناهج الدراسية، ط١، دار صفاء، عمان- الأردن، ٢٠١١م.
٣٩. وزارة التربية، الفلسفة التربوية، المديرية العامة للمناهج، العراق، ٢٠٠٨م.
٤٠. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، المقاييس النوعية والمؤشرات الكمية، لضمان الجودة والاعتمادية للجامعات العراقية، اعداد قسم الجودة والاعتماد الاكاديمي وفق مؤشرات وقاييس اتحاد الجامعات العربية، ٢٠١٠م.

العلاقة بين سعر الصرف وبعض المتغيرات الحقيقية في العراق للمدة

(١٩٩٠-٢٠١٦)

The Relationship between the Exchange Rate and the Real changes in Iraq from 1990 to 2016

أ.م.د. سوسن كريم هودان الجبوري^(١)

Assist. Prof. Sawsan Kareem H. Al-Jaboory

Kasim saad Sagban

قاسم سعد صكبان^(٢)

المستخلص

اصبح موضوع سعر الصرف اليوم من المواضيع التي تحظى بعناية العديد من الباحثين في مختلف ميادين العلاقات الاقتصادية الدولية، نظرا للتطور الحاصل في العلاقات الاقتصادية الدولية بين مختلف دول العالم الأمر الذي جعل من اختيار نظام الصرف الملائم وكيفية تحديده هدفاً للباحثين في ظل ظروف الاستقرار وعدم الاستقرار الاقتصادي التي تمر بها دول العالم، ونتيجة لذلك كان هناك العديد من النظريات التي تناولت موضوع سعر الصرف وكيفية تحديده والعوامل المؤثرة فيه.

Abstract

The theme of the exchange rate today is one of the subjects that many researchers in various fields of international economic relations have been carefully considering. The development of international economic relations between the different countries of the world has made the choice of an appropriate exchange system and how to define it as a goal for researchers under conditions of stability and economic instability. Which are going

١- جامعة القادسية/ كلية الإدارة والاقتصاد.

٢- جامعة القادسية/ كلية الإدارة والاقتصاد.

through the countries of the world, and as a result there were many theories that dealt with the subject of the exchange rate and how to determine the factors affecting it.

المقدمة

نظرا لما يشهده العالم من تغيرات كبيرة في العلاقات الاقتصادية الدولية وزيادة اتساعها ونموها نتيجة التطور في الإنتاج العالمي للسلع والخدمات والتوجهات المستمرة نحو حرية التجارة والانفتاح على العالم عبر ما يسمى بالعملة الاقتصادية، وأصبح للتيار النقدي أهمية في التبادل، وهذا التبادل لا يمكن أن يتم دون أن يقابله تيار نقدي وبما أن لكل بلد من بلدان العالم عملته الخاصة به أصبح لسعر الصرف الدور المهم والأساس في أتمام عمليات التبادل بين هذه البلدان، حتى أولت السلطات النقدية لسعر الصرف الاهتمام الكبير الخاص لاسيما في البلدان التي تعاني من ندرة مواردها في مجال العملات الأجنبية، لأن قوة واستقرار الاقتصاد الوطني لأي بلد يرتبط ارتباطا وثيقا بسعر صرف عملته الوطنية أمام العملات الأجنبية، لذلك أصبح من أولويات أهداف السياسة النقدية في مختلف دول العالم استقرار سعر صرف العملة المحلية لها.

مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة البحث في السؤال التالي: (كيف تؤثر بعض المتغيرات الاقتصادية الحقيقية في سعر صرف الدينار العراقي مقابل الدولار الأمريكي، وأي منها أكبر تأثيراً؟...)، وهذا ما يتطلب التركيز على البحث في مجال تلك العوامل للوقوف على المشكلة ووضع العلاجات المناسبة لها وبما يضمن استقرار سعر الصرف للعملة الوطنية.

فرضية البحث:

ينطلق البحث من فرضية مفادها:

"يتأثر سعر الصرف بعوامل حقيقية أدت إلى عدم استقراره وكان للعوامل الحقيقية المتمثلة بـ (الناتج المحلي الإجمالي، والتضخم، والميزان التجاري) الدور الحاسم في ذلك.

هدف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق جملة من النقاط يمكن إيجازها بالآتي:

- ١- الوقوف على واقع سعر صرف الدينار العراقي والعوامل الحقيقية المؤثرة فيه خلال مدة الدراسة.
- ٢- تحليل العلاقة النظرية بين سعر الصرف وبعض العوامل الحقيقية المؤثرة فيه.
- ٣- قياس اثر بعض المتغيرات الاقتصادية الحقيقية على سعر صرف الدينار العراقي للمدة (١٩٩٠ - ٢٠١٦).

حدود البحث:

الحدود المكانية: العراق

الحدود الزمانية: المدة (١٩٩٠-٢٠١٦)

هيكلية البحث:

من اجل تغطية موضوع البحث فقد قسم البحث على ثلاثة مباحث، خصص المبحث الأول لتأطير نظري ومفاهيمي لسعر الصرف والعوامل الحقيقية المؤثرة فيه، أما المبحث الثاني فخصص للتحليل الوصفي لسعر الصرف والعوامل الحقيقية المؤثرة فيه في العراق للمدة (1990-2016) والمبحث الثالث خ صص للتحليل الكمي للعلاقة بين سعر الصرف وبعض العوامل الحقيقية المؤثرة فيه في العراق للمدة (١٩٩٠-٢٠١٦).

المبحث الأول: الاطار النظري لسعر الصرف وبعض العوامل الحقيقية المؤثرة فيه

أولاً: مفهوم سعر الصرف

هناك أراء مختلفة بشأن سعر الصرف، وان كانت جميعها تصب في معنى واحد، اذ يمكن تعريف سعر الصرف بأنه "عبارة عن عدد الوحدات التي يجب دفعها من عملة معينة للحصول على وحدة من عملة أخرى" (٣).

ويرى آخرون بأنه "سعر الوحدة من النقد الأجنبي معبرا عنه بوحدات من العملة الوطنية" (٤).

ثانياً: العوامل الحقيقية المؤثرة في سعر الصرف

١. الناتج المحلي الإجمالي

يعد الناتج المحلي الإجمالي من أهم المتغيرات المعبرة عن مقدار النمو الاقتصادي لأي بلد وذلك لكونه يعكس التطورات في بنية الاقتصاد من حيث بنية القطاعات الاقتصادية التي يحتويها، إذ إن النمو في الناتج يولد طلباً إضافياً على العملة الوطنية وتحسين الحساب الجاري وبالتالي انخفاض سعر الصرف الأجنبي مقابل العملة المحلية، وتمثل العملة الوطنية انعكاساً مباشراً للناتج المحلي الإجمالي، إذ إن المقدار الكامل للمال في البلد مساوي للمقدار الكلي للناتج الاقتصادي، بمعنى أنه كلما ارتفع الناتج المحلي الإجمالي ازدادت قوة العملة والمقدرة الشرائية وإذا كان هناك نمو في الناتج المحلي الإجمالي للبلد فإن أفضل قرار يكون بشراء العملة الوطنية لأن قيمتها ستزداد عبر الزمن فقد تأكد بأن البلد سيشهد نمواً في السنوات القادمة، وهذا يدل على أن العلاقة بين الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الثابتة وسعر الصرف الأجنبي هي علاقة عكسية. (٥)

٣- عادل احمد حشيش، العلاقات الاقتصادية الدولية، الإسكندرية، دار الجامعة الجديدة للنشر، ٢٠٠٠، ص ٢٢٢.
٤- ماهر كنج شكري، مروان عوض، المالية العامة- العملات الأجنبية والمشتقات المالية بين النظرية والتطبيق، ط ١، عمان، معهد الدراسات المصرفية، ٢٠٠٤، ص ٢٠٧.
٥- نجلة شمعون شليمون، تحليل العوامل المحددة لاتجاهات سعر صرف الدينار العراقي مقابل الدولار الامريكي، البنك المركزي العراقي، دائرة الاحصاء والابحاث، مجلة الدراسات النقدية، العدد ١، ٢٠١٧، ص ٥.

٢. التضخم

يعد التضخم من العوامل الحقيقية المؤثرة في سعر الصرف الأجنبي، والعلاقة بين التضخم وسعر الصرف تأتي من ارتفاع المستوى العام للأسعار المحلية مقارنة بالمستوى الأسعار العالمية، فيؤدي إلى زيادة الاستيرادات وانخفاض الصادرات وبالتالي زيادة الطلب على النقد الأجنبي وانخفاض العرض منه، مما يدفع بسعر الصرف الأجنبي إلى الارتفاع وانخفاض قيمة العملة الوطنية.^(٦) كما ان الارتفاع في المستويات العامة للأسعار (التضخم) سيؤدي إلى لجوء الأفراد بزيادة طلبهم على العملة الأجنبية لفقدانهم الثقة بالعملة الوطنية، للمحافظة على القوة الشرائية لثرواتهم والهروب من ضريبة التضخم وضعف القوة الشرائية وهذا ما يطلق عليه بمصطلح (الدولة) وان هذه العملية تعني زيادة الطلب على العملة الأجنبية يقابلها زيادة في عرض العملة الوطنية، مما يؤدي إلى تدهور قيمة العملة الوطنية.

٣. الميزان التجاري

لسعر الصرف دور مهم وفاعل في تحقيق التوازن في ميزان المدفوعات، فعندما يكون ميزان المدفوعات في حالة عجز، فهذا يعني زيادة الطلب المحلي على العملات الأجنبية يقابله انخفاض الطلب الأجنبي على العملات المحلية، وبالتالي انخفاض قيمة العملة المحلية وزيادة سعر الصرف الأجنبي، مما يجعل من السلع المحلية ذات أسعار منخفضة مقارنة بالسلع الأجنبية، مما يشجع على زيادة الصادرات من السلع المحلية وانخفاض الاستيرادات للسلع الأجنبية، نتيجة لارتفاع أسعارها مقارنة بالسلع المحلية وبالتالي تحقيق التوازن في ميزان المدفوعات. ولكي يتمكن سعر الصرف من إعادة التوازن إلى ميزان المدفوعات يجب ان لا تتغير الأسعار المحلية بنفس نسبة التغير في أسعار الصرف لان تغير سعرها لا يشجع الأجانب على استيرادها، وان سعر الصرف يتوقف على مرونة الطلب المحلية على السلع والخدمات الأجنبية فكلما كانت مرونة الطلب كبيرة كان اثر تغير سعر الصرف على ميزان المدفوعات اكبر وبالعكس.^(٧)

المبحث الثاني: تحليل العوامل الحقيقية المؤثرة على سعر الصرف في العراق للمدة (١٩٩٠-٢٠١٦)

أولاً: التحليل الوصفي لسعر صرف الدينار العراقي للمدة (١٩٩٠-٢٠١٦)

من خلال تتبع حركة سعر صرف الدينار العراقي مقابل الدولار الأمريكي نلاحظ بان سعر الصرف في العراق شهد عدة تغيرات منذ عام (١٩٩٠) وحتى عام (٢٠١٦) لذلك تم تقسيم مدة الدراسة على مرحلتين وكما يأتي:

١. التحليل الوصفي لسعر صرف الدينار العراقي للمدة (١٩٩٠-٢٠٠٢)

شهدت هذه المرحلة انغلاق في التجارة الخارجية للعراق ومعاملاته الرسمية مع العالم الخارجي، وانعدام مصادر العرض الأساسية من العملة الأجنبية جراء توقف الصادرات النفطية وتجميد أرصدة العراق في

٦- نجلة شمعون شليمون، المصدر نفسه، ص ٤.

٧- عبد الحسين جليل عبد الحسن الغالي، سعر الصرف وادارته في ظل الصدمات الاقتصادية (نظرية وتطبيقات)، ط ١، عمان، دار الصفاء للنشر والتوزيع، ٢٠١١، ص ٧١.

الخارج،^(٨) وكان لهذه التغيرات الأثر السلبي على سعر صرف الدينار العراقي مقابل الدولار الأمريكي، فيلاحظ في الجدول (1) إن سعر صرف الدينار العراقي كان يساوي (٤) دنانير للدولار الأمريكي الواحد في عام (1990) ثم ارتفع إلى (10) دينار لكل دولار أمريكي واحد عام (1991) وبمعدل نمو بلغ (150 %) واستمر سعر صرف الدينار العراقي مقابل الدولار بالارتفاع حتى وصل إلى (1674) دينار لكل دولار أمريكي عام (1995) وبمعدل نمو بلغ (265.5%) ويعزى هذا الارتفاع في سعر الصرف وانخفاض قيمة العملة الوطنية نتيجة لأسباب عديدة أهمها:^(٩)

١. العقوبات الاقتصادية صادية الدولية التي فرضت على العراق عام 1990 ودخوله في حرب الخليج الثانية وزيادة الإنفاق العسكري الذي عمل على زيادة تراكم العجز في الموازنة، وقيام الحكومة بتمويل العجز من خلال الإصدار النقدي الجديد.
٢. في عام 1993 اصدر البنك المركزي العراقي قرارا أجاز بموجبه تأسيس شركات الصيرفة ومكاتب بيع وشراء العملات الأجنبية وكذلك السماح لهم بقبول الحوالات الخارجية إذ بلغ عددها (303) شركة ومكتب صيرفة، مما أدى إلى ازدياد أعداد المضاربين في السوق ووفقا لألية العرض والطلب على الصرف الأجنبي أدى إلى تذبذب قيمة العملة الوطنية.
٣. زيادة الطلب على العملة الأجنبية مع شحة موارد النقد الأجنبي أدى إلى زيادة عمليات المضاربة في العملة الأجنبية، مما أدى إلى ارتفاع قيمة العملة الأجنبية اتجاه العملة الوطنية.
٤. زيادة العجز المالي نتيجة لانخفاض الإيرادات الحكومية الاعتيادية أو التقليدية (كالضرائب والرسوم الجمركية) أو الإيرادات النفطية.

ومن ذلك نجد بان العقوبات الاقتصادية التي فرضت على العراق وتجميد أرصده من العملات الأجنبية وانخفاض معدلات التبادل التجاري أدى بدوره إلى بروز سعر الصرف الموازي إذ احتل مركزا مهما في الاقتصاد المحلي، ومع بداية صدور قرار الأمم المتحدة وتطبيق مذكرة التفاهم (النفط مقابل الغذاء) عام (1996) يلاحظ أن سعر الدينار مقابل الدولار شهد تحسنا كبيرا إذ انخفض من (1674) عام (1995) إلى (1170) عام (1996) إذ انخفض بمعدل (-30.1) ألا أن هذا التحسن في سعر صرف الدينار لم يستمر طويلا حيث بدأ بالتذبذب طيلة السنوات اللاحقة بعد عام (1996) ارتفاعا وانخفاضا إلى أن بلغ (1957) دينار لكل دولار أمريكي عام (2002) وبمعدل نمو سنوي (١,٥%).

جدول (1) تطور سعر صرف الدينار العراقي مقابل الدولار الأمريكي في السوقين الرسمي والموازي للمدة (١٩٩٠-٢٠٠٢) (دينار/ دولار أمريكي)

السنة	السعر الموازي	معدل النمو	السعر الرسمي
1990	4	---	0.3108
1991	10	150	0.3108
1992	21	110	0.3108

٨- مظهر محمد صالح، التضخم المستهدف هل يحقق الاستقرار في معدلات الصرف، دراسات في الاقتصاد العراقي، بغداد، بيت الحكمة، ٢٠٠١، ص ٣٦.

٩- سامي عطو، تطور هيكل القطاع المالي وأدوات السياسة النقدية والمصرفية لتفعيل الاقتصاد العراقي، المؤتمر العلمي الثالث لقسم الاقتصاد الدراسات الاقتصادية، بغداد، بيت الحكمة، ٢٠٠٢، ص ١٦٠-١٥٧.

0.3108	252.4	74	1993
0.3108	518.9	456	1994
0.3108	265.5	1674	1995
0.3108	30.1-	1170	1996
0.3108	25.7	1471	1997
0.3108	10.1	1620	1998
0.3108	21.7	1972	1999
0.3108	2.1-	1930	2000
0.3108	0.1-	1929	2001
0.3108	1.5	1957	2002

المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على:

- البنك المركزي العراقي، المديرية العامة للإحصاء والأبحاث، المجموعة الإحصائية، عدد خاص، ٢٠٠٣.
- تم احتساب معدلات النمو وفق المعادلة الآتية (المقارنة / الأساس - 1 * 100)

٢. التحليل الوصفي لسعر صرف الدينار العراقي للمدة (2003-2016)

بعد التغير الذي شهده العراق عام 2003 على مختلف الأصعدة السياسية والاقتصادية، اضحى سعر الصرف سياسة مهمة ذات أهداف واضحة المعالم يحكمها القانون، وأصبحت أداة مهمة من أدوات السياسة النقدية الجديدة في العراق، إلى جانب إلغاء التعددية في أسعار الصرف والتوجه نحو سعر الصرف المدار، فالأوضاع الاقتصادية السيئة في المرحلة السابقة القت على عاتق سياسة سعر الصرف مهمة أساسية في هذه المرحلة، تتمثل باعادة الثقة بالدينار العراقي بعدما فقدت الثقة به من قبل الأفراد والمؤسسات خلال المدة التي سبقت عام 2003، وأظهرت السياسة النقدية المتبعة بعد عام 2003 قدرات كبيرة في السيطرة على استقرار سعر صرف الدينار العراقي مقابل الدولار طيلة الأعوام التالية ويظهر ذلك من خلال الجدول (2) والذي يشير إلى مسارات تطور سعر صرف الدينار العراقي مقابل الدولار الأمريكي للمدة (2003-2016) ويلاحظ من خلال البيانات ان سعر صرف الدينار العراقي كان يعادل (1936) دينار لكل دولار في السوق الموازي و (1896) في السوق الرسمي وقد ارتفعت قيمته بصورة كبيرة جدا عام 2004 حيث انخفض سعر الصرف إلى (1453) دينار لكل دولار في السوق الموازي و(1453) بحسب سعر المزداد نتيجة لعملية استبدال العملة القديمة بعملة جديدة ودخولها إلى التداول وما تمتعت به من قبول عام إذ توفر الأمان وصعوبة تزويرها مما زاد من الطلب على الدينار العراقي الجديد كخزين جيد للقيمة إضافة لذلك الشروع بتطبيق مزاد العملة، وبعد ذلك عاد سعر صرف الدينار العراقي للتدهور عام 2005 ليبلغ (1472) في السوق الموازي و(1469) بحسب سعر المزداد، نتيجة للتدهور الأمني خلال تلك المدة مما أدى إلى ارتفاع كلفة المواد مثل النفط والبنزين والمواد التموينية وغيرها، وهذا يعد تدهورا طفيفا، إذ عاود سعر صرف الدينار إلى الارتفاع والتحسين بوتيرة مستمرة خلال المدة (2006-2008) في السوقين الموازي ومزاد العملة أما المدة ما بين (2009-2016) شهدت استقرارا ملحوظا في سعر صرف الدينار العراقي في السوقين وان الاستقرار والتحسين في قيمة الدينار العراقي زاد من ثقة الأفراد نسبيا وضيق من ظاهرة الدولار التي كان يعاني منها الاقتصاد العراقي.

ويتضح بان الاختلاف بين سعر الصرف الرسمي وسعر الصرف في السوق الموازية بات يضمحل تدريجياً واصبح الفارق بينهما طفيفاً جداً خلال المدة (2003- 2016) باستثناء عامي (2015-2016) اتسع الفارق بين السعريين في السوق الرسمي والموازي بنسبة قليلة، ويعزى ذلك إلى تطبيق المادة 50 من قانون الموازنة الاتحادية لعام 2015 والتي تضمنت تحديد الكميات المباعة من العملة الأجنبية (الدولار) في المزاد ب (75) مليون دولار يومياً على الرغم من العمل بهذه المادة لكن البنك المركزي العراقي تخلى عنها خوفاً من اتساع الفارق بين السعريين والتي تزامنت مع انخفاض أسعار النفط العالمية وتدهور الأوضاع الأمنية والسياسية في البلاد نهاية عام 2014، والجدول (٢) يوضح معدلات سعر صرف الدينار العراقي مقابل الدولار الأمريكي للمدة (٢٠٠٣-٢٠١٦).

جدول (2) تطور سعر صرف الدينار العراقي مقابل الدولار الأمريكي في السوقين الرسمي والموازي للمدة (٢٠٠٣-٢٠١٦) (دينار/ دولار أمريكي)

السنة	السعر الموازي	معدل النمو %	السعر الرسمي	معدل النمو %
2003	1936	-1.0	1896	-----
2004	1453	-24.9	1453	-23.3
2005	1472	1.3	1469	1.1
2006	1475	0.2	1467	-0.1
2007	1267	-14.1	1255	-14.4
2008	1203	-5.8	1193	-4.9
2009	1182	-1.9	1170	-1.9
2010	1185	1.4	1170	0.0
2011	1196	0.8	1170	0.0
2012	1233	3.1	1166	-0.3
2013	1232	-0.1	1166	0.0
2014	1214	-1.5	1166	0.0
2015	1247	7.4	1167	0.08
2016	1275	2.2	1190	1.9

المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على:

- البنك المركزي العراقي، المديرية العامة للإحصاء والأبحاث، النشرة السنوية، أعداد مختلفة، السنوات (٢٠٠٣-٢٠١٦).
- معدل النمو السنوي أحسب من قبل الباحث وفق المعادلة الآتية (المقارنة / الأساس - 1 * 100).

ثانياً: التحليل الوصفي للنتائج المحلي الإجمالي في العراق للمدة (١٩٩٠-٢٠١٦)

يعبر الناتج المحلي الإجمالي عن مدى تطور ونمو الاقتصاد الوطني، ويعد أكثر المؤشرات وضوحاً للتعبير عن مستوى النشاط الاقتصادي للبلد وينعكس تطور الناتج المحلي الإجمالي على تطور الدخل القومي والذي يؤدي إلى تحسين مستوى الرفاهية للفرد.

١. تحليل الناتج المحلي الإجمالي للمدة (١٩٩٠-٢٠٠٢)

من خلال الجدول (٣) يلاحظ أن الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الجارية بلغ عام ١٩٩٠ (55926.0) مليون دينار لينخفض إلى (42451.6) مليون دينار عام ١٩٩١ وبمعدل نمو سالب (-24.1%) ويعود هذا الانخفاض بسبب حرب الخليج الثانية وما خلفته من تدهور مختلف القطاعات الاقتصادية (الزراعية والصناعية) والخدمية، وماتبع ذلك من عقوبات اقتصادية وكان أهمها منع تصدير النفط الذي يعد المورد الأساسي للعراق والمكون الرئيسي للناتج المحلي الإجمالي^(١٠) بينما شهدت الأعوام ١٩٩٥-١٩٩٢ زيادة ملحوظة في الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الجارية وبمعدلات نمو (303.7%، 415.6%، 179.4%، 171.2%) ويرجع هذا الارتفاع في الناتج نتيجة لارتفاع مستويات التضخم وكذلك زيادة مساهمة القطاع الزراعي إلى جانب القطاع النفطي وترجع الزيادة في القطاع الزراعي نتيجة لسياسات الدعم الحكومي للقطاع الزراعي من أجل توفير المحاصيل الزراعية الأساسية وسد حاجة الشعب للغذاء نتيجة لتوقف الاستيراد بسبب العقوبات الاقتصادية المفروضة على البلد،^(١١) ويلحظ من خلال البيانات في الجدول (٣) تراجع الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الجارية في عام ١٩٩٦ وبمعدل نمو سالب (-2.9%) وسجل الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الجارية للأعوام ١٩٩٧، ١٩٩٨، ١٩٩٩، ٢٠٠٠ تحسناً وبمعدلات نمو متذبذبة (45.7%، 101.2%، 13.5%، 132.2%) على التوالي بينما شهد الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الجارية انخفاضاً للأعوام ٢٠٠١، ٢٠٠٢ مسجلاً بذلك معدلات نمو سالبة (-0.7%، -17.7%) على التوالي.

أما الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الثابتة انخفض من (78617888.1) في عام ١٩٩٠ إلى (28265405.2) عام ١٩٩١، أي بمعدل نمو سالب (-64%) ويعد هذا التدهور في الناتج نتيجة إلى نشوب حرب الخليج الثانية وأثرها في تدمير البنية التحتية وتوقف المؤسسات والمعامل الإنتاجية وارتفاع معدلات البطالة، وكذلك فرض العقوبات الاقتصادية الدولية على العراق، مما أدى إلى توقف شبه تام للصادرات وبالحصول على صادرات النفطية وانخفاض الاستثمار وتراكم راس المال، وانخفاض إنتاج القطاعات السلعية بسبب حظر الاستيراد وعدم التمكن من استيراد المواد الأولية الداخلة في الإنتاج^(١٢)، ولقد شهدت معدلات النمو السنوية تحسناً طفيفاً فقد ارتفعت خلال الأعوام ١٩٩٥، ١٩٩٤،

١٠- سحر قاسم محمد، الآليات الواجب توفرها لانتقال العراق من الاقتصاد المخطط إلى اقتصاد السوق، بحث منشور، كانون الأول ٢٠١١، ص ٥. بحث منشور على الموقع www.cbi.iq/documents/sahar1.pdf.

١١- أديب قاسم شندقي، سعر صرف الدينار العراقي والعوامل المؤثرة فيه، كلية بغداد للعلوم الاقتصادية، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية، العدد ١١، ٢٠٠٦، ص ٧٢.

١٢- باسم خنيس عبيد، تقدير وتحليل العلاقة بين معدل نمو الناتج المحلي الإجمالي ومعدل البطالة في الاقتصاد العراقي للمدة ١٩٩٠-٢٠١٤، جامعة بغداد، مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية، العدد ٩٦، المجلد ٢٣، لسنة ٢٠١٧، ص ٢٨٦.

1992، 1993 بلغت (2.1، 3.9، 30.3، 32.6%) على التوالي، ويعزى ذلك نتيجة عودة الحياة الطبيعية بعد الحرب إلى مختلف القطاعات الصناعية والزراعية وتولي الحكومة لحملة اعمار مادمرته الحرب والدمار الكبير لجميع مفاصل الاقصاد العراقي والاهتمام بالقطاع الزراعي بهدف تمويل مفردات البطاقة التموينية، فيما سجل معدل نمو الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الثابتة للأعوام (1996-2001) معدلات نمو موجبة بلغت اعلى قيمة لها (34.9%) لعام 1998 نتيجة لموافقة النظام العراقي على برنامج النفط مقابل الغذاء عام 1996 وبدأت الصادرات النفطية تتدفق إلى الخارج في نهاية تلك السنة، وقد حقق الاقصاد العراقي اثر ذلك طفرات إيجابية كبيرة ويرجع الفضل الأكبر لذلك النمو الحقيقي إلى عودة الإنتاج النفطي والصادرات النفطية إلى الحياة وزيادة وتيرة الاستهلاك اثر الزيادات التي حصلت للحصة التموينية، وكذلك فيض بعض من تلك العوائد على القطاعات الاقصادية الأخرى بصيغة مستوردات إنسانية وبالتالي زيادة إنتاجها ونظرا لاعتماد الناتج المحلي على انتاج النفط بصورة أساسية فان ذلك الناتج بدأ يتراجع مع تراجع انتاج النفط، بينما شهد العام 2002 معدل نمو سالب بلغ (-8.1%).

جدول رقم (٣) الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الجارية والأسعار الثابتة للمدة (1990-2002) مع معدلات النمو السنوي في العراق مليون دينار

السنوات	الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الجارية	معدل نمو %	الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الثابتة ١٠٠=٢٠٠٧	معدل نمو %
1990	55926.0	-----	78617888.1	-----
1991	42451.6	24.1-	28265405.2	64-
1992	115108.4	171.2	37477725.8	32.6
1993	321646.9	179.4	48829665	30.3
1994	1658325.8	415.6	50711820.3	3.9
1995	6695482.9	303.7	51786921.8	2.1
1996	6500924.6	2.9-	5749427.4	11
1997	15039144.0	132.2	69704838.9	21.2
1998	50125847	13.5	94001921	34.9
1999	34464016	101.2	110529589	17.6
2000	50213699	45.7	112084152	1.4
2001	41314568	17.7-	114128642	1.8
2002	41022927	0.7-	104917973	8.1-

المصدر:

- البنك المركزي العراقي، المديرية العامة للإحصاء والأبحاث، عدد خاص ٢٠٠٣.
- معدل النمو احتسب من قبل الباحث.

٢. تحليل الناتج المحلي الإجمالي للمدة (٢٠٠٣-٢٠١٦)

يلاحظ من خلال الجدول (٤) ان الناتج المحلي الإجمالي شهد انخفاضا كبيرا بالأسعار الجارية والثابتة عام 2003 اذا انخفض من (4122927) مليون دينار عام 2002 إلى (2958788.6) عام 2003 وبمعدل نمو سالب (-27.9%) بالأسعار الجارية ومن (104917973) إلى (66335848) بالأسعار الثابتة وبمعدل

نمو سالب (-36.8%) نتيجة لحرب الخليج الثالثة والعمليات العسكرية وماتولد عنها من دمار وتخريب للبنية التحتية للعراق، وتوقف تصدير النفط خلال هذا العام لعدم استقرار الأوضاع السياسية للبلد، أما للعام 2004 شهد الناتج المحلي الإجمالي تحسنا ملحوظا إذ بلغ (53235358.7) مليون دينار بالأسعار الجارية وبمعدل نمو إيجابي (79.9) وبلغ (101845262.4) مليون دينار بالأسعار الثابتة وبمعدل نمو (53.4) واستمر النمو الإيجابي للناتج المحلي بالأسعار الجارية خلال المدة (2005-2008) بمعدلات نمو (38.1%، 30%، 16.6%، 34.1%) على التوالي، وانخفض الناتج المحلي بالأسعار الجارية إلى (130642187.0) مليون دينار بمقدار نمو سالب بلغ (16.2%) نتيجة للتراجع بأسعار النفط العالمية على اثر تداعيات الأزمة المالية العالمية التي بدأت في الولايات المتحدة الأمريكية مؤدية إلى تراجع مختلف الأنشطة الاقتصادية،^(١٣) واخذ الناتج المحلي بالأسعار الجارية بالنمو بمعدلات طفيفة خلال المدة 2013-2010 مسجلا أعلى معدل نمو عام 2011 بقيمة (39.1%) ثم انخفض الناتج في عام ٢٠١٤ وبمعدل نمو سالب (-3.9%) عن عام ٢٠١٣ إذ وصف عام ٢٠١٤ الأسوأ في تاريخ الاقتصاد العراقي لأنه شهد عدم إقرار الموازنة الاتحادية إضافة إلى تراجع أسعار النفط في الأسواق العالمية إلى مستويات غير مسبوقة إذ وصل سعر البرميل إلى دون ٥٠ دولار،^(١٤) واستمر الانخفاض في الناتج للأعوام (2016، 2015) بمعدلات نمو ذات قيم سالبة (-5.4%، -21.9%) على التوالي.

جدول (٤) الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الجارية والأسعار الثابتة للمدة (2003-2016) مع معدلات النمو السنوي في العراق مليون دينار

السنوات	الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الجارية	معدل نمو %	الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الثابتة ٢٠٠٧=١٠٠	معدل نمو %
2003	29585788.6	-27.9	66335848	-36.8
2004	53235358.7	79.9	101845262.4	53.4
2005	73533598.6	38.1	103551403.4	1.7
2006	95587954.8	30	109389941.3	5.6
2007	111455813	16.6	111455813.4	1.9
2008	157026061.6	34.1	120626517.1	7.5
2009	130642187.0	-16.2	124702847.9	4.1
2010	162064565.5	24.1	132687028.6	6.5
2011	217327107.4	39.1	142700217.0	7.5
2012	254225490.7	17	162587533.1	13.9
2013	273587529.2	6.6	174990175.0	7.6

١٣- البنك المركزي العراقي، التقرير الاقتصادي السنوي، ٢٠٠٩، ص ٧.

١٤- البنك المركزي العراقي، التقرير الاقتصادي السنوي، ٢٠١٤، ص ٨.

2014	266420384.5	-3.9	175335399.6	0.1
2015	207876191.8	(21.9)	182331154.1	3.9
2016	196536350.8	(5.4)	193744445.6	6.2

المصدر: الجدول من أعداد الباحث

- البنك المركزي العراقي، المديرية العامة للإحصاء والأبحاث، أعداد سنوية متفرقة، للسنوات (٢٠٠٣-٢٠١٦).
- معدل النمو احتسب من قبل الباحث.

ثالثاً: التحليل الوصفي لمعدلات التضخم في العراق للمدة (١٩٩٠-٢٠١٦)

ظاهرة التضخم في الاقتصاد العراقي، ظاهرة مركبة لم تشكل بفعل عامل واحد وهو الزيادة في عرض النقد أو الزيادة في الأسعار، بل ظهرت نتيجة لتفاعل عدة عوامل حقيقية ونقدية، ارتبطت في اختلال هيكل القطاع الإنتاجي، نتيجة للتدهور الذي أصاب القطاعات الإنتاجية وخاصة القطاع الزراعي والصناعة التحويلية، وبما أن الاقتصاد العراقي هو اقتصاد ريعي، إذ إن الاقتصاد الريعي هو المصدر الأساس للدخل والثروة للبلد، على الرغم من ذلك مازال سلوك الإنفاق العام في الموازنة يمثل نموذجاً للدولة الريعية، فأضحى التضخم حقيقة واقعية يمتاز بها الاقتصاد العراقي نتيجة للتوسع بالنفقات وبالأخص التشغيلية منها ونتيجة للظروف الأمنية خلال مدة الدراسة.

ومن أجل تحليل التضخم خلال مدة الدراسة تم تقسيمها على مرحلتين:

١. تحليل التضخم في العراق للمدة (١٩٩٠-٢٠٠٢)

عانى الاقتصاد العراقي خلال مدة التسعينيات وماتالها لغاية 2003 ظروفًا اقتصادية صعبة، بدأت على أثر حرب الخليج الثانية والتي شنتها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا على العراق، وماتبعه من اضطرابات اقتصادية وسياسية واجتماعية على حد سواء، بالإضافة إلى العقوبات الاقتصادية التي فرضتها الأمم المتحدة على العراق والتي تسببت في انخفاض الإيرادات من العملة الأجنبية نتيجة التوقف شبه التام لصادرات النفطية وتجميد الأرصدة العراقية في البنوك الأجنبية، بالإضافة إلى توقف التبادل التجاري الخارجي لمختلف السلع والخدمات،^(١٥) لذا أفرزت مجموعة من الظواهر السلبية والتي أثرت بشكل مباشر وغير مباشر في مختلف المؤشرات الاقتصادية ومنها ارتفاع المستوى العام للأسعار مما انعكس في ضغوط تضخمية متسارعة خلال تلك المدة إذ بلغت معدلات التضخم أوجها وهو ما يعرف بالتضخم الجامح.^(١٦)

ومن خلال الجدول (٥) يلاحظ أن الرقم القياسي للأسعار شهد تزايداً بنسبة عالية جداً خلال المدة (1991-1995) فقد بلغ (0.073) عام 1991 وبمعدل نمو (181.0) مسجلاً (11.0) نقطة عام 1995 وبمعدل نمو (387.3) ويرجع ذلك نتيجة للظروف التي مر بها العراق والتي مر ذكرها سابقاً، إذ أفرزت

١٥- اديب قاسم شندي، النقود والبنوك، الطبعة الأولى، النجف الأشرف، دار الضياء للطباعة والتصميم، ٢٠١٠، ص ٢٣٦.
١٦- جمال طارق محمد صبري، تسارع معدلات التضخم خلال الفترة (١٩٩١-٢٠٠٨) في العراق (الاسباب والمعالجات)، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة، العدد ٥٠، ٢٠١٧، ص ٤١٧.

العقوبات الاقتصادية مجموعة من الظواهر الاقتصادية السلبية والتي انعكست بشكل مباشر على ارتفاع الرقم القياسي للأسعار متمثلة بمعدلات تضخم مرتفعة، بالإضافة للإفراط النقدي الكبير، وظهور اختلال بين كمية النقود المتداولة وحجم الناتج المحلي الحقيقي المتدني في الأقتصاد، والذي دفع بالأسعار نحو الارتفاع.^(١٧) واستمرت معدلات التضخم بالارتفاع طيلة المدة ١٩٩٠-٢٠٠٢ عدا انخفاض بسيط في بعض السنوات كسنة ١٩٩٦ بسبب تطبيق مذكرة التفاهم بين العراق والأمم المتحدة (النفط مقابل الغذاء والدواء) مسجلاً الرقم القياسي للأسعار ما قيمته (٩.٣) وبمعد نمو سالب (١٦.١) ومن خلال تتبع البيانات يلاحظ استمرار الرقم القياسي للأسعار بالارتفاع بعد عام ١٩٩٦ وصولاً لعام ٢٠٠٢ مسجلاً (٢١.٥) وبلغ معدل التضخم (١٩.٣%) وهذا الارتفاع في معدلات التضخم خلال المدة ١٩٩٠-٢٠٠٢ يعكس عدم فعالية السياسة النقدية لتقليل التضخم.

الجدول (٥) الأرقام القياسية لأسعار المستهلك في العراق ومعدلات التضخم السنوي للفترة (١٩٩٠-٢٠٠٢).

السنة	المستوى العام للأسعار ٢٠٠٧=١٠٠ (١)	معدل التضخم % (٢)
1990	0.026	-----
1991	0.073	181.0
1992	0.134	83.6
1993	0.413	207.7
1994	2.3	448.5
1995	11.0	387.3
1996	9.3	-16.1
1997	11.4	23.1
1998	13.1	14.8
1999	14.7	12.6
2000	15.5	5.0
2001	18.0	16.4
2002	21.5	19.3

المصدر: من أعداد الباحث بالاعتماد على

- بيانات العمود (١)، البنك المركزي العراقي، المديرية العامة للإحصاء، النشرات السنوية، عدد خاص ٢٠٠٣.

١٧- نشأت مجيد حسن الوندائي، قياس تأثير المستوى العام للأسعار وعرض النقد على سعر صرف الدينار العراقي للفترة ١٩٨٠-٢٠٠٢ باستخدام نموذج التعديل الجزئي، الجامعة المستنصرية، مجلة الادارة والاقتصاد، العدد ٨٢، ٢٠١٠، ص ١٢١.

- بيانات العمود (٢) من عمل الباحث بالاعتماد على بيانات الجدول (٩).
- تم توحيد سنة الأساس بأسعار ٢٠٠٧.

٢. تحليل التضخم خلال المدة (2003-2016)

شهدت هذه المرحلة تحول نحو اقتراد السوق والاندماج في الاقتراد العالمي بسبب تغير النظام السياسي إذ تم منح الاستقلالية للبنك المركزي العراقي بموجب القانون (56) لعام 2004 إذ يلاحظ من خلال الجدول رقم (٦) ان الرقم القياسي لأسعار المستهلك شهد ارتفاعاً من (28.7) عام 2003 إلى (36.4) عام 2004 وبمعدل نمو (26.8) بسبب زيادة الأنفاق الاستهلاكي نتيجة لزيادة كميات السلع المصدرة من الخارج بعد التراجع في إجراءات السياسة التجارية من خلال تخفيض الرسوم الكمركية المفروضة على السلع المستوردة، الأمر الذي أدى إلى زيادة المعروض السلعي، وتأثر الاقتراد الوطني بالتضخم المستورد ومن خلال تتبع البيانات يلاحظ تحرك الرقم القياسي للأسعار للأعلى للأعوام (2005-2007) وبشكل متوازي نتيجة لزيادة عرض النقد وتخفيض الأنفاق العام بشقبة الاستثماري والاستهلاكي وضعف العرض المحلي في السلع القابلة للمتاجرة وتنامي محدودية السلع غير قابلة للمتاجرة (خدمات الإدارة الحديثة، والسكن والأراضي، والبنية التحتية وغيرها) لمواجهة الطلب الكلي المتنامي المحفز بالإنفاق العام.^(١٨) إذ سجلت الأعوام (2005، 2006، 2007) نمو التضخم بمعدل (30.9%، 53.1%، 37.1%) على التوالي ثم شهد معدل نمو التضخم انخفاضاً واضحاً بلغ (12.7) عام 2008 وذلك لاستقرار الاقتراد العراقي واتباع سياسات فاعلة من قبل البنك المركزي العراقي نجح من خلالها بالسيطرة على عرض النقد والتحكم في الإصدار النقدي الجديد، إلى جانب التحسن الكبير في الوضع الأمني ولعموم البلد، إذ بلغ المعدل السنوي للرقم القياسي لأسعار المستهلك (١١٢,٧) نقطة خلال عام ٢٠٠٨، مقابل (١٠٠,٠) نقطة عام ٢٠٠٧، ثم (6.1%، 5.6%، 2.5%، 8.3%) للأعوام (2009، 2010، 2011، 2012) على التوالي واستمر بعدها الانخفاض إلى (1.9%، 2.2%، 1.4%) للأعوام (2013، 2014، 2015) على التوالي، والذي عكس اتباع سياسة نقدية تستهدف استقرار التضخم، وسجل معدل التضخم ادنى معدل له عام ٢٠١٦ إذ سجل معدل نمو سالب (-29.6%) عن العام ٢٠١٥.

الجدول (٦) الأرقام القياسية لأسعار المستهلك في العراق ومعدلات التضخم السنوي للفترة (٢٠٠٣-٢٠١٦)

السنة	المستوى العام لأسعار ١٠٠=٢٠٠٧ (١)	معدل التضخم % (٢)
2003	28.7	33.5
2004	36.4	26.8

١٨- محمود محمد داغر، التحديات التي تواجهها السياسة النقدية وصعوبات الانساق مع السياسة المالية، مجلة الدراسات النقدية، البنك المركزي العراقي، دائرة الإحصاء والبحث، العدد الأول، ٢٠١٧، ص ٢٦.

2005	49.9	37.1
2006	76.4	53.1
2007	100,0	30.9
2008	112.7	12.7
2009	122.1	8.3
2010	125.1	2.5
2011	132.1	5.6
2012	140.1	6.1
2013	142.7	1.9
2014	145.9	2.2
2015	148.0	1.4
2016	104.1	29.6-

المصدر: من أعداد الباحث بالاعتماد

- بيانات العمود (١) البنك المركزي العراقي، المديرية العامة للإحصاء والأبحاث، النشرة السنوية، لسنوات متفرقة (٢٠٠٣-٢٠١٦).
- بيانات العمود (٢) من عمل الباحث.

رابعاً: التحليل الوصفي للميزان التجاري في العراق للمدة (١٩٩٠-٢٠١٦)

يعد ميزان المدفوعات من أهم المؤشرات الاقتصادية للبلد، لا نه يبين مركز البلد في علاقاته الاقتصادية الخارجية، فالعراق يعد واحداً من الدول النامية التي تعاني من الاختلال وعدم التوازن في ميزان مدفوعاتها، وسوف يتم التركيز هنا على الميزان التجاري؛ لأن الاقتصاد العراقي يتصف بعدم التنوع النسبي في إنتاجه السلعي من جهة، والتنوع الشديد في استيراداته من جهة أخرى، وهنا يبرز دور التبادل التجاري في موازنة العرض والطلب عن طريق تصريف الفائض السلعي قليلة العدد مقابل استيراد مجموعة معينة من السلع التي لا يستطيع البلد إنتاجها، ولغرض تتبع التطورات الحاصلة في ميزان المدفوعات العراقي خلال مدة الدراسة ومن خلال بيانات الجداول أدناه تم تقسيم مدة الدراسة على مرحلتين ويمكن ملاحظته الآتي:

١. تحليل تطور صافي الميزان التجاري للمدة (١٩٩٠-٢٠٠٢)

يشكل الميزان التجاري محورا فاعلا ضمن هيكل ميزان المدفوعات من خلال تأثيره على الاقتصاد وهو يعبر عن الفرق ما بين قيمة الصادرات وقيمة الاستيرادات ويلاحظ من خلال الجدول (٧) ان الميزان التجاري العراقي خلال المدة (1990-2002) سجل فائضا عام 1990 نحو (3801.1) مليون دولار، بينما سجل الميزان التجاري عام 1991 عجزا بلغ (1303.8 -) واستمر العجز في الميزان التجاري لغاية عام 1996 إذ بلغ العجز في الميزان التجاري (178.4-)، نتيجة للعقوبات الاقتصادية الدولية وماتالها من هجمات عسكرية على العراق إذ سجل الميزان التجاري اعلى نسبة عجز له عام 1994 بلغت (961.5-)

(، ومن خلال الجدول يلاحظ بان حالات العجز أخذت بالانخفاض بعد عام 2006 لغاية 2002 إذ بلغ ادنى قيمة للفائض في الميزان التجاري (٧٧٣٤) عام ٢٠٠١ ويعزى ذلك نتيجة لتوقيع العراق مذكرة التفاهم مع الأمم المتحدة وزيادة الصادرات.

الجدول (٧) تطور الميزان التجاري في العراق للمدة (١٩٩٠-٢٠٠٢) مليون دولار

السنوات	الصادرات	معدل نمو %	الاستيرادات	معدل النمو %	الميزان التجاري
1990	13710.1	-----	9909.0	-----	3801.1
1991	1730.4	-87.3	3034.2	-69.3	-1303.8
1992	2108.0	21.8	4254.0	40.2	-2146.0
1993	1794.4	-14.8	3418.3	019.6	-1623.9
1994	1720.4	-4.1	2681.9	-21.5	-961.5
1995	1963.5	14.1	2891.3	7.8	-929.4
1996	2764.9	40.8	2943.1	1.7	-178.2
1997	6385.2	130.9	3662.7	24.4	2702.5
1998	7427.6	16.3	4986.2	36.1	2441.5
1999	13067.0	75.9	9097.4	82.4	3959.7
2000	18742.6	43.4	11008.6	21.0	7734.1
2001	17872.1	-0.04	11152.0	1.3	1720.1
2002	10236.2	-42.7	7742.4	-30.5	3493.7

المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على:

- البنك المركزي العراقي، المديرية العامة للإحصاء والأبحاث، نشرات سنوية متفرقة
- معدل النمو احتسب من قبل الباحث

٢. تحليل تطور صافي الميزان التجاري للمدة (٢٠٠٣-٢٠١٦)

يلحظ من خلال الجدول (٨) بان الميزان التجاري سجل عجزاً قيمته (3492.3-) عام ٢٠٠٤ لزيادة الاستيرادات نتيجة لضعف الجهاز الإنتاجي المحلي وعدم قدرة على سد الطلب المحلي، إضافة لتغير النظام وعدم الاستقرار الأمني مما جعل الميزان التجاري يسجل عجزاً، وذلك نتيجة لزيادة الاستيرادات بشكل غير مسبوق نتيجة لارتفاع القدرة الشرائية والتي أدت إلى ارتفاع الطلب الخاص وارتفاع حجم الإنفاق التشغيلي للموازنة الاتحادية مما أدى إلى ارتفاع الطلب العام، بينما شهد الميزان التجاري للمدة ٢٠٠٥-٢٠٠٨ فائضاً لم يشهده من قبل وان كانت قيم متذبذبة إذ بلغ (١٦٥) مليون دولار لعام ٢٠٠٥ بينما سجل (٢٨٢٣٠) مليون دولار عام ٢٠٠٨، بينما شهد عام ٢٠٠٩ عجزاً في الميزان التجاري بلغ (٢٠٨٢-) مليون دولار، وهذا يعود نتيجة لتأثر أسعار النفط في الأسواق العالمية بسبب

العلاقة بين سعر الصرف وبعض المتغيرات الحقيقية في العراق للمدة (٢٠١٦-١٩٩٠) الأزمة المالية العالمية التي حدثت نهاية عام ٢٠٠٨، ثم عاود الميزان التجاري ليسجل فائضا للأعوام ٢٠١٠-٢٠١٦.

الجدول (٨) تطور الميزان التجاري في العراق للمدة (٢٠١٦-٢٠٠٣) مليون دولار

السنوات	الصادرات	معدل نمو الصادرات %	الاستيرادات	معدل نمو الاستيرادات %	الميزان التجاري
2003	10082.3	0.9	10063.1	29.9	19.2
2004	17810	1.7	21302.3	111.6	-3492.3
2005	23697	33.0	23532	10.4	9637
2006	30529	28.8	20892	- 11.2	20031
2007	39587	29.6	19556	- 6.3	28230
2008	63726	60.9	35496	81.5	-2082
2009	39430	- 38.1	41512	16.9	7108.9
2010	51764	31.2	43915	5.7	7849
2011	79681	53.9	47803	8.8	31878
2012	94209	18.2	59006	23.4	45203
2013	89768	- 4.7	60107	1.8	29661
2014	83981	- 6.4	54368	- 9.5	29613
2015	51328	-38.8	48010	- 11.6	3318
2016	40753	- 20.6	34280	- 28.5	6473

المصدر:

- البنك المركزي العراقي، المديرية العامة للإحصاء والأبحاث، نشرات سنوية متفرقة للسنوات (٢٠٠٣-٢٠١٦)
- معدل النمو احتسب من قبل الباحث

المبحث الثالث: النموذج القياسي لتحليل اثر بعض العوامل النقدية والحقيقية على سعر الصرف في العراق للمدة ٢٠١٦-١٩٩٠

يتناول هذا المبحث الجانب القياسي من خلال استخدام نماذج الاقتران القياسي التي تستند إلى تحليل السلاسل الزمنية، والاختبارات القياسية الحديثة، اذ يهدف هذا المبحث إلى الوقوف على الأثر الذي تحدثه بعض العوامل الاقتصادية النقدية منها والحقيقية على سعر الصرف الأجنبي في العراق وقد استخدم البحث الأساليب الكمية للوصول إلى هذا التأثير متضمنا أسلوب قياس استقرارية السلاسل الزمنية لمتغيرات البحث، ومن ثم تقدير العلاقة بين سعر الصرف الأجنبي وتلك العوامل في الأجل القصير.

فضلا عن قياس علاقة التوازن طويلة المدى التي تبين التأثير بين تلك العوامل وسعر الصرف الأجنبي بأسلوب أو منهج التكامل المشترك من خلال نموذج جوهانسن.

أولاً: قياس إستقرارية السلاسل الزمنية لمتغيرات البحث في العراق باستخدام احد اختبارات جذر الوحدة وهو اختبار فيلبس - بيرون (P-P test)

اقترح هذا الاختبار فيلبس - بيرون (P-P test) طريقة غير معيارية (non parametrique) لـ صحيح وجود الارتباط الذاتي على عكس اختبار (ADF) الذي استعمل طريقة معيارية اذ تم التخلص من آثار الارتباط الذاتي في بواقي معادلة اختبار جذر الوحدة، وذلك بإجراء تعديل معلمي لتباين النموذج حتى يؤخذ بنظر الاعتبار وجود الارتباط الذاتي الذي يعكس الطبيعة الديناميكية في السلسلة، ويقوم اختبار (فيلبس - بيرون) على اختيار الفرضية العدمية للجذر الأحادي في ثلاث صيغ او نماذج بدون حد ثابت واتجاه، ومع وجود حد ثابت فقط، ومع وجود حد ثابت واتجاه عام وبالاعتماد على فرضية العدم والفرضية البديلة، ويتم حساب اختبار فيلبس - بيرون كما يأتي:

$$Lm = \sqrt{k} \times \frac{(\phi_1 - 1)}{\sigma_{\phi_1}} + \frac{n(k-1)\sigma_{\phi_1}}{\sqrt{k}}$$

وبعد ذلك تتم مقارنة قيمة Lm الإح صائية مع مثيلتها الجدولية، وعندما تكون الإح صائية اكبر من الجدولية هذا يعني ان السلسلة مستقرة وخالية من جذر الوحدة، والعكس صحيح.

١. قياس إستقرارية سلسلة بيانات سعر الصرف في العراق للمدة (١٩٩٠-٢٠١٦) باستخدام

اختبار Phillips - Perron test

يوضح الجدول (٩) نتائج اختبار جذر الوحدة لسلسلة بيانات سعر الصرف في العراق، اذ اظهر الاختبار ان السلسلة الزمنية هنا ابتداءً هي غير مستقرة عند جميع مستويات المعنوية (١٪ و ٥٪ و ١٠٪) مع وجود حد ثابت فقط وكذلك الحال عند إجراء التحليل بوجود حد ثابت مع وجود اتجاه عام للسلسلة، ولكن بعد إجراء التحليل بأخذ الفرق الأول بوجود حد ثابت أصبحت السلسلة مستقرة وحتى عند وجود حد ثابت مع وجود اتجاه عام للسلسلة عند كل من مستويات المعنوية (١٪) و (٥٪) و (١٠٪) أي ان السلسلة مستقرة ومتكاملة من الدرجة (١) $I \sim 1$ وهذا يؤدي إلى رفض فرضية العدم والقبول بالفرضية البديلة.

جدول (٩) اختبار (P-P test) لسلسلة بيانات سعر الصرف في العراق للمدة (١٩٩٠-٢٠١٦)

المتغير			المستوى			الفرق الاول	
بدون	حد ثابت	حد ثابت واتجاه عام	بدون	حد ثابت	حد ثابت واتجاه عام	بدون	حد ثابت

سعر الصرف	-0.149115	-	-	-	-	-
	2.198416	1.658619	5.281462	5.324851	5.836418	-
مستوى المعنوية	١٪	-2.656915	3.711457	4.356068	2.660720	3.724070
	٥٪	-1.954414	2.981038	3.595026	1.955020	2.986225
	١٠٪	-1.609329	2.629906	3.233456	1.609070	2.632604

المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على البرنامج الإحصائي Eviews.

٢. قياس إستقرارية سلسلة بيانات المتغيرات الحقيقية في العراق للمدة (١٩٩٠-٢٠١٦)

باستخدام اختبار Phillips – Perron test

أ. قياس إستقرارية سلسلة بيانات الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الثابتة لعام ٢٠٠٧ في العراق

للمدة (١٩٩٠-٢٠١٦) باستخدام اختبار Phillips – Perron test

يوضح الجدول (١٠) نتائج اختبار جذر الوحدة لسلسلة بيانات الناتج المحلي الإجمالي في العراق، اظهر الاختبار ان السلسلة الزمنية كانت غير مستقرة عند جميع مستويات المعنوية (١٪ و ٥٪ و ١٠٪) عند اختبارها عند مستواها مع وجود حد ثابت فقط وكذلك الحال عند إجراء التحليل بوجود حد ثابت مع وجود اتجاه عام للسلسلة، ولكن بعد إجراء التحليل بأخذ الفرق الأول بدون وبوجود حد ثابت أصبحت السلسلة مستقرة عند كل من مستويات المعنوية (١٪) و (٥٪) و (١٠٪) أي ان السلسلة مستقرة ومتكاملة من الدرجة (١) $I \sim 1$ وهذا يؤدي إلى رفض فرضية العدم والقبول بالفرضية البديلة. جدول (١٠) اختبار (P-P test) لسلسلة بيانات الناتج المحلي الإجمالي في العراق للمدة (١٩٩٠-

(٢٠١٦)

المتغير	المستوى			الفرق الاول	
	بدون	حد ثابت	حد ثابت واتجاه عام	بدون	حد ثابت
الناتج المحلي الإجمالي	- 1.114438	-	-٣,٢٣٨٤٥	-6.086863	-7.119719
		0.275621			
مستوى المعنوية	١٪	-2.656915	3.711457	4.356068	-2.660720
					-3.724070

-2.986225	-1.955020	3.595026	2.981038	-1.954414	%٥
-2.632604	-1.609070	33456٩3.	2.629906	-1.609329	%١٠

المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على البرنامج الإحصائي Eviews.

ب. قياس إستقرارية سلسلة بيانات التضخم في العراق للمدة (١٩٩٠-٢٠١٦) باستخدام اختبار

Phillips – Perron test

من الجدول (١١) يتضح ان نتائج اختبار جذر الوحدة لسلسلة بيانات التضخم في العراق أظهرت ان السلسلة الزمنية كانت غير مستقرة عند جميع مستويات المعنوية (١٪ و ٥٪ و ١٠٪) عند اختبارها عند مستواها مع وجود حد ثابت فقط وكذلك الحال عند إجراء التحليل بوجود حد ثابت مع وجود اتجاه عام للسلسلة، ولكن بعد إجراء التحليل بأخذ الفرق الأول أصبحت السلسلة مستقرة بدون وعند وجود حد ثابت للسلسلة عند كل من مستويات المعنوية (١٪) و (٥٪) و (١٠٪) أي ان السلسلة مستقرة ومتكاملة من الدرجة (١) $I \sim 1$ وهذا يؤيد خلوها من الجذر الأحادي.

جدول (١١) اختبار (P-P test) لسلسلة بيانات التضخم في العراق للمدة (١٩٩٠-٢٠١٦)

المتغير	المستوى				الفرق الأول
	بدون	حد ثابت	حد ثابت واتجاه عام	بدون	حد ثابت
التضخم	-1.990324	-	-2.686508	-6.275205	-8.026517
مستوى المعنوية	%١	-2.660720	3.724070	-4.374307	-3.737853
	%٥	-1.955020	2.986225	-3.603202	-2.991878
	%١٠	-1.609070	2.632604	-3.238054	-2.635542

المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على البرنامج الاحصائي Eviews.

ت. قياس إستقرارية سلسلة بيانات الميزان التجاري في العراق للمدة (١٩٩٠-٢٠١٦) باستخدام اختبار

Phillips – Perron test

الجدول (١٢) يوضح نتائج اختبار جذر الوحدة لسلسلة بيانات الميزان التجاري في العراق، اذ اظهر الاختبار ان السلسلة الزمنية كانت غير مستقرة عند جميع مستويات المعنوية (١٪ و ٥٪ و ١٠٪) عند اختبارها عند مستواها مع وجود حد ثابت فقط وكذلك الحال عند إجراء التحليل بوجود حد ثابت مع وجود اتجاه عام للسلسلة، ولكن بعد إجراء التحليل بأخذ الفرق الأول بوجود حد ثابت أصبحت السلسلة مستقرة وحتى عند وجود حد ثابت مع وجود اتجاه عام للسلسلة عند كل من مستويات المعنوية (١٪) و (٥٪) و (١٠٪) أي ان السلسلة مستقرة ومتكاملة من الدرجة (١) $I \sim$ وهذا يؤدي إلى رفض فرضية العدم والقبول بالفرضية البديلة وخلص السلسلة من جذر الوحدة.

جدول (١٢) اختبار (P-P test) لسلسلة بيانات الميزان التجاري في العراق للمدة (١٩٩٠-٢٠١٦)

المتغير	المستوى			الفرق الاول		
	بدون	حد ثابت	حد ثابت واتجاه عام	بدون	حد ثابت	حد ثابت واتجاه عام
الميزان التجاري	-1.75909 9	-2.22533 4	-2.70176 0	-5.38669 6	-5.27330 6	-5.19091 6
مستوى المعنوية	١٪	-2.66485 3	-3.73785 3	-4.39430 9	-3.76959 7	-4.44073 9
	٥٪	-1.95568 1	-2.99187 8	-1.95720 4	-3.00486 1	-3.63289 6
	١٠٪	-1.80879 3	-2.63554 2	-1.60817 5	-2.64224 2	-3.25467 1

المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على البرنامج الإحصائي Eviews.

مما سبق ومن نتيجة استقرارية السلاسل الزمنية لمتغيرات البحث في العراق والتي كانت ان جميعها مستقرة عند فرقها الأول ومتكاملة من الرتبة نفسها (١) $I \sim$ ، فإن هذا يدل على احتمالية وجود علاقة

توازنية طويلة الأمد بين تلك المتغيرات موضوع البحث والذي سوف يتم اختبارها من خلال مطلب اختبار التكامل المشترك من هذا المبحث.

ثانياً: اختبار التكامل المشترك بين سعر الصرف والعوامل المؤثرة عليه في العراق للمدة ١٩٩٠-٢٠١٦ باستخدام نموذج جوهانسن - جسيوس

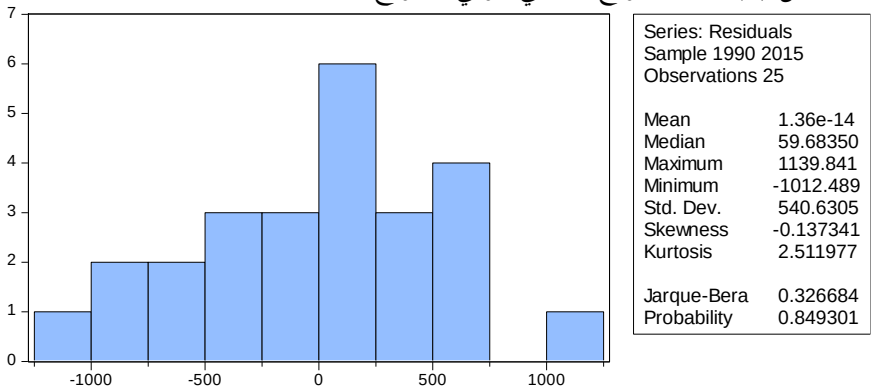
يهدف هذا المطلب إلى الوقوف على الأثر الذي تتركه بعض العوامل الاقتصادية النقدية منها والحقيقية باعتبارها (متغيرات مستقلة) على سعر الصرف الأجنبي في العراق، (بوصفه متغير تابع) يتأثر بها.

وقد تم استعمال أسلوب تحليل التكامل المشترك (*Counteraction*) بشكل رئيسي في البحث لمعرفة طبيعة العلاقة التوازنية بين المتغيرات في المدى الطويل والذي يشترط ان تكون المتغيرات لهذا الاختبار غير مستقرة لمستواها ولكنها تصبح مستقرة عند اخذ الفرق الاول لها. إذ تنص النظرية الاقتصادية على وجود علاقة في المدى الطويل بين متغيرين أو أكثر، حتى لو ابتعدت قيم هذه المتغيرات عن قيم توازنها في الأمد القصير، فان هناك قوى تعيدها إلى هذه القيم وتضمن تحقيق هذه العلاقة وذلك في الأمد الطويل. ولقد تم واستعمال البرنامج الإحصائي (Eviews) للوصول للنتائج المطلوبة. وهنا سوف يتم تقسيم هذا التحليل على ثلاثة نماذج أساسية هي:

١. اختبار طبيعة البواقي

أما الآن سنقوم باحتساب البواقي (U_t) التي تقيس انحراف العلاقة المقدرة في الأمد القصير عن اتجاهها التوازني في الأمد الطويل ولتوضيح هل ان البواقي موزعة توزيعاً طبيعياً نجد ان القيمة الاحتمالية المقابلة لاختبار (Jarque – Bera) قد بلغت (0.326) وهي أكبر من 5% وعليه لا يمكننا رفض فرضية العدم التي تؤكد عدم احتواء البواقي مشكلة التوزيع الطبيعي أي إنها موزعة توزيعاً طبيعياً كما هو موضح في الشكل الآتي:

شكل (١) اختبار التوزيع الطبيعي لبواقي النموذج الثالث



المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على البرنامج الإحصائي Eviews

٢. رسم انتشار البواقي

سنقوم برسم البواقي لمعادلة الانحدار وكما يلي

شكل (٢) البواقي لدالة الانحدار بين سعر الصرف والمتغيرات الحقيقية في العراق

Actual	Fitted	Residual	Residual Plot
	1016.48876	1012.48876	
4	0355469	0355469	* . .
	774.029640	764.029640	
10	8226533	8226533	* . .
	975.447133	954.447133	
21	0088217	0088217	* . .
	821.520717	747.520717	
74	6923413	6923413	* . .
	423.074364	32.9256350	
456	9937615	0623851	. * .
	534.158855	1139.84114	
1674	1201323	4879868	. . *
	1021.31545	148.684546	
1170	3586511	4134893	. * .
	1225.68893	245.311067	
1471	2833597	1664028	. * .
	1358.32746	261.672531	
1620	8402084	5979161	. * .
	1421.78890	550.211090	
1972	9620067	3799329	. *
	1395.93098	534.069019	
1930	0132311	8676894	. *
	1459.77802	469.221979	
1929	008874	9112604	. * .
	1389.36286	567.637135	
1957	4767902	2320982	. *
	1224.72438	711.275613	
1936	6628294	371706	. . *
	1276.75686	195.243131	
1472	8064845	9351554	. * .
	1149.20873	325.791267	
1475	2103973	8960264	. * .
	1096.64623	170.353767	
1267	2773536	226464	. * .
	1543.62398	340.623987	
1203	7265704	2657039	. * .
	1457.69624	275.696242	
1182	2389775	3897752	. * .
	1496.44495	311.444952	
1185	2681332	6813321	. * .
	1243.54317	47.5431761	
1196	6125322	2532196	. * .
	1173.31649	59.6835028	
1233	7153974	4602605	. * .
	1430.12558	198.125585	
1232	517169	1716897	. * .
	1431.83280	217.832802	
1214	2159781	1597807	. * .
	1789.16843	542.168436	
1247	6057384	0573841	* .

المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على البرنامج الإحصائي Eviews

٣. اختبار استقرارية البواقي

بعد ذلك نقوم باختبار مدى سكون أو استقرارية سلسلة (u_t) ، وذلك بتقدير الصيغة الآتية:

$$\Delta u_t = \delta u_{t-1} + \varepsilon_t \dots\dots\dots (5)$$

وكانت النتيجة ان هذه السلسلة مستقرة عند مستواها بوجود حد ثابت واتجاه عام وعند مستويات المعنوية ٥٪ و ١٠٪. وكما ما موضح بالجدول التالي، وهذا ما يبين لنا احتمالية وجود علاقة تكامل مشترك بين متغيرات النموذج الذي سوف يتم اختبارها بالنقطة التالية من هذا المطلب.

جدول (١٣) اختبار (P-P test) سلسلة البواقي معادلة الانحدار

المستويات		المتغير
حد ثابت واتجاه عام	حد ثابت	
-5.3 54717	١,٥٥٧٥٧٣-	سلسلة البواقي
-٥,٤٦٧١٥	-١,٣٣٨٥٤	مستوى المعنوية
-٤,٢٢٤٢٦	-٢,٠٢٣٣٨	
-٤,٢٦١٤٥	-٢,٦٦٠٤١	

المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على البرنامج الاحصائي Eviews

٤. اختبار جوهانسن للتكامل المشترك بين سعر الصرف والمتغيرات النقدية

بعد ان تأكدنا من استقرارية سلسلة البواقي سوف نقوم بإجراء اختبار للتكامل المشترك بين سعر الصرف الأجنبي والمتغيرات الحقيقية في العراق للمدة ١٩٩٠-٢٠١٦ ومن خلال نموذج جوهانسن، وقد ظهر من نتائج التحليل ان هنالك علاقة تكامل مشترك بين تلك المتغيرات المذكورة أي إنها ترتبط مع سعر الصرف بعلاقة توازنية طويلة الأمد أي ان التغيرات التي تحدث في احدها سوف تؤثر على المتغيرات الأخرى تأثيراً قوياً مستقبلاً وكما هو موضح بالجدول التالي:

جدول (١٤) اختبار جوهانسن للتكامل المشترك بين سعر الصرف و المتغيرات الحقيقية في العراق للمدة (١٩٩٠-٢٠١٦).

Date: 05/10/18 Time: 20:42
Sample (adjusted): 1992 2015
Included observations: 21 after adjustments
Trend assumption: Linear deterministic trend
Series: EX GDP IN TB
Lags interval (in first differences): 1 to 1

Unrestricted Cointegration Rank Test (Trace)

Hypothesized No. of CE(s)	Eigenvalue	Trace Statistic	0.05 Critical Value	Prob.**
None	0.620082	47.75851	42.85613	0.0211
At most 1	0.574264	27.43469	22.79707	0.0314
At most 2	0.361323	19.502049	15.49471	0.3210
At most 3	0.004114	3.086573	3.041466	0.2 686

Hypothesized No. of CE(s)	Eigenvalue	Max-Eigen Statistic	0.05 Critical Value	Prob.**
None	0.620082	20.32382	27.58434	0.0 192
At most 1	0.574264	17.93264	21.13162	0.0 324
At most 2	0.361323	9.415477	14.26460	0.0 532
At most 3	0.004114	0.086573	3.841466	0.0 686

المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على البرنامج الإحصائي Eviews

الاستنتاجات والتوصيات

١. لسعر الصرف الأجنبي أهمية كبيرة تتمحور من خلال ربط الاقتران المحلي بالاقتران العالمي، لأن سعر الصرف يعد المرآة العاكسة لمركز البلد التجاري مع العالم الخارجي وذلك من خلال العلاقة بين الاستيرادات والصادرات.
٢. من خلال النظريات التي حاولت تفسير محددات سعر الصرف الأجنبي، تم استخراج مجموعة من العوامل الحقيقية التي تؤثر في سعر الصرف وكان من أبرزها العوامل الحقيقية (الناتج المحلي الإجمالي، والتضخم، والميزان التجاري).
٣. أثبتت نتائج الاختبار ان التغيرات التي تحدث في المتغيرات الحقيقية تؤثر تأثيراً قوياً على سعر الصرف في العراق وفقاً للقوة التفسيرية للنموذج إذ بلغت ٨٢٪. كما يوضحه معامل التحديد في النموذج R^2 فان زيادة GDP بوحدة واحدة يؤدي إلى انخفاض معدلات سعر الصرف بمقدار (٤,٧٤) وحدة. وكذلك معدلات التضخم تؤدي إلى ارتفاع سعر الصرف بـ (١,٧٢٥) وحدة.

التوصيات

١. على البنك المركزي العراقي تجنب الآثار السلبية التي تتركها عملية ربط الدينار العراقي بالدولار الأمريكي على ان تكون هناك سلة من العملات تربط الدينار العراقي بها وضرورة مشاركة العملات الرئيسية في هذه السلة وبحسب مستوى التبادل التجاري.

٢. استمرار العمل بنظام سعر الصرف المعوّم المدار من قبل البنك المركزي العراقي والمطبق حالياً، بسبب ضعف القطاعات الإنتاجية (الصناعية و الزراعية) في البلد إلى حين تقوية تلك القطاعات والنهوض بها فعندها يمكن التحول إلى نظام صرف جديد يتلاءم مع الوضع الاقتصادي الجديد.

المصادر

١. أديب قاسم شندي، النقود والبنوك، الطبعة الأولى، النجف الأشرف، دار الضياء للطباعة والتصميم، ٢٠١٠.
٢. أديب قاسم شندي، سعر صرف الدينار العراقي والعوامل المؤثرة فيه، كلية بغداد للعلوم الاقتصادية، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية، العدد ١١، ٢٠٠٦.
٣. باسم خميس عبيد، تقدير وتحليل العلاقة بين معدل نمو الناتج المحلي الإجمالي ومعدل البطالة في الاقتصاد العراقي للمدة ١٩٩٠ - ٢٠١٤، جامعة بغداد، مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية، العدد ٩٦، المجلد ٢٣، لسنة ٢٠١٧.
٤. البنك المركزي العراقي، التقرير الاقتصادي السنوي، ٢٠٠٩.
٥. البنك المركزي العراقي، التقرير الاقتصادي السنوي، ٢٠١٤.
٦. جمال طارق محمد صبري، تسارع معدلات التضخم خلال الفترة (١٩٩١-٢٠٠٨) في العراق (الاسباب والمعالجات)، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة، العدد ٥٠، ٢٠١٧.
٧. حسين علي كيطان، قياس وتحليل تأثير عرض النقود على التضخم وسعر الصرف الأجنبي في الاقتصاد العراقي للمدة (٢٠١٤-١٩٩١)، جامعة واسط، مجلة الكوثر للعلوم الاقتصادية والإدارية، العدد ٢٦، لسنة ٢٠١٧.
٨. سامي عطو، تطور هيكل القطاع المالي وأدوات السياسة النقدية والمصرفية لتنشيط الاقتصاد العراقي، المؤتمر العلمي الثالث لقسم الاقتصاد الدراسات الاقتصادية، بغداد، بيت الحكمة، 2002.
٩. سحر قاسم محمد، الآليات الواجب توفرها لانتقال العراق من الاقتصاد المخطط إلى اقتصاد السوق، بحث منشور، كانون الأول 2011، ص 5. بحث منشور على الموقع www.cbi.iq/documents/sahar1.pdf.
١٠. عادل احمد حشيش، العلاقات الاقتصادية الدولية، الإسكندرية، دار الجامعة الجديدة للنشر، 2000.
١١. عبد الحسين الغالي، سعر الصرف وإدارته في ظل الصدمات الاقتصادية (نظرية وتطبيقات)، ط ١، عمان، دار الصفاء للنشر والتوزيع، ٢٠١١.
١٢. علي توفيق الصادق، وآخرون، "سياسات وإدارة أسعار الصرف في البلدان العربية"، أبو ظبي، صندوق النقد العربي، سلسلة بحوث ومناقشات، العدد ٣، ١٩٩٧.
١٣. فيصل غازي الدليمي، العلاقة التبادلية بين سعر الصرف والميزان التجاري، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة الأنبار، كلية الإدارة والاقتصاد.
١٤. لخلو موسى بوخاري، سياسة الصرف الأجنبي وعلاقتها بالسياسة النقدية - دراسة تحليلية للأثار الاقتصادية لسياسة الصرف الأجنبي، لبنان، مكتبة حسن العصرية، 2010.

- العلاقة بين سعر الصرف وبعض المتغيرات الحقيقية في العراق للمدة (١٩٩٠-٢٠١٦)
١٥. ماهر كنج شكري، مروان عوض، المالية العامة - العملات الأجنبية والمشتقات المالية بين النظرية والتطبيق، ط١، عمان، معهد الدراسات المصرفية، 2004.
١٦. مظهر محمد صالح، التضخم المستهدف هل يحقق الاستقرار في معدلات الصرف، دراسات في الاقتصاد العراقي، بغداد، بيت الحكمة، ٢٠٠١.
١٧. نجلة شمعون شليمون، تحليل العوامل المحددة لاتجاهات سعر صرف الدينار العراقي مقابل الدولار الامريكي، البنك المركزي العراقي، دائرة الاحصاء والابحاث، مجلة الدراسات النقدية، العدد ١، ٢٠١٧.
١٨. نجلة شمعون شليمون، مصدر سابق، ص ٤.
١٩. نشأت مجيد حسن الوندائي، قياس تأثير المستوى العام للأسعار وعرض النقد على سعر صرف الدينار العراقي للفترة ١٩٨٠-٢٠٠٢ باستخدام نموذج التعديل الجزئي، الجامعة المستنصرية، مجلة الادارة والاقتصاد، العدد ٨٢، ٢٠١٠.
٢٠. محمود محمد داغر، التحديات التي تواجهها السياسة النقدية وصعوبات الاتساق مع السياسة المالية، مجلة الدراسات النقدية، البنك المركزي العراقي، دائرة الإحصاء والبحاث، العدد الأول، 2017.

أثر القيادة الخادمة على الاداء الابداعي للعاملين -دراسة تحليلية لآراء

عينة من منتسبي قناة كربلاء الفضائية-

The Effect of attendant Leadership on the creative performance of the Employee -Analytical study of a sample of karbala Satellite channel-

أ.م.د. ميثاق هاتف الفتلاوي^(١)
Assist. Prof. Mithaq H. Al-Fatlawi
محمد محي رحيم^(٢)
Muhammad Muhi Raheem

المستخلص

الهدف من هذه البحث معرفة تأثير القيادة الخادمة على الاداء الابداعي للعاملين، ومن اجل تحقيق اهداف البحث تم تصميم مخطط فرضي يوضح طبيعة العلاقة بين متغيرات البحث الحالي. ولغرض اختبار فرضيات البحث تم تطبيق البحث على عينة من الأفراد العاملين في (قناة كربلاء الفضائية) للحصول على المعلومات المطلوبة عن طريق (الاستبانة) التي اعدت لهذا الغرض، وزعت على عينة بلغ حجمها (١١٧) يمثلون شريحة العاملين في قناة كربلاء الفضائية من مسؤولي الشعب والوحدات ونخبة من المنتسبين. وقد استعمل البحث الحالي ادوات احصائية عدة للوصول الى النتائج المتعلقة بها ومن أهمها (التحليل العاملي الانحدار البسيط، واختبار (T)، واختبار (F). وتوصل البحث الى مجموعة من النتائج أهمها (وجود علاقة ارتباط وتأثير ذات دلالة إحصائية ايجابية بين متغير القيادة الخادمة والاداء الابداعي للعاملين) وبناءً على تلك النتائج قدم الباحث مجموعة من التوصيات ابرزها ضرورة ان تستثمر قناة كربلاء الفضائية إيمان ملاكاتها بسمات القيادة الخادمة وتعمل على تجسيدها بشكل اوضح على ارض الواقع والافادة منها

١- جامعة كربلاء/ كلية الادارة والاقتصاد.

٢- جامعة كربلاء/ كلية الادارة والاقتصاد.

أثر القيادة الخادمة على الاداء الابداعي للعاملين -دراسة تحليلية لآراء عينة من منتسبي قناة كربلاء الفضائية-
بتعميق مستويات الانتماء لدى الافراد العاملين في القناة وزيادة مميزاتهم المعنوية والمادية واعطائهم القدرة
على التعبير عما يدور في عقولهم من افكار وحلول ومشاريع بتحقيق افضل مستويات المنافسة والاداء
الابداعي المتميز.

Abstract

The aim of this research is to learn about the knowing impact of Servant leadership on the creative performance of workers. And in order to achieve the objectives of the research was designed to hypothesize the nature of the relationship between the current search variables In order to test the hypothesis of the research, the research was applied to a sample of individuals working in Karbala satellite channel, and for obtain the required information we using questionnaire prepared for this purpose, distributed to a sample of (117) People, Representing the segment of employees in Karbala satellite channel from the people and units and elite officials. The current research used a number of statistical tools to analyzing the data collecting. The most important of these are regression analysis, Cronbach's analysis coefficient, standard deviation, The arithmetic mean, A simple correlation coefficient, Simple regression analysis, structural modeling equation, (T te`st), (F test). The research reached a number of results, the most important (the existence of correlation relationship and the impact of significant positive between the variable servant leadership and creative performance of workers) Based on these results, the researcher presented a set of recommendations, The most important of which is the need to invest Karbala satellite channel, Iman her staff characteristics of the leadership of the servant and work On their embodiment more clearly on the Reality ground and benefiting from them by deepening the levels of belonging To the individuals working in the channel and to increase its moral and material advantages and give them the ability to express what Their minds are driven by ideas, solutions and projects to achieve the best levels of competition and distinguished creative performance.

المبحث الأول: منهجية البحث

أولاً: تساؤلات البحث:

- يقوم البحث على تساؤلات عدة يعكس ما يهدف الباحثين الى دراسته كالآتي:
١. ما مستوى توفر سمات القيادة الخادمة في قناة كربلاء الفضائية؟
 ٢. ما مستوى امتلاك الافراد العاملين في قناة كربلاء الفضائية للأداء الابداعي؟
 ٣. كيف تؤثر القيادة الخادمة بالأداء الابداعي للأفراد العاملين في قناة كربلاء الفضائية؟

ثانياً: أهمية البحث:

إنَّ أهمية البحث تتمحور حول نقطتين تتعلق الأولى بما تحتله متغيرات البحث من أهمية على صعيد التأطير المعرفي واصلتها العلمية لدى الباحثين والمهتمين، إذ تشكل القيادة الخادمة إحدى الاسس الفكرية التي تم تركيز الاهتمام عليها في العقود الأخيرة لما تمثله من نقلة فكرية وعملية لتحقيق الاهداف المرسومة من خلال مناخ وظيفي يسوده الامن الوظيفي والثقة والتعاون بما يؤدي اطراف العمل على بذل المزيد من الجهود لتحقيق متطلبات العمل، وما توفره هذه الفلسفة القيادية من فرص متاحة للعاملين للقيام بالعمل بأنفسهم من خلال منحهم الثقة لتحقيق أفضل مستويات الاداء المتمثلة بالأبداع في العمل.

أما النقطة الثانية فتتعلق بالمكانة التي تحتلها (قناة كربلاء الفضائية) باعتبارها مرجعاً يمثل شريحة واسعة من المجتمع العراقي والعربي وهي تشكل عامل تأثير مباشر وفعلي في توجيهات وسلوكيات المجتمع مما يستلزم أن تكون هذه القناة ذات مناخ واجواء تشجع العاملين على اداء رسالتها الأساسية، وهي بذلك محط أنظار المهتمين والمتابعين من جميع دول العالم، مما يعزز أهمية دراسة متغيرات البحث الحالي في تلك القناة.

ثالثاً: أهداف البحث

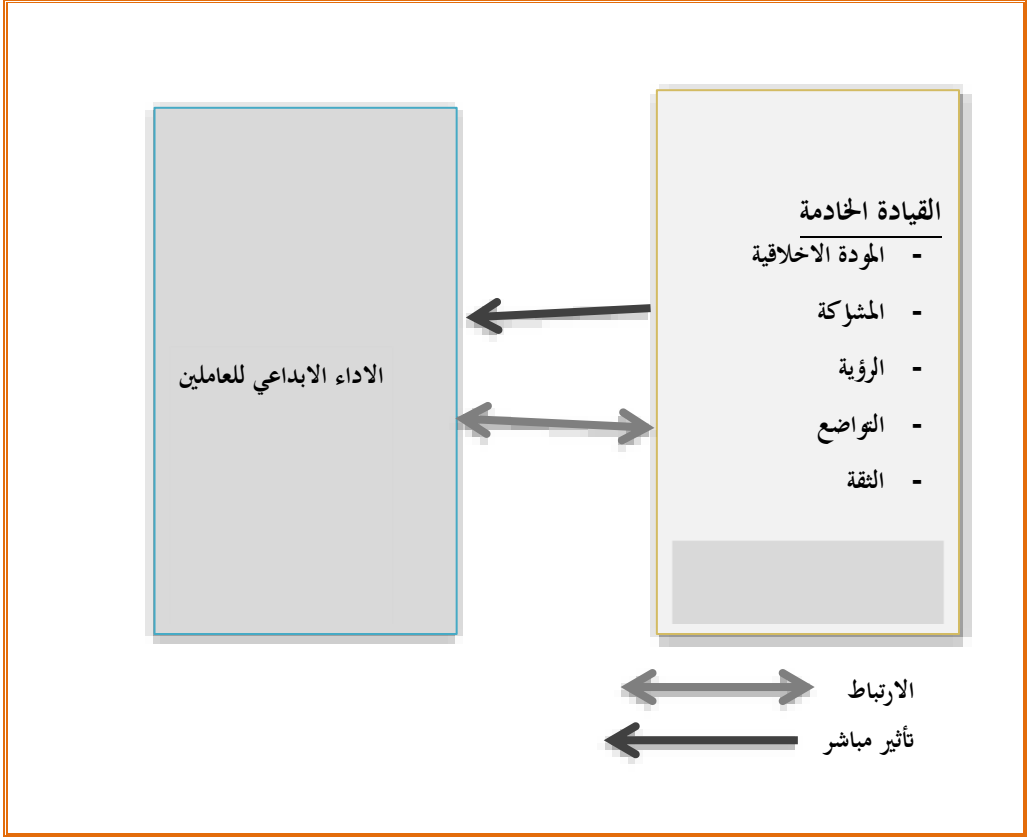
يهدف البحث الحالي بشكل اساسي الى بيان (تأثير القيادة الخادمة على الاداء الابداعي للعاملين) عن طريق عينة من الافراد العاملين في قناة كربلاء الفضائية، وبعد التعرف على مشكلة البحث وأهميتها يسعى البحث الحالي الى:

١. قياس مستوى أدراك الافراد عينة البحث لتوافر سمات القيادة الخادمة لدى الادارات العليا في قناة كربلاء الفضائية.

٢. التعرف على مستوى الاداء الابداعي للأفراد العاملين في قناة كربلاء الفضائية.

٣. توضيح العلاقة بين القيادة الخادمة والاداء الابداعي للعاملين في قناة كربلاء الفضائية.

رابعاً: المخطط الفرضي للبحث



الشكل (١) المخطط الفرضي للبحث

خامساً: فرضيات البحث

١. الفرضية الرئيسة الأولى:

(توجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية ايجابية بين القيادة الخادمة بأبعادها ومتغير الاداء الابداعي)

وتتفرع من هذه الفرضية خمس فرضيات فرعية هي:

- أ- توجد علاقة ارتباط إحصائية ايجابية بين بعد المودة الاخلاقية ومتغير الاداء الابداعي.
- ب- توجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية ايجابية بين بعد المشاركة ومتغير الاداء الابداعي.
- ت- توجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية ايجابية بين بعد الرؤية ومتغير الاداء الابداعي.
- ث- توجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية ايجابية بين بعد التواضع ومتغير الاداء الابداعي.
- ج- توجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية ايجابية بين بعد الثقة ومتغير الاداء الابداعي.

٢. الفرضية الرئيسة الثانية:

(توجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية ايجابية بين القيادة الخادمة بأبعادها ومتغير الاداء الابداعي)،

وتتفرع من هذه الفرضية خمس فرضيات فرعية هي:

- أ- توجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية إيجابية بين بعد المودة الاخلاقية ومتغير الاداء الابداعي.
ب- توجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية إيجابية بين بعد المشاركة ومتغير الاداء الابداعي.
ت- توجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية إيجابية بين بعد الرؤية ومتغير الاداء الابداعي.
ث- توجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية إيجابية بين بعد التواضع ومتغير الاداء الابداعي.
ج- توجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية إيجابية بين بعد الثقة ومتغير الاداء الابداعي.

سادساً: حدود البحث

١. الحدود البشرية: ركز البحث الحالي على مجموعة من مسؤولي الشعب والوحدات ونخبة من المنتسبين في قناة كربلاء الفضائية.
٢. الحدود الزمانية: قام الباحث بتطبيق البحث الحالي في قناة كربلاء الفضائية خلال المدة من (2018/ 28 / 2) والى غاية (28 / 4 / 2018).
٣. الحدود المكانية: شملت مجتمع البحث الافراد العاملين في قناة كربلاء الفضائية/ في محافظة كربلاء المقدسة.

سابعاً: عينة البحث واختيارها

أ- اختيار عينة البحث

شملت عينة البحث عدداً من مسؤولي الشعب والوحدات ونخبة من المنتسبين في قناة كربلاء الفضائية، اذ بلغ عدد أفراد مجتمع البحث (450) فرداً، وتم توزيع (150) استبانة، وكان عدد الاستبانات المسترجعة (135) وعدد الاستثمارات غير الصالحة (18) وكانت الاستثمارات الاستبانة الصالحة للتحليل عددها (117) اذ بلغت نسبة الاستجابة على الاستبانة ما يقارب (78%) وكما مبين في الجدول (1) الاتي:

جدول (1) عدد الاستثمارات الموزعة والمسترجعة لعينة البحث

النسبة	العدد	الاستمارة	مجتمع البحث
100 %	150	الموزعة	قناة كربلاء الفضائية
90 %	135	المسترجعة	
12 %	18	غير صالحة	
78 %	117	الصالحة	

المصدر: من إعداد الباحث

ب- وصف عينة البحث

تم تحديد عينة البحث بشكل عشوائي تضم (150) فرداً، من مستويات إدارية مختلفة من أفراد قناة كربلاء الفضائية منها مسؤولو الشعب (شعبة التصوير وشعبة الاخبار والمراسلين) ومسؤولو الوحدات (وحدات العلاقات، وحدات الاعداد والتقديم).

ثامناً: أدوات البحث

١. الجانب النظري: أعتمد الباحث في إغناء الجانب النظري على عدد من الكتب منها الكتب الاجنبية والعربية والمجلات الاكاديمية المتخصصة والدوريات والرسائل و الأطاريح.
٢. الجانب العملي: اعتمد البحث على فقرات استمارة الاستبانة الموزعة على عينة البحث من أفراد قناة كربلاء الفضائية للحصول على المعلومات والبيانات، وقد تم مراعاة في صياغة أسئلة الاستبانة بالبساطة والوضوح في تشخيص متغيرات البحث، وقد تتكون الاستبانة من جزأين.
أ- الجزء الأول: يشمل المعلومات التعريفية من حين يتضمن هذا الجزء كالآتي:
موصفات عينة البحث تشمل (المنصب الوظيفي، النوع الاجتماعي، الفئة العمرية، التحصيل الدراسي، سنوات الخدمة).

ب- الجزء الثاني: يشمل متغيرات البحث وهي كالآتي:

١. القيادة الخادمة: يمثل خمسة ابعاد وهي، بعد المودة الاخلاقية (5) فقرات، بعد المشاركة (5) فقرات، بعد الرؤية (5) فقرات، بعد التواصل (5) فقرات، وبعد الثقة أيضاً ضمت (2) فقرات.
٢. الاداء الابداعي للعاملين: يمثل مقياس أحادي البعد ويتكون من (13) فقرة.

تاسعاً: التعريفات الاجرائية

فيما يأتي للتعريفات الاجرائية لمتغيرات البحث والتي يمكن توضيحها وفقاً للآتي:-

١. القيادة الخادمة:- هي عملية مساعدة الافراد العاملين ودعمهم ومساندتهم وتزويدهم بالمعلومات ومنحهم الاحترام والدافع الذاتي من اجل تحقيق الاهداف المنشودة وجعلهم قادرين على الابداع والابتكار داخل وخارج المنظمة.
- أ- المودة الاخلاقية:- هي عملية قيام القائد الخادم بالتضحية من أجل الآخرين ومعاملتهم معاملة حسنة واعطائهم الاولوية في انجاز اعمالهم وتوفير رغباتهم وحاجاتهم فوق مصلحته الذاتية.
- ب- المشاركة:- هي عملية قيام القائد الخادم بمشاركة الافراد العاملين داخل المنظمة في عملية اتخاذ القرارات المهمة لكي يساعدهم على التطور والابداع وتحمل المسؤولية.
- ت- الرؤية:- هو عبارة عن امتلاك القائد الخادم رؤية قوية في الوقت الحالي والمستقبلي كما لديه القدرة على تقديم رؤية أكثر ايجابية للتنبؤ بعمل المنظمة.
- ث- التواصل:- هو قدرة القائد الخادم على التغلب على الاستعلاء والتكبر امام الآخرين والتركيز على متطلبات الافراد و يقوم القائد الخادم المتواصل بزرع علاقة قوية بينه وبين الافراد مما يخلق بيئة عمل ايجابية تعزز من قيمة المنظمة.

ج- الثقة:- يعد عنصر الثقة من العناصر المهمة التي يقوم بها القائد الخادم داخل المنظمة والتي يعزز بموجبها الانتماء والمصادقية في العمل لدى الافراد العاملين مما يسهل عملية تحقيق اهداف المنظمة.

٢. الاداء الابداعي للعاملين:- هو السلوك الإنساني الذي يولد افكاراً جديدة تتصف بالجدة والاصالة والفائدة والتي تؤدي الى التغير بشكل ايجابي لتتأجج وموارد المنظمة وتحسين أدائها.

المبحث الثاني: الجانب النظري

أولاً: القيادة الخادمة

١- مفهوم القيادة الخادمة وتعريفها

إنَّ القيادة بـ صورة عامة هي العملية التي عن طريقها يؤثر شخص معين في الآخرين لتحقيق هدف معين وتوجيه المنظمة بطريقة تجعلها أكثر تماسكاً وترابطاً (Sharma & Jain, 2013: 310). اما كلمة خادم على الرغم من ان لها دلالات سلبية الا ان الواقع العملي يشير الى انها يمكن استخدامها لتشير الى العمل من اجل تقديم شيء الى الآخر وهذا المعنى ليس سلبياً وانما ينطوي على تقديم المساعدة للآخرين وتعزيز المصالح والشعور بالمسؤولية تجاه الآخرين ما يسهم في تحقيق غرض اسمى وهو مصلحة المنظمة (حلي، ٢٠١٦: ١٧). اذ أصبحت القيادة الخادمة محط اهتمام متزايد كونها تمثل احد اشكال القيادة المثالية (Spears, 2010: 26). واصبح الاسلوب الكلاسيكي للقيادة والادارة غير ملائم للمرحلة الحالية اذ ان نماذج القيادة التي جاءت بنظرية القيادة الخادمة تعد من اروع نماذج القيادة على الاطلاق وتعد من المداخل الحديثة التي تركز على العلاقة بين طرفي العملية وهما القادة والاتباع (Farling et al., 1999: 51). إنَّ القيادة الخادمة تعد مدخلاً للقيادة يركز على مساعدة العاملين وتمكينهم من اشباع حاجاتهم وطموحاتهم والايفاء بمصالحهم واعطاء قيمة عالية لخدمة الآخرين على حساب مصالحهم الخاصة وهذا يمكن ان يساعد الافراد على ان يكونوا اكثر ايجابية وحكمة وكذلك اكثر استعداداً لخدمة منظماتهم (ابراهيم، ٢٠١٣: ٣١). ان هدف القائد الخادم هو تطور الآخرين عن طريق الاستثمار في تنميتهم ورفاهيتهم من أجل تحقيق أنجاز العمل بشكل اكثر اهتماماً وتطوراً للمصالح العام (Andersen, 2008: 9). إذ يساعد القائد الخادم في تحفيز الآخرين على العمل معاً بشكل تعاوني لتحقيق أفضل النتائج (Muslimah & Augustine, 2016: 18 August). وبعد استعراض التعاريف المذكورة آنفاً يمكن للباحث تعريف القيادة الخادمة (هي عملية مساعدة الافراد العاملين ودعمهم ومساندتهم وتزويدهم بالمعلومات ومنحهم الاحترام والدافع الذاتي من اجل تحقيق الاهداف المنشودة وجعلهم قادرين على الابداع والابتكار داخل وخارج المنظمة).

٢- أهمية القيادة الخادمة

إنَّ القيادة الخادمة تعطي للفرد فهماً واضحاً وأن أصحاب المصلحة يهدفون لتحقيق الاهداف التنظيمية ومن ثم تحفيز أنفسهم على بذل جهد متواصل لتحقيق تلك الأهداف وعلى الرغم من الرعاية والمساعدة واحترام العاملين فإنه يعطي لهم الخبرات النفسية الجيدة والرضا واثارة الروح الداخلية مما يجعلهم

ينظرون بالانتماء إلى المجتمع، في حين يجعل القائد ذو الشخصية الجيدة والموظفون يشعرون بزيادة رغبتهم بالبقاء في مكان العمل وتشير العديد من الدراسات إلى أن القائد الخادم يكون له تأثير إيجابي في ولاء العاملين (Ding et al., 2012:209). كما تساعد القيادة الخادمة العاملين على بلوغ مستويات عالية من النشاط والمعرفة الفكرية والسماح لهم لكي يعيشوا حياة متوازنة ومن ثم زيادة رضا الموظفين والالتزام التنظيمي وهي من العناصر الأساسية في تحديد الأداء التنظيمي (Maharaj, 2015: 87). كما ان القادة الخادموون يقومون بالناية الحقيقية للموظفين بدلا من حصر المسافة بينهما و يعد نهجاً شاملاً للعمل لإعطاء المزيد من القيمة الشخصية والنزاهة للموظف (Awan et al., 2012:44).

٣- ابعاد القيادة الخادمة

أعتمد الباحث في قياس متغير القيادة الخادمة على مقياس (Khan et al., 2016) والذي يتكون من الابعاد التالية (المودة الأخلاقية، المشاركة، الرؤية، التواضع، الثقة) وفيما يلي توضيح لها:

١. المودة الاخلاقية:

المودة الاخلاقية هي كلمة (يونانية) تعني المودة الاجتماعية أو الاحترام في معاملة الآخرين واشعار الآخرين انهم ذو قيمة والتي تأتي في مقدمة مهام القائد الخادم وتعتبر المودة عن تواضع القائد و الاهتمام بالآخرين ومشاركة الافراد و السعي الى ما هو حق وخير للمنظمة و اظهار الرحمة في المعتقدات والقيم مع جميع الافراد والتركيز على هدف المنظمة وعلى رفاه أتباعها وخلق التعاون وإدامته في المنظمة (Winston, 2003:2). إنَّ المودة الاخلاقية بين القائد الخادم وتابعيه تدل على علاقة اجتماعية يسبقها حسن أخلاقي وتصاحبها الرحمة بإرادة ذاتية وتشير الى عمل الشيء الصحيح بالوقت الصحيح للسبب الصحيح و يقصد بالمودة أحساس اجتماعي او أخلاقي واعتناق الحكم والموافقة المقصودة (Waddell, 2006:3).

٢. المشاركة:

تؤدي المشاركة الى تشجيع الاتباع وتسهيل مهام عملهم والمساعدة في تحديد وحل المشاكل فضلا عن تحديد متى وكيفية تنجز مهام العمل (Liden, 2008:162). وكما توصف المشاركة بأنها تطور الآخرين في المنظمة عن طريق تعامله مع ال (أنا) الخاصة بهم وعن طريق تشجيعهم وإشراكهم في المعرفة إذ يخدمهم أولاً و يبني علاقات معهم وينظر اليهم كقادة للمستقبل وإن القائد الخادم يبحث عن المواهب الكاملة لدى الأتباع من اجل اظهار افضل ما لديهم ويغفر لهم ويساعدهم على التعلم من حالات الفشل ويستغرق وقتاً وطاقة اكبر في إعدادهم دائماً لتجديد الاساليب الحديثة التي يستعملوها في أداء عملهم بتقدير وجدارة عالية (Parolini, 2004:4).

٣. الرؤية:

القائد الخادم هو الشخص القادر على إلهام الرؤية داخل المنظمة فهو لديه إحساس قوي بمنحه القدرة على التنبؤ بما ي صعب التنبؤ به كما أن لديه القدرة على تقديم رؤية استراتيجية للمنظمة وجعل الآخرين يؤمنون بقدراته في تحقيق الأهداف الاستراتيجية المرتبطة بها إلى أن هذه القدرة تقاس عن طريق شعور قوي ومهم في شخصية القائد مة صفة بالقيم التي يحملها (Parolini, 2004:5). والرؤية هي الفعل أو القوة للقائد الخادم من الناحية النظرية وتشير فكرة الرؤية الى أن القائد يتطلع ويرى الشخص كشخص

ذات قيمة و يعترف بالتنبؤ المستقبلي لكل فرد ويسعى إلى مساعدة الجميع (Jacobs,2006:7). وإنَّ مهمة القادة هي تشجيع الافراد على تبادل أفكارهم الجيدة في نهاية الامر لخلق رؤية مشتركة تهم الجميع، وان علامة القائد والسمة التي تضعه في موقف لجذب الاتباع هو عندما يوضح القائد قدرته على الرؤية لأكثر وضوح و الأفضل وجهة للمنظمة (Olesia et al 2013:88).

٤. التواضع:

يعد التواضع الاساس الذي يمكن القائد من ممارسة الخدمة تجاه التابعين ويعرف على أنه قدرة المرء على أن يرى الآخرين كبارا في نفسه والتواضع ضد الغرور الذي يعني أن يرى المرء نفسه أكبر حتى من أولئك الذين هم أقدر منه فالتواضع يعبر عن قدرة القائد على التغلب على التكبر والاستعلاء والتركيز على الآخرين من داخل نفسه والإحساس بهم وبإنجازاتهم و القدرة على حفاظ المواهب والذي يتضمن القبول الذاتي ويشمل كذلك فكرة التواضع الحقيقي كما لا يجري التركيز على الذات ولكن لتركز على الآخرين (Winston 2003:2). بأنه لا يمكن مساواة التواضع مع ضعف الثقة بالنفس ولكن بدلا من ذلك التواضع هو يتماشى مع ال (أنا) الإيجابية وقد يعتقد البعض التواضع هو شيء سلبى بينما الأمر هو عكس ذلك، فالقادة المتواضعون يمكن أن يكونوا جريئين جداً عندما يتعلق الأمر بإحساسهم للقيم والمبادئ الاخلاقية وعمل الشيء الصحيح (Dennis&Bocarnea,2004:602).

٥. الثقة:

تتمثل الثقة بثقة القائد الخادم في قدرات التابعين لتحقيق الاهداف التنظيمية والثقة جزء لا يتجزأ من القيادة الخادمة ويمكن رؤية القائد مع لأتباع التي تحدث الثقة والعمل مع الرؤية ولهذا السبب يوضح (Patterson's) بان الثقة التي تحدث في وقت الرؤية نفسها تساعد على تقديم عملية مشاركة القائد مع الاتباع فيما يتعلق بالعناصر التنظيمية (Winston 2003:4). أن مستوى ثقة الفرد هو قدرته أو استعداداه للعمل على وفق أخلاقية عادلة ونزيهة وبطريقة يمكن التنبؤ بها وأن قيم النزاهة والصدق تخلق الثقة بين التابعين والقائد وتؤدي إلى المصادقية (Jacobs, 2006:7). وان هدف القيادة الخادمة هو اعطاء الثقة للآخرين فالقادة الخادمون هم على استعداد لتحمل المخاطر لخدمة الآخرين بشكل جيد ويؤمن القادة الخادمون أنهم اصلاء ويمكن الاعتماد عليهم (Focht&Ponton,2015:52).

ثانياً: الاداء الابداعي للعاملين

١. مفهوم وتعريف الاداء الابداعي للعاملين

الابداع هو العملية التي تعطي شيئاً ما لم يكن موجوداً (السعيد، ٢٠٠٥: ٩١) أن ما يميز الابداع عن الابتكار هو التعبير عن قدرة التفكير الغير تقليدي او اعتماد البراعة او الخيال لتوليد طرق جديدة وغير مألوقة وأصيلة او حلول استثنائية، ويقف عند حدود الفكرة (الزعي و خريس، ٢٠١٠: ١٤). ان الاداء الابداعي هو إنتاج أفكار جديدة ومفيدة، والابتكار هو التنفيذ الناجح للأفكار الإبداعية داخل المنظمة (Gumusluoglu & Ilsev,2009:461). ويوصف الاداء الابداعي بأنه قدرة الموظف على الانتاج بأسلوب عمل جديد او فكرة جديدة او حل مميز لمشكلة إذ يتم هذا الانتاج بقدر من الطلاقة

أثر القيادة الخادمة على الاداء الابداعي للعاملين -دراسة تحليلية لآراء عينة من منتسبي قناة كربلاء الفضائية- الفكرية والمرونة الذهنية والاصالة والقدرة على التحليل والربط والحساسية للمشكلات (العتيبي، ٢٠١٣: ٢٧). أما (Torance 1962), فقد بين بان السياق العام للأداء الابداعي هو عملية مساعدة الفرد على ان يكون اكثر حساسية للمشاكل او حل المشكلة وجوانب النقص والتغيرات الابداعية والمعلومات والبحث عن حلول فريدة، والتنبؤ وصياغة الفرضيات وتقييمها واعادة صياغتها وتعديلها الى نتائج جديدة يستطيع الاشخاص المبدعون نقلها الى الاخرين (Drazin& Glynn, 2000: 276). لذلك عندما نعود الى أدبيات الاداء الابداعي للعاملين نجد أن هنالك وجهات نظر مختلفة من قبل الباحثين، وقد حاول الباحث وضع جدول (٢) بتعاريف الاداء الابداعي لبعض الكتاب والباحثين وحسب التسلسل الزمني لها.

الجدول (٢) تعاريف الاداء الابداعي

السنة	الباحث	التعريف	المصدر
1959	Anderson	هو عملية موجهة نحو الهدف يتم بنائها من أجل التغيير الإيجابي في المنظمة للوصول الى أشكال جديدة.	(Klaus, 1991:178)
1983	Amabile et al	هو إنتاج أفكار جديدة ومفيدة لدى أفراد أو مجموعات نحو تحقيق هدف معين أو معام مشكلة معينة متعلقة بالعمل.	(Rosenberg, 2007:1)
1996	Oldham & Cummings	هو توليد المنتجات أو الأفكار أو الإجراءات التي تفي بشرطين، أي أنها جديدة أو أصيلة وأن تكون ذات صلة مفيدة للمنظمة.	(MALIK& CHOI, 2014:1)
2005	Amabile et al	هو عملية الخروج بأفكار جديدة لتغيير المنتجات والخدمات والعمليات من أجل تحقيق أهداف المنظمة بشكل أفضل.	(Avey et al., 2011:2)
2011	&Cheung Wong	هو مجموعة من المهارات والقدرات والمعرفة والخبرات المتنوعة من قبل الافراد لتوليد الافكار الجديدة واتخاذ القرارات وحل المشكلات وإنجاز مهام العمل بطريقة فاعلة.	(Suifan &Janini, 2017:285)

المصدر: من أعداد الباحث بالاعتماد على المصادر أعلاه

٢. الخصائص الابداعية للعاملين.

إنَّ الافراد المبدعين لديهم الانفتاح على التجربة من حيث الانشطة الجديدة والعمل الاستباقي ويسعى المبدعون الى نَهج جديد لتحسين الاداء وتحقيق أفضل النتائج وتحمل روح المخاطرة في مكان العمل، ومن ثم فان توليد وتطوير الافكار الجديدة هو جزء اساسي من حياة هؤلاء الافراد المبدعين (4: 2016، Audenaert & Decramer). ويرى (hiting, 1988) ان الخصائص الاساسية للأشخاص المبدعين هي ان تكون لديهم قدرات عالية في التجربة يتم توجيهها بقوة نحو العمل والاعتماد على الحدس والحكم الذاتي في العمل والثقة بالنفس ولديهم القدرة على حل المشاكل ويمتلكون طاقة عالية ومرونة في التفكير (Whaley, 1993: 25). ولقد بين (Amabile, 1998) أن الافراد المبدعون لديهم العديد من الميزات التي يمتازونها من أقرانهم المبدعين ولديهم مجموعة غنية من المعارف ذات الصلة بالمجالات والمهارات المتقدمة ويجدون عملهم حافزاً وجوهرياً فأهم يمثلون عمالاً مستقلاً وغير تقليدي وأكثر عرضاً للمخاطرة ولديهم م صالِح واسعة وانفتاح اكبر على التجارب الجديدة (Beheshtifar & 244 Zare, 2013). وكذلك الافراد المبدعين لديهم الذكاء فوق المتوسط لتجميع المعلومات وتحليل الأفكار وتطبيق أفكارهم الابداعية و يدركون أهمية القطع ال صغيرة من المعلومات وقدرتهم على ربطها بطرائق لا يمكن لأحد أن يتخيلها و لديهم القدرة على التحقق الفائدة الكبير من هذا الافكار الجديدة وطرحها لدى الآخرين على الرغم من أن الذكاء يساعد الافراد على اكتشاف أفكار جديدة وان استمرار الفرد في البحث عن هذه الأفكار عن طريق التجربة والخبرات الذي يمتلكها الافراد المبدعون (Mcshane & Vonglinow, 2010:215).

٣. مقياس الاداء الابداعي للعاملين

تم وضع مقياس أحادي البعد للأداء الإبداعي من قبل (Scott & Bruce , 1994) ويتكون هذا المقياس من (6) فقرات ومنها على سبيل المثال (البحث دائماً عن التكنولوجيا والتقنيات الجديدة من اجل تحسين اداء عملي)، (دائماً ما اقوم باقتراح طرائق واساليب جديدة في العمل المؤكدة اليه)، (أقبل دائماً اراء الآخرين وافكارهم)، (أطور الخطط والجداول الزمنية الكافية لتنفيذ الأفكار الجديدة)... الخ واعتمد على مدرج ليكرت الخماسي الذي يتراوح بين (5 اتفاق بشدة) و (1 لا اتفاق بشدة). كما ان هذا المقياس استخدمه العديد من الباحثين فيما بعد لقياس الاداء الابداعي للعاملين مع اجراء التعديل على فقراته لتناسب مع عينة الدراسة للباحثين (Neubert & Kacmar , 2008: 1226) وبعد ذلك قام الباحثون بوضع مقياس أحادي البعد اكثر تطوراً لمقياس (Scott & Bruce, 1994) فقد وضع (George , 2001) Zhou &) مقياساً مكون من (13) فقرة ومنها على سبيل المثال (دائماً ما امتلك الطرائق والاساليب الحديثة والجيدة للتعامل مع المشاكل)، (احاول دائماً ان اطبق ما اعرفه من طرق جديدة لا نجاز مهام العمل بالمنظمة)، (لدي الاستعداد ان اتحمل المخاطرة من أجل تطبيق الافكار الابداعية)، (أقترح طرائقاً جديدة لزيادة جودة منتجات عملي)، وبالاغتماد على مدرج ليكرت الخماسي الذي يتراوح بين (5 اتفاق بشدة) و (1 لا اتفاق بشدة) (Moghimi & Subramaniam , 2013: 5). علماً ان هذا المقياس أحادي البعد يتفق مع مقياس كل من (Gong & Zhang, 2017: 5; Mehmood, 2016: 69; Lin) (et al., 2015: 9 Tang, 2015: 4).

المبحث الثالث: الجانب العملي

تمهيد:

يتعلق هذا المبحث بعرض الجانب العملي للبحث، اذ يتضمن بيان صلاحية البيانات المستخدمة في البحث ثم تحليل وتفسير استجابات الافراد عينة البحث عن طريق الوصف الاحصائي ومن ثم القيام باختبار علاقات الارتباط والتأثير بين متغيري البحث (القيادة الخادمة) و (الاداء الابداعي للعاملين) وكما يلي:

اولاً. عملية ترميز وتوصيف مقاييس البحث

تشتمل مقاييس البحث على جزئين اساسيين هما (القيادة الخادمة، والاداء الابداعي) وكل جزء يتكون من عدة ابعاد فرعية والجدول (٣) يقدم توضيحاً عن ترميز كل متغير وكل بعد ويشير الى مصدر الحصول على المقياس وعدد الفقرات لكل بعد من الابعاد:

جدول (٣) الترميز والتوصيف

المتغير	البعد	عدد العبارات	الرمز	المصدر
القيادة الخادمة Servant leadership	1. المودة الاخلاقية	5	Moarl	(Khan et al,2016)
	2. المشاركة	5	Participation	
	3. الرؤية	5	Vision	
	4. التواصل	5	Humility	
	5. الثقة	2	Trust	

المصدر: من إعداد الباحث بأعتماد ادبيات المتغيرات

ثانياً. الاختبار الاحصائي والفني لمقاييس البحث

اعتمد الباحث في جمع بيانات البحث على الاستبانة (Questionnaire) المعدة لهذا الغرض. هذه الاداة تعتمد على سلم قياس ليكرت (Likert) الخماسي من (لا اتفق بشدة-الى- اتفق بشدة) وبسبب الاهمية التي تحتلها اداة القياس في اي بحث تجريبي فان الامر يستلزم التأكد من دقة وصحة البيانات. اذ ان اختبار الثبات يوضح ان ما يتم الحصول عليها من نتائج تكون ثابتة اذا ما اعيد توزيع الاستبانة على العينة نفسها عبر مدد زمنية مختلفة ويمكن التحقق من الثبات عن طريق التحقق من الاتساق الداخلي باستعمال معامل الثبات. وقد تم حساب معامل الثبات للأداة باستخدام معامل ارتباط كرونباخ الفا الموضح في الجدول (٤):

جدول (٤) معاملات الثبات لمقاييس البحث

المتغير	كرونباخ الفا للمتغير	البعد	معامل كرونباخ الفا لكل بعد
		١. المودة الاخلاقية	0.89

0.86	٢. المشاركة	0.90	القيادة الخادمة
0.85	٣. الرؤية		
0.90	٤. التواضع		
0.90	٥. الثقة		
		0.88	الاداء الابداعي

المصدر: من إعداد الباحث باعتماد مخرجات برنامج SPSS. V.25
يشير الجدول (4) بأن قيم معامل كرونباخ الفا قد تراوحت بين (0.88-0.90) وهي مقبولة إحصائياً في البحوث الإدارية والسلوكية لأن قيمتها أكبر (0.75) (Bernstein, 1994، & Nunnally) والتي تدل على أن الاداة تتصف بالاتساق والثبات الداخلي.

ثالثاً: الوصف الاحصائي لنتائج البحث وتحليلها وتفسيرها

تتعلق هذه الفقرة بالوصف الاحصائي (المتوسط الحسابي، والانحراف المعياري، والاهمية النسبية) لمتغيري البحث وابعادهما.

وحددت البحث مستوى الاجابات في ضوء المتوسطات الحسابية عن طريق تحديد انتمائها لأي فئة. ولأن استبانة البحث تعتمد على مقياس ليكرت الخماسي (اتفق بشدة - لا اتفق بشدة) فإن هنالك خمس فئات تنتمي لها المتوسطات الحسابية. وتحدد الفئة عن طريق إيجاد طول المدى (4=1-5)، ومن ثم قسمة المدى على عدد الفئات (5) ($0.80 = 4/5$) وبعد ذلك يضاف (0.80) الى الحد الأدنى (1) او يطرح من الحد الأعلى (5) وتكون الفئات كالاتي: (15: Dewberry, 2004). وتكون الفئات كما في جدول (٥) كالاتي:

جدول (٥) تصنيف فئات الوصف الاحصائي

تسلسل الفئة	الفئات	المستوى
1	1.80 - 1	منخفض جداً
2	2.60 - 1.81	منخفض
3	3.40 - 2.61	معتدل
4	4.20 - 3.41	مرتفع
5	5.00 - 4.21	مرتفع جداً

المصدر: من إعداد الباحث باعتماد الادبيات

اولاً. القيادة الخادمة

يشتمل مقياس القيادة الخادمة على خمس ابعاد رئيسية، أذ يشير الجدول (٦) الى مخلص الابعاد لمتغير القيادة الخادمة وكذلك المعدل العام للمتغير فيما يخص المتوسط الحسابي والانحراف المعياري ودرجة الاجابة والاهمية النسبية وكما يلي:

جدول (6) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ودرجة الاجابة والاهمية النسبية للأبعاد الرئيسة لمتغير القيادة الخادمة (N=117) فرد

البعد الرئيسي	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الاجابة	الاهمية النسبية
١. المودة الاخلاقية	3.97	.794	مرتفع	الثاني
٢. المشاركة	3.82	.826	مرتفع	الثالث
٣. الرؤية	3.62	.755	مرتفع	الخامس
٤. التواضع	3.80	.906	مرتفع	الرابع
٥. الثقة	4.12	.850	مرتفع	الاول
المعدل العام لمتغير القيادة الخادمة	3.86	.705	مرتفع	-

المصدر: من إعداد الباحث باعتماد مخرجات برنامج SPSS. V.25

ونلاحظ عن طريق بيانات الجدول (6) بأن بعد الثقة حصل على المرتبة الاولى بدرجة الاهمية النسبية حسب اجابات عينة البحث اما اقل متوسط فقد كان من نصيب الرؤية، وبشكل عام كان المتوسط الحسابي العام لمتغير القيادة الخادمة مرتفع (3.86) وبانحراف معياري عام بلغ (.705). والجدول (6) يوضح المتوسطات الحسابية لكل بعد من ابعاد القيادة الخادمة، وهذا مؤشر ايجابي ان تتوافر في بيئة العمل ظاهرة كالقيادة الخادمة تجعل من مكان العمل مكانا مريحا ومساعدنا لتحقيق مستويات عالية من الرضا والتفاني ومن ثم انعكاسها على مستويات الاداء الوظيفي.

ثانيا: متغير الاداء الابداعي

يظهر الجدول (7) البيانات الخاصة بالوصف الاحصائي لمتغير الاداء الابداعي. اذ يظهر هذا الجدول بان الفقرة (13) الخاصة (احاول دائماً ان اطبق ما اعرفه من طرائق جديدة لا نجاز مهام العمل بالمنظمة). قد حصلت على اعلى المتوسطات الحسابية بلغت (4.31) وبانحراف معياري (.726). يبين انسجام اجابات الافراد عينة البحث، وضمن مستوى اجابة "مرتفع جداً". في حين حصلت الفقرة (8) الخاصة (دائماً ما أقوم بتحديد الفرص الابداعية عن غيرها من الفرص المتاحة). على ادنى المتوسطات الحسابية بلغ (3.96) وبانحراف معياري بلغ (.764). يبين انسجام وتناغم اجابات الافراد عينة البحث اتجاه هذه الفقرة وضمن مستوى اجابة "مرتفع".

ووفقاً لما تقدم، فان المعدل العام لمتغير الاداء الابداعي بلغ (4.09) وبانحراف معياري بلغ (.543). وقد حصل هذا المتغير على مستوى اجابة "مرتفع" تشير النتائج في جدول (7) الى توافر مستويات عالية من الاداء الابداعي في قناة كربلاء الفضائية يعكس ذلك المتوسطات المتحققة لفقرات هذا المتغير مما يعد مؤشراً ايجابياً.

جدول (7) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ومستوى الاجابة والاهمية النسبية لمتغير الاداء الابداعي

(N= 117) فرد

ت	العبارة	M	S.D.	مستوى الاجابة	الاهمية النسبية
1	دائماً ما اقوم باقتراح طرائق واساليب جديدة لتحقيق اهداف وغايات القسم الذي اعمل فيه.	3.99	.904	مرتفع	11
2	اقدم أفكار جديدة وعملية لتحسين المهام الموكلة لي.	3.97	.855	مرتفع	12
3	ابحث دائماً عن التكنولوجيا والتقنيات الجديدة من اجل تحسين اداء عملي.	4.16	.798	مرتفع	3
4	أقترح طرائق جديدة لزيادة جودة منتجات عملي.	4.09	.870	مرتفع	8
5	يعد عملي م صدراً جيداً من م صادر الافكار الابداعية.	4.16	.918	مرتفع	4
6	لدي الاستعداد ان أتحمّل المخاطرة من أجل تطبيق الافكار الابداعية.	4.11	.935	مرتفع	6
7	أقبل دائماً اراء وافكار الآخرين.	4.26	.735	مرتفع جدا	2
8	دائماً ما أقوم بتحديد الفرص الابداعية عن غيرها من الفرص المتاحة.	3.96	.764	مرتفع	13
9	أطور الخطط والجداول الزمنية الكافية لتنفيذ الأفكار الجديدة.	3.99	.835	مرتفع	10
10	انفذ المهام الموكلة لي بأساليب و أفكار جديدة ومبتكرة.	4.10	.854	مرتفع	7
11	دائماً ما اجد الحلول المبتكرة للمشاكل التي تواجهني في عملي.	4.11	.878	مرتفع	5
12	دائماً ما امتلك الطرائق والاساليب الحديثة والجيدة للتعامل مع المشاكل.	4.00	.855	مرتفع	9
13	احاول دائماً ان اطبق ما اعرفه من طرائق جديدة لا نجاز مهام العمل بالمنظمة	4.31	.726	مرتفع جدا	1
المعدل العام		4.09	.543	مرتفع	

المصدر: من إعداد الباحث باعتماد مخرجات برنامج SPSS. V.25

رابعاً: اختبار فرضيات الارتباط والتأثير

اعتمد الباحث باختبار فرضيات البحث المتعلقة بالارتباط التأثير المباشر على احصاءات عدة هي (مصفوفة الارتباط، معاملات الارتباط البسيط (Pearson) وتحليل الانحدار البسيط)، وقد استخدمت مصفوفة معاملات الارتباط البسيط لغرض التحقق من قوة علاقات الارتباط الموجودة ما بين الابعاد والمتغيرات. واستخدم تحليل الانحدار البسيط، لغرض اختبار علاقات التأثير بين متغيرات البحث واختبار أنموذج البحث.

أ- اختبار فرضيات الارتباط: أولاً. الفرضية الرئيسة الاولى:

(توجد علاقة ارتباط إحصائية ايجابية بين القيادة الخادمة بأبعاده ومتغير الاداء الابداعي). استخدم الباحث معامل الارتباط البسيط (pearson) لاختبار الفرضية الرئيسة الثالثة والمتضمنة بعلاقات الارتباط بين أبعاد المتغير المستقل (القيادة الخادمة) والمتغير المعتمد (الاداء الابداعي). اذ يظهر الجدول (8) مصفوفة معاملات الارتباط البسيط (Pearson) بين ابعاد هذه المتغيرات. وقبل الدخول في اختبار الفرضيات الفرعية الخمس لهذه الفرضية فان الجدول (8) يشير ايضاً الى حجم العينة (117) فرداً ونوع الاختبار (2-tailed). ومختصر (Sig.) في الجدول يشير الى اختبار معنوية معامل الارتباط عن طريق مقارنة قيمة (t) المحسوبة مع الجدولية من غير ان يظهر قيمها. فاذا ظهر وجود علامة (**) على معامل الارتباط فان هذا يعني بان قيمة (t) المحسوبة اكبر من الجدولية. ويتم الحكم على مقدار قوة معامل الارتباط في ضوء قاعدة (Cohen & Cohen, 1983)، وكالاتي:

* علاقة الارتباط منخفضة: اذا كانت قيمة معامل الارتباط اقل من 0.10

* علاقة الارتباط معتدلة: اذا كانت قيمة معامل الارتباط بين 0.10 - 0.30

* علاقة الارتباط قوية: اذا كانت قيمة معامل الارتباط اعلى من 0.30

اذ يوضح الجدول (٨) علاقات الارتباط بين ابعاد المتغير المستقل والمتغير المعتمد وكما موضح في

ادناه:

جدول (٨) علاقات الارتباط بين متغير القيادة الخادمة بأبعاده ومتغير الاداء الابداعي

Correlations							
		القيادة الثقة	التواضع	الرؤية	المشاركة	المودة الاخلاقية	
الاداء الابداعي	Pearson	.347**	.266**	.230*	.326**	.314**	.356**
	Correlation						
	Sig. (2-tailed)	.000	.004	.013	.000	.001	.000
	N	117	117	117	117	117	117

** . Correlation is significant at the 0.01 level (2-tailed).

*. Correlation is significant at the 0.05 level (2-tailed).

المصدر: مخرجات برنامج spss v. 25

فيما يخص اختبار علاقة الارتباط بين متغير القيادة الخادمة ومتغير الاداء الابداعي يتبين ان هناك علاقة ارتباط ايجابية بلغت (0.347^{**}). وبمستوى علاقة ارتباط قوية لأنها تجاوزت نسبة ارتباط (30%) حسب تصنيف (Cohen & Cohen, 1983) وان علاقة الارتباط هذه معنوية عند (1%) تدل على ذلك علامتي النجمة الظاهرة اعلى نسبة الارتباط وتتفرع من هذه الفرضية خمس فرضيات فرعية هي:

١. الفرضية الفرعية الاولى: (توجد علاقة ارتباط معنوية إحصائية ايجابية بين بعد المودة الاخلاقية ومتغير الاداء الابداعي).

اظهر الجدول (٨) وجود علاقة ارتباط موجبة ومعنوية بين بعد المودة الاخلاقية ومتغير الاداء الابداعي وقد بلغت قيمة معامل الارتباط (0.356^{**}). عند مستوى معنوية بلغ (1%) أي بدرجة ثقة بلغت (99%) وهذا يدل على ايجابية العلاقة الطردية بينهما وبمستوى علاقة ارتباط قوية.

وما يدعم هذه النتيجة هو قيمة (Sig. (2-tailed)) المحسوبة لعلاقة الارتباط بين بعد المودة الاخلاقية والاداء الابداعي والبالغة (0.000)، اذ تدل هذه النتيجة على معنوية علاقة الارتباط، وهذا يدل على قبول الفرضية الفرعية الأولى التي تنص على وجود علاقة ارتباط معنوية بين بعد المودة الاخلاقية ضمن متغير القيادة الخادمة والمتغير المعتمد الاداء الابداعي عند مستوى معنوية (1%) أي إن نتيجة القرار مقبولة بدرجة ثقة قدرها (99%).

وبناءً على ما تقدم يمكن تفسير علاقة الارتباط بين بعد المودة الاخلاقية ومتغير الاداء الابداعي بانها علاقة ارتباط ايجابية طردية بينهما وتشير الى الاهتمام بالعوامل التي تساعد على زيادة مستويات الاداء الابداعي لدى الافراد عينة البحث.

٢. الفرضية الفرعية الثانية: (توجد علاقة ارتباط إحصائية ايجابية بين بعد المشاركة والاداء الابداعي).

اظهر الجدول (٨) وجود علاقة ارتباط موجبة ومعنوية بين بعد المشاركة ومتغير الاداء الابداعي وقد بلغت قيمة معامل الارتباط (0.314^{**}). عند مستوى معنوية بلغ (1%) أي بدرجة ثقة بلغت (99%) وهذا يدل على ايجابية العلاقة الطردية بينهما وبمستوى علاقة ارتباط قوية.

وما يدعم هذه النتيجة هو قيمة (Sig. (2-tailed)) المحسوبة لعلاقة الارتباط بين بعد المشاركة والاداء الابداعي والبالغة (0.000)، اذ تدل هذه النتيجة على معنوية علاقة الارتباط، وهذا يدل على قبول الفرضية الفرعية الثانية التي تنص على وجود علاقة ارتباط معنوية بين بعد المشاركة ضمن متغير القيادة الخادمة والمتغير المعتمد الاداء الابداعي عند مستوى معنوية (1%) أي إن نتيجة القرار مقبولة بدرجة ثقة قدرها (99%).

وبناءً على ما تقدم يمكن تفسير علاقة الارتباط بين بعد المشاركة ومتغير الاداء الابداعي بانها علاقة ارتباط ايجابية طردية بينهما وتشير الى قيام القناة بإتاحة الفرصة للأفراد فيها بمشاركتهم في القرارات الخاصة بهم وبعملهم في تلك القناة.

٣. الفرضية الفرعية الثالثة: (توجد علاقة ارتباط إحصائية إيجابية بين بعد الرؤية والاداء الابداعي).

اظهر الجدول (٨) وجود علاقة ارتباط موجبة ومعنوية بين بعد الرؤية ومتغير الاداء الابداعي وقد بلغت قيمة معامل الارتباط (0.326^{**}) عند مستوى معنوية بلغ (1%) أي بدرجة ثقة بلغت (99%) وهذا يدل على ايجابية العلاقة الطردية بينهما وبمستوى علاقة ارتباط قوية.

وما يدعم هذه النتيجة هو قيمة ((Sig. (2-tailed)) المحسوبة لعلاقة الارتباط بين بعد الرؤية والاداء الابداعي والبالغة (0.000)، اذ تدل هذه النتيجة على معنوية علاقة الارتباط، وهذا يدل على قبول الفرضية الفرعية الثالثة التي تنص على وجود علاقة ارتباط معنوية بين بعد الرؤية ضمن متغير القيادة الخادمة والمتغير المعتمد الاداء الابداعي عند مستوى معنوية (1%) أي إن نتيجة القرار مقبولة بدرجة ثقة قدرها (99%).

وبناءً على ما تقدم يمكن تفسير علاقة الارتباط بين بعد الرؤية ومتغير الاداء الابداعي بانها علاقة ارتباط ايجابية طردية بينهما وتشير الى ان ادارة القناة استطاعت ان توفر وضوح بالرؤية الخاصة بقناة كربلاء الفضائية.

٤. الفرضية الفرعية الرابعة: (توجد علاقة ارتباط إحصائية إيجابية بين بعد التواضع والاداء الابداعي).

اظهر الجدول (٨) وجود علاقة ارتباط موجبة ومعنوية بين بعد التواضع ومتغير الاداء الابداعي وقد بلغت قيمة معامل الارتباط (0.230^{**}) عند مستوى معنوية بلغ (5%) أي بدرجة ثقة بلغت (95%) وهذا يدل على ايجابية العلاقة الطردية بينهما وبمستوى علاقة ارتباط معتدلة.

وما يدعم هذه النتيجة هو قيمة ((Sig. (2-tailed)) المحسوبة لعلاقة الارتباط بين بعد التواضع والاداء الابداعي والبالغة (0.013)، اذ تدل هذه النتيجة على معنوية علاقة الارتباط، وهذا يدل على قبول الفرضية الفرعية الرابعة التي تنص على وجود علاقة ارتباط معنوية بين بعد التواضع ضمن متغير القيادة الخادمة والمتغير المعتمد الاداء الابداعي عند مستوى معنوية (5%) أي إن نتيجة القرار مقبولة بدرجة ثقة قدرها (95%).

وبناءً على ما تقدم يمكن تفسير علاقة الارتباط بين بعد التواضع ومتغير الاداء الابداعي بانها علاقة ارتباط ايجابية طردية بينهما وتشير الى ان ادارة القناة لديها من التصرفات التي توحى بتواضع المسؤولين فيها مما جعل الافراد الموظفين يدركون ذلك وينعكس بالارتباط مع اداءهم.

٥. الفرضية الفرعية الخامسة: (توجد علاقة ارتباط إحصائية إيجابية بين بعد الثقة والاداء الابداعي).

اظهر الجدول (٨) وجود علاقة ارتباط موجبة ومعنوية بين بعد الثقة ومتغير الاداء الابداعي وقد بلغت قيمة معامل الارتباط (0.266^{**}) عند مستوى معنوية بلغ (1%) أي بدرجة ثقة بلغت (99%) وهذا يدل على ايجابية العلاقة الطردية بينهما وبمستوى علاقة ارتباط معتدلة.

وما يدعم هذه النتيجة هو قيمة ((Sig. (2-tailed)) المحسوبة لعلاقة الارتباط بين بعد الثقة والاداء الابداعي والبالغة (0.004)، اذ تدل هذه النتيجة على معنوية علاقة الارتباط، وهذا يدل على قبول الفرضية الفرعية الخامسة التي تنص على وجود علاقة ارتباط معنوية بين بعد الثقة ضمن متغير القيادة الخادمة والمتغير المعتمد الاداء الابداعي عند مستوى معنوية (1%) أي إن نتيجة القرار مقبولة بدرجة ثقة

قدرها (99%). وبناءً على ما تقدم يمكن تفسير علاقة الارتباط بين بعد الثقة ومتغير الاداء الابداعي بأنها علاقة ارتباط ايجابية طردية بينهما وتشير الى ان ادارة القناة استطاعت ان تبني مناخا يسوده الثقة في العمل ما جعل العاملين يدركون ذلك وظهرت علاقته بالأداء الابداعي لهم.

ب- فرضيات التأثير: اولا: الفرضية الرئيسة الاولى:

(توجد علاقة تأثير إحصائية ايجابية بين القيادة الخادمة بأبعادها ومتغير الاداء الابداعي). تهتم الفرضية الرئيسة الاولى باختبار علاقة الاثر المحتملة بين ابعاد متغير القيادة الخادمة (المودة الأخلاقية، المشاركة، الرؤية، والتواضع، والثقة) ومتغير الاداء الابداعي. وقد استعمل الباحث تحليل الانحدار البسيط للتحقق من وجود علاقات التأثير ذات الدلالة الاحصائية. وتتفرع من هذه الفرضية خمس فرضيات فرعية، وسيضمن هذا التحليل عدداً من المؤشرات تشمل معاملات الانحدار B وقيمة T المحسوبة وقيمة F المحسوبة ومعامل التحديد (التفسير) R^2 ، بالنسبة لقيم T و F المحسوبة فسيقوم البرنامج الاحصائي (SPSS) بمقارنتها بشكل مباشر مع قيمها الجدولية للتأكد من قضية المعنوية الاحصائية التي ستتوضح بحكم علامة (*) التي ستظهر على قيم معاملات T و F وكما هو ظاهر في الجدول (٨)، وكالاتي:

أذ يتضح من الجدول (٩) ما يأتي:

اولاً:- إن قيمة (F) المحسوبة للأنموذج المقدّر بلغ (15.724) عند مستوى دلالة (0.01). و بناءً عليه تقبل الفرضية وهذا يعني وجود تأثير ذو دلالة إحصائية لمتغير القيادة الخادمة في الاداء الابداعي و بدرجة ثقة (99%). كما موضح في جدول (٩) ادناه

جدول (٩) تحليل الانحدار الخطي البسيط بين متغير القيادة الخادمة ومتغير الاداء الابداعي

ANOVAa						
Model		Sum of Squares	df	Mean Square	F	Sig.
1	Regression	4.118	1	4.118	15.724	.000 ^b
	Residual	30.120	115	.262		
	Total	34.239	116			
a. Dependent Variable: Performance						
b. Predictors: (Constant), Servant						

Spss. V.25 المصدر: مخرجات برنامج

ثانياً:- يتضح من قيمة معامل التحديد (R^2) البالغة (0.120) أن متغير القيادة الخادمة قادرة على تفسير ما نسبته (12%) من التغيرات التي تطرأ على الاداء الابداعي في قناة كربلاء الفضائية عينة البحث. أما النسبة البالغة (88%) فتعزى إلى مساهمة متغيرات أخرى غير داخلية في أنموذج البحث. كما موضح في جدول (١٠) ادناه.

جدول (١٠) تحليل الانحدار الخطي البسيط بين متغير القيادة الخادمة ومتغير الاداء الابداعي

Model Summary

Model	R	R Square	Adjusted R Square	Std. Error of the Estimate
1	.347 ^a	.120	.113	.51178

a. Predictors: (Constant), Servant

المصدر: مخرجات برنامج Spss. V.25

ثالثاً:- يتضح عن طريق قيمة معامل الميل الحدي (β) البالغ (0.267). أن زيادة مستويات متغير القيادة الخادمة بمقدار وحدة واحدة من الانحرافات المعيارية سيؤدي إلى زيادة الاداء الابداعي بنسبة (26.7%) من وحدة انحراف معياري واحد إذا تقبل الفرضية، كما موضح في جدول (11) ادناه

جدول (11) تحليل الانحدار الخطي البسيط بين متغير القيادة الخادمة ومتغير الاداء الابداعي

Coefficients ^a						
Model		Unstandardized Coefficients		Standardized Coefficients	t	Sig.
		B	Std. Error	Beta		
1	(Constant)	3.064	.265		11.572	.000
	Servant	.267	.067	.347	3.965	.000

a. Dependent Variable: Performance

المصدر: مخرجات برنامج Spss. V.25

ومن الفرضية الرئيسة وتنبثق الفرضيات الفرعية الاتية.

١. الفرضية الفرعية الاولى:- (توجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية لبعده الموده الاخلاقية في متغير الاداء الابداعي).

وتظهر نتائج الجدول (١٢) ما يأتي:

اولاً:- إن قيمة (F) المحسوبة للأنموذج المقدّر بلغ (16.681) عند مستوى دلالة (0.01). و بناءً عليه تقبل الفرضية وهذا يعني وجود تأثير ذو دلالة إحصائية لبعده الموده الاخلاقية في الاداء الابداعي و بدرجة ثقة (99%).

ثانياً:- يتضح من قيمة معامل التحديد (R^2) البالغة (0.127). أن بعد الموده قادر على تفسير ما نسبته (12.7%) من التغيرات التي تطرأ على الاداء الابداعي في قناة كربلاء الفضائية عينة البحث. أما النسبة البالغة (87.3%) فتعزى إلى مساهمة متغيرات أخرى غير داخلية في أنموذج البحث.

ثالثاً:- يتضح عن طريق قيمة معامل الميل الحدي (β) البالغ (0.243). أن زيادة مستويات بعد الموده الاخلاقية بمقدار وحدة واحدة من الانحرافات المعيارية سيؤدي إلى زيادة الاداء الابداعي بنسبة (24.3%) من وحدة انحراف معياري واحد إذا تقبل الفرضية.

٢. الفرضية الفرعية الثانية:- (توجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية لبعده المشاركة في متغير الاداء الابداعي).

وتظهر نتائج الجدول (١٢) ما يأتي:

أولاً:- إن قيمة (F) المحسوبة للأنموذج المقدر بلغ (12.616) عند مستوى دلالة (0.01). و بناءً عليه تقبل الفرضية وهذا يعني وجود تأثير ذو دلالة إحصائية لبعء المشاركة في الاداء الابداعي و بدرجة ثقة (99%).

ثانياً:- يتضح من قيمة معامل التحديد (R^2) البالغة (0.99). أن بعد المشاركة قادر على تفسير ما نسبته (9.9%) من التغيرات التي تطرأ على الاداء الابداعي في قناة كربلاء الفضائية عينة البحث. أما النسبة البالغة (90.1%) فتعزى إلى مساهمة متغيرات أخرى غير داخلية في أنموذج البحث.

ثالثاً:- يتضح عن طريق قيمة معامل الميل الحدي (β) البالغ (2.07). أن زيادة مستويات بعد المشاركة بمقدار وحدة واحدة من الانحرافات المعيارية سيؤدي إلى زيادة الاداء الابداعي بنسبة (20.7%) من وحدة انحراف معياري واحد اذاً تقبل الفرضية.

٣. الفرضية الفرعية الثالثة:- (توجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية لبعء الرؤية في متغير الاداء الابداعي).

وتظهر نتائج الجدول (١٢) ما يأتي:

أولاً:- إن قيمة (F) المحسوبة للأنموذج المقدر بلغ (13.692) عند مستوى دلالة (0.01). و بناءً عليه تقبل الفرضية وهذا يعني وجود تأثير ذو دلالة إحصائية لبعء الرؤية في الاداء الابداعي و بدرجة ثقة (99%).

ثانياً:- يتضح من قيمة معامل التحديد (R^2) البالغة (1.06). يتضح بان بعد الرؤية قادر على تفسير ما نسبته (10.6%) من التغيرات التي تطرأ على الاداء الابداعي في قناة كربلاء الفضائية عينة البحث. أما النسبة البالغة (89.4%) فتعزى إلى مساهمة متغيرات أخرى غير داخلية في أنموذج البحث.

ثالثاً:- يتضح عن طريق قيمة معامل الميل الحدي (β) البالغ (2.234). أن زيادة مستويات بعد الرؤية بمقدار وحدة واحدة من الانحرافات المعيارية سيؤدي إلى زيادة الاداء الابداعي بنسبة (23.4%) من وحدة انحراف معياري واحد اذاً تقبل الفرضية.

٤. الفرضية الفرعية الرابعة:- (توجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية لبعء التواضع في متغير الاداء الابداعي).

وتظهر نتائج الجدول (١٢) ما يأتي:

أولاً:- إن قيمة (F) المحسوبة للأنموذج المقدر بلغ (6.429) عند مستوى دلالة (0.05). و بناءً عليه تقبل الفرضية وهذا يعني وجود تأثير ذو دلالة إحصائية لبعء التواضع في الاداء الابداعي و بدرجة ثقة (95%).

ثانياً:- يتضح من قيمة معامل التحديد (R^2) البالغة (0.053). أن بعد التواضع قادر على تفسير ما نسبته (5.3%) من التغيرات التي تطرأ على الاداء الابداعي في قناة كربلاء الفضائية عينة البحث. أما النسبة البالغة (94.7%) فتعزى إلى مساهمة متغيرات أخرى غير داخلية في أنموذج البحث.

أثر القيادة الخادمة على الاداء الابداعي للعاملين -دراسة تحليلية لآراء عينة من منتسبي قناة كربلاء الفضائية-
ثالثاً:- يتضح عن طريق قيمة معامل الميل الحدي (β) البالغ (138). بان زيادة مستويات بعد
التواضع بمقدار وحدة واحدة من الانحرافات المعيارية سيؤدي إلى زيادة الاداء الابداعي بنسبة (13.8%)
من وحدة انحراف معياري واحد اذاً تقبل الفرضية.

٥. الفرضية الفرعية الخامسة:- (توجد علاقة تأثير ذات دلالة إحصائية لبعء الثقة في متغير الاداء
الابداعي).

وتظهر نتائج الجدول (١٢) ما يأتي:

أولاً:- إن قيمة (F) المحسوبة للأنموذج المقدر بلغ (8.745) عند مستوى دلالة (0.01). و بناءً عليه
تقبل الفرضية وهذا يعني وجود تأثير ذو دلالة إحصائية لبعء الثقة في الاداء الابداعي و بدرجة ثقة
(99%).

ثانياً:- يتضح من قيمة معامل التحديد (R^2) البالغة (0.071). أن بعد الثقة قادر على تفسير ما
نسبته (7.1%) من التغيرات التي تطرأ على الاداء الابداعي في قناة كربلاء الفضائية عينة البحث. أما
النسبة البالغة (92.9%) فتعزى إلى مساهمة متغيرات أخرى غير داخلية في أنموذج البحث.

ثالثاً:- يتضح عن طريق قيمة معامل الميل الحدي (β) البالغ (170). بان زيادة مستويات بعد الثقة
بمقدار وحدة واحدة من الانحرافات المعيارية سيؤدي إلى زيادة الاداء الابداعي بنسبة (17%) من وحدة
انحراف معياري واحد اذاً تقبل الفرضية.

جدول (١٢) نتائج تحليل الانحدار لاختبار الفرضيات الفرعية من الفرضية الرئيسة الاولى

المتغير المستقل	المتغير المعتمد	B	T	Sig.	R^2	F
المودة	الاداء الابداعي	.243	12.973	.000	.127	16.681
المشاركة		.207	14.533	.001	.099	12.616
الرؤية		.234	13.862	.000	.106	13.692
التواضع		.138	16.784	.013	.053	6.429
الثقة		.170	14.053	.004	.071	8.745

المصدر: من إعداد الباحث باعتماد مخرجات برنامج Spss V.25

المبحث الرابع: الاستنتاجات والتوصيات

أولاً: الاستنتاجات

١. أظهر التحليل توافر القيادة الخادمة في قناة كربلاء الفضائية بنسبة جيدة مما يوضح مدى تفاني
المعنيين في القناة بتوفير اجواء العمل المحفزة عن طريق اشاعة المودة والتعاون والعامل الاخلاقي بين
العاملين والعمل على توفير قدر كاف للمنتسبين للمشاركة بمجريات العمل وتقرير طريقة العمل.
٢. بين التشخيص ان الافراد في قناة كربلاء الفضائية يمتازون بأداء ابداعي يعتمد على توليد الافكار
الملائمة لعمل القناة وامكانياتهم العالية في وضع الحلول الابداعية لمشاكل العمل في القناة الفضائية

وذلك كله نابع من انتمائهم العالي للقناة والاهداف التي تسعى لتحقيقها مما يجعلهم يتفانون بعملية إيجاد الافكار الخلاقة للارتقاء بعملها.

٣. اظهر التحليل وجود علاقة ارتباط وتأثير بين القيادة الخادمة والاداء الابداعي وبمستويات تأثير قليلة تتجاوز (13%) ولجميع ابعاد القيادة الخادمة والاداء الابداعي، وبالرغم من تلك العلاقة والتأثير كانت ايجابية الا انه يعد تأثيراً قليلاً وقد يعود السبب في انخفاض مدى التأثير بينهما الى ان قناة كربلاء الفضائية وضمن ثقافتها وتوجهاتها العامة يؤمن منتسبيها بأنهم رساليون بغض النظر عن طريقة تعامل المسؤولين والقيادات معهم.

٤. اهتمام (قناة كربلاء الفضائية) بتطوير مهارات وإمكانيات الافراد لديها وتوفير بيئة عمل ملائمة تمكنهم في التكيف مع المتغيرات المحيطة واستخدام قدراتهم في تحقيق رؤية مستقبلية في القناة.

٥. إن إدارة القناة لديها من التصرّفات التي توحى بتواضع ومصادقية المسؤولين فيها مما جعل الافراد العاملين يدركون ذلك وينعكس بالارتباط مع اداءهم.

٦. تحرص ادارة (قناة كربلاء الفضائية) على تقديم معلومات وخدمات لمشاهديها فضلاً عن امتلاك الفضائية المصادقية والمعرفة على بث البرامج الخلاقة التي قد تنعكس على مستوى مهارات الافراد لديها.

ثانياً: التوصيات

١. اهمية ان تستغل قناة كربلاء الفضائية المهارات العقلية التي يتمتع بها ملاكاتها الوظيفية واستغلال الافكار الجديدة التي يطرحونها واتاحة الفرص بشكل اكبر لهم للمشاركة في وضع الحلول للمشاكل كونهم وحسب الاستنتاجات يتمتعون بمواهب وقدرات جيدة تؤهلهم ان يكونوا افراد مؤثرين بمجال عمل قناة كربلاء الفضائية.

٢. ضرورة ان تستثمر قناة كربلاء الفضائية إيمان ملاكاتها بسمات القيادة الحقيقية وتعمل على تجسيدها بشكل اوضح على ارض الواقع والافادة منها بتعميق مستويات الانتماء لدى الافراد العاملين في القناة وزيادة مميزاتهم المعنوية والمادية واعطائهم القدرة على التعبير عما يدور في عقولهم من افكار وحلول ومشاريع يمكن ان تزيد من مستوى التمكين.

٣. اهمية ان تعي قناة كربلاء الفضائية ان اظهر سمات القيادة الخادمة في العمل في القناة كربلاء الفضائية غير كاف اذ لم يوظف بشكل صحيح في زيادة مستويات اداء العاملين فيها أي يجب ان يكون هناك اثر واضح للتعامل الاخلاقي واشاعة روح التعاون في القناة الى زيادة نسب الانجاز والتفاني في تحقيق متطلبات النهوض بواقع القناة.

٤. ضرورة اهتمام ادارة قناة كربلاء الفضائية بخلق بيئة عمل ايجابية تعزز الدوافع الذاتية للأفراد ومعرفة كيفية رفع مستوى اداء الفرد في المنظمة المبحوثة.

٥. تركيز ادارة قناة كربلاء الفضائية على دعم وتطوير الافكار الجديدة للأفراد العاملين في المنظمة المبحوثة من اجل تحقيق ميزة تنافسية من بين المنظمات الاخرى.

أثر القيادة الخادمة على الاداء الابداعي للعاملين -دراسة تحليلية لآراء عينة من منتسبي قناة كربلاء الفضائية-
٦. ضرورة اهتمام قناة كربلاء الفضائية بإزالة الحواجز امام الافكار الخلاقة وتشجيع اساليب العمل
المبتكر والعمل على استغلال كل فكرة جديدة.

المصادر

أولاً:- المصادر العربية

أ- البحوث والمقالات والدوريات.

- الزعبي، علي فلاح، خريس، إبراهيم محمد (٢٠١٠)"إدارة المعرفة و دورها في الإبداع التنظيمي في الشركات الأردنية" جامعة الزرقاء الأردنية، كلية العلوم الاقتصادية والإدارية.

ب- الرسائل و الاطاريح.

١. إبراهيم، منى عمران عقيل، (٢٠١٣) "القيادة الخادمة وعلاقتها بمستوى الثقة التنظيمية السائدة في مدارسهم من وجهة نظر المعلمين"، رسالة ماجستير، كلية العلوم التربوية، جامعة الشرق الاوسط.
٢. حلبي، منال جهاد عامر، (٢٠١٦)"القيادة الخادمة وعلاقتها بالتنمية المهنية للمعلمين". رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية نابلس- فلسطين.
٣. السعيد، فاضل عباس كريم (٢٠٠٥)"المناخ التنظيمي وأثره على الرضا الوظيفي والابداع" دراسة ميدانية في الشركة العامة للصناعات النسيجية- الحلة، رسالة ماجستير، كلية الادارة والاقتصاد، جامعة الكوفة.
٤. العتيبي، غانم بن غزاي الروقي (٢٠١٣) "أمن نظم المعلومات وعلاقته بمستوى الابداع للعاملين في شركة الاتصالات السعودية بالرياض" رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا جامعة نايف العربية للعلوم الامنية.
٥. مطر، ليث علي، (٢٠١١) "دور القيادة الخادمة في تعزيز سلوك المواطنة التنظيمية"، رسالة ماجستير، دراسة استطلاعية في عينة كليات جامعة القادسية، كلية الادارة والاقتصاد، جامعة القادسية.

ثانياً:- المصادر الاجنبية

A. Books

- Mcshane, Steven L., & Von Glinow, Mary Ann, (2010)"Organizational Behavior" 5th Edition, Published by McGraw-Hill, Irwin, a business unit of The McGraw-Hill.

B. Journal & Periodical

1. Andersen, J. A. (2008) "When a servant-leader comes knocking" Leadership & Organization Development Journal, Vol. 30 No. 1, pp. 4-15.

2. Audenaert, Mlaki, & Decramer, Adelién, (2016). "When empowering leadership fosters creative performance: The role of problem-solving demands and creative personality" JOURNAL OF Administration and Management, University of Connecticut, on 18 Dec, Downloaded from <http://www.cambridge.org/core>.
3. Avey, J. B.; Hannah, S. T.; Sweetman, D.; Christopher, P. (2011). "Impact of employees' character strengths of wisdom on stress and creative performance", Human Resource Management Journal, pp. 1-17.
4. Awan, K.; Qureshi, I.; Sadiya, A. (2012) "Effective leadership in NGOs: Impact of Servant leadership Style on Employees' work Performance and mediation effect of work motivation" International Journal of Economics and Management Sciences, Vol. 1, No. 11, 2012, pp. 43-56.
5. Beheshtifar, Malikeh, & Zare, Elaheh (2013). "Employee Creativity: A compulsory Factor in Organizations" Periodical for contemporary research in business, VOL. 5, NO. 2. pp. 242-247.
6. butt, arlfn, Mohamed Abdel Rahman Malik, & Choi, Jin Nam, (2014)" Rewards and Employee Performance: Mitigating the effects on creative self-efficacy, rewarding importance, and monitoring location" Journal of Organizational Behavior, Correspondence to: Jin Nam Choi, Graduate School of Business, Seoul National University, Shinlim dong.
7. Dennis, R. S.; Bocarnea, M. (2004) "Development of the servant leadership assessment instrument " Leadership & Organization Development Journal, Vol. 26 No. 8, 2005 pp. 600-615.
8. Ding, D.; Lu, H.; Yi- Lu, Q. (2012) "Relationship of Servant Leadership and Employee Loyalty: The Mediating Role of Employee Satisfaction" Journal of Personal Selling, Vol.4 No.3, pp. 208-215.
9. Drazin, R. K.; & Glynn, M. (2000) "Creativity and technological learning: the roles of organization architecture and crisis in large-scale projects" Technol. Manage. Vol. 17 (2000) pp. 273–298.
10. Farling, M. L.; Stone, A. G.; Bruce E. W. (1999) "Servant Leadership Servant: Setting the Stage for Empirical Research" Regent University School of Business, the journey of leadership studies, vol, 6, no. pp. 1-2.
11. Focht, A.; Ponton, M. (2015) "Determining the Primary Characteristics of Servant Leadership: A Delphi Study" Regent University, School of Business & Leadership, International Journal of Leadership Studies, Vol. 9, No. 1.

12. Gong, Z.; Na Zhang, (2017) "Using a Feedback Environment to Improve Creative Performance: A Dynamic Affect Perspective" *Organizational Psychology*, a section of the journal *Frontiers in Psychology*, Vol. (8) pp. 1-11.
13. Gumusluoglu, L.; Ilsev, A. (2009) "Transformational leadership, creativity, and organizational innovation" *Journal of Business Research*, Vol. (62). pp. 461–473.
14. Jacobs, G. A. (2006) " Servant Leadership and Follower Commitment", School of Leadership Studies, Regent University http://www.regent.edu/acad/sls/publications/conference_proceedings/servant_leadership_roundtable/2006/pdf/gilbert.pdf.
15. Khan, A.; Khan, A.; Zeeshan M. (2016) "Consequences of Servant leadership style on employees Motivation (Empirical study on private and public sector Universities Employees" *Journal of Applied Environmental and Biological Sciences*, Vol. 6(5S), pp. 124-138.
16. Liden, R. C.; Wayne, S. J.; Zhao, H.; Henderson, D. (2008) "Servant leadership: Development of a multidimensional measure and multi-level assessment" *Journal of the Elsevier, The Leadership Quarterly*, Vol. 19, pp. 161–177.
17. Lin, B.; Charalampos, M.; Ronit, K. (2015) "Leaders' responses to creative deviance: Differential effects on subsequent creative deviance and creative performance" *journal The Leadership Quarterly*, <http://dx.doi.org/10.1016/j.leaqua.2015.09.001>.
18. Maharaj, R. (2015) "Servant Leadership and its Implications for Organisational Management in the Furniture Décor Industry: A Case Study", Richfield Graduate Institute of Technology, Durban, South Africa, *International Journal of Business Management and Economics Research*, Vol. 2, No. 2, pp. 83-93.
19. Mehmood, S. (2016) "The impact of ethical leadership on employee creativity: the role of intermediary in the role of trust and control of creative self-efficacy" *Jinnah Business Review*, Vol.4, No.2, pp. 65-74.
20. Moghimi, S.; Subramaniam, I. (2013). "Employees' Creative Behavior: The Role of Organizational Climate in Malaysian SMEs" *International Journal of Business and Management*; Vol. 8, No. 5. pp. 1-12.
21. Moghimi, Solmaz, & Subramaniam, Indra Devi, (2013). "Employees' Creative Behavior: The Role of Organizational Climate in Malaysian SMEs" *International Journal of Business and Management*; Vol. 8, No. 5. pp. 1-12.

22. Mukonoweshuro, J. Z.; Sanangura, C.; Elias, M. (2016) "The role of servant leadership and emotional intelligence in managerial performance in a commercial banking sector in Zimbabwe" Banks and Bank Systems, Vol. 11. NO, 3.
23. Neubert, M. J.; Kacmar, M. K.; Carlson, D. S.; Chonko, L. B.; Roberts, J. A, (2008) "Organizational focus as an intermediary for the impact of the initiative structure Leadership on employee behavior" Journal of Applied Psychology, Vol. 93, No. 6, pp. 1220–1233.
24. Olesia, W.; Namusonge, G.S.; Mike E. I. (2013)" Role of Servant Leadership on Organizational Commitment: An Exploratory Survey of State Corporations in Kenya " University of Agriculture and Technology, International Journal of Humanities and Social Science, Vol. 3 No. 13.
25. Parolini, J. L. (2004) "Effective servant leadership A model incorporating servant leadership and the competing values framework" School of Leadership Studies, Regent University http://www.regent.edu/acad/sls/publications/conference_proceedings/servant_leadership_roundtable/2004pdf/parolini_effective_servant.pdf.
26. rban, Klaus K. (1991)"on the Development of Creativity in Children" Creativity Research Journal, Vol. 4, No. 2, pp. 177-191.
27. Sharma, M.; Jain S. (2013) "Leadership Management: Principles, Models and Theories", College, Falna Dist. Pali, Rajasthan. Global Journal of Management and Business Studies, vol. 3, No.3. pp. 309-318.
28. Smith, C. (2005)"the leadership theory", The Greenleaf -Leadership <http://www.greenleaf.org.uk/whatissl.html>.
29. Spears, L. C. (2010), "Character and Servant Leadership: Ten Characteristics of Effective, Caring Leaders" The Journal of Virtues & Leadership, Vo,l. No.1, pp. 25-30.
30. Suifan, Taghrid S. & Janini, Al Marwa, (2017). "The Relationship between Transformational Leadership and Employees' Creativity in the Jordanian Banking Sector" International Review of Management and Marketing, vol. 7(2), pp. 284-292.
31. Tang, J. (2015) "Linking personal turbulence and creative behavior: The influence of scanning and search in the entrepreneurial process" Journal of Business Research, <http://dx.doi.org/10.1016/j.jbusres.2015.09.017>.
32. Waddell, J. T. (2006) "Servant Leadership" Regent University, School of Leadership Studies http://www.regent.edu/acad/sls/publications/conference_proceedings/servant_leadership_roundtable/2006pdf/waddell.pdf.

33. Winston, B. (2003) "Extending Patterson's Servant Leadership Model: Explaining How Leaders and Followers Interact in a Circular Model" School of Leadership Studies, Regent University, http://www.regent.edu/acad/sls/publications/conference_proceedings/servant_leadership_roundtable/2003pdf/winston_extending_patterson.pdf.

C. Theses & dissertation

1. Chathury, A.S. (2008) "Servant Leadership in a Large South African Business Organization" Master Thesis, University of South Africa, Graduate School of Business Leadership.
2. Rosenberg, Daniel, (2007) "Evaluate the equivalence of the climate index KEYS for creativity across management levels" Master Thesis, Graduate Faculty of North Carolina State University.
3. Whaley, Sherrie Renee, (1993) "Director and staff memberships are factors that protect or encourage creativity in California State University units that specialize in agricultural communities, home economics, youth, community and natural resource development programs" Dissertation Doctor, Graduate School of Ohio State University.

أحكام القتل العمد جريمة التسمم أنموذجاً

-دراسة فقهية مقارنة مع القانون الوضعي-

Rules of Lynch poisoning Crime as Example - jurisprudential study with Legislated law-

Lect. Zahra Mahdi

م.د. زهراء مهدي^(١)

الملخص

تعد جريمة التسمم من الجرائم الماسة بحياة الإنسان وكذلك سلامة بدنه؛ ولأنها تنهي وجود الإنسان وحياته. وأن حياته لا تقدر بثمن وما قيمة المال في مقابل حياة الإنسان وهذه الجريمة لأتحدد الفرد فقط وإنما الأسرة بل حتى المجتمع، وترتكب بطريقة وحشية تدخل الروح في نفوس الناس وأصبحت هذه الجريمة تثير القلق لدى المجتمع الدولي والسبب في ذلك يعود إلى اتساع نطاق هذه الجريمة وتعقيدات الحياة الاجتماعية وزيادة مستلزمات المعيشة والتطور العلمي والتكنولوجي والذي بدوره وفر للجناة وسائل كثيرة ومتنوعة تمكنهم من تنفيذ أهدافهم كوسائل النقل السريعة وتنوع الأسلحة وكثرة المواد الكيميائية وتنوع السموم والمحاليل مما جعل الجناة يقدمون على مشاريعهم الإجرامية دون الحاجة إلى استعمال الوسائل القديمة كالبنديقية أو المسدس لإزهاق أرواح ضحاياهم وإحدى هذه الوسائل هي جريمة التسمم حيث ان هذه الجريمة قد ترتكب من أقارب المجني عليه.

Abstract

Praise be to Allah, the Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon the best of His creation Muhammad and his good house

The crime of poisoning is one of the crimes that are harmful to human life as well as the safety of its body; because it terminates the existence and life

١ - كلية العلوم الإسلامية / جامعة اهل البيت - كربلاء - .

of the human being. His life is invaluable and the value of money in exchange for human life and this crime to threaten the individual only, but the family and even society. The crime is of concern to the international community. This is due to the wide scope of this crime, the complexities of social life, the increase in living conditions and the scientific and technological development, which in turn provided the perpetrators with many and varied means to implement their objectives such as rapid transport and diversifying weapons. Wade and the diversity of toxins and chemical solutions, making offenders provide for criminal projects without having to use the old means of rifle or pistol for taking the lives of their victims and one of these means is the crime of poisoning as this crime often committed by relatives of the victim.

المقدمة

بالنسبة إلى أهميه الموضوع أن الشريعة الإسلامية كانت وما زالت تدعو الى العدل ومكارم الأخلاق والابتعاد عن كل ما من شأنه إيذاء الناس أذ جاء الفقه الإسلامي ليجوب القصاص على القتل العمد حتى لا يضيع حق المجني عليه وكذلك وجوب الدية إذا قبل أولياء المقتول بالسسم كذلك لحقن دماء بقية أفراد عائلة المجني عليه وكذلك جاء القانون ليضع العقاب على هذه الجناية.

السبب من اختيار موضوع القتل العمد وانتقاء العنوان وهو جريمة التسمم لأنه يعد من الجرائم الماسة بحياة الإنسان وكذلك سلامة بدنه ولأنها تنهي وجود الانسان وحياته. وأن حياته لا تقدر بثمن وما قيمة المال في مقابل حياة الإنسان وهذه الجريمة لأتهدد الفرد فقط وإنما الأسرة بل حتى المجتمع. وترتكب بطريقة وحشية تدخل الروح في نفوس الناس وأصبحت هذه الجريمة تثير القلق لدى المجتمع الدولي والسبب في ذلك يعود إلى اتساع نطاق هذه الجريمة وتعقيدات الحياة الاجتماعية وزيادة مستلزمات المعيشة والتطور العلمي والتكنولوجي والذي بدوره وفر للجناة وسائل كثيرة ومتنوعة تمكنهم من تنفيذ أهدافهم كوسائل النقل السريعة وتنوع الأسلحة وكثرة المواد الكيميائية وتنوع السموم والمخاليل مما جعل الجناة يقدمون على مشاريعهم الإجرامية من دون الحاجة إلى استعمال الوسائل القديمة كالبندقية أو المسدس لإزهاق أرواح ضحاياهم وإحدى هذه الوسائل هي جريمة التسمم حيث ان هذه الجريمة قد ترتكب من أقارب المجني عليه.

وابرز المصادر المعتمدة في البحث هي:

المبسوط للسرخسي / كتاب المغني لابن قدامة الحنبلي / بدائع الصنائع للكاتاني / الخلاف للطوسي/مغني المحتاج للشيريني /النظرية العامة لجريمة القتل العمد لحميد السعدي/ جواهر الكلام لمحمد حسين النجفي وغيرها من المصادر والمراجع.

وقد قسمت البحث الى التمهيد وهو يشمل عرض وجيز لأقسام القتل.

وبعد هذا قسمنا البحث على ثلاثة مباحث، المبحث الأول تحدثنا فيه عن تعريف القتل العمد بصورة مفصلة في اللغة واصطلاح الفقهاء والقانونيين وأدلة التحريم من الكتاب العزيز والسنة الشريفة.

ثم تحدثنا في المبحث الثاني عن جريمة التسمم ومعنى هذه الجريمة في الطب الشرعي والأركان المكونة لهذه الجريمة.

وإما المبحث الثالث فيتكلم عن عقوبة هذه الجريمة في الشريعة الإسلامية والقانون.
ثم الخاتمة واهم النتائج المترتبة على هذا البحث.

التمهيد: أقسام القتل

قبل الدخول في بحث القتل العمد جريمة التسمم انموزجاً تطبيقياً ينبغي أن نقوم بعرض وجيز عن أقسام القتل في الشريعة والقانون.

أولاً: - أقسام القتل في الشريعة الإسلامية: -

ثمة خلاف لدى بعض الفقهاء من حيث أقسام القتل على ما سنبينه بين المذاهب الخمسة:

أ- رأي الحنفية:

حيث قسم أبو حنيفة القتل إلى ثلاثة أقسام عمد وشبه عمد وخطأ ونلاحظ ذلك كما ذكر السر خسي في كتابه المبسوط أذ (قال أبو حنيفة القتل على ثلاثة أوجه عمد وخطأ وشبه العمد والمراد به بيان أنواع القتل بغير حق فيما يتعلق به من الأحكام) (٢).
وقال الكاساني القتل أربعة أنواع (عمد محض ليس فيه شبهة العدم وقتل عمد فيه شبهة العدم وهو المسمى بشبه العمد وقتل هو خطأ محض ليس فيه شبهة العدم وقتل هو في معنى القتل الخطأ) (٣).

ب- رأي الشافعية:

وأما فقهاء الشافعية فقد قسموا القتل إلى ثلاثة أقسام وقال النووي (الفعل المزهق ثلاثة عمد وخطأ وشبه العمد) (٤) كما ونص على هذه الأقسام الثلاثة الفقيه (محمد الشريبي الخطيب) (٥).

ج- رأي المالكية:

وقد قسم فقهاء المالكية القتل إلى مباشر وغير مباشر وقد قسموا المباشر إلى العمد والخطأ أما شبه العمد فأنهم لا يقولون به إلا في حالة واحدة وهي إذا قتل الأب ابنه وأما القتل غير المباشر فهو القتل بسبب وقال الخرشي (تارة يكون بالمباشرة أي القتل وتارة يكون بالتسبب) (٦).

٢- السرخسي: شمس الدين أبو بكر، المبسوط، ط٢، دارالمعرفة، بيروت- لبنان، د.ت.ط. ٥٩/٢٦.

٣- الكاساني: علاء الدين أبي بكر بن مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتاب العربي بيروت- لبنان، د.ت.ط. ٢٣٣/٦.

٤- النووي لشافعي: أبي زكريا يحيى بن شرف منهاج الطالبين وعمدة المفتين، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، دمشق - سوريا، ب.ت.ط. / (١٢٢/ ٥).

٥- ينظر -الشريبي: محمد الخطيب، مغنياً لاحتاج إلى معرفته معاني الألفاظ، مطبعة الانتفاضة، القاهرة- مصر، ١٩٥٥ م، ٤/ ٣-٢.

٦- الخرشي: أبو عبد الله محمد، شرح الخرشي، ط٢، مصر، ب.ت.ط. ٨/٧.

د- رأي الحنابلة:

أما بالنسبة إلى فقهاء الحنابلة فقد قسموا القتل إلى ثلاثة أقسام، عمد وخطأ وشبه عمد وقد جاء في المغني (قال أبو القاسم والقتل على ثلاثة أوجه عمد وشبه عمد وخطأ أكثر أهل العلم يرون القتل منقسماً إلى هذه الأقسام الثلاثة)^(٧).

هـ- رأي الأمامية:

وقد قسم فقهاء الأمامية القتل إلى عمد وشبه عمد وخطأ وقد قال صاحب الجواهر (وعلى كل حال فلا خلاف عندنا في ان الأقسام ثلاثة كل منها حكم يحرصه)^(٨) وقد قال الشيخ الطوسي بهذا أيضاً (القتل على ثلاثة اضرب. عمد محض وخطأ محض وشبه عمد)^(٩).

ثانياً: - أقسام القتل في القانون.

وأما بالنسبة الى رجال القانون فقد قسموا القتل الى عمد وخطأ ولم ينصوا على القتل شبه العمد الا أنهم يقولون به حكماً ويطلقون عليه اصطلاح (الضرب المفضي إلى الموت)^(١٠). وقد ذكروا قسماً ثالثاً وهو القتل بالقضاء والقدر حيث لا يتحمل من ارتكبه أي عقوبة بدنية كانت أم مالية.

وإما الفقه الإسلامي فلا يسقط اي عقوبة عن القتل بشتي صوره وقد أدرج قانون العقوبات العراقي الضرب المفضي إلى الموت في فصل القتل الخطأ (م ١٤٠) منه^(١١). ويبدو لي أن الشريعة الإسلامية هي الأصوب في تقسيم القتل وعلى رجال القانون أن يتبعوا الفقهاء في هذا التقسيم والسبب في ذلك واضح لان القتل شبه العمد يختلف عن العمد وعن القتل الخطأ.

المبحث الأول: معنى القتل العمد وأدلة التحريم

بعد أن عرفنا أن من أقسام القتل هو القتل العمد سوف نتناول في هذا المبحث معنى القتل العمد لغة واصطلاحاً عند فقهاء المذاهب الإسلامية الخمسة وكذلك رجال القانون وأدلة تحريمه من الكتاب العزيز والسنة الشريفة.

المطلب الأول: تعريف القتل العمد

الفرع الأول: لغة

قال الفيومي (قتله: قتلاً أزهقت روحه فهو قتيل)^(١٢).

٧- ابن قدامة: موفق الدين أبي محمد عبد الله بن احمد، المغني، دار الكتاب العربي، بيروت- ١٢٩٢ هـ، ص ٣٢٠- ٣٢١

٨- النجفي: محمد حسن، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، دار الكتب الاسلاميه، طهران- ١٣٠١/٣

٩- الطوسي: لابن جعفر محمد بن الحسن، الخلاف، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ١١٨/٣

١٠- السعدي: عبد القادر، النظرية العامة لجريمة القتل، دار المعارف، ب.ت.ط، ص ٢٥٢.

١١- عوده: عبد القادر، التشريع الجنائي الإسلامي مقارنه بالقانون الوضعي، دار العروبة، القاهرة - مصر، ١٣٧٩ هـ، ١٩٦٠ م، ٦/٢.

١٢- الفيومي: احمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان / ٢ / ٤٩٠.

وقال معنى عمدا (عمدت للشيء عمدا من باب ضرب وعمدت إليه ق صدت وعمدته ق صدت اليه)^(١٣).

وقال الرازي (عمد-العمود- عمود البيت وجمعه في القلة أعمدة وعمد للشيء قصد له أي تعمد وهو ضد الخطأ وعمد الشيء فأتعمد أي أقامه بعماد يعتمد عليه)^(١٤).

الفرع الثاني: في اصطلاح الفقهاء والقانونيين.

أولاً: عند فقهاء الحنفية:

عرف السرخسي القتل العمد بأنه (ما تعمد ضربه بسلاح لان العمد هو القتل وقصد إزهاق الحياة وهي غير محسوسة لقصد أخذها فيكون القصد الى إزهاق الحياة بالضرب بالسلاح الذي هو جراح عامل في الظاهر والباطن جميعاً)^(١٥).

ثانياً: عند فقهاء الشافعية:

قال الشريبي (الفعل الصادر من شخص مباشرة او سبب جرحا كان او غيره (المزهق) إي القاتل للنفس أقسامه ثلاثة عمد، وخطأ، وشبه عمد وجه الحصر في ذلك ان الجاني لم يقصد عين المجني عليه وهو الخطأ وان قصدها فان كان بما يقتل غالبا فهو العمد مالا فشبه العمد)^(١٦).

ثالثاً: عند فقهاء المالكية:

جاء في قوانين الأحكام الشرعية (العمد فهو أن يقصد القاتل إلى القتل بضرب محدد أو مثقل أو لإحراق أو تغريق أو خنق أو سم أو غير ذلك)^(١٧).

رابعاً: عند فقهاء الحنابلة:

جاء في المغني (فالعمد ما ضربه بحديدة او خشبة كبيرة فوق عمود الفسطاط او حجر كبير الغالب انه يقتل مثله أو أعاد الضرب بخشبة صغيرة وافعل به فعلا الغالب من ذلك الفعل انه يقتل)^(١٨).

خامساً: عند فقهاء الأمامية:

ذكر في الروضة البهية (ان العمد هو أن يتعمد الفعل والقصد بمعنى ان يتعمد قتل الشخص المعين و فيه حكمه تعمد الفعل دون القصد اذا كان الفعل مما يقتل غالبا)^(١٩) (٢٠).

وقد جاء في الكافي عن الكليني قال: قال ابو عبد الله -عليه السلام-: ((العمد كل ما اعتقد شيئاً فإصابة بحديده أو بحجر أو بعصا أو بوخزه فهذا كله عمد))^(٢١).

١٣- المصدر السابق، ٢، ٤٢٨.

١٤- الرازي: محمد بن أبي بكر عبد القادر، مختار الصحاح، دار التراث العربي، بيروت، لبنان، ص ٤٥٤.

١٥- السرخسي: لابي بكر، المبسوط ٢٦/ ٥٩.

١٦- الشريبي: محمد الخطيب، مغني المحتاج ٣/٤.

١٧- الغرناطي المالكي: محمد بن احمد بن جزي، قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية، عالم الكتب، بيروت - لبنان، ب.ت.ط، ص ٣٧٣.

١٨- الحنبلي ابن قدامة: موفق الدين، المغني، ٣٢١/٩.

١٩- العاملي: زين الدين، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، دار أحياء الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ب.ت.ط، ٥/ ٤١٨.

٢٠- وقد ذكر هذا التعريف صاحب الجواهر أيضاً لنجفي: محمد حسين، جواهر الكلام ٣١٤/٦.

٢١- الكليني: لأبي جعفر بن محمد بن يعقوب، الكافي، دار الكتب، بيروت - لبنان ٢٧٨/٧.

وأما رجال القانون:

وأما بالنسبة الى رجال القانون فأنهم يشترطون مع القصد العام قصد إزهاق روح المجني عليه وإما الآلة القاتلة فأمرها متروك إلى المحكمة والقاضي، أذ قال محمد مصطفى القالي (ان القصد العام اي أرادة الفعل ونتيجته المباشرة يكفي في جريمة الضرب او الجرح).

أما في القتل العمد انه لا يكفي ارادة النيل من سلك يقال بان القصد في القتل العمد قصد خاص، هذا هو المراد بقصد القاتل، وأما تقدير إثباته فمتروك لمحكمة الموضوع لها ان تستنتجه ولو من الظروف كنوع السلاح، ومكان الإصابة، والعداوة بين المتهم والمجني عليه (٢٢).

ومن مجموع هذه التعاريف للقتل العمد يتحصل لدينا ان معنى القتل العمد هو، أن يتعمد الفعل بالضرب باله أو بالخنق أو بالسهم حتى ولو اشترط رجال القانون إزهاق روح المجني عليه.

المطلب الثاني: أدلة تحريم القتل العمد.

تعد جريمة القتل العمد في الشريعة الإسلامية من اكبر الكبائر وأعظم الجرائم، وقد جاء في القرآن الكريم والسنة الشريفة بتحريم وتعظيم هذه الجريمة وسوف نثبت هذا الكلام بالأدلة.

الفرع الأول: أدلة التحريم من القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا﴾ (٢٣).

وقال تعالى: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثماً﴾ (٢٤).

وقال تعالى: ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم ان قتلهم كان خطأً كبيراً﴾ (٢٥).
وقال تعالى ﴿قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئاً وبالوالدين أحساناً ولا تقتلوا أولادكم من أملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون﴾ (٢٦).

وقال جل شأنه ﴿من اجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل انه من قتل نفساً بغير نفس او فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾ (٢٧).

حيث ان هذه الآيات بمجموعها تدل على حرمة القتل العمد ولا يجوز التعدي على النفس التي حرم الله الا ان يكون بالحق.

٢٢- المسؤولية الجنائية، مطبعة جامعه بغداد فؤاد الأول، ١٩٤٨، ص ١٥٨ - ١٥٩.

٢٣- سورة الإسراء، الايه ٣٣.

٢٤- سورة الفرقان، الايه ٦٨.

٢٥- سورة الإسراء، الايه ٣١.

٢٦- سورة الإنعام، الايه ١٥١.

٢٧- سورة المائدة، الايه ٣٢.

الفرع الثاني: أدلة التحريم من السنة النبوية.

وردت روايات كثيرة تدل على حرمة القتل العمد. منها عن أبي أسامة زيد الشحام عن أبي عبد الله -
عليه السلام- أن رسول الله -صلى الله عليه وآله- وقف بمنى حتى قضى مناسكها في حجة الوداع إلى أن قال: ((أي يوم
أعظم حرمة؟ فقالوا: هذا الشهر قال: ((فأي بلد أعظم حرمة)) قالوا: هذا البلد قال: ((فإن دماءكم
وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقونه فيسألکم عن
أعمالکم ألا هل بلغت؟)) قالوا: نعم.

ومنها رواية عن ربعي بن عبد الله عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر -عليه السلام- عن قول الله عز
وجل ﴿من قتل نفسا بغير نفس أو فسادا في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا﴾ قال -عليه السلام-: ((له في النار
مقعد لو الناس جميعا لو يرد ألا ذلك المقعد)) (٢٨).

قال -عليه السلام-: ((اللهم اشهد إلا من كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها فإنه لا يحل دم
أمرئ مسلم ولا ماله إلا بطيئه نفس ولا تظلموا أنفسكم ولا ترجعوا بعدي كفار)) (٢٩).

روي عن رسول الله -صلى الله عليه وآله- أنه قال: ((لا يحل قتل امرئ مسلم ألا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان،
وزنا بعد أحصان، وقتل نفس بغير نفس)) (٣٠).

وقال -صلى الله عليه وآله- ((من قتل نفسه بشي من الدنيا عذب به يوم القيامة)) (٣١).

المبحث الثاني: جريمة التسمم.

توطئة:

بعد أن بينا أن معنى القتل العمد هو تعمد الضرب بآلة أو خنق أو تسمم والقتل صد منه هو إزهاق
الروح، ولكي يتحقق القتل العمد يجب وقوع فعل عمدي من الجاني على المجني عليه واحد هذه الأفعال
هي إذا سقاها سما أو أطعمه شيئا قاتلا فمات.

وجريمة القتل بالسم إنما تمثل في حقيقتها صورة من صور القتل العمد وتمتاز عنه بالوسيلة التي تستخدم
في أحداث الموت لذلك يرى بعض الفقهاء بأن هذه الجريمة لها خصوصية لذلك فهي جريمة مستقلة وتعد
هذه الجريمة إحدى أنواع القتل العمد أو إحدى أوصافه وتتم هذه الجريمة عن غدر وخيانة وخبث وكما أن
المجني عليه كونه تحت رحمة الجاني وليس لديه الفرصة في الدفاع عن نفسه، كما أن هذه الجريمة تعد سهلة
التنفيذ وكما أنها في الغالب ترتكب من أقرب الناس للمجني عليهم وكذلك غير المشكوك فيهم وغالبا ما
لا تترك أثرا لذلك تكون فيها نوعاً من الصعوبة، وسوف نتناول في هذا المبحث معنى القتل بالسم في
الطب الشرعي وكذلك أهم الأركان المكونة لجريمة التسمم.

٢٨- العاملي: محمد بن الحسن، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، ت عبد الرحيم الشيرازي، دار احياء التراث العربي،

بيروت - لبنان ٢/٢.

٢٩- المصدر السابق، ٢، ص ٣.

٣٠- أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن ابن داود، مطبعة الحلبي، القاهرة - مصر، ص ٣١٢.

٣١- المصدر السابق.

المطلب الأول: معنى القتل بالسسم في الطب الشرعي.

إنَّ السُّموم بعضها معروف و متداول منذ أقدم العصور وخاصة تلك التي يعد مصدرها عضوياً غير أن نتيجة التطور العلمي وكذلك الصناعي واستخدام المواد الكيميائية على نطاق واسع فقد ظهرت أنواع عديدة من المركبات الكيميائية والتي تستخدم عادة في الصناعة وهي بحد ذاتها سامة. كما وان استعمال الأدوية نتيجة للتطور في الصناعة والطب، فقد ظهرت حالات التسمم نتيجة تناول جرعات كبيرة من الأدوية وهذه تكفي لا إحداث الموت وبسبب هذه الطريقة فان العلماء وكذلك المختصين قد بذلوا جهوداً كبيرة من اجل معرفة هذه السُّموم وإيجاد الطرق والوسائل لاكتشافها، بالإضافة الى التحليلات الكيماوية والمختبرية لها اثر كبير في تحديد حالات التسمم حيث يستطيع من خلالها الخبير المختص من أبداء رأيه في الحالة المعروضة إمامه خلال الفحص ومعرفة ما إذا كان هناك حالة تسمم وبالتالي هنالك جريمة أم لا؟.

وعادة ما يتم ذلك من خلال استقصاء حالات التسمم هذه في انسجة جسم المجني عليه، والأجزاء التي يتم فحصها في المعدة والسبب في ذلك لان محتوياتها تسمح في تحديد حاله الوفاة بالإضافة الى الكبد، والكليتين، والقلب، والرئتين، والأمعاء... الخ، او في اي جزء آخر قد يرى الطبيب الشرعي ضرورة فحصه وأما اذا كان التسمم يشير الى نوع معين من حالات التسمم فعند ذلك يمكن إجراء الفحص على الشعر، أو الأظافر، أو الجلد، أو العظام فإذا ظهر ان المجني عليه لم يمت بهذا النوع من التسمم ففي هذه الحالة يرجع الطبيب إلى فحص الدم أو البول أو أي مادة أخرى.

ويجب ان يلاحظ ان نتيجة الفحص قد تكون هناك سموم في جسم المجني عليه ولكن ليس بالضرورة ان تكون هذه السُّموم نتيجة للقتل بالسسم فلذلك ان تقرير المختبر يجب ان يكون بدارية والسبب في ذلك لان بعض السُّموم قد يكون م صدرها غذائياً او حتى علاجياً ففي هذه الحالة يجب البحث عن أدله أخرى توصل الى الجريمة.^(٣٢)

ونحن ؛ صدد جريمة مرتكبة من الجاني على المجني عليه، بمعنى أعطى سما للمجني عليه عمدا ويجب ان تتوفر في هذه الجريمة أركان حتى تعد جريمة عمدية في نظر الشريعة الإسلامية وكذلك القانون.

المطلب الثاني: الأركان المكونة لجريمة التسمم

لكي تتحقق جريمة التسمم والتي تعد من أوصاف القتل العمد، ان تتوفر فيها أركان مهمة حتى تعد هذه جريمة يعاقب عليها القانون ومن قبله الشريعة الإسلامية وهذه الأركان هي:

الركن الأول: أن يكون القتل آدمياً

يجب ان تقع جريمة التسمم على النفس فهي بتطبيقاتها تعد اعتداء على ادمي حي ولذلك سماها الفقهاء بالجناية على النفس فيشترط لتحقيق هذه الجريمة ان يكون المجني عليه آدمياً وكذلك يكون على قيد

الحياة وقت ارتكاب جريمة القتل بالسّم، ويعد المجني عليه ميتاً عندما يخرج فعلاً عن الحياة فتعد هذه الجريمة اعتداء عمداً. (٢٣)

الركن الثاني: الركن الشرعي لجريمة التسمم

ويستمد هذا الركن أساسه الشرعي من القرآن الكريم فلقد ورد في سورة القصص ﴿وما كان لربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون﴾ (٢٤) وقال تعالى: في سورة أخرى ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ (٢٥). حيث لا تجريم قبل ورود نص والإعلان ولا عقوبة بدون تنويه وبيان ولهذا الركن يشترط تحقق عنصرين هما:

اولهما:- انطباق الفعل عل نص قانوني عقابي في قانون العقوبات.

ثانيهما:- عدم توافر سبب من أسباب الإباحة لذلك الفعل أنما يقتضي النص على تجريمه.

فإذا ورد النص والإعلان والبيان وكذلك انطبق فعل الجاني على النص القانوني لعقوبة التسمم فان الجاني يعاقب مع عدم توافر سبب من أسباب الإباحة.

الركن الثالث: الركن المادي لجريمة التسمم.

حيث يقوم هذا الركن على الفعل المحضور والذي يتجسد في نشاط او سلوك ملموس او محسوس والفعل المادي لهذه الجريمة هو ادارة المواد السامة المميتة اذا لا تحقق الجريمة ما لم تظهر للوجود بفعل معين. وقد اكتفى المشرع العراقي بوصف تلك المواد السامة من حيث قدرتها على أحداث الموت، ولذلك فان مسألة كون المادة السامة مميتة ام غير مميتة مسألة وقائع ويعود تقديرها الى الجهات المختصة على ضوء تقدير الخبراء، فقد تكون تلك المواد صلبة او سائلة او غازية او حتى معدنية او حيوانية او نباتية، ولم يحدد كيفية وصول هذه المواد الى جسم المجني عليه، فقد تكون عن طريق الفم، او عن طريق الإبر، وباستنشاق الهواء السام ولذلك فان طريقة دخول المادة السامة الى جسم المجني عليه لا تأثير لها على الوصف الجنائي. وأما الشروع في الجريمة فيتجسد في بدء الجاني في تنفيذ الفعل المادي المكون للجريمة بمعنى منذ اللحظة التي يبدأ فيها الفاعل بخلط المادة السامة بطعام او شراب المجني عليه حيث ان الفاعل يكون قد أكمل جميع الأفعال الضرورية بقصد ادارة السم للمجني عليه ويتحقق الشروع في حالة دخول السم أعضاء جسم المجني عليه.

ومن هنا يتبين ان تفتيش الجاني على المادة السامة وشراءها يعد عملاً تحضيراً غير معاقب عليه، وأما الأفعال المعاقب عليها تكون ابتداء من اللحظة التي يأتي فيها الفاعل ببعض الأفعال.

وهنا يبرز تساؤل وهو، ما هو الحكم فيما لو كانت المواد التي أدارها الجاني بنية أحداث الموت عديمة المفعول فهل يمكننا القول أننا أمام شروع بالقتل أم لا؟

٣٣- عوده: عبد القادر، التشريع الجنائي مقارنة بالقانون الوطني، ص ١٢.

٣٤- سورة القصص، الاية ٥٩.

٣٥- سورة الإسراء، الاية ١٥.

إن المشرع العراقي يعد إن أي فعل يصدر بقصد ارتكاب جناية شروعا في العمل، اما لسبب يتعلق بموضوع الجريمة او بالوسيلة التي استعملت الجريمة مالم يكن في اعتقاد الفاعل صلاحية عمله لا أحداث النتيجة مبنيا على وهم او جهل مطبق.

الركن الرابع: الركن المعنوي (القصد الجنائي).

يعد هذا الركن أهم أركان جريمة التسمم، حيث يقوم هذا الركن على أرادة المعصية والتي تشكل جريمة ما واتجاه النية في تنفيذه بمعنى نية أحداث الموت وان الفاعل للجريمة يتصرف بقناعة، فمجرد العزم والتصميم علة اقتراف الفعل الإجرامي لا يكفي لتحقيق هذا الركن.

فلا بد من معرفة ان هذه المواد التي يديرها مواد سامة وقادرة على أحداث الموت وله الإرادة في أحداث الموت، واما كيفية معرفه ذلك من خلال اعتراف المتهم او من خلال استخلاصه من ظروف القضية ووقائعها، فإذا لم يكن التسمم مقصودا عند ذلك لا يمكن الكلام عن جريمة القتل بالتسمم الذي نحن بصدد بل قد يكون قتل خطأ، كأن يكون سبب الموت إهمال الطبيب، والممرضة، أو الصيدلاني، أو حتى عدم مراعاة التعليمات أو عدم الإدراك وغير ذلك، فالطبيب الذي يوصف بإعطاء جرعة قوية لمريض يتسبب معه بموته هنا يُساءل عن قتل لإهماله او رعوثته او عدم مراعاة القوانين والأنظمة.^(٣٦)

ومن ذلك يتبين انه اذا كان التسمم قد حدث بدون توافر القصد الجنائي أي لم تكن لدى الفاعل نية إحداث الموت، فقد رأينا ان الفعل قد يعاقب عليه بأنه قتل خطأ أو غير ذلك.

ومن مجموع هذه الأركان يتضح لدينا ان الركن المادي لجريمة التسمم يمثل جانبها الموضوعي وأما بالنسبة للركن المعنوي فانه يمثل الجانب الشخصي والدال على الجريمة، وبمعنى ان الجاني أراد الفعل وجسد هذه الإرادة بالنشاط والذي ظهرت ملامحه للعالم المحسوس.

المبحث الثالث: عقوبة جريمة التسمم.

إن عقوبة جريمة التسمم في الشريعة الإسلامية، هي بمعنى عقوبة الجاني عندما يتسبب بموت المخني عليه باعتبار أن هذه الجريمة من الجرائم العمدية والتي تعد من جرائم القصاص والدية، وكذلك عقوبة هذه الجريمة في القوانين الوضعية وكيف يعاقب عليها القانون.

المطلب الأول: عقوبة جريمة التسمم في الشريعة الإسلامية.

إن هذا النوع من الجرائم ينصب على أفعال الاعتداء على جسم الإنسان بغير حق وعقوبتها محددة بالنص، ألا أن الذي يميزها عن جرائم الحدود هو انها تكون مقدرة حقا للعباد لا للمعبود. ومعنى هذا الكلام أن جرائم الحدود لا تقبل التعدي أو التجاوز بالتعديل والإلغاء، كونها حقوقا للباري عز وجل خلافا لجرائم القصاص والدية والتي تعد هذه الجريمة من ضمنها. ومعنى القصاص في اللغة: من القطع وقص الأثر^{(٣٧)(٣٨)}.

٣٦- حرية، سليم إبراهيم، القتل العمد وأوصافه المختلفة، ص ٤٢٦.

٣٧- الحد في اللغة يعني المنع والحد بمعنى العقوبة التي حددها الشارع وأوجب إنزالها.

٣٨- الرازي: محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ص ٤٥٩.

ومن اللغة اتخذ المعنى الاصطلاحي فالمقتص عادة يتبع اثر الجاني فيفعل مثل فعله، ولكن هنالك شرطاً وهو أن يكون الجاني قد تعمد إتيان فعل الإجرامي المعاقب عليه بالقصاص.^(٣٩)

وهناك شروط فصلها الفقهاء في موسوعاتهم الجليلة بشأن جرائم القصاص ومنها الشروط في الحدية والدين، وان لا يكون من الأصول وما إليها.

ويطلق على القصاص (القود) بمعنى المماثلة ولان المقتص منه في الغالب يقاد بشيء يربط فيه أو بيده إلى القتل فيسمى القتل قوداً لذلك^(٤٠).

وقد ثبت القصاص في القرآن والسنة الشريفة كقوله تعالى: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾^(٤١).

وقوله تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياه يا أولي الألباب﴾^(٤٢).

والدية في اللغة: حق القتل ودية القتل أدية دية أعطيت ديته^(٤٣).

وفي الاصطلاح: المال الواجب بالجناية على الحر في النفس^(٤٤)، استناداً إلى قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين امنوا كتب عليكم القصاص بالقتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفي له من أخيه شيء فإتباع المعروف وأداء إليه بإحسان﴾^(٤٥).

ومن السنة الشريفة:

قول الرسول - ﷺ - ((العمد قود ألا أن يعفو ولي المقتول))^(٤٦).

وما روي عن الحلبي عن عبد الله بن المغيرة والنضير بن سويد عن عبد الله بن سنان قال: سمعت أبا عبد الله - عليه السلام - يقول: ((من قتل مؤمناً متعمدا قيد منه ألا أن يرضى أولياء المقتول أن يقبلوا الدية فان رضوا بالدية وأحب ذلك القاتل فا الدية))^(٤٧).

وغيرها من الآيات الكريمة والروايات عن النبي وال بيته - عليهم السلام -.

وبعد أن عرفنا أن عقوبة القتل العمد هي القصاص أو الدية، يتبين لنا أن من اطعم المجني عليه طعاماً مسموماً إما أن يقتل عادة، وإما إذا علم بالأكل وكان مميزاً ومع ذلك أقدم على أكله فمات فهو المعين على نفسه فلا قود ولا دية على المطعم.

وأما إذا لم يكن يعلم بما يوجد بالأكل من سم أولم يكن مميزاً، فأكل منه ومات فعلى المطعم القصاص بلا فرق بين ق صده القتل به من عدمه، بل الأظهر أن الأمر كان كذلك فيما لو جعل السم في طعام صاحب المنزل وكان السم مما يقتل عادة فأكله صاحب المنزل جاهلاً فمات.^(٤٨)

٣٩- الملا: فاضل عباس، أصول التشريع الجنائي الإسلامي، مطبعة شرعية، إيران، ص ٤٥.

٤٠- أجميلي: خالد رشيد و محمود مطلوب احمد، الفقه الجنائي، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٤ م، ص ٧٦.

٤١- سورة البقرة، آية ١٩٤.

٤٢- سورة البقرة، آية ١٧٩.

٤٣- الرازي، مختار الصحاح، ٦/ ٢٥٢١.

٤٤- أجميلي: خالد رشيد و محمود مطلوب، الفقه الجنائي، ص ٧٨.

٤٥- سورة البقرة، الآية ١٧٨.

٤٦- المحقق الحلي، ابو القاسم نجم الدين بن الحسن، شرائع الإسلام، مركز الرسول الأعظم - ﷺ - للتحقيق والنشر ٢/ ٤٤٠.

٤٧- الحر العاملي: محمد بن الحسن، وسائل الشريعة، ص ٣٧.

٤٨- حره: سليم حره، القتل العمد وأوصافه المختلفة، مطبعة بابل - العراق، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م، ص ٤٢٧.

المطلب الثاني:- عقوبة جريمة التسمم في القانون الوضعي.

بعد أن علمنا ان عقوبة جريمة التسمم في الشريعة الإسلامية هي اما القصاص أو الدية فسوف نتعرف على عقوبة جريمة التسمم في القانون.

أذ أن عقوبة جريمة التسمم تمر بمراحل العزم والتصميم ومن ثم الأعمال التحضيرية وتعد هذه الأمور غير معاقب عليها في القانون ألا إذا نص المشرع على خلاف ذلك.

لذلك فبموجب هذا الأمر يعد هنالك عملاً تحضيرياً وذلك عندما لا يشير للفعل إلى أرادة آثمة ب صورته واضحة في حين يكون أن الفعل بدا بالتنفيذ عندما يكشف الفعل عن الإرادة للفعل المكون للجريمة.

وان شراء السم وصنعه لا يمكن اعتباره بدء في تنفيذ جريمة القتل بالسم، لان هذه الأفعال وبموجب القانون أفعال تمثل الإيهام والغموض والسبب في ذلك لأننا نجهل الاستعمال لهذه السموم، فمن المحتمل أن يزود الشخص بالسم ليس لغرض استعماله لإنهاء حياة عدوه، الا انه بمقدور هذا الشخص التفكير قبل البدء بالتنفيذ، كذلك أعطاء السم لشخص آخر وتكليفه بإدارة المادة السامة لشخص آخر يمكن أن يعد عملاً تحضيرياً ويمكن اعتباره كذلك بدء في التنفيذ وحسب الظروف و ملابسات الجريمة سيما وإذا جهل هذا الفعل الشخص الذي يدير المادة السامة.

وإما إذا استلم الشخص السم ولم يحاول استخدامه فان الشخص الذي قام بتسليم السم وحسب ما يبدو لا يناله العقاب، لان الشخص لم يشرع في ارتكاب الجريمة، ولكن الشخص الذي جهز السم وسلمه إلى الغير وهو يعلم انه سوف يستعمله في ارتكاب الجريمة وفعلا استعماله المستلم للسم في ذلك فهنا يكون المجهز شريكا في الجريمة إذا حدثت الوفاة، أو شريكا في الشروع إذا لم تحدث الوفاة.

وأما إذا مزج السم في طعام أو شراب الشخص فيقال بدأ في التنفيذ، ولا بد من أن هذه الأفعال التي قام بها الفاعل تكشف بطريقه لا تقبل الشك عن قصده الجنائي وعزمه على ارتكاب الجريمة.

وأما بالنسبة للجريمة التي يشترك فيها عدة أشخاص فمن اجل معاقبة الشريك لا بد وان يكون الفعل معاقب عليه، بمعنى أن تكون هناك واقعة التسمم حتى ولو أن الفاعل الأصلي لا يمكن معاقبته، كأن يموت الفاعل بعد ارتكابه للجريمة أو يكون غير معروف الهوية.

وأما الشخص الذي حضر واقعة جريمة القتل بالسم أو الشروع فيها، وان لم يكن له دور في إحضار المواد أو لم يقيم بما يمنع من وقوع الجريمة فانه معاقب قانونا وذلك بموجب القانون الذي ألزم بالإخبار عن الجريمة.^(٤٩)

خاتمه البحث:

وفي نهاية المطاف فان لهذا البحث نتائج مهمة سنعرضها تباعا:

١- على الرغم من الأهمية الكبيرة لهذا الموضوع فإننا لا نجد دراسات فقهية معمقه بهذه الجريمة، ولكننا وجدنا أن القانون يهتم بهذه الجريمة ويعددها من أوصاف القتل العمد.

٢- لا بد من دراسة هذا الموضوع بشكل علمي وعملي، والسبب في ذلك لتطور وسائل هذه الجريمة العلمية والطبية.

٣- لا بد من تحقق الأركان الأربعة لهذه الجريمة حتى يعاقب عليها القانون، وإما الشريعة الإسلامية فانه يجب أما القصاص أو الدية إذا وافق أولياء المقتول على ذلك.

قائمه المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم خير ما نبتدئ به.

كتب الفقه الحنفي:

- ١- ابن قدامه: موفق الدين بن محمد عبد الله بن احمد، كتاب المغني ويليهِ كتاب الشرح الكبير لابن قدامه المقدسي، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ١٣٩٢.
- ٢- الخرشي: أبو عبد الله بن محمد، كتاب شرح الخرشي، ط ٢، مصر، ب.ت.ط.
- ٣- السرخسي: شمس الدين أبو بكر، كتاب المبسوط، ط ٢، دار المعرفة، بيروت- لبنان، د.ت.ط.
- ٤- الشربيني: محمد الخطيب، كتاب مغني المحتاج إلى معرفه معاني الألفاظ، مطبعة الانتفاضة، القاهرة- مصر، ١٩٠٠ م.
- ٥- الغرناطي: محمد بن احمد بن جزى المالكي، كتاب قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية، مطبعة عالم الكتب، بيروت- لبنان، ب.ت.ط.
- ٦- الكاساني: علاء الدين أبي بكر بن مسعود، كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتاب الإسلامي، بيروت- لبنان، د.ت.ط.
- ٧- النووي: أبي زكريا بن يحيى بن شرف الشافعي، كتاب منهاج الطالبين وعمده المفتين، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، دمشق- سوريا، ب.ت.ط.

كتب الفقه الأمامي:

- ١- الخوئي: أبي القاسم/ كتاب منهاج الصالحين في أحكام القضاء.
- ٢- الطوسي: لابن جعفر محمد بن الحسن، كتاب الخلاف، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ب.ت.ط.
- ٣- العاملي: زيد الدين، كتاب الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، دار أحياء الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ب.ت.ط.
- ٤- المحقق الحلي: أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن مع تعليقات السيد صادق الشيرازي، كتاب شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، مركز الرسول الأعظم - ﷺ - للتدقيق والنشر، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨ م.
- ٥- النجفي: محمد حسين، جواهر الكلام في شرائع الإسلام، دار الكتب الاسلاميه، طهران- إيران.

كتب مراجع الفقه الجنائي:

- ١- الجميلي: هاشم رشيد و محمود مطلوب احمد، كتاب الفقه الجنائي، مطبعة جامعه بغداد- العراق، ١٩٨٤ م.
- ٢- الجميلي: هاشم رشيد، كتاب الديه وأحكامها والقانون بحث مقارن، مطبعة دار السلام، العراق، ١٣٩١ هـ، ١٩٧١ م.
- ٣- ال صدر: السيد إسماعيل، كتاب تعليق على التشريع الجنائي الإسلامي، دار أحياء الكتب الإسلامية، بيروت- لبنان.
- ٤- عوده عبد القادر، التشريع الجنائي الإسلامي مقارنه بالقانون الوضعي، دار العروبة، القاهرة- مصر، ١٣٧٩ هـ، ١٩٦٠ م.
- ٥- الملا: فاضل عباس، كتاب أصول التشريع الجنائي الإسلامي، مطبعة شريعتي- إيران، ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥ م.

كتب علوم الحديث:

- ١- أبو داود: سليمان بن الأشعث، كتاب سنن ابن داود، مطبعة الحلبي، القاهرة- مصر.
- ٢- الحر العاملي: محمد بن الحسن، كتاب وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تح عبد الرحيم الشيرازي، دار أحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- ٣- الكليني: لابن جعفر محمد بن يعقوب، كتاب الفروع من الكافي، دار الكتاب الإسلامي، بيروت- لبنان.

كتب القانون:

- ١- حرية: سليم إبراهيم، القتل العمد وأوصافه المختلفة، مطبعة بابل- العراق، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م.
- ٢- السعدي: حميد، النظرية العامة لجريمة القتل، مطبعة المعارف، مصر، ب.ت.ط.
- ٣- القالي: محمد مصطفى، المسؤولية الجنائية، مطبعة جامعه فؤاد الأول، مصر، ١٩٤٨ م.
- ٤- الملا: فاضل عباس، الأحكام العامة لقانون العقوبات مقارنه بالشريعة الإسلامية، إصدارات وحده الدراسات والبحوث، مطبعة العالم- النجف الأشرف ١٤٢٧ هـ، ٢٠٠٦ م.

كتب اللغة العربية:

- ١- الرازي: محمد بن أبي بكر عبد القادر، كتاب مختار الصحاح، دار التراث العربي للطباعة والنشر، (ت.ط.).
- ٢- الفيومي: احمد بن محمد بن علي المقرئ، كتاب الم صباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت- لبنان. (ت.ط.).

**الاستنزاف العاطفي ودوره في سلوكيات العمل السلبية
-بحث استطلاعي تحليلي لآراء عينة من اساتذة وموظفي
كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة/ جامعة كربلاء-**

*Sentimental exhaustion and its role in Negative Labor
behavior -Analytic Exploratory study of a sample of the
Instructors and personal of college of physical
Education in Karbala University-*

أ.م.د. محمود فهد الدليمي^(١)

Assist. Prof. Mahmoud Fahad Al-Dulaimy

Hussain Ali Abdulla

حسين علي عبد الله^(٢)

المستخلص

يهدف البحث الحالي إلى معرفة تأثير الاستنزاف العاطفي في سلوكيات العمل السلبية. ومن اجل تحقيق اهداف البحث تم بناء مخطط فرضي يحدد طبيعة العلاقة بين المتغير المستقل الاستنزاف العاطفي والمتغير التابع سلوكيات العمل السلبية. ومن اجل اختبار فرضيات البحث تم تطبيق البحث على عينة من (أساتذة وموظفي كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة)، من اجل الحصول على المعلومات اللازمة من خلال استبانة اعدت لهذا الغرض، وزعت على عينة بلغ عدد أفرادها (٨٠). إذ اعتمد البحث على عدد من الأدوات والأساليب الإحصائية المتقدمة من خلال برنامج spss V.25، كالتكرار النسبي، والوسط الحسابي، والانحراف المعياري، ومعامل الارتباط البسيط، اختبار (t)، واختبار (f) وتحليل الانحدار البسيط. وفي ضوء النتائج المستخلصة تم التوصل الى مجموعة من الاستنتاجات منها، وجود الاستنزاف العاطفي لدى أساتذة وموظفي الكلية المبحوثة يساهم في زيادة سلوكيات العمل السلبية. واختتم البحث بمجموعة

١- جامعة كربلاء/ كلية الإدارة والاقتصاد.

٢- جامعة كربلاء/ كلية الإدارة والاقتصاد.

من التوصيات المتعلقة بمتغيرات البحث كان أهمها، التفكير الجدي من قبل عمادة الكلية المبحوثة في معالجة حالة الاستنزاف العاطفي الذي يعاني منه الموظفون، ومحاولة وضع بعض الإجراءات التي يمكنها أن تحد من هذا السلوك.

Abstract

The current research aims at identifying the effect of emotional exhaustion in counterproductive behaviors. In order to achieve the objectives of the research, a hypothetical scheme was developed to determine the nature of the relationship between the independent variable emotional exhaustion and the dependent variable, counterproductive work behaviors. In order to test the hypotheses of the research, the research was applied to a sample (teachers and staff of the Faculty of Physical Education and Sports Sciences), in order to obtain the information required through a questionnaire prepared for this purpose, distributed to a sample of (80). The study was based on a number of advanced statistical tools and methods through the spss V.25 program, such as Relative frequency, arithmetic mean, standard deviation, simple correlation coefficient, (t-test), (test-f) simple regression analysis. In the light of the results obtained, a number of conclusions were reached Of which. The was the presence of emotional exhaustion in the College, which contributed to the increase of counterproductive behaviors. The research concluded with a set of recommendations concerning the variables of the research. The most important was the need for serious thinking by the administration in the College examined in the treatment of the emotional exhaustion situation experienced by the staff and trying to develop some procedures that can limit this behavior.

المقدمة

ليس من الممكن أن تتوقف أشكال الإرهاق التي يصاب بها الفرد على الإرهاق البدني (بذل المجهود الرياضي وممارسة الألعاب الرياضية) أو النفسي (التعرض لخبرات سلبية أو التعرض لأمراض تتعلق بالجانب النفسي فقط)، فالحقيقة أن مشاعرنا كأفراد تصاب بالاستنزاف أيضاً. فالاستنزاف العاطفي هو أشد أنواع التعب والإرهاق خطورة على الأفراد والوقوع فريسة له أمر خطير ومدمر لأن تعرض مشاعر الفرد للإجهاد من الممكن ان تسبب له الضرر البدني والنفسي ومن هنا يمكننا القول بان الاستنزاف العاطفي يسبب حالة من التعب والارهاق العاطفي والجسدي والعقلي يجعل الفرد غير قادر على الانجاز يؤدي به في الوقوع بضغوطات تخرج عن سيطرته ولا يستطيع التعامل معها. ومن هنا يحاول البحث الحالي معرفة العوامل التي تكون سببا في ظهور الاستنزاف العاطفي لدى الافراد ومن ثم معرفة مدى تأثير تلك العوامل في ظهور سلوكيات العمل السلبية. اذ يتضمن هذا البحث اربعة مباحث يتضمن الاول منهجية البحث،

بينما يتناول الثاني الاطار الفكري للبحث، فيما تناول الثالث تحليل العلاقات بين متغيرات البحث ودراسته، واختص الرابع بعرض اهم الاستنتاجات والتوصيات.

المبحث الأول: منهجية البحث

اولاً: مشكلة البحث

يمكن عرض مشكلة البحث من خلال عرض الفجوة المعرفية التي تفسر العلاقة بين الاستنزاف العاطفي وسلوكيات العمل السلبية، ومن خلال اطلاع الباحث عن طبيعة عمل المنظمة المبحوثة كونه جزء منها وما لمسهُ من ضعف الاهتمام بمتغيرات البحث من قبل اساتذة وموظفي كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة وما يمكن ان تسبب لهم هذه المتغيرات من استنزاف لطاقتهم وضرر على نفسياتهم وما هو انعكاس هذا الضرر على مستوى انخراطهم في سلوكيات العمل السلبية في الكلية عينة البحث يمكن ان تتلخص مشكلة البحث عن طريق التساؤلات الآتية:

- ١- ما هو مستوى الاستنزاف العاطفي لدى اساتذة الكلية وموظفيها عينة البحث؟
- ٢- ما هو مستوى توافر سلوكيات العمل السلبية في الكلية عينة البحث؟
- ٣- هل يرتبط الاستنزاف العاطفي مع سلوكيات العمل السلبية بعلاقات ذات دلالة معنوية؟
- ٤- هل للاستنزاف العاطفي اثر في سلوكيات العمل السلبية في الكلية عينة البحث؟

ثانياً: اهمية البحث

يمكن ابراز اهمية الدراسة في النقاط الآتية:

- ١- محاولة تقديم حلول تساهم في تعزيز قدرة الكلية عينة البحث في توظيف كافة امكانياتها من اجل تقليل الاستنزاف العاطفي ومواجهته.
- ٢- تعد هذه الدراسة امتداداً طبيعياً للدراسات السابقة التي اهتمت بالاستنزاف العاطفي وسلوكيات العمل السلبية.
- ٣- جذب انتباه المنظمات بشكل عام والكلية عينة البحث بشكل خاص الى تأثير الاستنزاف العاطفي في سلوكيات العمل السلبية.
- ٤- جذب الانتباه إلى اهمية الاستنزاف العاطفي وسلوكيات العمل السلبية في الدراسات الاكاديمية.

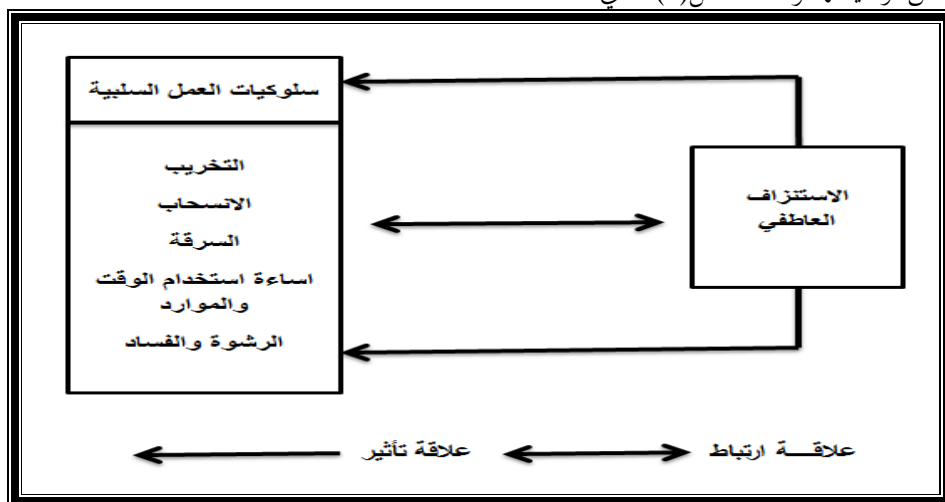
ثالثاً: أهداف البحث

تسعى الدراسة الحالية للإحاطة النظرية بمتغيرات الدراسة ومحاولة ايجاد حلول للتساؤلات المطروحة فيها، لذلك يسعى البحث الحالي الى تحقيق الاهداف الآتية:

- ١- التعرف على مستوى الاستنزاف العاطفي في الكلية عينة البحث.
- ٢- التعرف على مستوى سلوكيات العمل السلبية في الكلية عينة البحث.
- ٣- دراسة وتحليل اثر الاستنزاف العاطفي في سلوكيات العمل السلبية.
- ٤- اختبار علاقة الارتباط والاثّر بين الاستنزاف العاطفي وسلوكيات العمل السلبية.

رابعاً: المخطط الفرضي للبحث

اعتمد الباحث في تصميم المخطط الفرضي على الاطار المفاهيمي والفكري لمتغيرات البحث التي يمكن توضيحها وفقاً للشكل (1) التالي:



المصدر: من إعداد الباحث

الشكل (1) المخطط الفرضي للبحث

خامساً: فرضيات البحث

الفرضية الاولى: هنالك علاقة ارتباط معنوية ذات دلالة احصائية بين الاستنزاف العاطفي وسلوكيات العمل السلبية بأبعادها.

الفرضية الثانية: هنالك علاقة تأثير معنوية ذات دلالة احصائية للاستنزاف العاطفي في سلوكيات العمل السلبية.

سادساً: مجتمع البحث وعينته

قام الباحث باختيار كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة - جامعة كربلاء كمجتمع لبحثه الحالي وقد تمثلت عينة البحث بالملاك التدريسي والوظيفي في كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة اذ تضمنت (80) تدريسي وموظف تم اختيارهم بطريقة عشوائية، اذ قام الباحث بتوزيع استمارة الاستبيان على العينة وبعد استرجاعها وتدقيقها بلغ عدد الاستبيانات الصالحة للتحليل (70) استبانة، تم من خلالها استخراج التكرارات والنسب المئوية الخاصة بوصف عينة البحث وكما مبين في الجدول (1) الاتي.

الجدول (1) خصائص وصفات عينة البحث

النوع الاجتماعي	التكرار	%	العمر	التكرار	%	الخدمة في الوظيفة	الجمالي	التكرار	%	المؤهل العلمي	التكرار	%

4	3	اعدادية	14.5	10	5 سنوات فأقل	0	0	20 سنة فأقل	71.5	50	ذكر
9	6	دبلوم	21.5	15	6-10	15.5	11	21-30			
35.5	25	بكالوريوس وس	36	25	11-15	46	32	31-40			
			14	10	16-20	28.5	20	41-50	28.5	20	انثى
0	0	دبلوم عالي	12.5	9	21-25	10	7	51-60			
23	16	ماجستير	0	0	26-30	0	0	60 فأكثر			
28.5	20	دكتوراه	1.5	1	31 فأكثر						
100	70	المجموع	100	70	المجموع	100	70	المجموع ع	100	70	المجموع

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على إجابات عينة البحث

سابعا: حدود البحث

- ١- الحدود المكانية: وقع الاختيار على كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة / جامعة كربلاء لغرض إجراء الجانب الميداني للبحث.
- ٢- الحدود الزمانية: الحدود الزمانية لهذه البحث تتوقف عند المدة التي تم اجراؤها وهي المدة المحصورة بين ٢٠١٨/٦/٢٥ ولغاية ٢٠١٨/٦/١٥ و هذه الفترة كانت كافية لعملية توزيع الاستبانة وجمعها من افراد العينة المبحوثة.

المبحث الثاني: الجانب النظري

اولا: الاستنزاف العاطفي

يعد مفهوم الارهاق الوظيفي من الموضوعات النفسية الهامة المنتشرة على نطاق واسع في وظائف اليوم، لا سيما في مجال العمل الإنساني، اذ غالباً ما يعاني الموظفون الذين يواجهون الضغوط اثناء العمل (كعبء العمل والتنافر العاطفي) من الاستنزاف العاطفي، إذ أن الموظفين الذين يواجهون ضغوطات عمل عالية تتولد لديهم حاجة فعلية للشفاء من هذه الضغوطات ما يزيد الاستنزاف العاطفي لديهم لذلك يتعين على الموظفين بذل المزيد من الجهد في محاولة من اجل تنظيم عواطفهم لتلبية متطلبات

الوظائف وغالباً ما تتكشف هذه الديناميكيات أثناء إنجاز مهام العمل وبعدها إذ تكون هنالك صعوبة في الانفصال النفسي عن العمل خلال وقت انتهاء العمل، أي عدم القدرة عن الامتناع في التفكير بمشاكل الوظيفة عند الابتعاد عن مكان العمل، [et al, 2010:355 Sonnentag]. ذكر [Tuithof et al., 2017: 8] أن مفهوم الاستنزاف العاطفي ظهر كأحد عناصر الإرهاق الوظيفي في سبعينيات القرن العشرين، حيث تم تقديمه كحالة ذهنية سلبية مرتبطة بالعمل تحدث نتيجة الاستجابة لمطالب العمل المرتفعة والضغط الزائدة، إذ يتسبب بآثار صحية حادة على العاملين وكثيراً ما يعد الاستنزاف العاطفي المصدر الأساس للاحتراق. إذ أن الاحتراق بمثابة استعارة ثابتة اعتمدها الطبيب النفسي الأمريكي، هيربرت فرويدنبيرغر كأحد نتائج الإجهاد المهني المطول للعاملين في خدمة الإنسان عام ١٩٧٤ إذ يعد Freudenberger الأب الروحي لمتلازمة الإرهاق، وصفها بأنها استنزاف الطاقة التدريجي وفقدان الدافع والالتزام، والتي تكون مصحوبة بأعراض عقلية وجسدية في نفس الفرد أو لدى متطوعين آخرين. [Isaksson, 2010: 13]. فال موظفون المستنزفون عاطفياً يشعرون بأن مواردهم العاطفية أصبحت منهكة وأنهم أصبحوا يفتقرون إلى الطاقة والحيوية، ولكي يقاوموا هذا الانهك عليهم حماية أو تجديد مواردهم وطاقاتهم المستنفذة عن طريق تقليل جهودهم وعرض عواطفهم الإيجابية والانسحاب من العمل، لذلك على المنظمات معرفة كيفية مساعدة الموظفين المستنفذين على التعافي من استنفاد مواردهم والحفاظ على عرضهم العاطفي الإيجابي، [Lam et al, 2010, :368]. إذ افترض [Farmer, 2013:5] أن الاستنزاف العاطفي "عدم وجود مشاعر إيجابية أو تعاطف أو احترام للزملاء" هو الخطوة الأولى في عملية الإرهاق، إذ يمثل حجر الزاوية لكل من استنزاف الموظف و عدم فعاليته، أي أن الفرد يعمل في وظيفة مع مهام وضيعة يمكن أن يعمل بها كالمطربة، وحتى الوظائف التي يحصل بها العاملون على مكافآت كبيرة عند القيام بها مراراً وتكراراً ستقلل على الأرجح من الموارد الشخصية للعاملين ويمرر الوقت قد يتهاوى تقدير الموظفين لذاتهم وطاقاتهم إلى أن يصبح بعض الموظفين مستنزفين ولا يشعرون بأي شعور لإنجاز عملهم. يميز الاستنزاف العاطفي بأنه نقص في الطاقة والشعور بأن المصادر العاطفية للفرد مستهلكة، وأن المصادر العاطفية المكرسة للعمل منخفضة، وهذا من شأنه أن يؤدي إلى توتر العاملين ويشعرهم بالإحباط فيما يتعلق بتحمل المهام الوظيفية، وفقدانهم الإحساس بالمسؤولية اتجاه العمل بشكل تدريجي، ومن ثم فإن العاملين المستنزفين عاطفياً يؤثرون بشكل عكسي على المخرجات التنظيمية، فضلاً عن التأثيرات على المستوى الشخصي، مثل اللجوء إلى ادمان الكحول، والتدخين المفرط، والمرض الجسدي والنفسي، فضلاً عن الاضرار في الحياة الأسرية والاجتماعية، [العززي وابراهيم، 2013، 15]. فالاستنزاف العاطفي هو فقدان الطاقة والانهك والحمل الزائد، و نضوب الموارد الداخلية للفرد نتيجة لتعرضه لمتطلبات لا يمكن تحقيقها، [Basim et al., 2013: 1489]. وعرف أيضاً بأنه المطالب العاطفية المفرطة للمنظمة على الفرد أثناء التفاعل بين الأشخاص، والتي لا يستطيع الفرد إدارتها، مما يؤدي إلى استنزاف الموارد العاطفية لديه [Chen et al, 2018: 2]. إذ يرى [Ladebo, 2016:48] بأن الاستنزاف العاطفي يتسبب بآثار على المنظمة منها، الفرد المستنزف يكون أقل ميلاً إلى الاستثمار العاطفي عند التواصل مع الآخرين ومحاولة التورط في الأنشطة التي تضر المنظمة، الموظفون الذين استثمروا أكثر في مؤسستهم ولكنهم فشلوا في

الحصول على عوائد مناسبة نتيجة جهودهم يكون التزامهم التنظيمي اقل، الموظفون المستنزفون يحاولون الانتقام من المنظمة لاعتبارهم لها بأنها سبب رئيس لمشاعرهم السلبية، أو يكونون غير راضين عن وظائفهم. وأشار [Zhang et al 2018: 9] الى انه يمكن معالجة حالة الاستنزاف العاطفي للموظفين من خلال تمكينهم نفسياً إذ ان التمكين النفسي في مكان العمل هو أحد العوامل التي تمنع الاستنزاف العاطفي، وهو حالة عاطفية تجعل الموظفين يثقون في تحقيق الأهداف بنجاح، فمن خلاله يظهر الموظفون الانسجام في العمل والقيم والمعتقدات والسلوكيات وتلبية متطلبات العمل والتأثير على القرارات الحاسمة داخل المنظمة. ويمكن تقليل الاستنزاف العاطفي من خلال توفير بيئة عمل ملائمة إذ تشير مجموعة كبيرة من الأدلة إلى أن الترويج لجوانب معينة من بيئة العمل يمكن أن يقلل من معدلات الاستنزاف العاطفي المبلغ عنها ذاتياً، إذ ان الاستنزاف العاطفي يرتبط ارتباطاً واضحاً مع بيئة العمل، [Dhaini et al 2018:3] وذكر [Yao et al, 2015: 12512] انه يمكن تخفيض الاستنزاف العاطفي اذا كانت الفوائد (المكافآت) التي يحصل عليها الموظفون أكبر من التكاليف (جهودهم المبذولة).

ثانياً: سلوكيات العمل السلبية

١- ظهور سلوكيات العمل السلبية:

قبل أوائل الثمانينات كان هناك قدر كبير من البحوث على السلوكيات المنحرفة للفرد في مكان العمل مثل سرقة الموظفين، الاختلاس، التخريب، الأداء البطيء والسيء، التأخر والغياب ونظراً لعدم وجود إطار أو نظرية مقبولة للنظر في مثل هذه السلوكيات كانت الدراسات كلها ينظر إليها على أنها تحقيق في نوع معين من السلوك بدلا من محاولة لاستكشاف سلوكيات العمل السلبية بشكل أعم، [31: 2003, Gruys & Sackett].

وأشار [Kelloway et al 2010: 19] إلى أن قبل منتصف التسعينيات كان النهج الأكثر شيوعاً في دراسة السلوكيات الفردية الخاطئة يكون بشكل غير شامل. على سبيل المثال العنف في مكان العمل والتخريب و السرقة وكذلك التغيب إذ تم تناولها بشكل لا يليق الطموح الى ان اقترح Robinson وجهة نظر تكاملية في التعبير عن السلوك المنحرف في المنظمات التي تضمن سلوكيات متباينة بحسب طبيعة الهدف {أي الفرد مقابل المنظمة} و شدة السلوك. وقد ازداد الاهتمام بسلوكيات العمل السلبية في السنوات الأخيرة لأنها تمثل الجانب المظلم للسلوك التنظيمي وان هذه السلوكيات تحدث داخل المنظمات وتكون موجهة من اجل إلحاق الأذى بفرد آخر والقيام بانتهاك المعايير الأخلاقية المقبولة على نطاق واسع إذ أن معظم النظريات التنظيمية تستند الى السلوك الايجابي و الإدارة على نهج العلاقات الإنسانية مع التأكيد على النظريات الإيجابية في تعاملاتها ونتيجة لذلك فأنها لا تأخذ في الاعتبار الجوانب السلبية للسلوك التنظيمي وهكذا فمن الأهمية بالنسبة لقادة المنظمات أن يفهموا ويتوقعوا مثل هذه السلوكيات التي ينخرط بها العاملون، [1: 2017, Diamant Cohen &].

٢- مفهوم سلوكيات العمل السلبية:

ركز الباحثون في العقود الأخيرة على السلوكيات السلبية للموظفين بعدها أحد العوامل الرئيسة التي تؤثر في نجاح المنظمة، وهذه السلوكيات قد تلحق الأذى بكل من المنظمة والعاملين. إذ يرى العطوي بأنها الممارسات والأخلاقية للموظفين كالغياب والتهرب عن أداء الأعمال وتضخيم الأمور البسيطة واللامبالاة وعدم النضج في التعامل مع المواقف المختلفة. [العطوي، 2011: 170]. ويرى [etal, 7: 2014 Le] أن سلوكيات العمل السلبية تشتمل على مجموعة من الإجراءات التي تضر بالمنظمات مثل الغياب وتعاطي المخدرات والسرقة {أي السلوكيات السلبية التنظيمية} فضلاً عن التحرش والأعمال العدوانية الموجهة نحو زملاء العمل {أي العلاقات الشخصية} فهذه السلوكيات تكون معادية للمجتمع وتؤدي إلى فرض تكاليف هائلة على المنظمات ناتجة عن ضياع الموارد فضلاً عن انخفاض الإنتاجية داخل المنظمات. وأشار [Spector et al., 2005: 30] بأنها مجموعة من الأفعال المتعمدة التي يقوم بها الموظفون والتي تضر بالمنظمات وأصحاب المصلحة. وذكرها كل من [Jung & Yoon, 2012: 370] بأنها سلوكيات تنشأ لدى أحد أعضاء المنظمة يقوم عن طريقها بانتهاك المعايير التنظيمية داخل المنظمة وبدوره يهدد رفاه المنظمة أو أحد أعضائها.

٣- آثار سلوكيات العمل السلبية:

سلوكيات العمل السلبية يمكن أن يكون لها عواقب سلبية على رفاه المنظمات وأعضائها فقد تتكبد المنظمات تكاليف مباشرة كالسرقة والتخريب وغيرها من الإجراءات الأخرى حيث ثبت أن سرقة الموظفين وحدها تكلف الشركات الأمريكية مليارات الدولارات سنوياً، بالإضافة إلى التكاليف المباشرة للمنظمات هناك أيضاً تكاليف غير مباشرة والتي تنتج عن هذه السلوكيات، [Gruys, 2010: 54 & Bowling]. ويعد الملل من الآثار التي تسببها سلوكيات العمل السلبية حيث أن الملل هو حالة من الإثارة المنخفضة نسبياً وعدم الرضا الوظيفي الذي يعزى إلى البيئة غير المحفزة بشكل كافٍ داخل المنظمة ويعد الملل كرد فعل على ظروف العمل السلبية ومن ناحية أخرى فإن الملل الوظيفي ينشأ عن الرتبة المحدودة و العمل المتكرر مما يزيد من تأثر الموظفين بروتين العمل وبشكل سلبي ووجد أن الأفراد الذين لديهم مستويات عالية من الملل الوظيفي لديهم مستويات أعلى من التغيب والانسحاب وانخفاض في مستويات العمل وفاعليته، [Bruursema et al., 2011: 94]. وأشار [Aube et al., 2009: 251] إلى أن من بين الآثار السلبية لسلوكيات العمل السلبية هو الخسائر الاقتصادية المتكبدة من خلال السرقة والمعدات التالفة، والاحتيايل، والإجراءات القانونية، والفشل في الوفاء بالمواعيد النهائية للإنتاج، والعمل ذو الجودة الرديئة أما تأثيرها على الموظفين فيكون بشكل أقل ومع ذلك، من المرجح أن تعرض هذه السلوكيات الموظفين للخطر النفسي وتوليد الإجهاد في مكان العمل وتجعل من الصعب على الموظفين إنجاز مهامهم.

٤- ابعاد سلوكيات العمل السلبية:

من اجل معرفه ابعاد سلوكيات العمل السلبية اعتمد الباحث على مقياس [Bashir et al., 2012]؛ لأنه مقياس ذو مصداقية و يتلاءم بشكل كبير مع دراسته الحالية فضلا عن كونه مقياس مختبر سابقا. اذ يتكون من ٥ ابعاد هي (التخريب، الانسحاب، السرقة، اساءة استخدام الوقت والموارد، الرشوة والفساد) وكما يأتي:

١- التخريب:

يرى [Ambrose et al., 2002: 948] بان التخريب في مكان العمل هو سلوك يهدف إلى إلحاق الضرر و تعطيل او تخريب عمليات المنظمة لأغراض شخصية من خلال خلق دعاية غير مواتية أو إحراج المنظمة أو التأخر في الإنتاج و إلحاق أضرار بالمتلكات و تدمير علاقات العمل وكذلك إلحاق الضرر بالموظفين أو العملاء و ينبع هذا السلوك من تفاعل الفرد مع بيئته. وأشار [et al., 2006: 449 Spector] الى انه يمكن القول بان التخريب يكون على شكل تشويه أو تدمير الممتلكات المادية التي تعود إلى صاحب العمل ويعد التخريب نشاطا متعمدا يهدف الى تدمير اي شيء فهو مرتبط بأسباب كامنة وراء الشخص المخرب وهو يعد شكلا من اشكال العدوان الموجهة نحو المنظمة أكثر مما يتم توجيهه نحو الافراد الآخرين وان هذا السلوك غير امن ويكون واضحا للمنظمة مما يجعل من معاقبة الجاني امرا بسيطا ويمكن أن يؤدي إلى اعتقاله. وقد وجد بعض الباحثين بأن التخريب يمكن القيام به لأغراض مفيدة وكذلك ردا على الغضب والمشاعر العدائية للموظفين او من اجل لفت الانتباه إلى مشكلة معينة او من اجل الترقية التنظيمية أو من اجل الحصول على ميزة تنافسية. وذكر [Florida, 2009: 14] بان التخريب يمكن أن يؤدي أيضا إلى تقويض عمل المنظمة وفي كثير من الأحيان يمكن ان يحمل التخريب دلالة متطرفة تكون على مجموعة متنوعة من المظاهر تتراوح بين شديدة إلى خفيفة، والتخريب عادةً ما يتكون من عنصرين هما وجود نية لتدمير ممتلكات الشركة وكذلك تخريب عملياتها.

٢- الانسحاب:

الانسحاب هو مجموعة من السلوكيات السلبية التي تقلل من وقت العمل اي الوقت المطلوب من قبل المنظمة لإنجاز العمل ويشمل ذلك التأخر في الحضور الى العمل او المغادرة في وقت مبكر من مكان العمل وكذلك أخذ فترات راحة أطول من المسموح بها رسميا ويعد التغيب هو الشكل الأساسي للانسحاب الذي يحدث بسبب الاضطرابات النفسية، والإجهاد، والمعايير الاجتماعية، والصراع الثقافي، والفروقات الفردية، ويعد الانسحاب هو كأجراء روتيني من قبل الموظفين يستخدمونه من اجل تجنب الوضع القائم بدلا من الإضرار بالمنظمة وأعضائها، [Parvez Anjum & 2013: 421]. ويمكن القول بان تغيب الموظفين هو مشكلة مكلفة جدا، فقد وضعت التقديرات للخسارة الإجمالية في اجور ورواتب الموظفين في أمريكا الشمالية فوصلت إلى ٢٦ مليار دولار في السنة، ويمكن القول بان الموظفين الذين يكونون غير راضين عن وظائفهم يكونون أكثر عرضة للانخراط في التغيب عن العمل، [1989: 73 Hackett]. وأشار [2016: 2 Ltd] الى ان الغياب في العمل يؤدي بالموظف انه لا يكون في المكان الذي من المفترض ان يؤدي فيه واجباته اي ان الموظف لا يظهر للعمل عند الحاجة اليه وهذا يمكن أن

يكون مشكلة كبيرة للتنظيم وان الغياب يحدث لكي يكون ردا على المرض المرتبط بنوع الجنس والعمر والرضا الوظيفي والمسؤوليات الأسرية (رعاية الطفل) والعمل غير المرضي، وظروف العمل، والتحفيز المنخفض، وقد عدت الغيابات تقليدا مؤشراً على ضعف الأداء الفردي فضلاً عن خرق العقد الضمني بين الموظف وصاحب العمل والذي كان ينظر إليها على أنها مشكلة إدارية وضعت في إطار اقتصادي أو شبه اقتصادي.

٣- السرقة:

هي سلوك غير مصرح به يقوم بموجبه الموظف بالاستيلاء والسيطرة على شيء ما و نقل الأموال و ممتلكات العمل الرسمية أثناء سير النشاط المهني وبدون علم المنظمة، [Goh & Kong, 2016: 3]. ويمكن ان تكون السرقة على أشكال مختلفة كما ذكرها [Furnham & Taylor, 2004: 94] وهي كما يأتي:

أ- الشخص صية: ويركز هذا على الأرباح الشخصية والديموغرافية والجناائية للفرد و الخلفية الاخلاقية تؤدي بالذ صوص الى السرقة حيث إن التسرع، والبحث عن الإثارة، والافراد الذين يعانون من التنمية الأخلاقية والتعليم هم اكثر عرضة للانخراط في السلوكيات السلبية.

ب- الاجتماعية: السرقة الاجتماعية هي المعاملة غير العادلة التي يتعرض لها الفرد والتي تنتهك العقد النفسي له واجباره على الامثال للمعايير التنظيمية التي من الممكن ان تجعل الفرد يشرع بالسرقة وتدعّمه للقيام بها و ينصب التركيز على شخص صية الفرد بل مشاعره بالخيانة والضييق والظلم والانتقام نتيجة للمعاملة السيئة التي يتعرض لها.

ج- النظامية: وتركز هذه على سمتين مع السرقة كتعويض عن الفقر المدرك (غير المذصف) والأجور وكذلك ضعف أنظمة التحكم التي تسمح للأفراد بالابتعاد عنه. ويمكن القول بان فكرة السرقة تحدث بسبب الحاجة المالية وكذلك احتياجات الآخرين مثل الاحتياجات الاجتماعية أو الانتماء.

ويرى [Bassam, 2014: 1] بانه عندما يسرق الموظفون من أصحاب العمل فإنهم يفعلون ما هو أكثر من كسر قواعد العمل كما أنهم يخالفون القوانين ويعرضون جميع موظفي المنظمة للخطر وان سرقة مكان العمل يمكن أن تضع المنظمة في ضائقة مالية وخيمة حيث يواجه الموظفون العديد من القرارات الصعبة عندما يسرق شيئاً يعود لزميل في العمل.

٤- إساءة استخدام الوقت والموارد:

أشار [Gruys, 1999: 44] إلى إن سوء استخدام الوقت والموارد يكون على مجموعة من الأشكال هي (إهدار وقت العمل، القيام بأداء الأعمال الشخصية أثناء وقت العمل، استخدام وقت العمل في إنجاز الأعمال التجارية الشخصية، إضاعة موارد المنظمة، استخدام موارد المنظمة غير المرخص باستخدامها من قبل الموظف، استخدام هاتف المنظمة من اجل القيام بمكالمات هاتفية دولية، استخدام بريد المنظمة في استلام البريد الشخصي، استخدام أجهزة الطابعة والاستنساخ لإجراء الأعمال الشخصية، القيام بمراسلات شخصية عن طريق البريد الإلكتروني الخاص بالشركة، إضاعة الوقت على الأترنيت لأغراض شخصية لا تتعلق بطبيعة العمل، استخدام كمبيوتر المنظمة في لعب الألعاب أثناء وقت العمل، تغير

بطاقة الوقت من اجل الحصول على مكاسب مالية لساعات اكثر من العمل الفعلي الذي يقوم به، القيام بأخذ وقت اكبر مما مخصص له في تناول الغذاء وشرب القهوة ودون موافقة مسبقة، القيام بالعمل الإضافي غير الضروري وغير المفيد للمنظمة). في حين يرى [Appelbaum et al,2007: 588] بان الافراد الذين يتعرضون للسلوكيات السلبية في مكان العمل هم اكثر الموظفين تعرضا للمعاناة من المشاكل المرتبطة بالإجهاد مما ينعكس على الانخفاض في الإنتاجية وخسارة وقت العمل ومعدل الدوران يكون مرتفعاً نسبياً ويمكن للمنظمات معالجة هذه الظاهرة ومنعها داخل اروقعتها من خلال تقديم حافز مالي او معنوي للموظف.

٥- الرشوة والفساد:

هو نوع من السلوكيات المنحرفة التي تتعارض مع المعايير التنظيمية يتم من خلاله التوجيه غير الصحيح لموارد المنظمة الشخصية أو التنظيمية من اجل تحقيق المنفعة ويكون على أشكال مختلفة كالرشوة والابتزاز، المدفوعات التسهيلية، والمحسوبية، وتداول المعلومات، واستخدام التأثير غير المبرر، [3: 2016 Soot et al.]. وذكر كل من [سارة و حسيبة، 2012: 9] بان هنالك علاقة مزدوجة بين الفساد الإداري و الرشوة فالفساد الإداري له علاقة بالرشوة داخل المنظمة خاصة فيما يتعلق بالأفراد من عمال و موظفين من خلال مواقف الترقية وصرف المكافآت و الحصول على المناصب القيادية كذلك للفساد الإداري علاقة أيضاً بالرشوة خارج المنظمة من خلال العملاء الذين يتعاملون مع المنظمة الذين يجدون معوقات ادارية تدفعهم لتقديم الرشاي من اجل انجاز أعمالهم بسهولة ومهما يكن من أمر فان نسب الرشوة اخذت بالارتفاع فنلاحظ انتشار الاختلاسات والسرقات والمحسوبية وملاحظة مظاهر التستر و عدم إفشاء الأسرار المتعلقة بالانحرافات. وترى كل من [صبرينه و عتيقة، 2016: 230] بان من اسباب انتشار هذا السلوك المنحرف هو عدم تطبيق نظام المساءلة والعقاب بشكل جدي على جميع اقسام المنظمات وضعف الرادع الأخلاقي، وضعف دور الإعلام في توعية الموظفين بالأضرار الناجمة عن الفساد الإداري والمالي، اضافة الى الجشع المادي لدى الموظف، وزيادة تكاليف المعيشة وغيرها من الأسباب الأخرى، وقد يعود الانحراف الإداري إلى سوء صياغة القوانين والأنظمة وغموضها داخل المنظمات الأمر الذي يجعل الموظف يتهرب من تنفيذها او تفسيرها بطريقته الخاصة التي قد تتعارض مع المصالح التنظيمية.

المبحث الثالث: الاطار التطبيقي للبحث

يتعلق هذا المبحث بعرض الجانِب التطبيقي للبحث الذي يستهدف فحص واختبار اداة القياس المستخدمة في البحث فضلاً عن استكشاف مدى توافر متغيرات البحث الاستنزاف العاطفي {متغير مستقل} وسلوكيات العمل السلبية {متغير معتمد}، ومن ثم تحديد مدى تأثير المتغير المعتمد على المتغير المستقل من خلال تحليل الانحدار الخطي وكما يلي:-

أولاً:- فحص أداة قياس البحث واختبارها:**١- الترميز والتوصيف:**

تشتمل الاستبانة على جزئين أساسيين هما الاستنزاف العاطفي وهو متغير احادي البعد وسلوكيات العمل السلبية وهو متغير متعدد الأبعاد. والجدول رقم (2) يقدم توضيحاً عن كل متغير وكل بعد وتحديد مصدر الحصول على المقياس وعدد الفقرات:

جدول (2) الترميز والتوصيف^(٣)

ت	المتغير	دور المتغير	تركيبية المتغير	عدد الفقرات	المصدر
1	الاستنزاف العاطفي	مستقل	احاد البعد	7	Breedon, 2015
2	سلوكيات العمل السلبية	معتمد	التخريب	5	,Bashir et al 2012
3			الانسحاب	4	
4			السرقه	4	
5			اساءة استخدام الوقت والموارد	5	
6			الرشوة والفساد	5	

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على الادبيات المذكورة انفا.

٢- ثبات الاستبانة

يقصد بالثبات أن مقياس الاستبانة يعطى النتائج نفسها لو أعيد تطبيقها بعد مدة من الزمن على افراد العينة أنفسهم مرة أخرى ولحساب معامل الثبات أستخدم الباحث طريقة الفا كرونباخ وكما في الجدول (3) وكالآتي:

جدول (3) نتائج اختبار الفا كرونباخ

ت	المتغير والبعد	نسبة الثبات
١	الاستنزاف العاطفي	.915
٢	سلوكيات العمل السلبية	.887
٣	التخريب	.826
٤	الانسحاب	.860
٥	السرقه	.888

٣- تم الاعتماد على مقياس ليكرت الخماسي في جميع المقاييس اعلاه.

٦	إساءة استخدام الوقت والمورد	833.
٧	الرشوة والفساد	934.

المصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات برنامج spss. V 25

اظهر اختبار معامل الثبات باستخدام مقياس (الفاكرونباخ) ثبات المقياس إذ كانت قيمة الفاكرونباخ للاستنزاف العاطفي (0.915) في حين كانت لمتغير سلوكيات العمل السلبية (0.887) بينما بلغت للأبعاد التخريب (0.826)، الانسحاب (0.860)، السرقة (0.888)، إساءة استخدام الوقت والمورد (0.833)، الرشوة والفساد (0.934)، ونلاحظ من الجدول أعلاه إن المقياس بشكل إجمالي يمتاز بالثبات، فقد أشارت البحوث الإدارية إلى إن قيمة الثبات المقبولة تبدأ من (0.60). فما فوق وهذا ما نلاحظه من ارتفاع نسبة الثبات للمتغيرات والأبعاد لأكثر من (0.60).

ثانياً: تحليل نتائج الوصف الاحصائي

١- نتائج الوصف الإحصائي لمتغير الاستنزاف العاطفي:

تشير نتائج الجدول (4) إلى الأوساط الحسابية، والانحرافات المعيارية، ومستوى الإجابة، والأهمية الترتيبية المتعلقة بوجهات نظر عينة الدراسة عن متغير الاستنزاف العاطفي، وتحدد الفئة من خلال إيجاد طول المدى (4=1-5)، ومن ثم قسمة المدى على عدد الفئات (5) (0.80 = 4/5) وبعد ذلك يضاف (0.80) إلى الحد الأدنى (1) أو يطرح من الحد الأعلى (5) وتكون الفئات كالآتي: (Dewberry, 2004: 15).

(1 - 1.80) منخفض جداً

(1.81 - 2.60) منخفض

(2.61 - 3.40) معتدل

(3.41 - 4.20) مرتفع

(4.21 - 5.0) مرتفع جداً

جدول (4) تحليل نتائج اجابات افراد العينة عن متغير الاستنزاف العاطفي

الفقرات	المتوسط	الانحراف المعياري	مستوى الاجابة	الاهمية الترتيبية
Ex1	2.64	1.155	معتدل	6
Ex2	2.98	1.122	معتدل	5
Ex3	3.12	1.250	معتدل	3
Ex4	3.57	1.149	مرتفع	1
Ex5	2.25	.927	منخفض	7
Ex6	3.22	1.156	معتدل	2
Ex7	3.07	1.011	معتدل	4

الاستنزاف العاطفي	2.98	.618	معتدل

المصدر:- من إعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات برنامج spss.v25.

أذ يعكس الجدول اعلى وسط حسابي موزون بلغ (٣,٥٧) لفقرة (Ex4)، وهو ضمن مستوى اجابة مرتفع، وبانسجام عال في الإجابات يؤكد الانحراف المعياري (١,١٤٩)، في حين كان ادنى وسط حسابي موزون يبلغ (٢,٢٥) لفقرة (Ex5) وضمن مستوى اجابة مرتفع وبانسجام عالي يؤكد الانحراف المعياري (٠,٩٢٧).

٢- نتائج الوصف الاحصائي لمتغير سلوكيات العمل السلبية:

يظهر جدول (5) ان بعد الانسحاب حقق متوسطا حسابيا (٣,٢٩) وبانحراف معياري بلغ (٠,٨٥٧). اذ تشير هذه النتيجة الى انسجام اجابات عينة البحث تجاه هذا البعد، في حين كان بالمرتبة الاخيرة بعد الرشوة والفساد بلغ متوسطة الحسابي (٢,٠٩) وبانحراف معياري بلغ (٠,٧٥٨). اذ يبين الانحراف المعياري مدى انسجام اجابات عينة البحث تجاه بعد الرشوة والفساد اما نتائج متوسطات الابعاد الاخرى في متغير فقد كانت ضمن مدى (٢,٩٥-٢,٣٧) وتنحصر هذه النتائج ضمن مستوى اجابة (معتدل ومنخفض). وهذا يدل على انسجام اجابات افراد العينة عن هذا المتغير. فضلا عن متوسط متغير سلوكيات العمل السلبية الذي بلغ (٢,٦٩) وضمن مستوى انحراف معياري بلغ (٠,٦٥٨) وهو يقع بمستوى اجابة (معتدل)

جدول (5) تحليل نتائج اجابات افراد العينة عن متغير سلوكيات العمل السلبية

الفقرات	المتوسط	الانحراف المعياري	مستوى الاجابة	الاهمية الترتيبية
T1	2.85	.982	معتدل	3
T2	3.02	.962	معتدل	1
T3	3.02	1.154	معتدل	2
T4	2.61	.937	معتدل	4
T5	2.25	.715	منخفض	5
SUB	2.75	.737	معتدل	ثالثا
N1	3.40	.998	معتدل	2
N2	3.05	1.088	معتدل	4
N3	3.22	.935	معتدل	3
N4	3.50	1.059	مرتفع	1
PU	3.29	.857	معتدل	اولا
S1	2.20	1.001	منخفض	3
S2	2.94	1.005	معتدل	1

2	منخفض	1.056	2.31	S3
4	منخفض	.858	2.04	S4
رابعاً	منخفض	.850	2.37	THE
1	معتدل	.954	3.40	H1
2	معتدل	1.001	3.20	H2
4	معتدل	.925	2.88	H3
5	منخفض	.925	2.31	H4
3	معتدل	1.042	2.98	H5
ثانياً	معتدل	.751	2.95	HUM
4	منخفض	.816	2.00	R1
5	منخفض	.694	1.84	R2
1	منخفض	.976	2.34	R3
2	منخفض	.861	2.20	R4
3	منخفض	.889	2.07	R5
خامساً	منخفض	.758	2.09	BR

المصدر:- من إعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات برنامج spss, v 25.

اذ يتضح من النتائج اعلاه ان افراد العينة (اساتذة وموظفي كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة) لديهم ادراك بوجود مستويات من سلوكيات العمل السلبية والاستنزاف العاطفي وضمن مستويات تراوحت بين معتدلة بالأغلب ومنخفضة ومرتفعة احيانا ضمن كليتهم التي يعملون فيها.

ثالثاً:- اختبار الفرضيات

تختص هذه الفقرة بتوضيح علاقات الارتباط بين متغير الاستنزاف العاطفي وسلوكيات العمل السلبية فضلاً عن معرفة مدى التأثير والقدرة التفسيرية للمتغير المستقل في المتغير المعتمد كما يلي:-

١- الارتباط بين متغيري البحث (الاستنزاف العاطفي وسلوكيات العمل السلبية):

اعتمد في هذا البحث على معامل الارتباط البسيط (Person) لاختبار الفرضية الرئيسية الاولى والمتمثلة بعلاقة الارتباط بين الاستنزاف العاطفي وسلوكيات العمل السلبية بإبعاده. اذ يظهر الجدول (6) مصفوفة معاملات الارتباط البسيط بين متغيرات البحث ويتم الحكم على مقدار قوة معامل الارتباط في ضوء قاعدة (Cohen & Cohen, 1983)، وكالاتي:

أ- علاقة الارتباط منخفضة: اذا كانت قيمة معامل الارتباط اقل من 0.10.

ب- علاقة الارتباط معتدلة: اذا كانت قيمة معامل الارتباط بين 0.10 - 0.30.

ج- علاقة الارتباط قوية: اذا كانت قيمة معامل الارتباط اعلى من 0.30.

أذ يظهر الجدول (6) مصفوفة الارتباط التي تشير الى ان العلاقة بين الاستنزاف العاطفي وسلوكيات العمل السلبية كانت ايجابية و ذات دلالة معنوية عند مستوى (0.01) اذ بلغ معامل الارتباط بين المتغيرين (R=0.561, p < 0.01) وهذا يعني ان هناك علاقة ارتباط ايجابية قوية ذات دلالة معنوية بين الاستنزاف العاطفي وسلوكيات العمل السلبية. اما عن علاقة الاستنزاف العاطفي مع ابعاد متغير سلوكيات العمل السلبية فقد تبين وجود علاقة ارتباط ايجابية قوية وذات دلالة معنوية بين الاستنزاف العاطفي وبعد التخريب بلغ معامل الارتباط (r=0.482, p < 0.01)، كما وجد بان هنالك علاقة ارتباط قوية ذات دلالة معنوية عند مستوى (0.01) بين الاستنزاف العاطفي وبعد الانسحاب (r= 0.460, p < 0.01). وتشير النتائج ايضاً الى وجود علاقة ارتباط ايجابية قوية بين الاستنزاف العاطفي وبعد السرقة بلغت (r = 0.541, p < 0.01). كما بلغ علاقة الارتباط بين الاستنزاف العاطفي وبعد اساءة استخدام الوقت والموارد (r = 0.425, p < 0.01)، في حين بلغت علاقة الارتباط بين الاستنزاف العاطفي وبعد الرشوة والفساد (r = 0.419, p < 0.01) اذ تشير جميع العلاقات السابقة الى معنوية علاقة الارتباط بين الاستنزاف العاطفي وابعاد سلوكيات العمل السلبية وجميعها علاقات ارتباط قوية مما يؤشر مدى علاقة شعور الموظفين والتدريسين بالاستنزاف العاطفي وظهور سلوكيات العمل السلبية. وبناءً عليه تقبل الفرضية الرئيسة الاولى والتي تشير الى ارتباط قوي بين متغيري البحث فضلاً عن ارتباط المتغير المستقل بالمتغير المعتمد بأبعاده.

جدول (6) مصفوفة الارتباط بين الاستنزاف العاطفي وسلوكيات العمل السلبية 70,N

		التخريب	الانسحاب	السرقة	اساءة استخدام الموارد	الرشوة والفساد	سلوكيات العمل السلبية
الاستنزاف العاطفي	Pearson Correlation	.482**	.460**	.541**	.425**	.419**	.561**
	Sig. (2-tailed)	.000	.000	.000	.000	.000	.000
	N	70	70	70	70	70	70

المصدر:- من إعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات برنامج spss. v 25

٢- علاقات التأثير

تتم الفرضية الثانية باختبار علاقة التأثير بين المتغيرين من خلال استخدام الانحدار الخطي البسيط والمتعدد لاختبار التأثير والتي تنص على وجود تأثير ايجابي بين الاستنزاف العاطفي وسلوكيات العمل السلبية بأبعادها وكما يظهر من نتائج الجدول (7) ان هناك علاقة تأثير ايجابية ذات دلالة معنوية بين الاستنزاف العاطفي وسلوكيات العمل السلبية اذ بلغت قيمة ($R^2=0.315, P<0.01$) وهذا يعني ان هناك تأثيراً لمستوى الاستنزاف العاطفي بمقدار (٣١,٥ %) في مستوى ظهور سلوكيات العمل السلبية.

وعند الرجوع الى تأثير الاستنزاف العاطفي في ابعاد سلوكيات العمل السلبية نجد ان هناك تأثيرا ايجابيا معنويا في بعد التخريب بلغ ($R^2=0.233, P<0.01$) في حين بلغ تأثير الاستنزاف العاطفي في بعد الانسحاب ($R^2=0.212, P<0.01$) اما في بعد السرقة فقط بلغ تأثير الاستنزاف العاطفي ($R^2=0.293, P<0.01$)، وقد بلغ تأثير الاستنزاف العاطفي في بعد اساءة استخدام الوقت والموارد ($R^2=0.181, P<0.01$)، في حين بلغ تأثير الاستنزاف العاطفي في بعد الرشوة والفساد ($R^2=0.176, P<0.01$)، وهذا يعني ان شعور الاساتذة والموظفين بالاستنزاف العاطفي في الكلية يؤثر بشكل طردي في زيادة ظهور سلوكيات العمل السلبية وقد بلغ بشكل اجمالي معامل البيتا بين الاستنزاف العاطفي وسلوكيات العمل السلبية ($\beta = 0.598, P<0.01$) ما يدل على ان تغير وحدة واحدة من الاستنزاف العاطفي يؤدي الى تغير مقداره (59.8%) في متغير سلوكيات العمل السلبية وما يدل على معنوية علاقة التأثير بين المتغيرين مقدار F المحسوبة التي بلغت (31.295) لمعادلة الانحدار الخطي البسيط وهي اكبر من الجدولية، وبناء على ما سبق فان الفرضية الرئيسة الثانية مقبولة بوجود علاقة تأثير ايجابية بين متغير الاستنزاف العاطفي وسلوكيات العمل السلبية اما على مستوى الابعاد فقد كانت بيتا المعيارية للأبعاد على التوالي (0.514, 0.517, 0.744, 0.638, 0.575). وان T المحسوبة لجميع الابعاد اعلى من الجدولية وما يدعم ذلك التأثير معنوية تلك التأثيرات اذ بلغت (Sig..000) ولجميع ابعاد سلوكيات العمل السلبية فضلا عن ان معنوية نموذج الانحدار الخطي المتعدد بلغت (F=20.630) وهي اكبر من الجدولية ومعنوية عند (1%).

جدول (7) علاقات التأثير بين الاستنزاف العاطفي وسلوكيات العمل السلبية بأبعاده N=70

المتغير والبعد	R^2	B	T	Sig.	F
الاستنزاف- السلوكيات السلبية	0.315	.598	5.594	.000	31.295
الاستنزاف- التخريب	0.233	.575	4.542	.000	20.630
الاستنزاف- الانسحاب	0.212	.638	4.272	.000	
الاستنزاف- السرقة	0.293	.744	5.304	.000	
الاستنزاف- اساءة استخدام الموارد	0.181	.517	3.875	.000	
الاستنزاف- الرشوة والفساد	0.176	.514	3.808	.000	

المصدر:- من إعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات برنامج spss. v 25

المبحث الرابع: الاستنتاجات والتوصيات

أولاً: الاستنتاجات

- ١- الموظفون المستنزفون عادة ما يشعرون بأن مواردهم العاطفية أصبحت منهكة وأنهم أصبحوا يفتقرون إلى الطاقة والحيوية.
- ٢- الموظفون المستنزفون يحاولون الانتقام من المنظمة نتيجة لشعورهم بأنها السبب الرئيس لمشاعرهم السلبية.
- ٣- يمكن معالجة الاستنزاف العاطفي عن طريق زيادة (المكافآت) التي يحصل عليها الموظفون والتي يجب ان تكون موازية لما يبذل من جهود (تكاليف).
- ٤- وجود علاقة ارتباط ايجابية قوية ذات دلالة معنوية بين الاستنزاف العاطفي وسلوكيات العمل السلبية.
- ٥- الموظفون في الكلية عينة البحث يعانون من وجود الاستنزاف العاطفي والذي يكون ناتجاً عن مجموعة من العوامل كضغوط العمل وحالة عدم المساواة.
- ٦- وجود علاقة تأثير ايجابية بين الاستنزاف العاطفي وسلوكيات العمل السلبية.
- ٧- شعور الأساتذة والموظفين بالاستنزاف العاطفي في الكلية يؤثر بشكل طردي في زيادة ظهور سلوكيات العمل السلبية.
- ٨- تختلف السلوكيات السلبية التي يقوم بها الافراد داخل المنظمة تتراوح بين سلوكيات منخفضة الخطورة (كالتأخر عن العمل بضع دقائق) الى سلوكيات شديدة الخطورة (كالسرقة والرشوة).
- ٩- قد يلجأ الافراد داخل المنظمة الى الانخراط في سلوكيات العمل السلبية نتيجة لشعورهم بعدم وجود امان وظيفي او لشعورهم بعدم المساواة في التعامل معهم من قبل الادارة فيما يخص المكافآت.

ثانياً: التوصيات

- ١- التفكير الجدي من قبل عمادة الكلية المبحوثة في معالجة حالة الاستنزاف العاطفي الذي يعاني منه الموظفون، ومحاولة وضع بعض الاجراءات التي يمكنها ان تحد من هذا السلوك.
- ٢- ضرورة قيام عمادة الكلية المبحوثة بالاطلاع على الواقع العملي الذي يعيشه موظفيها ومحاولة الاتصال بهم ومعرفة المشاكل التي يعانون منها من خلال الاجتماع والتباحث معهم حول المعوقات التي يعانون منها داخل منظمتهم.
- ٣- ضرورة ازالة كافة القيود والاجراءات غير الضرورية التي تعكر صفوة عمل أساتذة وموظفي الكلية المبحوثة والتي تتسبب في استنزافهم وتجعلهم غير قادرين على اداء عملهم بشكل جيد.
- ٤- لابد من وضع الاجراءات العقابية للموظفين المخالفين للتعليمات والقوانين لكي يتم التقليل من السلوكيات السلبية التي يقوم بها العاملون.
- ٥- الكشف عن الموظفين الذين يمارسون السلوكيات السلبية امام زملائهم، ومعاقبتهم لكي يكونوا عبرة لمن يحاول القيام بمثل تلك الانتهاكات.

- ٦- على عمادة الكلية المبحوثة إيجاد بدائل تساعد الاساتذة والموظفين على عدم الانخراط في سلوكيات العمل السلبية، كتوزيع المكافآت وتثمين جهود الموظفين الذين يعملون بجد ونشاط، لكي يتولد لديهم شعوراً بأن الادارة مهتمة بهم وتقدر جهودهم المبذولة.
- ٧- ضرورة اشعار أساتذة وموظفي الكلية المبحوثة بأن العمادة تتعامل معهم بعدالة، وعدم تفضيلها لشخص على الآخر الا من خلال معيار العمل الجيد والمتقن.
- ٨- على عمادة الكلية المبحوثة إن تقوم بتشجيع الأساتذة والموظفين المبدعين وتقديم الحوافز والمكافآت التي تسهم في وضع حلول للمشكلات التنظيمية التي يعانون منها ومحاوله إيجاد سبل تسهم في التخلص من تلك المشاكل.
- ٩- يجب ان تقوم عمادة الكلية المبحوثة بوضع برامج تنموية خاصة للأساتذة والموظفين الذين يعانون من الاستنزاف العاطفي لكي تساعدهم في التخلص من الاثار التي يتسبب بها هذا السلوك السلبي.

المصادر

المصادر العربية

- ١- سارة، بركات، حسبية، زايدى، (٢٠١٢)، "الحوكمة الجيدة ومحاربة الفساد والرشوة شروط أساسية لتحقيق التنمية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا" الملتقى الوطني لحوكمة الشركات كاليه للحد من الفساد المالي والاداري، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية والتسيير - جامعة محمد خضيرة - بسكرة.
- ٢- صبرينة، كردودي، عتيقة، وصاف، (٢٠١٦)، "الوقاية من الفساد المالي والإداري من منظور الفكر الإسلامي" مشكلة الإثراء غير المشروع لموظف القطاع العمومي، المجلة الجزائرية للعلوم والسياسات الاقتصادية، العدد ٧.
- ٣- العطوي، عامر عل حسين، (٢٠١١)، "العدالة التنظيمية والدمج التنظيمي ودورها في تقليل سلوك العمل المنحرف دراسة تطبيقية في معمل سمنت المثني"، مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والادارية، كلية الادارة والاقتصاد- جامعة الكوفة، السنة السابعة، العدد الحادي والعشرين.
- ٤- العنزي، سعد علي حمود. ابراهيم، ابراهيم خليل. (2013) "التوجهات الشعورية للفرد والاستنزاف العاطفي في المنظمات، تطوير أساسيات الفلسفة والتفكير في السلوك التنظيمي" مجلة العلوم الاقتصادية والادارية، م 19، ع 70، 30-1.

المصادر الاجنبية

one- Thesis and Dissertations.

- 1-Ambrose, Maureen L, Seabright, Mark A, and Schminke, Marshall, (2002), "Sabotage in the workplace: The role of organizational injustice", Organizational Behavior and Human Decision Processes 89, 947-965.
- 2-Anjum, Muhammad Adeel, Parvez, Anjum, (2013), "Counterproductive Behavior at Work: A Comparison of Blue Collar and White Collar Workers", Pakistan Journal of Commerce and Social Sciences, Vol. 7 (3), 417- 434.

3-Appelbaum, Steven H, Iaconi, Giulio David, and Matousek, Albert, (2007), "Positive and negative deviant workplace behaviors: causes, impacts, and solutions", Corporate governancej vol. 7 no. 5, pp. 586-598.

4-Aube c, Rousseau V., Mama C., and Morin E. M., (2009), "Counterproductive Behaviors and Psychological Well-being: The Moderating Effect of Task Interdependence", J Bus Psychol 24: 351–36.

5-Basim, Nejat H. Begenirbas, Memduh.and Yalcin, Rukiye Can. (2013) "Effects of Teacher Personalities on Emotional Exhaustion: Mediating Role of Emotional Labor" Educational Sciences: Theory & Practice – 13 (3), 1488-1496.

6-Bowling, Nathan A, Gruys, Melissa L, (2010), "Overlooked issues in the conceptualization and measurement of counterproductive work behavior", Human Resource Management Review 20, 54–61.

7-Bruursema, Kari, Kesslerb, Stacey R, and Spector, Paul E, (2011), "Bored employees misbehaving: The relationship between boredom and counterproductive work behavior", Work & Stress: An International Journal of Work, Health & Organisations, Vol. 25, No. 2.

8-Bashir, Sajid. Nasir, Misbah.Qayyum, Saira. and Bashir, Ambreen,(2012), "Dimensionality of Counterproductive Work Behaviors in Public Sector Organizations of Pakistan", Public Organiz Rev, 12:357–366.

9-Chen, Kuan-Yu. Chang, Ching-Wen. and Wang, Cheng-Hua. (2018) "Frontline employees' passion and emotional exhaustion: The mediating role of emotional labor strategies" International Journal of Hospitality Management.

10-Cohen, Aaron, Diamant, Alon, (2017), "The role of justice perceptions in determining counterproductive work behaviors", The International Journal of Human Resource Management, ISSN: 0958-5192.

11-Dhaini, Suzanne R. Denhaerynck, Kris. Bachnick, Stefanie. Schwendimann, Rene. Schubert, Maria. Geest, Sabina De. ´and Simon, Michael. (2018) "Work schedule flexibility is associated with emotional exhaustion among registered nurses in Swiss hospitals: A cross-sectional study" Accepted Manuscript, nstitute of Nursing Sciences, University of Basel, Bernoullistrasse. 28, 4056 Basel.

12-Furnham, Adrian, Taylor, John,(2004),"Counterproductive Behaviours at Work", The Dark Side of Behaviour at Work.

13-Goh, Edmund, Kong, Sandra, (2016), "Theft in the hotel workplace: Exploring frontline employees' perceptions towards hotel employee theft", Tourism and Hospitality Research 0 (0) 1–14.

14-Gruys, Melissa L, Sackett, Paul R, (2003), "Investigating the Dimensionality of Counterproductive Work Behavior", International Journal of selection and assessment volume 11 number 1.

15-Hacket, Rick D. (1989), "Work attitudes and employee absenteeism: A synthesis of the literature", Journal of Occupational Psychology, 62, 235-248.

16-Kelloway, E. Kevin, Francis, Lori, Prosser, Matthew, and Cameron, James E, (2010), "Counterproductive work behavior as protest", Human Resource Management Review journal home page, 20, 18–25.

17-Lam, Catherine K. Huang, Xu. and Janssen, Onne. (2010) "Contextualizing Emotional Exhaustion and Positive Emotional Display: The Signaling Effects of Supervisors' Emotional Exhaustion and Service Climate" Journal of Applied Psychology, 2010, Vol. 95, No. 2, 368 –376.

18-Ladebo, Olugbenga J. (2016) "Emotional exhaustion and strain reactions: perceived organisational support as a moderator" Psychological Society of South Africa. All rights reserved. South African Journal of Psychology, 39(1), pp. 46-58.

19-Ltd, Konsult. (2016), "Counterproductive Work Behavior".

20-Le, Kimdy, Donnellan, M. Brent, Spilman, Sarah K., Garcia, Olivia Pavlov, Conger, Rand,(2014), "Workers behaving badly: Associations between adolescent reports of the Big Five and counterproductive work behaviors in adulthood", Personality and Individual Differences 61–62, 7–12.

21-Isaksson, Karin Rø. (2010) "Emotional exhaustion and distress after a counselling intervention for physicians" Research Institute Modum bad, Department of Behavioural Sciences in Medicine, Institute of Basic Medical Sciences, Faculty of Medicine, University of Oslo, No. 972.

22-Jung, Hyo Sun, Yoon, Hye Hyun, (2012), " The effects of emotional intelligence on counterproductive work behaviors and organizational citizen behaviors among food and beverage employees in a deluxe hotel ", International Journal of Hospitality Management 31, 369–378.

23-Sonnentag, Sabine. Kuttler, Iris. Fritz, Charlotte. (2010), " Job stressors, emotional exhaustion, and need for recovery: A multi-source study on the benefits of psychological detachment " Journal of Vocational Behavior, 76, 3, pp 355 – 365.

24-Soot, Mari-Liis, Johannsen, Lars, Pedersen, Karin Hilmer, Vadi, Maaja, and Reino, Anne, (2016), " Private-to-private corruption: Taking business managers' risk assessment seriously when choosing anti-corruption measures ", clean GovBiz, OECD Integrity Forum.

25-Spector, Paul E, Fox, Suzy, and Domagalski, Theresa, (2005), " Emotions, Violence, and Counterproductive Work Behavior ", 03-Kelloway-4838.qxd.

26-Spector, Paul E. Fox,Suzy. Penney, Lisa M. Kari, Bruursema.Goh,Angeline. and Kessler, Stacey.(2006), " The dimensionality of counterproductivity: Are all counterproductive behaviors created equal ? ",Journal of Vocational Behavior 68, 446 – 460.

27-Tuithofa, Marlous. Have, Margreet ten. Beekman, Aartjan. Dorsselaer, Saskia van. Kleinjan, Marloes. Schaufeli, Wilmar. and Graaf, Ron de. (2017)" The interplay between emotional exhaustion, common mental disorders, functioning and health care use in the working population " Journal of Psychosomatic Research, 100, p 8 – 14.

28-Yao, Xiuping. Yao, Meilin. Zong, Xiaoli. Li, Yulan. Li, Xiyang. Guo, Fangfang. and Cui, Guanyu. (2015) "How School Climate Influences Teachers' Emotional Exhaustion: The Mediating Role of Emotional Labor" International Journal of Environmental Research and Public Health, 12, ISSN 1660-4601.

29-Zhang, Xinyue. Ye, Hongfang. Li, Yuan. (2018) "Correlates of structural empowerment, psychological empowerment and emotional exhaustion among registered nurses: A meta-analysis" journal Applied Nursing Research, 42, 9 – 16.

two – University theses and dissertations

1-Farmer, Benjamin A. (2013) "Beware the work boss ? the effect of supervisor Emotional exhaustion on employee Emotional exhaustion" An Abstract of a Thesis Presented to The Faculty of the Department of Psychology University of Houston.

2-Florida, Miami. (2009), "Base rates of counterproductive work behaviors", A thesis submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of Master of science in psychology Florida International University.

3-Gruys, Melissa L. (1999), "The Dimensionality of Deviant Employee Behavior in the Workplace", A thesis submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of Doctor of Philosophy in Human Resources and Industrial Relations in the Graduate School of the University of Minnesota.

three–The Internet

1-Bassam, AL- Mujamami. (2014) "Theft at work brings issues to coworkers", <https://www.bayt.com/en/specialties>.

المبادئ العامة للقانون ودورها في حسم المنازعات الدولية

The Role of the General principles of law in Decisiveness of International Disputes

م.د. عقيل كريم زغير الحسناوي^(١)

Lect. Akeel Kareem Zughair Al-Hasnawy

م. محمد عبد الرزاق محمد الشوك^(٢)

Lect. Muhammad Abdul Razzaq Muhammad Al-Shouk

الملخص

ان المبادئ العامة للقانون تعتبر عاملا مشتركا بالنسبة لمعظم الأنظمة القانونية وقوام هذه المبادئ يرتكز على حسن النية في التعامل وتعويض الضرر ومبدأ العقد شريعة المتعاقدين وغير ذلك. ان هذه المبادئ موجودة وملازمة بدرجة وثيقة للفكر القانوني والتي توجد عمليا في النظم القانونية الكبرى والتي تحتل بفعل الضرورة مكانها في النظام القانوني الدولي الذي تقبله كل الدول والذي تجدد انعكاسا لأفكارها القانونية. أن المبادئ العامة للقانون تشكل درع إنقاذ لكل قاض يقع في مأزق عند غياب إرادة الأطراف المتخاصمة، فعموميتها تسمح لها بالتطبيق على مختلف الأوضاع والمسائل التي تعرض على القاضي أو المحكم حيث تعطي لهما حرية تقدير واسعة لتصلح الآثار الناتجة عن تطبيق قواعد القانون المختص وكذلك معالجة ما قد يعتري النظم القانونية من قصور.

إن أهمية المبادئ العامة للقانون تكمن في اتساعها بطابع العمومية المستمد من الاعتراف بها من جانب التشريعات الوطنية لمعظم الدول مهما كانت طبيعة النظام القانوني الذي تنتمي اليه، لذلك لا يمكن حصر هذه المبادئ في اطر وحدود معينة لأنها قابلة للخلق والتطور النسبي بمرور الزمن ورغم إقرار جميع فقهاء القانون بالأهمية الكبرى لهذه المبادئ باعتبارها تعبر عن حيوية النظام القانوني واداة من ادوات

١- كلية. القانون/ جامعة كربلاء.

٢- جامعة أهل البيت -النجف- / كلية القانون

تتميته وتطويره الا انه لا يوجد اتفاق فقهي على تحديد المقتضيات منها او تحديد نطاقها على اعتبار ان مصاديقها موجودة في اكثر من موضع ومناسبة، لذلك سوف نحاول في هذا البحث تليط الضوء على المبادئ العامة للقانون وتحديد معناها ومواقع تطبيقها وسلطة القاضي او المحكم الدولي في اللجوء اليها.

Abstract

The general principles of law are a common factor for most legal systems. The strength of these principles is based on good faith in the treatment, compensation of damage and the principle of the Pacta Sunt Servanda. These principles are existed and closely related to the legal thought, which exists practically in the major legal systems and which, by necessity, occupy their place in the international legal, which, order accepted by all States and which reflects their legal ideas.

The general principles of the law constitute a shield for each judge or arbitrator who falls in the case absence of the will of the conflicting parties. Its generality allows it to apply to the various situations and matters that are brought before the judge or arbitrator, in terms of, they give them wide discretion to repair the effects resulting from the application of the relevant legal rules. As well as to address the shortcomings in the various legal systems.

The importance of the general principles of law lies in their general nature, which derives from recognition them by the national legislation of most States, whatever the nature of the legal system to which they belong. Therefore, these principles cannot be confined to certain frameworks and limits because they are capable of creation and relative development over time. Despite the recognition of all the jurists of the importance of these principles as they reflect the vitality of the legal system and as a tool of its development and evolution. But, there is no agreement between the jurisprudence to determine the intended them or to determine the scope them, on the grounds that their applications existing in more than situation and case. Therefore, in this research, we will try to highlight on the general principles of the law, define its meaning and scope of application, and the authority of the judge or the international arbitrator to resort them.

المقدمة

إنَّ المحكم الدولي في منازعات التجارة الدولية، يجد نفسه في كثير من الأحيان، مضطرا الى حل النزاع بين الأطراف، في حالة غياب أرائهما الظاهرة أو الضمنية، بتطبيق قواعد العدالة والانصاف لحل النزاع بين الأطراف، حيث يستعين المحكم بمبادئ القانون التي تعد عاملا مشتركا بالنسبة لمعظم الأنظمة القانونية، وقوام هذه المبادئ تتركز على حسن النية في التعامل وتعويض الضرر وغير ذلك، وأستخدمت

هيئات التحكيم مـ مصطلحات من هذا القبيل مثل قواعد القانون أو المبادئ العامة في القانون أو المبادئ المشتركة في الأمم المتحدة أو المتمدنة أو قواعد العدل والأنصاف، كما أستعملت مثل هذه المصطلحات في الاتفاقيات الدولية عندما أشارت الى ضرورة مراعاة المحكم الدولي لهذه المبادئ المشتركة أو العامة أو مبادئ القانون الدولي أو مبادئ العدالة.

وأن هذه المبادئ موجودة وملازمة بدرجة وثيقة للفكر القانوني، والتي توجد عمليا في النظم القانونية الكبرى والتي تحتل بفعل الضرورة مكانها في النظام القانوني الدولي الذي تقبله كل الدول والذي تجد فيه انعكاسا لأفكارها القانونية، وهذه المبادئ تشكّل درع أنقاذ لكل قاضي يقع في مأزق عند غياب أرادة الأطراف المتخاصمة، فعموميتها تسمح لها بالتطبيق على مختلف الأوضاع والمسائل التي تعرض على القاضي أو المحكم وحيث تعطي لهما حرية تقدير واسعة لئلا يصلح الآثار الناتجة عن تطبيق قواعد القانون المختص، وكذلك معالجة ما قد يعتري النظم القانونية من قصور.

وفي ضوء ذلك سوف نقسم هذا الموضوع على بحثين، نتناول في الأول مفهوم المبادئ العامة للقانون والذي بدوره سوف نقسمه على ثلاثة مطالب، الأول نبحث فيه النشأة التاريخية للمبادئ، وفي المطلب الثاني نبين التعريف بالمبادئ العامة، اما المطلب الثالث فسوف نسلط الضوء على بيان الطبيعة القانونية للمبادئ العامة.

وفي المبحث الثاني نتحدث عن التحديد الوظيفي للمبادئ العامة في القانون، و بدوره سوف نقسمه على ثلاثة مطالب، نتناول في المطلب الاول موقف التشريعات الداخلية والدولية في المبادئ العامة للقانون، أما في المطلب الثاني نتكلم عن التطبيقات التشريعية والقضائية، وفي المطلب الثالث سوف نبين تقييم المبادئ العامة للقانون.

مشكلة البحث:

إنّ أستاذة المحكم الدولي بالمبادئ العامة في القانون تعد عاملاً مشتركاً بالنسبة لمعظم الأنظمة القانونية، ولقد أثار تحديد مفهوم المبادئ العامة للقانون اختلافاً وجدلاً واسعاً في الفقه الدولي إضافة الى أنّ التشريعات الوضعية عموماً تشير الى هذه المبادئ بشكل مجرد دون تفسير او تعريف او الإشارة الى مضمونها وآثارها.

اما بالنسبة للقضاء الدولي فلم يلجأ الى المبادئ العامة للقانون الا على نطاق ضيق وبطريقة غير مباشرة ونادراً ما اشار لها بشكل صريح في احكامه، وذلك لأعتماده في تحديد اختصاصه على رضا الدول و محاولته حل المنازعات دون القيام بدور المشرع الدولي خلافاً لأرادة اطراف النزاع، فضلاً عن ان المعاهدات والاعراف الدولية غالباً ما قدّمتا اساساً كافياً للقاضي و المحكم الدولي لأصدار أحكامه.

أهمية البحث:

إنّ المبادئ العامة للقانون تتسم بطابع العمومية المستمد من الاعتراف بها من جانب التشريعات الوطنية لمعظم الدول مهما كانت طبيعة النظام القانوني الذي تنتمي اليه، ومن ثم لا يمكن حصر المبادئ العامة في اطر وحدود معينة لأنها قابلة للخلق والتطور النسبي بمرور الزمن، ورغم أقرار جميع فقهاء القانون

بالأهمية الكبرى لمبادئ القانون العامة باعتبارها تعبر عن حيوية النظام القانوني و أداة من أدوات تنميته وتطويره فإنه لا يوجد اتفاق فقهي على تحديد المقصود منها أو تحديد نطاقها على اعتبار أن مصاديقها موجودة في أكثر من موضع ومناسبة.

خطة البحث:

بغية تسليط الضوء على هذه المبادئ سوف نقسم هذا البحث على مبحثين، نتناول في المبحث الأول مفهوم المبادئ العامة للقانون والذي بدوره سوف نقسمه على ثلاثة مطالب، الأول نبحث فيه النشأة التاريخية للمبادئ، وفي المطلب الثاني نبين التعريف بالمبادئ العامة، أما المطلب الثالث فسوف نسلط الضوء على بيان الطبيعة القانونية للمبادئ العامة.

وفي المبحث الثاني نتحدث عن التحديد الوظيفي للمبادئ العامة في القانون، والذي بدوره سوف نقسمه على ثلاثة مطالب، نتناول في المطلب الأول موقف التشريعات الداخلية والدولية في المبادئ العامة للقانون، أما في المطلب الثاني نتكلم عن التطبيقات التشريعية والقضائية، وفي المطلب الثالث سوف نبين تقييم المبادئ العامة للقانون.

المبحث الأول: مفهوم المبادئ العامة للقانون

يقوم القانون على جملة من المثل الأخلاقية والأقتصادية والسياسية والواقعية التي تلبي حاجات المجتمع في مكان وزمان معينين، إلا أن القيم حسب الأصل لها صبغة أنسانية عامة فقيم الاخلاق والعدالة والحرية والمساواة هي افكار أنسانية لا يختص بها مجتمع معين، فقد تناولت الشرائع والفلسفات القديمة بحث ودراسة هذه القيم متفقه على قواعد جوهرية تحكمها وصولاً الى الاعتراف بالمبادئ العامة في القانون، كمجموعة قواعد يلجأ لها المحكم عند عدم وجود نص يطبقه على القضية المعروضة عليه، وعليه سوف نقسم هذا المبحث على ثلاثة مطالب، نتناول النشأة التاريخية للمبادئ العامة للقانون وتعريفها وطبيعتها القانونية وكالاتي:-

المطلب الاول:- النشأة التاريخية للمبادئ العامة في القانون:-

كان للفلسفة اليونانية الدور الاساس في نشأة المبادئ العامة للقانون اذ ظهرت فكرة وجود قانون أعلى يسيطر على نظام الكون وتستوحي قواعد القانون الوضعية مادتها منه^(٣)، ومن ثم تأثر الرومان بالفلسفة اليونانية وأخذوا منها فكرة القانون الطبيعي وأعتبروه القانون المثالي ويتكون من مجموعة قواعد أبدية موجودة في الطبيعة يدركها الإنسان بالعقل فطبقت على الاجانب باعتبارها قواعد عامة أبدية مشتركة بين الشعوب ويسمى هذا بقانون الشعب^(٤).

وإن البريتور الروماني دور بارز في تعميم فكرة المبادئ العامة للقانون مثل مبدأ (الأفراط في التطبيق الحرفي للقانون اغراق في الظلم) ومعنى ذلك أنه إذا تم تطبيق القانون حرفياً هذا يحد ذاته يؤدي الى الحرج

٣- الموقع العالمي الرسمي للموسوعة المعرفية العالمية مشار اليه في الموقع الالكتروني (www.permalink.com) تاريخ الزيارة (٢٠١٨/٣/٢١).

٤- للمزيد أنظر، أحمد أبراهيم، غاية القانون، ط١، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٦، ص ١٣٣.

والعسر والقسوة في صار الى تطبيقه بشيء من المرونة والرحمة بأستحياء الحكم من روح القانون لا من مفهومه الحرفي.^(٥)

وبعد ذلك تناول هذه الأفكار فلاسفة القرون الوسطى في أوروبا ومنهم توما الأكويني وستامر وهيجل، الا أن مصطلح المبادئ العامة للقانون ظهر لأول مرة لدى الفيلسوف مونتيسكيو (١٧٤٨م) في كتابه الشهير (روح القانون أو الشرائع)^(٦).

وان اول من قطن هذه المبادئ تشريعياً هو جيسيتينيان (٥٦٥، ٥٢٧م) والتي جاء في مقدمة المدونة بالقول (ان اساس المدونة هذه يقوم على اساس العدل والانصاف في حقوق الافراد وواجباتهم)^(٧).

اما في العصر الحديث لا سيما في القرن الثامن عشر نجد ان قوانين دول العالم اعتمدت في تشريعاتها على المبادئ العامة للقانون ومن هذه التشريعات القانون المدني الفرنسي (قانون نابليون ١٨٠٤) والذي تأثر بها بصورة مباشرة، وقد أورد لفكرة المبادئ العامة جملة من التطبيقات كمبدأ حسن النية والحرية التعاقدية وغيرها^(٨).

واستغل القضاء في كثير من دول العالم من فكرة المبادئ العامة للقانون لينطلق في اجتهاداته لأيجاد مجموعة ليست بالقليلة من النظريات كنظرية الظروف الطارئة والتعسف في استعمال الحق وغيرها من المبادئ التي اعتبرت فيما بعد اساس للتشريعات في قوانين دول العالم^(٩).

المطلب الثاني:- تعريف المبادئ العامة للقانون:-

تعني المبادئ العامة للقانون تلك المبادئ المستمدة من الممارسات الدولية، وقد تعددت الاراء الفقهية بشأن هذه المبادئ، فهناك رأي يقول بأن المبادئ العامة للقانون هي مبادئ تعايش بين الدول ذات الانظمة السياسية المختلفة فالأسس المشتركة للمبادئ القانونيه في البلدان المختلفة هي أقوى بكثير من اختلاف انظمتها الاجتماعية^(١٠).

ويرى جانب آخر من الفقه بأن المبادئ العامة للقانون تعني المواد المشتركة المستمدة من الانظمة القانونية الداخلية والتي يمكن تطبيقها في العلاقات الدولية^(١١)، وتستخلص من هذه الانظمة القانونية المختلفة ما يناسب العلاقات الاقصة صادية، و صارت من مكونات القانون التجاري الدولي في مجتمع المهنيين من التجار ورجال الاعمال على حد سواء وهي احد م صادر القانون الدولي التي تتكون من مجموعة من المبادئ المستمدة في كل النظم القانونية المتحضرة^(١٢).

٥- د.حسن علي ذنون، فلسفة القانون، المكتبة القانونية، بغداد، ٢٠٠٢، ص٩٣.

٦- للمزيد من التفصيل أنظر، أحمد أبراهيم، مصدر سابق، ص١٣٤-١٣٥.

٧- د.حسن علي الذنون، مصدر سابق، ص ٩٥.

٨- الموقع العالمي الرسمي للموسوعة المعرفية العالمية، مشار اليه مسبقا على الموقع الإلكتروني (www.permalink.com) تاريخ الزيارة (٢٠١٨/٣/٢١).

٩- د. عزيز كاظم جبر، المبادئ العامة لمدخل القانون، ط١، مطبعة النجف الاشرف، ٢٠٠٤، ص٨٣.

١٠- أنظر، د. محمود جمال الكردي، القانون الواجب التطبيق في دعوى التحكيم، دار الجامعة الجديدة، الاسكندرية، ٢٠٠٥، ص٣٠٤.

١١- للمزيد أنظر، د. أشرف عبد العليم الرفاعي، القانون الواجب التطبيق على موضوع التحكيم والنظام العام في العلاقات

الخاصة الدولية، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، ٢٠٠٣، ص١١٢.

١٢- د. أشرف عبد العليم الرفاعي، المصدر سابق، ص١١٣.

ورغم اقرار جميع الفقهاء القانون بالاهمية الكبرى للمبادئ العامة للقانون بعدد ما تعبر عن حيوية النظام القانوني و أداة من أدوات تنميته وتطويره، الا انه لا يوجد اتفاق فقهي على تحديد المقصود منها وبناءا على ذلك فقد اختلفت التعريفات في بيان معنى المبادئ العامة للقانون فقد تم تعريفها من قبل الفقيه (بيسكاتوري) بأنها (مجموعة من المبادئ التي تستخدم في توجيه النظام القانوني العام، من حيث طبيعته وتطبيقه ولو لم تكن لها دقة القواعد القانونية الوضعية وانضباطها) (١٣).

ونبه الفقيه (ريير) الى ضرورة تحاشي تعريف المبادئ العامة للقانون وهو يعتقد الى ان المبادئ العامة يمكن التعرف عليها عندما تقع مخالفة لها، فأما كان من الصعب تعريف المبدأ الاساس في احترام الملكية الخاصة، الا أنه يمكن التعرف على المبدأ عند مصادرة الملكية دون مقابل وبطريقة تحكيمية (١٤). وعرفها الفقيه (اندره دي لوبادير) بأنها (عدد من المبادئ التي لا تظهر م صاغها في نصوص مكتوبة ولكن يعترف بها القضاء باعتبارها واجبة الاتباع وان مخالفتها تمثل انتهاكاً للمشروعية).

فهو قواعد غير مكتوبة حسب الاصل يستعين بها المحكم والتي تعد عاملاً مشتركاً بالنسبة لمعظم الانظمة القانونية وقوامها مجموعة من المبادئ كحسن النية و التعويض عن الضرر وغيرها من المبادئ (١٥). ومن ذهب الى القول بان المبادئ العامة للقانون هي مبادئ نشأت بفعل السوابق التحكيمية في العلاقات القانونية الدولية حيث استطاع المحكمون ان يضعوا لهذه القواعد ذاتيتها المتفقة وطبيعة التجارة الدولية (١٦).

ومن قام بتعريفها بأنها (المبادئ المنبثقة من المثل العليا وضمير المجتمع وروح التشريع التي يسترشد بها القاضي عند النظر في المنازعة المعروضة) (١٧).

ويذهب البعض الى تعريف المبادئ العامة للقانون بأنها (مجموعة القواعد العامة المستفادة من النظم القانونية الداخلية والتي تطبق في القانون الدولي العام كقواعد قياسية وتفسيرية واجرائية اثناء اداء القاضي الدولي لوظيفته القضائية) (١٨).

و لقد ذهب جانب آخر من الفقه الى وضع امثلة تبين في مضامينها المقصود بالمبادئ العامة وعلق البعض الآخر في القول بأنه ليس لمفهوم المبادئ العامة تعريف محدد وأنها تشكل أحد مصادرات القانون الدولي العام، كما قد صدرته المادة (٣٨) من لائحة محكمة العدل الدولية وأن هذه المصطلحات تختلف جذرياً عن الاعراف المستمدة من الممارسة العملية التعاقدية او التحكيمية (١٩).

١٣- د. محمد سليمان الاحمد، عناصر القاعدة القانونية (الفرضية والحكم)، مجلة الزايفين للحقوق، كلية القانون، جامعة الموصل، العدد الخامس، ١٩٩٨، ص ١٠٩.

١٤- أنظر، د. محمد سليمان الاحمد، المصدر سابق، ص ١١٠.

١٥- للمزيد من التفصيل أنظر، د. محمد سالم عبد بخيت، المبادئ العامة للقانون بوصفها مصدراً للقانون الدولي الجنائي، على الموقع الالكتروني الاتي (www.jasj.net / jasj.com) تاريخ الزيارة (٢٤/٣/٢٠١٨).

١٦- د. محمود جمال الكريدي، مصدر سابق، ص ٣٠٥.

١٧- د. عبد الباقي البكري وزهير البشير، مدخل لدراسة القانون، المكتبة القانونية، بغداد، ص ٢١٢.

١٨- أشار اليه، د. حسن علي كاظم، تسوية المنازعات الناشئة عن الترخيص الدولي، أطروحة دكتوراه، كلية القانون، جامعة الجزائر، (٢٠٠٤-٢٠٠٥)، ص ٢٩٨.

١٩- أشار اليه، د. مصطفى سالم عبد بخيت، مصدر سابق، ص ٣٠٨.

قانون ومنها (وجوب تنفيذ العقد بحسن نية، وجوب تعديل العقد بتغير الظروف وعلى الأقل العقود طويلة الاجل، وصحة الاتفاق على الدفع بالذهب^(٢٠)).

وبناءً على ما سبق فإن المبادئ العامة للقانون هي قواعد عامة وأساسية تهيمن على الأنظمة القانونية والتي تنفرع عنها قواعد أخرى تطبيقية تخرج الى حيز التنفيذ في صورة العرف والتشريع^(٢١). ومن هنا يتضح أن المبادئ العامة تتسم بطابع العمومية والتي يمكن الاشتقاق منها العديد من القواعد المتفرعة عنها فهي تتميز بأنها مبادئ أساسية كونها تهيمن على مجموعة القواعد التفصيلية المتفرعة عنها.

المطلب الثالث:- الطبيعة القانونية للمبادئ العامة للقانون:-

لقد اختلف الفقه حول مضمون وطبيعة المبادئ العامة للقانون، فقد افضى ذلك الى اختلافهم حاول تحديد مكانة هذه المبادئ كمصدر للقانون الدولي، بل مدى اعتبارها مصدراً رئيسياً ام ثانوياً عند الذين يصفون عليها صفة المصدر، وفي هذا الصدد نبحت الخلافات الفقهية حول ثلاثة محددات لتلك المبادئ وكما يلي:-

الفرع الاول:- المبادئ العامة للقانون مصدر مستقل من مصادر القانون الدولي:

تعددت التفسيرات في مدى استقلالية المبادئ العامة للقانون واختلفت باختلاف الفلسفة القانونية التي يؤمن بها كل من تصدى لبيان مدلول هذه المبادئ ومن ثم لابد من عرض ابرز الاراء التي قيلت بهذا الشأن وكالاتي:-

اولاً:- المبادئ العامة للقانون في حقيقتها جزء من العرف الدولي:-

ذهب جانب من الفقه الى الخلط ما بين القاعدة العرفية و المبادئ العامة للقانون على اساس ان اللجوء الى المبادئ العامة من قبل المحاكم الدولية بشكل متكرر ومستمر يؤيد عادة متواترة تساهم في نشوء عرف دولي اذا ما صادفت الاعتقاد بقوتها الملزمة، وبذلك تندرج المبادئ العامة للقانون ضمن المفهوم العام للعرف الدولي^(٢٢).

ثانياً:- المبادئ العامة للقانون تعني مبادئ العدل والانصاف:-

يقوم هذا الرأي^(٢٣)، على افتراض ان المبادئ العامة للقانون تقدّم أساساً متيناً لتحديد مضمون مبادئ العدل والانصاف، فالقاعدة القانونية اذا لم تثبت وجودها في عموم النظم القانونية الداخلية فذلك يعد سبباً كافياً للاعتقاد بأن المشرع الداخلي في مختلف الدول يرى ان هذه القاعدة ليست من مقتضيات العدل والانصاف او انها كذلك ولكنها تكون غير فعالة من الناحية العملية التطبيقية، ومن ثم لا تصلح كقاعدة من قواعد القانون الدولي وبالمقابل اذا اثبت وجودها اي وجود قاعدة ما في عموم النظم القانونية

٢٠- للمزيد انظر، د. هشام خالد، عقد ضمان الاستثمار والقانون الواجب التطبيق عليه وتسوية المنازعات التي قد تثير بشأنه، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، ٢٠٠٠، ص ٣٧٠.

٢١- د. مصطفى سالم عبد بختيت، مصدر سابق، ص ٣٠٣، د. محمود جمال الكردي، مصدر سابق، ص ٣٠٩.

٢٢- حيدر عجیل فاضل، المبادئ العامة للقانون كمصدر للقانون الدولي العام، رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية القانون، جامعة بغداد، ٢٠٠٦، ص ٢٤.

٢٣- أشار ليه، حيدر عجیل فاضل، المصدر السابق، ص ٢٧.

الداخلية فهي قرينة على انها عادلة وعملية، وانتقد هذا الرأي على اساس ان المبادئ العامة للقانون لا تعتمد لعدالتها وانصافها وانما لعموميتها وتجربتها.

ثالثاً:- المبادئ العامة للقانون ترجع الى قواعد القانون الطبيعي:-

أعتقد بعض الفقهاء^(٢٤)، الى ان قواعد القانون الدولي شأنها شأن قواعد القانون الداخلي تستند الى مبادئ القانون الطبيعي في تكوينها، واذا ما ظهر نقص او قصور في قواعد اي من القانونين وجب على القاضي ان يلجأ الى المبادئ العامة للقانون كتعبير عن القانون الطبيعي الذي يجد اساسه في فكره العدالة والأخلاق، اذ أن المبادئ العامة للقانون تدمج القانون الطبيعي بالوضعي، فهي مبادئ القانون الطبيعي التي حضيت بالنص الوضعي المعبر عنها في الانظمة القانونية القائمة لدى الدول.

وقد اجهض هذا الرأي بحجة ان اي مصدر شكلي لا بد وان يتضمن مجموعة من القيم والمثاليات والمفاهيم السائدة في المجتمع والتي تزود القاعدة المعنية بمادتها، فمن المتيقن أن نجد حكماً في معاهدة او عرف يتفق مع مقتضيات القانون الطبيعي، كذلك الحال مع المبادئ العامة للقانون فقد تتضمن بعض المبادئ الموروثة عن القانون الطبيعي ولكنها تبقى رغم ذلك من مصادر القانون الدولي الشكلية وليست مجرد مصدر مادي^(٢٥).

الفرع الثاني:- المبادئ العامة للقانون هي المبادئ المستمدة من الأنظمة الداخلية للدول

وفيه ثلاثة آراء فقهية هي:-

أولاً:- أنها تعني المبادئ العامة للقانون الدولي:-

لأن القضاء الدولي لا يمكن أن يطبق غير القواعد الدولية مستبعداً بذلك دور المبادئ العامة للقانون المستمدة من القانون الداخلي على أساس استقلال كلا القانونين الداخلي والدولي عن الآخر^(٢٦).

ثانياً:- أنها تعني ذات المعنى للمبادئ العامة للقانون الدولي والداخلي:-

أبجبه البعض من الفقه الى ان المقصود بالمبادئ العامة للقانون ليست فقط تلك المستمدة من القوانين الوطنية وانما يشمل المعنى أيضاً المبادئ وثيقة الصلة بالحياة الدولية و بالعلاقات السائدة في اطار المجتمع الدولي، شأنها شأن المبادئ الداخلية في التميز بصفة العمومية والتجريد التي تحدد الاطار الذي ينبغي ان تأتي فيه قواعد مفصلة لها والتي تكفل اليها التطبيق^(٢٧).

ثالثاً:- أنها تعني المبادئ العامة للقانون الداخلي فقط:-

يتجه الرأي الغالب في الفقه الى ان المبادئ العامة للقانون نعني بها المبادئ العامة المستمدة من الانظمة الداخلية للدول دون غيرها والتي يمكن تطبيقها في الميدان الدولي ومن ثم لا يُعد مصدرها للقواعد الدولية سوى المبادئ العامة المعترف بها في كافة الانظمة القانونية الداخلية لمختلف الدول، فهي المبادئ

٢٤- أنظر، د. عصام العطية، القانون الدولي العام، المكتبة القانونية، بغداد، ٢٠٠٨، ص ٢٢٢، حيدر عجیل فاضل، مصدر سابق، ص ٢٥.

٢٥- د. عصام العطية، المصدر سابق، ص ٢٦. د. محمود جمال الكردي، مصدر سابق، ص ٣٠٧.

٢٦- أشار اليه، د. مصطفى سالم عبد بحيت، مصدر سابق، ص ٣١١.

٢٧- د. محمود حسين منصور، المدخل لدراسة القاعدة القانونية، دار المعارف، لبنان، ٢٠٠٥، ص ١٣٣.

الاساسية التي تستند اليها وتقرّها النظم القانونية في مختلف الدول كما لو اقرتها صراحة في قانونها الوطني وتثبت فيها محاكمها الوطنية في الحل والتطبيق^(٢٨).

الفرع الثالث:- المبادئ العامة للقانون مصدر أصلي للقانون الدولي:-

ذهب غالبية الفقه المعاصر الى اعتبار المبادئ العامة للقانون جزء من المصادر الاصلية للقانون الدولي، وانها تقف على قدر من المساواة مع المعاهدات والاعراف الدولية، ولكن على الرغم من ذلك ينبغي تقديم القاعدة الأكثر خصوصية على القاعدة العامة عند التعارض بينهما وفقاً لقاعدة الخاص يقيد العام، ولما كانت المبادئ العامة للقانون تصطبغ بالصفة العامة فإن القاعدة المستفادة من الاعراف والمعاهدات الدولية تتقدم عليها بالتطبيق من الناحية العملية عند أي تعارض في أعمال هذه المصادر، وبذلك لا تجد المبادئ العامة للقانون طريقها للتطبيق الا عند عدم وجود أي اتفاق أو عرف دولي يمكن تطبيقه على القضية المعروضة أمام القضاء الدولي^(٢٩).

وبذلك ينشأ الأساس المنطقي لقبول المبادئ العامة كمصدر أصلي للقانون الدولي من فكرة أن القانون الدولي يقوم على أساس موافقة الدول، لذا فإن وجودها في معظم النظم القانونية الداخلية يعد بمثابة دليل في موافقة الدول على ما تتضمنه من أحكام، فضلاً عن طبيعتها الموضوعية المعبرة عن فكرة العدالة^(٣٠).

المبحث الثاني: التحديد الوظيفي للمبادئ العامة للقانون

إنّ التشريعات الدولية والداخلية وكذلك الاتفاقات الدولية قد أشارت بوضوح لمضمون المبادئ العامة للقانون ولكن تناولته تحت مصطلحات متعددة، وعليه سوف نقسم هذا المبحث على ثلاثة مطالب، نتناول في الأول موقف التشريعات الداخلية والدولية من المبادئ العامة، أما في المطلب الثاني نتكلم عن التطبيقات التشريعية والقضائية للمبادئ العامة للقانون، وفي المطلب الثالث نبين تقييم المبادئ العامة للقانون:-

المطلب الأول:- موقف التشريعات الداخلية والدولية من المبادئ العامة للقانون:-

نقسم هذا المطلب على فرعين، في الأول نتناول موقف التشريعات الداخلية من المبادئ العامة للقانون، وفي المطلب الثاني نبين موقف التشريعات الدولية منها:-

الفرع الأول:- موقف التشريعات الداخلية من المبادئ العامة للقانون:-

إنّ المشرع العراقي قد اورد في أكثر من مورد للمبادئ العامة للقانون وتحت مصطلحات متعددة فقد جعل المشرع في القانون المدني العراقي المبادئ العامة للقانون أو قواعد العدالة مصدراً رابعاً للقانون بعد غياب التشريع والعرف ومبادئ الشريعة الاسلامية حسب التدرج الهرمي والذي جاء في الفقرة الثانية من المادة الأولى حيث نصت على أنه (فاذا لم يوجد نص تشريعي يمكن تطبيقه حكمت المحكمة بمقتضى

٢٨- د. محمود جمال الكردي، مصدر سابق، ص ٣٠٩. د. مصطفى سالم عبد بخيت، مصدر سابق، ص ٣١١.

٢٩- د. مصطفى سالم عبد بخيت، مصدر سابق، ص ٣١٥، حيدر عجیل فاضل، مصدر سابق، ص ٢٧.

٣٠- حيدر عجیل فاضل، مصدر سابق، ص ٢٧. د. محمود جمال الكردي، مصدر سابق، ص ٣٠٧.

العرف فاذا لم يوجد فمقتضى الشريعة الاسلامية الاكثر ملائمة لنصوص هذا القانون دون التقييد بمذهب معين فاذا لم يوجد فبمقتضى العدالة).

فان قواعد العدالة تعني تحقيق العدل في حالة خاصة وذلك بتطبيقه هو على واقعة معينة اوحالة فردية ليكون الحكم المستمد منه مطابقاً لظروفها الخاصة^(٣١)، وهذا يعني فتح باب الاجتهاد للقاضي والمحكم ليحكم وفقاً للظروف والملايسات من اجل تحقيق العدل والانصاف وفقاً لضمير المجتمع لا وفق المعتقدات الخاصة بالقاضي، وعليه فان قواعد العدالة ماهي الا معايير مستمدة من ضمير المجتمع لاجل تحقيق العدل والانصاف وهو ما يعني ان قواعد العدالة تدخل ضمن المفهوم الواسع للمبادئ العامة للقانون.

كما ونصت المادة ٢/١٥٠ من القانون المدني العراقي بصورة واضحة لقواعد العدالة بقولها (٢) - ولا يقتصر العقد على الزام المتعاقد بما ورد فيه، ولكن يتناول ايضاً ما هو من مستلزماته وفقاً للقانون والعرف والعدالة بحسب طبيعة الالتزام).

كذلك نجد ان المادة (٣٠) من القانون نفسه اشارت بوضوح الى اعتماد المبادئ العامة للقانون المتعلقة بقانون الدولي الخاص حيث نصت (يتبع فيما لم يرد بشأنه نص في المواد السابقة من احوال تنازع القوانين مبادئ القانون الدولي الخاص الاكثر شيوعاً).

ونلاحظ ايضاً، ان المشرع العراقي قد اشار الى مبدأ حسن النية بأعباره صورة من صور المبادئ العامة للقانون وتحديدًا في المادة (١٥٠) فقد اوجب على المتعاقدين تنفيذ التزامهم وفقاً لمبدأ حسن النية الذي يعد مصداقاً من مصاديق المبادئ العامة للقانون^(٣٢).

وبالتالي نلاحظ ان المشرع في القانون المدني العراقي استخدم مصطلحات متعددة، كقواعد العدالة ومبادئ القانون الدولي الخاص و مبدأ حسن النية اشارة منه الى رغبته اعتماد المبادئ العامة للقانون، بل عدها مصدراً من مصادر القانون المدني.

ويجب ان يلاحظ ان دور المبادئ العامة هو دور ارشادي بالنسبة للمشرع، فالمشرع قد لا يقتصر دوره على مجرد الاستفادة من الافكار التي تنتج من المبادئ العامة للقانون، بل يقوم في الغالب بأدخال تلك المبادئ في القانون الوضعي لتصبح قواعد قانونية مكتوبة وحينما يقوم المشرع بوضع القانون فإنه يراعي بقدر الامكان عدم مخالفة القانون الذي يصدره للمبادئ العامة للقانون^(٣٣).

الفرع الثاني:- موقف الاتفاقيات والمعاهدات الدولية من المبادئ العامة للقانون:-

هناك عدد من الاتفاقيات والمعاهدات الدولية التي أشارت بصورة واضحة لمصطلحات المبادئ العامة للقانون فضلاً عن بعض هيئات التحكيم، ومن ثم نبينها كالآتي:-

٣١- د. سعيد سعد عبد السلام، المفضل في نظرية القانون، مطبعة الولاء، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٢٤٤.

٣٢- لاحظ المادة (١٥٠) / الفقرة أولاً والتي جاء فيها (١) - يجب تنفيذ العقد طبقاً لما اشتمل عليه وبطريقة تتفق مع ما يوجبه حسن النية).

٣٣- د. طالب حسن موسى، قانون التجارة الدولية، ط ٢، دار الثقافة، الاردن، ٢٠١٧، ص ٢٩٦.

أولاً: - الاتفاقيات والمعاهدات الدولية: -

أشارت اتفاقية انشاء المؤسسة العربية لضمان الاستثمار في المادة ١/٦ على أنه (.....) وعند عدم وجود حكم في النصوص المشار إليها في الفقرة السابقة تطبق المبادئ القانونية المشتركة في الأقطار المتعاقدة والمبادئ المعترف بها في القانون^(٣٤).

كما اشارت الى ذلك اتفاقية واشنطن لعام ١٩٦٥ بشأن تسوية منازعات الاستثمار وذلك في المادة (٤٢) منها^(٣٥).

حيث بنيت جوانب التكامل بين القوانين الوطنية للدول المضيفة للاستثمار بما فيها قواعد تنازع القوانين ومبادئ القانون الدولي عندما نصت على ان (تفصل هيئة التحكيم في النزاع طبقاً للقواعد القانونية التي يتفق عليها طرفي النزاع، و اذا لم يتفق الطرفان على مثل هذه القواعد، فإن المحكمة تطبق قانون الدولة المتعاقدة الطرف في النزاع بما في ذلك القواعد المتعلقة بتنازع القوانين بالإضافة الى مبادئ القانون الدولي المتعلقة بالموضوع).

وكذلك محكمة العدل الدولية في النظام الاساس لها وفي المادة (٣٨) اشارت الى ان (الاعتماد على مبادئ القانون في الامم المتحدة)^(٣٦).

و ايضا اشارت اتفاقية فيينا بشأن عقود البيع الدولية في المادة (٧) على انه (المسائل التي تتعلق بالموضوعات التي اخذت فيها الاتفاقية والتي لم تحسمها نصوصها، يتم تنظيمها وفقاً للمبادئ العامة للاتفاقية)^(٣٧).

ثانياً: - الهيئات التحكيمية: -

لقد طبقت محكمة التحكيم لدى غرف التجارة الدولية بباريس سنة ١٩٨٤ مبدأ حسن النية في تنفيذ العقود بوصفه من المبادئ العامة المشتركة لقوانين الامم المتحدة، في قضية تتعلق ببيع منازل جاهزة الصنع من قبل بائع في تكساس ومشترى من احد الوزارات السورية حيث لم يتم النص على القانون الواجب التطبيق، فعمدت الهيئة التحكيمية الى تطبيق المبادئ العامة المعتمدة في القانون التجاري الدولي^(٣٨).

وكذلك ما نصت عليه غرفة التجارة الدولية للتحكيم وفي قواعد الوساطة والتحكيم على المبادئ العامة للقانون وعبرت عنه بقواعد العدل والازدواج، حيث نصت المادة (٢١) من هذه القواعد (تتولى

٣٤- قاسي دليلة وحدوش تنهيان، القانون الواجب التطبيق على موضوع النزاع في التحكيم التجاري الدولي، رسالة ماجستير، جامعة عبد الرحمن، كلية القانون والعلوم السياسية، ٢٠١٧، ص ٤٥ مشار اليه في الموقع الالكتروني الاتي (www.univ.bejaia.dz) تاريخ الزيارة ٢٠١٨/٣/٢٦.

٣٥- حيث نصت على (ان هيئة التحكيم تنظر النزاع طبقاً لقانون الذي حدده الطرفان وفي حالة عدم الاتفاق تطبق قانون الدولة المتعاقدة التي هي طرف النزاع، وكذلك مبادئ القانون الدولي الممكن تطبيقه) أشار اليه، د. حسن علي كاظم، مصدر سابق، ص ٢٩٧.

٣٦- أشار اليه، د. حسن علي كاظم، مصدر سابق، ص ٢٩٧.

٣٧- معاهدة فيينا بشأن عقود البيع الدولية للبضائع منشورة على الموقع الالكتروني الاتي: (www.leqallaw.ul.edu) تاريخ الزيارة (٢٠١٨/٣/٢٦).

٣٨- دريد ملكي، سلطة المحكم في اختيار القانون الواجب التطبيق على موضوع النزاع، رسالة ماجستير، معهد الحقوق والعلوم السياسية، ٢٠١١، ص ١٢١، منشور على الموقع الالكتروني (www.univ-bouira.dz) تاريخ الزيارة (٢٠١٨/٣/٢٥).

هيئة التحكيم سلطات التحكيم بالصلح، او تقرر وفقاً لقواعد العدل والانصاف و يكون ذلك فقط في حالة اتفاق الاطراف على منحها هذه السلطات^(٣٩).

المطلب الثاني:- التطبيقات التشريعية والقضائية لفكرة المبادئ العامة للقانون:-

نقسمه على فرعين، في الاول نتناول التطبيقات التشريعية، وفي الفرع الثاني نسلط الضوء على التطبيقات القضائية وكالاتي:-

الفرع الاول:- التطبيقات التشريعية لفكرة المبادئ العامة للقانون:-

تأثرت التشريعات بصورة مباشرة بالمبادئ العامة للقانون، حتى أفردت لها نصوص كاملة، ويسمى الفقه هذا النوع من المبادئ، المبادئ العامة للقانون المكتوبة ومن التطبيقات التشريعية على سبيل المثال لا الحصر:-

اولاً:- مبدأ العقد شريعة المتعاقدين:-

ينص على وجوب احترام الاتفاقات التعاقدية والتزام كل طرف في التعاقد بأحترام ما يتضمنه العقد و تنفيذ الالتزامات الواردة فيه بحسن نية، و هذا المبدأ مكرس في النصوص القانونية المدنية في معظم دول العالم، على سبيل المثال القانون المدني العراقي في المادة (١/١٤٦) (اذا نفذ العقد كان لازماً ولا يجوز لأحد العاقدین الرجوع عنه ولا تعديله الا بمقتضى نص في القانون او بالتراضي).

حيث يقوم هذا المبدأ على قاعدة اساسية في مجال التحكيم الدولي هي قاعدة وجوب تقيّد المتعاقدين بما اتفقا عليه، فعقدهما هو قانونهما ولا يجوز لهما ان يضمنا عقدهما أية مخالفة للنظام العام الوطني فحسب بل أيضاً لا يجوز أن يتضمن أية مخالفة للنظام العام الدولي^(٤٠).

ثانياً:- مبدأ حسن النية:-

وهو من المبادئ الهامة في تنفيذ العقود الدولية ويقتضي هذا المبدأ ان ينفذ الأطراف، العقد بطريقة تتفق مع ما يوجبه مبدأ حسن النية ويعد مهماً في التعاملات و ابرام الصفقات، فقد اشارت اليه المادة (١/١٥٠) من القانون المدني العراقي بالنص (يجب تنفيذ العقد طبقاً لما اشتمل عليه وبطريقة تتفق مع مايوجبه حسن النية)، حيث يمنح المدين نظرة ميسرة اذا كان في عدم تنفيذه للعقد حسن النية، ويعاقب سئ النية في عدم تنفيذه للعقد، اذ يلزم المدين في المسؤولية العقدية بالتعويض عن الضرر.

وعلى صعيد التشريعات الدولية فقد نصت اتفاقية فينا على انه (يجب ان يتم ابرام العقد وفقاً لما يقتضيه العرف وحسن النية في التعامل).^(٤١)

ثالثاً:- حق الدفاع والمساواة:-

إن حق الدفاع والمساواة في المعاملة امام القضاء والتحكيم اشارت اليه مجموعة من الاتفاقيات الدولية في اجراءات التحكيم امام القضاء ومنها اتفاقية جنيف لسنة ١٩٦١ في المادة (٢٧) في الفقرة (ب) بما

٣٩- أشار اليه، د. أشرف عبد العليم الرفاعي، القانون الواجب التطبيق على موضوع التحكيم والنظام العام في العلاقات الخاصة الدولية، دار الفكر الجامعي، ٢٠٠٣، ص ٧٨.

٤٠- أنظر المادة (١/١٤٦) من القانون المدني العراقي رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١ النافذ.

٤١- المادة (٧) من اتفاقية فينا بشأن عقود البيع الدولي للبضائع، مشار اليها سابقاً.

يلي (يجب رفض الاعتراف بقرارات التحكيم اذا لم يبلغ الطرف الذي صدر الحكم ضده خلال وقت ملائم لكي يقدم دفاعه).^(٤٢)

كما نصت اتفاقية نيويورك لسنة ١٩٥٨ في المادة (٥) الفقرة (ب) على ذات المعنى وهو عدم الاعتراف بحكم التحكيم اذا لم يحترم حق الدفاع وعدم المساواة في المعاملة بين طرفي النزاع^(٤٣).

الفرع الثاني:- التطبيقات القضائية لفكرة المبادئ العامة للقانون:-

بالوقوف على بعض القضايا نجد ان هيئات التحكيم قد طبقت المبادئ العامة للقانون في الكثير من المناسبات و قراراتها، ومن اهم هذه التطبيقات:-

اولا:- قضية ابو ظبي ضد الشركة البترولية للتنمية (L.T.D):-

تطبيقا لشروط التحكيم الوارد في عقد الامتياز لعام ١٩٣٩ والذي يخول سلطة تعين المحكم المرجح (Umpire) المعتمد السياسي في منطقة الخليج فتم تعيين احد اللوردات البريطانيين كمحكم مَرَّجَح، وقد تم في هذا الحكم ما يلي:-

١. استبعاد تطبيق القانون الوطني وذلك بحجة تخلفه وعدم صلاحيته للمعاملات التجارية، اي القانون الوطني ل(ابو ظبي).

٢. استرشاد المحكم بالنص الوارد في الأمتياز البترولي لتطبيق المبادئ العامة والمتعلقة بحسن النية، اعتبار القانون الانكليزي هو التجسيد الحي لتلك المبادئ المتصلة من ضمير الشعوب المتمدنة.^(٤٤)

ثانيا:- قضية الحكومة القطرية وشركة الملاحة البحرية:-

تتمثل هذه القضية في انتهاء عقد امتياز الشركة البترولية وقد رفضت تسديد الدفعات الاخيرة ورغم جهود المحكم البريطاني لتحديد القانون وذلك لغياب ارادة المتعاقدين للقانون الذي يحكم عقديها، فرأى المحكم ان القانون القطري القائم على الشريعة الاسلامية غير مؤهل لحكم الامتيازات البترولية الحديثة واقترت تطبيق المبادئ العامة التي تملئها العدالة والانصاف والنظرة السليمة^(٤٥).

ثالثا:- قضية المملكة العربية السعودية وشركة (ارامكو):-

تبرز وقائع القضية ان السعودية سنة ١٩٣٣ منحت عقدا امتياز لشركة امريكية المسماة (ارامكو) غير ان السعودية ابرمت بعد ذلك مع شركة (La saoudiarabiance maritime) عقدا تعطي لها احقية نقل البترول لمدة (٣٠ سنة)، فنار النزاع بين شركة ارامكو تطلب حقها وذلك وفقا لما تم الاتفاق عليه سابقا، تم عرض النزاع على هيئة تحكيمية في جنيف بسويسرا فقضت في بادئ الامر على انه مادام ان العقد قائم بين دولة وشركة امريكية خاصة استبعدت تطبيق قانون مقر التحكيم ليكون قانونا مطبقا على النزاع المعروض وبالتالي استبعدت تطبيق القانون السويسري.

٤٢- اتفاقية جنيف لعام ١٩٦١ الاوروبية المتعلقة بالتحكيم التجاري الدولي.

٤٣- اتفاقية نيويورك لعام ١٩٥٨ المتعلقة باجراءات التحكيم الدولي.

٤٤- د. سامية راشد، دور التحكيم في تدويل العقد، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٥٥.

٤٥- د. سامية راشد، مصدر سابق، ص ٥٧.

كان الرد نظرا لحصانة الجهاز القضائي للدولة الاجنبية المعترف به دوليا والمستمد من مبدأ السيادة، فأن قانون جنيف لا يمكن تطبيقه احتراماً لسيادة دولة الطرف، وعليه لا يمكن اخضاع التحكيم هنا سوى لمبادئ القانون الدولي، لذا قضت هيئة التحكيم بتاريخ ١٩٥٨/٨/٣ بعدم تطبيق القانون الوطني واخضاع النزاع سواء لأجراءاته او لموضوعه لمبادئ القانون الدولي^(٤٦).

المطلب الثالث:- تقييم المبادئ العامة للقانون:-

بعد أن بينا مفهوم المبادئ العامة للقانون، نسلط الضوء هنا على العقوبات التي يواجهها المحكم عند تطبيقه لهذه المبادئ؟ وما هي مبررات تطبيقها؟ لاجابة عن ذلك لابد من تقسيم هذا المطلب الى ثلاثة فروع وكالاتي:

الفرع الاول: العقوبات التي يواجهها المحكم عند تطبيقه للمبادئ العامة للقانون:

وهذه الصعوبات والعقوبات تتمثل بما يأتي:-

- ١- إنَّ تطبيق هذه المبادئ يعتمد على مدى ثقافة المحكم وقراراته الذهنية من خلال تحليل النصوص القانونية الوطنية واستخلاص المبادئ العامة التي تعبر عن قناعة المحكم^(٤٧).
- ٢- تعد فكرة المبادئ العامة للقانون هي فكره غامضة وغير محددة، ومضمونها غير معروف للاطراف، فالقاضي او المحكم بمقتضى هذه المبادئ يكون مشوباً بالتحكم، حيث يخضع لهواه، فبأمكانه تبني ما يريد من حلول للنزاع المطروح امامه، كما ان المحكم يستبعد تطبيق القانون الوطني للدول النامية بحجة تخلفه عن مواكبة علاقات التجارة الدولية وتطبيق قانون دولته^(٤٨).
- ٣- إنَّ هذه المبادئ تعد مفاهيم كلية لا تحتوي على جزئيات محددة ومن ثم لاتستوعب معالجة كل الوقائع والاورضاع القانونية^(٤٩).
- ٤- إنَّ التعارض في الابدولوجيات وتضاد الفلسفة التي تعتمدها كلا منها، تقف عقبة امام الاستقرار على مضمون وحدود المبادئ العامة للقانون^(٥٠).
- ٥- ليس للمبادئ العامة للقانون فعالية قوية في قرارات التحكيم التجاري الدولي، وذلك لان مثل هذه المبادئ تسهل للطرف القوي ان يضم القانون لمصلحته في مواجهة الطرف الضعيف، مما يؤدي الى اختلال العدالة التعاقدية بين الأطراف^(٥١).

الفرع الثاني:- مبررات تطبيق المحكم للمبادئ العامة للقانون:-

- ١- تتميز هذه المبادئ بأنها ذات طابع موضوعي، أذ تتكفل مباشرة بحسم النزاع، حيث يقوم القاضي او المحكم بتطبيقها مباشرة دون الحاجة الى منهج تنازع القوانين، وقد تزايدت اهمية هذه المبادئ في حكم

٤٦- مظفر ناصر حسين، القانون الواجب التطبيق على قرارات هيئات التحكيم الدولية، مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية والسياسية، العدد (٧)، ٢٠١٤، ص ٢٤. د. سامية راشد، مصدر سابق، ص ٦٦.

٤٧- د. حسن علي كاظم، مصدر سابق، ص ٢٩٨.

٤٨- د. دريد ملكي، مصدر سابق، ص ١٢٧.

٤٩- د. طالب حسن موسى، قانون التجارة الدولية، ط ٢، دار الثقافة، الاردن، ٢٠١٧، ص ٢٩٦.

٥٠- د. طالب حسن موسى، المصدر سابق، ص ٢٩٦.

٥١- د. دريد ملكي، المصدر سابق، ص ١٢٧.

العقود الدولية، حيث يكثر لجوء قضاة التحكيم إليها لاستخلاص الحلول المناسبة المتعلقة بتلك العقود، نظراً لعدم ملائمة القوانين الوطنية للمنازعات التجارية الدولية، فيلجأ المحكمون إليها للبحث عن الحلول الملائمة لحاجات التجارة، وخاصة في حالة تفويض المحكم بالصلح فبإمكان هذه المبادئ مواجهة المتطلبات السريعة والمتطورة لعقود الاستثمار والتنمية والتجارة الدولية^(٥٢).

٢- إنَّ هذه المبادئ تعد ضرورية ولا يخلو نظاماً أو فكراً قانونياً منها، والسبب يعود إلى أنّها مبادئ مثالية ترجع لفطرة الإنسان، مما تشكل مصدر الهام في نظام القانون الدولي^(٥٣).

٣- تعد هذه المبادئ من المصادر القانونية التي تحقق العدالة والمساواة الواقعية، لا المجردة، لأنها تتعامل مع مفاهيم عقلية ونفسية ومثل عليا تناغم الضمير ويستشعر من خلالها الخصوم بالعدالة، لذلك قد يلجأ إليها المحكم في بعض الأحيان بدافع الضرورة^(٥٤).

٤- تعد هذه المبادئ من أهم الطرق التي تعالج الفراغ أو النقص التشريعي وتكون عوناً وسنداً للقاضي والمحكم وهما ملزمان في الفصل بالنزاع وذلك من خلال الاستعانة بها في كل واقعة تخلو من حل قانوني مباشر لها^(٥٥).

٥- إن المحكم يطبق هذه المبادئ تارة استجابة لإرادة الأطراف، وتارة أخرى يطبقها عند سكوتهم عن تحديد القواعد الواجبة، وفي حالة انعدام حل للنزاع في العقد منح المحكمين سلطة تطبيق القواعد غير الوطنية حتى لا يفلت العقد من تطبيق القانون^(٥٦).

الفرع الثالث:- المكانة القانونية للمبادئ العامة للقانون:-

سوف نقسم هذا الفرع على ثلاث فقرات نتناول من الفقرة الأولى تطبيق الحكم للمبادئ العامة بصفة أصلية، وفي الثانية نتكلم عن اعتبار المبادئ العامة كنظام مكمل للقانون الوطني، وأما في الفقرة الثالثة في مدى تطبيق المحكم للمبادئ العامة لتعارضها مع قواعد القانون الوطني:-

الفقرة الأولى:- تطبيق الحكم للمبادئ العامة بصفة أصلية:-

قد لا يتفق أطراف العقد على تحديد قانون معين تاركيّن الأمر للهيئة التحكيمية لإصدار حكمها وفقاً للمبادئ العامة للقانون، وذلك عملاً لمبدأ حسن النية والمنطق القانوني، ومن أهم الممارسات التحكيمية في هذا الشأن قضية أبو ظبي وشركة سويسرية، حيث ثار نزاع بينهما في سنة (١٩٤٩) حول عقد امتياز بترولي أبرم سنة (١٩٣٩) فقد توصل المحكم في حكمه الصادر في (١٩٥١/٨/٢٣) إلى

٥٢- باسم سعيد يونس، القانون الواجب التطبيق على العقد الدولي، أطروحة دكتوراه، كلية القانون، جامعة الموصل، ١٩٩٨، ص ٨٧.

٥٣- د. حسن علي كاظم، مصدر سابق، ص ٢٩٩.

٥٤- د. طالب حسن موسى، مصدر سابق، ص ٢٩٦.

٥٥- د. هشام علي صادق، القانون الواجب التطبيق على عقود التجارة الدولية، دار منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٩٥، ص ١١٨.

٥٦- د. مهدي أحمد الصانوري، دور المحكم في خصومة التحكيم الدولي الخاص، ط ١، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥، ص ١٣٤.

استبعاد القانون الوطني بحجة تخلفه وعدم ملاءمته لمتطلبات التجارة الدولية واستخفافا بدور الشريعة الإسلامية كنظام قانوني قابل لتطبيق في مجال معاملات التجارة الحديثة^(٥٧)!

حيث طبق المحكم المبادئ العامة للقانون بـ صفة أصلية وقد استند الى احد البنود الواردة في عقد الامتياز تتعلق بحسن النية والثقة المتبادلة والتفسير المتفق مع العقد، حيث تنص المادة (١٧) من العقد المبرم على وجوب تفسيره بـ صدق وامانة و بحسن النية، وبالتالي تم اخضاع النزاع أجراءيا و موضوعيا للقانون الدولي ومبادئه^(٥٨).

الفقرة الثانية:- تطبيق الحكم المبادئ العامة كنظام مكمل للقانون الوطني:-

تمثل المبادئ العامة للقانون هنا دورا تنظيميا ضيقا، حيث يتم استبعاد تطبيق القانون الوطني واجب تطبيق لـ صالح تطبيق المبادئ العامة لقانون، ومن الممارسات التحكيمية في هذا الشأن، النزاع الذي ثار بين شركة (s.p.p) ضد جمهورية مصر امام المركز الدولي لتسوية منازعات الاستثمار بسبب قضية الاهرام، حيث سحبت مصر موافقتها على المشروع لمساسه بالموقع الاثري الفريد، وقد تمسكت شركة (s.p.p) بتطبيق القانون الدولي بشأن التعويض، في حين تمسكت الحكومة المصرية بقانونها، لأحتواء العقد على اشارات عديدة تكشف عن الاختيار الضمني له من قبل الطرفين وقد انتهت هيئه التحكم في حكمها الصادر عام ١٩٩٢ الى استبعاد القانون المصري وتطبيق المبادئ العامة لقانون عملا بالمادة (٤٢) من اتفاقية واشنطن و ذلك على اساس ان كل قانون داخلي ناقص بتطبيقه^(٥٩)، ويتضح انه تم استبعاد قواعد القانون الداخلي بالرغم من وجود اتفاق بين اطرافه على تطبيقه، وتطبيق المبادئ العامة بالقانون بحجة استكمال النقص الذي يوجد في القانون المستبعد من خلال اللجوء الى قواعد قانون الدولي^(٦٠).

الفقرة الثالثة:- تطبيق الحكم للمبادئ العامة لتعارضها مع قواعد القانون الوطني:-

كشفت السوابق التحكيمية في مجال منازعات الاستثمار الدولية على اتجاه بعض هيئات التحكيم الى استبعاد قواعد القانون الوطني للدولة المضيفة للاستثمار اذا كانت تتعارض مع مبادئ القانون الدولي وذلك تطبيقا لفكرة النظام العام الدولي^(٦١)، ففي قضية (ارامكو) والتي تتعلق بعقد امتياز منح من السعودية لهذه الشركة الامريكية (ارامكو)، فرغم الاتفاق على اخضاع المسائل المتعلقة بالقانون العام كقاعدة عامة للقانون السعودي وعند الضرورة يكمل هذا القانون بمبادئ القوانين الدولية والعادات المتبعة في صناعة البترول بأعتبار تلك المبادئ والعادات تكمل قانونا وضعيا غير كامل، الا ان الهيئة التحكيمية قامت باستبعاد القانون السعودي لأنه لا يستجيب الى الجوانب ذات الطابع الدولي واخضاع النزاع لمبادئ القانون الدولي^(٦٢).

٥٧- اشار اليه، دريد ملكي، مصدر سابق، ص ١٢٨. د. مهدي احمد الصانوري، مصدر سابق، ص ١٣٦.

٥٨- المصدر السابق، ص ١٢٩.

٥٩- د. حفيظة السيد حداد، الموجز في النظرية العامة في التحكيم التجاري والدولي، ط ١، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان،

٢٠٠٤، ص ٢٥٦.

٦٠- د. هشام علي صادق، مصدر سابق، ص ١٢٠.

٦١- أشار اليه، دريد ملكي، مصدر سابق، ص ١٣٠.

٦٢- مظفر ناصر حسين، مصدر سابق، ص ٦٦.

١- النتائج

- ١- إنّ المبادئ العامة للقانون هي عبارة عن معايير تمتاز بالعموم وتستوحي من قيم المجتمع وطبيعة الامور والمنطق السليم ويكشفها العقل وتصلح لأن تكون حلاً لمجموعة من التطبيقات.
- ٢- إنّ المبادئ العامة للقانون هي من اقدم المصادر القانونية، وترجع اليها كل المصادر الاخرى، بعدها أفكاراً تتعلق بالمثل العليا وضرورة حفظ النظام وتحقيق العدالة.
- ٣- لقد اختلف الفقه في تحديد مضمون وطبيعة المبادئ العامة للقانون، فمن ذهب الى عدها مصدراً مستقلاً من مصادر القانون الدولي، ومن قال بأنها مستمدة من الانظمة القانونية الداخلية والدولية، ورأي آخر عدها مصدراً أصلياً للقانون الدولي.
- ٤- ان كل التشريعات الداخلية والدولية تأثرت بالمبادئ العامة في القانون بصورة مباشرة من خلال عدها مصدراً لبعض قوانينها.
- ٥- ان للمبادئ العامة مجموعة من التطبيقات استعانت بها التشريعات كل دول العالم بغض النظر عن فلسفتها، كمبدأ حسن النية والحرية التعاقدية وحق الدفاع والمساواة والعدالة وغيرها.
- ٦- ان كثير من الاتفاقيات الدولية والقواعد الموضوعية لهيئات التحكيم اشارة لفكرة المبادئ العامة للقانون وضرورة تطبيقها في كثير من الاحيان وصدرت كثيراً من القرارات التحكيمية مستندة عليها.
- ٧- رأينا ان هناك مجموعة من العقبات والصعوبات يواجهها المحكم عند تطبيقه للمبادئ العامة للقانون على اعتبارها غير محددة المضمون و تعتمد على معيار شخصي الا وهو ثقافة وقدرة المحكم الذهنية.
- ٨- وايضا تعرّفنا على مكانة المبادئ العامة للقانون عند تطبيقها من قبل المحكم على موضوع النزاع.

٢ - المقترحات:-

١. نقترح تعديل نص المادة الاولى من القانون المدني العراقي ليكون كالآتي (..... فاذا لم يوجد نص تشريعي يمكن تطبيقه حكمت المحكمة بمقتضى العرف، فاذا لم يوجد فمقتضى المبادئ العامة للقانون التي اقرها القضاء في العراق او في النظام القانوني المقارن القريب من النظام القانوني العراقي، او مبادئ الشريعة الاسلامية الاكثر ملاءمة لنصوص هذا القانون.....).
٢. نقترح إعادة صياغة الفقرة الخامسة من المادة (٣) من مشروع قانون التحكيم، التي علّقت تطبيق المبادئ العامة للقانون على اتفاق الاطراف واستبدالها بحكم مغاير تماماً، والنص المقترح هو (عند غياب الارادة الصريحة والضمنية للاطراف في تحديد القانون الواجب التطبيق، وعند عدم وجود عرف يحكم النزاع، يطبق المحكم المبادئ العامة للقانون الشائعة في القوانين المتمدّنة مع الأخذ بنظر الاعتبار المصالح العليا للدولة).

المصادر:

- ١- الموقع العالمي الرسمي للموسوعة المعرفية العالمية مشار اليه في الموقع الالكتروني (www.permalink.com).
- ٢- أحمد أبراهيم، غاية القانون، ط١، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٦.
- ٣- د. حسن علي ذنون، فلسفة القانون، المكتبة القانونية، بغداد، ٢٠٠٢.
- ٤- د. محمود جمال الكردي، القانون الواجب التطبيق في دعوى التحكيم، دار الجامعة الجديدة، الاسكندرية، ٢٠٠٥.
- ٥- د. أشرف عبد العليم الرفاعي، القانون الواجب التطبيق على موضوع التحكيم والنظام العام في العلاقات الخاصة الدولية، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، ٢٠٠٣.
- ٦- د محمد سليمان الاحمد، عناصر القاعدة القانونية (الفرضية والحكم)، مجلة الرافدين للحقوق، كلية القانون، جامعة الموصل، العدد الخامس، ١٩٩٨.
- ٧- د. محمد سالم عبد بخيت، المبادئ العامة للقانون بوصفها مصدراً للقانون الدولي الجنائي، على الموقع الالكتروني الاتي (www.jasj.net / jasj.com).
- ٨- د. حسن علي كاظم، تسوية المنازعات الناشئة عن الترخيص الدولي، أطروحة دكتوراه، كلية القانون، جامعة الجزائر، (٢٠٠٤-٢٠٠٥).
- ٩- د. هشام خالد، عقد ضمان الاستثمار والقانون الواجب التطبيق عليه وتسوية المنازعات التي قد تثير بشأنه، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، ٢٠٠٠.
- ١٠- حيدر عجيل فاضل، المبدئ العامة للقانون كمصدر للقانون الدولي العام، رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية القانون، جامعة بغداد، ٢٠٠٦.
- ١١- د. طالب حسن موسى، قانون التجارة الدولية، ط٢، دار الثقافة، الاردن، ٢٠١٧.
- ١٢- قاسي دليلة وحدوش تنهيان، القانون الواجب التطبيق على موضوع النزاع في التحكيم التجاري الدولي، رسالة ماجستير، جامعة عبد الرحمن، كلية القانون والعلوم السياسية، ٢٠١٧.
- ١٣- دريد ملكي، سلطة المحكم في اختيار القانون الواجب التطبيق على موضوع النزاع، رسالة ماجستير، معهد الحقوق والعلوم السياسية، ٢٠١١.
- ١٤- د. أشرف عبد العليم الرفاعي، القانون الواجب التطبيق على موضوع التحكيم والنظام العام في العلاقات الخاصة الدولية، دار الفكر الجامعي، ٢٠٠٣.
- ١٥- د. سامية راشد، دور التحكيم في تدويل العقد، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٠.
- ١٦- مظفر ناصر حسين، القانون الواجب التطبيق على قرارات هيئات التحكيم الدولية، مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية والسياسية، العدد (٧)، ٢٠١٤.
- ١٧- باسم سعيد يونس، القانون الواجب التطبيق على العقد الدولي، اطروحة دكتوراه، كلية القانون، جامعة الموصل، ١٩٩٨.

- ١٨- د. هشام علي صادق، القانون الواجب التطبيق على عقود التجارة الدولية، دار منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٩٥.
- ١٩- د. مهند احمد ال صانوري، دور المحكم في خ صومة التحكيم الدولي الخاص، ط ١، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥.
- ٢٠- د. حفيظة السيد حداد، الموجز في النظرية العامة في التحكيم التجاري والدولي، ط ١، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان، ٢٠٠٤.

مستقبل الغاز الطبيعي في العراق

Future of Natural Gas in Iraq

م.م. عبير مرتضى حميد السعدي^(١)

Assist. Lect. Abeer Murtadha H. Al-Saadi

المستخلص

إنَّ اهتمام اسواق الطاقة العالمية بالغاز الطبيعي كان نتيجة للاستخدامات المتعددة للغاز والدعوات الدولية الاخذ بالشروط البيئية العالمية وفي ظل هذه التطورات العالمية في اسواق الطاقة بات من الضروري مناقشة الدور المستقبلي للغاز الطبيعي في اسواق الطاقة ومحاولة استشراف مستقبل الغاز الطبيعي في العراق من خلال طرحنا للـ صورات العالمية لتطور اسواق الغاز الطبيعي. ومناقشة واقع صناعة الغاز الطبيعي في العراق والتحديات التي تواجهها، والتي جعلت مستقبل الغاز الطبيعي مرهوناً بحالة عدم اليقين وقلق بشأن قدرة العراق نحو تطوير هذه الصناعة وتوفير الإنتاج الكافي لسد الطلب المحلي وتصدير الفائض منه.

ومن خلال النتائج التي توصلنا لها أن العراق يمتلك اجمالي الاحتياطات من الغاز الطبيعي المؤكد يقدر ب(٧١٢٦) تريليون قدم مكعب عام ٢٠١٤، إلا أننا نجد أن حجم الإنتاج من غاز الطبيعي هو ٢١٨٥٣ مليون م^٣ للعام نفسه ويعود في سبب في ذلك إلى نسبة الهدر والحرق التي وصلت إلى ٧٠٪ من غاز المصاحب لاستخراج النفط. لذا تم توصية الى ضرورة العمل في تأهيل وتطوير البنى التحتية للمشاريع الغازية القائمة و الخاصة بمعالجة الغاز الطبيعي و التخطيط لاقامة مشاريع استثمارية اخرى بهدف تقليل كميات الغاز المحروق واستغلاله بشكل افضل من خلال وضع استراتيجيات مناسبة لتطوير الثروة الغازية واستثمارها بشكل مستدام والنظر إليه الشريك الحقيقي للنفط.

١ - مركز الدراسات الإستراتيجية/ جامعة كربلاء.

Abstract

The interest of the global energy markets with natural gas was the result of the multiple uses of gas and international calls to take the conditions of the global environment and in light of these global developments in the energy markets it is necessary to discuss the future role of natural gas in the energy markets and try to predict the future of natural gas in Iraq by introducing global perceptions of the development Natural gas markets. And discuss the reality of the natural gas industry in Iraq and the challenges it faces, which made the future of natural gas depends on the uncertainty and concern about Iraq's ability to develop this industry and provide sufficient production to meet domestic demand and export surplus. Our findings show that Iraq has a total proven natural gas reserves of 7126 trillion cubic feet in 2014, but that the production volume of natural gas is 21853 million cubic meters for the same year due to the percentage of waste and burning Which has reached 70% of the gas associated with the extraction of oil. It was recommended to work in the rehabilitation and development of existing gas infrastructure and natural gas processing and planning the establishment of other investment projects in order to reduce the quantities of burned gas and better exploitation through the development of appropriate strategies to develop Gaseous wealth is excused See her in a sustainable manner and to consider the real partner of oil.

المقدمة

تزايد الاهتمام العالمي خلال السنوات الماضية بالغاز الطبيعي كأحد مصادر الطاقة الرئيسة، نظراً لما يتسم به من خصائص اقتصادية وبيئية تميزه عن النفط والفحم، إذ يستخدم في مجالات عديدة مثل توليد الطاقة الكهربائية ومادة أولية في الصناعة البتروكيمياوية والأسمدة. فضلاً عن كونه يتميز بأنه أقل أنواع الوقود الأحفورية تلوثاً للبيئة. لذا من المتوقع أن يزداد الطلب على الغاز الطبيعي بشكل كبير في المستقبل وسترتفع حصته في ميزان الطاقة العالمية، وهذا ما تؤكد وكالة الطاقة الدولية ومراكز الطاقة العالمية مثل شركة أوكسن موبيل.

يملك العراق احتياطيات كبيرة من الغاز الطبيعي (المؤكد والمحتمل) ويقدر بـ (٧٤٥٦) تريليون قدم مكعب عام ٢٠١٤، إذ تبلغ الاحتياطيات المؤكدة ٧١٢٦ تريليون قدم مكعب بينما بلغت الاحتياطيات المحتملة ٣٣٠ تريليون قدم مكعب، يحتل بذلك المرتبة الخامسة بين الدول العربية بنسبة مئوية قدرها ٦٪ من الاحتياطي العربي و ٨٨,٣٪ من احتياطي أوبك و ٨٧,١٪ من الاحتياطي العالمي للغاز الطبيعي للعام ٢٠١٤.

وقد عانت صناعة الغاز الطبيعي في العراق من التخلف والاهمال على مدار ثلاثة عقود فالحروب والعقوبات الدولية والاضطرابات الداخلية أدت الى تدمير البنية التحتية وضعف منشآت الغاز في تحويل

الغاز الطبيعي الى منتجات غازية التي يمكن أن تسد الطلب المحلي وتمد الصناعات والقطاعات الاخرى أو أن تصدر الفائض إلى الخارج.

وفي ظل وجود الاحتياطات الغازية الكبيرة المؤكدة وغير المكتشفة وشروع العراق بالعقود الاستثمارية و جولات التراخيص والتوقعات العالمية مع تزايد الطلب العالمي على الغاز الطبيعي بات من الضروري السعي للاستفادة منه واستثماره سواء كان مصاحباً أو حراً لتغطية الحاجة المحلية وتصدير الفائض منه إلى الخارج.

مشكلة البحث:

في ظل التطورات الاخيرة التي شهدتها الصناعة الغازية في العالم بالنظر اليه كأحد مصادر الطاقة البديلة للنفط والرفيقة بالبيئة والتي على بلدان العالم المنتجة والمستهلكة للنفط تقليل استخدامه والتحول الى مصادر الطاقة البديلة والمتجددة. من جهة اخرى ان ابرام العقود الاستثمارية في مجال تطوير الغاز الطبيعي الحر والذي يرافقه تزايد كميات الغاز الطبيعي المصاحب للنفط من جولات التراخيص يستوجب وضع حلول لتصريفه او تسويقه.

فرضية البحث:

من المؤمل أن تشهد الصناعة الغازية في العراق تطوراً كبيراً خلال السنوات القادمة مما سوف يؤدي ذلك إلى سد الطلب المحلي وتصدير الفائض إلى الدول المجاورة والاسواق العالمية، وكذلك حل مشكلة التلوث الناجم عن احتراق الغاز الطبيعي كنتيجة لاستخراج النفط الخام.

اهمية البحث:

سنتناول في بحثنا احتياطات، وإنتاج، واستهلاك الغاز الطبيعي في العراق كما سنستعرض اهم الرؤى المستقبلية للغاز الطبيعي من ناحية الطلب والعرض واهم الاسواق بالاعتماد على توقعات وكالة الدولية للطاقة افاق ٢٠٣٠ والشركات العالمية الاخرى المعنية بالامر. وكما سيتم تناول افاق الصناعة الغازية في العراق.

هدف البحث:

يهدف البحث الى التسلط الضوء على اهمية الغاز الطبيعي في العراق وفي ميزان الطاقة العالمية وذلك باستعراض اهم التوقعات الدولية في مجال الطاقة وكما سيتم تحليل واقع الصناعة الغازية في العراق من احتياطات والإنتاج والاستهلاك وكذلك الافاق المستقبلية لصناعة الغاز الطبيعي.

منهجية البحث:

لقد اعتمد الباحث لاثبات فرضيته وبغية الوصول إلى اهدافه المنهج الوصفي التحليلي بالاعتماد على مجموعة من البيانات والجداول الاحصائية.

هيكليّة البحث:

لقد تم تقسيم البحث على ثلاثة مباحث، تناول الأول مستقبل الغاز الطبيعي في الاسواق العالمية. بينما تناول الثاني واقع الصناعة النفطية في العراق والتحديات التي تقف امامها، إما الثالث فقد تضمن التصورات لمستقبل الغاز الطبيعي والعراق في التطورات العالمية والمحلية في هذا المجال.

المبحث الأول: مستقبل الغاز الطبيعي في الاسواق العالمية

نظرا إلى ما يتمتع به الغاز الطبيعي من خصائص عديدة تميزه عن بقية أنواع الوقود الاحفوري الاخرى خاصة تميزه بأنه وقود نظيف ورفيق بالبيئة مقارنة مع النفط والفحم بشكل خاص، لذا من المتوقع أن تكون له مكانة مهمة في الميزانية العالمية للطاقة، فقد ظهرت العديد من الدراسات الاستشرافية التي احرزت على مستقبل الغاز الطبيعي في العالم وكيف أن الطلب على الغاز الطبيعي ومشتقاته ستزداد واهم الدول المنتجة له والاسواق الجديدة التي ستظهر بحلول عام ٢٠٤٠.

اولا: توقعات الطلب العالمي للغاز الطبيعي

أشارت وكالة الطاقة الدولية في عام ٢٠١١ أن العالم سيدخل "العصر الذهبي للغاز". وحتى قبل تسويق التقنيات على نطاق واسع كتقنية التكسير الهيدروليكي والحفر الأفقي التي ساهمت في الحصول على كميات جديدة هائلة من غاز الصخر الزيتي، كان قطاع الطاقة العالمي، يتوقع ارتفاعاً في نسبة الغاز الطبيعي^(٢).

ومن المعلوم أن استهلاك الغاز الطبيعي يتركز في اربع مناطق رئيسية هي امريكا الشمالية، اوربا، روسيا، والشرق الأوسط، إلا أن التوقعات العالمية تشير بأن مستقبل اسواق الطاقة العالمية والاستثمار في مجال الطاقة سيتأثر بشدة بالتجارة البينية الاسيوية التي شكلت مانسبته ٧٠٪ من التجارة الاقليمية البينية في مجال الغاز الطبيعي المسال، ونصف التجارة العالمية من الفحم الحجري، ٤٠٪ من تجارة النفط العالمية^(٣).

تتوقع الوكالة في السيناريو الجديد في تقرير عام ٢٠١٥ إن الطلب على الغاز سيتوسع في كل مكان تقريباً خلال المدة ٢٠١٣ - ٢٠٤٠، باستثناء الاتحاد الأوروبي وروسيا واليابان. إما الاقاليم التي سيزداد الطلب فيها هي امريكا والتي ستكون فيها الولايات المتحدة أكبر دولة مستهلكة للغاز الطبيعي، والتي من المتوقع أن يستمر ارتفاع نمو الطلب فيها بنسبة ٠,٥٪ سنوياً خلال المدة ٢٠١٣ - ٢٠٤٠ ليصل إلى ٨٥٠ مليار م^٣ والطلب سيكون أكثر خلال فترة ٢٠٢٠ بنسبة تصل إلى ١,١٪ في السنة. ويعود السبب في ذلك إلى توقعات التي تتوقع أن يتم استبدال الفحم بالغاز الطبيعي في مئة نصف عام ٢٠٢٠ باعتباره المصدر الأكبر لتوليد الكهرباء في الولايات المتحدة؛ وبحلول أوائل عام ٢٠٣٠، سيتفوق الغاز على النفط باعتباره الوقود الأكثر استخداماً في مزيج الطاقة الأولية في الولايات المتحدة^(٤).

٢- مركز برونجز الدوحة للطاقة، تقرير منتدى مركز برونجز للطاقة عام ٢٠١٣، قطر، ٢٠١٣، ص ٢.

٣- فاطمة مساعيد، مستقبل الغاز الطبيعي في ظل التوازنات العالمية الراهنة، جامعة ورقلة، الجزائر، ع ٥٤، ٢٠١١، ص ٢٢٩.

4- International Energy Agency(IEA), world energy outlook 2015, france, 2015, p 196.

يعد الغاز الطبيعي بالفعل أهم وقود في مزيج الطاقة في روسيا، إذ مثل ٥٥٪ من إجمالي الطلب على الطاقة الأولية في البلاد في عام ٢٠١٣، كونه يستخدم بشكل كبير في مجال توليد الطاقة الكهربائية بشكل خاص. إلا أن من المتوقع أن ينخفض استهلاك الغاز بشكل طفيف حتى منتصف عام ٢٠٢٠، بالرغم من كون روسيا من دول الموردة للغاز إلا أن استهلاك الغاز في قطاع الطاقة سيتراجع بنحو ٥٠ مليار م³ في الفترة ما بين ٢٠١٣ - ٢٠٤٠. إما منطقة الشرق الأوسط كانت واحدة من أكثر المناطق الديناميكية من حيث نمو الطلب على الغاز الطبيعي على مدى العقد الماضي حيث بلغ متوسط النمو السنوي بين عامي ٢٠٠٣ - ٢٠١٣ ما يقارب ٧٪ حيث بلغ الاستهلاك ٤٢٠ مليار م³ في عام ٢٠١٣. ومن المتوقع أن يستمر الطلب على الغاز الطبيعي في الشرق الأوسط بشكل متزايد بمعدل نمو سنوي ٢,١٪ عام ٢٠٤٠ هو معدل متباطئ كثيرا عن معدل العقد الماضي وسيحتل كل من قطاعي الطاقة والصناعة القسم الأعظم من ارتفاع الطلب على الغاز بسبب ارتفاع احتياجات قطاع الكهرباء، والتوسع في الأنشطة البتروكيمياوية والتحول من استهلاك النفط في كلا القطاعين. لذا من المتوقع بحلول عام ٢٠٢٠ تفوق الشرق الأوسط على روسيا وأوروبا ليصبح ثاني أكبر سوق مستهلك للغاز في العالم تأتي من بعده الولايات المتحدة^(٥).

جدول (١) الطلب على الغاز الطبيعي حسب الاقاليم وفق السيناريو الجديد (مليار م³)^(٦)

السنة	٢٠٢٠	٢٠٢٥	٢٠٣٠	٢٠٣٥	٢٠٤٠
اقاليم					
امريكا	١٠٠١	١٠١١	١٠٣٨	١٠٨١	١١٢٥
اوربا	٤٩٦	٥٢٣	٥٢٦	٥٣٠	٥٢٨
اسيا والمحيط الهادئ	٢٠٦	٢٠٩	٢١٦	٢٢٠	٢١٧
غرب اوربا	٦٧٦	٦٨٨	٧١٠	٧٣٤	٧٥٦
اسيا	٦٥٤	٧٩٥	٩٣٤	١٠٧٥	١٢٠٢
الشرق الاوسط	٥٨٥	٦٤٩	٦٣٤	٦٩٣	٧٣٨
افريقيا	١٤٤	١٦٦	١٩٦	٢٣٢	٢٨٥
امريكا اللاتينية	١٧٢	١٨٨	٢١٣	٢٤٧	٢٧٩

5- International Energy Agency(IEA),world energy outlook 2015, op,cit,p197.

6- Source; International Energy Agency(IEA),world energy outlook 2015, france,2015, p196.

إما جنوب شرق اسيا، فتشير توقعات الوكالة أن الصين ستكون أكثر الدول في العالم غوا للطلب على الغاز الطبيعي ما بين ٢٠١٣ - ٢٠٤٠، لتتحول من استهلاك الوقود الأحفوري إلى غاز طبيعي، وهذا التحول ليس في الصين فقط وإنما في جنوب شرق اسيا عموما مما ستتحوّل أيضا من الإنتاج المحلي إلى طلب أكثر للغاز المستورد. إذ يتوسع استهلاك الغاز في المنطقة بنحو الثلثين، من ١٦١ مليار^٣ في عام ٢٠١٣ إلى ٢٦٥ مليار^٣ في عام ٢٠٤٠، حيث تمثل إندونيسيا حوالي نصف الزيادة الكلية. الاستخدام الصناعي في جنوب شرق آسيا يمثل ثلثي الطلب المتزايد. إنّ استخدام الغاز في الصين بنسب كبيرة يعود للتوسع الاقتصادي في البلاد بشكل مستمر، والحاجة إلى التدفئة السكنية في أجزاء كبيرة من الصين، وتزايد نطاق الابتعاد عن استخدام المنتجات النفطية في قطاعات الصناعة والنقل وبالتالي التخفيف من المخاوف بشأن أمن النفط، والأهم من ذلك، الحاجة إلى تحسين نوعية الهواء الحضري. مما يؤدي إلى زيادة متوقعة للطلب على الغاز من ١٧٠ مليار^٣ في عام ٢٠١٣ إلى ٣١٥ مليار^٣ في عام ٢٠٢٠ وحوالي ٥٩٠ مليار^٣ في عام ٢٠٤٠ بمعدل نمو سنوي يصل ٤,٧٪. تبلغ فيه حصة قطاع الطاقة والصناعة حوالي ٧٠٪ من هذه الزيادة^(٧).

إما الطلب على الغاز الطبيعي في الهند فالمرجح أن يرتفع إلى ما يقرب من ١٧٥ مليار م^٣ في عام ٢٠٤٠ في ظل منافسة قوية للفحم. بينما في أوروبا، من المتوقع أن يؤثر نمو الاقتصاد الأوروبي في زيادة الطلب على الغاز باستخدامه في الصناعة وفي توليد الطاقة الكهربائية بالإضافة إلى الحاجة للتعويض عن انخفاض استخدام الطاقة النووية والفحم، فمن المتوقع أن يصل الطلب الأوروبي على الغاز عام ٢٠٢٥ إلى حوالي ٤٧٥ مليار م^٣^(٨).

وحسب توقعات شركة أوكسن-موبيل سيبقي الغاز يستخدم بصفة رئيسة في قطاعي الكهرباء والصناعة، حيث يتوقع أن ينمو الطلب على الغاز إلى ٢,٩ مليار طن مكافئ نفطي عام ٢٠٤٠ إي بمعدل نمو سنوي يصل إلى ١,٧٪، وستأتي هذه الزيادة التي يبلغ حجمها ١,٨ مليار طن مكافئ نفطي نتيجة لزيادة كبيرة ينتظر أن تحدث في استخدام الغاز الطبيعي لتوليد الكهرباء بمقدار مليار طن مكافئ نفطي وكذلك في الأنشطة الصناعية التي من المقدر أن تستهلك ٠,٦ مليار طن مكافئ نفطي^(٩).

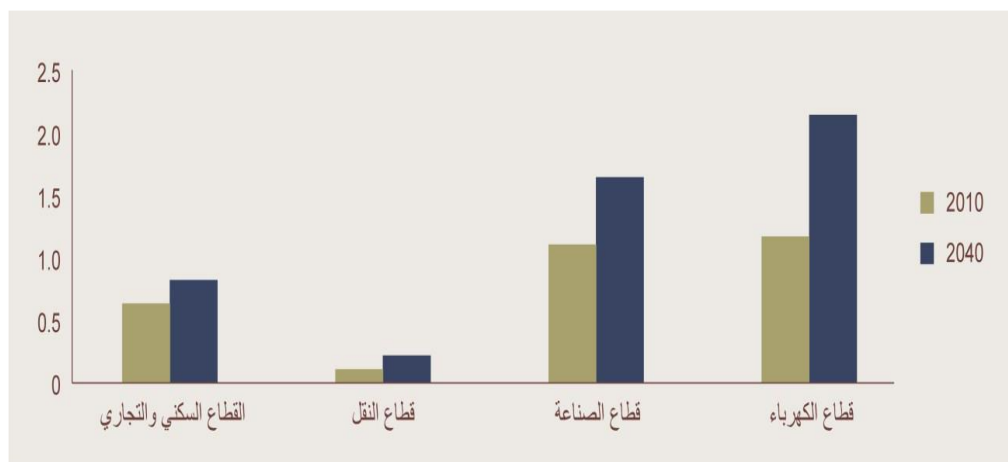
شكل (١) الطلب العالمي على الغاز حسب القطاعات (مليار طن مكافئ لنفط)^(١٠)

7- International Energy Agency(IEA), world energy outlook 2015, op.cit,p198.

٨- المصدر السابق، ص١٩٩.

٩- مركز جدوى للاستثمار، مستقبل إنتاج النفط والغاز من المصادر غير التقليدية، السعودية، ٢٠١٣، ص٧.

١٠- المصدر: مركز جدوى للاستثمار، مستقبل إنتاج النفط والغاز من المصادر غير التقليدية، السعودية، ٢٠١٣، ص٨.



ثانياً: توقعات إنتاج الغاز الطبيعي في العالم

في سيناريو السياسات الجديدة لوكالة الطاقة الدولية من المتوقع أن يتوسع الإنتاج العالمي للغاز بما يتناسب مع الطلب بنسبة ١,٤٪ سنوياً خلال الفترة ٢٠١٥ - ٢٠٤٠، ويرجع سبب ذلك إلى استمرار النمو في الولايات المتحدة وكندا يرافقه النمو في أستراليا والأسواق التي تقودها الصين (الاسواق الاسيوية). إما المنتجين التقليديين المتوقعين هم إيران، تركمانستان، العراق وقطر يضاف إليها المنطقة الحيوية بالغاز متمثلة بأمريكا الشمالية.

جدول (٢) إنتاج الغاز الطبيعي حسب الاقاليم في سيناريو السياسات الجديد (مليار م^٣)^(١١)

السنة	٢٠٢٠	٢٠٢٥	٢٠٣٠	٢٠٣٥	٢٠٤٠
اقاليم					
امريكا	١٠٤٢	١٠٩٤	١١٢٠	١١٧٩	١٢٢١
اوربا	٢٣٦	٢١٢	٢٠١	١٩١	١٨٠
اسيا والمحيط الهادئ	١٤١	١٥٥	١٧٣	١٨٢	١٧٩
غرب اوربا	٩٢٤	٩٩١	١٠٥٨	١١٠٣	١١٥٠
اسيا	٥١٢	٥٦٨	٦٣٦	٧١١	٧٩٠
الشرق الاوسط	٥٨٥	٦٤٩	٧٣٢	٨١٧	٩٠٠

11- Source; International Energy Agency(IEA),world energy outlook 2015, france,2015 p206.

افريقيا	٢١٧	٢٧٠	٣١٨	٣٧٣	٤٢٨
امريكا اللاتينية	١٩٣	٢١٤	٢٤٧	٢٨٢	٣١١

إما أهم مراكز الانتاج المتوقع فيها زيادة معدلات إنتاج الغاز الطبيعي هي^(١٢):

١. امريكا: تستمر امريكا كأكبر منتج للغاز الطبيعي، إذ من المتوقع أن يصل انتاجها ١٢٢١ مليار م^٣ عام ٢٠٤٠.

٢. غرب اوربا (روسيا، اذربيجان، تركمستان): من المرجح أن تبدأ روسيا بالتسارع في الانتاج بعد عام ٢٠٢٥ ليصل إلى ٧٢٠ مليار م^٣ بحلول عام ٢٠٤٠. ومن المتوقع أن يزداد إنتاج الغاز في بحر قزوين ليصل إلى ٣٦٠ مليار م^٣ في عام ٢٠٤٠ بعد أن كان ١٩٠ مليار م^٣ في عام ٢٠١٣. وترصد تركمانستان الجزء الأكبر من هذه الزيادة (أكثر من ١٢٠ مليار م^٣ أو ما يقرب من ثلاثة أرباع). إذ تسعى تركمانستان إلى إمداد الغاز إلى باكستان والهند وشرق اسيا بحلول أواخر ٢٠٢٠. إما فرص الوصول إلى السوق الأوروبية للممر الجنوبي عبر القوقاز فيكون حصة أذربيجان، التي من المتوقع أن يزداد انتاجها بنحو ١٠ مليار م^٣ بحلول عام ٢٠٢٠ ثم يتضاعف بحلول عام ٢٠٤٠ ليصل إلى ما يقرب ٦٠ مليار م^٣.

٣. اسيا: إن التوقعات تشير إلى تزايد معدلات الإنتاج لـ يصل عام ٢٠٤٠ إلى ٧٩٠ مليار م^٣ وتأتي زيادة إنتاج الغاز من الصين واندونيسيا بمقدار (٣٥٦،١٣٥) مليار م^٣ في عام ٢٠٤٠.

٤. الشرق الأوسط: من المتوقع أن يتوسع إنتاج الغاز في الشرق الأوسط بأكثر من ٣٥٠ مليار م^٣ في العقود القادمة حيث يرتفع ليصل إلى ٩٠٠ مليار م^٣ في عام ٢٠٤٠. إلا أن توقعات الشرق الأوسط مقيدة بالضعف المؤسسي في بعض البلدان والعوامل الجيوسياسية التي تحد من التجارة الإقليمية وعدم وجود حافز لتطوير بعض موارد الغاز غير المرتبطة بسبب انخفاض أسعار الغاز المحلية. فيشير التقرير إلا أن أكبر المساهمين في زيادة الإنتاج هم إيران، العراق، قطر، والمملكة العربية السعودية التي يتوقع أن تبدأ استغلال مواردها من الغاز الصخري. لا تزال التوقعات الخاصة بإنتاج الغاز في العراق مثل النفط، تعاني من مجموعة من المخاوف الأمنية والضعف السياسي والمؤسسي والمالي.

٥. امريكا اللاتينية: تضاعف إنتاج الغاز في أمريكا اللاتينية لـ يصل إلى ٣١٠ مليار م^٣ في عام ٢٠٤٠، وتأتي الزيادة من الأرجنتين والبرازيل لتعوض الانخفاض المتوقع في بوليفيا و ترينيداد وتوباغو.

٦. إفريقيا: من المتوقع دخول لاعبين جدد في إنتاج الغاز الطبيعي وهما موزمبيق وتنزانيا بعد عمليات تنمية الموارد التي تجري في شرق افريقيا والانضمام إلى المنتجين الرئيسيين (نيجيريا والجزائر ومصر). لذا من المتوقع أن تضيق كل من موزمبيق وتنزانيا نحو ٧٥ مليار م^٣ إلى إنتاج إفريقيا من الغاز بحلول عام ٢٠٤٠. إما في شمال أفريقيا، فأن عدم استقرار الوضع الأمني في ليبيا وبطء التقدم في تطوير مصادر

جديدة لإنتاج الغاز الجزائري. أدى إلى تراجع قطاع الغاز الطبيعي. بينما في مصر سيكون الأمر مخالفاً فمن المتوقع أن يزداد انتاجها للغاز إلى ٦٥ مليار م^٣ في عام ٢٠٤٠، بعد اكتشاف حقل زهر الجديد في شرق البحر الأبيض المتوسط.

تتوقع معظم الدراسات أن يعيش الغاز الطبيعي مستقبلاً زاهراً خاصة مع تزايد الوعي البيئي والتعهدات الدولية بالالتزام بقيود انبعاث الغازات، وما ينتج عنه من إحلال الغاز مكان النفط والفحم تدريجياً. فاستهلاك العالم من الغاز الذي زاد حتى أربع مرات عما كان عليه قبل نحو أربعة عقود، بوصوله إلى أربعة تريليونات م^٣ سنوياً وهو رقم آخذ في الصعود باستمرار مستقبلاً^(١٣).

المبحث الثاني: واقع الصناعة الغازية في العراق

يعد العراق من الدول الغنية بموارد الطاقة إذ يمتلك احتياطات كبيرة في حجم الغاز الطبيعي المصاحب والحر إلا أن الإنتاج الإجمالي من الغاز الطبيعي المسوق لا يتناسب بما يمتلكه العراق من الإنتاج والاحتياطات الكبيرة، فضلاً عن التخلف الذي تعاني منه الصناعة الغازية في العراق.

أولاً: احتياطات الغاز الطبيعي

يقسم احتياطات الغاز الطبيعي في العراق إلى ثلاثة أنواع رئيسية: النوع الأول هو الغاز الطبيعي المصاحب لاستخراج النفط الذي تبلغ نسبته ٧٠٪. أغلب أماكن تواجده في المنطقة الجنوبية إذ تصل نسبته ٨٣٪. بينما المنطقة الشمالية تستحوذ على نسبة ١٧٪ من الغاز المصاحب للنفط الخام، أما النوع الثاني هو الغاز الطبيعي الحر الذي يشكل نسبة ٢٠٪ والذي يتواجد في حقول (ججمال، كورمور، من صورية، جريابيك، خشم الأحمر، عكاس، والسبية)، أما النوع الأخير الذي يعرف بغاز القنب الذي يشكل نسبة ١٠٪. أن ٩٤٪ من احتياطي غاز القنب تكمن في خمس حقول شمالية هي (جمبور، باي حسن، خباز، كركوك وعجيل) وينتج فقط في حقلي جمبور وعجيل، بينما تشغل المناطق الوسطى من الغاز ١٠٪ ونسب قليلة في جنوب العراق^(١٤). يمتلك العراق إجمالي الاحتياطات من الغاز الطبيعي (المؤكد والمحتمل) ما يقدر بـ (٧٤٥٦) تريليون قدم مكعب عام ٢٠١٤، إذ تبلغ الاحتياطات المؤكدة ٧١٢٦ تريليون قدم مكعب بينما بلغت الاحتياطات الغاز المحتملة ٣٣٠ تريليون قدم مكعب، محتل بذلك المرتبة الخامسة بين الدول العربية بنسبة مئوية قدرها ٦٪ من الاحتياطي العربي و ٨٨,٣٪ من احتياطي أوليك و ٨٧,١٪ من الاحتياطي العالمي للغاز الطبيعي للعام ٢٠١٤، لذا فهو يأتي بالمرتبة العاشرة دولياً بين الدول الغنية بالغاز الطبيعي أي بعد كل من (روسيا، إيران، قطر، السعودية، الإمارات، أمريكا، نيجيريا، فنزويلا، والجزائر)، بينما يأتي بالمرتبة ٥٧ من ناحية الإنتاج الدولي^(١٥). ويعد العراق من البلدان

١٣- عبد الحميد رولامي، كتوش عاشور، مستقبل منتدى الدول المصدرة للغاز الطبيعي في ظل التحولات التي تشهدها السوق الغازية العالمية، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية، قسم العلوم الاقتصادية والقانونية، ١٨٤، ٢٠١٧، ص ١٤٢.

١٤- وزارة التخطيط، خطة التنمية الوطنية ٢٠١٣-٢٠١٧، العراق، ٢٠١٣، ص ٧٣.

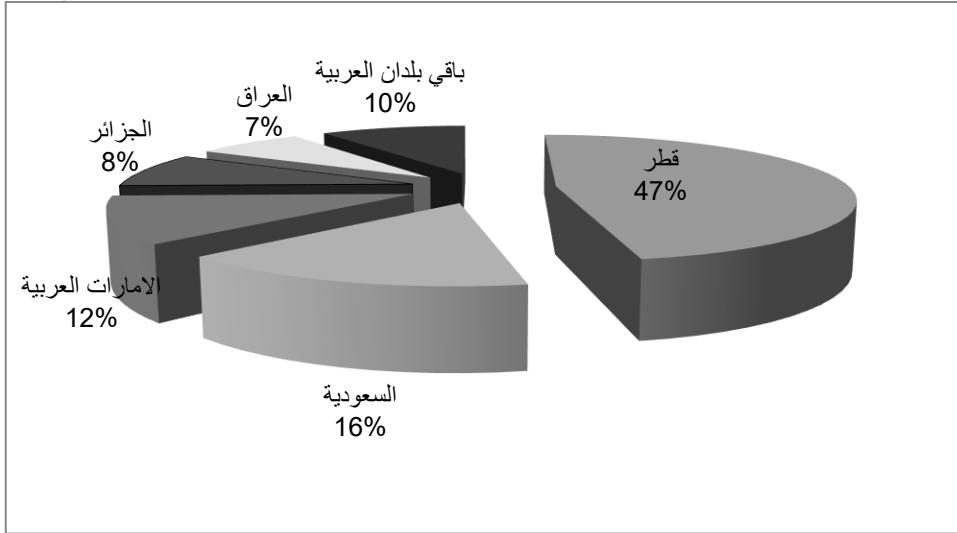
١٥- منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول (أوابك)، التقرير الإحصائي السنوية ٢٠١٥، ص ١٤-١٥.

الأقل اكتشافاً للغاز الطبيعي بين الدول العربية، وحسب بيانات منظمة أوابك عام ٢٠٠٦ قدر العمر الافتراضي لنضوب الغاز الطبيعي في العراق بـ (٣٠٧) سنوات وهو أطول عمر على النطاق العالمي^(١٦).
جدول (٣) احتياطات الغاز الطبيعي في الدول العربية عام ٢٠١٤^(١٧)

ت	الدولة	الاحتياطي المؤكد (مليار م ^٣)	حصة من إجمالي الدول العربية (%)
١	قطر	٢٤٤٠٠	٤٤,٩٧
٢	السعودية	٨٣١٦	١٥,٣٣
٣	الإمارات العربية	٦٠٩١	١١,٢٣
٤	الجزائر	٤٥٠٥	٨,٣٠
٥	العراق	٣٦٤٩	٦,٨١
٦	مصر	٢١٨٦	٤,٠٣
٧	الكويت	١٧٨٤	٣,٢٩
٨	ليبيا	١٥٣٢	٢,٨٢
٩	عمان	٧٠٥	١,٣٠
١٠	اليمن	٤٧٩	٠,٨٨
١١	سوريا	٢٨٥	٠,٥٣
١٢	البحرين	٩٢	٠,١٧
١٣	السودان	٨٥	٠,١٦
١٤	تونس	٦٥	٠,١٢

شكل (٢) نسبة احتياطات الغاز الطبيعي من إجمالي الدول العربية عام ٢٠١٤^(١٨)

١٦- حميد عطية عبد الحسين الجوراني، الصناعات النفطية وآثارها التنموية في جنوب العراق، أطروحة دكتوراه، جامعة البصرة، كلية الآداب-قسم جغرافية، ٢٠١٢، ص ٨٧
١٧- المصدر: منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول (أوابك)، التقرير الإحصائي السنوي ٢٠١٥، ٢٠١٥، ص ١٨.
١٨- المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على بيانات جدول (١).



ثانياً: إنتاج الغاز الطبيعي

عانى القطاع النفطي بشكل عام والصناعة الغازية بشكل خاص من إهمال متراكم على مدى سنين. لذا لجأت الحكومة العراقية بعد ٢٠٠٣ على تعاقد مع الشركات الأجنبية من أجل رفع المستوى القطاع النفطي وزيادة انتاجه وتطوير مؤهلاته من خلال جولات التراخيص النفطية المسماة بعقود الخدمة مع الشركات الأجنبية بهدف جذب الاستثمارات الأجنبية للتمكن من تطوير الحقول النفطية والغازية والتوجه نحو زيادة الانتاج فيها، واستناداً الى ذلك، تم التعاقد بإقامة مجموعة من المشاريع النفطية والغازية من خلال اربع جولات شرع البدء في الاولى عام ٢٠٠٩.

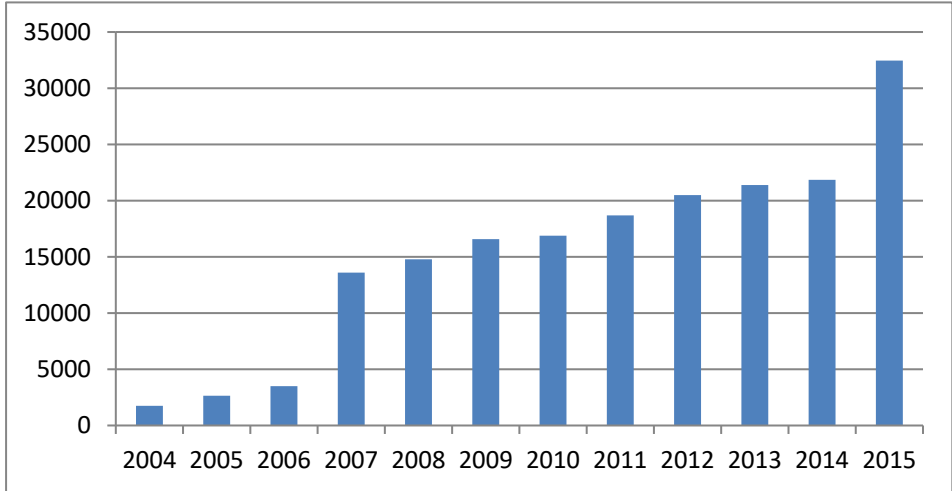
يلاحظ من الشكل (٣) زيادة الإنتاج الكلي من الغاز الطبيعي من ١٧٥٠ مليون م^٣ عام ٢٠٠٤ إلى ٢٣٤٥٨ مليون م^٣ عام ٢٠١٥ ولا ترجع تلك الزيادة في الإنتاج الكلي إلى تطور صناعة الغاز الطبيعي في العراق وزيادة استهلاكه للاستخدامات الصناعية المختلفة بل بسبب زيادة كميات الغاز الطبيعي المحروق الذي ي صاحب زيادة إنتاج النفط في جولتي التراخيص الأولى والثانية وما يؤكد ذلك هو انخفاض كميات الغاز الطبيعي المسوّق من ٣,١ مليار م^٣ عام ٢٠٠٠ إلى ١,٣ مليار م^٣ عام ٢٠١٠ ليذهب بدل إن يصدر إلى حرقه ليصل كميات الغاز المحروق للعام نفسه ٧,٥ مليار م^٣ (١٩).

ولو تمت مقارنة الكميات التي يحرقها العراق بالبلدان المتصدرة الترتيب العالمي لحرق الغاز الطبيعي خلال تلك الفترة (٢٠٠٩) سنجد انه يحتل بذلك المرتبة الرابعة عالمياً بحرق الغاز الطبيعي بعد كلٍّ من روسيا التي تحتل المرتبة الأولى عالمياً، ثم إيران ونيجيريا. ومن الملاحظ إن روسيا تحتل المرتبة الأولى عالمياً بحرق الغاز الطبيعي بكميات ٤٤,٣ مليار م^٣ ولكنها تحتل المرتبة الثانية عالمياً بإنتاج الغاز الطبيعي بكمية قدرها ٥٢٧,٧ مليار م^٣، والمرتبة الأولى عالمياً بتصدير الغاز الطبيعي بكمية قدرها ٢٠٧,٦ مليار م^٣ أما إيران التي

١٩- نبيل جعفر،، امجد صباح عبد العالي، صناعة النفط والغاز في العراق الاتجاهات الحالية والمستقبلية للفترة ٢٠٠٠-٢٠٢٠، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، ط١، ٢٠١٥، ص١٢.

تحتل المرتبة الثالثة عالمياً بحرق الغاز الطبيعي بكمية قدرها ١٠,٣ مليار م^٣ فاحتل المرتبة الرابعة عالمياً بإنتاج الغاز الطبيعي بكمية قدرها ١٣١,٢ مليار م^٣. إن تلك البلدان عند حساب نسبة الغاز المحروق إلى الإنتاج نجد إن نسب مرتفعة كونها تأتي مصاحبة للزيادة في الإنتاج والتصدير حتى نيجيريا، بعكس العراق الذي يحرق الغاز الطبيعي ويهدره دون أن ترافقه زيادة في الإنتاج أو التصدير^(٢٠).

أما بالنسبة إلى الغاز المعاد حقنه داخل الآبار النفطية لرفع الضغط المكمني، فقد بلغ ٨٠٠ مليون م^٣ عام ٢٠١٢ وذلك بسبب انخفاض إنتاج الحقول النفطية وانخفاض الضغط الطبقي؛ إذ تصبح الطاقة الطباقية غير قادرة على رفع النفط، وعندها لابد من إضافة طاقة إضافية إلى المكمن من أجل زيادة إنتاجية الحقل.



الشكل (٣) تطور إنتاج الغاز الطبيعي خلال الفترة ٢٠٠٤-٢٠١٥ بمليون م^٣ (٢١)

ثالثاً: استهلاك الغاز الطبيعي

نظراً لما تعرضت له المنشآت الصناعية التي تعتمد على الغاز الطبيعي كمادة أولية من أعمال تخريب وإهمال مستمرة مما أثر ذلك وبشكل كبير على قدرة المنشآت في استهلاك الغاز الطبيعي مقارنة مع طاقتها الإنتاجية التصميمية، ومن جهة أخرى تسببت تلك الظروف عدم القدرة على تطوير استخدام الغاز الطبيعي وتصديره^(٢٢)، لذا فإن موارد الغاز الطبيعي غير مستغلة إلى حد كبير بوجود أكثر من ٢,٤ غيغا واط من الطاقة معطلة بسبب عدم توصيل الغاز إليها^(٢٣). فنجد هناك انخفاضاً كبيراً في استهلاك الغاز

٢٠- ضحى لعبي كاظم السدخان، صناعة الغاز الطبيعي في العالم وتأثيراتها الجيوسياسية، مجلة أبحاث ميسان، م ١١، ٢٠١٥، ص ٢٢، ١٦٩.

٢١- المصدر: نبيل جعفر، امجد صباح عبد العالي، صناعة النفط والغاز في العراق الاتجاهات الحالية والمستقبلية للفترة ٢٠٠٠-٢٠٢٠، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، ط ١، ٢٠١٥، ص ١٢.

٢٢- نبيل جعفر، امجد صباح عبد العالي، مصدر سابق، ص ١٥.

٢٣- مركز البيان للدراسات والتخطيط، العراق.. تقرير النفط والغاز بضمنها التوقعات لعشر سنوات القادمة حتى العام ٢٠٢٥، ترجمة وتحرير: مركز البيان للتخطيط والدراسات، نوفمبر، ٢٠١٦، ص ٣٥.

الطبيعي عام ٢٠١٣ بلغ ٤٠٪ مقارنة بما تم استهلاكه عام ٢٠٠٣، ويعود السبب الرئيسي إلى الوضع السياسي المتدهور، وما نتج عنه من تراجع للاستثمارات الغازية في البلد^(٢٤).

يواجه الغاز الطبيعي في العراق بالمجمل مشاكل كبيرة، وكما اشرنا سابقا بان العراق يمتلك اكثر من ٧٠٪ من الغاز الطبيعي المصاحب لانتاج النفط إلا أن عدم استثماره بالشكل السليم أدى إلى الاتجاه إلى احرقه واستيراد الغاز من الدول المجاورة. فمن المعلوم أن إي زيادة في إنتاج النفط سوف تنعكس بزيادات في إنتاج الغاز الطبيعي إلا أن بسبب تقادم البنى التحتية النفطية تسبب في هدر الغاز الطبيعي الذي وصل عام ٢٠١٥ إلى ٥٥٣ مليار قدم مكعب^(٢٥). يضاف إلى ذلك أن العراق يمتلك أربعة حقول للغاز الطبيعي غير م صاحبة للنفط في محافظتي كركوك وديالى والتي يقدر احتياطاتها بنحو ١٠ ترليون قدم^٣. وينقل الغاز حاليا من أنبوب رئيسي بطاقة ٢٤٠ مليون قدم^٣ إلى بغداد من حقل غرب القرنة. إما منظومة غاز الشمال فقد تعرضت إلى إضرار كبيرة نتيجة للظروف الأمنية غير المستقرة، مما يجعل الغاز المنتج غير كافٍ لتغطية الطلب المحلي ويعود السبب في ذلك الى مجموعة من الأسباب تقف عائقا وراء تدهور الصناعة الغازية في العراق ويمكن تلخيصها بما يأتي:-

١. إن الغاز الطبيعي المصاحب قد واجه مشكلتين وهي تخلف تكنولوجيا المعالجة الحقلية في حقول النفطية التي تبدأ بعملية عزل النفط عن الغاز المصاحب في محطات العزل التي يصل إليها النفط من رأس البئر لتقوم بفصل الغاز الطبيعي عن السوائل النفطية ومن ثم ضخه إلى كابسات الغاز الطبيعي وحرق الغازات غير المرغوب فيها، ومشكلة تظهر في العازلات المندثرة والقديمة من الناحية الفنية في الحقول النفطية التابعة لشركتي نفط الجنوب و نفط الشمال. إذ يخرج النفط بكميات كبيرة وعبوره إلى محطات معالجة الغاز الطبيعي والتي من المفترض أن تحتوي على عازلات أولية لعزل النفط عن الغاز وتمنع وصوله ومن ثم عبوره إلى المشعل مما يشكل الدخان الأسود وتصل أحيانا إلى خروج كميات كبيرة من النفط إلى المشعل مما تسبب حرائق كبيرة.

٢. إما محطات كبس الغاز فهي تعاني أيضا من قدمها فضلا عن قلة عددها في الحقول النفطية فعلى سبيل المثال لا تعمل في حقل الزبير إلا كابستان للغاز الطبيعي من أصل ٦ كابسات وفي حقل الرميلا أيضا تعمل كابستان من أصل ٨ كابسات. وتوقفت كابسة الغاز الجاف التي يعتمد عليها في تسويق الغاز الطبيعي بسبب مشكلات فنية في المحرك التوربيني وعدم توفر المواد الاحتياطية وقطع الغيار لصيانته، بالإضافة إلى مشكلات في ضاغط تبريد البروبان ومشكلات في مضخات المكثفات التي يتم حرقها مع الغاز الطبيعي مما أدت كل تلك المشاكل إلى التوقف التام في شركة غاز الجنوب عام ٢٠٠٩. وامتدت المشكلة إلى معمل فصل السوائل الذي ظهر لديه نقص بكميات الغاز

٢٤- مركز برونجز الدوحة للطاقة، مصدر سابق، ص ١٣٨.

٢٥- عصري موسى، العراق منتج ومصدر للغاز المقومات والحواجز، ٢٠١٦، ص ١٣، بحث منشور على الموقع الالكتروني iraqieconomists.net

الطبيعي المطلوب والذي يحول إلى شركة لتوفر الغاز الطبيعي المسال المستخدم للأغراض المنزلية والصناعية مما نتج عنه استيراد الغاز لتغطية الطلب المحلي^(٢٦).

المبحث الثالث: افاق الغاز الطبيعي في العراق

ان حجم الاحتياطات الغازية التي يمتلكها العراق تبين اهمية هذا المورد المستقبلي الذي يمكن ان يحظى به اذا ماتم استغلاله ومعالجته بصورة كفوءة اقتصادية بدل من حرقه وهدره لذا لابد من زيادة الاهتمام باستثماره من مرحلة الانتاج الى مرحلة التسويق.

ونتيجة ماتم ذكره سابقا، وللميزات التي يتمتع بها الغاز الطبيعي مقابل النفط، فإن العراق من مصلحته ان يسعى إلى الاهتمام بإنتاج الغاز الطبيعي ليس بجعله احلال للنفط وانما هو مكمل له ليرفع من عملية التنمية في العراق. وفي ظل التوقعات المستقبلية للغاز الطبيعي في العراق والتي تدعي ان يسابق العراق في تطوير قطاع صناعة الغاز وخاصة بعد ان:

أولاً: القوانين المحلية والاتفاقيات الدولية

أ- في عام ٢٠٠٧ شرع قانون النفط والغاز (المقترح) لعام ٢٠٠٧ بهدف حماية الثروة الغازية والتعامل معها كمصدر مهم وله اهمية في التنمية الاقتصادية ولا بد من استغلاله في توليد الطاقة الكهربائية والصناعات البتروكيماوية والكيمياوية وفي الاستخدامات المنزلية وفي العمليات الصناعية ولاغراض التصدير^(٢٧).

ب- تعهد العراق باتفاقية باريس بالحد من الغازات التي تؤثر على الاحتباس الحراري بنسبة ١٥٪ بين ٢٠٢٠ و ٢٠٣٥ أي ما يعادل ٩٠ مليون طن من ثاني اوكسيد الكربون^(٢٨). لذا يتوجب على العراق ان يخفض من هدر الغاز الطبيعي ويستغله باستغلال امثل كونه من موارد الطاقة قليلة التلوث للبيئة فحسب المعايير الدولية يطرح الغاز الطبيعي ١٤,٥ غرام من غاز ثنائي اوكسيد الكربون لكل طن، بينما يطرح النفط ٢١,٤ غراما لكل طن من الكربون لذا يعد الملوث الثاني من بعد الفحم الذي يطرح ٢٦ غرام لكل طن^(٢٩).

ت- الاتفاقية بمشروع غاز البصرة، في عام ٢٠١٣ اعلن البدء بعمليات شركة غاز البصرة (BGC) المشروع المشترك بين شركة غاز الجنوب بحصة (٥١٪) وشركة شل (٤٤٪) وشركة ميتسوبيشي (٥٪) وهو المشروع الاول من نوعه على مستوى العالم في مجال استغلال الغاز الطبيعي المصاحب وتقليل عملية الحرق للغاز. حيث تقوم شركة غاز البصرة ببيع الغاز الطبيعي المعالج في حقول (الرميلة، غرب

٢٦- ربيع خلف صالح، ايهاب عباس محمد، القطاع النفطي في العراق (الواقع والافاق)، مجلة العلوم الاقتصادية والادارية، جامعة بغداد، كلية الإدارة والاقتصاد، م١٩٤، ع٧٤٤، ٢٠١٣، ص٢٤٠.

٢٧- ايهاب عباس محمد، تحليل الابعاد الاقتصادية لصناعة الغاز الطبيعي في العراق، مجلة الكوت للعلوم الاقتصادية والادارية، جامعة الواسط، كلية الإدارة والاقتصاد، ع١٨٧، ٢٠١٥، ٢٠.

٢٨- ادهم رشيد، التغير المناخي وقمة باريس: الإجماع البيئي العالمي، ٢٠١٥، مقالة منشورة على <https://www.ecomena.org/climate-summit-ar>

٢٩- يحيى حمود حسن ابو علي، سوق النفط العالمية وانعكاساتها على السياسة النفطية العراقية، اطروحة دكتوراه، جامعة البصرة، كلية الادارة والاقتصاد، ٢٠١٠، ص١٤٧.

القرنة، الزبير) إلى شركة غاز الجنوب الوطنية. فضلاً عن قيام شركة غاز البصرة بأعمال تأهيل وتطوير المنشآت الحالية لإعادة تشغيلها بالاضافة إلى بناء منشآت جديدة لرفع الطاقة الإنتاجية الحالية والبالغة ٤٠٠ مليون قدم مكعب يومياً إلى ٢ مليار قدم مكعب يومياً^(٣٠).

ث- دخول العراق بمبادرة الوقف التام لحرق الغاز المعتاد بحلول عام ٢٠٣٠ التي طرحها البنك الدولي على جميع الحكومات وشركات النفط والمؤسسات الإنمائية في وقف حرق التلقائي للغاز. وتنص المبادرة على ان أثناء انتاج النفط ينبعث غاز م صاحب لهذه العملية، ويتم الاستفادة من هذا الغاز او تتم المحافظة عليه نظراً لان الحكومات وشركات النفط اجرت استثمارات جوهرياً لتجميع هذا الغاز، ومع ذلك يتم حرق جزءاً من هذا الغاز بسبب قيود فنية او تنظيمية او اقتصادية، ويؤدي حرق الغاز في مواقع انتاج النفط حول العالم الى اهدار حوالي ١٤٠ مليار م^٣ من الغاز الطبيعي كل عام ويتسبب في انبعاث ما يزيد على ٣٠٠ طن من غاز ثاني أكسيد الكربون في الغلاف الجوي. ويسهم حرق الغاز في تغيير المناخ ويؤثر على البيئة بسبب انبعاث ثاني أكسيد الكربون والكربون الاسود وغيرهما من الملوثات. وستعمل الحكومات التي صادقت على هذه المبادرة على تهيئة البيئة القانونية والتنظيمية والاستثمارية والتشغيلية المواتية لاستثمارات التنقيب عن النفط وتطوير اسواق صالحة للاستفادة من الغاز وكذلك تطوير البنية التحتية الضرورية لنقل الغاز الى هذه الاسواق وستعمل هذه الاجراءات على مد جسور الثقة مع الشركات كما ستكون حافزاً لها كأساس للاستثمار في حلول التخلص من حرق الغاز وتشترط الحكومات في عروضها الجديدة الخاصة بالتنقيب ان تتضمن خطط تطوير الحقول الخاصة بحقول النفط الجديدة الاستفادة المستدامة من الغاز المصاحب في عملية الانتاج في الموقع او المحافظة عليه دون الحرق المعتاد له وعلاوة على ذلك ستبذل الحكومات الجهود اللازمة كافة لضمان نهاية الحرق المعتاد للغاز في حقول النفط القائمة بأقصى سرعة ممكنة في موعد اقصاه ٢٠٣٠. وستقوم شركات النفط التي صادقت على هذه المبادرة بتطوير حقول النفط الجديدة بحيث يتم تشغيلها وفق هذه الخطط التي تضمن الاستفادة المستدامة من الغاز المصاحب في عملية الانتاج في الموقع او المحافظة عليه دون الحرق المعتاد له وستعمل شركات النفط التي تمارس الحرق المعتاد للغاز في الحقول الحالية على تنفيذ حلول سليمة من الناحية الاقتصادية للتخلص من هذه العادة بأقصى سرعة ممكنة في موعد اقصاه ٢٠٣٠^(٣١).

ج- جولات التراخيص الغاز الطبيعي العراقي

بدأت صناعة الغاز الطبيعي تأخذ زخماً في السياسة النفطية من خلال جولي التراخيص الثالثة والرابعة وعقد تأسيس شركة غاز البصرة مع شركتي شل وميتسوبيشي فضلاً عن جولي التراخيص الأولى والثانية اللتين سيرتفع معهما إنتاج كميات الغاز الطبيعي المصاحب. وبذلك فإن من المتوقع أن يصبغ العراق من البلدان الرئيسية المنتجة والمصدرة للغاز الطبيعي على المستوى العالمي. ويعتمد نجاح ذلك على

٣٠- ايهاب عباس محمد، مصدر سابق، ص ١٨٦.

٣١- وزارة النفط، البنك الدولي يشيد بجهود العراق لاستثمار الغاز.. مبادرة الحد من حرق الغازات في العالم، مقالة منشورة على موقع وزارة النفط، <https://oil.gov.iq/index.php?name=News&file=print&op=PrintPage&sid=1397>

مدى قدرته على تنفيذ خطته الموسوعة والاستقرار السياسي والأمني للوصول إلى المعدلات المطلوبة من الإنتاج للغاز. إذ من المتوقع أن يرتفع انتاج الغاز الطبيعي المصاحب مع ارتفاع كميات النفط المستخرج إذ سيصل انتاج الغاز الطبيعي المصاحب عام ٢٠١٨ إلى ٢٩,٢ مليار م^٣ و سيرتفع في عام ٢٠١٩ إلى ٣١,٣ مليار م^٣، يضاف إليه ارتفاع انتاج الغاز الطبيعي الحر المستخرج من حقول (السببية وعكاس والمنصورة) والتي تم التعاقد على تطويرها مع الشركات الاجنبية عام ٢٠٢٠ إذ من المتوقع أن تصل كميته إلى ٧,٩ مليار م^٣ يضاف إليه انتاج الغاز المصاحب البالغ ٣٢,٨ مليار م^٣ لتكون الكميات الاجمالية للغاز الطبيعي بنوعيه الحر والمصاحب ٤٠,٧ مليار م^٣ (٣٢).

ثانيا: التوقعات الدولية للطاقة في العراق

١. وفق توقعات وكالة للطاقة الدولية للطاقة في العراق، فأن اجمالي الطلب على الغاز الطبيعي سيزداد بشكل كبير إذ وفق السيناريو المركزي الذي اعدته الوكالة في تقريرها من المتوقع أن يصل الطلب على الغاز الطبيعي إلى ٢٠ مليار م^٣ عام ٢٠٢٠ بينما من المتوقع أن يتزايد الطلب ليصل إلى ٧٠ مليار م^٣ عام ٢٠٣٥، إي سيزداد بمقدار ثلاثة اضعاف ما كان عليه عام ٢٠٢٠ نتيجة لزيادة الاستثمارات في مجال صناعة الغاز (٣٣). وليستمر في تزايد ليصل إلى ٨٠ مليار م^٣ بحلول عام ٢٠٤٠.
٢. وفق رؤية مرصد الاعمال الدولية (BMI)، أن يتزايد إنتاج الغاز غير المصاحب للنفط إلى ٧ مليارات م^٣ بحلول ٢٠٢٠ مع بدء بتطوير غاز ميران/ باوي في كردستان وية صاعد إنتاج النفط بمطلع عام ٢٠٢٥ إلى مايقارب ١٠ مليار م^٣، بينما من المتوقع أن يتم استهلاك الغاز الطبيعي الجاف في محطات توليد الطاقة الكهربائية كون اغلب المحطات سيتم تحويلها من محطات توليد الطاقة الكهربائية تعمل بالنفط إلى محطات توليد توليد الكهرباء تعمل بالغاز مما ستفتح المجال من دخول الغاز الطبيعي إلى الاستهلاك المحلي وتحسين كفاءة إنتاج الطاقة وتحويل جزء كبير من النفط إلى تصدير. بينما اشارت في تقريرها لعام ٢٠١٥ أن شركة غاز البصرة حلقة وصل محورية في السلسلة، حيث تهدف إلى جمع ومعالجة وتسويق الغاز المرتبط بإنتاج النفط من الحقول العملاقة في جنوب العراق (الرميلة وغرب القرنة والوزير). على الرغم من الحاجة الملحة لتحسين إمدادات الطاقة، فإن معظم الغاز المنتج في جنوب العراق لا يزال مشتعلا، مع قدرة معالجة تصل إلى حوالي ٥-٦ مليار م^٣ سنويا، أو فقط ثلث الغاز المصاحب المنتج. كما سيسغرق الأمر بعض الوقت لبناء قاعدة محلية لاستهلاك الغاز داخل قطاع الطاقة وخارجه، على الرغم من أن الاتفاق على بناء مجمع البتروكيماويات في النبراس الذي تبلغ تكلفته ١١ مليار دولار بالقرب من البصرة، سيساعد على ترسيخ تطوير البنية التحتية الإقليمية. لذا تتوقع شركة أوكسن موبايل أن يتم استهلاك محطات توليد جزء كبير من الغاز الجاف تتراوح ما بين ٥-٥,٨ مليار م^٣ خلال المدة ٢٠٢٠-٢٠٢٥ والذي من شأنه أن يلي ٤ إلف ميغاواط من الطاقة الكهربائية (٣٤).

٣٢- نبيل جعفر رضا، امجد صباح عبد العالي، مصدر سابق، ص ٧٦.

٣٣- وكالة الدولية للطاقة (iea)، افاق الطاقة في العراق، تقرير خاص ضمن كتاب توقعات الطاقة في العالم، فرنسا، ٢٠١٣، ص ١٢.

٣٤- مركز البيان للدراسات والتخطيط، مصدر سابق، ص ٣٨-١٨-٤٦.

إما صادرات العراق من الغاز الطبيعي فأن بعد تغطية الاستهلاك محطات توليد الكهرباء فان من المرجح أن يتم تصدير الفائض من الغاز الطبيعي المنتج الى تركيا. لتصل صافي الصادرات الغاز الطبيعي الجاف عام ٢٠٢٠ إلى ٢ مليار م^٣ ويظل في حالة تزايد ليصل عام ٢٠٢٥ إلى ٤,١ مليار م^٣. جدول (٤) توقعات مرصد الاعمال الدولية (BMI) لإنتاج واستهلاك وتصدير العراق للغاز الطبيعي الجاف خلال المدة ٢٠٢٠-٢٠٢٥ (٣٥)

السنة	الإنتاج الغاز الطبيعي الجاف مليار م ^٣	الاستهلاك الغاز الطبيعي الجاف مليار م ^٣	الصادرات الغاز الطبيعي الجاف مليار م ^٣
٢٠٢٠	٧,٤	٥,٣	٢,٠
٢٠٢١	٩,٧	٥,٥	٤,٢
٢٠٢٢	١٠,٣	٥,٧	٤,٦
٢٠٢٣	١٠,٢	٥,٨	٤,٤
٢٠٢٤	١٠,١	٥,٨	٤,٢
٢٠٢٥	٩,٩	٥,٨	٤,١

١. الموقع الجغرافي المتميز للعراق القريب نسبيا من مناطق الاستهلاك وخاصة الاسواق الاوربية وامكانية ربط مع خط بانكو لنقل الغاز. فضلا عن خط الغاز العربي وخط الغاز الخليجي وخط الغاز العراقي الكويتي. والذي عبره تم اتفاق بين العراق والكويت على تصدير العراق كميات من الغاز الطبيعي يصل إلى ٥ ملايين م^٣ يوميا (٣٦).

٢. تجربة تجهيز السيارات بوقود الغاز السائل في العراق. وتعد تجربة العراق في تجهيز السيارات بوقود الغاز السائل، جزء من استراتيجية وتوجه الحكومة في استثمار الغاز الطبيعي، و التقليل من هدره، فقد توجهت وزارة النفط العراقية الى أنشاء مشروع تحويل واطافة منظومة وقود تعمل بالغاز السائل، وفتح ورشة تحويل للسيارات في جميع المحافظات ماعدا محافظة (الموصل، الرمادي، صلاح الدين)، من مزايا هذه التجربة انها سوف تستخدم الغاز المضغوط في تشغيل السيارات بدل من البنزين مما يعني تقليل نسب التلوث المنبعث من احتراق البنزين في السيارات، فضلا عن انخفاض تكلفة الغاز مقارنة بالبنزين (٣٧).

٣. ان اقرار قانوني شركة النفط الوطنية وشركة الغاز الوطنية سيساهم في الاستثمار الامثل للثروة الوطنية للنفط والغاز وتطوير هذه الصناعة ما يحقق النهوض بالواقع الاقتصادي للبلاد. وأشار الى ان قانون

٣٥- المصدر: مركز البيان للدراسات والتخطيط، العراق.. تقرير النفط والغاز بضمنها التوقعات لعشر سنوات القادمة حتى العام ٢٠٢٥، ترجمة وتحرير: مركز البيان لتخطيط والدراسات، نوفمبر، ٢٠١٦، ص ٣٨-٤٦.

٣٦- صحيفة العرب، العراق يقترب من تصدير الغاز الطبيعي إلى الكويت، لندن، ٢٢/١٧/٩٤، السنة ٤٠، ع ١٠٧٥٩٤، ٢٠١٧، ص ١.

٣٧- خالد قاسم بويش، استثمار الغاز الطبيعي في العراق الواقع والافاق المستقبلية، رسالة ماجستير، جامعة القادسية، كلية الإدارة والاقتصاد، ٢٠١٧، ص ١٠١.

شركة الغاز الوطنية تضمن تطوير منشآت استثمار وانتاج الغاز ومنشآت صناعة البتروكيماوية والصناعات ذات العلاقة بمجالات الغاز فضلا عن رفع كفاءة التنسيق بين حلقات انتاج واستهلاك الغاز الطبيعي وتطوير العاملين في هذا القطاع. اقرار قانون شركة الغاز الوطنية من شأنه رسم وتنظيم سياسة استثمار الغاز في البلاد وقيادة برامج تنفيذ المشاريع وتشغيل المنشآت وفق المعايير العالمية، حيث ان الدراسات والخطط تشير الى امتلاك العراق لامكانيات هائلة يمكن ان تصل الى معدلات (٥٠٠٠) مليون قدم مكعب قياسي في اليوم وما يرافق ذلك من انتاج كميات هائلة من المكثفات والغاز الجاف والسائل والمكونات الاخرى وبما يجعل في م صاف الدول الرائدة في الاستثمار الامثل للغاز^(٣٨).

الاستنتاجات

لقد توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

١. يمتلك العراق اجمالي الاحتياطيات من الغاز الطبيعي المؤكد ما يقدر بـ (٧١٢٦) تريليون قدم مكعب عام ٢٠١٤، إلا أننا نجد أن حجم الإنتاج من غاز الطبيعي هو ٢١٨٥٣ مليون م^٣ للعام نفسه ويعود في سبب في ذلك إلى نسبة الهدر والحرق التي وصلت إلى ٧٠٪ من غاز المصاحب لاستخراج النفط.
٢. تعاني الصناعة الغازية في العراق من مشاكل عديدة ابرزها التقادم التكنولوجي المستخدم في منشآتها، كذلك قدم الخطوط الناقلة للغاز الطبيعي التي تتسبب في هدر كميات كبيرة من الغاز، فضلا عن مشكلات الفساد المالي والاداري وانعدام الاستقرار الامني الذي تسبب في تخريب ودمار العديد من المنشآت من المصافي والانابيب.
٣. سيكون للشركات الاجنبية المستثمرة من خلال عقود التراخيص وشركة غاز البصرة الدور البارز في استغلال الغاز الطبيعي المصاحب والحر واستخدامه وفق ماحدثته القوانين العراقية في الحفاظ على الثروة الهيدروكربونية مما سيساعد حتما على تغيير نمط التصدير الاحادي واعادة هيكل ميزان الطاقة في العراق.
٤. تشير توقعات الطاقة العالمية إلى زيادة الطلب على الغاز الطبيعي وظهور الاسواق الحديثة لاستهلاك الامر الذي يمكن للعراق مستقبلا أن يلعب دورا بارزا في الاسواق العالمية ثم اللجوء إلى تطوير صناعة تسييل الغاز أو معالجته.
٥. تشير التوقعات الدولية إلى تزايد الطلب المحلي في العراق على الغاز في المستقبل إلى أكثر من ضعف وهذا يجعل العراق من بلدان ذات الاستهلاك الكثيف للغاز الطبيعي لذا ستقل صادراته ويتراجع تنافسه مالم تتطور الصناعة الغازية.

التوصيات

في ضوء الاستنتاجات التي طرحت تم التوصل إلى التوصيات الآتية:

٣٨- مقالة منشورة على موقع الالكتروني لوزارة النفط <https://oil.gov.iq/index.php?name=Search1>

١. من خلال العرض السابق لاحظنا هناك مشكلة كبيرة هي نقل الغاز المصدّر الى الاسواق سواء الاقليمية او العالمية، الا ان هناك خطوط انابيب تمر بالعراق يمكن عبر الاتفاقيات أن يتم استثمارها في تصدير الغاز الطبيعي مثل خطوط انابيب الغاز العربي الذي من المقترح ان يكتمل في تركيا والتي يمكن للعراق ان يتصل بالخط والذي سيتم ربطه بخط نابوكو الامر الذي سيجعل من الشرق الاوسط موردا رئيسيا من الغاز الطبيعي الى السوق الاوربية.
٢. العمل على ضرورة تأهيل وتطوير البنى التحتية للمشاريع الغازية القائمة و الخاصة بمعالجة الغاز الطبيعي و التخطيط لإقامة مشاريع استثمارية اخرى بهدف تقليل كميات الغاز المحروق واستغلاله بشكل افضل.
٣. وضع استراتيجيات وسياسات مناسبة لتطوير الثروة الغازية واستثمارها بشكل مستدام والنظر إليه الشريك الحقيقي للنفط.
٤. الاستفادة من الدراسات و تجارب البلدان الاخرى مثل السعودية وقطر وايران في مجال الغاز الطبيعي في كيفية استثماره وتطويره والطرق التي استخدمتها في إنتاج ونقل وتصدير الغاز الطبيعي.

المصادر

أولا: الكتب

١. نبيل جعفر،، امجد صباح عبد العالي، صناعة النفط والغاز في العراق الاتجاهات الحالية والمستقبلية للفترة ٢٠٠٠-٢٠٢٠، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، ط ٢٠١٥، ١.

ثانيا: الاطاريح والرسائل الجامعية

١. حميد عطية عبد الحسين الجوراني، ال صناعات النفطية واثارها التنموية في جنوب العراق، أطروحة دكتوراه، جامعة البصرة، كلية الاداب، ٢٠١٢.
٢. خالد قاسم بويش، استثمار الغاز الطبيعي في العراق الواقع والافاق المستقبلية، رسالة ماجستير، جامعة القادسية، كلية الإدارة والاقتصاد، ٢٠١٧.
٣. يحيى حمود حسن ابو علي، سوق النفط العالمية وانعكاساتها على السياسة النفطية العراقية، اطروحة دكتوراه، جامعة البصرة، كلية الادارة والاقتصاد، ٢٠١٠.

ثالثا: البحوث والمقالات:

١. ايهاب عباس محمد، تحليل الابعاد الاقتصادية لصناعة الغاز الطبيعي في العراق، مجلة الكوت للعلوم الاقتصادية والإدارية، جامعة الواسط، كلية الإدارة والاقتصاد، ع ٢٠١٥، ٢٠١٥.
٢. ربيع خلف صالح، ايهاب عباس محمد، القطاع النفطي في العراق (الواقع والافاق)، مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية، جامعة بغداد، كلية الإدارة والاقتصاد، م ١٩٦، ع ٢٠١٣، ٧٤.
٣. صحيفة العرب، العراق يقترب من تصدير الغاز الطبيعي إلى الكويت، لندن، ٢٢/١٧/٢٠١٧، ٩، السنة ٤٠، ع ١٠٧٥٩، ٢٠١٧.

٤. ضحى لعبي كاظم السدخان، صناعة الغاز الطبيعي في العالم وتأثيراتها الجيوسياسية، مجلة ابحاث ميسان، ١١م، ٢٠١٥ع، ٢٢.
٥. عبد الحميد رولامي، كتوش عاشور، مستقبل منتدى الدول المصدرة للغاز الطبيعي في ظل التحولات التي تشهدها السوق الغازية العالمية، الاكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية، قسم العلوم الاقتصادية والقانونية، ١٨ع، ٢٠١٧.

رابعاً: الدراسات والبيانات الرسمية والنشرات

١. وكالة الدولية للطاقة(iea)، افاق الطاقة في العراق، فرنسا، ٢٠١٣.
٢. مركز برونجز الدوحة للطاقة، تقرير منتدى مركز برونجز للطاقة عام ٢٠١٣، قطر، ٢٠١٣، ص٢.
٣. مركز جدوى الاستثمار، مستقبل انتاج النفط والغاز من المصادر غير التقليدية، السعودية، ٢٠١٣.
٤. وزارة التخطيط، خطة التنمية الوطنية ٢٠١٣-٢٠١٧، العراق، ٢٠١٣.
٥. منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول(اوابك)، التقرير الاحصائي السنوية ٢٠١٥.
٦. مركز البيان للدراسات والتخطيط، العراق.. تقرير النفط والغاز بضمنها التوقعات لعشر سنوات القادمة حتى العام ٢٠٢٥، ترجمة وتحرير: مركز البيان لتخطيط والدراسات، نوفمبر، ٢٠١٦، ص١٨-٣٨-٤٦.

خامساً: مواقع الانترنت

١. وزارة النفط، البنك الدولي يشيد بجهود العراق لاستثمار الغاز.. مبادرة الحد من حرق الغازات في العالم، مقالة منشورة على موقع وزارة النفط، <https://oil.gov.iq/index.php?name=News&file=print&op=PrintPage&sid=1397>.
٢. International Energy Agency(IEA), world energy outlook 2015, france, 2015.
٣. ادهم رشيد، التغير المناخي وقمة باريس: الإجماع البيئي العالمي، ٢٠١٥، مقالة منشورة على <https://www.ecomena.org/climate-summit-ar>.
٤. عصري موسى، العراق منتج ومصدر للغاز المقومات والحواجز، ٢٠١٦، ص١٣، بحث منشور على الموقع الالكتروني iraqieconomists.net.

سلطات الادارة الاستثنائية في تعديل العقد الاداري

The powers of the special administration in amending the administrative contract

Lect. Ali Sahib Al-Shareefy

م.د. علي صاحب الشريفي^(١)

الخلاصة

إنَّ الادارة تتمتع بسلطات استثنائية في مواجهة المتعاقد معها، حال تنفيذه لالتزاماته التعاقدية، فهي تستمدّها من تعاقدّها بعدها سلطة عامة، الامر الذي يعطيها الحق في التمتع بامتيازات السلطة العامة من خلال ممارستها لتلك السلطات، ويستند تتمتع الادارة بها الى طبيعة العقود الادارية وارتباطها الوثيق بتسيير المرافق العامة، الامر الذي يتعين معه تغليب الصالح العام على الصالح الخاص للمتعاقد مع الادارة دون ان يكون للمتعاقد الاعتراض على ممارسة الادارة لتلك السلطات مادامت تلك الممارسة في اطار المشروعية.

Abstract

That the administration has exceptional powers in the face of the contractor, in the event of implementation of its contractual obligations, they derive from the contract as a public authority, which gives them the right to enjoy the privileges of public authority through the exercise of those authorities, based on the management of the nature of administrative contracts and its close link with the management The public interest shall be vested in the private interest of the contractor with the administration without the contractor having an objection to the exercise of administration by such authorities as long as such practice is within the framework of legality.

١ - جامعة أهل البيت - (عليه السلام) - كلية القانون.

أولاً: موضوع البحث

إنَّ سلطة الإدارة في تعديل بنود العقد الإداري تشكل نظرية قانونية مستقلة فهي تعد واحدة من أهم وأخطر السلطات التي تملكها المصلحة المتعاقدة في مواجهة المتعاقد معها، باعتبار أنها تشكل إحدى القواعد العامة في نظرية العقد الإداري وسندها في ذلك هو مقتضيات فكرة المرفق العام بمعناها الواسع التي تتميز بها العقود الإدارية عن عقود القانون الخاص، فالعقود الإدارية وإن كانت تتفق مع عقود القانون الخاص بأنها تنشأ بين الأطراف حقوقاً والتزامات متبادلة، إلا أنها تختلف عنها من حيث عدم تسليمها بقاعدة المساواة بين المتعاقدين، فالإدارة تتمتع بامتيازات وحقوق لا يتمتع بمثلها المتعاقد ترجيحاً للمصلحة العامة على المصلحة الخاصة.

ثانياً: أهمية موضوع البحث

تكمن أهمية موضوع البحث من خلال أن الإدارة تتمتع بسلطات استثنائية يسوغها اتصال عقودها الإدارية بالمرافق العامة ومتطلبات تسييرها، لذا فأحكامها مقرر لها بموجب القواعد العامة التي تحكم العقود الإدارية، وهذه الامتيازات والسلطات تتمتع بها سواء وردت في العقد أم لم ينص عليها فيه، ولا يمكن للمتعاقد مع الإدارة أن يحتج بقاعدة العقد شريعت المتعاقدين وليس من حق الإدارة التنازل عن هذه السلطات لأنها تتعلق بالنظام العام وكل اتفاق يقع خلافها يعد باطلاً.

ثالثاً: مشكلة البحث

- تتركز مشكلة البحث من خلال عدة تساؤلات يمكن عرضها أو إثارتها وفق الآتي:-
- متى يحق للإدارة التمتع بسلطة الرقابة على تنفيذ العقد الإداري؟ وهل هذه السلطة منصوص عليه في العقد أم لا؟
 - هل إن استعمال الإدارة لسلطاتها الاستثنائية في الرقابة أداة من شأنها دعم وتقويم القرار الإداري بالشكل الذي يوازي بين غاية الإدارة في تحقيق الصالح العام وغاية الأفراد في تحقيق المصلحة الخاصة؟ أم إن دور الرقابة يقتصر على تحقيق الصالح العام بعيداً عن المصلحة الخاصة للأفراد؟

رابعاً: منهجية البحث

اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج التحليلي لدراسة موضوع سلطات الإدارة الاستثنائية في تنفيذ العقود الإدارية من خلال تحليل النصوص الواردة في هذا الشأن فضلاً عن التطرق إلى أبرز القرارات الصادرة من المحاكم الإدارية والقضائية بهذا الخصوص.

خامساً: خطة البحث

سنقسم خطة البحث على مبحثين نتناول في المبحث الأول ماهية سلطات الإدارة الاستثنائية في تعديل العقد، وهو مقسم على مطلبين نخصص المطلب الأول لبيان مفهوم سلطات الإدارة الاستثنائية في

تعديل العقد، إما في المطلب الثاني فسنتناول فيه مظاهر سلطات الادارة الاستثنائية في تعديل العقد الاداري.

إما في المبحث الثاني فسنتناول فيه استعمال الادارة لسلطة تعديل العقد وهو مقسم على مطلبين تتناول في المطلب الاول اثر قاعدة العقد شريعة المتعاقدين وسلطات الادارة الانفرادية، إما في المطلب الثاني فسنخصصه لبيان ضمانات المتعاقدين تجاه استعمال الادارة غير المشروع لسلطة التعديل. وفي الخاتمة سوف يتم التطرق الى اهم النتائج والتوصيات التي تم التوصل اليها.

المبحث الأول: ماهية سلطات الادارة الاستثنائية في تعديل العقد الاداري

إنَّ الادارة تتمتع بسلطات استثنائية في مواجهة المتعاقد معها، حال تنفيذه لالتزاماته التعاقدية، فهي تستمدّها من تعاقدها بعدها سلطة عامة، الامر الذي يعطيها الحق في التمتع بامتيازات السلطة العامة من خلال ممارستها لتلك السلطات، والذي يستند تتمتع الادارة بها الى طبيعة العقود الادارية وارتباطها الوثيق بتسيير المرافق العامة، الامر الذي يتعين معه تغليب الصالح العام على الصالح الخاص للمتعاقدين مع الادارة دون ان يكون للمتعاقدين الاعتراض على ممارسة الادارة لتلك السلطات مادامت تلك الممارسة في اطار المشروعية.

وفي ضوء ما تقدم سنتناول سلطات الادارة الاستثنائية من خلال مطلبين نخصص الاول لبيان مفهوم سلطات الادارة الاستثنائية في تعديل العقد الإداري، اما في المطلب الثاني فسنتناول فيه مظاهر سلطات الادارة الاستثنائية في تعديل العقد الإداري، وفق التفصيل الآتي:

المطلب الأول: مفهوم سلطات الادارة الاستثنائية في تعديل العقد الاداري

إنَّ حق الادارة في استخدام سلطة التعديل في العقود الادارية في الحقيقة لا يمكن تأسيسه إلا على مستلزمات المرافق العامة، وتغييراته المفاجئة، إذ نجد أن الفكرة العامة في ذلك تتمثل في ان الادارة يجب الا تتقيد بشكل غير محدود لعقود صارت غير متكيفة مع حاجات المرفق وذلك لان العقد يرتبط بالمرفق العام الذي يتميز بدوره وقابليته للتغيير والتعديل مما يعني ضرورة تمتع العقد بذات درجة المرونة التي يتمتع بها المرفق والا أدى الى جمود العقد، ومن ثم، جمود المرفق^(٢).

وفي ضوء ما تقدم سنتناول مفهوم سلطات الادارة الاستثنائية في تعديل العقد من خلال التفصيل الآتي:-

الفرع الأول: تعريف سلطات الادارة الاستثنائية في تعديل العقد الاداري

إنَّ العقد الاداري شأنه شأن كل عقد ينشئ حقوقا والتزامات متبادلة بين طرفيه، إذ غالبا ما تكون منصوص عليها في العقد، الا ان علاقة الادارة بالمتعاقدين معها في العقد الاداري تختلف اختلافا كبيرا عن العلاقة التي تربط المتعاقدين بالعقود المدنية، ويرجع السبب في ذلك أن علاقة الادارة بالأفراد في العقود

٢- د. مهند مختار نوح، الايجاب والقبول في العقد الاداري (دراسة مقارنة)، ط ١، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٥، ص ١٣٢.

الادارية تتميز بطابع خاص يختلف عن علاقة الأفراد بعضهم ببعض مما أدى الى وجود قواعد تناسب طبيعة نشاط الادارة وهدفها. ومرجع ذلك ان الادارة باستخدامها وسيلة العقد الاداري تهدف الى تسيير المرفق العام الذي تقوم على رعايته، مما أدى الى عدم وجود تساوي في المراكز القانونية بين الافراد والادارة، فالإدارة تتمتع بمركز متميز عن الافراد وذلك بحكم سهرها على تحقيق الـ صالح العام، ومن ثم فهي تتمتع بسلطات استثنائية لضمان حسن سير المرفق بانتظام واضطراب كلما اقتضت الحاجة لذلك^(٣).

وهنا تظهر قاعدة عدم المساواة بين الافراد وبين الادارة في العقد الاداري وذلك لان الفرد دائما يستهدف تحقيق مصلحته الخاصة بخلاف العقد الاداري الذي يهدف الى تحقيق المصلحة العامة وضمان سير المرفق العام لذلك نجد ان الادارة تتمتع بامتيازات لا مثيل لها بالنسبة للأفراد من اجل تحقيق الصالح العام. اضافة الى ذلك نجد ان حق الادارة في تعديل العقد الاداري هو حق ثابت لها فتستطيع الادارة استخدامه ولو خلا العقد من نص بشأنه، وحتى لو احتوى العقد على نص يحظره، إذ يبطل النص في هذه الحالة ويبقى الحق قائما، وحتى لو وجد نص في العقد يميز للإدارة تعديل العقد فإن هذا النص لا يعدو دوره ان يكون كاشفا للحق لا منشي له^(٤).

الفرع الثاني: شروط ممارسة الادارة لسلطاتها الاستثنائية في تعديل العقد الاداري

إن سلطة الادارة في تعديل العقد الاداري ليست سلطة مطلقة دون قيود ولهذا نجد ان القانون الاداري وأحكام القضاء قد فرضت على الادارة قيودا لا بد من مراعاتها عندما تنوي استخدام سلطة التعديل الانفرادي وهذه الشروط أو القيود يمكن اجمالها بالاتي:-

أولاً: اقتصار التعديل على شروط العقد المتصلة بالمرفق العام

إن طبيعة احتياجات المرفق المتغيرة باستمرار هي التي تقضي بتعديل بعض نصوص العقد، إذ نجد ان شروط العقد المتصلة بالمرفق العام هي وحدها تخضع لسلطة الادارة في التعديل الانفرادي، وهذه الشروط هي التي تنظم المرفق العام، وتتعلق باحتياجاته، وكيفية اشباع حاجات الافراد، وهذا القيد ليس الا نتيجة للفكرة الاساسية ذاتها التي تشكل الاساس القانوني لسلطة التعديل، وهي ضرورة تكيف العقد مع حاجات المرفق العام، إذ يستطيع في الواقع التمييز بين شروط العقد هذه التي تتعلق بتسيير المرفق العام والتي تمس حاجات المرفق، وتلك التي تتعلق بالامتيازات المالية المعطاة للمتعاقد، وسلطة التعديل لا تطبق الا على النوع الاول من الشروط دون النوع الثاني^(٥).

وقد اقر القضاء الاداري في مصر هذا القيد إذ قضت محكمة القضاء الاداري بأن جهة الادارة لا تملك أو تمس بالتعديل المزايا المالية المتفق عليها في العقد، والتي يتمتع بها المتعاقد معها، فهذه السلطة هي ليست مطلقة بل ترد عليها قيوداً منها انها تقتصر على نصوص العقد المتعلقة بتسيير المرفق العام وحاجاته

٣- عمر حلمي، سلطة الادارة في تعديل العقد الاداري وضمانات المتعاقد في مواجهتها، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٦، ص ١٠٥.

٤- علي عبد العزيز، سلطة الادارة في تعديل العقد الاداري (دراسة مقارنة)، اطروحة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة عين الشمس، ١٩٧٥، ص ٥٥.

٥- د. مازن ليلو راضي، القانون الاداري، ط ٣، مطبعة جامعة دهوك، العراق، ٢٠٠٧، ص ٣٠٩.

ومقتضياته. الا في احوال معينة استثنيتها الشروط العامة الملحقة بالعقود الادارية في بعض الدول وأجازت تعديل اجور السلع واسعارها في عقود التزام المرافق العامة مع الاخذ بنظر الاعتبار التوازن المالي للعقد^(٦). وما تقدم يتضح لنا ان سلطة الادارة في التعديل الانفرادي للعقد تقه صر فقط على شروط العقد المتصلة بتسيير المرفق العام أما شروط العقد الاخرى غير المتصلة بالمرفق العام فلا تملك الادارة تعديلها.

ثانيا: احترام قواعد المشروعية

يجب ان تنقيد الادارة في معرض تعديلها لعقدها بالمبدأ العام للمشروعية الادارية، إذ لا بد ان يصدر قرار التعديل من سلطة مختصة به وفق الصيغة التي حددها القانون، وينبغي ان يكون قرارها موافقا للأنظمة النافذة، إذ نجد ان بعض القواعد الخاصة بالنظام القانوني للعقد الاداري، قد بنيت على اساس القوانين واللوائح، فإذا قامت الادارة بتعديل هذه القواعد فإنها سوف ترتكب خرقا لمبدأ المشروعية، وخير مثال على ذلك القواعد التي ترد على عقود التوظيف، وهي في جزء كبير منها ذات طابع تنظيمي، ومن ثم، لا يمكن تعديلها الا بالطريق التنظيمي. او عن طريق السلطة المختصة بالتشريع إذا كانت ذات طابع تشريعي^(٧).

وقد استقرت احكام القضاء الاداري في مصر على "ان الادارة لا يحق لها اجراء اي تعديل في شروط العقد الا اذا اقتضت ذلك المصلحة العامة للإدارة حق تعديل شروط العقد وإضافة شروط جديدة بما يتراءى لها أكثر اتفاقا مع الصالح العام..^(٨)، وهذا ما أشار اليه احد الفقهاء بالقول، "ويقر الفقه للإدارة بحق التعديل، علما بأن هذا الحق لا ينفي ال صفة التعاقدية، وتبقى قاعدة العقد شريعة المتعاقدين هي السائدة، إذ أن حق الإدارة في التعديل لا يعني أن هذه الأخيرة لا تلتزم بتنفيذ العقد، فحق التعديل لا يمكن للإدارة أن تمارسه، إلا في ظروف وبشروط ولأهداف محددة بوصفه وسيلة تمكنها من التكيف مع الظروف المتغيرة؛ لاستمرارية المرفق العام ومواكبته للمستجدات الحاصلة؛ لذا فإن حق الإدارة في التعديل ليس مرادفا لحق الإدارة في التخلص من التزاماتها أو عدم الوفاء بها، فإذا لم تلتزم الإدارة بالشروط والحالات والأهداف المشروعة لاستعمال الحق بالتعديل عندها يتم توقيع جزاءات على الإدارة عند خرقها أو مخالفتها للعقد، وهنا تتحمل منفردة المسؤولية التعاقدية وهذا ما استقر عليه الاجتهاد"^(٩)، ولم يكن مجلس الدولة المصري على هذا ببعيد عن مفهوم المشروعية الإدارية، فالمبدأ عام وردده قضاء المجلس كثيرا^(١٠).

وقد كان حكم المحكمة الصادر في ٢٥/مايو/١٩٦٣م أكثر إيضاحا وتبيانا عندما أقرت: "... تغليباً للمصلحة العامة على المصلحة الفردية، مما يجعل للإدارة في هذا الأخير سلطة مراقبة تنفيذ شروط العقد، وتوجيه أعمال التنفيذ واختيار طريقته وحق تعديل شروطه المتعلقة بتسيير المرفق، وتنظيمه والخدمة التي تؤديها، وذلك بإرادتها المنفردة حسبما تقتضيه المصلحة العامة.. ويخضع في تلك الإجراءات الى قواعد مرسومة من حيث الشكل والاختصاص..^(١١)، وأشار بعض الفقهاء إلى هذا المعنى بقولهم: "وأخيرا فإن

٦- ينظر: حكم محكمة القضاء الاداري المصري الصادر في ١٩٥٧/٦/٣٠، السنة ١١، رقم ٣٧٧، ص ٦٠٧.

٧- د. نصري منصور نابلسي، العقود الادارية (دراسة مقارنة)، ط ١، مكتبة زين الحقوقية، لبنان، ٢٠١٠، ص ٣٤٣.

٨- ينظر: حكم المحكمة الادارية العليا المصرية الصادر في ١٩٥٧/٤/٢٠، المجموعة السنة، رقم ١٧، ص ٩٣٨.

٩- علي عبد الأمير قبيلان، اثر القانون الخاص على العقد الإداري، ج ١، ط ١، مكتبة زين الحقوقية، لبنان، ٢٠١١، ص ٣٥٦.

١٠- علي الفحاح، سلطة الإدارة في تعديل العقد الإداري، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٢١٨.

الإدارة ملزمة باحترام العقد كله، بمعنى إنها لا تستطيع دون أن تعرض نفسها للمسؤولية أن تقوم بأي عمل يتعارض مع صفتها كمتعاقدة..^(١١).

ثالثاً: اقتصار التعديل على موضوع العقد

ان الادارة إذا فرضت على المتعاقد التزاما خارجا عن العقد ولا صلة له بموضوعه فإن قرارها يعد باطلا، ويجوز للمتعاقد أن يلجأ إلى قاض العقد لإلغاء هذا القرار، كما يحق له الامتناع عن تنفيذه، فسلطة الادارة تقتصر على موضوع العقد ولا تتعدها، إذ ان المتعاقد قد اتفق مع الادارة على معاونتها في موضوع معين، وهو يلتزم ببذل هذه المعاونة على اوسع مدى في حدود هذا الموضوع لسد احتياجات المرفق العام، ويتوقف التزامه عند هذا الحد، ومن ثم، فانه لا يجوز للإدارة تحت ستار استعمال سلطتها في التعديل ان تطلب من المتعاقد أداء اعمال لم يكن ليقبل بها لو عرضت عليه عند ابرام العقد الاصلي، إذ يجب عليها إلا تفرض عليه تعديلات تجعله أمام عقد جديد فلا يسوغ للإدارة إسناد أعمال جديدة للمتعاقد معها تنبئ صلتها بالعقد الأصلي أو يحتاج تنفيذها لأوضاع جديدة تختلف بشكل تام عن تلك المتفق عليها، إذ يتعين ان تكون الاعباء التي يرتبها تعديل العقد الاداري على عاتق المتعاقد مع الادارة في الحدود الطبيعية والمعقولة بحيث لا تتجاوز إمكانيات المتعاقد الفنية^(١٢). وقد جرى القضاء الاداري في فرنسا على عدم جواز تعديل نصوص العقد الاساسية على أساس ان الشروط غير قابلة للتعديل، إذ ان ذلك يستلزم أخذ موافقة الطرف الثاني وإقامة العقد القديم وإنشاء عقد جديد متى توافرت عناصره. كما ذهبت محكمة القضاء الاداري في مصر الى القول "إذا كان من شأن التعديل زيادة اعباء المتعاقد مع الادارة، إلا أنه لا يصح أن تتجاوز الاعباء الجديدة الحدود الطبيعية المعقولة في نوعها وأهميتها، وبحيث يصبح المتعاقد وكأنه أمام عرض جديد أو تغيير في موضوع العقد أو محله^(١٣)".

اضافة الى ذلك نجد ان المحكمة الادارية العليا في مصر قد ذهبت الى ان الاعمال الاضافية في عقود الاعمال يجب ان تكون من ذات نوع وجنس الاعمال الاصلية بحيث تكون الزيادة في كمية او حجم العقد قابلة للتنفيذ والمحاسبة ماليا مع المتعاقد الاصلي عليها عن ذات الفئات والاسعار الخاصة بكل نوع او جنس من الاعمال الاضافية المماثلة للأعمال الاصلية^(١٤).

المطلب الثاني: مظاهر سلطات الادارة الاستثنائية في تعديل العقد الاداري

تجمع سلطات الادارة الاستثنائية التي يحق لها استعمالها بصدد تنفيذ العقود الادارية مجموعة من الخصائص تبرز في مجملها مدى استثنائية هذه السلطات، إذ يكون بوسع الادارة اصدار قرار بشأنها بإرادتها المنفردة، مع ضرورة اخضاع المتعاقد لما يفرضه عليه ممارسة الادارة لتلك السلطات. وفي ضوء ما تقدم سنوضح مظاهر سلطات الادارة الاستثنائية في تعديل العقد الاداري من خلال التفصيل الآتي:-

١١- سليمان الطماوي، الاسس العامة للعقود الإدارية، ط٥، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٨، ص٥٤٧.

١٢- د. نصري منصور نابلسي، مصدر سابق، ص٣٤٦.

١٣- حكم محكمة القضاء الاداري في مصر، رقم ٩٨٣، س٧، جلسة ١٩٥٧/٦/٣٠، ص٢١٥.

١٤- ينظر: حكم المحكمة الادارية العليا في مصر الطعن رقم ١٩٤٤ لسنة ٣٣ ق جلسة ١٩٨٩/٤/٢٩، ص٣٩٧.

الفرع الأول: سلطات الادارة الاستثنائية عند غياب النص القانوني

قد لا يوجد في العقود الادارية أو في دفاتر الشروط أو القوانين أو اللوائح نصوص تشير الى حق الادارة في ممارسة سلطة الادارة في الرقابة على تنفيذ العقد الاداري باعتبار ان الادارة تستند في ممارسة هذا الحق الى فكرة المرفق العام الذي يعد موضوع العقد، ولكن هذه السلطة التي تتمتع بها الادارة ليست سلطة مطلقة بل مقيدة بتحقيق الصالح العام بعيد عن تحقيق اغراض اخرى لا تتعلق بالمرفق العام الذي يعد اساس العقد، اضافة الى ذلك ان لا يترتب على ممارسة الادارة لهذه الرقابة التعديل في موضوع العقد^(١٥)، الا اذا كان موضوع التعديل يهدف الى تحقيق المصلحة العامة ففي هذه الحالة يجب ان يكون هدف الادارة من سلطة التعديل ان يكون دافعا لتحقيق المصلحة العامة المجردة فلا يجوز أن تبتغي من وراء اتجاهها لتعديل العقد الاداري الاضرار بمصالح المتعاقدين معها أو اعاقته عن التنفيذ توصلا لتوقيع جزاءات عليه واطهاره بمظهر المقصر في الوفاء بالتزامه التعاقدي^(١٦).

ففيما يتعلق بموقف الفقه من عدم وجود نص تستند اليه الادارة في ممارسة الرقابة على تنفيذ العقد، فالبعض يذهب الى القول ان الادارة تتمتع بسلطة الرقابة على تنفيذ العقد حتى في حالة عدم وجود نص بذلك سواء في القوانين أو اللوائح أو دفاتر الشروط، باعتبار ان هذه السلطة تتعلق بالنظام العام وبالتالي لا يجوز مخالفتها وكل اتفاق يقع خلاف ذلك يعد باطلا بطلانا مطلقا^(١٧)، وبناءً على ذلك فان الادارة تتمتع بسلطة الرقابة حتى وان لم ينص عليها في العقد أو القوانين أو اللوائح، فهي تتمتع بأساس قانوني مزدوج يتكون من فكرة تحقيق الصالح العام وما تنطوي عليه من تحقيق مقتضيات المرافق العامة، ومن فكرة امتيازات السلطة العامة والتي تعد سلطة الرقابة احدى تطبيقاتها، باعتبار ان اساس تحقيق الصالح العام هو الهدف الاسمي الذي من خلاله تمارس الادارة اعمالها القانونية وتتمتع بامتيازاتها وسلطاتها^(١٨). وبالاستناد الى ما تقدم نجد ان الادارة تتمتع بسلطة الرقابة حتى وان لم يرد لها اي ذكر في دفاتر الشروط بل حتى لو وجد نص في العقد على استبعادها فهي تبقى موجودة، بالإضافة الى ذلك ان الادارة عندما تبرم عقد الالتزام فأنها لا تكون طرفا في العقد بصفتها شخصا خاصا، كما هو الحال عندما تتولى ادارة اموالها الخاصة، بل تبرمه بصفتها سلطة عامة تعمل على ضمان سير واستغلال وادارة المرافق العامة، على اساس ان هذه الحقوق لا يجوز التنازل عنها^(١٩).

فضلا عن ذلك ان المحكمة الادارية العليا في مصر قد ذهبت الى القول "بان العقود الادارية تتميز عن العقود المدنية بطابع خاص، مناطه احتياجات المرفق الذي يستهدف العقد تسييره، وتغليب وجه المصلحة العامة على مصلحة الافراد الخاصة، فبينما تكون مصالح الطرفين في العقود المدنية متوازنة ومتساوية الا انها في العقود الادارية غير متكافئة، إذ يجب ان يعلو الصالح العام على المصلحة الفردية الخاصة، وهذه

١٥- د. عبد العزيز عبد المنعم خليفة، تنفيذ العقود الادارية وتسوية منازعاته قضاءً وتحكما، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، ٢٠١٠، ص ٣١.

١٦- د. حمدي القبيلات، القانون الاداري، ج ٢، ط ١، دار وائل للنشر، الاردن، ٢٠١٠، ص ٩٦.

١٧- ينظر: الشروط العامة لمقاولات أعمال الهندسة المدنية بقسميها الأول والثاني لسنة (١٩٨٨م) المعدلة الصادرة عن وزارة التخطيط.

١٨- محمد رضا جنيح، القانون الاداري، ط ٢، فنون للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ٢٥٤.

١٩- د. مهدي نجار، القانون الاداري العام، دار الشمال للطباعة والنشر، مصر، ١٩٩٠، ص ٣٠٣.

الفكرة هي التي تحكم الروابط الناشئة عن العقد الاداري، ويترتب على ذلك ان للإدارة سلطة الاشراف والتوجيه على تنفيذ العقود الادارية^(٢٠).

وخلاصة ما تقدم يمكن القول ان فقه القانون والقضاء المقارن يجمع على ان كل العقود الادارية تكون قابلة للتعديل من جانب الادارة بإرادتها المفردة، ويعود السبب في ذلك لحسن ضمان سير المرافق العامة فتستطيع الادارة إذا اقتضت المصلحة العامة وحسن سير المرفق العام أن تعدل في مقدار التزامات المتعاقد معها بالزيادة او النقصان، وهذا الحق ثابت بالنسبة للإدارة ولو لم يتم النص عليه في العقد.

الفرع الثاني: سلطات الادارة الاستثنائية عند وجود النص القانوني

إنَّ العقود الادارية أو دفاतर الشروط قد تتضمن نصوصاً تبين كيفية ممارسة الادارة لسلطة الرقابة والاشراف على تنفيذ العقد الاداري والوسائل المتبعة في تحقيق ذلك الهدف، ففي عقود الاشغال العامة : صفة خاصة كثيراً ما تنص دفاतर الشروط العامة على السلطات المخولة للموظفين المندوبين للرقابة والاشراف على تنفيذ الاشغال، الا ان الادارة ليس لها ان تبالغ تحت ستار حق الرقابة والتوجيه الى حد تغيير موضوع العقد او الاعتداء على حق المتعاقد الاخر، اضافة الى ذلك نجد ان بعض القوانين واللوائح المتعلقة بأنواع معينة من العقود قد تبين التزامات المتعاقد وسلطة الادارة في مراقبة تنفيذ هذه العقود ووسائل ممارسة هذه السلطة^(٢١).

ومن الامثلة على ذلك في العراق تعليمات مناقصات التوريد والشراء بالنسبة لوكالات الدولة او القطاع الاجتماعي ال صادرة من الدائرة القانونية منظمة التخطيط بمجلس الوزراء لجمهورية العراق لسنة ٢٠٠١ والمعلقة بموجب امر سلطة الائتلاف المؤقتة المنحلة رقم (٨٧) لسنة ٢٠٠٤، كذلك تعليمات تنفيذ ومتابعة مشاريع وعمل خطة التطور الوطني ال صادرة من الدائرة القانونية لوزارة التخطيط لسنة ١٩٨٨ والمعلقة ايضا بموجب الامر المذكور انفا والذي ينص في القسم (١٠/ج) على حق اي وحدة او وكالة حكومية تمنح العقود بالتدخل ولها الحق بمراقبة سجلات المقاول المالية المتعلقة بطرح المناقصة العامة^(٢٢)، وهذا الحق بالمراقبة تقوم به بجانب اي مسؤوليات للأشراف تمارسها المديرية غير المسؤولة عن طرح المناقصة، ويجوز لمديرية ادارة العقود العامة ان تؤسس وكالة مركزية لخدمات ومراقبة المشتريات العامة^(٢٣).

إما في مصر فنجد ان القانون رقم(١٢٩) لسنة ١٩٤٧ الخاص بنظام المرافق العامة والمعدل بالقانون رقم ٤٩٧ لسنة ١٩٥٤ والقانون رقم ١٨٥ لسنة ١٩٨٥ على انه (لمانح الالتزام أن يراقب انشاء المرفق العام موضوع الالتزام وسيره من النواحي الفنية والادارية والمالية، وله في سبيل ذلك تعيين مندوبين عنه في مختلف الفروع والادارات التي ينشأها الملتزم لاستغلال المرفق، ويختص هؤلاء المندوبين بدراسة تلك النواحي وتقديم تقرير بذلك لمانح الالتزام)^(٢٤).

٢٠- د. محمد جمال، العقد الاداري (دراسة مقارنة)، مكتبة القانون والاقتصاد، الرياض، بلا سنه طبع، ص ١٣١.

٢١- د. ابراهيم الفياض، العقود الادارية، ط١، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، بلا سنه طبع، ص ٣٥.

٢٢- د. محمد جمال، مصدر سابق، ص ١٣٢.

٢٣- د. حسين عثمان، اصول القانون الاداري، ج ١، ط١، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٦، ص ٣٣.

٢٤- د. ابراهيم الفياض، مصدر سابق، ص ٣٥.

اضافة الى ذلك نجد أن المادة (٧٩) من اللائحة التنفيذية لقانون المناقصات والمزايدات المصري رقم (٨٩) لسنة ١٩٩٨ قد نصت على (يلتزم المقاول باتباع جميع القوانين واللوائح الحكومية والمحلية ذات الصلة بتنفيذ موضوع العقد، كما يكون مسؤولاً عن حفظ النظام بمواقع العمل وتنفيذ أوامر الجهة الادارية بإبعاد كل من يهمل أو يرفض تنفيذ التعليمات أو يحاول الغش أو يخالف احكام هذه الشروط...) (٢٥).

إما فيما يتعلق بموقف الفقه فنجد ان البعض يذهب الى القول بانه لا يجوز ممارسة الرقابة من جانب الادارة الا في الحالات والشروط المنصوص عليها في القوانين ودفاتر الشروط وان هذه السلطة ليست حقا للإدارة ومن ثم لا يمكن ان تمارسها الا اذا وجد شرط او بند في العقد ما بين الطرفين يحدد هذه السلطة، فيكون اساس سلطة الرقابة وفق هذا الرأي هو اتفاق الطرفين ليس الا، بينما يرى الجانب الاخر ان خلو العقد الاداري من نص يعطي للإدارة حقا في الرقابة على تنفيذه ولا يحرم الادارة من هذا الحق، باعتباره حقا اصيلا مقررًا للإدارة كسلطة عامة تستمد من المبادئ العامة للقانون الاداري وليس من نصوص العقد، إذ يقتصر دور النص ان وجد على الكشف عن حق الادارة في استعمال هذا الحق وتنظيم وبيان وسائل وشروط مباشرة الادارة له، لذلك فان الادارة لا يمكن ان تتنازل عن حقها في الرقابة على تنفيذ العقود الادارية لأنها تعبير عن فكرة السلطة العامة في العمل الاداري وهي اختصاصات لا يمكن ان تكون محل تعاقد او اتفاق بين الادارة والافراد (٢٦).

ومن جانبنا نجد أن الرقابة التي تمارسها الادارة من اجل تنفيذ العقد الاداري تستند بالدرجة الاساس الى النصوص التي اوردتها دفاتر الشروط العام في مختلف القوانين سواء في العراق ام مصر، فالرقابة اذن تجد اساسها القانوني وترتكز الى النصوص ان كانت هذه النصوص موجودة سواء في القوانين أو اللوائح أو دفاتر الشروط أو نصوص العقد، وما يمكن ملاحظته في هذا المجال ان الادارة وان كانت تستند في ممارسة سلطة الرقابة في حالة وجود النص على ذلك الا انه في بعض الاحيان قد لا توجد نصوص تميز للإدارة ذلك، فهذا لا يعني ان سلطة الرقابة غير موجودة بل يحق للإدارة ممارسة هذه الرقابة باعتبارها طابع عام اي انها موجودة حتى في حالة عدم النص عليها في العقد.

المبحث الثاني: استعمال الادارة لسلطة تعديل العقد

من المبادئ الرئيسية التي تقوم عليها عقود القانون الخاص قاعدة العقد شريعة المتعاقدين ومضمون هذه القاعدة أن ما اتفق عليه طرفا العقد بإرادتهما ملزم لهما ويترب على ذلك بأنه ليس لأي من طرفي العقد الرجوع عن العقد أو تعديله أو إلغائه أو وقف سريانه إلا باتفاق الطرفين أو بنص القانون، بمعنى أن للعقد في حدود موضوعه قوة نفاذ مساوية لقوة القانون، وهذا ما يعرف في فقه القانون بقاعدة العقد شريعة المتعاقدين، والعقد لا يكون ملزماً لطرفي العقد وحدهم وإنما يكون ملزماً بالنسبة للقاضي، فلا يستطيع القاضي تعديل العقد وإنهاءه لاعتبارات تتعلق بالعدالة إلا إذا ورد نص في القانون يجيز له ذلك ويكون التعديل في الحدود التي رسمها المشرع في النص، الا ان الطبيعة الخاصة للعقود الادارية وعدم مساواة

٢٥- د. مازن ليلو، مصدر سابق، ص ٢٩٥.

٢٦- نقلا عن: د. سليمان محمد الطماوي، مصدر سابق، حكها في القضية رقم (١٦٠٩) لسنة (١٠ قضائية)، ص ٤٤٠.

المتعاقدين لكون الفرد يسعى الى تحقيق مصلحته الخاصة، بخلاف الادارة التي تسعى الى تحقيق المصلحة العامة، مما يقتضي ترجيح كفة الادارة في مواجهة المتعاقد معها، ومن مستلزمات ذلك أن لا تنقيد الادارة بقاعدة العقد شرعية المتعاقدين، وان تتمكن من تعديل عقودها لتتمكن من تلبية التغير المستمر في المرافق التي تديرها (٢٧).

فالادارة تستمد هذه السلطة من المصلحة العامة، ولكنها ليست مطلقة، إذ تمتلك الإدارة حق التعديل في العقد تعديلاً كمياً (بالزيادة أو النقصان، كزيادة مقدار اللوازم محل العقد أو نقصانها وإضافة بعض الحجرات للمبنى المقرر انشاؤه أو إلغاء حجرات في عقد اشغال خاصة ببناء عقود الاشغال الحكومية)، أو نوعياً (بدون زيادة أو نقصان في الكميات)، أو زمنياً (إذ يتم ذلك بتعديل برنامج سير الاعمال أو التوريدات كاستبدال أو وقف الاعمال أو الإبطاء في انجاز الاعمال أو توريد اللوازم) كلما اقتضت ذلك ظروف المشروع أو تنفيذه (٢٨). وسلطة الادارة في تعديل العقد الاداري هو حق ثابت لها يميز للإدارة استعماله حتى لو خلا العقد من نص بشأنه، ولو احتوى العقد على نص يحظره يبطل هذا النص ويبقى حق التعديل للإدارة قائماً.

وفي ضوء ما تقدم سنقسم هذا المبحث على مطلبين نتناول في المطلب الاول أثر قاعدة العقد شرعية المتعاقدين وسلطات الادارة الانفرادية، اما في المطلب الثاني فسنتناول فيه ضمانات المتعاقدين تجاه استعمال الادارة غير المشروع لسلطة التعديل.

المطلب الأول: أثر قاعدة العقد شرعية المتعاقدين وسلطات الادارة الانفرادية

إنَّ العقد الإداري شأنه شأن العقد المدني يقوم على أساس توافق إرادتين لإحداث أثر قانوني معين، وأن مبدأ سلطان الإرادة هو مصدر القوة الملزمة للعقد المدني باعتبار أن الإرادة هي التي تنشئ العقد ويكون العقد قانون المتعاقدين، كما أن مبدأ سلطان الإرادة يقوم على أساس الحرية التعاقدية، فالفرد حر في أن يتعاقد أو لا يتعاقد وإذا ما تعاقد بإرادته الحرة ألزم نفسه بإرادته بما تعاقد عليه فلا يملك أي طرف من أطراف العقد تعديل العقد أو تمديده أو إلغائه إلا بموافقة الطرفين (٢٩)، ومع ذلك فإن مبدأ سلطان الإرادة لم ينبج من النقد كما بينا باعتبار أن العقد لا ينشأ من اتفاق الإرادات فحسب وإنما العقد ينشأ نتيجة لفاعلية الإرادة في تحريك القواعد القانونية الموضوعية ولذلك ظهرت اتجاهات فقهية حاولت أن تخفف من قوة قاعدة العقد شرعية المتعاقدين، ذلك أن هذه القاعدة لا تكفي بمحد ذاتها لإلزام المتعاقدين بمضمون العقد إذ كثيراً ما يفرض المشرع نصوصاً تضع الحدود القانونية للحرية التعاقدية يكون المتعاقدان ملزمين بممارسة هذه الحرية ضمن هذا النطاق ولذلك فإن التطور التاريخي لهذه القاعدة -أي قاعدة العقد شرعية المتعاقدين- شهد تدخلاً كبيراً من جانب القانون لحماية الطرف الضعيف (٣٠).

٢٧- د. حسين عثمان، مصدر سابق، ص ٣٤.

٢٨- د. مهدي النجار، مصدر سابق، ص ٣٠٤.

٢٩- محمد حسن جاسم، النظام القانوني لإبرام عقد الأشغال العامة، رسالة ماجستير، كلية الحقوق، جامعة النهرين، ٢٠٠٦، ص ٣٢.

٣٠- د. إبراهيم طه الفياض، العقود الإدارية، النظرية العامة وتطبيقها في القانون الكويتي والمقارن مع شرح قانون المناقصات

الكويتي رقم (٣٧) لسنة (١٩٤٦م)، مكتبة الفلاح، ط ١، ١٩٨١، ص ٣٣.

وفي ضوء ما تقدم سنقسم هذا المطلب على فرعين نتناول في الاول موقف التشريعات المعاصرة من قاعدة العقد شريعة المتعاقدين، أما في الفرع الثاني فسنتناول موقف الفقه والقضاء من سلطة الادارة في تعديل العقد.

الفرع الأول: موقف التشريعات المعاصرة من قاعدة العقد شريعة المتعاقدين

إنَّ الادارة وان كانت تتمتع بامتيازات تميز لها تعديل العقد بإرادتها المنفردة خدمة للصالح العام ولكنها تكون في احيانا اخرى محكومة بقاعدة العقد شريعة المتعاقدين فنجد ان معظم التشريعات المدنية المعاصرة قد نصت على هذه القاعدة، كأساس للقوة الملزمة للعقود ففي العراق نجد ان المادة (١٤٦/١) من القانون المدني العراقي قد نصت على القوة الملزمة للعقد بقولها (إذا نفذ العقد كان لازماً ولا يجوز لأحد العاقدين الرجوع عنه ولا تعديله إلا بمقتضى نص في القانون أو بالتراضي)، كما ألزمت المادة (١٥٠) منه المتعاقدين بتنفيذ العقد وفقاً لما ورد فيه وبحسن نية حيث نصت الفقرة (١) من هذه المادة على أنه يجب تنفيذ العقد طبقاً لما اشتمل عليه وبطريقة تتفق مع ما يوجبه حسن النية).

وكذلك الحال فعل المشرع المصري حيث نصت المادة (١٤٧/١) من القانون المدني المصري على أن (العقد شريعة المتعاقدين، فلا يجوز نقضه ولا تعديله إلا باتفاق الطرفين أو للأسباب التي يقررها القانون)^(٣١)، وأيضاً نصت المادة (١٤٨) مدني سوري على هذه القاعدة بقولها (العقد شريعة المتعاقدين لا يجوز نقضه ولا تعديله إلا باتفاق الطرفين أو للأسباب التي يقررها القانون)، وكذلك فعل المشرع اللبناني في المادة (٢٢١) من قانون الموجبات والعقود اللبناني حيث جاء فيها (إن العقود المنشأة على الوجه القانوني تلزم المتعاقدين ويجب أن تفهم وتفسر وتنفذ وفقاً لحسن النية والإحسان صاف والعرف) هذا وقد أخذت الكثير من التشريعات العربية والغربية بهذه القاعدة^(٣٢).

ومع ذلك فإن هذه القاعدة بدأت تتعرض للخروقات في مجال القانون الخاص ذاته من خلال ورود بعض الاستثناءات عليها التي تميز للمتعاقدين حق الرجوع أو العدول عن تنفيذ العقد بعد إبرامه من خلال إعطاء الحق للمستهلك لفسخ العقد بإرادته المنفردة ضمن مهلة معينة باعتبارها الطرف الضعيف في العلاقة التعاقدية وهو ما يطلق عليه المشرع الفرنسي بمصطلح (مهلة التروي أو التفكير "Délai de Réflexion") وهي عادةً تكون لمدة (٧) أيام تسري اعتباراً من تاريخ العقد أو تسليم البضائع، وقد شاع ما يعرف بحق العدول أو رخصة الرجوع في فرنسا خصوصاً فيما يتعلق بالبيع الاستهلاكية لتوفير نوع من الحماية للمستهلكين ومن هذه البيوع (البيع المنزلي) و(بيوع المسافات) التي تتم بين غائبين عن طريق الإذاعة أو التلفون، أو عن طريق التلفزيون أو ما يعرف تحت اسم (télé chat)^(٣٣).

٣١- د. رمضان أبو السعود، شرح مقدمة القانون المدني، النظرية العامة للحق، دار المطبوعات الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٩، ص ٤٩١.

٣٢- ألياس ناصيف، موسوعة العقود المدنية والتجارية، مفاعل العقد، ج ٢، ط ٢، بدون دار نشر، ١٩٩٨، ص ١٥٠. وينظر ايضا د. عبد المجيد الحكيم، الموجز في شرح القانون المدني، مصادر الالتزام، المكتبة القانونية، ٢٠٠٧، ص ٢٩٠.

٣٣- د. محمد جمال، مصدر سابق، ص ١٣٢.

الفرع الثاني: موقف الفقه والقضاء من سلطة الادارة في تعديل العقد

اختلف الفقه والقضاء الاداري حول مسألة اعطاء الادارة الحق في تعديل العقد بإرادتها المنفردة في الحالات التي لا ينص فيها العقد على هذا الحق أو التي لا تشير فيها القوانين واللوائح وذلك كعصر من عناصر النظرية العامة للعقود الادارية، فالبعض من الفقه المصري يذهب الى القول الى اعطاء الادارة حق التعديل الانفرادي للعقد وخير دليل على ذلك ما نصت عليه المادة (٧٨) من اللائحة التنفيذية للقانون رقم ٨٩ لسنة ١٩٩٨ على انه "... يحق للجهة الادارية تعديل كميات أو حجم عقودها بالزيادة أو بالنقص في حدود ٢٥٪ بالنسبة لكل بند بذات الشروط والاسعار دون أن يكون للمتعاقد مع هذه الجهات المطالبة بأي تعويض عن ذلك، ويجوز في حالة الضرورة القصوى الطارئة وبموافقة المتعاقد تجاوز النسبة الواردة في الفقرة السابقة..."^(٣٤).

في ضوء ذلك نجد ان سلطة الادارة في تعديل عقودها الادارية وفق نص المادة (٧٨) من اللائحة التنفيذية قد اصبحت متساوية بالنسبة لجميع العقود الادارية.

اضافة الى ذلك نجد ان غالبية الفقه المصري قد اكد على حق الادارة في تعديل عقودها الادارية بإرادتها المنفردة حتى ولو لم ينص على ذلك في العقد. بينما اختلف الجانب الاخر من الفقه الفرنسي حول اعطاء الادارة الحق في تعديل عقودها الادارية بإرادتها المنفردة فالبعض يميز للإدارة استخدام هذا الحق بحجة ان حق التعديل الانفرادي يعد من قبيل المصلحة العامة^(٣٥)، وانه اذا كان التعديل الانفرادي يحمل تجاوزا خطيرا على مبدأ الرضائية الذي هو حجة المتعاقدين الاساسية في محتوى حقوقهما والتزامتهما فإن هذا التجاوز يوازي فوراً عن طريق الاعتراف للمتعاقد مع الادارة بالحق في التعويض المناسب، بينما يرى الجانب الاخر من الفقه الفرنسي ان الادارة لا تمتلك الحق في تعديل العقد الاداري بالإرادة المنفردة ولا يمكن ان تجد اساساً قانونياً لها إلا في نص صريح واضح في دفاتر شروط العقد فعندها يكون التعديل وفق قاعدة العقد شريعة المتعاقدين أو ضمن نصوص تشريعية^(٣٦). وعلى الرغم من وجود الاتجاه المعارض لحق الادارة في التعديل الانفرادي لعقودها الادارية أو جزء منها الا ان غالبية الفقه الفرنسي قد اقرت بحق الادارة في تعديل العقود الادارية. فبالرغم من الاختلاف الفقهي الحاصل حول احقية الادارة في التعديل من عدمه في فرنسا الا ان الاتجاه المعتمد حالياً هو التسليم للإدارة بحق التعديل الانفرادي للعقد الاداري ضمن ضوابط معينة مع المحافظة على حقوق المتعاقد مع الادارة من خلال منحه حق التعويض فيما اذا الحق التعديل ضرراً مالياً للمتعاقد^(٣٧).

كذلك الحال نجد ان الفقه في العراق ومصر وسوريا ولبنان لا يعطي لسلطة الإدارة في إجراء المتغيرات على العقد الإداري سواء بالتعديل أو الفسخ أو الإلغاء الا بموجب النصوص التشريعية أو نلتزمه في أحكام القضاء وبتأييد غالبية الفقه فعلى سبيل المثال اجازت المادة (١٤/أولاً) من تعليمات تنفيذ العقود الحكومية رقم (١) لسنة (٢٠٠٨) المعدلة تمديد مدد العقود خلافاً للمدة المحددة في صلب العقد، كما

٣٤- د. مازن ليلو، مصدر سابق، ص ٢٩٤.

٣٥- د. محمد رفعت عبد الوهاب، النظرية العامة للقانون الاداري، دار الجامعة الجديد، الاسكندرية، ٢٠١٢، ص ٦٢٣.

٣٦- د. محمد رضا جنيح، مصدر سابق، ص ٢٥٤.

٣٧- د. سمير صادق، العقد الاداري في مبادئ الادارية العليا، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩١، ص ٢٣٠.

أجازت المادة (١٥) من التعليمات نفسها إجراء التغيير على الأعمال المتعاقد عليها أو إضافة أعمال أو كميات جديدة في حالة الضرورة القصوى وبأضيق نطاق ممكن وفي حالات محددة على سبيل الحصر في المادة المذكورة، إما فيما يتعلق بتعليمات تنفيذ العقود الحكومية رقم (٢) لسنة ٢٠١٤ والضوابط الملحقة بها فنجد أن الاصل في هذه التعليمات أن يلتزم المتعاقد بتنفيذ بنود العقد خلال المدة المنصوص عليها في شروطه وتحسب تلك المدة من تاريخ المباشرة أو أي تاريخ آخر ينص عليه في هذا العقد، ولكن هناك حالات تميز فيها التعليمات للمقاول تمديد العقد، إذا تقرر إجراء أي زيادة أو تغيير في الأعمال موضوع العقد أو الكميات المطلوب تجهيزها كما ونوعاً بما يؤثر في تنفيذ المنهاج المتفق عليه بحيث لا يمكن أكملها ضمن المدة المتفق عليها بموجب العقد الأصلي على أن يتم مراعاة النسبة المحددة للتمديد في تعليمات تنفيذ العقود الحكومية النافذة وكذلك الشروط العامة لأعمال الهندسة المدنية بقسميها الأول والثاني^(٣٨). وبالرجوع إلى قرارات محكمة تمييز العراق نجد أنها قد أعطت للإدارة حق تعديل العقد بصورة منفردة استناداً إلى قرارها الاتي "إن الميعاد الذي أيدته جهة الإدارة لاعتباره تاريخاً لاستلام العمل يُعدُّ تعديلاً لشروط المفاوضة وارتفعت مسؤولية المفاوضة مما يكون ظاهراً من عيب بحكم المادة (٨٧٥) من القانون المدني"^(٣٩).

أما فيما يتعلق بموقف القضاء الإداري من حق الإدارة في التعديل فنجد أن القضاء الإداري في فرنسا ومصر والعراق قد أكد على قاعدة العقد الإداري شريعة المتعاقدين في أحكام عديدة حيث ذهب مجلس الدولة الفرنسي في حكم صادر له عام (١٩٢٣) إلى القول (.. أن العقد الإداري كما العقود المدنية تقوم أساساً على قاعدة العقد شريعة المتعاقدين ولا يمكن لأطراف العقد أن يعدلوه أو يفسخوه إلا بإرادتهم المشتركة...)^(٤٠)، وأيضاً أشار مجلس الدولة الفرنسي في أكثر من مناسبة إلى أن العقد الإداري ينظم كافة الالتزامات المتبادلة بين طرفيه والتي أقرها بتوافق الإرادات حيث ذهب مجلس الدولة الفرنسي في قضية إنارة مدينة بوردو (Bordeaux) إلى أن (من حيث الأصل أن عقد الالتزام ينظم حتى انقضائه وبطريقة نهائية الالتزامات المتبادلة لكل من الملتزم ومناح الامتياز)^(٤١).

أما القضاء الإداري المصري فنجد أنه حافظاً بالأحكام التي تؤيد حق الإدارة في التعديل الانفرادي للعقد فقد أكدت محكمة القضاء الإداري على ذلك بقولها "تختلف العقود الإدارية عن العقود المدنية أنها تستهدف مصلحة عامة.. أن الإدارة وهي صاحبة الاختصاص في تنظيم المرفق وتحديد قواعد تسييره، تملك حق تعديل العقد بما يلائم هذه الضرورة ويحقق تلك المصلحة"، وقد أكدت المحكمة الإدارية العليا ذات المبدأ "إذ قررت أن العقود الإدارية تتميز عن العقود المدنية بطابع خاص هو احتياجات المرفق الذي يستهدف العقد تسييره وتغليب وجه المصلحة العامة على مصلحة الأفراد الخاصة يترتب على ذلك أن

٣٨- د. مهذب النجار، مصدر سابق، ص ٣٠٤، وينظر: أيضاً تعليمات تنفيذ العقود الحكومية رقم ٢ لسنة ٢٠١٤ الفصل التاسع، دار العقود الحكومية، الطبعة المنقحة، ٢٠١٧، ص ٥٤.

٣٩- ينظر: حكم محكمة التمييز حكماً في القضية (١٠٤٦ / ح / ١٩٦٥) في (٢٩ / ٦ / ١٩٦٦) والمنشور في مجلة ديوان التدوين القانوني، العدد الثاني، السنة الخامسة، ١، (١٩٦٦)، ص ٢١٥.

٤٠- د. أعاد القيسي، الوجيز في القانون الإداري، ط ١، دار وائل للنشر، عمان، ١٩٩٨، ص ٢٢.

٤١- ينظر: حكم المحكمة الإدارية العليا في مصر الصادر في ١٩٥٧/٤/٢٠ السنة الثانية، رقم ٩٧، ص ٩٣٧.

للإدارة حق تغيير شروط العقد وإضافة شروط جديدة^(٤٢). أما في العراق فإن محكمة التمييز قد أكدت في أحكامها على أن أساس القوة الملزمة للعقد المدني أو الإداري هو إرادة متعاقدية طبقاً لقاعدة (العقد شريعة المتعاقدين) حيث جاء في حكمها الصادر بتاريخ (٢٣/١٠/١٩٨٦م) ما نصه (... وجد أن الحكم المميز غير صحيح لأن تعليمات تنفيذ مشاريع وأعمال خطط التنمية فيما يتعلق بنسبة الغرامات هي توجيه للدوائر ذات العلاقة، أما فيما بين المتعاقدين فالعبرة بما تضمنه العقد شريعة المتعاقدين فإذا كان عقد المفاوضة بين الطرفين قد نص على مقدار الغرامة التأخيرية فإن هذا النص هو الذي يعمل فيه...)^(٤٣)، ومما يؤكد هذا الاتجاه أن مجلس الوزراء الحالي قد أكد على عدم إدماج تعليمات تنفيذ العقود الحكومية رقم (١) لسنة (٢٠٠٨) المعدلة في العقود الحكومية واعتبارها جزءاً من العقد بل هي مجرد تعليمات تراعيها الجهات المنفذة عند إبرامها للعقود والمفهوم المخالف لهذا القول أن عدم تضمين العقود الإدارية حكماً ورد في هذه التعليمات لا يجعل من هذه التعليمات ملزمة للمتعاقد مع الإدارة طبقاً لقاعدة العقد شريعة المتعاقدين.

المطلب الثاني: ضمانات المتعاقد تجاه استعمال الادارة غير المشروع لسلطة التعديل

يقابل تمتع الادارة بسلطتها الاستثنائية في تعديل ما تبرمه من عقود ادارية لا نظير لها فيما تبرمه من عقود مدنية، التزام يقع عليها باستعمال تلك السلطة وفقاً لضوابط القانونية، فاذا ما حادت عنها الادارة كان للمتعاقد معها ضمانات تشكل في مجملها حقوقاً له لمواجهة خروج الادارة عن مبدأ المشروعية وهي بصدد اصدار قرارات تعديل العقد الاداري. في ضوء ما تقدم سنتناول هذه الضمانات من خلال تقسيم المطلب على فرعين وفق التفصيل الآتي:-

الفرع الأول: الامتناع عن تنفيذ قرار تعديل العقد

للمتعاقد مع الادارة الحق في الامتناع عن تنفيذ القرار الصادر من جانب الادارة فيما يتعلق بتعديل العقد اذا كان هذا التعديل مخالفاً للقانون كما لو تجاوز النسبة التي حددها المشرع الخاصة بموضوع العقد، دون ان تملك الادارة الحق في توقيع جزاءات مالية عليه، إذ ان نطاق تطبيق تلك الجزاءات يقتصر على حالة الامتناع عن تنفيذ الالتزامات التعاقدية أو التقاعس في ادائها، وليس في سلوك المتعاقد ما ينطبق عليه اي من الوصفين السابقين، باعتبار ان التعديل المخالف للقانون لا يشكل تنفيذه التزاماً قانونياً يتعين على المتعاقد الوفاء به، ففي حالة قيام الادارة بفرض الجزاءات المالية على المتعاقد الممتنع عن تنفيذ قرار التعديل فيكون من حقه اللجوء الى القضاء الذي بدوره يبحث عن مدى مشروعية التعديل من اجل معرفته الجزاء الذي قامت الادارة بفرضه هل هو مشروع ام غير مشروع؟^(٤٤).

٤٢- د. رمضان أبو السعود، شرح مقدمة القانون المدني، النظرية العامة للحق، دار المطبوعات الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٩، ص ٤٩١.

٤٣- ينظر: المادة (١/٤٧) مدني لبي و (١٩٦) مدني كويتي، (١٠٦) مدني جزائري، و (٢٠٩) مدني أردني، و (٢٣٠) من تقنين الالتزامات والعقود المغربي والمادة (١١٣٤) مدني فرنسي و (١٠٩١) مدني أسباني.

٤٤- د. عبد المجيد الحكيم، الموجز في شرح القانون المدني، مصادر الالتزام، المكتبة القانونية، ٢٠٠٧، ص ٢٢٧٥.

الفرع الثاني: المطالبة بإلغاء قرار التعديل وفسخ العقد

للمتعاقدين مع الادارة له الحق ان يطلب بإلغاء القرار الصادر من جانب الادارة اذا كان هذا القرار غير مشروع وان ادعت الادارة انها قد استخدمت سلطاتها الاستثنائية في سبيل تحقيق المصلحة العامة فإذا كان القرار الصادر من جانبها بعيداً عن تحقيق تلك المصلحة وفيه مخالفة للقانون يجوز للمتعاقدين في هذه الحالة ان يطعن في هذا القرار لأن الادارة قد انحرفت في استعمال سلطاتها، اضافة الى ذلك ان الادارة قد لا تستند في اصداره الى مبرر من تغير الظروف بعد إبرام العقد بما يجعله غير محقق للغاية من إبرامه الأمر الذي يكون بوسع المتعاقدين مع الإدارة معه الطعن على قرار التعديل وذلك لانعدام السبب إذ ان القرار قد افتقد الى الحالة الواقعية والقانونية التي تبرر اصداره^(٤٥).

اضافة الى ذلك يستطيع المتعاقدين مع الادارة ان يطلب فسخ العقد إذا كان قرار التعديل الصادر من جانب الادارة يؤدي الى الاخلال بالتوازن المالي للعقد، أو القاء التزامات جديدة عليه تتعدى إمكاناته الفنية أو المالية، بحيث يكون من شأن وفائه بتلك الالتزامات ارهاقاً مالياً بصورة كبيرة، ففي هذه الحالة يلجأ المتعاقدين الى المطالبة بفسخ العقد، ويرجع السبب في ذلك ان المتعاقدين عندما اقدم على إبرام العقد كان في اعتباره أوضاعاً معينة تتعلق بإمكاناته وقدراته الفنية، الأمر الذي لا يجوز معه للإدارة تحميله بما يجاوز تلك القدرات، إذ يكون له في هذه الحالة المطالبة بالتعويض إذا كان هناك مبرر لذلك^(٤٦). هذا من جانب ومن جانب آخر نجد ان المتعاقدين عندما يطلب بفسخ العقد الاداري لا يعني انه قد تخلل من التزاماته اتجاه الادارة بل يبقى مسؤولاً امامها حين البت بطلب الفسخ من قبل القاضي الاداري فهذا الالتزام يبقى قائماً حتى يصدر قرار الفسخ^(٤٧).

الخاتمة

لقد توصلنا في بحثنا هذا الى جملة من النتائج والتوصيات يمكن الاشارة اليها وفق الآتي:-

أولاً: النتائج

- ١- اتضح لنا من خلال البحث ان الادارة تتمتع بامتيازات وسلطات استثنائية في مواجهة المتعاقدين معها من اجل ممارسة الرقابة على تنفيذ العقد وتعديله.
- ٢- إنَّ الحقوق والامتيازات التي تتمتع بها الادارة لا يشترط بالضرورة ان تستند الى نص قانوني يجيز للإدارة ممارسة هذا الحق ففي احيان نجد وجود نص يجيز للإدارة استخدام هذا الحق وفي احيانا اخرى لا يوجد ولكن ذلك لا يعد عائقاً لمنع الادارة من ممارسة حقها في الرقابة انطلاقاً من مبدأ ضمان انتظام سير المرفق العام وتحقيق المصلحة العامة فهو يعد من القواعد العامة إذ يعد هذا الاستثناء من النظام العام ولا يجيز للإدارة مخالفته.

٤٥- عبد العزيز عبد المنعم خليفة، مصدر سابق، ص ٦٠.

٤٦- سليمان الطماوي، مصدر سابق، ص ٤٦٠.

٤٧- عبد العزيز عبد المنعم، المصدر السابق، ص ٦٠.

٣- إنَّ موقف الفقه اتجاء ممارسة الادارة لهذا الحق يوجد فيه اختلاف فالبعض يذهب الى القول بانه لا يجوز ممارسة الرقابة من جانب الادارة الا في الحالات والشروط المنصوص عليها في القوانين ودفاتر الشروط، بينما يرى الجانب الاخر ان خلو العقد الاداري من نص يعطي للإدارة حقاً في الرقابة على تنفيذه ولا يحرم الادارة من هذا الحق، باعتباره حقاً اصيلاً مقررّاً للإدارة كسلطة عامة تستمد من المبادئ العامة للقانون الاداري وليس من نصوص العقد.

٤- اتضح لنا ان سلطة الادارة في تعديل العقد ليست مطلقة من كل قيد وان الادارة لا تمتلك أن تمس المزايا المالية المتفق عليها في العقد والذي يتمتع بها المتعاقد معها، فيجب على الادارة المتعاقدة أن تلتزم حدود المشروعية القانونية وهو ما يستلزم صدور التعديل من السلطة المختصة قانوناً بإجرائه.

ثانياً: التوصيات

١- إنَّ النزاعات الناشئة عن العقود الادارية ما زالت خاضعة للمحاكم العادية بالرغم من انشاء المحكمة الادارية في العراق، بالإضافة الى ذلك عدم وجود قوانين وتشريعات خاصة لتنظيم العقود الادارية بشكل مستقل ومنظم، مما قد يؤدي الى حدوث الكثير من المشاكل من الناحية النظرية وحتى العملية لذلك نقترح على المشرع العراقي ان يعطي لمحكمة القضاء الاداري استقلالية في فصل النزاعات الخاصة بالأموال الادارية بعيداً عن القضاء العادي.

٢- نقترح على المشرع العراقي معالجة الكثير من الثغرات الموجودة في التشريعات العراقية القائمة فيما يتعلق بتحديد قواعد وطرق ابرام العقود الادارية وسلطات الادارة وحقوق المتعاقد.

٣- ندعو المشرع ووزارة التخطيط إلى إعادة النظر في دفاتر الشروط الخاصة بالأعمال المدنية والأعمال الكهربائية والميكانيكية والكيميائية ونقصد بذلك (الشروط العامة لمقاولات أعمال الهندسة المدنية بقسميها الأول والثاني لسنة ١٩٨٨)، والشروط العامة لمقاولات أعمال الهندسة الكهربائية والميكانيكية والكيميائية بقسميها الأول والثاني لسنة ١٩٨٨م) من خلال جعلها متوافقة مع المعايير الدولية للعقود الإدارية.

٤- نوصي باستبعاد جزاء الفسخ الذي يقع بطلب من المتعاقد بسبب تجاوز الإدارة القيود الشكلية أو الموضوعية لسلطة التعديل، لأنَّ الفسخ يعني انقضاء الرابطة التعاقدية بين الإدارة والمتعاقد معها، وهذا يؤدي بداهة إلى شل جزء من تنفيذ خطة التنمية- مما يؤدي إلى الإضرار بالمصلحة العامة.

المصادر

أولاً: الكتب

١. ابراهيم الفياض، العقود الادارية، ط ١، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، بلا سنه طبع.
٢. إبراهيم طه الفياض، العقود الإدارية، النظرية العامة وتطبيقاتها في القانون الكويتي والمقارن مع شرح قانون المناقصات الكويتي رقم (٣٧) لسنة (١٩٤٦م)، مكتبة الفلاح، ط ١، ١٩٨١.
٣. اعداد القيسي، الوجيز في القانون الاداري، ط ١، دار وائل للنشر، عمان، ١٩٩٨.

٤. ألياس ناصيف، موسوعة العقود المدنية والتجارية، مفاعيل العقد، ج ٢، ط ٢، بدون دار نشر. ١٩٩٨.
٥. حسين عثمان، اصول القانون الاداري، ج ١، ط ١، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٦.
٦. حمدي القبيلات، القانون الاداري، ج ٢، ط ١، دار وائل للنشر، الاردن، ٢٠١٠.
٧. رمضان أبو السعود، شرح مقدمة القانون المدني، النظرية العامة للحق، دار المطبوعات الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٩.
٨. رمضان أبو السعود، شرح مقدمة القانون المدني، النظرية العامة للحق، دار المطبوعات الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٩.
٩. سليمان الطماوي، الاسس العامة للعقود الإدارية، ط ٥، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٨.
١٠. سمير صادق، العقد الاداري في مبادئ الادارية العليا، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩١.
١١. الشروط العامة لمقاولات أعمال الهندسة المدنية بقسميها الأول والثاني لسنة (١٩٨٨م) المعدلة الصادرة عن وزارة التخطيط.
١٢. عبد العزيز عبد المنعم خليفة، تنفيذ العقود الادارية وتسوية منازعاته قضاءً وتحكيمًا، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، ٢٠١٠.
١٣. عبد المجيد الحكيم، الموجز في شرح القانون المدني، مصادر الالتزام، المكتبة القانونية، ٢٠٠٧.
١٤. علي الفحام، سلطة الإدارة في تعديل العقد الإداري، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٦.
١٥. علي عبد الامير قبلان، اثر القانون الخاص على العقد الإداري، ج ١، ط ١، مكتبة زين الحقوقية، لبنان، ٢٠١١.
١٦. علي عبد العزيز، سلطة الادارة في تعديل العقد الاداري (دراسة مقارنة)، اطروحة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة عين الشمس، ١٩٧٥.
١٧. عمر حلمي، سلطة الادارة في تعديل العقد الاداري وضمانات المتعاقد في مواجهتها، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٦.
١٨. مازن ليلو راضي، القانون الاداري، ط ٣، مطبعة جامعة دهوك، العراق، ٢٠٠٧.
١٩. محمد جمال، العقد الاداري (دراسة مقارنة)، مكتبة القانون والاقتصاد، الرياض، بلا سنه طبع.
٢٠. محمد حسن جاسم، النظام القانوني لإبرام عقد الأشغال العامة، رسالة ماجستير، كلية الحقوق، جامعة النهرين، ٢٠٠٦.
٢١. محمد رضا جنيح، القانون الاداري، ط ٢، فنون للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٨.
٢٢. محمد رفعت عبد الوهاب، النظرية العامة للقانون الاداري، دار الجامعة الجديد، الاسكندرية، ٢٠١٢.
٢٣. مهذب نجار، القانون الاداري العام، دار الشمال للطباعة والنشر، مصر، ١٩٩٠.
٢٤. مهند مختار نوح، الايجاب والقبول في العقد الاداري (دراسة مقارنة)، ط ١، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٥.

٢٥. نصري منصور نابلسي، العقود الادارية (دراسة مقارنة)، ط ١، مكتبة زين الحقوقية، لبنان، ٢٠١٠.

ثانيا: الاحكام القضائية

١. حكم محكمة القضاء الاداري المصري الصادر في ١٩٥٧/٦/٣٠، السنة ١١، رقم ٣٧٧.
٢. حكم المحكمة الادارية العليا المصرية الصادر في ١٩٥٧/٤/٢٠، المجموعة السنه، رقم ١٧.
٣. حكم محكمة القضاء الاداري في مصر، رقم ٩٨٣، س٧، جلسة ١٩٥٧/٦/٣٠.
٤. حكم المحكمة الادارية العليا في مصر الطعن رقم ١٩٤٤ لسنة ٣٣ ق جلسة ١٩٨٩/٤/٢٩.
٥. حكم المحكمة الادارية العليا في مصر الصادر في ١٩٥٧/٤/٢٠، السنه الثانية، رقم ٩٧.

ثالثا: القوانين والتعليمات

١. القانون المدني العراقي رقم (٤٠) لسنة (١٩٥١م).
٢. القانون المدني الفرنسي، مجموعة دالوز، باريس، (١٩٨٧م).
٣. تعليمات تنفيذ العقود الحكومية رقم ١ لسنة ٢٠٠٨.
٤. الشروط العامة لمقاولات أعمال المهندسة المدنية في العراق لسنة ٢٠٠٥.
٥. تعليمات تنفيذ العقود الحكومية رقم ٢ لسنة ٢٠١٤ والضوابط الملحقه بها.

رابعا: الأوامر والقرارات

- أمر سلطة الائتلاف المؤقتة (المنحلة) رقم (٨٧) لسنة (٢٠٠٤م) قانون العقود الحكومية.

المسؤولية الجنائية عن جريمة الإهمال

Criminal Liability of Negligence crime

م.م. مرتجى عبد الجبار مصطفى^(١) Assist. Lect. Murtaja A. Mustafa

الملخص

إنَّ جريمة الإهمال تلك الجريمة الناشئة من السلوك السلبي، يكون موضعه الطبيعي هو الركن المادي للجريمة وبالتالي وضعنا حدود فاصلة بين الخطأ غير العمدى والإهمال والجريمة غير العمدية، التي وقع كثير في شبهة الخلط بينهما. فالخطأ غير العمدى لا يساوي الجريمة غير العمدية بل هو يمثل الركن المعنوي فيها والذي يقابل القصد الجرمي في الجريمة العمدية، ولذا فإن الجريمة غير العمدية تتضمن الى جانب ركنها المعنوي ركنها ماديا، وهذا يعني أن الموضع الطبيعي للخطأ غير العمدى هو الركن المعنوي في حين أن موضع الإهمال هو الركن المادي. فالإهمال وفقا لهذه الرؤيا هو سلوك مادي معين بالترك او الامتناع الارادي يتمثل بالإخلال بواجب الحيلة والحذر والذي تترتب عليه الجريمة غير العمدية.

Abstract

The crime of negligence is the crime that arises from negative behavior. Its natural position is the physical element of the crime, and thus we have established a dividing line between unintentional error and negligence and unintentional crime, many of which have been confused. Non-intentional error does not equate to unintentional crime but represents the moral element in it, which corresponds to the intentional intent of the intentional crime. Thus, the unintentional crime involves, in addition to its moral corner, a physical element. This means that the natural location of the unintentional error is the moral element, Neglect is the physical corner. Neglect in accordance with this vision is a certain material behavior by voluntary

١- جامعة كربلاء / كلية الطب البيطري

abandonment or abstention is a breach of the duty of care and caution resulting from the crime of intentional.

المقدمة

في إطار الوظائف التقليدية للدولة، والمتمثلة في توفير الأمن الداخلي والخارجي والدفاع واقامة العدل وادارة المرافق العامة، قد يهمل الموظف أو المكلف بخدمة عامة في أداء أعمال وظيفته مما يترتب عليه اضرار جسيمة تلحق بأموال ومصالح الجهة التي يعمل بها، فضلا عن إن اخلال الموظف أو المكلف بخدمة عامة بواجبات وظيفته وإهماله في ادائها لم يعد مجرد جريمة تأديبية كما كانت في الماضي، بل أصبحت جريمة جنائية ترتب مسؤولية مرتكبها وتوجب ايقاع العقاب بحقه.

وفي إطار الوظائف الحديثة للدولة المعاصرة قد تتضاعف فرص الخطر ووقوع الحوادث غير العمدية كأثر للتقدم العلمي والتكنولوجي، ففي المشروعات الصناعية الكبيرة والتي تستخدم فيها الآلات والمعدات الميكانيكية وتستعمل في تدويرها القوى الغازية والكهربائية، بل وأحيانا الطاقة الذرية أو النووية في الدول المتطورة، قد يهمل المهندس أو العامل في إدارة هذه الآلات، مما يترتب عليه الحاق اfdح الإضرار بأموال وم صالح الدولة ناهيك عما يلحقه من أضرار فادحة بأرواح المواطنين وصحتهم، وقد يترتب ذلك الأثر عن عدم مراعاة القواعد والأنظمة والتعليمات المنظمة للعمل داخل تلك المشروعات او نتيجة استخدام عمال غير قادرين على ممارسة أنواع معينة من الأعمال وذلك بسبب نقص الخبرة الفنية والمهارة المطلوبة لأدائها، أو بسبب إرهاب رب العمل لهم، وعدم توفير الظروف المناسبة للقيام بها.

ولعل المجال الاوسع للجرائم الناشئة عن الإهمال هو مجال المرور، فمع تنوع وسائل المواصلات الالية المختلفة من طائرات وسفن وقطارات وسيارات ودراجات، ومع زيادة أعدادها واتساع نطاق استخدامها تتزايد على نحو طردي الجرائم غير العمدية التي تترتب على إهمال سائقي هذه الآلات.

وفيما يتعلق بجرائم المرور المرتكبة من قبل سائقي المركبات نجد أن الاحصاءات تشير الى ظاهرة غريبة وهي تزايد عدد جرائم القتل والاصابة غير العمدية تزايدا فاقت به عدد جرائم القتل والاصابة العمدية. فالتقدم العلمي والتقني الذي طرق ابواب مختلف مجالات الحياة والذي هدف به الانسان الى التطور والرفي، كان له ثمن باهظ، وهو اتساع دائرة الأنشطة التي يترتب على مزاولتها تعريض حياة الإنسان وسلامة جسمه وصحته للمخاطر.

المبحث الأول: مفهوم جريمة الإهمال واركائها

لأجل التعرف على جريمة الإهمال لابد من بيان ماهية جريمة الإهمال وصورها واسباب حدوثها ضمن المطلب الاول وفي المطلب الثاني نتعرف على الاساس القانوني للإهمال واركائه.

المطلب الأول: تعريف الإهمال وصوره:

الفرع الأول: تعريف الإهمال

يعرف الإهمال في اللغة هو ترك الشيء و عدم استعماله اما عن عمد أو نسيان، و يقال أهمل الشيء أي تركه و لم يعن به - و المهمل - هو المتروك بلا عناية أو رعاية^(٢)، اما في التشريعات الجنائية المقارنة لم توجد تعريفا محددا للإهمال و اما اكتفت بالنص عليه بإيراده بوصفه صورة من صور الخطأ تاركة مهمة تعريفه للفقهاء، و من هنا اوجد الفقه تعريف الإهمال، و تحديد مدلوله مسألة تستحق الوقوف عندها و البحث فيها، و على حد سواء مع باقي المسائل الفقهية، والفقه قد عرف الإهمال بـ "اتخاذ الفاعل سلوكا منظوبا على خطر وقوع امر يحظره القانون وخمول ارادته في منع هذا الخطر من الافضاء الى ذلك الامر"، وجريمة الإهمال "جريمة غير عمدية تقع نتيجة لأغفال الجاني او امتناعه عن الالتزام باتخاذ الحيطة والحذر التي اوجبها القانون على الافراد من اجل منع حدوث ضرر"^(٣)، وتعرف ايضا "بانها الجريمة التي تقع من خطأ الفاعل، والتي تعني انها الجريمة التي لا يقصد الفاعل وقوعها فالضرر في الجريمة نتيجة لسوء تصرفه في الوقت الذي كان من الميسور عليه ان يتوقع بان تصرفه قد يؤدي الى اوخم العواقب"^(٤)، الا ان عدة مدارس فقهية قامت بتعريف هذه الجريمة، و في داخل كل مدرسة ظهرت اتجاهات عديدة، فظهرت المدرسية الانجليزية، و ظهر فيها عدد من الآراء و الاتجاهات، فالاتجاه الاول ذهب الى أن الإهمال هو حالة ذهنية تتمثل أساسا في الاتجاه المعنوي الى اللامبالاة المخلة فيما يتعلق بسلوك المرء و نتائجه، و طبقا لهذه الرؤية فان الشخص المهمل هو الشخص الذي لا يبالي^(٥)، و ذهب اللورد (Atkin) الى تعريف الإهمال بانه "عدم اتخاذ العناية او نقص المهارة التي هي واجب على الجاني تجاه المجنى عليه"^(٦)، ويؤخذ على هذا الاتجاه انه قد خلط بين الإهمال و عدم المبالاة و الذي هو محل خلاف الفقهاء، أذ يدخله البعض في نطاق الخطأ مما يجعل الجريمة الناشئة عنه غير عمدية، في حين يدخله البعض الاخر في نطاق القصد الجرمي، عندما يقوم الشخص بسلوك خطر و يتوقع أن ينتج عنه ضرراً الا انه لا يكثرث للنتيجة و يستمر بذلك السلوك و هو ما يعرف لدينا بالقصد الاحتمالي، و فيه لا يقبل الجاني بالنتيجة الاجرامية المتوقعة و لكن يستوي لديه امر وقوعها او عدمه، فالجاني ياتي بالسلوك و ليحدث ما يحدث بعد ذلك، و في هذه الحالة تكون الجريمة عمدية^(٧).

٢- العلامة الجوهري، الصحاح في اللغة والعلوم المجلد الثاني، ص ٦٤٨.

٣- د. وداد عبد الرحمن القيسي، جريمة الإهمال دراسة مقارنة ط ٢، الناشر صادق جعفر الانباري ٢٠١٥، ص ٣٠.

٤- د. ابو الزيد علي المتيت، جرائم الإهمال ط ٢، منشأة المعارف الاسكندرية ١٩٦٥، ص ٢١.

٥- د. صفية محمد صفوت، القصد الجنائي و المسؤولية المطلقة دراسة مقارنة ط ١، دار ابن زيدون، بيروت ١٩٨٩، ص ١٦٣.

6- Edward Jenks: The book of English law, fifth edition, 1952.

٧- تنص المادة (٣٤/ ب) من قانون العقوبات العراقي على انه "تكون الجريمة عمدية اذا توافر القصد الجرمي الذي فاعلها و تعد الجريمة عمدية كذلك. ب- اذا توقع الفاعل نتائج اجرامية لفعله فأقدم عليه قابلا للمخاطرة بمحذوها"، و تقابل هذه المادة في قانون العقوبات اللبناني المرقم ٣٤٠ لسنة ١٩٤٣ المادة (١٨٩)، و في قانون العقوبات السوري المرقم ١٤٨ الصادر عام ١٩٤٩ المادة (١٨٨)، و في قانون العقوبات الأردني المرقم ١١ لسنة ١٩٦٠ المعدل المادة (٦٤).

اما الاتجاه الثاني في المدرسة الانجليزية، فيذهب الى عد الإهمال ضربا مميزا من ضروب السلوك، و بالتالي يعرفه "بانه الاخلال بواجبات الحيطه، واتخاذ الحيطه يعني الاحتياط تجاه افعال المرء الضارة و الامتناع عن انواع السلوك الخطر غير المعقول"^(٨).

ولم تكن المدرسة الفرنسية بعيدة عن تناول هذه المسالة البالغة الأهمية، فقد ظهرت داخل هذه المدرسة عدة آراء، ذهب الراي الغالب فيها الى "ان الخطأ في حالة الإهمال ينحصر، اما في عدم تقدير النتائج الضارة للعمل الذي يقوم به الفاعل، او بالاعتقاد بان هذه النتائج لا يمكن أن تحدث، او بعدم اتخاذ الاحتياطات اللازمة لمنع حدوثها"^(٩)، ويذهب الأستاذ (Laguier) الى "ان خطأ الإهمال أو عدم الاحتياط، لا يتضمن الرغبة بالنتيجة، وهو يفترض توقع النتيجة على أنها ممكنة، و ينحصر في عدم اتخاذ الاحتياطات التي كانت تمنع من حدوث الضرر"^(١٠).

وفي اطار الفقه العربي ظهرت عدة اتجاهات في تعريف الإهمال، أذ يذهب بعضهم الى تعريفه بانه "نكول الجاني عن اتخاذ ما يقتضي واجب الحيطه و التبصر لتفادي حصول النتائج الضارة، و تتمثل في صورة ما اذا اتخذ الجاني موقفا سلبيا فلم يقم بما من شأنه الحيلولة دون وقوع الضرر"^(١١)، و في الاتجاه ذاته يعرفه آخر بانه "صورة الخطأ الحاصل بسلوك سلبى بالترك او الامتناع او الغفلة عن اتخاذ الاحتياطات التي يدعو اليها الحذر و التي من شأنها الحيلولة دون وقوع النتيجة الضارة".

والملاحظ على هذه التعريفات اغفالها تحديد طبيعة العلاقة النفسية بين الإرادة و النتيجة الاجرامية، وهذه العلاقة تتخذ أحد مظهرين، الاول لا يتوقع فيه الجاني حدوث النتيجة في حين كان باستطاعته ومن واجبه ذلك، والثاني يتوقع فيه الجاني النتيجة الإجرامية ولكن لا تتجه ارادته اليها ولا يقبلها.

وذهب اتجاه ثالث في تعريف الإهمال بأنه "اغفال الجاني اتخاذ ما يقتضي واجب الحيطه والحذر و ما تمليه قواعد الخبرة الانسانية العامة توقيا للنتائج الضارة حيث يتخذ الخطأ مظهرا سلبيا يتمثل في ترك او الامتناع عن اتخاذ العناية اللازمة لتجنب حدوث النتيجة الإجرامية"، بذات الاتجاه نفسه ذهب بعضهم إلى تعريف الإهمال، بانه "سلوك سلبى مفاده عدم الالتزام بالحيطه و الحذر الواجبين، فالشخص الحذر هو الذي يتصرف بالانتباه و الحيطه اللازمة لعدم الإضرار بمصالح و حقوق الغير و على قدر الانتباه و الحيطه تكون درجة الإهمال، و لذلك يدخل في تقدير الإهمال امكانية الشخص على تنفيذ الواجب المفروض بقواعد السلوك العامة وفقا للظروف التي يباشر فيها سلوكه"^(١٢).

وفي رايانا المتواضع ان التعاريف التي جاء به الاتجاه الثالث للإهمال هي الاقرب لحقيقة الإهمال و ماهيته و مع ذلك فأنها تغفل تحديد طبيعة العلاقة النفسية بين الارادة و النتيجة الجرمية ب صورتيها و هو ما يجعلها ناقصة.

٨- د. صفية محمد صفوت، المصدر السابق، ص ١٦٥.

٩- د. صفية محمد صفوت، المصدر السابق، ص ١٦٤.

10- Jean Laguier: droit penal genealet procedure penal toisieme, Dallos paris edition, 1970, p23.

١١- د. سمير عالية، شرح قانون العقوبات في القسم العام دراسة مقارنة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان ١٩٩٨، ص ٢٥٤-٢٥٥.

١٢- د. مأمون محمد سلامة، قانون العقوبات القسم العام ط٣، دار النهضة العربية القاهرة ٢٠٠١، ص ٣٤٤.

وطرح الفقه العراقي عدة تعاريف للإهمال، منها ما عرفه بعضهم^(١٣) بأنه "أن يغفل الجاني القيام بما يقتضي واجب الحيلة و الحذر ليتفادى حدوث النتائج الاجرامية و يعبر الإهمال عن الخطأ اذا نشأ عن موقف سلبي يتخذه الجاني حيال ما ينبغي أن يتخذ من احتياطات يقتضيها الحذر و من شأنها أن تحول دون وقوع الضرر".

إن الإهمال يتخذ في جميع الأحوال صورة الموقف الارادي السلبي الذي يتمثل بالترك او الامتناع عن اتخاذ العناية اللازمة لتجنب حدوث النتيجة الضارة، و مثال ذلك صاحب السيارة الذي يسير بسيارته في شارع مزدحم بالمارة و بسرعة كبيرة في صدم أحد الأشخاص على الرغم من رؤيته له على مسافة يمكنه الوقوف بها لو كان يسير بالسرعة المقررة و العادية.

اما القانون العقوبات العراقي المرقم ١١١ لسنة ١٩٦٩ المعدل اورد الإهمال ضمن صور الجرائم غير العمدية في المادة ٣٥ منه "تكون الجريمة غير عمدية اذا وقعت النتيجة الاجرامية بسبب خطأ الفاعل سواء كان هذا الخطأ إهمالاً او رعونة او عدم انتباه او عدم احتياط او عدم مراعاة القوانين والانظمة والاورام"، ففي هذه المادة حدد القانون صور الخطأ على سبيل الحصر وهي الإهمال والرعونة وعدم الانتباه وعدم احتياط وعدم مراعاة القوانين والانظمة والاورام.

الفرع الثاني: اسباب الإهمال

الإهمال هو تخاذل ارادة ويرجع سبب هذا التخاذل فيها من عدة عوامل اثرت على صفة الانتباه في الانسان وعدم تحريكها لأجل تفادي الامر الخطير، فالسلوك المهمل يتصف في الغالب انه احد صور السلوك السلبي، ومن الناحية السيكلوجية او التكوينية في الانسان يعد الإهمال صفة سلبية عند الفرد وهو عكس الاهتمام الذي يعد صفة ايجابية. وقد تعود العوامل التي اثرت في هذا السلوك الى النسيان الشخص القيام بواجباته او تقاعسه عن القيام بها، هذا ما سنوضحه كما يلي^(١٤):

النسيان: اذا كان الفكر يفترض قابلية الشخص على حفظ معلومات معينة واسترجاعها عند اللزوم، فان النسيان هو عدم قدرة العقل على الاستدكار ما فاتته من معلومات سابقة، وهذه الحالة ترجع الى عوامل نفسية تؤثر في الشخص من توقع الضرر الذي قد يحدث نتيجة سلوكه، حث الارادة على تفادي تلك النتيجة او عدم توقع الضرر قبل مباشرة السلوك، في حين كان بإمكانه او من واجبه توقع ذلك. فالنسيان على نوعين نسيان عادي وهو الذي ينتاب الشخص في الحياة اليومية من دون ان يكون ذلك لحالة مرضية والسبب في ذلك هو اكتساب خبرات جديدة تؤثر على الخبرات القديمة وتغطي عليها، او عدم استخدام اشخص لتلك المعلومات لفترات طويلة بحيث تنسى تلك المعلومة، او يكون مصدر النسيان الى الخطأ في التعلم او الى عوامل داخلية نفسية منها الارهاق النعاس القلق الغضب الخوف التي تسبب شرود ذهني مما تؤدي الى اغفال ذلك الشخص الاحتياطات اللازمة، او قد يكون النسيان مرضي التي تتسع دائرة النسيان الى اوسع نطاق اكثر من النسيان العادي بحيث يفقد الفرد امكانياته الفكرية الخاصة

١٣- د. فخري عبد الرزاق الحديثي، شرح قانون العقوبات القسم الخاص، مطبعة الزمان بغداد ١٩٩٤، ص ١٨١.

١٤- ابراهيم حميد كامل، جريمة الإهمال الجسيم في اداء الوظيفة العامة، بحث مقدم الى هيئة النزاهة، دائرة التحقيقات حزيران ٢٠٠٨، ص ٦.

وقدرته على اكتساب المعلومات والمهارات والذي يكون ذلك النسيان نتيجة حادث يصيب الشخص فجأة يفقده الذاكرة.

التعاضد عن اداء الواجب والحيلة: قد يفسر علماء النفس حالة النسيان الى كونها صفة من صفات المجتمعات النامية التي تؤثر على الانتاجية ويرجع السبب في ذلك ان الدول المتقدمة تقيم دورات وندوات تثقيفية توضح للعامل واجباته التي يتحملها وتوضح له وسائل الحيلة والحذر المناسبة لكل مفاصل الانتاج وتوفر له الامكانيات المادية من ادوات العمل، كل ذلك لأجل الإجراءات الواجبة اتخاذها والحيلة من كل مظاهر السلوك البشري الضار.

المطلب الثاني: عناصر جريمة الإهمال واساسها القانوني

بعد ان بينا انفا ماهية جريمة الإهمال، حري بنا هنا معرفة الاساس القانوني لجريمة الإهمال في الفرع الاول وعناصرها المكونة لها في الفرع الثاني عندما نتحقق، يعاقب عليها القانون.

الفرع الاول: الاساس القانوني للإهمال:

يذهب الفقه الجنائي إلى أن الإهمال لا يقوم بمجرد اخلال الجاني بواجبات الحيلة و الحذر، فالقانون لا يعاقب على السلوك في ذاته وانما يعاقب على السلوك المفضي الى نتيجة اجرامية معينة، وبالتالي فلا بد من توافر رابطة تجمع الارادة بالنتيجة التي وقعت بالشكل الذي يجعل من هذه الارادة بالنسبة لتلك النتيجة محل لوم القانون ومؤخذته، و بالتالي يمكن وصفها بانها ارادة إجرامية^(١٥)، هذا وفق المفهوم التقليدي للجريمة، والعلاقة النفسية التي تربط الارادة بالنتيجة الإجرامية هي العنصر الرئيس من عناصر الخطأ فمتى ما انتفت هذه العلاقة انتفى محل المسؤولية وانتفى الاساس القانوني لمساءلة الفاعل عن النتيجة التي وقعت منه^(١٦). اما المفهوم الحديث للجريمة ان القوانين الجنائية قسّمت الجريمة وفق النتيجة الواقعة منها الى جريمة الضرر وهي التي تمثل النتيجة الاجرامية المترتبة على النشاط الاجرامي في الحاق ضرر فعلي بالصلحة المحمية والمقررة في القانون مثل جريمة القتل بإزهاق الروح المحترمة، وجريمة الخطر التي تمثل النتيجة الواقعة بناء على النشاط الاجرامي دون حدوث ضرر فعلي بل هو خطر يهدد المصلحة المحمية وفق القوانين، فهذه الخطورة هي التي يحاسب عليها القانون، فالقوانين الجنائية وضعت العقوبة لتفادي الخطر الذي يهدد المصلحة وهذه الجرائم قد قررها الفقه الحديث لأجل حماية المصلحة من احتمال التعرض الى الخطر دون وقوع الضرر الفعلي عليها مثل احراز السلاح بدون ترخيص.

وهذه العلاقة النفسية التي تربط الارادة بالنتيجة الإجرامية تتخذ احدى صورتين:

الأولى: لا يتوقع فيها الجاني حدوث النتيجة فلا يبذل أي جهد للحيلولة دون حدوثها في حين كان باستطاعته بل ومن واجبه ذلك ويطلق على هذه الصورة (الخطأ غير الواعي) او (الخطأ بغير تبصر) او (الخطأ بدون توقع).

١٥- د. عبد الفتاح مراد، شرح جرائم القتل و الاصابة الخطأ، شركة البهاء للبرمجيات و الكمبيوتر و النشر الالكتروني الاسكندرية ٢٠٠٤، ص ٣٥٣.
١٦- د. السعيد مصطفى السعيد، الاحكام العامة في قانون العقوبات ط٤، دار المعارف مصر ١٩٩٢، ص ٤٢٠.

الصورة الثانية: فيتوقع فيها الجاني امكانية ترتب النتيجة على سلوكه الا انه لا يقبل بهذه النتيجة و لا تتجه ارادته اليها بل انه يرغب عنها ويأمل في عدم حدوثها و يتوقع دون اسباب كافية معتمدا او غير معتمدا على احتياط انما لن تحدث، و يطلق على الخطأ في هذه الصورة تعبير (الخطأ الواعي) او (الخطأ مع التوقع) او (الخطأ المدرك) او (الخطأ مع التبصر).

ان صورتى العلاقة النفسية بين الإرادة والنتيجة توجب أن يكون تحقق النتيجة راجعا الى خطأ الجاني، و حيث أن هذا الخطأ يمكن ان يأخذ صورة الإهمال لذا فان الإهمال يكون تارة مع التوقع و اخرى بدون توقع^(١٧).

وفي بحث الاساس القانون للإهمال نجد انقسام الفقه الى اتجاهات عديدة، و يرجع السبب في ذلك الانقسام الى الاختلاف بشأن تحديد موضع الإهمال بالنسبة لأركان الجريمة، و في هذا الموضع سنحاول تحديد الطبيعة القانونية للإهمال في فرعين، ندرس في الأول منهما اساس الإهمال، و في الثاني موضعه بالنسبة لأركان الجريمة.

تباينت آراء الفقه بشأن تحديد اساسه القانوني او موقع الإهمال من اركان الجريمة، و يمكن رد هذا التباين الى اختلاف الفقهاء في زاوية نظرهم للإهمال، فمنهم من ينظر اليه من منظور نفسي داخلي اذ يعد "الإهمال عيبا في الارادة"^(١٨) فيرى بعضهم "أن الإهمال هو ارادة لسلوك خطر مع خمول الارادة في منع هذا الخطر من التحول الى ضرر"^(١٩).

وفي الاتجاه ذاته يرى بعضهم ان اساس الإهمال في حالة التوقع يتمثل في أن الجاني لم يبذل كل ما في وسعه من حيلة و حذر لتجنب ما توقعه من نتائج ضارة لسلوكه^(٢٠)، اما اساس الإهمال في حالة عدم التوقع فيتجسد بالامتناع الاختياري للجاني عن بذل الحيلة و الحذر و العناية عند اتيانه لسلوكه دون ان يقدر النتائج التي كان من الممكن توقعها، و هذا يعني ان اساس الإهمال هو اختلال الارادة في توجيهها للسلوك الذي تمارسه بشكل لا يتفق مع ما تقتضي واجبات الحيلة و الحذر، مما يخلق حالة خطرة تنذر بتحقيق النتيجة الضارة التي قد يتوقعها الجاني او لا يتوقعها مع انه كان بمقدوره أن يتوقعها، في حين يعد بعضهم الآخر "الإهمال عيبا في الادراك مقتضاه تقصير الجاني في ادراك مدى ما يترتب على سلوكه من نتائج ضارة بالوقت الذي يتوجب عليه الحيلة و الحذر عند مباشرته لسلوكه و تصرفاته، و اساس الإهمال هو تخلف الفهم و عدم الانتباه"^(٢١).

وبخلاف الاتجاه الأول ينظر جانب من الفقه الى الإهمال من منظور مادي اجتماعي، فيرى "ان الإهمال سلوك سلبي مقتضاه اخلال الجاني بواجبات الحيلة و الحذر مما يترتب عليه الاضرار بالحقوق و المصالح المحمية قانوناً، و هذا يعني ان اساس الإهمال هو السلوك السلبي المتمثل في عدم الالتزام بواجبات

١٧- د. سمير عالية، مصدر سابق، ص ٢٥٤.

١٨- د. احمد عبد اللطيف، الخطأ غير العمدي في القانون الوضعي والشريعة الاسلامية، مكتبة النهضة العربية القاهرة ٢٠٠٤،

ص ١٥٦.

١٩- د. رمسيس بھنام، النظرية العامة للقانون الجنائي ط ٣، منشأة المعارف، الاسكندرية ١٩٩٧، ص ٩٢٧.

٢٠- د. وداد عبد الرحمن القيسي، جريمة الإهمال دراسة مقارنة ط ٢، مصدر سابق، ص ٤٥.

٢١- د. حسن صادق المرصفاوي، قواعد المسؤولية الجنائية في التشريعات العربية، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، ١٩٧٢،

ص ٤٢٣.

الحیطة و الحذر. و من المتفق علیه أن السلوك المهمل يأخذ على الدوام صورة السلوك السلبي مهما تنوعت کیفیة التي يظهر بها" (٢٢).

ومن الناحية السیکولوجیة هناك مفهومان متناقضان تسبغ على السلوك البشري، اولهما ذو سمة ايجابية يطلق علیه تسمية الاهتمام، و الثاني ذو سمة سلبية یسمى الإهمال^(٢٣)، ان الإهمال بوصفه سمة سلبية غیر مرغوب بها تسبغ على تصرفات بعض الأفراد، یعد ولیدا النقص او عدم توافق او صراعات فی العوامل الاجتماعیة و هو على نقیض الاهتمام الذي یوصف بكونه سمة ايجابية مرغوبا بها تسبغ على تصرفات بعض الأفراد فی المجتمع و الذي یكون ولید عوامل اجتماعیة منشطة بالدرجة الأساس، مع سبق الافتراض بان الفرد سلیم معافی من الناحیتین الصحیة و الفسیولوجیة.

ان كلا من مفهومي الإهمال و الاهتمام یخضعان لمعیار موضوعي نسبي، مقتضاه أنه لا یوجد من الناحیة العملیة الموضوعیة انسان مهتم بالفطرة أو بصورة مطلقة و مجردة، و اخر مهمل بالفطرة و بصورة مطلقة و مجردة، بل ان كل بني البشر و فی كل المجتمعات وعلی تباينها یمكن أن یخلع على سلوكهم صفة الإهمال او الاهتمام و بدرجات متفاوتة نسبیا، فعندما نقول ان زیدا مهمل فی أداء واجباته أكثر من عمر و أن احمد أكثرهم اهمالا فهذا لا یعني ان احمد مهمل بالفطرة او انه بلغ درجة عالیة من الإهمال داخل مقیاس معین یمكن الركون الیه لقیاس درجة الإهمال او الاهتمام على حد سواء، وهذا یعني انه لا یوجد الإهمال او الاهتمام كصفة مطلقة فی السلوك البشري، الا انه یوجد افراد مهتمون و اخرون مهملون و بدرجات معینة، كما ان هذه النسبیة فی الإهمال او الاهتمام تنسحب على اطار الفرد نفسه فتتفاوت تبعا لاختلاف المواقف و الأحداث التي یمر بها الفرد نفسه.

والإهمال بوصفه سمة تلخ على سلوك الأشخاص فی مجال اجتماعي معین، و فی ضوء ظروف وثقافة معینة، قد یعود فی حدوثه إلى عوامل نفسیة داخلیة تشوب الدائرة الشعوریة من الشخصیة، تؤدي الى نسیان ذلك الشخص القیام بواجبات الحیطة و الحذر الواجبین، و قد تعود اسباب حدوثه إلى عوامل مادیة اجتماعیة تؤدي الى اخلال الفرد او تقاعسه عن القیام بواجبات الحیطة و العناية اللازمة^(٢٤).

الفرع الثاني: عناصر جريمة الإهمال

لقد كان تحدید موضع الإهمال بالنسبة لأركان الجريمة محل خلاف وتباين فی الآراء الفقهیة، لذا أثير تساؤل مفاده أیعد موضع الإهمال هو الركن المعنوي للجريمة، او انه یدخل ضمن الركن المعنوي، أم أن موضعه ضمن الركن المادي لها؟ وهذا ما سنتناوله فیما یأتی:

الاتجاه الأول: ویذهب اصحاب هذا الاتجاه وهم انصار المدرسة التقلیدیة (اهم مفكریها سیزار بكاريا وجیرمي بینتام)، وجانب كبير من الفقه الفرنسي الى ان الموضع الطبیعي للإهمال هو الركن المعنوي للجريمة، وليس للركن المادي أي علاقة بالنسبة للإهمال، ویرون أن العلة فی ذلك هی ان الركن المعنوي یضم الأصول النفسیة للجريمة، وهي اما ان تتخذ صورة القصد الجنائي او صورة الخطأ غیر العمدي الذي

٢٢- د. رمسيس بنهام، النظریة العامة للقانون الجنائي، مصدر سابق، ص ٩٢٩.

٢٣- د. وداد عبد الرحمن حمادي القیسي، جريمة الإهمال دراسة مقارنة ط٢، مصدر سابق، ص ٤٨.

٢٤- د. سلیمان عبد المنعم، النظریة العامة لقانون العقوبات، دار الجامعة الجدید للنشر الاسكندریة ٢٠٠٠، ص ٥٥٩.

يتمثل بالإهمال، أما الركن المادي فهو واحد في الجريمة العمدية وغير العمدية، فليس هناك أي فرق في عناصره، فهو يتكون من سلوك إجرامي يأتيه الجاني ونتيجة إجرامية وعلاقة سببية تربط بينهما، وتقوم هذه النظرية على أساس التركيز على عنصري السلوك والإرادة، ووفقاً لها فإن السلوك هو سبب النتيجة، ولكن هذا السلوك له سبب هو إرادة الجاني، فالإرادة حسب هذه النظرية لا تدخل في تكوين الفعل ولكن تشكل أصله، أي أن السلوك يخضع لسيطرة الإرادة وعلى هذا الأساس ينبغي ألا يفهم السلوك على أن من بين عناصره الاتجاه الإرادي، أي أنه لا يفترض البحث في كيفية اتجاه الإرادة وما اتجهت إليه، إذ أن هذا البحث يتعلق بالركن المعنوي، فالإرادة هي التي توجه الإنسان إلى القيام بالحركة العضوية أو اتخاذ الموقف السلبي ولا تدخل أبداً في تركيب الفعل إذا انحاز لتشكيل أصله^(٢٥).

ففي جريمة القتل لا يمكن التحقق من أن السلوك قد حدث عمداً أو نتيجة إهمال إلا إذا بحثنا في نطاق الركن المعنوي الذي يتفق فيه نوعا الجرائم باتجاه الإرادة إلى السلوك، ولكن الاختلاف بينهما يظهر بالنسبة لإرادة النتيجة الإجرامية، ففي الجرائم العمدية تتجه الإرادة إلى السلوك الإجرامي إضافة إلى اتجاهها إلى النتيجة الإجرامية، أما في الجرائم غير العمدية فإن الإرادة تتجه إلى تحقيق نتيجة مشروعة ولكن مع ذلك تحدث النتيجة غير المشروعة، فالسلوك واحد والنتيجة واحدة وذلك لأن السلوك هو الذي حرك سلسلة السببية التي أدت إلى النتيجة، وبالتالي يمكن الجمع بين الجريمة العمدية وغير العمدية من حيث الركن المادي^(٢٦).

وتأسيساً على ذلك فإن الإهمال يكون موضعه الطبيعي وفقاً لمنظور هذه النظرية الركن المعنوي للجريمة فالعناصر النفسية للجريمة، تجتمع في ركن يختص بها هو الركن المعنوي.

الاتجاه الثاني: يذهب أصحاب هذا الاتجاه المدرسة التقليدية الحديثة وهم انصار النظرية الغاية، إلى أن الإهمال يأخذ له موضعاً في الركن المادي إضافة إلى موضعه في الركن المعنوي، فالسلوك في جانبه المادي وفقاً للنظرية الغاية لا يقف عند الحركة العضوية والجسمية وإنما هو سلوك يهدف لتحقيق غاية، أي متجه إلى غاية معينة قصدها الفاعل، وعلى هذا فإن إرادة الشخص تتجسد مادياً في السلوك لتحقيق غاية معينة والتي على أساسها يجب فهم الحقيقة الاجتماعية والقانونية للسلوك^(٢٧).

فالسلوك يتضمن بالإضافة إلى الجانب المادي جانباً شخصياً، ذلك لأنه اتجاه إرادي إلى غاية معينة عبر عنه صاحبه بسلوك خارجي، فالجانب الشخصي يمثل الاتجاه الإرادي، وهذا الاتجاه الإرادي هو الذي يميز سلوك الإنسان عن الظواهر الطبيعية التي لا يمكن أن تتضمن شيئاً من ذلك الاتجاه^(٢٨).

الاتجاه الثالث: يرى انصار هذا الاتجاه المدرسة الوضعية (أهم مفكريها لمبروزو وجارفيو وفيري) والذي يمثل جانب كبير من الفقه الإنجليزي، أن الإهمال سلوك إجرامي، وأن موضعه الطبيعي هو الركن المادي

٢٥- د. سامي النصراني، النظرية العامة للقانون الجنائي المغربي ج ١، مكتبة المعارف الرباط ١٩٨٦، ص ١١٩.

٢٦- يوسف الياس حسو، المسؤولية الجنائية عن الخطأ غير العمدية، رسالة ماجستير، كلية القانون جامعة بغداد ١٩٧١، ص ٤٩.

٢٧- د. عادل عازار، المفهوم الحديث للجريمة غير العمدية، مقال مقدم إلى مركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٩٦٧، ص ١٢.

٢٨- د. فوزية عبد الستار، المساهمة الأصلية في الجريمة دراسة مقارنة، دار النهضة العربية ١٩٧٩، ص ٦٦.

للجريمة، ويعللون ذلك بالقول أن الإهمال هو ليس واقعة شخصية بل موضوعية، ومقتضى هذا الرأي لا يعد الإهمال حالة ذهنية أو شكلا من اشكال الركن المعنوي بل يعد ضربا مميزا من ضروب السلوك^(٢٩). وفي معرض التدليل على هذا الرأي يقول الفقه (بولوك) ان "الإهمال هو نقيض الفطنة وليس هناك من يصف الفطنة بأنها حالة ذهنية"، ويستمد هذا الرأي اصوله من قانون المسؤولية التقصيرية، اذ يعني الإهمال الإخفاق في الوصول الى المستوى الموضوعي للرجل العادي^(٣٠). وبعد استعراض الاتجاهات والآراء الفقهية التي قيلت في تحديد موضع الإهمال بالنسبة لأركان الجريمة، فأنا نذهب الى عد الإهمال سلوكا سلبيا بالترك والامتناع، وان موضعه الطبيعي هو الركن المادي للجريمة، فيقوم الاهمال بقيام الركن المادي وينتفي بانتفائه.

المبحث الثاني: اركان المسؤولية الجنائية الناشئة عن الإهمال

تعرف المسؤولية الجنائية "بأنها التزام بتحمل النتائج القانونية المترتبة على ارتكاب الانسان الفعل يعتبره القانون جريمة وموضوع هذا الالتزام هو العقوبة او التدبير الاحترازي الذي ينزله القانون بالمسؤول عن الجريمة"^(٣١).

ولم تعد المسؤولية الجنائية مسؤولية مادية بحته كما كانت في التشريعات الجنائية القديمة، بل تقوم في الوقت الحاضر على اساس المسؤولية الأخلاقية والادبية، وبالتالي لم يعد كافيا لقيام المسؤولية الجنائية أن يرتكب الجاني فعلا ماديا تترتب عليه نتيجة ضارة وانما لا بد من تحقق جريمة وبهذا عد الفقه الجنائي المعاصر بانه نشاط مادي ونفسي مخالف لأهداف الجماعة، وتكسب صفتها غير المشروعة من اصطدامها مع قاعدة قانونية مجرمة تجرم هذا النشاط و تأسيسا على ذلك يستلزم لقيام الجريمة توافر ركنين احدهما مادي والثاني معنوي^(٣٢).

إنَّ المسؤولية الجنائية تنهض بقيام الجريمة وتوافر ركنيها المادي والمعنوي، وهذا يعني أن المسؤولية الجنائية تقوم على ركنين هما ذاتهما اللذان تقوم عليهما الجريمة وحيث أن المسؤولية الجنائية الناشئة عن الإهمال لا تنهض الا بقيام الجريمة الناشئة عن الإهمال والتي هي عبارة عن جريمة غير عمدية ترتكب بسلوك سلمي، وتقع نتيجة لإغفال الجاني او امتناعه عن الالتزام باتخاذ الحيطة والحذر التي أوجبها القانون على الأفراد من أجل منع حدوث الضرر^(٣٣).

لذا فان اركان هذه الجريمة هي اركان المسؤولية الناشئة عنها، وستكون دراستنا لأركان المسؤولية في مطلبين نتناول في الأول الركن المادي ونبين في الثاني الركن المعنوي.

٢٩- د. صفيه محمد صفوت، مصدر سابق، ص ١٦٤.

٣٠- د. صفيه محمد صفوت، مصدر سابق، ص ٣٧٧.

٣١- يوسف الياس حسو، مرجع سابق، ص ٢.

٣٢- الا ان الرأي الراجح في الفقه يقول بوجود ركن ثالث للجريمة يطلق عليه تسمية الركن الشرعي وهو الصفة غير المشروعة للسلوك انظر د. علي حسين الخلف و د. سلطان عبد القادر الشاوي، المبادئ العامة في قانون العقوبات، مطابع الرسالة، الكويت ١٩٨٢، ١٥٢. ود. محمود نجيب حسني، قانون العقوبات القسم العام، المرجع السابق، ص ٤٦.

٣٣- وداد عبد الرحمن حمادي القيسي، مصدر سابق، ص ٢٠.

المطلب الأول: الركن المادي

يمثل الركن المادي احدى الدعامين اللتين ترتكز عليهما الجريمة ومن ثم المسؤولية الجنائية الناشئة عنها، ويعد تخلفه مانعا من وجود الجريمة وقيام المسؤولية ابتداء^(٣٤).

والركن المادي للجريمة هو مظهرها الخارجي او كيانها المادي او هو الماديات المحسوسة في العالم الخارجي كما حددتها نصوص التجريم فكل جريمة لا بد لها من ماديات تتجسد فيها الارادة الاجرامية لمرتكبها^(٣٥)، ولهذا الركن اهمية واضحة فلا يعرف القانون جرائم بغير ركن مادي، ومن المبادئ الأساسية في التشريع الجنائي، أن المشرع ليس له سلطان على ما في ضمائر الناس من افكار شريرة، او ما في نفوسهم من نوايا اجرامية، فلا يعاقب على تلك الأفكار او هذه النوايا حتى ولو عقد من توافر لديه العزم عليها وصمم على تنفيذها، لأنها مازالت مجرد امور نفسية باطنية الا ان دائرة التجريم تبدأ منذ اللحظة التي تخرج فيها هذه الأفكار الحبيسة الى العالم الخارجي وتتجسد في ماديات ومظاهر خارجية يتصدى لها القانون ويعاقب عليها اذا تطابقت مع احد نصوص التجريم لأنها تكون قد أهدرت مصلحة اجتماعية جديدة بالحماية الجنائية او على الاقل عرضت تلك المصلحة لخطر الاعتداء عليها^(٣٦).

ويتكون الركن المادي في الجريمة الناشئة عن الإهمال من ثلاثة عناصر هي^(٣٧):-

- ١- سلوك اجرامي سلبى صادر من الجاني.
- ٢- نتيجة اجرامية ضارة أو خطرة لهذا السلوك ذلك أن الغالب أن يترك الفعل او الامتناع تغييرا في العالم الخارجي.
- ٣- علاقة سببية بين سلوك الجاني والنتيجة الاجرامية التي تحققت فلا يرتكب صاحب السلوك جريمة مالم تكن النتيجة الضارة او الخطرة مترتبة على سلوكه.

الفرع الأول: السلوك المهمل

يعد السلوك الاجرامي من أهم عناصر الركن المادي، لأنه يمثل القاسم المشترك بين جميع انواع الجرائم سواء أكانت عمدية او غير عمدية تامة ام غير تامة، فلا قيام للركن المادي ولا الجريمة اذا تخلف هذا السلوك، فالقاعدة الجنائية تقضي ان "لا جريمة بغير سلوك مادي"^(٣٨).

ولكن تعددت الآراء الفقهية حول تحديد الوصف القانوني للسلوك المهمل، وهناك اربعة اراء بصدد هذه المسألة سنعرض لها تباعا:

٣٤- د. فخري عبد الرزاق الحديثي، شرح قانون العقوبات، القسم العام، ص ١٧٧.
 ٣٥- تعرف المادة (٢٨) من قانون العقوبات العراقي المرقم ١١١ لسنة ١٩٦٩ المعدل الركن المادي بانه "سلوك اجرامي بارتكاب فعل جرمه القانون او الامتناع عن فعل امر به القانون" ولم تتضمن التشريعات الجنائية العربية تعريفا للركن المادي حيث تركت امر تعريفه للفقه الذي عرفه بانه "واقعة مادية يحقق ارتكابها العدوان على المصلحة محل الحماية القانونية".
 ٣٦- د. علي عبد القادر القهوجي، قانون العقوبات القسم العام، الدار الجامعية، بدون سنة طبع، ص ١٧٣.
 ٣٧- د. رؤوف عبيد، مبادئ القسم العام من التشريع العقابي المصري، المرجع السابق، ص ١٨٨. ود. ماهر عبد شويش، النظرية العامة للخطأ في القانون الجنائي، اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد كلية القانون ١٩٨١، ص ٢٠٢.
 ٣٨- د. حميد السعدي، شرح قانون العقوبات الجديد في الاحكام العامة الجريمة والعقاب والمسؤولية الجنائية ج ١ ط ٢، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٩، ص ١٥٠.

الراي الاول: يذهب انصار هذا الرأي وهو المذهب القانوني (احمد خليفة) الى وصف السلوك المهمل بانه سلوك غير مشروع، ذلك أن القانون اذ يجرم افعال الإهمال انما يعاقب على ارتكاب سلوك مخالف لما يطلبه ويفرضه القانون، فقواعد السلوك تحددها نصوص القانون او التعليمات او اللوائح او التنظيمات المهنية، ويعاقب كل من يخالفها لان سلوكه سوف يتصف بعدم المشروعية^(٣٩).

وقد وجهت لهذا الرأي انتقادات عديدة منها، أن عدم المشروعية لا يعد وصفا للسلوك ذلك انه لا يعد عنصرا داخلا في تكوين الجريمة غير العمدية، كما أن تجريم السلوك المكون للجريمة غير العمدية لا يعد خاصية تتميز بها عن سواها من الجرائم، ومن البديهي أن مجرد مخالفة نصوص القانون او الاوامر او التعليمات لا يكفي -في حد ذاته- لتجريم السلوك المكون للجريمة الناشئة عن الإهمال، وذلك لأنها جريمة ذات طبيعة مادية تتطلب توافر سلوك اجرامي ونتيجة وعلاقة سببية من أجل قيام الركن المادي فيها، واما وصف عدم المشروعية فيطلق على مجموع هذه العناصر المكونة للواقعة، هذا فضلا عن وجوب اسناد الخطأ غير العمدية الى مرتكب السلوك^(٤٠).

الراي الثاني: ويذهب انصار المذهب الاجتماعي(جارفيلو وكليف براون وميرتون) الى وصف السلوك في الجريمة الناشئة عن الإهمال، بانه سلوك مخالف للقواعد ولتعليمات النظام العام فيترتب عليه نتيجة غير مقصودة تحدث كآثر لخطأ غير عمدي في التقدير، على الا يكون هذا الخطأ مسوغا لمنع المسؤولية الجنائية، وان السلوك يكون مخالفا بصفة عامة لقواعد وتعليمات الشرطة او النظام العام اذا ما اتخذ شكل الإهمال او الرعونة او عدم الاحتياط، وهو يخالف على وجه الخصوص تعليمات وقواعد الشرطة او النظام العام اذا ما اتخذ صورة عدم مراعاة القوانين او الأنظمة او اللوائح^(٤١).

ولعل ما وجه من انتقادات للراي الأول تصدق بشكل اوضح على هذا الراي، هذا فضلا عن كون الفكرة التي يقوم عليها هذا الرأي يشوبها الغموض، كما أن التحكم في وصف السلوك المكون للجريمة غير العمدية بصفات و اوصاف معينة قد لا تصدق على كل صورة.

الراي الثالث: يذهب انصار المذهب النفسي(المبروزو وفرويد) الى وصف السلوك المهمل بانه مخالفة لا مبرر لها لواجب الاحتراس وتحدث هذه المخالفة كآثر للغلط في الشروط المحيطة بالسلوك الاجرامي او الاثار المترتبة عليه فهو لا يعد مجرد نقص في التمثيل او التصوير بل هو تقصير في السلوك الارادي^(٤٢).

ولم يسلم هذا الرأي من النقد، وذلك لغموض الفكرة التي يقوم عليها، فالقول بان السلوك المهمل يعد مخالفة لواجب الاحتراس لا يساعد على التعرف على طبيعة السلوك نفسه، هذا فضلا عن أن فكرة واجب الاحتراس لا تتسم بالوضوح الكافي لمعرفة كنه هذا الواجب وحدوده^(٤٣).

39- Remo pannain: manual droit penal, art general, 1960, p.390.

اشار اليه د. سمير الشناوي، المرجع السابق، ص ٢٦٣.

٤٠- د. عادل عازر، المفهوم الحديث للجريمة غير العمدية، تقرير مقدم الى المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ١٩٩٧، ص ٧.

41- Vincenzo manzini: Tractate di droit penal Italian V, 1933, p.636.

اشارة اليه د. عادل عازر، المفهوم الحديث للجريمة غير العمدية، مصدر سابق، ص ٧.

٤٢- د. سمير الشناوي، شرح قانون الجزاء الكويتي ط ١، الكويت ١٩٨٠، ص ٢٦٤.

٤٣- د. احمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص ٣٧١.

الراي الرابع: يذهب الرأي الغالب وهو المذهب الاختلاط التفاضلي (سذرلاند وكريسي) في الفقه الى ان السلوك في الجريمة غير العمدية يتميز في الاصل بانه سلوك مشروع، غير انه يشكل خطر حدوث الأمر المعاقب عليه وهو حصول النتيجة الإجرامية لذا يعرفه بعضهم بانه "ذلك السلوك الذي يفضي - بحسب طبيعته- الى الاضرار بالمصالح القانونية او تعريضها للخطر" (٤٤).

أي اننا نكون ازاء سلوك خطر اذا ترتب على هذا السلوك احتمال حدوث نتيجة ضارة مما يقتضي أن يمارس هذا السلوك بحيطه وحذر ليحول دون وقوع النتيجة التي يمكن أن تتحقق متى انعدمت هذه الحيطه، فمتى ما حدث هذا السلوك مع اخلال الفاعل بواجبات الحيطه والحذر يكون قد خلق حالة خطرة يمكن أن تؤدي إلى نتيجة اجرامية، وهذا يعني ان النتيجة تصبح متوقعة او بالإمكان توقعها. إن وصف السلوك المهمل بانه "سلوك خطر مرجعه علاقة بين سلوك انساني ونتيجة ضارة وهو يختلف عن الخطورة الاجرامية التي تعد صفة تتعلق بشخص تربط بينه وبين احتمال ارتكابه لا لنشاطات اجرامية مستقبلية" (٤٥).

وينبغي ملاحظة أن بعض التشريعات الجنائية الحديثة قد امتد نطاق تجريمها للسلوك الخاطئ الذي يعرض المصالح التي يحميها القانون للخطر ولو لم يصبها فعلا بالضرر، وهو ما اخذ به قانون العقوبات الفرنسي الجديد اذ نصت المادة (٢٢٣ - ١) منه على انه "يعاقب بالحبس لمدة سنة وبغرامة مائة الف فرنك على واقعة التعريض المباشر للغير لخطر حال بالموت أو الجراح التي من شأنها أن تسبب عاقبة أو شلل وذلك بالأخلال المقصود بصورة واضحة بالتزام خاص بالأمان فرضه القانون او فرضته اللائحة". ويستدل من نص هذه المادة على أن السلوك الخطر الذي يأتيه الجاني ينطوي على مخالفة لقواعد القانون او القواعد التنظيمية التي وضعت لحماية امن الآخرين، مثل قواعد المرور والعمل او القواعد التي يقصد منها تجنب الحوادث التي تنشأ عن التلوث، كما ينطوي سلوك الجاني على تعريض مباشر للغير لخطر حال بالموت أو الجراح التي من شأنها ان تؤدي الى عاهة أو شلل (٤٦).

الفرع الثاني: النتيجة لجريمة المهمل:-

اما النتيجة فأنها تعرف ب"العدوان الذي يصبب حقا او مصلحة يحميها القانون سواء تمثل هذا العدوان في ضرر فعلي يصيب الحق او المصلحة محل الحماية او مجرد تعريض هذا المحل للخطر" (٤٧)، كما تعرف بانها "النهاية الضارة للفعل أي المساس بالمصلحة التي تحميها قاعدة التجريم مساسا يتمثل اما في الضرر الفعلي أو مجرد تعريض المال او المصلحة محل الحماية للخطر" (٤٨)، ووفقا لهذا التفسير تعد النتيجة عند صراها عاما في جميع الجرائم اذ ان كل نص من نصوص قانون العقوبات يقوم دائما على حماية

٤٤- د. محمود نجيب حسني، شرح قانون العقوبات القسم العام ط٦، دار النهضة العربية القاهرة ١٩٨٩، ص ١٨٩.

٤٥- د. رمسيس بھنام، نظرية التجريم في القانون الجنائي، معيار سلطة العقاب تشريعا وتطبيقا، منشأة المعارف الاسكندرية، ص ١٢١

٤٦- لا ينصرف اشتراط القصد الواضح المنصوص عليه في المادة (٢٢٣-١) قانون العقوبات الفرنسي لسنة ١٩٩٢ الى تعريض حياة الغير او سلامة جسمه للخطر وانما ينصرف الى مخالفة القانون أو اللائحة فالشخص الذي يسير عكس الاتجاه في شارع مزدحم بالسيارات والمارة لا يرغب في تعريض الغير للخطر وانما يرغب في مخالفة القاعدة القانونية او التنظيمية.

٤٧- د. محمود نجيب حسني، شرح قانون العقوبات اللبناني القسم العام، دار النهضة العربية القاهرة دون سنة طبع، ص ٢٨١.

٤٨- د. سمير الشناوي، الخطأ كأساس للتجريم والعقاب، المجلة العربية للدفاع الاستراتيجي العدد الثامن أكتوبر ١٩٨٧، ص ٥٣.

مصلحة معينة وان وسيلته في ذلك تجريم السلوك الذي يمس تلك المصلحة سواء كان فعلاً أو امتناعاً لان الأساس بتلك المصلحة هو علة التجريم ومن ثم فان جميع الجرائم تحتوي على نتائج بما في ذلك الجرائم السلبية فامتناع الشاهد عن الحضور للأدلاء بشهادته يرتب نتيجة تتمثل في الاعتداء على حق المجتمع في الاستعانة بأي فرد من أفراد في استظهار الحقيقة^(٤٩).

اما انواع النتيجة الإجرامية فتقسم الجرائم من حيث نيتها إلى جرائم ضرر وجرائم خطر، وهذا التقسيم أساسه وصف النتيجة التي تتخلف عن السلوك، فهي إما أن تكون نتيجة ضارة أو أن تكون نتيجة خطيرة و يعتمد على أساس فكرة النتيجة القانوني في كونها اعتداء على حق أو مصلحة محمية قانونية، وهذا الاعتداء يتمثل إما بالحاق الضرر الفعلي بالحق أو بالمصلحة أو مجرد تعريضها أو تهديدها للخطر، ذلك أنه يجب فهم النتيجة بمذلولها القانوني لا على أنها الضرر أو الخطر الناجم عن الجريمة، وإنما باعتبار الضرر أو الخطر صورة أو مظهرها خارجياً للنتيجة، فجريمة الضرر تفترض سلوكاً إجرامياً تترتب عليه آثار يتمثل في العدوان الفعلي الحال على الحق الذي يحميه القانون، أما جريمة الخطر فأثار السلوك الإجرامي فيها تمثل عدواناً محتملاً على الحق أو تهديداً له بالخطر^(٥٠).

وينبغي الإشارة الى أن المشرع العراقي قد عرف العديد من الجرائم غير العمدية ذات النتيجة الخطرة وعاقب عليها، وهي جرائم لا يشترط لقيامها تحقق ضرر فعلي، وإنما مجرد قيام خطر بوقوع مثل هذا الضرر، ومن هذه الجرائم في قانون العقوبات العراقي جريمة الحريق بإهمال المذصوص عليها في المادة (٣٤٣/١) اذ تنص على أنه "يعاقب بالحبس وبالغرامة أو بإحدى هاتين العقوبتين كل من تسبب بخطئه في أحداث حريق في مال منقول أو غير منقول اذا كان من شأن ذلك تعريض حياة الناس وأموالهم للخطر". وكذلك جريمة أحداث غرق بإهمال، اذ تنص المادة (٣٥٠/١) على أنه "يعاقب بالحبس وبالغرامة أو بإحدى هاتين العقوبتين كل من تسبب بخطئه في أحداث غرق اذا كان من شأن ذلك تعريض حياة الناس أو أموالهم للخطر" وكذلك ما نصت عليه المادة (٣٥١/٢) وغيرها.

ففي هذه الجرائم لا يعاقب المشرع على نتائج ضارة، وإنما على نتائج خطيرة، فالمشرع لا يعاقب على اشتعال النار بإهمال في مال منقول أو غير منقول، أو على أحداث غرق، بوصف تلك النتائج ضارة، وإنما يعاقب عليها متى ما كانت الآثار المادية المتخلفة عن السلوك والمتمثلة في اشتعال النار أو أحداث الغرق يمكن ان يترتب عليها تعريض حياة الناس أو أموالهم للخطر، مما يعني أن المشرع لا يعاقب على اشتعال النار أو أحداث الغرق بإهمال، متى ما أضحى ذلك تهديداً بتعرض حياة الناس أو أموالهم للخطر، وغاية ما يمكن قوله ان النتيجة في الجريمة الناشئة عن الإهمال اما ان تكون نتيجة ضارة او نتيجة خطيرة، وما الضرر والخطر الا اوصاف قانونية لتلك النتيجة.

ومما تجدر الإشارة اليه في المادة (٣٥) من قانون العقوبات العراقي، عدّ الإهمال والرعونة وعدم الانتباه وعدم الاحتياط وعدم مراعاة القوانين والانظمة والتعليمات كلها من الجرائم غير العمدية، تتساوى عنده النتيجة الجرمية الواقعة ويترتب عليه العقوبة عن تلك الجرائم.

٤٩- د. سمير الشناوي، الخطأ كأساس للتجريم والعقاب، مصدر سابق، ص ٥٣.
٥٠- د. محمود نجيب حسني، شرح قانون العقوبات اللبناني القسم العام، مصدر سابق، ص ٢٨١.

اما النتيجة في الجريمة الناشئة عن الإهمال أختلف الرأي في الفقه بشأن مسألة عد النتيجة عنصراً في الركن المادي للجريمة الناشئة عن الإهمال على الإطلاق، أم أن من الممكن تصور قيام تلك الجريمة بمجرد سلوك محض لا تتخلف عنه أي نتيجة إجرامية، وأنقسم في موقفه من ذلك إلى ثلاثة اتجاهات هي:

الاتجاه الأول: الاتجاه الشكلي للجريمة الذي لا يشترط تحقق النتيجة في الجريمة الناشئة عن الإهمال، ويعد الجريمة الناشئة عن الإهمال تكتمل عناصرها بارتكاب الجاني للسلوك الإرادي، غير أن العقاب على هذه الجريمة يعلق على شرط، وهو حصول النتيجة أو الأثر الذي يتضمنه نص التجريم، وهذا يعني أن النتيجة لا تعد عنصراً من عناصر الركن المادي للجريمة الناشئة عن الإهمال، وإنما هي مجرد شرط للعقاب.

الاتجاه الثاني: الاتجاه الموضوعي للمادي للجريمة الذي يشترط تحقق النتيجة في الجريمة الناشئة عن الإهمال، ويذهب أن صار هذا الاتجاه إلى اشتراط توافر نتيجة إجرامية معينة لإمكان مساءلة الجاني عن جريمة ناشئة عن إهمال، ولهذا فلا قيام لهذه الجريمة ما لم تتحقق نتيقتها، أذ لا يكفي تحقق السلوك المجرد حتى تقوم المسؤولية الجنائية عنها، لذا يذهب رأي في الفقه^(٥١)، إلى أن المسؤولية في جرائم الخطأ هي مسؤولية عينية لأنها مرتبطة بالنتيجة غير المشروعة التي أسفر عنها تصرف الفاعل، كما أنه لا بد من توافر الضرر لأنه الشرط المتكافئ مع العقاب، والملاحظ أن هذا الاتجاه قد خلط بين مفهوم النتيجة والضرر، وجدير بالذكر أن هذا الرأي إذا كان صائباً في اشتراطه تحقق نتيجة معينة بالنسبة لمعظم الجرائم الناشئة عن الإهمال، إلا أنه لا ينسجم مع موقف المشرع الجنائي في تجريم بعض أنواع السلوك الماهل التي لا تؤدي إلى أحداث نتيجة إجرامية معينة، وهذا ما يفعله في أغلب أنواع المخالفات السلبية المحضة، والتي ترتكب بسلوك مجرد يعرض المصالح المحمية قانوناً للخطر دون أن يصعبها بضرر ما.

الاتجاه الثالث: الاتجاه الحديث للجريمة الذي لا يشترط تحقق النتيجة إذا كان السلوك ذاته معاقباً عليه، ويذهب أن صار هذا الاتجاه إلى أن أغلب الجرائم غير العمدية ومنها الناشئة عن الإهمال يستلزم لقيامها حدوث نتيجة إجرامية معينة إلا أن منها لا يشترط فيه تحقق مثل هذه النتيجة، وهذا يتمثل في معظم المخالفات التي ترتكب بسلوك سلبي مجرد فمثل هذه المخالفات التي تقع بإهمال الجاني لا يشترط المشرع للمعاقبة عليها تحقق أي نتيجة إجرامية.

وقد أخذ قانون العقوبات العراقي بهذا النوع من المخالفات السلبية المحضة، إذ نصت المادة (٤٩٤) على أنه "من أذرت السلطة المختصة بترميم أو هدم بناء آيل للسقوط فامتنع عن ذلك أو أهمل فيه يعاقب....". فهذه المخالفات وغيرها يعاقب عليها القانون بمجرد السلوك السلبي المتمثل بالامتناع دون أن تتوافر فيه نتيجة إجرامية، أي اتجه مع المنظور الحديث للجريمة وهو اتجاه حسن، فيعاقب قانون العقوبات العراقي عن تلك الجرائم الخطرة بالإضافة إلى الجرائم الضارة.

وينبغي الإشارة إلى أن هذه المخالفات لا تقوم المسؤولية فيها على مجرد ارتكاب الفعل بغض النظر عن خطأ الجاني، فالخطأ عنصر أساسي لقيام المسؤولية الجنائية، فإذا لم يكن فاعل أي سلوك مخطئاً في سلوكه وتصرفه فلا محل لقيام هذه المسؤولية، وخطأ الجاني هنا يتوافر عندما يكون غلط الفاعل في

الظروف التي يعمل فيها من الممكن تجنبه ببذل القدر الواجب من الانتباه^(٥٢)، فالخطأ في هذا النوع من المخالفات يفترضه القانون، وللمتهم أن يدفع عنه هذا الخطأ المفروض فترتفع عنه المسؤولية الجنائية اذا ثبت مثلاً أن الفعل المخالف للقانون كان نتيجة قوة قاهرة أو حادث فجائي الم به، فصاحب الحفرة الذي وضع عليها م صباحاً اطفأه انقطاع التيار الكهربائي أو أطفأته ريح عاصفة، لا يكون مسؤولاً بموجب المادة (٤٩٠/ف١) من قانون العقوبات العراقي.

ونذهب مع الرأي الراجح فقها فنقول:- ان تحقق النتيجة الإجرامية هو أمر ضروري لإقامة المسؤولية الجنائية، فهي عنصر من عناصر الركن المادي في الجريمة الناشئة عن الإهمال، وهي التي تكشف عن الخطأ الصادر عن الجاني والذي يشكل اعتداء على المصلحة المحمية قانوناً بالشكل الذي يوجب المسؤولية والعقاب عليه وهذه النتيجة قد تكون نتيجة ضارة عندما يترتب على السلوك الاجرامي تحقق ضرر، كما انما قد تكون نتيجة خطيرة، عندما يهدد السلوك عند اتيانه بخطر حدوث النتيجة المحتملة، وهذا يتجسد في اغلب المخالفات التي ترتكب بسلوك مجرد.

الفرع الثالث: العلاقة السببية في الاهمال

لا يكفي لتحقيق الركن المادي للجريمة غير العمدية أن تترتب على السلوك الخاطئ نتيجة إجرامية، بل لابد أن ترتبط هذه النتيجة بالسلوك برابطة السببية، فكثيراً ما يبدي الدفاع امام المحكمة المختصة دفاعاً يقضي بانعدام العلاقة السببية بين فعل الفاعل والنتيجة الاجرامية هادفاً من وراء ذلك اخلاء ساحة المتهم من المسؤولية على اعتبار أن هذه العلاقة هي عنصر ضروري ولازم في الركن المادي للجريمة بقيامها يقوم هذا الركن فتنهض المسؤولية وبعبء اثباته تطلق يد المتهم وينهار هذا الركن، فتنهار المسؤولية الجنائية المترتبة عليه.

فتعرف العلاقة السببية المادية بانها "الصلة التي تربط ما بين الفعل والنتيجة وتثبت أن ارتكاب الفعل هو الذي ادى الى حدوث النتيجة"^(٥٣)، كما تعرف بانها "الرابطه بين السلوك والنتيجة التي يكتمل بقيامها الركن المادي للجريمة ويتخلف بانعدامها أو بانقطاعها"، أو هي "العلاقة المباشرة أو غير المباشرة التي تشد النتيجة الى الفعل وتصل ما بينهما"^(٥٤).

وهكذا فان مساءلة شخص عن جريمة معينة تقتضي أن يكون الأمر المعاقب عليه ناشئاً عن عمله، بان يرتبط سلوك الجاني بالنتيجة المعاقب عليها ارتباط السبب بالمسبب والعلة بالمعلول والا فلا يسأل عنها ومن أجل ذلك كان البحث في هذه السببية من الأمور الجوهرية التي يجب مواجهتها عند البحث عن مساءلة شخص ماعن جريمة ما^(٥٥).

٥٢- الفرق بين الغلط والخطأ، الغلط هو التصرف الفاعل باتجاه النتيجة معتقداً في نفسه سلوكه صحيح مؤدي للنتيجة المبتغاة، اما الخطأ يكون سلوكه خاطئاً لا يؤدي بأي حال للنتيجة المطلوبة، فيكون الخطأ أشد من الغلط في السلوك والنتيجة والعلاقة بينهما وقت التجريم والعقوبة.

٥٣- د. عوض محمد، قانون العقوبات القسم العام، دار المطبوعات الجامعية، الاسكندرية ١٩٩٨، ص ١٨٧.

٥٤- القاضي فريد الزغي، الموسوعة الجزائية، المجلد الأول، المدخل الى الحقوق والعلوم الجزائية، دار صادر، بيروت بدون سنة طبع،

ص ٢٣٧

٥٥- د. علي احمد راشد، حول بعض قضايا المسؤولية الجنائية في قانون الجزاء، المرجع السابق، ص ١٨.

اذ لا يكفي لقيام الركن المادي في جريمة ما أن يأتي الفاعل بسلوك ايجابي او امتناع ولا أن تقع نتيجة اجرامية ضارة عنه فحسب، وانما يستلزم أن ينسب حصول هذه النتيجة الى ذلك السلوك الإيجابي او الامتناع في الجرائم العمدية وغير العمدية على حد سواء^(٥٦).

وهو ما عبرت عنه محكمة النقض الايطالية في أحد أحكامها حين قضت بأنه " لا يكفي لقيام الرابطة السببية أن يتوقف حدوث النتيجة على محض المصادفة بل يشترط ان تنسب النتيجة الى السلوك مثلما ينسب الأثر الى السبب"^(٥٧).

ولا يخفى صعوبة الاهتداء الى اثبات علاقة السببية المادية الامر الذي يؤدي الى نقضها هدم الركن المادي للجريمة لا سيما في الجرائم العمدية ذات الخطورة الواضحة وخاصة في الجريمة غير العمدية إذ ان للسببية فيها دوراً أكثر من مهم خاصة اذا ما علمنا أنهما قد تحل محل الركن المعنوي فيها، ويظهر ذلك في نص المادة (٤١١/٢) من قانون العقوبات العراقي وما يقابلها من نصوص في سائر التشريعات العقابية الأخرى والتي تنص على انه "من قتل شخصاً خطأ او تسبب في قتله من غير عمد"^(٥٨).

ولذلك فعلاقة السببية المادية هي مجموعة الاثار المادية المحسوسة التي تترتب على السلوك الايجابي او الامتناع المحظور فتتطور وتتلاحق حتى تصبح في النهاية في صورة نتيجة اجرامية فتلعب دوراً مهماً في ربط السلوك بالنتيجة فيقوم الركن المادي بقيامها ويتخلف بانعدامها او انقطاعها^(٥٩).

ونحن لانبحث هنا عما اذا كان الجاني مسؤولاً جنائياً ام لا، اذ ان المسؤولية او الادانة لا تؤثر في علاقة السببية المادية لأن الادانة متعلقة بالركن المعنوي للجريمة، فعلى سبيل المثال اذا ترتبت بعض النتائج عن سلوك الفاعل فان علاقة السببية المادية تتوافر، ولكننا لم نتعرض بعد المعرفة ما اذا كان الفاعل حراً التصرف ام مكرهاً، ام انه فاقد الادراك لجنون او عاهة عقلية، او معدوم الادراك اثر تناول مسكر او مادة مخدرة بدون اختياره وعلمه، وبناء على ما تقدم يمكننا القول بأنه لا توجد ادانة مطلقاً بدون علاقة سببية مادية، ولكن قد تكون هناك علاقة سببية مادية دون أن تتوافر اركان الادانة اتجاه الفاعل فاذا ما توافرت علاقة السببية المادية علينا أن نبحث عما اذا كان الفاعل مسؤولاً جنائياً ام لا، وهذه المسؤولية تنهض اذا ما توافر الادراك وحرية الاختيار لدى الفاعل فالإدانة تختلف عن السببية المادية، فبينما تدخل الادانة في الركن المعنوي للجريمة فان السببية المادية تدخل في الركن المادي لها^(٦٠).

المطلب الثاني: الركن المعنوي (الخطأ غير العمدية):

ليست الجريمة كيانا مادياً خالصاً قوامه السلوك الاجرامي واثاره، فلا يكفي مجرد الاسناد المادي للفعل او الامتناع المخالف للقانون الى شخص معين ليكون ذلك الشخص مسؤولاً جنائياً او ان تكون هناك

٥٦- حسن الفكاهي، موسوعة القضاء والفقه للدول العربية، ج ٢، تصدر عن الدار العربية للموسوعات القانونية، القاهرة ١٩٧٨، ص ١٠٩. ود. فخرى الحديثي، شرح قانون العقوبات، القسم العام، مصدر سابق، ص ٩٢.

٥٧- د. عادل عازر، رابطة السببية وتنظيم احكامها في مشروع قانون العقوبات، مجلة المحاماة، السنة ٨٤، العدد السابع سبتمبر ١٩٩٨، ص ٣٥.

٥٨- انظر المادة (٢٣٨) من قانون العقوبات المصري لسنة ١٩٣٧ المعدل، والمادة (٢٨٨) من قانون العقوبات الجزائري لسنة ١٩٦٦.

٥٩- د. محمود نجيب حسني، علاقة السببية في قانون العقوبات، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٨٣، ص ٥٠.

٦٠- د. محمود نجيب حسني، علاقة السببية في قانون العقوبات، مصدر سابق، ص ٣.

ثمة جريمة، وإنما يجب ان تكون الى جانب هذه العلاقة المادية علاقة اخرى ذات خصائص نفسية، وتجتمع العناصر النفسية للجريمة في ركن يختص بها وهو الركن المعنوي لذا فان الركن المعنوي يقوم على الصلة بين النشاط الذهني والنشاط المادي فأول ما يتطلب أن يكون النشاط المادي نتيجة ارادة فان لم يكن كذلك فلا يكون مجرماً ولو أدى الى توجيهها ضرر كما أن توجيه الارادة الى السلوك لا يكفي لإقامة الركن المعنوي بل يجب أن تكون هذه الارادة اجرامية، أي أن تكون آثمة ذلك انما تربط الفاعل بالواقعة الاجرامية، والاثم هو اساس الركن المعنوي وبالتالي فهو أساس المسؤولية الجنائية.

ويأخذ الركن المعنوي للجريمة احدى صورتين هما: - القصد الجنائي والخطأ غير العمدى فحين يتخذ الركن المعنوي صورة القصد الجنائي تكون الجريمة عمدية اذ تتجه ارادة الجاني الى السلوك الاجرامي الذي باشره والى النتيجة المترتبة عليه مع علمه بها وبكافة العناصر التي يشترطها القانون لقيام الجريمة أي بمعنى (تعمد الجاني احداث النتيجة المعاقب عليها)، أما حين يتخذ صورة الخطأ غير العمدى فان ارادة الجاني تتجه الى السلوك الاجرامي دون ارادة تحقق النتيجة سواء لم يتوقع حدوثها، او توقع امكانية حدوثها ولكنه لم يتخذ الاحتياط الكافي لتلافي حدوثها^(٦١).

وعليه فإن كلا من القصد الجنائي والخطأ غير العمدى يقوم على اتجاه إرادي منحرف نحو مخالفة القانون، غير أن هناك فرقا أساسيا بينهما يكمن في المدى الذي تنسحب عليه هذه الإرادة، فالإرادة تشمل الفعل والنتيجة في حالة القصد، بينما لا تشمل سوى الفعل دون النتيجة في حالة الخطأ غير العمدى^(٦٢).

ولغرض تحديد ركن الخطأ بشكل دقيق، لابد من التعرف على مفهومه وبيان عناصره وكما يأتي:

الفرع الأول: مفهوم الخطأ:

إن مسألة وضع تعريف للخطأ غير العمدى كانت محلاً لاجتهادات الفقهاء وخاصة في الدول التي لم تضع تعريفاً للخطأ في صلب قوانينها، لذا ذهب الفقهاء في تعريف الخطأ غير العمدى بمذاهب شتى ووضعوا تعريفات مختلفة، وبالتالي فلا نجد تعريفاً محدداً للخطأ غير العمدى نتيجة للاجتهادات الفقهية المنتشرة في هذا المجال.

ففي فرنسا اختلفت الآراء الفقهية حول تعريف الخطأ غير العمدى فهناك من يعرفه بأنه "الخطأ الذي لا يتفق مع الحيلة التي تطلبها الحياة الاجتماعية ويفرضها القانون" في حين يذهب رأي آخر إلى أن الخطأ غير العمدى "عبارة عن عمل اختياري أنتج أو كان يمكن أن ينتج نتائج لم يردها الفاعل لا مباشرة ولا غير مباشرة وإنما كان قادراً على منعها وكان يجب عليه ذلك"^(٦٣).

٦١- د. حسن محمد ربيع، شرح قانون العقوبات المصري القسم العام، الكتاب الأول المبادئ العامة للجريمة ط١، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٩٩، ص ٢٩٢.

٦٢- يذهب رأي في الفقه الى استخدام تعبير (الخطأ) للدلالة على الركن المعنوي في الجريمة غير العمدية بدلا من تعبير (الخطأ غير العمدى) بحجة أن التعبير الأخير غير دقيق، وأن تعبير الخطأ غير العمدى يعني وجود ما يقابله من خطأ عمدى في حين أن لفظ الخطأ يتعارض مع العمد فأما أن يكون هناك عمد يقتضي انصراف نية الفاعل الى احداث النتيجة الجرمية، وأما أن يكون هناك خطأ اذا شاب سلوك الفاعل إهمال في اتخاذ الحيلة والحذر الواجبين.

٦٣- فائز الخوري، الحقوق الجزائية، مطبعة الترقى، دمشق ١٩٦٩، ص ٨٢.

وفي هذا النطاق يعرف العلامة جازو الخطأ بقوله "عدم توقع نتيجة كان يجب على الفاعل أو كان يمكنه أن يتوقعها حين إتيان الفعل أو الامتناع الإرادي الذي ترتبت عليه هذه النتيجة فإذا لم يكن الجرم الخطأ عن فعل أرادي فلا يعاقب الفاعل". وفي تعريف آخر له يعرف الخطأ غير العمدي بأنه "التي لا يتفق مع الحيلة التي تتطلبها الحياة الاجتماعية" (٦٤).

ويعرف الفقه الألماني الخطأ غير العمدي من جانب بأنه "إهمال الفاعل لواجب اتخاذ الحيلة وبذل العناية الملزم بما شخصيا ولذلك لم يتفاد الفعل ولا النتائج المترتبة عليه مما حق عليه اللوم".

وفي نطاق الفقه العراقي يذهب رأي إلى أن القانون لا يعاقب في جرائم الخطأ على النتيجة لأن الجاني لم يردّها ولم يقصد أحداثها، وإنما لم يتوقع ترتبها على فعله، في حين أن ذلك كان باستطاعته أو كان واجبا عليه توقعها واتخاذ الحيلة اللازمة لتفادي النتيجة الجرمية، أو توقع حدوثها ولم يعمل على تداركها في حين أن باستطاعته أو من واجبه أن يتداركها قبل وقوعها في الحالتين فالخطأ ينشأ من كون الجاني لم يوجه أرائته التوجيه الصحيح الذي لا يضر بالغير، وهناك من يذهب إلى تعريف الخطأ غير العمدي بأنه "عدم الاحتراز من شيء يمكن الاحتراز منه فإذا لم يمكن الاحتراز منه يكون قضاء وقدرًا" (٦٥).

وبعد استعراض أهم الاتجاهات الفقهية في تعريف الخطأ غير العمدي نذهب إلى وضع تعريف له فنقول: إنّ الخطأ غير العمدي هو إخلال الجاني عند تصرفه إيجابيا أم سلبيا بواجبات الحيلة والحذر التي تفرضها قواعد القانون أو الخبرة الإنسانية العامة وعدم حيولته دون أن يفرض تصرفه إلى أحداث النتيجة الجرمية الضارة أو الخطرة، سواء توقعها أو كان عليه أن يتوقعها، لكنه لم يقبلها وكان بإمكانه الحيولة دون حدوثها.

أما الاتجاهات القضائية في تعريف الخطأ غير العمدي، فقد ساهم القضاء في معرض تناوله للقضايا والحالات التي تتخللها الحياة العملية المعروضة أمامه في وضع تعريفات متعددة ومتباينة للخطأ غير العمدي تختلف باختلاف الحالات المعروضة مما أدى إلى ظهور عدة تعريفات يمكن نسبتها إليه، فقد وضعت المحكمة الألمانية العليا تعريفا للخطأ غير العمدي فقالت "يفترض الخطأ غير العمدي أن الفاعل قد أغفل العناية التي كانت في استطاعته ومن واجبه بالنظر إلى ظروفه ومعلوماته وإمكاناته الشخصية فلم يتوقع النتيجة الإجرامية التي كان في وسعه توقعها لو بذل العناية المفروضة عليه أو توقع حدوثها ولكن قدر أنها لن تحدث" (٦٦).

ويلاحظ أن هذا التعريف قد تميز بالشمولية والدقة وتناوله عناصر الخطأ من حيث عدم مطابقة سلوك الجاني المستوى الحيلة والحذر واشتماله على تحديد طبيعة العلاقة النفسية بين إرادة الجاني والنتيجة الجرمية المتمثلة في صورة عدم توقع الجاني للنتيجة وعدم اتجاه أرائته إليها في حالة الخطأ بدون توقع، أو في صورة توقع الجاني للنتيجة وعدم اتجاه أرائته إليها ورغبته في عدم حدوثها في حالة الخطأ مع التوقع.

٦٤- د. رؤوف عبيد مبادئ القسم العام من التشريع العقابي المصري، المرجع السابق، ص ٢٧١.

٦٥- د. ذنون أحمد، شرح قانون العقوبات العراقي دراسة مقارنة الأحكام العامة ج ١، ط ١، مطبعة النهضة العربية القاهرة ١٩٧٧، ص ٢٩٠.

٦٦- د. محمود نجيب حسني، شرح قانون العقوبات القسم العام، مصدر سابق، ص ٣٩.

والحقيقة أن صورة الخطأ بدون توقع هي الصورة الشائعة للخطأ غير العمدي وهي ليست محل خلاف إذ أنها لا تختلط مع غيرها من حالات المسؤولية، وبالتالي فلا تثير هذه الصورة صعوبة في مسألة التمييز بينها وبين القصد الاحتمالي، لأن الجاني لم يتوقع النتيجة الضارة ولذلك فلا يوجد أي عنصر مشترك بين الخطأ بدون توقع والقصد الاحتمالي والذي من أهم عناصره.

الفرع الثاني: اما عناصر الخطأ فهي:

اولاً: اتجاه الإرادة إلى السلوك دون النتيجة، ومفاد هذا العنصر أن ارادة الفاعل يجب ان تتجه الى السلوك الاجرامي وتقف عنده، فلا تتجاوز الى النتيجة الإجرامية والا اصبحت النتيجة مقصودة والجريمة عمدية، وتتمثل الارادة في نشاط نفسي يتجه الى تحقيق غرض معين عن طريق وسيلة معينة، فهي القوة الدافعة لسلوك الانسان لكي يتصرف على نحو معين وذلك من اجل اشباع رغباته المتعددة، ومن ثم يتعين أن يصدر هذا النشاط النفسي عن وعي وادراك وحرية اختيار، مما يفترض معه العلم بالغرض المستهدف والوسيلة المستعملة لتحقيق هذا الغرض^(٦٧).

ان ارادة السلوك هو عنصر اساسي ولازم في الركن المعنوي أيا كانت صورته، فلا يسأل الشخص عن سلوكه ونتيجته الا اذا كان هذا السلوك تعبيراً عن ارادته ويستوي في ذلك أن تكون الجريمة عمدية او غير عمدية، غير أن هناك فارقاً جوهرياً يكمن في المدى الذي تنسحب عليه هذه الارادة، فهي تتجه في العمد الى السلوك والنتيجة معا في حين انها لا تنصرف سوى الى السلوك دون النتيجة في حالة الخطأ غير العمدي^(٦٨).

ولما كانت الارادة عنصراً لازماً في الخطأ لزومه في العمد، لذا فان انتفائها يعني تخلف الركن المعنوي من أساسه فالفاعل اذا لم يكن مريداً مختاراً لسلوكه كالمكره فان المسؤولية الجنائية تنتفي عنه في جميع اشكالها وهذا ما أشارت اليه المادة (٦٢) من قانون العقوبات العراقي بقولها "لا يسأل جزائياً من أكرهته على ارتكاب الجريمة قوة مادية أو معنوية لم يستطع دفعها" وإذا كان اتجاه الارادة إلى السلوك هو شرط عام ومشترك في سائر صور الركن المعنوي فان تخلف ارادة النتيجة هو من الأمور الجوهرية التي تميز الخطأ عن العمد، فالعمد لا يقوم الا اذا اتجهت ارادة الجاني الى النتيجة سواء بطريق مباشر أو غير مباشر، أما الخطأ فمن شروطه ان تتخلف الارادة عن النتيجة تماماً^(٦٩).

ثانياً: عنصر موضوعي يتمثل بالإخلال بواجبات الحيطة والحذر، مما لاشك أن هناك ثمة واجبا يقع على عاتق كل شخص في المجتمع، وهو أن يتخذ في تصرفه الحيطة والحذر كي لا يعرض الحقوق والمصالح التي يحميها القانون للخطر، فكل شخص مفروض عليه أن يتبصر في العواقب الممكنة ترتبها من اجل ان يتخذ ما يلزم من الحيطة والحذر والتدبر لتلافي تعريض حقوق الآخرين للخطر والعدوان^(٧٠).

٦٧- د. حسن محمد ربيع، شرح قانون العقوبات المصري القسم العام، مصدر سابق، ص ٢٣٩. وهناك من يذهب الى تعريف الارادة بأنها "النشاط الذهني والنفسي الذي يتجه الى سلوك معين بغية تحقيق نتيجة ما استناداً الى دافع وغاية معينة".

٦٨- د. محمود نجيب حسني، شرح قانون العقوبات، القسم العام، مصدر سابق، ص ٥٥٨.

٦٩- د. عوض محمد، قانون العقوبات، القسم العام، مصدر سابق، ص ٢٥٨.

٧٠- د. فخري عبد الرزاق الحديثي، شرح قانون العقوبات القسم العام، مصدر سابق، ص ٣٠٧.

وتستمد واجبات الحيطة والحذر أساسها من م صدرين رئيسيين هما: - القواعد القانونية و الخبرة الإنسانية أو الفنية، ولا يثير تحديد ومعرفة أساس واجبات الحيطة والحذر أي صعوبة إذا كانت القواعد القانونية هي التي تفرض هذه الواجبات، إذ لا يقوم شك في الالتزام بها، ذلك أن القواعد القانونية واضحة المعالم والعلم بما مفترض في حق الكافة، ويتعين أن يفهم لفظ القانون هنا بمعناه الواسع بحيث يشمل جميع فروع القانون وأنواعه، فالقانون لا يقتصر على ما تصدره السلطة التشريعية من تشريعات وإنما يشمل كل قواعد السلوك التي تصدرها مختلف السلطات المختصة في الدولة لذلك تعد اللوائح والأنظمة والأوامر والتعليمات والقرارات الإدارية بمثابة قوانين بالنسبة لما يفرضه على المخاطبين بها من واجبات يتعين عليهم الالتزام بها وعدم مخالفتها، والواجبات التي تستمد م صدرها من القانون كثيرة ومن قبيلها ما تنص عليه القوانين والتعليمات والقرارات الخاصة بالمرور والعمل وبيع الأغذية والأدوية وحمل السلاح وغيرها. وليس شرطاً أن تكون القاعدة مقرره بنص قانوني بل يستوي في ذلك أن وردت القاعدة في أي من المصادر القانونية المعروفة^(٧١).

ويطلق على الخطأ الناشئ من مخالفة التزامات الحيطة والحذر التي يكون م صدره القوانين واللوائح والأنظمة ب (الخطأ الخاص) نظراً لأنه خطأ ثابت حكماً أو مفترضاً^(٧٢).

والقانون هو ليس المصدر الوحيد لواجبات الحيطة والحذر، إنما الأساس العام لهذه الواجبات هي الخبرة الإنسانية العامة، إذ تقرر هذه الخبرة مجموعة من القواعد التي تحدد الاتجاه أو النحو الصحيح الذي يتعين أن يباشر وفقاً له نوع معين من السلوك وتساهم العلوم والفنون واعتبارات الملائمة في تكوين هذه القواعد، فإن اعترف القانون بجانب منها قيل عنه أنه م صدرها ومالم يعترف به منها تظل له على الرغم من ذلك قيمته وتنسب الواجبات التي يتضمنها إلى الخبرة الإنسانية العامة مباشرة^(٧٣).

وإذا حددنا على هذا النحو م صدر واجبات الحيطة والحذر انضحت لنا مجموعة من القواعد العامة فإذا طبقت على سلوك معين تبين لنا مدى التعارض أو التوافق بينهما، واتضح لنا من خلال ذلك مدى إخلال أو التزام هذا السلوك بهذه الواجبات.

وإذا أردنا معرفة كيفية تكوين الخبرة الإنسانية أي أن هذه الخبرة ممن تتكون؟ نجد أن أول ما يدخل في تكوينها هو ما تعارف عليه الناس في سلوكهم، والعرف ينشأ من اطراد الناس على اتباع سلوك معين في ظروف معينة مع اعتقادهم بضرورة الالتزام بهذا السلوك وإدانة من يشذ منهم عن ذلك، ويرجع هذا العرف إلى ما تعلمه الناس وما اكتسبوه بالتجربة والخبرة من الحياة في المجتمع، من أن طائفة معينة من السلوك إذا ما بوشرت في ظروف معينة فأفأها تنذر بالخطر، وأنه لا سبيل إلى توقي هذا الخطر إلا باتخاذ تدابير خاصة أو بالكف عن مباشرة السلوك نفسه، فعامية الناس تدرك أن القاء عقب سيكارة مشتعل في محطة بنزين أو في مكان به مواد قابلة للاشتعال كالخشب أو القش ينذر بإشعال حريق، ولذلك ففي هذه الأحوال وغيرها يقع على عاتق الفرد واجب اتباع أنماط معينة من السلوك إذا ما روعي على النحو الملائم

٧١- د. عوض محمد، قانون العقوبات القسم العام، مصدر سابق، ص ٢٥٦.

٧٢- د. محمد زكي ابو عامر، قانون العقوبات اللبناني القسم العام، الدار الجامعية للطباعة والنشر بيروت ١٩٨١، ص ١٦٩.

٧٣- د. فوزية عبد الستار، النظرية العامة للخطأ غير العمدى، مصدر سابق، ص ١٩. ود. محمود نجيب حسني، قانون العقوبات، القسم العام، مصدر سابق، ص ٦٤٠.

سلم وسلمت الجماعة معه من مخاطر أفعاله وهذا ما يجعل الأفراد يتعارفون على وجوب التزام الحرص عند اتیانهم السلوك في هذه الأحوال وغيرها^(٧٤).

والعرف قد يكون عاما او خاصا والعرف العام هو ما درج عليه الناس كافة على اختلاف طوائفهم ومهنتهم، اما العرف الخاص فهو ما درج عليه اهل مهنة أو حرفة معينة كالأطباء والصيداء والمهندسين والمحامين وارباب الصناعات المختلفة، فكل مهنة من هذه ترسم لأهلها صور السلوك الواجب الاتباع وهذه الصور تستقر لديهم بالخبرة وطول الممارسة حتى تصبح من الأصول المرعية التي يلام من يفرط أو يتهاون فيها^(٧٥)، ونستطيع ان نستنتج من ذلك أن الأفراد يدركون بالتجربة التي اكتسبوها من الحياة داخل المجتمع أن هناك قدرا أدنى من الحيطة والحذر او من الأصول الفنية ينبغي عليهم مراعاتها عند اتیانهم لسلوكهم، لأن تجاهل هذا القدر أو النزول عنه يولد خطرا من شأنه الأضرار بالحقوق والمصالح المحمية قانونا ولذلك فان على الشخص توقي الخطر وذلك باتخاذ القدر الكافي من الحيطة والتدبر وفي حالة عجزه فان عليه أن يعدل عن السلوك الذي ينطوي على خطر الإضرار بالغير.

ثالثا: عنصر نفسي يتمثل بالعلاقة النفسية بين الإرادة والنتيجة، لا تنهض المسؤولية الجنائية عن الخطأ غير العمدي بمجرد اخلال الجاني بواجبات الحيطة والحذر، فالغالب أن لا عقاب على هذا النوع من الجرائم على السلوك وحده، وانما عن السلوك الذي يقترن بنتيجة جرمية تتخلف عنه، ويستوي بعد ذلك أن تكون هذه النتيجة ضارة أو خطيرة. وهذا المنطق القانوني يحتم بالضرورة قيام علاقة معنوية نفسية بين الإرادة والنتيجة تكون بسببها هذه الارادة آثمة وبالتالي تصبح هذه الإرادة محل مؤاخذة القانون^(٧٦). ولا تتماثل هذه الرابطة في الجريمة غير العمدية عنها في الجريمة العمدية، وذلك لأنها تثير جدلا واسعا لدى الفقه الجنائي يمتد الى حد انكار وجودها في رأي بعضهم الى الاختلاف في طبيعتها في رأي بعضهم الاخر وهذا ما سنبينه فيما يأتي:-

الاتجاه الأول: ينكر أن صار هذا الاتجاه (المذهب الشخصي، الفقيه جارو) تصور أية علاقة معنوية (نفسية) بين الإرادة والنتيجة الإجرامية مادام الجاني في الجريمة غير العمدية لا يريد النتيجة الجرمية التي تحققت كما هو الحال في الجريمة العمدية ولهذا فان هذا الاتجاه يذهب الى القول بان العلاقة المعنوية الوحيدة المتصورة في هذا النوع من الجرائم هي العلاقة القائمة بين الإرادة والسلوك المنتج للنتيجة في الجريمة غير العمدية والتي ترتبط به سببا.

ويذهب بعضهم^(٧٧) في تبريرهم لقيام المسؤولية عن النتيجة في الجريمة غير العمدية الى التمسك باتجاه قانوني بحت، ويقول بتوافر الخطأ متى تطابقت الواقعة المرتكبة مع النموذج القانوني الذي ينص عليه نص التجريم دون تطلب ارتباط النتيجة بأي عنصر معنوي.

٧٤- د. عبد الفتاح مصطفى الصفي، قانون العقوبات، النظرية العامة دار الهدى للطبوعات ٢٠٠١، ص ٣٥١.

٧٥- د. محمود نجيب حسني قانون العقوبات، القسم الخاص، مصدر سابق، ص ١٤٥. و يوسف الياس حسو، مصدر سابق، ص ٢١٩.

٧٦- د. محمود نجيب حسني، شرح قانون العقوبات القسم العام، مصدر سابق، ص ٦٤٤.

٧٧- د. احمد صفوت، شرح القانون الجنائي، القسم العام، مصدر سابق، ص ١٦٨.

الاتجاه الثاني: يعترف انصار هذا الاتجاه (المذهب الموضوعي) بوجود علاقة معنوية بين الإرادة والنتيجة في الجرائم غير العمدية الا أنهم يختلفون في تفسير طبيعة هذه العلاقة، فيذهب رأي إلى القول بان هذه العلاقة النفسية تتمثل في غلط يقع به الجاني، فما دام الجاني في الجرائم غير العمدية لم يتوقع النتيجة الإجرامية على انها ضرورية الحدوث، لأنه لو كان يتوقعها لا احجم عن نشاطه المحقق لها ما دام لا يريدتها وتأسيسا على ذلك فلا يمكن تصور العلاقة النفسية الا في احدى صورتين هما:-

اما ان الجاني لم يتمثل النتيجة الاجرامية، او انه تمثلها على نحو مخالف للحقيقة، وهنا يكون الجاني قد وقع في غلط متمثل في حكم مخالف للحقيقة الموضوعية اصدره على هذه الواقعة، وهذا الغلط اما ان ينصب على علاقة السببية فيعدم في ذهن الجاني أي مساهمة لفعله في احداث النتيجة، او انه يصور له هذه المساهمة على نحو مخالف للحقيقة، أو ينصب هذا الغلط على الظروف التي يباشر فيها الجاني نشاطه فيفسرها على نحو مخالف للحقيقة كالصياد الذي يطلق النار على شيء متحرك خلف شجرة ظنا منه أنه طريدة فاذا به انسان فيرده قتيلا.

ولقد تعرض هذا الاتجاه إلى انتقادات عديدة ولعل من أبرزها، انه يعجز عن تفسير جميع صور الخطأ غير العمدية وخاصة في الجرائم الواقعة بسبب جهل الجاني ببعض الوقائع او السهوة كما أن بعض التشريعات الجنائية تميز في نصوصها بين الغلط والخطأ غير العمدية ناهيك عن أن بعضهم لاحظ أن فكرة الغلط لا تصلح كأساس قانوني عادل للعقاب على الجريمة غير العمدية^(٧٨).

الاتجاه الثالث: ويلقي هذا الاتجاه (المذهب الموضوعي الحديث) تأييدا كبيرا لدى الفقه بتصوره الرابطة بين الإرادة والنتيجة على أنها توقع الجاني للنتيجة الاجرامية او امكان توقعه لها وتقوم هذه النظرية في تفسيرها لتلك الرابطة في الجرائم غير العمدية على أساس أن العنصر المعنوي فيها لا يمكن أن يكون اراديا لأنه يفترض عدم اتجاه الارادة الى احداث النتيجة فيها^(٧٩).

وعلى ذلك فالعلاقة النفسية التي تربط الارادة بالنتيجة هي العنصر الرئيسي من عناصر الخطأ غير العمدية ويحصر فقهاء القانون هذه العلاقة في صورتين هما^(٨٠):

الصورة الاولى:- عدم توقع النتيجة الاجرامية وتحقق هذه الصورة إذا لم يكن الجاني يتوقع أن سلوكه قد يؤدي إلى حدوث النتيجة الاجرامية بينما كان باستطاعته وواجب عليه أن يتوقعها وان يعمل على تلافيها، فالجاني هنا لم يتوقع النتيجة ولم تتجه ارادته اليها، غير أن واقع الحال يبين أن هذه النتيجة متوقعة في ذاتها ومن ثم كان بإمكان الجاني وباستطاعته ان يتوقعها.

الصورة الثانية:- توقع النتيجة الإجرامية وتحقق هذه الصورة في حالة توقع الجاني للنتيجة المترتبة على سلوكه ولكنه لا يقبلها ويأمل في عدم تحققها ويعتقد أنها لن تتحقق معتمدا على مهارته وحذقه، وهذه الصورة تشمل حالتين هما:

٧٨- د. عادل عازر، رابطة السببية وتنظيم احكامها في مشروع قانون العقوبات، مصدر سابق، ص ٩٢.

٧٩- د. محمود حسني نجيب، علاقة السببية في قانون العقوبات، مصدر سابق، ص ٦٤٦.

٨٠- د. عبد الفتاح مراد، شرح جرائم القتل والاصابة الخطأ، مصدر سابق، ص ٢٨٩. ود. علي حسين خلف ود. سلطان عبد القادر الشاوي، المبادئ العامة في قانون العقوبات، مطابع الرسالة الكويت ١٩٨٢، ص ٣٢٤.

الأولى: - حالة توقع النتيجة ولكن الفاعل يعتقد باستخفاف أنها لن تحدث أي أن الفاعل لم يتخذ أي احتياطات للحيلولة دون حدوثها.

الثانية: - حالة توقع النتيجة غير ان الفاعل في هذه الحالة يتخذ احتياطات ولكنها لا تكفي للحيلولة دون حدوث النتيجة، هذا بشرط أن يكون في وسع الجاني اتخاذ الاحتياطات الكافية لمنع وقوع النتيجة ويطلق على الخطأ في هذه الصورة تعبير (الخطأ الواعي) او (الخطأ مع التوقع) او (الخطأ مع التنبؤ) او (الخطأ المدرك)، والفاعل في هذه الصورة يقدم على مباشرة السلوك الاجرامي وهو عالم بصلاحيته سلوكه الاحداث النتيجة الضارة، كما انه على بينة تامة من ماهية السلوك الذي صمم على ارتكابه ويتوقع نتيجته الاجرامية دون أن يصرف اليها ارادته، فالإرادة هنا ايضا قد أصابها الخمول في عدم تفادي نتيجة غير مشروعة تولدت اثرا لسلوكها.

ووجه الخطأ في هذه الصورة هو اصرار المتهم على اتيان سلوكه على الرغم من اتضاح خطره بالشكل الذي لا يرتضيه الشخص الحريص المتزن اذا وجد في الظروف ذاتها التي أحاطت بالفاعل^(٨١).

ومن خلال عرضنا للعلاقة النفسية بين الإرادة والنتيجة بصورتها الخطأ الواعي وغير الواعي نجد انهما متفقتان على أن الإرادة في كليهما لا تتجه الى النتيجة الاجرامية، فالنتيجة في ال صورتين غير مرغوبة ولا مقبولة من قبل الجاني ولذلك لا تتجه ارادته اليها اطلاقا ولكن ال صورتين تختلفان عن بعضهما في أن التوقع يتوافر في احدهما دون الآخر، وهناك من يرى أن التشابه بين صورتين الخطأ أعظم من ذلك فثمة قدر من عدم التوقع مشترك بينهما وان اختلف نطاقه، ففي حالة الخطأ غير الواعي فان الجاني لا يتوقع النتيجة على الاطلاق، الا انه في حالة الخطأ الواعي لا يتوقع حدوثها في صورة واضحة فيتوقع انها لن تحدث بفضل القدر الذي اتخذه من الاحتياطات او بفضل ما يأمله من حسن سير الأحداث^(٨٢).

والحقيقة أن صورة الخطأ بدون توقع هي الصورة الشائعة للخطأ غير العمدى وهي ليست محل خلاف اذا انما لا تختلط مع غيرها من حالات المسؤولية، وبالتالي فلا تثير هذه الصورة صعوبة في مسألة التمييز بينها وبين القصد الاحتمالي، لان الجاني لم يتوقع النتيجة الضارة ولذلك فلا يوجد أي عنصر مشترك بين الخطأ بدون توقع والقصد الاحتمالي والذي من أهم عناصره التوقع، اما ما هو محل الخلاف فهي صورة الخطأ مع التوقع ويرجع هذا الخلاف الى أن بينها وبين القصد الاحتمالي عنصر مشترك وهو التوقع.

ولهذا نجد أن الخطأ مع التوقع يدخل في معظم صوره في القوانين التي تأخذ بالقصد الاحتمالي في مجال العمد اذا اخذ صورة عدم المبالاة، فاذا اتى الشخص فعلا ينطوي على خطورة دون مبالاة ودون أن يكون م صحويا بقصد اجرامي مباشر، الا انه يعلم وقت اتيانه العمل انه من المرجح أو المحتمل أن تترتب عليه نتائج ضارة فاذا وقعت هذه النتائج فان الفعل لا يعد قد حدث خطأ وانما يعد قد ارتكب عمدا، وهذا ما أخذ به قانون العقوبات العراقي في المادة (٣٤/ب)، وقانون العقوبات اللبناني في المادة (١٨٩)، والسوري في المادة (١٨٨) والاردني في المادة (٦٤/١)^(٨٣).

٨١- منير رياض حنه، المسؤولية الجنائية للأطباء والصيادلة، دار المطبوعات الجامعية الإسكندرية ١٩٨٩، ص ٢٦.

٨٢- د. محمود نجيب حسني، شرح قانون العقوبات القسم العام، مصدر سابق، ص ٦٤٧.

٨٣- المادة (١٨٩) من قانون العقوبات اللبناني المرقم ٣٤٠ لسنة ١٩٤٣ فتنص على أنه "تعد الجريمة مقصودة وان تجاوزت النتيجة الجريمة الناشئة عن الفعل قصد الفاعل اذا كان قد توقع حصولها فقبل المخاطرة".

ويتضح أهمية الدور القانوني للعلاقة النفسية بين الإرادة والنتيجة في كونها ترسم للخطأ غير العمدي حدوده، وتضع له النطاق الذي يتواجد فيه فتكفل التمييز بينه وبين الحالات التي تنعدم فيها الإرادة الاجرامية في جميع صورها، كما أنها تكفل التمييز بينه وبين القصد الجنائي في كل صورة فإذا توافرت تلك العلاقة على النحو الذي اشرنا اليه اعلاه كنا أمام حالة خطأ غير عمدي، اما اذا انتفت تلك العلاقة وانتفت كل رابطة نفسية بين الفاعل والنتيجة كما لو لم يتوقع الفاعل النتيجة ولم يكن ذلك في استطاعته ولم يكن من واجبه، او اذ توقع النتيجة ولكن لم يكن بمقدوره أن يحول دون حدوثها فلا يتوافر الخطأ في الحالتين، وذلك لان الحادث يـ صبح من قبيل القوة القاهرة أو الحادث الفجائي، وهنا تمتنع المسؤولية الجنائية للفاعل حتى ولو تحققت النتيجة التي يعاقب عليها القانون لأننا نـ صبح أمام حالة انعدام العلاقة النفسية بين الفاعل والنتيجة الضارة، وبالتالي انعدام اساس المسؤولية القانونية، فإصابة عامل الاشارات في محطة السكة الحديد بشلل وقتي منعه من تحريك مفاتيح الخطوط الحديدية فتسبب ذلك في حصول حادث نتج منه اصابة عدد من الأشخاص، او الشخص الذي تمنعه الريح الشديدة من وضع مصباح على حفرة التحذير منها، ففي هاتين الحالتين لا يمكن نسبة الخطأ إلى الفاعل وذلك لاستحالة الوفاء بالتزاماته^(٨٤)، اما اذا توقع الجاني النتيجة واتجهت ارادته اليها وقبلها توافر القصد الجنائي بحقه، كما أن لهذه العلاقة دوراً اخر يتمثل في أنها تحدد النتيجة التي يسأل عنها الفاعل، اذ لا يسأل الفاعل عن نتيجة مالم تقم هذه العلاقة بينه وبين تلك النتيجة، وهذا يؤدي إلى انتفاء مسؤوليته عن نتيجة ترتبت على فعله، أي توافرت بينها وبين الفعل علاقة سببية ولكن لم توافر بينها وبين ارادته العلاقة النفسية المطلوبة لقيام الخطأ^(٨٥).

الخاتمة

أولاً: الاستنتاجات:

- توصلنا من خلال بحث جوهر الإهمال إلى أن هناك عاملين لحدوث الإهمال، هما عامل نفسي وعامل مادي أو اجتماعي.
- من خلال البحث إلى نتيجة غاية في الأهمية وهي أن الإهمال هو سلوك سلبى وان موضعه الطبيعي هو الركن المادي للجريمة وبالتالي استطعنا وضع حدود فاصلة بين الخطأ غير العمدي والإهمال والجريمة غير العمدية والتي طالما وقع كثير في شبهة الخلط بينهما. فالخطأ غير العمدي لا يساوي الجريمة غير العمدية بل هو يمثل الركن المعنوي فيها والذي يقابل القصد الجرمي في الجريمة العمدية، ولهذا فان الجريمة غير العمدية تتضمن الى جانب ركنها المعنوي (الخطأ غير العمدي) ركناً مادياً هو (السلوك الذي تترتب عليه النتيجة المحظورة الضارة او الخطرة وعلاقة السببية بين السلوك والنتيجة)، كما أن الخطأ غير العمدي لا يساوي الإهمال ايضاً لان الاخير هو صورة للسلوك الخاطئ، وهذا يعني أن الموضع الطبيعي للخطأ غير العمدي هو الركن المعنوي في حين أن موضع الإهمال هو الركن المادي. فالإهمال وفقاً لهذه الرؤيا هو

٨٤- د. احمد صفوت، شرح القانون الجنائي، القسم العام، مطبعة حجازي، القاهرة، بدون سنة طبع، ص ١٩٠.

٨٥- د. محمود نجيب حسني، شرح قانون العقوبات، القسم العام، مصدر سابق، ص ٦٤٨.

سلوك مادي معين بالتارك أو الامتناع الارادي يتمثل بالإخلال بواجب الحيطة والحذر والذي تترتب عليه الجريمة غير العمدية.

- وتوصلنا من خلال بحث نطاق الإهمال الجنائي، واختلاف موقف التشريع والقضاء المقارن حول تبني مبدأ ازدواج الخطأ أو وحدة الخطأ، الى تأييد الرأي الذي يذهب الى القول بوحدة الخطأ، وذلك لان الخطأ هو إخلال من الجاني بواجبات الحيطة والحذر ولذلك فاذا ما توافرت عناصر الخطأ قامت المسؤولية بحق الجاني، أما إذا انتفت عناصر الخطأ فلا قيام لأي نوع من انواع المسؤولية، فالخطأ اما ان يتوافر فتنهض بحق فاعله المسؤولية الجنائية والمدنية معاً، وأما ان ينتفي فتنتفي معه مسؤولية الجاني بنوعيتها.

- ان المشرع العراقي قد عاقب على جريمة الإهمال كما هو الحال في الجرائم غير العمدية لا لاعتبارها ذات قصد جرمي خطير يستوجب به العقاب من لأجل حق العام للمجتمع بل اورد العقوبة باعتبار هذه الجريمة من الجرائم الخطرة التي تهدد مصالح المجتمع والافراد المقررة ما يترتب على تحقق النتيجة هو خطر يهدد تلك المصالح يستوجب العقاب من المجتمع حتى لا يعود الجاني لتكرار ذلك السلوك المخل.

ثانياً: المقترحات:

- وضع في التشريع العراقي تعريفاً محدداً لجريمة الإهمال، منعا لظهور آراء واجتهادات فقهية في تعريفه، بعد ان علمنا اختلاف الفقه في تحديد معناه الفعلي بتحديد اركان الجريمة.
- بعد تحديد معنى الجريمة يحدد لها المشرع العقوبات كل حسب جسامته الفعل المرتكب بعد ان قرر المشرع بعدهما من الجرائم غير العمدية، تتناسب مع خطورة النتيجة المرتكبة.

المصادر

اولاً: الكتب القانونية والعربية:

١. العلامة الجوهري، الصحاح في اللغة والعلوم المجلد الثاني.
٢. د. ابو اليزيد علي المتيت، جرائم الاهمال ط٢، منشأة المعارف الاسكندرية ١٩٦٥.
٣. د. أحمد صفوت، شرح القانون الجنائي القسم العام، مطبعة حجازي القاهرة، بدون سنة طبع.
٤. د. أحمد عبد اللطيف، الخطأ غير العمدية في القانون الوضعي والشرعية الإسلامية مكتبة النهضة المصرية القاهرة ٢٠٠٤.
٥. د. أكرم نشأت إبراهيم، السياسة الجنائية، دراسة مقارنة، مكتبة النهضة بغداد ١٩٩٩.
٦. د. السعيد مصطفى السعيد، الاحكام العامة في قانون العقوبات ط٤، دار المعارف مصر ١٩٩٢.
٧. د. حسن صادق المرصفاوي، المرصفاوي في قانون العقوبات الخاص، منشأة المعارف الاسكندرية ١٩٧٨.
٨. د. حسن صادق المرصفاوي، قواعد المسؤولية الجنائية في التشريعات العربية، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم ١٩٧٢.
٩. حسن الفكهاني، موسوعة القضاء والفقه للدول العربية ج٢، تصدر عن الدار العربية للموسوعات القانونية، القاهرة ١٩٧٨.

١٠. د. حسن محمد ربيع، شرح قانون العقوبات المصري القسم العام الكتاب الأول، المبادئ العامة للجريمة ط١، دار النهضة العربية القاهرة ١٩٩٩.
١١. د. حميد السعدي، شرح قانون العقوبات الجديد ج ١، في الأحكام العامة الجريمة والعقاب والمسؤولية الجنائية ط ٢، دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٧٩.
١٢. د. ذنون أحمد، شرح قانون العقوبات العراقي دراسة مقارنة، في الأحكام العامة ج ١، ط١، مطبعة النهضة العربية القاهرة ١٩٧٧.
١٣. د. رمسيس بھنام، النظرية العامة للقانون الجنائي ط٣، منشأة المعارف الاسكندرية ١٩٩٧.
١٤. د. رمسيس بھنام، نظرية التجريم في القانوني الجنائي، معيار سلطة العقاب تشريعا وتطبيقا، منشأة المعارف الاسكندرية، بدون سنة طبع.
١٥. د. رؤوف عبيد، مبادئ القسم العام من التشريع العقابي المصري ط٢، مكتبة كلية التجارة، ١٩٦٤.
١٦. د. السعيد مصطفى السعيد، الأحكام العامة في قانون العقوبات، دار المعارف مصر ١٩٩٢.
١٧. د. سامي النصراوي، النظرية العامة للقانون الجنائي المغربي ج ١، مكتبة المعارف الرباط ١٩٨٦.
١٨. د. سليمان عبد المنعم، النظرية العامة لقانون العقوبات، دار الجامعة الجديد للنشر، الاسكندرية ٢٠٠٠.
١٩. د. سمير عالية، شرح قانون العقوبات القسم العام ط ١، دار النهضة العربية القاهرة ١٩٩٩.
٢٠. د. سمير عالية، شرح قانون العقوبات في القسم العام دراسة مقارنة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان ١٩٩٨.
٢١. د. سمير الشناوي، شرح قانون الجزاء الكويتي ط١، الكويت ١٩٨٠.
٢٢. د. صفية محمد صفوت، القصد الجنائي و المسؤولية المطلقة دراسة مقارنة ط١، دار ابن زيدون، بيروت ١٩٨٩.
٢٣. د. عادل عازار، المفهوم الحديث للجريمة غير العمدية، مقال مقدم الى مركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٩٦٧.
٢٤. د. عبد الفتاح مصطفى الصيفي، قانون العقوبات النظرية العامة، دار الهدى للمطبوعات، ٢٠٠١.
٢٥. د. عبد الفتاح مراد، شرح جرائم القتل و الاصابة الخطأ، شركة البهاء للبرمجيات و الكمبيوتر و النشر الالكتروني الاسكندرية ٢٠٠٤.
٢٦. د. علي أحمد راشد، القانون الجنائي المدخل وأصول النظرية العامة ط٢، دار النهضة العربية ١٩٧٤.
٢٧. د. علي حسين الخلف ود. سلطان عبد القادر الشاوي، المبادئ العامة في قانون العقوبات، مطابع الرسالة الكويت، ١٩٨٢.
٢٨. د. علي عبد القادر القهوجي، قانون العقوبات القسم العام، الدار الجامعية، بدون سنة طبع.
٢٩. د. عمر السعيد رمضان، شرح قانون العقوبات القسم العام، دار النهضة العربية القاهرة، بدون سنة طبع.
٣٠. د. عوض محمد، قانون العقوبات القسم العام، دار المطبوعات الجامعية، الاسكندرية ١٩٩٨.

٣١. د. عبد الفتاح مراد، شرح جرائم القتل والاصابة الخطأ، شركة البهاء للبرمجيات والكمبيوتر والنشر الالكتروني الاسكندرية ٢٠٠٤.
٣٢. د. عبد الفتاح مصطفى الصيفي، قانون العقوبات، النظرية العامة دار الهدى للمطبوعات ٢٠٠١.
٣٣. د. عدنان الخطيب، موجز القانون الجنائي المبادئ العامة في قانون العقوبات الكتاب الأول، مطبعة جامعة دمشق ١٩٩٣.
٣٤. فائز الخوري، الحقوق الجزائية، مطبعة الترقى دمشق ١٩٦٩.
٣٥. د. فخري عبد الرزاق الحديثي، شرح قانون العقوبات القسم العام، مطبعة الزمان بغداد، ١٩٩٢.
٣٦. د. فوزيه عبد الستار، المساهمة الاصلية في الجريمة دراسة مقارنة، دار النهضة العربية ١٩٧٩.
٣٧. القاضي فريد الزغبى، الموسوعة الجزائية المجلد الأول المدخل الى الحقوق والعلوم الجزائية، دار صادر بيروت.
٣٨. د. فوزيه عبد الستار، المساهمة الاصلية في الجريمة دراسة مقارنة، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٩٧.
٣٩. د. مأمون محمد سلامه، قانون العقوبات القسم العام ط٣، دار النهضة العربية القاهرة ٢٠٠١.
٤٠. د. محمد زكي أبو عامر، قانون العقوبات اللبناني القسم العام، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨١.
٤١. د. محمد صبحي نجم، قانون العقوبات القسم العام النظرية العامة للجريمة ط٣، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، الاردن عمان ١٩٩٩.
٤٢. منير رياض حنا، المسؤولية الجنائية للأطباء والصيدلة، دار المطبوعات الجامعية الاسكندرية ١٩٨٩.
٤٣. د. محمود نجيب حسني، شرح قانون العقوبات القسم العام ط ٦، دار النهضة العربية القاهرة ١٩٨٩.
٤٤. د. محمود نجيب حسني، شرح قانون العقوبات اللبناني القسم العام، دار النهضة العربية القاهرة بدون سنة طبع.
٤٥. د. محمود نجيب حسني، علاقة السببية في قانون العقوبات، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٨٣.
٤٦. د. واثبة داود السعدي، قانون العقوبات القسم الخاص، بغداد ١٩٨٨.
٤٧. د. وداد عبد الرحمن القيسي، جريمة الاهمال دراسة مقارنة ط٢، الناشر صباح صادق جعفر الانباري بغداد ٢٠١٥.

ثانياً: اطاريح الدكتوراه والرسائل

- ١- ماهر عبد شويش، النظرية العامة للخطأ في القانون الجنائي، رسالة دكتوراه كلية القانون، جامعة بغداد- ١٩٨١.
- ٢- يوسف الياس حسو، المسؤولية الجنائية عن الخطأ غير العمدي، رسالة ماجستير كلية القانون، جامعة بغداد، ١٩٧١.

ثالثا: البحوث الجامعية والمقالات القانونية:

- ١- ابراهيم حميد كامل، جريمة الاهمال الجسيم في اداء الوظيفة العامة، بحث مقدم الى هيئة النزاهة، دائرة التحقيقات حزيران ٢٠٠٨.
- ٢- د. توفيق الشاوي، محاضرات عن المسؤولية الجنائية في التشريعات العربية، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة ١٩٥٨.
- ٣- د. سمير الشناوي، الخطأ كأساس للتجريم والعقاب، المجلة العربية للدفاع الاجتماعي، اكتوبر العدد الثامن، ١٩٨٧.
- ٤- د. عادل عازر، المفهوم الحديث للجريمة غير العمدية، تقرير مقدم الى المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٩٦٧.
- ٥- د. عادل عازر، رابطة السببية و تنظيم أحكامها في مشروع قانون العقوبات، مجلة المحاماة، العدد السابع، السنة الثامنة والاربعون سبتمبر، ١٩٩٨.
- ٦- د. علي أحمد راشد، حول بعض قضايا المسؤولية الجنائية في قانون الجزاء، مجلة ادارة الفتوى والتشريع، العدد الأول، الكويت، ١٩٨١.
- ٧- د. واثبه داود السعدي، ملامح السياسة الجزائية الحديثة في التشريع الجزائري في العراق، مجلة القانون المقارن، تصدرها جمعية القانون المقارن العراقية العدد الخامس عشر السنة العاشرة، ١٩٨٣.

رابعا: القوانين العراقية والعربية:

- ١- قانون العقوبات المصري رقم (٥٨) لسنة ١٩٣٧ المعدل.
- ٢- قانون العقوبات اللبناني الصادر سنة ١٩٤٣.
- ٣- قانون العقوبات السوري رقم (١٤٨) لسنة ١٩٤٩.
- ٤- قانون العقوبات الاردني رقم (١١) لسنة ١٩٦٠ المعدل.
- ٥- قانون العقوبات العراقي رقم (١١١) لسنة ١٩٦٩ المعدل.
- ٦- قانون العقوبات الجزائري لسنة ١٩٦٦ المعدل.
- ٧- قانون أصول المحاكمات الجزائية رقم (٢٣) لسنة ١٩٧١.
- ٨- قانون العقوبات في سلطنة عمان لسنة ١٩٧٤.

خامسا: المصادر الأجنبية (FOREIGN REFERENCES)

- Edward jenks: The book of English law, 5th edition, London 1953.
- Jean Laguier: Droit penal generate procedure penal toilsome edition,Dallas, Paris, 1970
- Remo pannain: manual droit penal, art general, 1960.

قياس كفاءة الأداء التشغيلية للمصارف الإسلامية في العراق
"المصرف الوطني الإسلامي ومصرف إيلاف الإسلامي"
حالة دراسية للمدة (٢٠١١-٢٠١٥)

*Measuring the efficiency of the operational performance
of Islamic banks in Iraq "National Islamic Bank and
Islamic Bank of Ilaf" Case study for the period (2011-
2015)*

Assistant Lecturer.Alyaa.K.A

م.م علياء كاظم عيال^(١)

المستخلص

تضمن هذه الدراسة إجراء قياس كفاءة الأداء لكل من المصرف الوطني الإسلامي و مصرف إيلاف الإسلامي و للمدة من (٢٠١١-٢٠١٥) وقد تم استخدام أسلوب وطريقة تحليل مغلف البيانات (DEA) (Data Envelopment Analysis) لقياس كفاءة أداء المصرفين المذكورين، وقد توصلت النتائج إلى وجود كفاءة مرتفعة فيما يخص كفاءة الأداء الفنية وكفاءة الأداء الحجمية ومؤشرات السعة إذ حقق المصرف الوطني الإسلامي كفاءة أداء بنسبة (٩٧٪) والتي كانت مقارنة من نسبة كفاءة الأداء لمصرف إيلاف الإسلامي والتي تتمثل بنسبة (٩٨٪). وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من الاستنتاجات والتي تتمثل بإمكانية زيادة ورفع كفاءة أداء المصرف الوطني الإسلامي بمقدار (٣٪) لتحقيق أعلى مستوى من الكفاءة الفنية، وكذلك بالنسبة لمصرف إيلاف الإسلامي والذي بإمكانه زيادة كفاءة الأداء بنسبة (٢٪) للوصول إلى أعلى مستوى من الكفاءة في الأداء. ومن خلال الاستنتاجات التي توصل إليها البحث، خرج البحث بمجموعة من التوصيات وكان من أهمها العمل على تحقيق التوازن بين مدخلات كل مصرف من المصارف عينة الدراسة و بين مخرجاتها بغية التوصل إلى أعلى كفاءة اداء ممكنة.

١ - المعهد التقني المسيب/جامعة الفرات الأوسط التقنية.

Abstract

This study is included Measure performance efficiency for both National Islamic Bank and Islamic Bank of the country For the period (2011-2015), The method and method of data analysis (DEA) To measure the performance efficiency of these banks, The results showed High efficiency The efficiency of technical performance and efficiency of volume performance and capacity indicators. The National Islamic Bank achieved a performance efficiency of(97%), Which was close to the performance ratio of the Islamic Bank of Elaf, which is (98%).The study has reached a number of conclusions, namely, the possibility of increasing and improving the performance of the National Islamic Bank by (3%) to achieve the highest level of technical competence, As well as for the Islamic Bank of Elaf, which can increase the efficiency of performance by (2%) to reach the highest level of efficiency in performance. Through the findings of the research, The research came out with a set of recommendations, the most important of which was to work on balancing the inputs of each sample bank and its outputs in order to achieve the highest possible performance efficiency.

المقدمة

تعد المصارف عصب الاقتصاد، لأنها تحفظ الأموال وتنميها وتسهل تداولها وتخطط لاستثمارها. و لا يمكن تجاهل الدور الايجابي الذي يلعبه الجهاز المصرفي في الخدمات و التمويل والاستثمار، و في مختلف النشاطات المالية و الاقتصادية و الاجتماعية، فالمصارف تنظم و تسهل عمليات التعامل بين الأفراد و مؤسسات المجتمع، و المصارف الإسلامية تلتزم بجميع أعمالها بأحكام الشريعة الإسلامية، و تتميز بأنها مصارف متعددة الوظائف، فهي تؤدي دور المصارف التجارية و المتخصصة، إلا أنها تختلف في كفاءة الأداء التشغيلية من مصرف لآخر و حسب مدخلات و مخرجات كل مصرف، وتمثل كفاءة الأداء الدافع الرئيسي لأية مؤسسة سواء أكانت مصرفية أو غير ذلك أي يمثل الركيزة الأساسية لاستمرار عمل أية مؤسسة.

أهمية البحث

يسعى القطاع المصرفي بما فيه المصارف الإسلامية لدفع عجلة التنمية الاقتصادية وفي ضوء ذلك تأتي أهمية البحث في محاولة لقياس كفاءة الأداء التشغيلية للمصارف الإسلامية العراقية المذكورة في البحث باستخدام أسلوب تحليل مغلف البيانات (DEA).

مشكلة البحث

تسعى المؤسسات جميعها ومنها المصارف الإسلامية إلى تحقيق أكبر قدر من العوائد أو الإيرادات وذلك من خلال الاستغلال الأمثل للموارد المتاحة لكن هناك تحديات كبيرة تواجهها على المستوى المحلي والدولي و هذا يعود الى حالة عدم الاستقرار في الاسواق المالية العالمية فضلا عن الازعاج السياسية

والاجتماعية المضطربة في مختلف دول العالم. و هذا الامر يحتم على المصارف ان تقيس كفاءة الاداء التشغيلية بصورة مستمرة وبذلك تتمثل مشكلة البحث بالتساؤل الآتي.
هل ان كفاءة الأداء التشغيلية في القطاع المصرفي للمصارف الإسلامية عينة البحث هي ذات كفاءة تنافسية؟

أهداف البحث

- ١- قياس كفاءة الأداء التشغيلية (الفنية) للمصارف الإسلامية في العراق (المصرف الوطني الإسلامي و مصرف إيلاف الإسلامي) لمعرفة مدى قدرة المصارف على تحقيق أعظم الارباح في ظل استخدام الموارد المتاحة.
- ٢- قياس كفاءة السعة للمصرفين المذكورين أعلاه للوقوف على معرفة الاستغلال الامثل للموارد المتاحة لقياس مدى قدرة المصارف على تحقيق الارباح اذ ان هذا المؤشر يعبر عن العلاقة بين المدخلات و المخرجات.

فرضية البحث

يفترض البحث أنَّ كفاءة الأداء التشغيلية للمصارف الإسلامية في العراق هي كفاءة فنية متميزة وعالية و هذا ما تحاول الدراسة تفنيده أو إثباته.

منهجية البحث

يستخدم البحث التحليل الوصفي والرياضي للوصول إلى النتائج ويركز على إظهار نسب كفاءة الأداء الفنية و الحجمية و المقارنة بينهما.

حدود البحث

- الحدود الزمنية (٢٠١١-٢٠١٥).
- الحدود المكانية "المصرف الوطني الإسلامي" و "مصرف إيلاف الإسلامي".

الدراسات السابقة

١. قام الشهري في العام (٢٠٠٠) بدراسة تقويم الأداء المالي للمصارف الإسلامية وكانت هذه الدراسة تهدف إلى تقويم الأداء المالي للمصارف الإسلامية العاملة في السوق السعودية خلال المدة ١٩٨٨-١٩٩٢، واستخدم الباحث التحليل المالي والإحصائي، أما المنهج المستخدم فهو استخدام المنهجين المقارن والاستنباطي، وقدمت الدراسة مجموعة من التوصيات وكانت أهمها الاهتمام باستخدام الموازنة النقدية كأداة للتخطيط في مجال النقدية، و تخفيض المصروفات الثابتة و المتغيرة مع زيادة الإيرادات، وضرورة الاستفادة من جميع الأساليب الحديثة في مجال التخطيط المالي.
٢. قدم خطاب في العام (٢٠٠٢) دراسة عن علاقة البنوك الإسلامية بالبنوك المركزية المشكلات و العقبات وكيفية التغلب عليها حيث اهتمت هذه الدراسة بتوضيح طبيعة العلاقة بين المصارف الإسلامية و البنوك المركزية بحيث لا تفقد البنوك المركزية دورها في وضع قوانين و أطر و أحكام

خاصة تنظم علاقة البنوك الإسلامية بالبنوك المركزية و توصلت الدراسة إلى مجموعة من التوصيات كانت من أهمها أن تعمل البنوك الإسلامية على تفعيل دور الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية بحيث يقف فعلياً إلى جانبها عند وجود أزمات و كذلك وجود هيئة رقابة شرعية فنية لدى البنك المركزي تتخصص في رقابة البنوك الإسلامية و دعم مصالحها.

٣. قام الطالب في العام (٢٠٠٥) بدراسة تقييم الأداء المالي للبنك الإسلامي الأردني للتمويل و الاستثمار وهدفت الدراسة إلى تقييم الأداء المالي للبنك الإسلامي الأردني للتمويل و الاستثمار، حيث تم تحليل الوضع المالي للبنك الإسلامي المشار إليه أعلاه للاطلاع على أنشطته المالية الاستثمارية، و المجالات التي يتم توظيف الأموال فيها خلال المدة ١٩٩٨-٢٠٠٠ و توصلت الدراسة إلى مجموعة توصيات أهمها (أعادة النظر في جميع خطوط البنك الاستثمارية و الموازنات المرتبطة بها، ثم البحث عن صيغ للتوسع في العمل البنكي الإسلامي على مستوى المنطقة العربية ككل.

٤. درس قريشي في العام (٢٠٠٦) قياس الكفاءة الاقتصادية في المؤسسات المصرفية و كانت هذه الدراسة تهدف إلى الجمع بين أدوات التحليل المالي و أدوات التحليل الاقتصادية صادي من خلال تحليل مؤشر هامش الربح كنسبة مالية بهدف قياس كفاءة إدارة التكاليف، وتقدير وفورات الحجم ووفورات النطاق للمؤسسات المصرفية الجزائرية ومن أهم توصيات الدراسة عدم توسع نشاط المصارف الجزائرية عن الحجم الأمثل حيث بلغ الحد الأدنى الكفاءة حوالي ٢٦٠ مليون دينار جزائري، بالإضافة إلى محافظة المصارف على التنوع في منتجاتها للحفاظ على وفورات النطاق.

٥. قام بادير أيت في العام (٢٠٠٧) بدراسة كفاءة البنوك التقليدية مقابل البنوك الإسلامية: الأدلة الدولية باستخدام النهج العشوائي (SFA) لمقارنة كفاءة التكاليف و كفاءة الإيرادات و كفاءة الأرباح ل ٨٠ مصرف في ٢١ دولة من منظمة المؤتمر الإسلامي (OIC) وتشمل الدراسة ٤٣ مصرفاً إسلامياً و ٣٧ مصرفاً تقليدياً، باستعمال طريقة تحليل مغلف البيانات (DEA) خلال الفترة (١٩٩٠-٢٠٠٥) وتمت الدراسة حسب حجم وعمر ومكان تواجد المصارف وأظهرت النتائج أنَّ هناك عدم كفاءة في استخدام الموارد في جميع البنوك محل الدراسة بشكل عام وعدم وجود اختلافات جوهرية بين نتائج الكفاءة في المصارف التقليدية و المصارف الإسلامية، بالإضافة إلى عدم وجود فرق مهم في متوسط الكفاءة بين المصارف كبيرة الحجم مقابل المصارف الصغيرة والجديدة مقابل القديمة في كل من المصارف الإسلامية والتقليدية. وعموماً كانت النتائج لصالح النظام المصرفي الإسلامي الأكثر حداثة.

٦. قدم أولين وآخرون في العام (٢٠١٠) بدراسة الكفاءة والربحية المصرفية في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا هذه الدراسة تهدف إلى تقدير كفاءة المصارف في بعض الدول العربية ومقارنة هذه النتائج مع المؤشرات المحاسبية لربحية هذه المصارف متمثلة في العائد على الأصول والعائد على حقوق الملكية، وقد اعتمدت هذه الدراسة طريقة التوزيع الحر DFA عن طريق تقدير ذاتي التكلفة و الربح بغرض تقدير مؤشرات الكفاءة للمدة ٢٠٠٠-٢٠٠٨ ومن ثم قياس متوسط كفاءة المصارف

حسب البلد ومقارنتها بالمؤشرات المحاسبية للربحية، حيث تكونت عينة الدراسة من ٣٨ مصرف موزعة على عشر دول عربية مختلفة.
و أخيرا فأن الدراسة الحالية تتميز عن سابقتها بأنها تناولت قياس الكفاءة التشغيلية للمصارف الإسلامية في العراق حسب أسلوب أو طريقة مغلف البيانات (DEA).

المبحث الأول: الجانب النظري

يتضمن هذا المبحث عرضاً لمفهوم الأداء والكفاءة فضلاً عن مفهوم وأسس المصارف الإسلامية مع إشارة إلى طريقة أو أسلوب مغلف البيانات المعتمد في هذا البحث

أولاً: مفهوم الكفاءة:

الكفاءة هي معدل فعالية النظام أو نسبة المخرجات المفيدة من إجمالي المدخلات، ومن أجل تقييم كفاءة عمل آلة أو عمل تجاري، لابد من تحديد وقياس المدخلات والمخرجات وتحديد الحد الأدنى لنسبة المدخلات إلى المخرجات (Tannenwald, 1995: p42). ويعتمد قياس كفاءة الأداء أسس متنوعة سواء كانت محاسبية أو اقتصادية أو تجارية للحكم على كفاءة تنفيذ المشروع لأهدافه حسب الظروف المحيطة (آل ادم وألوزي، ٢٠٠٥: ٢٠١).

ولا يختلف مفهوم الكفاءة في المؤسسات المصرفية عنه في المؤسسات الاقتصادية الأخرى، من حيث الاستغلال الأمثل للموارد أو تحقيق أقصى مخرجات من الموارد المتاحة للمؤسسة المصرفية أو تحقيق مخرجات معينة بأدنى كلفة ممكنة. حيث يفترض إن هناك مصارف أفضل من غيرها، ويرجع ذلك إلى اختلاف نوعية تنظيمها، مما يمكنها تحسين إدارة التدفقات والتعاملات المالية وهذه المصارف تكون أكثر كفاءة تقنياً بسبب سيطرتها على الجوانب التقنية للوساطة المالية، مما يخولها تقديم الحد الأقصى من هذه الخدمات اعتماداً على مستوى معين من الموارد، إلى جانب هذه الكفاءة التقنية المتمثلة في الكيفية المثلى في الربط بين الموارد والمخرجات من الخدمات المالية تتمثل في اختيار تركيبة الموارد الأقل تكلفة لإنتاج الحد الأقصى من الخدمات المالية. وعليه فأن تلك المصارف ذات الكفاءة المصرفية أو التخصصية تتمكن من مجابهة القيود والمتغيرات المرافقة لتغير الأسعار واشتداد المنافسة (عبد مولا، ٢٠١١: ٣).

ويمكن القول إن المؤسسات المصرفية تكون ذات كفاءة إذا استطاعت توجيه الموارد الاقتصادية المتاحة لها نحو تحقيق أكبر قدر ممكن من العوائد بأقل قدر ممكن من الهدر، أي التحكم الناجح في طاقتها المادية والبشرية، هذا من جهة وتحقيقها للحجم الأمثل وعرضها لتشكيلة واسعة من المنتجات المالية من جهة أخرى (رايس وفاطمة الزهراء، ٢٠٠٩: ٦١). إذا فالكفاءة تعبر عن مدى نجاح الوحدات الاقتصادية في أحكام العلاقة بين الموارد المستخدمة والإنتاج بطريقة كفوءة تهدف إلى تعظيم الناتج وتخفيض المدخلات، إذ يتمتع مفهوم الكفاءة الاقتصادية بالاهتمام على مختلف التسويات، سواء كان ذلك على المستوى القطاعي أو على المستوى القومي، وهي تمثل ضرورة حيوية في كيفية توجيه وتنسيق الأنشطة المختلفة، فالكفاءة الاقتصادية تمثل مصطلحاً يشير إلى الاستخدام الأمثل للموارد، وذلك بهدف تعظيم الإنتاج من السلع والخدمات ويمكن القول أن أي نظام اقتصادي يعد أكثر كفاءة مقارنة مع نظام

قياس كفاءة الأداء التشغيلية للمصارف الإسلامية في العراق "المصرف الوطني الإسلامي ومصرف إيلاف الإسلامي" آخر(من الناحية النسبية) إذا تمكن من تقديم المزيد من السلع والخدمات للمجتمع دون استخدام مزيد من الموارد. وتتضمن الكفاءة بمفهومها العام تحقيق أعظم مستوى من الإنتاج عند مستوى معين من التكنولوجيا المتاحة (Kalu&Mbanasor,2008:313) ويمكن تعريف الكفاءة بأنها استعمال م صادر الثروة بطريقة تسمح بالحصول على أكبر قدر ممكن من الدخل الصافي، الذي يعد المعيار الرئيسي لقياس الكفاءة الاقتصادية (السامرائي، ١٩٨١: ٨١). أو من وجهة نظر أخرى تعرف الكفاءة الاقتصادية بأنها استعمال موارد الإنتاج بالشكل الذي يمكن معه تحقيق إنتاج أكبر بتكاليف الإنتاج السابقة نفسها أو تحقيق الإنتاج السابق نفسه بتكاليف إنتاج أقل (الحسيني، ١٩٩٩: ٧١). ومن خلال استعراض مفاهيم الكفاءة في أعلاه يتبين لنا إن الاختلاف و التنوع في طبيعة نشاط المؤسسة المصرفية، وتعدد طرق قياس مدخلاتها ومخرجاتها، صاحبه تنوع في طرق قياس الكفاءة المصرفية وأدواتها (رايس وفاطمة الزهراء، ٢٠٠٩: ٦٢). وتعود فكرة قياس الكفاءة المصرفية إلى أعمال Farrell عام ١٩٥٧ وهو الذي حدد مقياسا بسيطا لكفاءة الشركة التي تشكل من مدخلات متعددة، حيث افترض إن الكفاءة تتكون من عنصرين الكفاءة التقنية(الفنية) وكفاءة التخفيض (السعرية)، والجمع بين المقياسين يوفر قدرا من الكفاءة الكلية (Worthington,1998:3)، وفيما يلي توضيح لكل من الكفاءة التقنية(الفنية) و الكفاءة التخصصية(السعرية) و الكفاءة الحجمية.

١- الكفاءة الفنية(التقنية) (Technical Efficiency).

تعرف الكفاءة الفنية (TE) على أنها كفاءة استثمار الموارد من الناحية الفنية، ودرجة استخدام هذه الموارد إلى المستويات المثلى من الناحية العلمية للوصول إلى المستويات المثلى في مجال استثمار الموارد، وتحقيق أهداف وغايات مرغوب فيها. ويقصد بالكفاءة الفنية مقدرة المنشأة على تحقيق أعظم ناتج أو خدمة في ظل مجموعة الموارد المتوفرة (Coelli وآخرون، ٢٠٠٣) ويشار إليها أيضا بأنها تعكس قدرة الوحدة الإنتاجية للحصول على الطاقة الإنتاجية العظمى باستخدام المدخلات المتاحة أي عدم وجود هدر في الموارد وتقع قيمتها بين ال صفر و الواحد. فعندما تكون الكفاءة الفنية مساوية للواحد تكون الكفاءة الفنية كاملة، أما إذا كانت أقل من الواحد هذا يعني انه بالإمكان للوحدة الإنتاجية خفض نسبة المدخلات للحصول على كمية الإنتاج نفسها أو أعلى من كمية المدخلات. (Osborne and Trueblood,2006: 25) ومن خلال التعاريف التي اشرنا إليها في مفهوم الكفاءة الفنية يمكننا أن ننظر الى مؤشر الكفاءة الفنية من جانبين الاول هو ما يتعلق بجانب المدخلات الذي يمثل تعريف الكفاءة الفنية بأنها تحقق مخرجات معينة بأدنى مدخلات ممكنة، ويعبر عنه بمقياس او معيار الادخار أو التخصص في المدخلات، ويتحقق هذا المقياس بمقارنة التوليفة الفعلية المثلى للمدخلات و المخرجات، (ننظر من حيث المدخلات) بالمدخلات المطلوبة للمخرجات الفعلية الكفاء، ويمكن التعبير عنها بالعلاقة الآتية:

المدخلات المطلوبة الفعلية

$$TE = \frac{\text{المدخلات المطلوبة الفعلية}}{\text{المدخلات المطلوبة}} = 1 \dots\dots(1)$$

المدخلات الفعلية

وعليه فإن الوحدة الكفاء هي التي تكون لديها المدخلات الفعلية تساوي المدخلات المطلوبة للمخرجات الفعلية الكفاء. وبذلك تتحقق نسبة تساوي الواحد وتكون أكفاء تقنيا، أما الوحدة غير الكفاء، فتكون لديها مدخلات فعلية أكبر من المدخلات المطلوبة للمخرجات وذلك يعني بإمكان المؤسسة خفض نسبة المدخلات التي تحقق الانتاج السابق أو توفر نسبة من تكاليف الانتاج المستخدمة للحصول على المستوى السابق للانتاج.

أما الجانب الثاني من الكفاءة الفنية فيتمثل بجانب المخرجات الذي يعرف الكفاءة الفنية بأنها تحقيق أقصى المخرجات من الموارد المتاحة، و يعبر عنه بمقياس أو معيار زيادة المخرجات و يتحقق هذا المقياس بمقارنة التوليفة الفعلية للمدخلات و المخرجات (نظر من حيث المخرجات) بالمخرجات الكفاء لنفس المدخلات، و بعبارة أخرى هي النسبة بين المخرجات الفعلية و المخرجات الممكنة تحقيقها (الكامنة) عند مستوى الحد الكفاء باستخدام المدخلات الفعلية و تقاس بالعلاقة التالية:

$$TE = \frac{\text{المخرجات الفعلية}}{\text{المخرجات الكامنة للمدخلات نفسها}} \quad (٢) \dots\dots\dots$$

المخرجات الكامنة للمدخلات نفسها

وعليه فإن الوحدة الكفاء تقنيا هي تلك التي تحقق نسبة الواحد الصحيح و تكون مخرجاتها الفعلية تساوي المخرجات الكامنة لمدخلاتها الفعلية، أما الوحدة غير الكفاء تقنيا فهي التي تحقق نسبة أقل من الواحد الصحيح، و تكون مخرجاتها الفعلية أقل من المخرجات الكامنة لمدخلاتها (ختو، القريشي، ١٤٠:٢٠١٣).

و أن هناك أنموذجان رئيسيان يتم استخدامها لقياس الكفاءة الفنية لها علاقة بالعائد على السعة (RTS) الانموذج الاصلي الذي أفترضه (Charnes, 1978) يعرف بأنموذج (CCR) (Charnes) و الانموذج الثاني قدمه (Banker, 1984) و يسمى (BBC) أنموذج (Banker Cooper Rhodes) و الانموذج الثالث قدمه (Charnes Cooper). يفترض أنموذج (CCR) ثبات العائد للسعة (CRS) و الذي يفترض وجود علاقة طردية بين المدخلات و المخرجات، ومن جهة أخرى يفترض أنموذج (BBC) في حالات أخرى تغير العائد للسعة (VRS) و الذي يتجاهل العلاقة الطردية بين المدخلات و المخرجات و يمكن أن نطبق المنهجين (CRS, VRS) في الدراسة نفسها (Podinorski, 2004:30).

٢- الكفاءة السعرية (التخصسية) (Allocative Efficiency).

تعرف الكفاءة السعرية (AE) على أنها مزيج من المدخلات الذي يحقق المقدار المعين من الإنتاج بأقل كلفة ممكنة (رمضان، ٢٠١٢: ١٩)، وتعكس التوليفة الموردية المعظمة للربح عند مساواة قيمة الناتج الحدي (VMP) لكل مورد من موارد الإنتاج من الكلفة الحدية (MC) أي عند مساواة (P=MC)، فالوحدة أما تحسن اختيار تشكيلة المدخلات التي تقلل الكلفة أو تعظم المخرجات لغرض زيادة الدخل أي يجب أخذ الأسعار بنظر الاعتبار لذلك يسمى هذا النوع من الكفاءة بـ (الكفاءة السعرية). (محمود، ٢٠١٣: ١٠). ويأخذ معامل الكفاءة التخصصية قيمة بين الصفر و الواحد كما هو الحال في معامل الكفاءة التقنية (Chakrabarty, 1998) وتقاس هذه الكفاءة بدلالة خط التكاليف المتساوية

قياس كفاءة الأداء التشغيلية للمصارف الإسلامية في العراق "المصرف الوطني الإسلامي ومصرف إيلاف الإسلامي" والذي يستند في تحديده لوحداث الإنتاج استخدام أسعار عناصر الإنتاج، ونجد إن نقطة التماس بين منحني الناتج المتساوي وخط الكلفة المتساوي هي النقطة التي تتحقق عندها الكفاءة التقنية و الكفاءة التخصصية وبعبارة أخرى تتحقق الكفاءة الاقتصادية (Hussain, 1995). ومن الجدير بالذكر ان الكفاءة السعرية في بعض الاحيان تقسم الى كفاءة سعرية مقيدة (Allocative Efficiency Restricted) و الى الكفاءة السعرية غير المقيدة (Allocative Efficiency Un Restricted) فالكفاءة السعرية المقيدة تحصل عليها من خلال اعادة توزيع المدخلات و عند مستوى ثابت من الكلفة، في حين الكفاءة السعرية غير المقيدة نحصل عليها من خلال تغيير العائد الحدي حتى يتساوى مع كلفة رأس المال، وان عدم الكفاءة السعرية (التخصصية) في الحالة المقيدة تعكس أوجه القصور في المعلومات و المهارات، أما في حالة الكفاءة السعرية (التخصصية) غير المقيدة فأن عدم الكفاءة يعكس عدم كفاءة المهارات و المعلومات أيضاً، و لكن قد يكون السبب هو تناقض السوق و القيود النقدية و الخوف من المخاطرة. أي ان عدم الكفاءة السعرية بشكل عام ناتج عن عدم الكفاءة في تخصيص الموارد، أي الانحراف عن النقطة التي تدني التكاليف عند استخدام نسبة معينة من المدخلات (Leibenstein, 1966:p.29).

وبذلك يمكن تعريف الكفاءة الاقتصادية بمكوناتها (الفنية و السعرية) بالاستعانة بمخطط فاريل في الشكل (١) فعندما يكون لدينا موردان إنتاجيان (X_1, X_2) يستعملان في إنتاج ناتج واحد (Y) ، وعندما يكون هنالك عائد ثابت للسعة عندئذ يمكن وضع دالة الإنتاج كما في الشكل رقم (١) بمنحني الناتج المتساوي (II) وليكن (DD) يمثل خط السعر وعليه فأن (Q) تمثل المزيج الأمثل من الموردين (X_1, X_2) ولكن المنشأة ربما لا تنتج عند (Q) وإنما عند (Q)، فالمسافة (OQ) إلى (OP) تقيس مدى إمكانية إنتاج مستوى من الناتج والذي يمكن إنتاجه بكمية أقل من الموارد إذ أنها تعد مقياساً للكفاءة الفنية، أما المسافة (OR) إلى (OQ) فهي تقيس جزءاً من التكاليف التي عندها يمكن إنتاج الحجم المعين من الناتج إذا كان الاستعمال النسبي للمورد متبادلاً، فأن فاريل (Farrell) سمى هذه النسبة بالكفاءة السعرية، وبذلك تكون الكفاءة الاقتصادية (الكلية) (EE) عبارة عن حاصل ضرب الكفاءة الفنية (TE) في الكفاءة السعرية (AE) (Farrell, 1957: 10-20) وكما في المعادلة الرياضية التالية:

$$EE = TE * AE$$

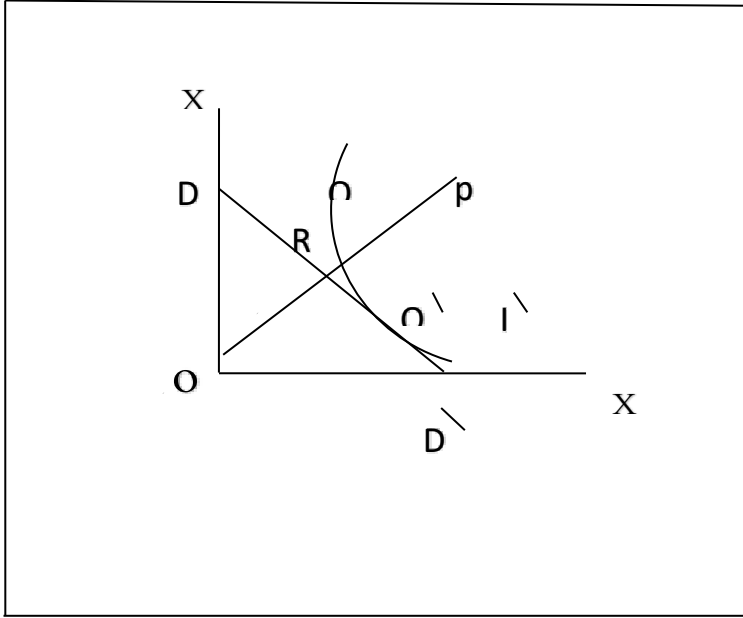
حيث إن:

$$EE = \text{الكفاءة الاقتصادية (الكلية)}$$

$$TE = \text{الكفاءة التقنية (الفنية)}$$

$$AE = \text{الكفاءة السعرية (التخصصية)}$$

شكل (١) تعريف فاريل للكفاءة الاقتصادية ومكوناتها



المصدر: (السامرائي، ٢٠٠٣: ٢٦).

ومن خلال ذلك نشأت طرق و أساليب عديدة استخدمت في دراسات و ابحاث قياس الكفاءة المصرفية و أهمها أسلوب تحليل مغلف البيانات (DEA) (معراج، ٢٠١١: ٥) وتعرف هذه الطريقة أو الأسلوب بأنها تقنية غير معلمية (Non-Parametric) تستخدم مبادئ نظرية البرمجة الخطية لاختبار نشاط أو استغلال مصرف مقارنة بنشاط مصارف أخرى ضمن عينة من المصارف، بمعنى إن هذه التقنية تقدم لنا مؤشراً لأفضل تطبيق لمستوى تكنولوجي، يعتمد على خبرات عينة من المصارف، وليس بالضرورة أن تقدم لنا مؤشراً يقابل المستوى التكنولوجي الأكثر كفاءة المتاح (قريشي، ٢٠٠٦: ١٠٥). أي إن هذا المؤشر يمثل مقياساً للمؤسسات الإنتاجية أو الخدمية وتم استخدامه في جميع قطاعات الاقتصاد المختلفة (معراج، ٢٠١١: ٥).

٣- الكفاءة الحجمية (كفاءة السعة)

فهي تعبر عن الاستغلال الأمثل للموارد إذ يقيس مدى قدرة المنشأة على تحقيق وفورات اقتصادية نتيجة استغلال قدراته وإمكانياته التوسعية يرتبط مؤشر كفاءة السعة بمبدأ غلة الحجم الذي يعبر عن العلاقة بين المدخلات والمخرجات في العملية الإنتاجية للمنشأة، وغلة الحجم هي مقياس للتغير النسبي في مخرجات الناتج عن التغير النسبي في المدخلات فإذا كانت هذه النسبة أقل من الواحد الصحيح فتكون كفاءة السعة متناقصة أما إذا كانت تساوي الواحد الصحيح فهذا يدل على ثبات كفاءة السعة ويرتبط هذا المؤشر بمبدأ الحد الأدنى الكفاء و هو المستوى الأمثل للإنتاج الذي يصل عنده التكاليف المتوسطة حده الأدنى في المدى البعيد وعند هذا المستوى يكون التغير النسبي في الناتج يساوي التغير النسبي في

قياس كفاءة الأداء التشغيلية للمصارف الإسلامية في العراق "المصرف الوطني الإسلامي ومصرف إيلاف الإسلامي" عناصر الإنتاج، أي إن غلة الحجم ثابتة وبالتالي وفورات الحجم تساوي صفراً أو تكون معدومة وعند هذا المستوى من الإنتاج يتساوى مؤشر كفاءة السعة و مؤشر الكفاءة الفنية و يحقق درجة الواحد عندها يتحقق مبدأ الاستغلال الأمثل للموارد (Roger, 1993: 261). وما لاشك فيه إن حالة العملية الإنتاجية قبل المستوى الأمثل من الإنتاج يكون فيها التغير النسبي في الناتج أكبر من التغير النسبي في عناصره، أي إن غلة الحجم متزايدة ووفورات الحجم موجبة، أما بعد المستوى الأمثل من الإنتاج فيكون التغير النسبي في الناتج أقل من التغير النسبي في عناصر الإنتاج وبالتالي تكون وفورات الحجم سالبة. وبناء على ماسبق يمكن صياغة معادلة قياس مؤشر كفاءة السعة من خلال قسمة الكفاءة التقنية في ظل ثبات العائد للسعة على الكفاءة التقنية في ظل تغير العائد للسعة (قرملي، ٢٠٠٨: ٣٠) باستخدام نظام مغلف البيانات (DEA) ومن ثم فإن درجة الكفاءة التقنية التي يتم الحصول عليها من خلال اعتماد أسلوب تحليل مغلف البيانات (DEA) بثبات وتغير العوائد للسعة تقسم إلى قسمين أحدهما يمكن إرجاعه لعدم كفاءة السعة والآخر لعدم الكفاءة التقنية فإذا كان هناك فرق بين درجة الكفاءة التقنية في الوحدة الاقتصادية فإن هذه الوحدة تعاني من عدم كفاءة السعة (Ahuja, 2009: 444).

ثانياً: مفهوم الأداء:

يعد مفهوم الأداء عموماً والأداء المالي خصوصاً من أكثر المفاهيم الإدارية سعة وشمولاً إذ إنه ينضوي على العديد من المواضيع الجوهرية المتعلقة بنجاح أو فشل أي منظمة، لذا فإنه ليس بمجديد على الساحة الإدارية والدراسات المحاسبية لارتباط الوثيق بهيكل الرقابة (الماضي، ٢٠٠٦: ١٦١). وعرف الأداء بأنه الفرق بين القيمة المقدمة للسوق و مجموع القيم المستهلكة وهي تكاليف مختلف الأنشطة، فبعض الوحدات (مراكز تكلفة) تعد مستهلكة للموارد، وتساهم سلبياً في الأداء الكلي عن طريق تكاليفها، والأخرى تعد مراكز ربح، وهي في الوقت نفسه مستهلكة للموارد ومصدر عوائد، وتسهم بعامش في الأداء الكلي للمؤسسة (الداوي، ٢٠١٠: ٢١٨). فالأداء هو عبارة عن دالة لتمثيل النجاح إذ تتغير هذه الدالة بتغيير المنظمات أو العاملين فيها (بلمقدمو بوشعور، ٢٠٠٤: ٧٧). وعرف أيضاً بأنه جملة من الأبعاد المتداخلة و التي تتضمن كيفية الانجاز و الطرق المتبعة في تنفيذ توجيهات الإدارة ومدى تطابق ما تم انجازه من المعايير و المقاييس المحددة" (خالص، ٢٠٠٤: ٣٨٧).

أما مفهوم الأداء المالي هو "المعبر عن استخدام مؤشرات مالية لقياس مدى انجاز الأهداف، والمساهمة في إتاحة الموارد المالية وتزويد البنك بفرص الاستثمار، ويتأثر الأداء المالي للبنك بالعوامل الاقتصادية وهيكل الصناعة والقدرات التنظيمية والإدارية (عبادة، ٢٠٠٨: ١٦١).

ثالثاً: مفهوم المصارف الإسلامية:

لقد وردت العديد من المفاهيم لببورة مفهوم المصارف الإسلامية، إذ عرف بأنه "مؤسسة مصرفية لا تتعامل بالفائدة، أي يتلقى النقود من الأفراد ولا يعطي فوائد، ويقوم باستخدامها أو منحها للمستثمرين ورجال الأعمال على مبدأ المشاركة في الربح والخسارة لا على أساس الفائدة (أحمد، ١٩٩٥: ٢٨). وهناك تعريف آخر للمصرف الإسلامي وهو "المؤسسة التي تمارس الأعمال المصرفية مع التزامها تجنب التعامل

بالفوائد أخذاً أو عطاءً وبالابتعاد عن أي عمل آخر مخالف لإحكام الشريعة الإسلامية (الخولي، ٢٠٠٥: ١٧٥). ويمكن تعريف المصارف الإسلامية بالتالي (أي مؤسسة تقوم بتقديم الخدمات المصرفية على أساس غير ربوي وتزاول فتح الحسابات الجارية، وقبول الودائع الاستثمارية لاستخدامها في نطاق أنظمة السيولة السائدة إلى جانب موارد المصرف المالية في تمويل المشروعات التجارية وفقاً للمبادئ الإسلامية) أو هو "ذلك البنك الذي لا يتعامل بالفائدة فيقوم على قاعدة المشاركة ويهدف إلى منح قروض حسنة للمحتاجين" وهذا التعريف ليس جامعاً إذ ليس منح القروض الحسنة للمحتاجين هدفاً أساسياً من أهداف البنوك الإسلامية، بل هو هدف ثانوي من أهداف البنوك الإسلامية ضمن تحقيق التكافل الاجتماعي. وأخيراً يمكن تعريف البنوك الإسلامية بأنها تلك البنوك أو المؤسسات التي ينص قانون إنشائها ونظامها الأساسي صراحة على الالتزام بمبادئ الشريعة الإسلامية وعلى عدم التعامل بالفائدة أخذاً وعطاءً (عبادة، ٢٠٠٨: ٢٨). وبذلك يمكن التوصل إلى مفهوم واضح للمصارف الإسلامية بأنها مؤسسات إسلامية تقوم بإداء الخدمات المصرفية والمالية كما تباشر أعمال التمويل والاستثمار في المجالات المختلفة على ضوء قواعد وأحكام الشريعة الإسلامية بهدف المساهمة في غرس القيم والمثل والأخلاق الإسلامية في مجال المعاملات والمساهمة في تحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية (الطاهر، البشير: ٨: ٢٠٠٣).

رابعاً: أسس المصارف الإسلامية في التعامل:

هناك مجموعة من الأسس تستند إليها المصارف الإسلامية لتكون الركيزة الأساسية لها في التعامل المصرفي وهي تتمثل بالتالي (عبادة، ٢٠٠٨: ٣٠-٣٤).

أ. الأساس العقدي:

أي تستمد مدخلها العقائدي من الشريعة الإسلامية، مما يعني مراعاة الدائمة للحلال والحرام والالتزام بالضوابط الشرعية المتعلقة بالمال.

ب. أساس المشاركة واستبعاد التعامل بالفائدة:

تقوم المصارف الإسلامية باستقبال الأموال على أساس المضاربة من خلال حسابات الاستثمار، ومن ثم استثمار تلك الأموال باستخدام الصيغ والأدوات التمويلية القائمة على المشاركة بالأرباح لتأمين عائد إيجابي على استثماراتها.

ج. أساس المحافظة على المال وتنميته:

إضافة إلى ما أعطاه الإسلام للفرد المسلم من حق التملك، التزامه أداء ما عليه من واجبات فلا يجوز له حبس المال وتعطيله عن الحركة داخل المجتمع.

د. الأساس الاجتماعي:

يعد هذا الأساس أهم ما يميز المصارف الإسلامية من خلال الإشراف على أداء الزكاة المفروضة شرعاً، والقروض الحسنة، ومنع تمويل الأنشطة الضارة، وغيرها لتحقيق التكافل الاجتماعي.

خامسا: مميزات المصارف الإسلامية: (العجلوني، ٢٠٠٨: ١١١)

هناك مجموعة من المميزات يجب أن تتصف بها المصارف الإسلامية وهي كالتالي:

١. الالتزام بأحكام الشريعة الإسلامية من حيث عدم التعامل بالربا والالتزام بالحلال والابتعاد عن الحرام.
٢. حسن اختيار القائمين على إدارة الأموال بهدف ضمان تنفيذ الأحكام الشرعية في المعاملات المصرفية.
٣. الصراحة والصدق والشفافية في المعاملات حتى يتبين لعملاء البنك الإسلامي كيفية تحقيق الربح ومعدل العائد على أموالهم المستثمرة في البنك.
٤. تنمية الوعي الادخاري وعدم حبس المال واكتنازه والبحث عن مشروعات ذات جدوى اقتصادية للاستثمار فيها.
٥. تحقيق التوازن في مجالات الاستثمار المختلفة على وفق الأولويات الإسلامية، الضروريات فالحاجات فالكماليات.

٦. أداء الزكاة المفروضة شرعا على أموال ومعاملات ونتائج أعمال المصارف الإسلامية كافة.

وفي هذا البحث سيتم التركيز على قياس كفاءة الاداء التشغيلية للبنوك الإسلامية العراقية المتمثلة ب (المصرف الوطني الإسلامي) و(مصرف إيلاف الإسلامي) باستخدام أسلوب تحليل مغلف البيانات و الذي يعتمد على طريقة رياضية تستخدم البرمجة الخطية لقياس الكفاءة النسبية لعدد من المنشآت أو مقارنة نشاط مصرفي بمصرف آخر وفيما يلي توضيح لنشأة المصارف الإسلامية عينة البحث:

أ- المصرف الوطني الإسلامي:

تأسس المصرف (كشركة مساهمة خاصة) بموجب إجازة التأسيس المرقمة م.ش ٢٦٠٧٣ والمؤرخة في ٢٠٠٥/٥/٥ برأسمال قدره ٢٥ مليار دينار مدفوع بالكامل وحصلت موافقة البنك المركزي العراقي على ممارسة أعمال الصيرفة الشاملة كما تم السماح للمصرف بالتوسط ببيع وشراء العملات الأجنبية وحسب الإجازة ال صادرة برقم ٢٦٤١/٣/٩ في ٢٠٠٥/٩/٢٦ لكن الظروف الأمنية في حينها حالت دون استطاعته من ممارسة النشاط المصرفي الفعلي إلا في بداية عام ٢٠١٠ وبعد تغيير مساهمي المصرف. وتمت زيادة رأسمال المصرف من (٢٥) مليار دينار إلى (٥٠) مليار دينار في ٢٠١٠/٣/١٤ والجدول رقم (١) يوضح تطور المؤشرات المالية في المصرف الوطني الإسلامي للفترة (٢٠١١-٢٠١٥).

ب- مصرف إيلاف الإسلامي:

أسس المصرف بأسم (مصرف البركة للاستثمار و التمويل) بموجب شهادة التأسيس الصادرة عن دائرة تسجيل الشركات رقم (٧٧٨٨) في ١٨/١٠/٢٠٠١ برأس مال قدره ملياران دينار مدفوع منه مليار دينار وبعد صدور اجازة ممارسة الصيرفة من البنك المركزي العراقي المرقمة ٨٨٤/٣/٩ في ٢٠٠١/١٠/٣٠ باشر المصرف بأعماله من خلال الفرع الرئيسي بتاريخ ٢٣/حزيران/٢٠٠١. بتاريخ ٢٨/٦/٢٠٠٧ صدر قرار دائرة تسجيل الشركات المتضمن التعديلات التالية على شهادة التأسيس.

*تعديل أسم الشركة من (مصرف البركة للاستثمار و التمويل) إلى (شركة مصرف إيلاف الاسلامي)- مساهمة خاصة.

*تعديل المادة الثالثة من عقد الشركة وجعل نشاطها (ممارسة أعمال الصيرفة الشاملة ضمن الاطار الإسلامي - مساهمة خاصة).

سادسا: أسلوب تحليل مغلف البيانات(Data Envelopment Analysis):

يُعد هذا الأسلوب أداة فعالة لقياس الكفاءة في مختلف القطاعات العامة والخاصة حيث نجد انه من الصعب تحسين عملياته عن طريق ضغط التكاليف دون التضحية بنوعية الخدمة. وذلك بسبب وجود عدة عوامل موضوعية تؤثر في نوعية الخدمة والإنتاجية.

ولعل اهم صفة تميز أسلوب تحليل مغلف البيانات هي عدم الحاجة الى وضع اية فرضيات (صيغة رياضية) للدالة التي تربط بين المتغيرات التابعة و المستقلة. كما هو الحال في دالة الانتاج في الاقتصاد مثل دالة كوب. و يرى ستوب ان تحليل مغلف البيانات يجعل البيانات تتحدث لنفسها بدلا من أن تتحدث في اطار صيغة دالة مفروضة عليها. (الدليمي، ١٧: ٢٠٠٨). وتعرف هذه الطريقة بأنها غير معلمية (Non-Parametric) تستخدم مبادئ نظرية البرمجة الخطية لاختبار نشاط أو استغلال مصرف مقارنة بنشاط مصرف آخر ضمن عينة من المصارف (قريشي، ١٠٥: ٢٠٠٦).

المبحث الثاني: الجانب التطبيقي

إن فكرة قياس كفاءة الأداء التشغيلية مرتبطة بالأداء الاقتصادي ومدى تطوره وتنظيمه في أي مجتمع أو منظمة، حيث يشكل الركائز الأساسية لها ويحدد درجة رفاهيتها وتقدمها من خلال التراكمات المادية لها، وهذه الحقيقة أثبتتها تجارب المنظمات في الدول المتقدمة في هذا المجال (آل ادم وأللوزي، ٢٠٠٥: ١٩٩).

و تنبع أهمية قياس الكفاءة في القطاع المالي من أثارها الكبيرة على النظام المالي الفعال في الاقتصاد الجزئي و الكلي، لما له من تأثير قوي على تخصيص الموارد المالية، مما يساعد على إيجاد أفضل توظيف للإنتاجية في الطرق الأكثر فعالية. (Zuzana, 2009: 1) وفيما يلي توضيح لمؤشرات الكفاءة التشغيلية للمصارف عينة البحث.

أولا: المصرف الوطني الاسلامي

والجدول (١) يوضح تطور المؤشرات المالية في المصرف الوطني الاسلامي للمدة (٢٠١١-٢٠١٥).
جدول (١) المؤشرات المالية للمصرف الوطني الاسلامي للمدة (٢٠١١-٢٠١٥).

السنة البيان	٢٠١١	٢٠١٢	٢٠١٣	٢٠١٤	٢٠١٥
الموجودات النقدية بالملايين	١٢٨,١٢٦	٢٢٩,٩٧٤	٢٠١,٥٩٢	٢٠٣,٣١١	٢٢١,٨٨٦

مجموع الموجودات بالملايين	٢٣٩,٨٦٩	٤٩٠,٥١٥	٦٢٤,٦٧٨	٥٦٢,٩٢١	٧٠٧,٧٠٩
مجموع المطلوبات بالملايين	١٣٢,٨٦٣	٣١٣,٣١٤	٣٣٨,٨٥٧	٢٧٧,٤٦٠	٤١٩,٠٤٣
الأرباح بالملايين	٧,٧٩٧	٣٢,١١٦	٣٩,٦٣٤	٣٧,١٧١	٣٥,٣٨٦

المصدر: التقرير السنوي للمصرف الوطني الإسلامي سنوات مختلفة.

من خلال الجدول (١) فيما يخص حجم الأرصدة النقدية يتضح إن هناك نمواً متفاوتاً في حجم الموجودات النقدية على مدى السنوات الخمس إذ أعلى ما وصل إليه المصرف كان (٢٢,٩٪) في سنة ٢٠١٢ وبالمقارنة مع نسبة الموجودات النقدية والتي تمثل (١٢,٨٪) في سنة ٢٠١١ نجد إن هناك نمواً كبيراً في حجم الأرصدة النقدية والسبب في ذلك هو ارتفاع حجم الأرصدة النقدية لدى البنك المركزي، إذ إن ارتفاع هذه الأموال لدى البنك المركزي إذا لم تكن للإيفاء بمتطلبات الاحتياطي القانوني والالتزامات الأخرى ينشأ عنه سيولة غير مستغلة معطلة وبالتالي يتطلب من المصرف أن يسعى إلى توظيف فائض السيولة النقدية في مجالات استثمارية مختلفة بما يحقق له المكاسب المالية، وكما إن السنة نفسها قد شهدت زيادة رأس مال المصرف ليصل إلى (١٥٠) مليار بعد ما كان (١٠٠) في سنة ٢٠١١ وأقل ما حصل عليه المصرف كان في سنة ٢٠١١.

وأما مجموع الموجودات فقد شهدت أيضاً نمواً متواصلاً على مدى السنوات الثلاث الأولى وبمعدل (٢٣,٩٨٪) (٤٩,١٪) (٦٢,١٪) على التوالي ويعزى هذا الارتفاع في الموجودات إلى ارتفاع حجم الائتمان النقدي إلى مستويات جيدة جداً وهذا يعكس بصورة واضحة أن المصرف يسعى إلى استثمار موارده المالية وتوظيفها في مجالات ائتمانية مختلفة وبالتالي ينعكس على حجم المكاسب المالية مما يؤدي إلى تعظيم حقوق مساهميه، إذ أعلى ما حصل عليه المصرف وفق هذا المؤشر هو (٧٠,٨٪) في سنة ٢٠١٥ وللسبب ذاته وأقل ما وصل إليه في سنة ٢٠١١، وهذا النمو في حجم الموجودات يعكس نجاح المصرف في استثمار وتعظيم موارده.

فيما يخص مؤشر مجموع المطلوبات فقد شهد هذا المؤشر نمواً متواصلاً للسنوات الثلاث الأولى وبمعدل (١٣,٢٪) (٣١,٣٪) (٣٣,٨٪) على التوالي باستثناء سنة ٢٠١٤ وسبب هذا الارتفاع والنمو في مطلوبات المصرف ناتج عن الارتفاع في حجم الإيداع المصرفي وهذا بخلاف ذاته هو انعكاس لنجاح المصرف إذ إن نجاح واستمرار المصرف في عمله يستند إلى ما يحققه من سمعة في مجال عمله وبالتالي فإن السمعة الجيدة تقود الزبائن إلى إيداع أموالهم في هذا المصرف مما يساهم في زيادة ودائعه ولكن في الوقت ذاته فإن زيادة الودائع تفرض التزام على المصرف وهو استثمار هذه الأموال لأن بقائها بدون استغلال يربط

التزامات على المصرف اتجاه الزبائن وبالتالي فان هذا الامر يتطلب من المصرف ان يوظف أموال مودعيه في مجالات استثمارية مختلفة.

واما ما حققه المصرف من صافي أرباح فقد كان متفاوتاً على مدى السنوات الخمس اذ ان اعلى ما حصل عليه المصرف كان في سنة ٢٠١٣ وبنسبة (٣٩,٦٪) واقلها في سنة ٢٠١١ و بنسبة (٧,٧٩٪) الا انه من الملاحظ ان نسبة صافي الارباح السنوية عاودت الى الانخفاض مرة أخرى في العامين (٢٠١٤) و (٢٠١٥) على التوالي وبنسبة (٣٧,١٪) و (٣٥,٣٨٪) وهذا يعود لعدة أسباب منها الظروف الصعبة التي مرت في البلد و التي تتميز بعدم أقرار الموازنة العامو لعام (٢٠١٤) مع الانخفاض الحاد و المفاجيء في أسعار النفط منذ منتصف ذلك العام الى مادون الخمسين دولار بدلا من المستوى الذي كان عليه طيلة السنوات الاربع الماضية و التي تراوحت ما بين (١٠٠-١١٥) دولار للبرميل، اذ يخسر العراق أكثر من مليار دولار سنويا، و لا سيما ان تلك الواردات النفطية تشكل العمود الفقري للاقتصاد العراقي و تسهم في تمويل ما يوازي (٩٥٪) من موازنته السنوية بأعتبره أقتصاد أحادي الجانب، و التي جعلت العراق أسير الصدمات النفطية المفاجئة، خاصة مع عدم وجود خطة أقتصادية واضحة لتوظيف الموارد وتحويل الاقتصاد من ريعي الى منتج بالإضافة الى ضعف السياسة المالية و الضريبية بغية إيجاد موارد مالية لمواجهة الازمات المالية الطارئة، فضلا عن الظروف الداخلية الاخرى للبلد و خصوصا بعد التوجه لاقتصاد الحرب و التي تتطلب تخفيض موارد هائلة لتمويلها مع تحمل أعباء تكاليف أكثر من مليوني نازح داخل البلد و إعادة أعمار المدن المحررة، تلك الظروف و المعطيات جعلت الاقتصاد العراقي يصاب بالشلل و التعثر و يدفع نحو الاجراء الوحيد وهو ضغط النفقات العامة للدولة و يكون الانفاق الاستثماري هو الضحية الاولى و بالتالي انعكاس حالة من الركود الاقتصادي و شحة في السيولة النقدية نتيجة ايقاف الدولة لمصرف مستحقات المقاولين و المدنيين و التي انعكست بدورها على العمل المصرفي بشكل خاص. و برغم تلك الظروف استمر المصرف بمزاولة أعماله و الحفاظ على مكانته، و بصورة عامة تحقيق أرباح بهذا المستوى بعد نجاح بحسب للمصرف. والجدول (٢) يوضح كفاءة الأداء التشغيلية للمصرف الوطني الإسلامي للمدة ٢٠١١-٢٠١٥.

جدول (٢) كفاءة الأداء التشغيلية للمصرف الوطني الإسلامي للمدة ٢٠١١-٢٠١٥

السنوات	٢٠١١	٢٠١٢	٢٠١٣	٢٠١٤	٢٠١٥	المتوسط
كفاءة الأداء المصرفي	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	٨٦	٩٧
كفاءة أداء فنية (%)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	٨٦	٩٧
كفاءة أداء حجميه (%)	٤٩	٩٩	١٠٠	١٠٠	٩٤	٨٨

مؤشر السعة	Irs	Irs	-	-	Irs
تزايد	تزايد	تزايد	ثبات	ثبات	تزايد

المصدر: من عمل الباحثة بالاعتماد على نتائج تحليل برنامج (DEA).

من خلال استعراض النتائج المبينة في الجدول أعلاه يتضح لنا إن متوسط كفاءة أداء المصرف الوطني الإسلامي كانت (٩٧٪) وهذا يدل على إن هناك إمكانية لزيادة معدل كفاءة هذا الأداء بنسبة (٣٪)، إضافة إلى ذلك كانت كفاءة الأداء الحجمية (٨٨٪) وكان هنالك تزايد في العوائد الحجمية (مؤشرات السعة) في السنوات الأولى والثانية والخامسة للبحث في حين كان هنالك ثبات لحالتين فقط وهما السنوات ٢٠١٣ و ٢٠١٤. والجدول (٣) يوضح السنوات المرجعية أي النموذجية التي توضح كفاءة الأداء التشغيلية لعمل المصرف الوطني الإسلامي.

جدول (٣) السنوات المرجعية لكفاءة الأداء للمصرف الوطني الإسلامي

سنوات عمل المصرف	السنوات المرجعية
٢٠١١	٢٠١١
٢٠١٢	٢٠١٢
٢٠١٣	٢٠١٣
٢٠١٤	٢٠١٤
٢٠١٥	٢٠١١، ٢٠١٣

المصدر: من عمل الباحثة بالاعتماد على نتائج تحليل برنامج (DEA).

من الجدول (٣) يتضح لنا إن سنوات أداء المصرف كانت مثالية ومتشابهة من حيث كفاءة الأداء المتحققة للسنوات الأربع الأولى ماعدا السنة الأخيرة (٢٠١٥) كان من المفترض للمصرف أن يأخذ أو يقتدي بأداء السنتين الأولى والثالثة أي (٢٠١٣، ٢٠١١) لكي يتحقق أكبر قدر ممكن من كفاءة الأداء للمصرف أعلاه.

ثانياً: مصرف إيلاف الإسلامي.

والجدول (٤) يوضح تطور المؤشرات المالية في مصرف إيلاف الإسلامي للمدة (٢٠١١-٢٠١٥).

جدول (٤) المؤشرات المالية لمصرف إيلاف الإسلامي للمدة (٢٠١١-٢٠١٥)

السنة البيان	٢٠١١	٢٠١٢	٢٠١٣	٢٠١٤	٢٠١٥
الموجودات النقدية بالملايين	٢٢٠,٢٩١	٢٣٩,٤٠٨	١٣٨,٠٨٦	١٣٧,٧٣٢	٢٩٦,٥٠٣

مجموع الموجودات بالملايين	٣٥١,٧٩٣	٣٨٠,٦٥٣	٣١٣,١٥٤	٣٢٣,٧٣٩	٥١٤,٤٦٥
مجموع المطلوبات بالملايين	٢٢٩,١٠٣	٢٤٧,٢٧٠	١٣٩,٩٠٦	١٤٤,٧٦٤	٢٥٩,٨٤٢
الأرباح بالملايين	١٩,١٩١	١٠,٢٠٩	٧,٣٧٧	٥,٣٦٦	٣١٤

المصدر: التقرير السنوي لمصرف إيلاف الإسلامي سنوات مختلفة.

من خلال الجدول (٤) يتضح إن هناك تذبذباً في نمو حجم الأرصدة النقدية على مدى السنوات الخمس بسبب التفاوت في حجم الأرصدة لدى المصرف والبنك المركزي إذ إن أعلى ما حصل عليه المصرف في سنة ٢٠١٥ وبنسبة (٢٩,٦٪) بسبب ارتفاع رصيد البنك المركزي وقل ما وصل اليه كان في سنة ٢٠١٤ وبنسبة (١٣,٧٪) فعند الرجوع الى التقارير المالية يتضح ان هناك انخفاضاً في حجم الإيداع لدى المصرف وبالتالي فان زيادة الأرصدة النقدية لدى البنك المركزي يجب ان تقابلها زيادة في حجم الإيداع للإبقاء بمتطلبات الاحتياطي الا ان سبب ارتفاع حجم الأرصدة هو زيادة راس مال المصرف في السنة الأخيرة.

واما ما يخص مجموع الموجودات فقد كانت أيضاً متفاوتة اذ اعلى ما حصل عليه المصرف في سنة ٢٠١٥ وبنسبة (٥١,٤٪) بسبب ارتفاع حجم الأرصدة النقدية وقل ما حصل عليه المصرف كان في سنة ٢٠١٣ وبنسبة (٣١,٣٪) للسبب نفسه، وعند المقارنة مع المصرف الاخر فان المصرف الوطني كان أفضل من جانب الموجودات بسبب ارتفاع حجم الائتمان النقدي لديه، وهذا الامر يدعو مصرف إيلاف الإسلامي الى السعي الى زيادة حجم الائتمان النقدي لديه بما ينعكس على تعظيم أرباحه وموارده.

وفيما يخص المطلوبات والالتزامات المترتبة على المصرف أيضاً كانت متفاوتة في النمو بسبب التفاوت في حجم الإيداع كما بينا فاعلى ما حصل عليه المصرف في سنة ٢٠١٥ وبنسبة (٢٥,٩٪) بسبب ارتفاع حجم الودائع لدى المصرف وقل ما حصل عليه المصرف كان في سنة ٢٠١٤ وبنسبة (١٤,٤٪).

واما صافي ما تحقق من أرباح فأنها لم تشهد أي معدلات نمو فقد انخفضت بشكل كبير خلال السنوات الخمس فاعلى ما حصل عليه المصرف في سنة ٢٠١١ وقلها في سنة ٢٠١٥، وبالتالي فان انخفاض صافي الأرباح يعد مؤشر غير جيد وينعكس بالآثار السلبية على المصرف اذ ان نجاح المصرف واستمراره في عمله هو بما يحقق من أرباح اذ ان على المصرف التزامات لا بد من الوفاء بها فضلاً عن ذلك ان من اهم وظائف المصرف هي تعظيم موارد مساهمييه من خلال تعظيم صافي الأرباح المتحققة والجدول (٥) يوضح كفاءة الأداء التشغيلية لمصرف إيلاف الإسلامي للمدة ٢٠١١-٢٠١٥.

جدول (٥) كفاءة الأداء التشغيلية لمصرف إيلاف الإسلامي للمدة ٢٠١١-٢٠١٥

السنوات كفاءة الأداء المصرفي	٢٠١١	٢٠١٢	٢٠١٣	٢٠١٤	٢٠١٥	المتوسط
كفاءة أداء فنية (%)	١٠٠	٩٢	١٠٠	١٠٠	١٠٠	٩٨
كفاءة أداء حجميه (%)	٣٠	١٢	١٤	٩	١٠٠	٣٣
مؤشر السعة	Irs	Irs	Irs	Irs	-	ثبات
	تزايد	تزايد	تزايد	تزايد		

المصدر: من عمل الباحثة بالاعتماد على نتائج تحليل برنامج (DEA).

من الجدول (٥) يتضح لنا أن متوسط كفاءة أداء مصرف إيلاف الإسلامي كانت (٩٨٪) و هذا يدل على انه كانت هناك إمكانية لزيادة معدل كفاءة هذا الأداء بنسبة (٢٪) إضافة إلى ذلك نجد كفاءة الأداء الحجمية تتمثل بنسبة (٣٣٪) و كان هناك تزايد في العوائد الحجمية (مؤشرات السعة) في السنوات الاولى الثانية والثالثة والرابعة والتي يستند في تفسيرها الى أنموذج (BCC) الذي يفسر تغير العائد للسعة و الذي يتجاهل العلاقة الطردية بين المدخلات و المخرجات. في حين كان هنالك ثبات لحالة واحدة فقط وهي السنة الخامسة (٢٠١٥) أي حسب تفسير نموذج (CCR) وجود علاقة طردية بين المدخلات و المخرجات. والجدول (٦) يوضح السنوات المرجعية أي النموذجية التي توضح كفاءة الأداء التشغيلية عمل مصرف إيلاف الإسلامي.

جدول (٦) السنوات المرجعية لكفاءة الأداء لمصرف إيلاف الإسلامي

سنوات عمل المصرف	السنوات المرجعية
٢٠١١	٢٠١١
٢٠١٢	٢٠١١, ٢٠١٤
٢٠١٣	٢٠١٣
٢٠١٤	٢٠١٤
٢٠١٥	٢٠١٥

المصدر: من عمل الباحثة بالاعتماد على نتائج تحليل برنامج (DEA).

من الجدول (٦) يتضح لنا أن سنوات أداء المصرف كانت مثالية ومتشابهة للأعوام (٢٠١١، ٢٠١٢، ٢٠١٣، ٢٠١٤، ٢٠١٥) أما السنة (٢٠١٢) فكان من المفترض بالمصرف أن يقتدي بالسنة الأولى والرابعة (٢٠١١، ٢٠١٤) لكي يتحقق أكبر قدر ممكن من كفاءة الأداء للمصرف المذكور.

الاستنتاجات والتوصيات:

النتائج و الاستنتاجات:

- ١- بلغ متوسط كفاءة الأداء الفنية للمصرف الوطني الإسلامي نسبة مقدارها ٩٧٪. وهذا يدل على أنَّ هنالك إمكانية لزيادة ورفع كفاءة أداء هذا المصرف بمقدار ٣٪. أما متوسط كفاءة الأداء الفنية لمصرف إيلاف الإسلامي فبلغ نسبة مقدارها ٩٨٪. وهذا يدل على أنَّ هنالك إمكانية لزيادة ورفع كفاءة أداء هذا المصرف بمقدار ٢٪. وبذلك يتم قبول فرضية الدراسة التي تقر بوجود كفاءة أداء تشغيلية فنية متميزة و عالية في المصارف العراقية الإسلامية.
- ٢- من خلال استعراض نتائج كفاءة السعة (الحجمية) للمصرف الوطني الإسلامي نجد إنها كانت متباينة، إذ تراوحت بين (٤٩٪-٩٤٪) وبمتوسط بلغ (٨٨٪). وهذا يدل على إمكانية زيادة الكفاءة الحجمية بنسبة (١٢٪) أو إن هناك فقداناً في الموارد المصرفية المستخدمة مما يترتب عليه زيادة الكلفة بنسبة (١٢٪).
- ٣- من خلال استعراض نتائج كفاءة السعة (الحجمية) لمصرف إيلاف الإسلامي نجد إنها أيضاً كانت متباينة، إذ تراوحت بين (٩٪-١٠٠٪) وبمتوسط بلغ (٣٣٪). وهذا يدل على إمكانية زيادة الكفاءة الحجمية بنسبة (٦٧٪) أو إن هناك فقداناً في الموارد المصرفية المستخدمة مما يترتب عليه زيادة الكلفة بنسبة (٦٧٪).

التوصيات:

- ١- العمل على تحقيق التوازن بين مدخلات كل مصرف من المصارف عينة الدراسة وبين مخرجاتها بغية التوصل إلى أعلى كفاءة أداء ممكنة.
- ٢- ضرورة أن يطبق المصرف الوطني الإسلامي خطة العمل نفسها التي كانت تستخدم بالأعوام ٢٠١١ و ٢٠١٣ أو مشابهاً لها لغرض تحقيق أعلى مستوى كفاءة أداء.
- ٣- يجب على مصرف إيلاف الإسلامي أن يقتدي بالأعوام ٢٠١١ و ٢٠١٣ و ٢٠١٤ و ٢٠١٥ لكي يحقق أكبر قدر من كفاءة الأداء.

المصادر

المصادر العربية:

- ١- ابراهيم عبد الرزاق الخولي، مشكلة المتأخرات في البنوك الإسلامية دراسة فقهية مقارنة، من بحوث المؤتمر العلمي السنوي الرابع عشر للمؤسسات المالية الإسلامية، دبي، الامارات، مجلد ٢٠٠٥.
- ٢- د. ابراهيم عبد الحليم عباد، مؤشرات الاداء في البنوك الإسلامية، دار النفائس للنشر و التوزيع، الاردن، ٢٠٠٨.
- ٣- الشيخ الداوي، تحليل الاسس النظرية لمفهوم الاداء، مجلة الباحث، جامعة الجزائر، ٢٠١٠.
- ٤- خاشع محمود الراوي، المدخل الى الإحصاء، كلية الزراعة والغابات، جامعة الموصل 1979م.

- قياس كفاءة الأداء التشغيلية للمصارف الإسلامية في العراق "المصرف الوطني الإسلامي ومصرف إيلاف الإسلامي"
- ٥- راييس حدة وفاطمة الزهراء نوي، قياس الكفاءة المصرفية باستخدام نموذج حد التكلفة العشوائية:دراسة حالة البنوك الجزائرية (٢٠٠٤-٢٠٠٨)، مجلة جامعة القدس للبحوث والدراسات، فلسطين، العدد ٢٦، المجلد الاول، ٢٠٠٩.
- ٦- زحل رضوي كاظم الحسيني، تحليل اقتصادي لمستوى الكفاءة الاقتصادية والتخصيص الامثل للموارد في جمعية القادسية الفلاحية التعاونية في ناحية الراشدية، رسالة ماجستير، كلية الزراعة، جامعة بغداد، 1991.
- ٧- صالح خالص، تقييم كفاءة الاداء في القطاع المصرفي، من بحوث ملتقى المنظومة المصرفية الجزائرية و التحولات الاقتصادية- واقع- و تحديات، ٢٠٠٤.
- ٨- د.عبد الرحمن يسري أحمد، "دور المصارف الإسلامية في التنمية"، مجلة الاقصاد الإسلامي، العدد ١٦٧، ١٩٩٥.
- ٩- فريخ خليوي حمادي الدليمي، قياس الكفاءة النسبية لقطاع صناعة السكر في الباكستان باستخدام أسلوب تحليل مغلف البيانات، أطروحة دكتوراة، جامعة سانت كلمنتس العالمية، ٢٠٠٨.
- ١٠- محمد المحمدي الماضي، مداخل قياس الاداء في القطاع الخاص وتطبيقاتها على القطاع العام والحكومي، ندوة الاساليب الحديثة في قياس الاداء الحكومي، المنظمة العربية للتنمية الادارية، ٢٠٠٦.
- ١١- محمد قريشي الجموعي، قياس الكفاءة الاقتصادية في المؤسسات المصرفية دراسة نظرية وميدانية للبنوك الجزائرية خلال الفترة ١٩٩٤-٢٠٠٣، أطروحة دكتوراه في العلوم الاقتصادية، جامعة الجزائر، الجزائر، ٢٠٠٦.
- ١٢- محمد محمود العجلوني، البنوك الإسلامية أحكامها ومبادئها وتطبيقاتها المصرفية، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان-الأردن، ٢٠٠٨.
- ١٣- م مصطفى بلمقدم وراضية بوشعور، تقييم اداء المنظومة المصرفية الجزائرية، من بحوث ملتقى المنظومة المصرفية الجزائرية والتحولات الاقتصادية-واقع-و تحديات، ٢٠٠٤.
- ١٤- هاشم علوان السامرائي، ادارة الاعمال المزرعية، مطابع دار السياسة، الكويت، 1981م.
- ١٥- هوارى معراج وآخرون، قياس كفاءة البنوك الإسلامية و التقليدية في الجزائر، المركز الجامعي بغرادية، الجزائر، ٢٠١١.
- ١٦- وليد عبد مولا، كفاءة البنوك العربية، سلسلة جسر التنمية، العدد ١٠٤، الكويت، ٢٠١١.
- ١٧- يوحنا عبد ال ادم وسليمان اللوزي، دراسة الجدوى الاقتصادية، عمان، الاردن، دار الميسرة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥.
- ١٨- يوسف أحمد قرملي، الكفاءة التقنية والاقتصاد لمشاريع انتاج الالبان المتخضصة، رسالة ماجستير، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٨.

المصادر الأجنبية:

- 1- Coelli,T.,AntonioE.,Sergio p. and Ionrdes T.A primer Efficiency Measurement for utility and transport regulators the international bank for reconstruction and development.Washington.USA,2003.
- 2- Febianto,Irawan,Risk management in mudharabah and musharakah financing of Islamic,2007.
- 3- Hussain, S. S. (1995). Analysis of allocative efficiency in northern Pakistan: estimation cases and policy implication. Pakistan Development Rev,1995.
- 4- TannenwaldR,Differences across first district banks in operational efficiency 1995.
- 5- Mbanasor, J. A. and C. Kalu. Economic Efficiency of commercial vegetable production System in Akwa I Bom state. Nigeria. Translog stochastic frontier cost function Aproach. Tropical and stubroicalAgroecost stems 8,2008.
- 6- Osborne, S. andTrueblood, M.A. An Examination Of Economic Efficiency Of Russian Crop Production In The Reform Period.agri.Economic, 2006.
- 7- Podinorski V. V. Bridging the gap between the constant and variable returns-to- scale models: selective proportionality in data envelopment analysis. J. Operational Res. Soci,2004.
- 8- Worthington A.c.,the Determinations of Non- Bank Financial Institution Efficiency:Astochastic Cost Frontier Approach,Applied Financial Economics,vol.8,No3,Australia,1998.
- 9- Zozanal,Measuring Bank Efficiency,MasterThesis,Charles University in Prague,2009.

قياس التفاوت في توزيع الدخل والتعليم في العراق

Measurement of Difference between Income and Education in Iraq

Assist. Lect. Saba Alaa Salman

م.م صبا علاء سلمان^(١)

المستخلص

يعد التفاوت في توزيع الدخل بصورة عامة والتعليم بصورة خاصة من المواضيع المهمة وذلك لارتباطه بالتنمية الاقتصادية و من ثم بالرفاهية الاقتصادية، و ذلك بسبب وجود علاقة عكسية بين التفاوت في التعليم والرفاهية الاقتصادية. مما يستوجب وضع خطط ومتابعه وتقييم للبرامج المتعلقة بقطاع التعليم بشكل خاص والتنمية الاقتصادية بشكل عام بغية الوصول الى تنسيق بين مخرجات التعليم و متطلبات السوق مما ينعكس ايجابيا على دخول الافراد و يدفع عجلة التنمية. وانطلاقا لما ذكر آنفا، قامت الدراسة الحالية بقياس و تحليل درجات التفاوت في توزيع الدخل وقطاع التعليم من خلال استخدام مقاييس التفاوت ما بين إجمالي الناتج المحلي الإجمالي وعدد السكان من جانب وبين عدد الطلبة المقبولين و عدد الأساتذة من جانب اخر وبين عدد المقبولين وعدد السكان، وكانت قيمه معامل جيني لقياس التفاوت ما بين عدد الطلبة المقبولين وعدد الأساتذة هو (٠,٨٦ %) و هو مايشير الى وجود تفاوت كبير في قطاع التعليم. أما فيما يخص الدخل فقد كانت نسبة التفاوت قليلة حيث شكلت (٠,٢٢%). وبالرغم من كل الجهود التي بذلت من اجل الارتقاء بقطاع التعليم الا ان الفجوة لازالت كبيرة نتيجة لتزايد اعداد السكان التي ابقت نسبة التفاوت مرتفعة والذي سيكون له أثره السلبي مستقبلاً على الوضع الاقتصادي.

Abstract

The disparity in the distribution of income in general and education in particular is important because it is linked to economic development and

١ - كلية الطف الجامعة.

thus to economic well-being, because of the inverse relationship between disparities in education, income distribution and economic well-being. Which requires the development of plans and follow-up and evaluation of programs related to the education sector in particular and economic development in general in order to reach a coordination between the outputs of education and market requirements, which will positively affect the incomes of individuals and drive the development. According to the study, the current study measured and analyzed the disparities in the distribution of income and the education sector through the use of the measures of inequality between the gross domestic product and the one hand and the number of students accepted and the number of professors on the number of professors on the other hand and the number of admissions and population.

Gini to measures the number of students and the number of professors is (0,86)%, which indicates a large disparity in the education sector. As for income, the percentage of inequality was low, where it was 0,22%).

Despite all the efforts made to improve the education sector, the gap is still large as a result of the increasing population, which has maintained high inequality and which will have a negative impact on the economic situation in the future.

المقدمة Introduction:

يحظى التعليم بأهمية كبيرة في أي بلد لما لهذا القطاع من أثر إيجابي على التنمية الاقتصادية والبشرية إذ ان عملية التنمية الاقتصادية تحتاج الى كوادر بشرية متطورة للقيام بمهمة التنمية ولاسيما ما يوفره التعليم من عمالة ماهرة يستفاد منها في رفع المستوى الاقتصادي في جميع القطاعات والاعتماد على الكفاءات الوطنية مما ينعكس ايجاباً على رفاهية (skill labour) البلد. وقد سعت الدول ومن ضمنها العراق الى رفع المستوى التعليمي في البلد من خلال زيادة الانفاق على هذا القطاع من جانب وتحديث وتطوير المناهج وفق المناهج العالمية ومحاوله رفع المستوى العلمي للحاق بالجامعات العربية والعالمية، ان العراق تعرض الى تلكؤ في هذا القطاع في فترة التسعينات بسبب الحصار الاقتصادي مما دفع الحكومة العراقية الى تحسين وضع التعليم العالي من خلال زيادة الانفاق العام وفتح الجامعات الحكومية والتشجيع على فتح الجامعات والكليات الاهلية، فضلاً عن زيادة اعداد خريجين الدراسات العليا من اجل زيادة الكوادر التدريسية لتلبية متطلبات الكليات والجامعات المستحدثه والاهلية. ورغم من كل ذلك نلاحظ ان العراق لم يصل الى المستوى المطلوب من اجل اللحاق بالجامعات العالمية، لذا فقد حاولت هذه الدراسة تسليط الضوء على المشاكل التي يعاني منها هذا القطاع من خلال دراسة واقع التعليم العالي في العراق وقياس التفاوت فيه باستخدام منحى لورنز ومعامل جيني، وتأسيساً على ما سبق فقد تم دراسة البحث على النحو الأتي:

(١-١) مشكلة البحث: study problem

يعالج البحث المشكلة الآتية:

ان زيادة التفاوت في مؤشرات التعليم هو خلل بارز في آلية عمل (mechanism) قطاع التعليم مما لذلك من آثار سلبية على التنمية الاقتصادية بالمستقبل وضعف الأداء الاقتصادي بشكل عام وزيادة الاختلالات الهيكلية في الاقتصاد الوطني.

(٢-١) أهمية البحث: study important

يكتسب البحث أهميته من الانعكاسات الايجابية التي تخطى بها الاقتصاديات الوطنية لدول العالم عند تلافي حدوث تفاوت في مؤشري التعليم وتوزيع الدخل، مما يتوجب على صانعي السياسة الاقتصادية الاخذ بنظر الاعتبار الترابط بين مخرجات التعليم والتنمية الاقتصادية عند رسم السياسة الاقتصادية من اجل تقليل هذه الآثار السلبية والاستفادة من ثمرات الدراسات الإستراتيجية الاقتصادية الهامة والفاعلة للحد منها، فضلاً عن اعتماد آلية عادلة في توزيع الدخل بين فئات المجتمع.

(٣-١) هدف البحث: study objective

يهدف البحث الى التعرف على التفاوت في مؤشري التعليم وتوزيع الدخل في العراق واقع التعليم في أقطار عربية مختارة مع إشارة خاصة للعراق ومن ثم الوقوف على مدى التفاوت في القطاعين المذكورين.

(٤-١) فرضية البحث: study hypothesis

ينطلق البحث من فرضية مفادها:

"ان ارتفاع درجة التفاوت في مؤشرات التعليم من شأنه ان يؤثر على مسيرة التنمية الاقتصادية في البلد، نتيجة وجود علاقة مباشرة بين مخرجات التعليم وسوق العمل. فانخفاض اعداد الخريجين الجامعيين له تأثير سلبي على نوعية العمالة والتي من شأنها ان تعمق الاختلالات الهيكلية في الاقتصاد صاد وتحد من القاعدة الإنتاجية وان عدم وجود سياسة عادلة في توزيع الدخل يزيد الهوة بين فئات المجتمع المختلفة.

(٥-١) منهجية البحث:

اسلوب الجمع بين الأسلوبين الأسلوب الوصفي في دراسة الأفكار والاطر النظرية في ما يتعلق بمقاييس التفاوت في مؤشري التعليم والدخل. والأسلوب الكمي الرياضي المعتمد على بعض من الصيغ الرياضية والاحصائية المعروفة لقياس وتحليل درجة التفاوت في المؤشرين المذكورين.

(٦-١) هيكلية البحث: study structure

وللوصول الى هدف البحث واثبات الفرضية فقد قسم البحث على ثلاث مطالب و كالآتي:
المحور الاول: الإطار المفاهيمي والنظري للمقاييس التفاوت (منحنى لورنز، معامل جيني).
المحور الثاني: تحليل واقع التعليم وعدالة توزيع الدخل في العراق.
المحور الثالث: قياس التفاوت في قطاع التعليم وعدالة توزيع الدخل في العراق.

المحور الأول: الإطار المفاهيمي و النظري لمقاييس التفاوت الاقتصادي (the concept of disparity of income distribution)

أولاً:- مفهوم تفاوت توزيع الدخل

تعمل الدول النامية في خططها الإنمائية الى تحقيق مستوى معيشة مرتفع، وأن الارتفاع بمستوى المعيشة للسكان يعد من الضروريات المادية للحياة والتنمية الاقتصادية ليست مجرد وسيلة لزيادة الدخل القومي السنوي فحسب وانما هو أيضا وسيلة لرفع مستوى معيشة سكان تلك الدولة، ففي معظم دول العالم الثالث هنالك فئة من السكان مسيطرة بالكامل على الموارد المالية وعلى معظم الأنشطة الاقتصادية في الدول مما يدل على ان الدخل غير موزع توزيعا عادلا بين فئات السكان ويعد تقليل التفاوت في توزيع الدخل والثروات هدف من الأهداف الاجتماعية.

تعاني العديد من الدول المتقدمة والنامية من مشكلة عدم توزيع الدخل والثروات حيث مازالت شاخصة وتعمق باستمرار مع تتابع الفترات الزمنية المختلفة وان لعصر العولمة تأثيراً سلبياً على اختلاف الدخل المتوسعة الذي ينعكس على الدخل العائلية وكيفية توزيع هذا الدخل. وبدا الاهتمام بدراسة الدخل القومي وعدالة توزيع الدخل وقياس تفاوت الدخل من قبل المفكرين الاقتصاديين بعد الحرب العالمية الثانية، ولاشك ان دراسة عدالة وتوزيع الدخل وطرق قياس أهمية خاصة للسياسيين والاقتصاديين والاجتماعيين والباحثين والمخططين رسم السياسة الاقتصادية ورسم الاتجاه العام لنمو الاقتصاد القومي على المدى المتوسط البعيد، فالدخل القومي هو مجموع القيم التقديرية للسلع والخدمات النهائية المنتجة في الاقتصاد الوطني خلال العام ويعتبر الدخل القومي تدفق او تيار.^(٢)

ثانياً:- أسباب التفاوت (Disparity reasons)

إنّ اتساع فجوة توزيع الدخل من أخطر الأمراض الاقتصادية والاجتماعية على حد سواء لذا يعد من أهم المواضيع التي حظيت بأهتمام الاقتصاديين لارتباطها بمستويات الافراد وحياتهم اليومية من جهة وهدف من اهداف التنمية الاقتصادية من جهة أخرى ومن هذه الاسباب^(٣)

١- الخصائص الوراثية كالموهبة والذكاء

٢- عدد أفراد العائلة

٣- تفاوت توزيع المكاسب الشخصية

٤- عدم فعالية السياسات المالية

٥- التفاوت في توزيع الثروة ووسائل الإنتاج، تعد الثروة ووسائل الإنتاج مهمة للدخل عليه فان

التفاوت في توزيعهما يؤدي الى التفاوت في توزيع الدخل.

٢- أشرف بن خليل سكيك، محددات تفاوت توزيع الدخل في الاقتصاد الفلسطيني للفترة من ١٩٩٥-٢٠١٣، رسالة مقدمة الى كلية التجارة في الجامعة الاسلامية، فلسطين، ٢٠١٥، ص ١٦.
٣- يونس علي أحمد، تحليل وقياس الرفاهية وعلاقتها بعدالة توزيع الدخل في مدينة كركوك لسنة ٢٠٠٩، مجلة الادارة والاقتصاد، العدد الثالث والثمانون، ٢٠١٠، ٢٠٠٩، ص ٢٠.

ثالثاً:- الآثار المترتبة على التفاوت (the effects of inequality)

يتمثل الاثر الاقتصادي للتفاوت في توزيع الدخل في التغير الحاصل في حجم الطلب والانفاق على السلع والخدمات وذلك عندما يتغير النمط الاستهلاكي المعتاد حين يفقد المستهلك العقلانية في تصرفاتهم. أما بالنسبة لآثار الاجتماعية لتفاوت الدخل فأنها تتجسد في التأثير السلبي على المستوى المعيشة الذي ينعكس اجتماعياً على معظم شرائح المجتمع وخصوصاً اصحاب الدخل الثابتة وكذلك يؤدي التفاوت الى ارباك في التوازن الاجتماعي واثراء بعض الفئات على حساب فئات اخرى. ويستتقود ذلك الى انتشار كثير من اعمال المحظورة أو غير القانونية المتمثلة بالرشوة والاختلاس لإشباع الحاجات الضرورية والأساسية.^(٤)

رابعاً:- مقاييس التششت (Disparity measures)

تعد مقاييس التششت من المقاييس التي تصف التوزيعات وتقارنها مع بعضها حيث ان قياس المتوسط لا تكفي لهذا الغرض، اذ يمكن ان يتساوى الوسط الحسابي لمجموعتين من القيم مثلاً بينما يختلف مدى انتشار قيم المجموعة الاولى عن انتشار قيم المجموعة الثانية.

ويقصد بالتششت او التغير هو الدرجة التي تتجه بها البيانات الرقمية للانتشار حول قيمة وسطى تسمى تششت او تغير البيانات، او بمعنى اخر التششت يقصد به درجة تفاوت او الاختلاف بين قيم مجموعة فاذا كانت هذه القيم متقاربة مع بعضها البعض يكون التششت صغيراً واذا كانت متباعدة عن بعضها البعض أي متباعدة يكون التششت كبيراً. كما يقصد به ايضاً التباعد او التفاوت الموجود بين قيم المشاهدات للعينة التابعة لمتغير ما، وكلما كان مقاييس التششت كبيراً دل ذلك على عدم التجانس بين القيم، بينما يكون مقاييس التششت صغيراً عندما تكون الاختلافات بين قيم المشاهدات قليلة وأن الهدف من دراسة التششت هو تكوين فكرة عن مدى تجانس قيم المفردات.^(٥) إنَّ مقاييس التوسط (المتوسطات) تعطينا فكرة عن مكان تركز قيم المشاهدات أما مقاييس التششت تعطينا فكرة عن مدى تجانس او تباين هذه القيم حول مركزها أي درجة انتشاره. وهناك عدة انواع لمقيس التششت الا أننا في هذه الدراسة سوف نركز على نوعين هما:-

أ- منحنى لورنز (Lorenz's Curve)

يعد منحنى لورنز من اكثر اشكال العرض البياني استخداماً للتعبير عن درجة التفاوت في توزيع الدخل، فقد تم تطويره من قبل Max O. Lorenz عام ١٩٠٥ لتمثيل عدم المساواة في توزيع الثروة.^(٦) ويعبر هذا المنحنى عن العلاقة القائمة بين التكرارات النسبية التراكمية لعدد الافراد او العوائل وبين

٤- همام مهدي يسرى، احتساب التفاوت في توزيع الدخل في العراق من خلال الساسة المالية وتصحيحه للمدة (١٩٩٣-١٩٩٤)، مجلة دراسات اقتصادية - بغداد - العدد (٣) ١٩٩٩ ص ٢٨٤.

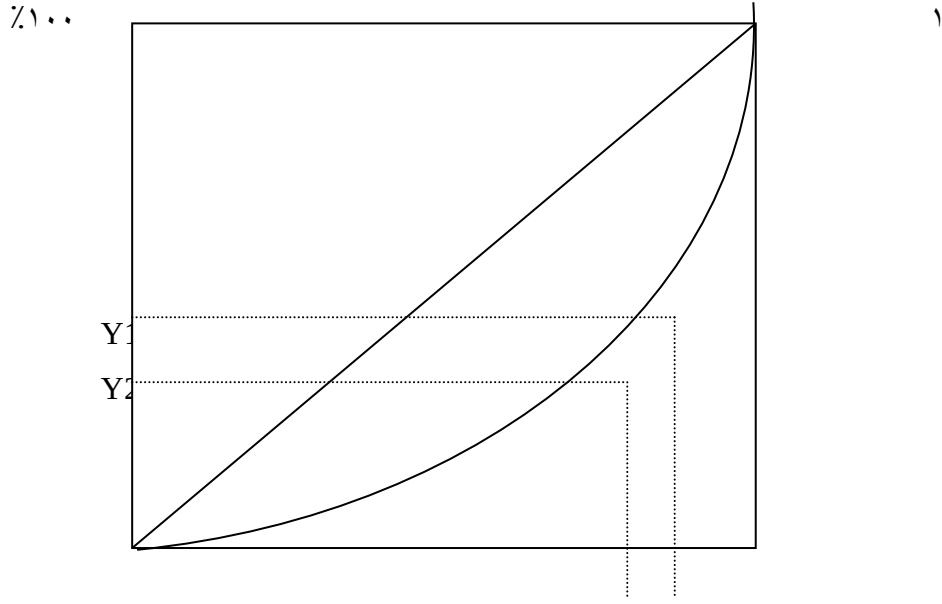
٥- كمال علوان خلف المشهدي، د. نذير عباس الشمري (إحصاء المال والاعمال) الجزيرة للطباعة والنشر، بغداد ٢٠١١، ص ٨٩.

6- Almas Heshmati, Inequalities and their Measurment, Forschungsinstitut zur Zukunft der Arbeit Institute for the Study of Labor, Discussion Paper No. 1219, Germany, July 2004, p1.

التكرارات النسبية التراكمية للدخول التي يحصلون عليها^(٧). ومنحنى لورنز هو رسم بياني يوضح نسبة الدخل الكلي او الثروة التي يفترضها X % للناس، وكثيرا ما يستخدم لتمثيل توزيع الدخل، اذ يظهر X % من الاسر وماهي النسبة المئوية من Y % من اجمالي الدخل لديهم، وتم رسم النسبة المئوية للأسر على المحور السيني (X)، ونسبة الدخل على المحور الصادي (Y). ويحدد منحنى لورنز الحصة التراكمية من اجمالي الدخل مقابل الحصة التراكمية للوحدات المتلقية للدخل، ويستخدم لتحليل توزيع حجم الدخل والثروة، لتقدير مؤشر جيني وغيره من مقاييس عدم المساواة والفقير^(٨).

يتم عادة رسم هذا المنحنى على شكل مربع طول ضلعه يمثل (100 %)، ومنحنى لورنز مقعر من الاعلى مرسوم من الزاوية اليسرى السفلية الى الزاوية اليمنى العلوية من المربع، اذ يمكن الحصول عليه من ترتيب العائلات من ادنى المستويات الدخلية الى اعلاها، مقابل النسب المئوية التراكمية لدخول تلك العوائل. والشكل (١) يبين منحنى لورنز حيث المحور الافقي يمثل النسب المئوية التراكمية للسكان، والمحور الرأسي يمثل النسب المئوية التراكمية للانفاق، كما يبين خط المساواة للدخل بزاوية ٤٥ درجة ويمثل هذا الخط حالة التساوي التام للدخل لجميع الاسر والافراد، ويبين الشكل كذلك منحنى لورنز الذي لايمس خط المساواة الا في بداية ونهاية المنحنى. ويشير ابتعاد منحنى لورنز عن خط المساواة الى فجوة التفاوت، فكلما كان هذا الابتعاد كبيرا كانت فجوة التفاوت في توزيع الدخل كبيرة وبالعكس في حالة اقتراب منحنى لورنز من خط المساواة^(٩).

شكل (١) منحنى لورنز (Lorenz Curve)^(١٠)



٧- سعد طه محمد، قياس وتحليل التفاوت في الانفاق على اساس التوزيع الجغرافي في العراق للعام ٢٠١١، بحث مقدم الى المؤتمر العلمي الدولي جيو تونس في دورته السابعة، تونس، ٢٠١٣، ص ٤.

8- Almas Heshmati, opcit, p2.

٩- أفريت هاجن، اقتصاديات التنمية، ترجمة جورج خوري، مركز الكتب الاردني، ١٩٨٨، ص ٤٦٢.

10- Source: S.Subramanian, Indicators of Inequality and Poverty, Research paper No. 25, wider, April 2004, p3.

وبالرغم من ذلك هناك عيب هام في النماذج التقليدية لمنحنى لورنز هو عدم وجود تناسب مرضي لمجموعة كاملة من توزيع دخل معين. هناك نهجان بارا متربان لتقدير منحني لورنز. يفترض النهج الاول توزيع احصائي افتراضي لتوزيع الدخل يستند اليه تقدير منحني لورنز، في النهج الثاني شكل دالي محدد يصلح للتقدير المباشر لمنحنيات لورنز التجريبية.

منحنى لورنز المقدر حساس للأخطاء في بيانات المسح، خصائص مقاييس شدة عدم المساواة والفقر على افتراض ان البيانات غير نظيفة. وثمة عيب اخر للنماذج التقليدية لمنحنى لورنز هو انها تفتقر على مدى كامل لتوزيع دخل معين. ويقترح كل من Rao, Ogowang منحني لورنز الهجين وهما النماذج المضافة ونماذج مضاعفة من خلال الجمع بين النماذج التقليدية المكتوبة على النحو التالي:

$$Y = f(p) = \delta f_1(p) + (1-\delta)f_2(p) \dots (1)$$

$$Y = f(p) = f_1(p)^\gamma f_2(p)^\lambda \dots (2)$$

حيث $0 \leq \delta \leq 1$, $\gamma \geq 1$, $\lambda \geq 1$ والارقام ١، ٢ تدل على المضافتين، والوصف المضاعف لمنحنى لورنز. ومقارنة بين اداء المنحنيات الهجينة والتقليدية وتبين ان النماذج الهجينة مرنة واداء افضل في تركيب جزء مختلف من توزيع الدخل لوحظ بشكل جيد^(١١).

ب- معامل جيني (Gini Coefficient)

يعد معامل جيني من المقاييس الهامة الأكثر شيوعاً في قياس عدالة التوزيع، وترجع تسميته الى العالم (كورادو جيني) ويعتمد على منحني لورنز، ويمتاز معامل جيني بانه يعطي قياساً رقمياً لعدالة التوزيع، وتتلخص فكرته بحساب المساحة المحصورة بين منحني لورنز وبين خط المساواة (الخط القطري) الواصل بين نقطة الاصل والنقطة (1.1) في الرسم البياني وضرب هذه المساحة في (2) وذلك لان مساحة المثلث المحصورة بين خط التساوي والاحداثيين الافقي والعمودي تساوي (0.5) لذا فان معامل جيني ينحصر بين الصفر والواحد حيث يكون صفراً عندما ينطبق منحني لورنز على خط التساوي وتكون المساحة مساوية للصفر ويكون عندها ينطبق منحني لورنز على الخط الافقي والخط العمودي وتكون المساحة بين خط التساوي ومنحنى لورنز تساوي (0.5) وتكون عندها قيمة معامل جيني مساوية للواحد الصحيح وفي هذه الحالة يكون التوزيع الدخل في أسوأ أحواله اي انه كلما كانت قيمة معامل جيني صغيرة كلما كانت عدالة التوزيع افضل^(١٢).

على الرغم من وجود تعاريف عدة لمعامل جيني الا انه يساوي متوسط الفروقات النسبية حيث يعرف متوسط الفروقات النسبية على انها متوسط الفروقات المطلقة بين كل زوج من مستويات الانفاق، ويمكن حساب معامل جيني للمعلومات المجمعة على شكل توزيع تكراري على النحو التالي^(١٣):

$$G = \sum_{i=1}^n \frac{(P_i - P_{i-1})(L_i + L_{i-1})}{2} \dots (3)$$

11- Almas Heshmati, opcit, p2.

12- GINI, C, 1909 "concentration and dependency ratios" (in Italian). English translation in Rivista di Economic a, 87 (1997), 769.789

١٣- رياض بن جليلي، مؤشرات قياس عدم المساواة في توزيع الانفاق، المعهد العربي للتخطيط، الكويت، ص ١٦.

حيث p_i : هي توزيع التكراري المتراكم للسكان.
 P_{i-1} : هي توزيع التكراري المتراكم للسكان للسنة السابقة.
 L_i : هي التوزيع التكراري للانفاق على الدخل حيث $(p_n = L_n = 1, p_0 = L_0 = 0)$.
 L_{i-1} : هي التوزيع التكراري للانفاق على الدخل حيث $(p_n = L_n = 1, p_0 = L_0 = 0)$ للسنة السابقة.

المحور الثاني: تحليل واقع التعليم وعدالة توزيع الدخل في العراق

في هذا المحور سوف نتطرق الى تحليل واقع التعليم وعدالة توزيع الدخل في العراق للوقوف على ابعاد هذين المتغيرين وعلى النحو الاتي:

أولاً: واقع التعليم في العراق

إنَّ الهدف الاساسي لمنظومة التربية والتعليم في اي مجتمع هو رفع تعظيم دور الانسان في التنمية الشاملة لمجتمعه. وقد شهد العراق اول تجربة للتعليم الجامعي في منتهى القرن العشرين تقريباً عندما أسست أول جامعة عراقية سنة 1959 وهي جامعة بغداد تحت ادارة ماكان يعرف سابقاً بوزارة المعارف، وقد تم تأسيس وزارة التعليم العالي بعد ربع قرن من تأسيس اول جامعة أي في سبعينات القرن الماضي. وقد استطاع التعليم الجامعي في العراق مواكبة التطور العالمي بصورة متسارعة رغم الامكانيات المادية المحددة لقد كانت الجامعات العراقية في ذلك الوقت المتمثلة بجامعة بغداد تتمتع بالحرية الاكاديمية واعتماد معايير دولية في نظامها وان مرحلة التأسيس كانت مرحلة متميزة عرف العالم خلالها جامعة بغداد كصرح علمي بارز ونتيجة لذلك يعد التعليم الجامعي اداة مهمة في التنمية وتطوير القدرات البشرية وله الدور في تهيئة تلك القدرات المتخصصة في المجالات العلمية الانسانية المختلفة.^(١٤)

وتشير تقارير اليونسكو ان العراق امتلك قبل حرب الخليج الاولى نظاماً تعليمياً يعد من افضل الأنظمة في المنطقة، ولكن التعليم عانى الكثير بسبب (الحروب) والحصار الاقتصادي مجتمع السلطات حيث اصبحت نسبة القادرين على القراءة والكتابة عام (2003) هي (55%) بين الذكور و(23%) بين الاناث. ولقد بلغ عدد المعاهد والجامعات التي طالتها التدمير الكلي او الجزئي حوال (16) معهد في و (6) في الجامعات والمراكز الثقافية، أما بعد عام 2003 فقد تعرضت 80% من مؤسساته للتدمير والتخريب والنهب منذ بدء الاحتلال ودخول قوات التحالف، ليزداد الوضع سوءاً في معظم الجامعات العراقية بعد ان هاجر بعد حرب الخليج الثانية حوالي 40% من الاساتذة فضلاً عن اغتيال اكثر من (190) أستاذ جامعي حسب تقارير وزارة التعليم العالي العراقية وبلغ عدد المهاجرين منهم حتى أواسط 2006 (3000) أستاذ، فضلاً عن التهديدات التي نالت معظم الاساتذة من قبل المجموعات المسلحة المختلفة للمليشيات التي تعود الى هذه الجهة او تلك، هذا بالإضافة الى هجرة اكثر من (1000) طبيب معظمهم من الاكاديميين.^(١٥)

١٤- مسارع الراوي، أهداف التعليم العالي في العراق، المؤتمر الاول للتعليم العالي في العراق، مطبعة الادارة المحلية، بغداد، ١٩٧١، ص ١٠.
 ١٥- ظافر حميد حسون، دور التعليم في مآزق التنمية البشرية المستدامة في العراق، مجلة كلية التراث الجامعة، العدد السادس، ص ٨.

ويمكن ملاحظة واقع التعليم في العراق من خلال الاتي^(١٦).

- ١- عدم ارتباط التعليم الجامعي في العراق باحتياجات سوق العمل ولتلي متطلبات التنمية، إذ لا توجد اي خطة واضحة للتنمية على مستوى الدولة.
- ٢- التوسع الكبير بالتعليم الجامعي والذي لم يواكبه تحسن في توفير مستلزماته من اجهزه علمية ولوازم مختبرية وكتب دراسية ومصادر علمية، بل شهدت ايضا الجامعات جميعها نقصاً حاداً بالمستلزمات وذلك بسبب عدم تزويدها بالاجهزه الحديثة من جهة واندثار الموجودات منها لعدم توفير قطع الغيار اللازمة.
- ٣- النقص الحاد في الملاكات التعليمية المؤهلة للتدريسين الجامعيين كماً ونوعاً ولاسيما في التخصصات العلمية اذ تصل نسبة الحاصلين على شهادة الماجستير في بعض الجامعات الى (80%) من مجموع أعضاء الهيئة ونسبة (50%) في أحسن الاحوال.
- ٤- فتح دراسات مهنية تفتقر الى العديد من شروط الرصانه العلمية على الرغم خضوعها لتعليمات ومناهج الدراسات الصباحية واداء الامتحانات النهائية بصورة مشتركة مع الدراسة الصباحية لضمان قدر من الرصانة بصورة او بأخرى.
- ٥- عدم تفرغ الطلبة التام للدراسة اذ اجبرت ظروف معينة الكثير منهم للعمل وتوفير لقمة العيش على حساب التعليم.

ثانياً:- مشاكل التعليم الجامعي

يواجه التعليم العالي في مطلع الألفية الثالثة مشاكل تفرضها عليه مجموعة من التحولات والتغيرات العالمية، ومن ترسيخ لمفهوم العولمة، التجارة الحرة التكتلات الاقليمية، وسرعة التواصل التقني المعلوماتي. ولا يمكن فصل مثل هذه التحولات عما تواجهه مؤسسات التعليم العالي من تحديات تتصل بالزيادات المتحققة في بطالة الخريجين والتوجه نحو الخصخصة وانخفاض الدور الحكومي، فضلاً عن تدني قطاع الانتاج في شؤون التعليم العالي^(١٧).

لذلك فرض الحال الراهن على المؤسسات التعليمية اعادة صيانة اساليب التعليم والتطوير نظم تعليمية ملائمة، وبما ان التعليم الجامعي في العراق قد مر بمرحلة تحول عميقة بعد سلسلة من الازمات التي تعرضت لها مؤسسات التعليم الجامعي خلال السنوات الماضية مما ادى ذلك الى عدم قدرتها على مواكبة التطورات والتغيرات التي حدثت على مستوى احتياجات المجتمع والتنمية. وقد كانت من اخطر تلك الازمات اعتماد مؤسسات التعليم العالي في العراق صورة نمطية عبر منظومة واحدة من الانظمة واللوائح والاجراءات والممارسات مما ادى الى فقدان الجامعة بنيتها واستقلاليتها وشخصيتها الاعتيادية ومرونتها الادارية والمالية وقدرتها على مواجهة التحديات والازمات. وقد تمثلت المشاكل التي واجهها التعليم في العراق بالاتي^(١٨):

١٦- فارس كريم بريهي، وآخرون، واقع التعليم الجامعي في العراق بين التحديات وعملية الاصلاح، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة، العدد التاسع والاربعون، ٢٠١٦، ص ٦.

١٧- عبد الله بوطانة، تفعيل التعاون بين التعليم العالي وقطاع الاعمال، مطبعة مكتبة التربية العربي لدول الخليج، الرياض، السعودية، ٢٠٠١، ص ٦١.

١٨- فارس كريم بريهي، وآخرون، مصدر سابق، ص ١٤.

- ١- التدهور الأمني المستقر لمؤسسات التعليم العالي مما يضع طرقي العملية التعليمية (الطالب الاستاذ) والعملية التعليمية بالكامل في دوامة عدم الاستقرار والخوف من المستقبل وترك اثره الواضح في تسرب الطلاب وتركهم لمقاعد الدراسة وهجرة الكادر التدريسي.
- ٢- الإجراءات التحكيمية في أحالة الاستاذ الجامعي من درجات علمية متقدمة (استاذ، استاذ مساعد) على التقاعد لاسباب مختلفة منها كبر السن او عدم الكفاءة.
- ٣- تدهور البنية التحتية اللازمة لتطوير التعليم العالي من مكاتب علمية ومختبرات وشبكة انترنت ومصادر المعلومات المختلفة وغلق اقسامها للدراسات العليا برمتها تحت درجة عدم توفر الكادر التدريسي لها.
- ٤- ضعف التنسيق بين الجامعات والكليات الأهلية من جهة والكليات الحكومية من جهة اخرى حيث الارباك في تكرار الاختصاصات المتشابهة في كلا الطرفين وعدم انتهاز مبدأ التكامل في التخصصات بين المؤسسات التعليمية العالية الامر الذي لا يخدم عملية التنمية.
- ٥- عدم السماح وعرقلة جهود المنظمات الدولية كالأأم المتحدة واجهزتها المعنية بشؤون التعليم العالي على الاشراف والتأكد من ظروف هذه المؤسسات بما يتوافق وشروط الجودة العالمية.
- ٦- في ظروف العراق الحالية وتوقف التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الشاملة ادى الى ضعف قدرة ودور الجامعات والمؤسسات البحثية في المجتمع وبالتالي ضعف روابط التعليم العالي ودوره الاساس في الاستجابة لظروف التنمية البشرية الشاملة.
- ٧- ضعف الانفاق على التعليم العالي والبحث العلمي باعتباره دعامة اساسية لاعادة بناء بنية تحتية واقامة المشاريع البحثية التعليمية المتقدمة.
- ٨- ضعف دور البحث العلمي في ايجاد حل للمشكلات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تواجه المجتمع.

المحور الثالث: قياس التفاوت في التعليم وعدالة توزيع الدخل في العراق

بعد استعراض مقاييس التفاوت المستخدمة في الدراسة وتوضيحها سابقا سيتم عرض وتحليل نتائج قياس التفاوت في التعليم وعدالة توزيع الدخل في العراق حيث شهد الناتج المحلي الاجمالي في العراق تغيرات شأنه شأن بقية المتغيرات الاقتصادية الكلية الاخرى نتيجة الظروف السياسية والاقتصادية غير المستقرة التي شهدها البلد، أذ ان درجة التفاوت في توزيع الدخل والانفاق تظهر ان الارتفاع في درجة التفاوت في توزيع الدخل والانفاق تعزى الى جملة من العوامل والاسباب منها استفادة بعض الافراد من الوضع غير الطبيعي، خاصة بعد الاحتلال للحصول على مكاسب غير طبيعية كما وقد يعزى ذلك الى استفادة شريحة من الموظفين للتمتع بدرجات وظيفية عالية وحصولهم على رواتب عالية وشكل غير اعتيادي كالمدرء العاملين والمستشارون الخبراء وغيرها من العناوين والالقاب التي تمتع بمزايا مادية غير متاحة للغالبية العظمى من منتسبي دوائر الدولة كما ان الكثير من التجار قد استفادوا بدرجة كبيرة من

الزيادات الحاصلة من تهريب النفط لذا ارتفعت أرباحهم التجارية وارتفعت دخولهم ككل من الاسباب وغيرها أدت الى ارتفاع درجات التفاوت في توزيع الدخل والانفاق العائلي في العراق.^(١٩)

أولاً:- قياس التفاوت في توزيع الدخل.

بعد استعراض الواقع الاقتصادي في العراق وتسلط الضوء على عدالة توزيع الدخل نلاحظ ان الناتج المحلي الاجمالي شهد إنخفاضاً في السنوات (2000-2005) نتيجة الاحداث السياسية التي شهدتها العراق وتوقف جميع القطاعات الاقتصادية ثم عاود الارتفاع حتى عام (2009-2010) انخفاض يسجل (13064218.7) مليون دينار بعد أن كان (157026061.6) مليون مليار دينار بالاسعار الجارية نتيجة الازمة المالية العالمية 2008 ثم عاود الى الارتفاع واستمر بالارتفاع حتى عام (2014-2015) التي شهدتها العراق ظروف امنية وسياسية قاسية تمثل باحتلال عصابات داعش الموصل والمحافظات المجاورة.

في ما يخص الناتج المحلي الاجمالي بالاسعار الثابتة فقد شهدت هي الاخرى انخفاضاً في السنوات 2001 حتى 2005 ثم أرتفعت في عامين (2005-2006) ثم أنخفض ليسجل (34580) مليون دينار بعد أن كان (36772) مليون دينار.

أما متوسط نصيب الفرد من الناتج نلاحظ انه انخفض عام 2001 واستمر بالانخفاض حتى عام 2004 ثم عاود في 2004 والسنوات اللاحقة حتى عام 2009 نتيجة لارتفاع الملحوظ الذي شهدته الناتج المحلي الاجمالي بالاسعار الجارية نتيجة لانخفاض في الناتج نتيجة للازمة العالمية المصحوب بانخفاض السكان في تلك السنة. واستمر الارتفاع حتى عام 2014 اذ انخفض في هذه السنة نتيجة انخفاض الناتج بسبب الاوضاع الامنية التي شهدتها البلاد بالرغم من ارتفاع السكان.

جدول (١) بعض المتغيرات الاقتصادية الكلية في العراق للمدة (2000-2015)

السنوات	الناتج المحلي الإجمالي بالاسعار الجارية (مليون)	عدد السكان	الناتج المحلي الإجمالي بالاسعار الثابتة(مليون)	متوسط نصيب الفرد من ناتج محلي أجمالي
2001- 2000	50213699.9	24086000	50985	2.08476708
2002- 2001	41314568.5	24814000	36047	1.664970118
2003- 2002	41022927.4	25565000	29998	1.604651962
2004- 2003	29585788.6	26340000	16319	1.123226598

١٩- اسماعيل عبد الرحمن وعريقات حربي محمد، مفاهيم ونظم اقتصادية (التحليل الاقتصادي الكلي والجزئي)، ط١، دار وائل للنشر والتوزيع، الاردن، ٢٠٠٤، ص٦٧.

1.96158144	23127	27139000	53235358.7	2005- 2004
2.629674878	23325	27963000	73533598.6	2006- 2005
3.317874169	19787	28810000	95587954.8	2007- 2006
3.754996746	17635	29682000	111455813.4	2008- 2007
4.923218736	24199	31895000	157026061.6	2009- 2008
0.412589019	20713	31664000	13064218.7	2010- 2009
5.118259396	25079	31664000	162064565.5	2011- 2010
6.53851337	31849	33238000	217327107.4	2012- 2011
7.36399853	35129	34208000	251907661.7	2013- 2012
7.619026417	36772	35095772	267395614	2014- 2013
6.207549113	34580	36004548	223500000	2015- 2014

المصدر:- الجهاز المركزي للإحصاء والتخطيط، البيانات السنوية لمجموعات إحصائية مختلفة.
أما ما يخص معامل جيني كمقياس لتفاوت في توزيع الدخل نلاحظ انه قد بلغ (0.22 %) أي انه يقترب من الصفر وتعد نسبة منخفضة. ونستنتج من ذلك ان هنالك عدالة نوعا ما في توزيع الدخل في العراق ولا يشهد العراق فجوة كبيرة في توزيع الدخل ارتفاع نسبة شريحة متوسط الدخل.
جدول (٢) التوزيع التكراري في توزيع الدخل

السنوات	الناتج المحلي الاجمالي بالاسعار الجارية (مليون)	عدد السكان	متوسط نصيب الفرد من ناتج محلي اجمالي (مليون)	تكرار نسبي للناتج	تكرار نسبي للسكان	تكرار نسبي تراكمي للناتج	$I_i + I_i - 1$	$p_i - p_i - 1)(i + i - 1)$
2001	50213699.9	24086000	2.08476708	2.8	5.4	2.8	2.8	15.12
2002	41314568.5	24814000	1.664970118	2.3	5.5	5.1	7.9	43.45
2003	41022927.4	25565000	1.604651962	2.3	5.7	10.8	15.9	90.63
2004	29585788.6	26340000	1.123226598	1.7	5.9	12.5	23.3	134.47
2005	53235358.7	27139000	1.96158144	3.0	6.1	15.5	28	170.8
2006	73533598.6	27963000	2.629674878	4.1	6.2	19.6	35.1	217.62
2007	95587954.8	28810000	3.317874169	5.3	6.4	24.9	44.5	284.8
2008	111455813.4	29682000	3.754996746	6.2	6.6	31.1	56	369.6
2009	157026061.6	31895000	4.923218736	8.8	7.1	39.9	71	504.1

571.55	80.5	40.6	7.1	0.7	0.412589019	31664000	13064218.7	2010
641.13	90.3	49.7	7.1	9.1	5.118259396	31664000	162064565.5	2011
815.84	111.6	61.9	7.4	12.2	6.53851337	33238000	217327107.4	2012
1048.0 4	137.9	7.6	7.6	14.1	7.36399853	34208000	251907661.7	2013
1302.6	167	91	7.8	15.0	7.619026417	35095772	267395614	2014
1556	194.5	103.5	8.0	12.5	6.207549113	36004548	223500000	2015
		100	100	100				المجموع

المصدر: *- الجهاز المركزي للإحصاء وزارة التخطيط

** - أعداد الباحثة

$$G = 1 - \sum (p_1 - p_2)(L_1 + L_2 - 1)$$

$$= 1 - 0.778 = 0.222$$

$$= 22.2\%$$

حيث p_i : هي توزيع التكراري المتراكم للسكان.

P_i-1 : هي توزيع التكراري المتراكم للسكان للسنة السابقة.

L_i : هي التوزيع التكراري للانفاق على الدخل حيث $(p_n = L_n=1, p_0=L_0=0)$.

L_i-1 : هي التوزيع التكراري للانفاق على الدخل حيث $(p_n = L_n=1, p_0=L_0=0)$ للسنة السابقة.

ثانياً:- قياس التفاوت في التعليم.

نتطرق في هذه الفقرة الى قياس التفاوت في متغير آخر في العراق وهو التعليم (Learning) باعتبار متغير مهم في احداث التغيرات الجوهرية في النظام الاجتماعي والاقتصادي داخل العراق ولما يضيفه من انعكاسات على الواقع الاقتصادي، وكما يشير في جدول (٣) سجل عدد الطلبة المقبولين في الجامعات العراقية تذبذباً بين الارتفاع والانخفاض خلال مدة الدراسة (٢٠٠٠-٢٠١٥) اذ نلاحظ ان عدد الطلبة المقبولين قد استمر بالارتفاع منذ العام الدراسي (٢٠٠١-٢٠٠٠) حتى عام (٢٠٠٣-٢٠٠٤) الا أنه انخفض (٢٠٠٤-٢٠٠٥) وكان سبب الانخفاض تردي الاوضاع الامنية، وعاود الارتفاع في العام الدراسي (٢٠٠٥-٢٠٠٦) ومن ثم انخفض في (٢٠٠٦-٢٠٠٧) اذ بلغ ٩٩٨٢٢ بعد ان كان

١٠٩٠٤٤ في العام السابق، وعاود الى الارتفاع ٢٠٠٧-٢٠٠٨ وقد شهد هذا العام تحسناً في الاوضاع الامنية وارجاع المرقنة قيودهم، وانخفض مرة أخرى في العام الدراسي ٢٠٠٨-٢٠٠٩ ثم استمر بالارتفاع في العامين ٢٠٠٩-٢٠١٠ وفي ٢٠١٠-٢٠١١، وانخفض في ٢٠١١-٢٠١٢ ورجع ليرتفع في العامين ٢٠١٢-٢٠١٣ و٢٠١٣-٢٠١٤، الا ان عام ٢٠١٤-٢٠١٥ شهد انخفاضاً شديداً في اعداد الطلبة المقبولين بسبب دخول داعش وغلق الجامعات في المحافظات المحتلة من قبله.

اما فيما يخص اعداد الطلبة المقبولين على عدد الاساتذة شهد تذبذباً هو الاخر خلال مدة الدراسة حيث انه كان مستقراً تقريباً من عام ٢٠٠٠-٢٠٠١ لغاية ٢٠٠٣-٢٠٠٤ ثم انخفضت النسبة الى غاية ٢٠٠٦-٢٠٠٧ بسبب هجرة الكفاءات نتيجة لتردي الاوضاع الامنية وقد ارتفعت في سنة ٢٠٠٧-٢٠٠٨ حيث بلغت ٤,١٠ بعد أن كانت ٣,٤٣ في العام السابق وانخفضت مرة أخرى في ٢٠٠٨-٢٠٠٩ نتيجة ارتفاع اعداد الطلبة المقبولين، واستمر الارتفاع منذ.

عام ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩ حتى ٢٠١١-٢٠١٢ وشهد هذا العام انخفاضاً في نسبة اعداد الطلبة المقبولين على عدد الاساتذة وعاود الى الارتفاع حتى عام ٢٠١٤-٢٠١٥ نتيجة احتلال داعش محافظات المنطقة الغربية مما ادى الى غلق الجامعات فيها.

بينما سجل اعداد الخريجين كنسبة الى اعداد السكان استقراراً خلال مدة الدراسة تتراوح ما بين (٠,٢٪ - ٠,٣٪) وهذا يدل على وجود تحسن في اعداد الخريجين الا ان عدد السكان كان في ازدياد ايضاً مما لم ينعكس في النسب ويحتاج الى وضع خطة لزيادة اعداد الخريجين بالقياس بالزيادة الحاصلة في السكان، ويرجع سبب زيادة اعداد الخريجين الى استحداث جامعات جديدة والتشجيع على افتتاح كليات اهلية وبالرغم من هذا الزيادة الا انها لم تنعكس بصورة جيدة في التنمية الاقتصادية بسبب عدم وجود تناسق بين مخرجات التعليم وسوق العمل مما أدى الى بروز ظاهرة بطالة الخريجين او عملهم في غير اختصاصاتهم فضلاً على اعتماد البلد على القطاع النفطي وجعله القطاع الرائد والرئيس في الاقتصاد كان الاثر الاكبر كون هذا القطاع هو قطاع رأسمالي في طبيعته ولم يكن له اثر في معدلات البطالة بالاضافة الى انخفاض مساهمة القطاعات الاقتصادية الاخرى.

جدول (٣) مقدار التفاوت بين عدد التدريسين وعدد الطلبة المقبولين في العراق للمدة (٢٠١٥-٢٠٠٠) (٢٠).

يشير الجدول (٣) الى ارتفاع التفاوت في قطاع التعليم العالي بعد قياس معامل جيني نلاحظ انه قد بلغ (0.86%) وهي نسبة مرتفعة جداً تقترب من الواحد الصحيح. نستنتج من ذلك ان وزارة التعليم العالي بالرغم من الخطة التي وضعتها لزيادة عدد التدريسين لنسبة الزيادة الحاصلة في عدد الطلبة المقبولين الا أنها لم تحقق النتائج المرجوة وذلك لوجود اختلالات في نوعية اختصاصات التدريسين مما لا ينسجم مع عدد الطلبة المقبولين.

جدول رقم (٤) التوزيع التكراري للطلاب والاساتذة

السنوات	عدد الطلبة المقبولين	عدد الخريجين	عدد الاساتذة	عدد الطلبة المقبولين / عدد الاساتذة*	عدد السكان	عدد الخريجين / عدد السكان %*	مقدار التفاوت *
2001-2000	80872	49935	12402	6.52	24086000	0.2	68470
2002-2001	92467	53260	13240	6.98	24814000	0.2	79227
2003-2002	95994	68826	15523	6.18	25565000	0.3	80471
2004-2003	116308	74676	17003	6.84	26340000	0.3	99305
2005-2004	95305	74518	21046	4.53	27139000	0.3	74259
2006-2005	109044	74669	24459	4.46	27963000	0.3	84585
2007-2006	99822	75529	29109	3.43	28810000	0.3	70713
2008-2007	123339	67053	30109	4.10	29682000	0.2	93230
2009-2008	102581	69020	31981	3.21	31895000	0.2	70600
2010-2009	123339	73988	34008	3.63	31664000	0.2	89331
2011-2010	157560	93357	35735	4.14	31664000	0.3	121825
2012-2011	133219	98673	37404	3.56	33238000	0.3	95815
2013-2012	186134	99772	39445	4.72	34208000	0.3	146689
2014-2013	199064	100190	40993	4.86	35095772	0.3	158071
2015-2014	12339	100848	30109	0.41	36004548	0.2	-17770
السنوات	عدد المقبولين *	عدد الاساتذة *	تكرار نسبي للطلاب **	تكرار نسبي للاساتذة **	تكرار نسبي للاساتذة **	L1+L2	$pi - pi - 1)(li + li - 1$
2001	80872	12402	5.02	3.01	9.94	19.5	97.89
2002	92467	13240	5.74	3.21	9.56	18.63	106.94

105.67	17.73	9.07	3.76	5.96	15523	95994	2003
122.02	16.9	8.66	4.12	7.22	17003	116308	2004
94.66	15.99	8.24	5.10	5.92	21046	95308	2005
95.87	15.05	7.75	5.93	6.37	24459	102581	2006
90.52	14.6	7.30	7.06	6.20	29159	99822	2007
110.14	14.36	7.30	7.30	7.67	30109	123559	2008
82.75	12.99	7.06	7.75	6.37	31981	102581	2009
84.49	11.03	5.93	8.24	7.66	34008	123339	2010
90.26	9.22	5.10	8.66	9.79	35735	157560	2011
65.17	7.88	4.12	9.07	8.27	37404	133219	2012
80.57	6.97	3.76	9.56	11.56	39445	186134	2013
76.76	6.21	3.21	9.94	12.36	40993	199064	2014
79.31	103	3.01	7.30	0.77	30109	12339	2015
1383.02		100			412,566	1,610,147	المجموع

المصدر: *-الجهاز المركزي للإحصاء والتخطيط، البيانات السنوية لمجموعات إحصائية مختلفة.

** -أعداد الباحثة

$$G = 1 - \sum(p1 - p2)(L1 + l2 - 1)$$

$$= 1 - 0.1383 = 0.86$$

الاستنتاجات:

- ١ - يعد موضوع التفاوت من المواضيع المهمة التي تؤثر على مستوى التنمية في الدخل اذ كلما ارتفع التفاوت ادى ذلك الى بروز مشاكل إقتصادية واجتماعية في المجتمع.
- ٢ - تسعى أغلب دول العالم ومن ضمنها العراق الى رفع مستوى التعليم لما لهذا القطاع من اثر ايجابي على التنمية الاقتصادية والبشرية. اذا انه يوفر العمالة الماهرة التي يستفاد منها في رفع المستوى الاقتصادية في جميع القطاعات.
- ٣ - بالرغم من كل الجهود التي بذلتها الحكومة العراقية في تحسين واقع هذا القطاع إلا انه لم يصل الى المستوى المطلوب اذ سجل عدد الطلبة المقبولين في الجامعات العراقية تذبذباً بين الارتفاع والانخفاض خلال مدة الدراسة (٢٠٠١-٢٠١٥).
- ٤ - سجل اعداد الخريجين كنسبة الى اعداد السكان استقراراً خلال مدة الدراسة تتراوح ما بين (2.0%) - (٠.٣%).
- ٥ - يشير معامل جيني الى ارتفاع التفاوت قطاع التعليم العالي اذ بلغ (0.86).

٦- عدم وجود ارتباط بين مخرجات التعليم الجامعي واحتياجات السوق ومتطلبات التنمية نتيجة لعدم وجود خطة واضحة للتنمية.

التوصيات:

١- زيادة الانفاق على التعليم العالي وفتح جامعات حكومية لتناسب مع الزيادة الحاصلة في اعداد الطلبة.

٢- بالرغم من الاختلالات الهيكلية التي يعاني منها الاقصد ان معامل جيني بلغ (0,22%) أي ان مستوى التفاوت في توزيع الدخل منخفض وهذا يدل على ان شريعة متوسطة الدخل هي الشريحة الاكبر.

٣- تشجيع على فتح الجامعات الاهلية ولاسيما في الاختصاصات التي يحتاجها سوق العمل.

٤- وضع خطة شاملة للتعليم العالي تشمل القطاعين الحكومي الاهلي تهدف الى نسبة مخرجات التعليم العالي مع متطلبات سوق العمل من اجل تخفيض اعداد الخريجين العاطلين من العمل.

المصادر:

أولا -المصادر العربية والانكليزية

١. اسماعيل عبد الرحمان وعريقات حربي محمد، مفاهيم ونظم اقصدية (التحليل الاقصد صادي الكلي والجزئي)، ط١، دار وائل للنشر والتوزيع، الاردن، ٢٠٠٤.
٢. أشرف بن خليل سكيك، محددات تفاوت توزيع الدخل في الاقصد الفلسطيني للفترة من ١٩٩٥-٢٠١٣، رسالة مقدمة الى كلية التجارة في الجامعة الاسلامية، فلسطين، ٢٠١٥.
٣. افريت هاجن، اقصدات التنمية، ترجمة جورج خوري، مركز الكتب الاردني، ١٩٨٨.
٤. الجهاز المركزي للاحصاء والتخطيط، البيانات السنوية لمجموعات احصائية مختلفة.
٥. سعد طه محمد، قياس وتحليل التفاوت في الانفاق على اساس التوزيع الجغرافي في العراق للعام ٢٠١١، بحث مقدم الى المؤتمر العلمي الدولي جيو تونوس في دورته السابعة، تونس، ٢٠١٣.
٦. ظافر حميد حسون، دور التعليم في مآزق التنمية البشرية المستدامة في العراق، مجلة كلية التراث الجامعة، العدد السادس.
٧. عبدالله بوطانة، تفعيل التعاون بين التعليم العالي وقطاع الاعمال، مطبعة مكتبة التربية العربي لدول الخليج، الرياض، السعودية، ٢٠٠١.
٨. فارس كريم بريهي، وآخرون، واقع التعليم الجامعي في العراق بين التحديات وعملية الاصلاح، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة، العدد التاسع والاربعون، ٢٠١٦.
٩. كمال علوان خلف المشهداني، نذير عباس الشمري (إحصاء المال والاعمال) الجزيرة للطباعة والنشر، بغداد الوزيرية، ٢٠١١.
١٠. مسارع الراوي، أهداف التعليم العالي في العراق، المؤتمر الاول للتعليم العالي في العراق، مطبعة الادارة المحلية، بغداد، ١٩٧١.

١١. همام مهدي يسرى، احتساب التفاوت في توزيع الدخل في العراق من خلال الساسة المالية وتصحيحه للمدة (1970-1993) مجلة دراسات اقتصادية - بغداد - العدد (٣) 1999.
١٢. يونس علي أحمد، تحليل وقياس الرفاهية وعلاقتها بعدالة توزيع الدخل في مدينة كركوك لسنه ٢٠٠٩، مجلة الادارة والاقتصاد، العدد الثالث والثمانون، ٢٠١٠.

13. S.Subramanian, Indicators of Inequality and Poverty, Research paper No. 25, wider, April 2004.
14. Almas Heshmati, Inequalities and their Measurment, Forschungsinstitut zur Zukunft der Arbeit Institute for the Study of Labor, Discussion Paper No. 1219, Germany, July 2004.

وصف ناقلي اللغة في كتاب سيبيويه -دراسة تحليلية-

Description of Language Transcribers in Sebaweah Book -Analytical study-

م.م. زيد وفاق شاكِر^(١)
Assist. Lect. Zaid Wifaq Shakir

م.م. ديانا صلاح عبد الحسين^(٢)

Assist. Lect. Diana Salah Abdulhussain

الملخص

تكمن أهمية البحث في:

١. إنَّ النقل والسماع كلها دوال ذات مفهوم واحد عند سيبيويه وهو القياس.
٢. إنَّ العالم الذي استقى سيبيويه منه علمه ونهل منه كلام العرب كان إما محدِّثاً أو منشداً أو زاعماً ضمن إطار الثقة.
٣. ويكون لعامل الممارسة دوراً في نقل اللغة سواء كان الناقل متكلماً أو مُخبراً أو محدِّثاً يتصف بالفصاحة، لما له من أهمية وبعد فكري؛ لأنه الأساس الذي يستند عليه سيبيويه في تفعيده للغة والطريق الذي يلتجئ إليه سيبيويه في تنفيذ استنباطاته وآرائه؛ لأنَّ كلام هذا المتكلم يسير وفق القياس.
٤. إنَّ القبائل العربية التي سمع سيبيويه منها مباشرة، ونقل عنها لم تكن على درجة واحدة من الفصاحة، إذ قيَّم جودة لغتها وفقاً لفصاحة شعرائها، انضوت عليها الكثير من احكامه وأقيسته وما رصده من أساليب عربية صحيحة.
٥. إنَّ وصف سيبيويه للأبيات الشعرية بالضعف لا يعني بذلك عدم التكلم بها، وإنما الضعيف عند سيبيويه يمثل الجواز.
٦. إنَّ موقف سيبيويه من الشعر شبيه لموقفه من النثر فهو تقويمي وصفي.

١- جامعة كربلاء/ كلية الطب البيطري.

٢- المديرية العامة لتربية بابل.

Abstract

The most important to him Search results:

1- Transference and listening are all functions of one concept, according to Siboyeh, the measurement.

2- The world from which he derived his knowledge and the words of the Arabs was either modern or revolutionary or within the framework of trust.

3- The factor of practice shall have a role in the transmission of the language, whether the carrier is a speaker, an informant or an eloquent event, because it is important and intellectually important, because it is the basis upon which Siboyeh bases his language and the way in which he comes to implement his conclusions and opinions; According to measurement.

4- The Arab tribes that heard Siboyeh directly, and the transfer was not a single degree of fluency, as it assessed the quality of its language according to the clarity of its poets, including many of its provisions and Aqizh and the monitoring of the correct Arab methods.

5- The description of Siboyeh of poetry verses weakness does not mean not to speak, but the weak at Siboyeh represents the passport.

6- The position of Sebwayeh from poetry Shibah to his position of prose is descriptive and descriptive.

المقدمة

إنَّ من أهم اسباب تقدم التفكير النحوي عند سيبويه هو اعتماده على المنهج الوصفي، حيث يعرض ويطور العديد من النظريات اللسانية التي لم تُعرف إلا في القرن العشرين، ومن أهمها النظرية الوصفية للغة، التي تتجلى عنده بوصفه لكلام العرب ولغاتهم، التي تقف بجانب المعيارية التي تتوشح بعبارة (يجوز، لا يجوز، قليل، كثير)، كما تمخضت عن الكتاب نظريات عديدة منها نظرية العامل، والبنية الكلام بإزاء القواعدية، ووصف الأصوات اللغوية، ونظرية تدرج مستويات الكلام المقبول لقواعد الكلام، عندما يكون الكلام عنده مبنياً على اسس علمية فإنه يخضع صنوف القول الى أحكام لغوية صارمة نحو (القيح، المقبول، حسن، جيد، خطأ، خبيث)، ومن ذلك قوله: ((وزعم يونس أنَّ من العرب من يقول: أن لا صالح فطالح... وهذا قبيح ضعيف))^(٣). ولم يكتفِ سيبويه بوصف البنية الداخلية للجملة بل عمد الى وصف ناقلها وهو ما استشهد به من لغات العرب، وكان إذا أراد أن يدل على صحة الاسلوب وفصاحته وصفه بأنه حجازي لأنها من أعلى لغات العرب وأفصحها، إذ قال في باب الادغام ((ودعاهم سكون الآخر في المثلين أن يني أهل الحجاز في الجزم فقالوا: أرْدُدْ ولا تُرْدُدْ، وهي اللغة العربية القديمة الجيدة))^(٤)، ومنه قوله ((ومما يدل على أن الادغام فيما ذكرْتُ لك أحسن أنه لا تتوالى في تأليف الشعر خمسة

٣- الكتاب: ١/ ٢٦٢.

٤- الكتاب: ٢/ ٤٢٤.

أحرف متحركة، وذلك نحو قولك: جَعَلَ لِكَوْفَعَلٍ لَبِيدٌ والبيان في كل هذا عربي جيد (حجازي))^(٥)، مع أنه لا يرى لغات الحجاز على مستوى واحد من الفصاحة، إنما يرى بعضها في مواضع أخرى جائزة عربية، كقوله: ((وإن لم تُدغم فقلت: هل رأيت، فهي لغة لأهل الحجاز وهي عربية جائزة))^(٦).

ومن هنا عمد سيبويه الى وصف ناقلي اللغة بصفات واحكام متفاوتة، وإذا كان يعقب على لغة ما بما يُشعر بعدم موافقته إياها لا يزيد على أن يقول "هذه لغة ضعيفة" أو "هي قليلة"^(٧). فالضعف والقوة ليس في المتكلم وإنما في اللغة التي تكلم بها.

ومن هنا نستطيع أن نجزم أن اللغة التي استشهد بها سيبويه جاءت على مراتب عدة ومتفاوتة واصفا أياها بالفصاحة والاطراد والضعف والقلة والكثرة والرداءة، فانبرت تحت وطأة هذه الصفات الكثير من احكامه وعلى ما رصده من أساليب عربية صحيحة، يقول الدكتور محمد حسين آل ياسين: ((إن مصادر الدرس اللغوي هي كلام العرب في جميع بيئاته اللغوية بسماته المشتركة، وخصائص اسلوبه وطريقة التأليف فيه، ولا يفترض بالدارسين أن يعزلوا قوما عن مصادر الاستشهاد، ولا ضربا فصيحاً من ضروب الكلام، ف القراءة المتواترة والحديث الصحيح والشعر والخطب والأمثال وكلام العرب الموثوق بفصاحتهم، كل أولئك مصادر مهمة للدرس اللغوي))^(٨)، وعليه فإن البحث في وصف ناقلي اللغة قد قُسم على اقسام عدة وهي:-

١. الشيوخ او العلماء

٢. الشعراء

٣. المتكلم

ومن ثم الخاتمة والمصادر.

حقيقة النقل

انطلاقاً من استشهاد الكوفيين وبعض البصريين بكلام العرب، وفي هذه الحقبة كان الاهتمام بالمنقول قد بلغ غايته، لأدراكهم إن علم الانسان بقوانين اللسان العربي وحدها غير كافية لكي تمكنه من التكلم بكلام العرب الصحيح مالم يخالطهم أو يلتقي بهم ويسمع منهم^(٩) حتى ندرك حقيقة أن مانقله عنهم هو السماع.

فالنقل هو الأصل الأول من أصول النحو، بحيث اعتمد عليه النحاة الأوائل في الاستدلال والاحتجاج، ووضع قواعد النحو العربي، وقد عرفه الأنباري بأنه: ((الكلام العربي الفصيح، المنقول النقل الصحيح، الخارج من حدّ القلة الى حدّ الكثرة))^(١٠).

وعلى هذا فالنقل لفظ مرادف للسماع الذي يمثل الكلام المنقول عن فصحاء العرب الموثوق بعريبتهم من علماء وشعراء، فالسماع الذي عرفه السيوطي بأنه: ((ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته))^(١١)،

٥- الكتاب: ٢/ ٤٢٩.

٦- الكتاب: ٢/ ٢٨٨.

٧- ينظر: الكتاب: ١/ ٢٨ و ٢٩.

٨- الدراسات اللغوية عند العرب: ٣٦٥.

٩- ينظر: الترجيح النحوي بالسماع: ٤١٤.

١٠- لمع الأدلة: ٨١.

١١- الاقتراح: ٣٦.

الأمر الذي يؤكد أن علماء اللغة والنحو عندما أرادوا أن يدونوا اللغة عمدوا الى أخذ أكثرها من القبائل الضاربة في وسط الجزيرة العربية وأخذوا قليلاً من لغات القبائل الفصحى الأخرى، القريبة من تلك القبائل^(١٢).

وموقف سيبويه من ذلك كان واضحاً، فقبل أن يلج الى معالجاته اللغوية وطروحاته النحوية عمد الى وصف القائلين أو ناقلي اللغة، وهم يعدون مصادر شفوية ومن أفواههم سمع سيبويه أو أخذ عنهم، لذا وصفهم سيبويه بـ صفات متفاوتة وإن وصفهم لايقل أهمية عن وصف اللغة فعنهم أخذت اللغة واستخلصت، وما ذكره ابن جني في خصائصه بأن لغات العرب متفاوتة في الفصاحة، وهذا التفاوت قد يجعل بعض اللغات أفضل من بعض^(١٣)، ومن هنا يتأكد لدينا الأمر الذي استدعى سيبويه أن يصف ناقلي اللغة بصفات متفاوتة نسبة الى مكانتهم العلمية وجودة المادة المنقولة، ليصل الى وصف نسبي يربط النظرية بالممارسة، واستناداً الى هذا التصنيف توجهت دوال الوصف الى:-

١- الشيوخ أو العلماء:

إنَّ الشيوخ أو العلماء هم الذين استقى سيبويه منهم ونقل عنهم مادته اللغوية، فيصفهم بالثقة وهو دليل على تتبعه للمادة من منابعها الاصلية فكراً فترتكز طروحاته على أرضية علمية رصينة وتكفي عليها تحليلاته الذبسية فالثقة، والموثوق به، والموثوق بعربيته، ويوثق بعلمه، كلها صفات نجد أنها تشترك بوجود الثقة وهو المؤمن، فالثقة لغة: ((وثق - الثقة، مصدر قولك وثق به يثق بالكسر فيهما، وثاقه وثقة، أثمنه وأنا واثق به، وهو موثوق به، وهي موثوق بها... وقد يجمع على ثقات))^(١٤)، والموثوق بعلمه هو العالم، وذلك لأن العلم هو نقيض الجهل^(١٥).

قال ابن جني: ((لما كان العلم أنما يكون الوصف به بعد المزاولة له وطول الملازمة صار كأنه غريزة، ولم يكن على أول دخوله فيه، ولو كان كذلك لكان متعلماً لاعلاماً، فلما خرج بالغريزة الى باب فعل صار عالم في المعنى كعليم فكسّر تكسيره، ثم حملوه على ضده، فقالوا: جهلاء كعلماء، وصار علماء كعلماء، لأن العلم معلمة لـ صاحبه))^(١٦)، وبذلك يكون الموثوق به هو الموثوق أو المؤمن بعلمه وحكمه بوصفه عالماً، وقال الخليل: ((ورجلٌ علامٌ وعلامٌ وعليمٌ فإن أنكروا العلم فإن الله يحكي عن يوسف بقوله تعالى ﴿قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظٌ عليمٌ﴾))^(١٧)، وذلك لأنه عليم وعالم ليس على أول دخوله بالعلم وأما بعد أن طالت ممارسته له حتى صار كأنه غريزته، فالذي يوثق به هو شخص سمع من العرب ونقل عنهم، ومن هؤلاء العلماء الخليل ويونس، إذ قال: ((فإن العرب تختلف في ذلك يجعله بعضهم بمنزلة إسمٍ واحدٍ، وبعضهم يُضيف الأول الى الآخر ولا يجعله إسماً واحداً، ولا يجعلون شيئاً من هذه الأسماء بمنزلة إسمٍ واحدٍ إلا في حال الظرف أو الحال.. وزعم يونس وهو رأي، أن أبا عمرو كان يجعل لفظه

١٢ - ينظر: اسس الترجيح في كتب الخلاف النحوي: ٣٧.

١٣ - ينظر: الخصائص: ١١/٢.

١٤ - لسان العرب: ٤٧٦٤/٢٥: (وثق).

١٥ - ينظر: العين: ١٥٢/٢ (علم).

١٦ - الخصائص: ٣٨٣/١.

١٧ - العين: ١٥٢/٢ والآية من سورة يوسف: ٥٥.

كلفظ الواحد إذا كان شيئاً منه ظرفاً أو حالاً.. والأصل في هذا والقياس الاضافة فإن سميت بشيء من هذا رجلاً أضفت، كما لو أنك سمّيته ابن عم إلا على القياس وجعل لفظهن في ذلك الموضع كلفظ خمسة عشر، ولم يبن ذلك البناء في غير هذا الموضع، وهذا قول جميع من نثق بعلمه ورواية عن العرب ولا أعلمه إلا قول الخليل^(١٨).

إذ وصف سيبويه ما قاله الخليل و يونس بن حبيب "هذا قول جميع من نثق بعلمه وروايته عن العرب، ولا أعلمه إلا قول الخليل"، ففضل الخليل فيه لا يُجحد، حتى قيل أنه عقد التاب بلفظه ولفظ الخليل^(١٩) فاستند الى أقوال العلماء الأوائل في معالجته اللغوية فكشف عنهم عن أنّ "يوم يوم" وصباح مساء "وبيت بيت" لا تكون بمنزلة إسمٍ واحدٍ إلّا إذا أرادوا الظرف والحال، فبني على فتح الجزئين، والأصل الاضافة^(٢٠).

وكذلك قوله في ((باب الاضافة الى ما ذهبت فإؤه من بنات الحرفين وذلك عدة وزنة، فإذا أضفت قلت: عدئي وزني...، ولو جازَ ذا لجاز أن تضع الواو والياء إذا كانت لاماً في أول الكلمة إذا صغرت، ألا تراهم جاءوا بكل شيء في هذا في تحقير على أصله، وكذا قول يونس ولا نعلم أحداً يوثق بعلمه قال خلاف ذلك))^(٢١)

لقد وصف سيبويه يونس بن حبيب بمن يوثق بعربيته ولا أحد يوثق به سواه، ليظهر أن ما نقله عنه من كلام العرب لا تشوبه شائبة، الامر الذي يدعم القاعدة التي يؤسس لها والتي تقول إن فاء (عدة وزنة) لا تُرَدُّ في النسب وأصله (وعد، ووزن) وإذا قال "عدوي" فإنه هذه الواو ((ليس برد، لأن المحذوف هو الفاء بل زيادة حرف موضع اللام كالعوض من الفاء المحذوفة))^(٢٢) "بدليل قول سيبويه "بعد اللام شيئاً ليس من الحرف"، أما في الة صغير فإنه يُرد المحذوف الى أصله "يدلُّك على هذا الة صغير ألا ترى أنك تقول وعيدة" لأنه ((في التصغير تُرَدُّ أسماء الى أصلها))^(٢٣).

إذ أشار سيبويه الى أن شيخه يونس مؤازراً لرأيه برأي من يوثق بعربيته في قوله ((ومما جاء في النصب، إنّا سمعنا من يوثق بعربيته يقول: خلق الله الزرافة يديها أطول من رجلها، وحَدَّثنا يونس أنَّ العرب تنشد: فما كان قيس هُلكهُ هُلك واحدٍ ولكنَّهُ بُنيان قوم هَدَمَّا))^(٢٤)

حيث رفع "هُلكهُ" بدلاً من "قيس" ويكون "هُلك" خبر كان من صوباً، ويجوز رفع "هُلكهُ" على الابتداء وجعل "هُلك" خبراً له، وكذلك الحال بالنسبة لقوله "خلق الله الزرافة يديها أطول من رجلها" ولو قال يداها أطول من رجلها لجاز ويصف سيبويه النصب بقوله ((فهذا عربي حسن))^(٢٥).

١٨- الكتاب: ٣/٣٠٣.

١٩- ينظر: البحث اللغوي عند العرب: ١٢٥.

٢٠- الأصول في النحو: ٢/١٤٠.

٢١- الكتاب: ٣/٣٦٩.

٢٢- شرح الكافية الشافية: ١/٤٠٢.

٢٣- المفصل في صنعة الاعراب: ١/٢٥٣.

٢٤- الكتاب: ١/١٥٥-١٥٦.

٢٥- الكتاب: ١/١٥٦.

وهنا عندما يقول سيبويه (سمعنا من يوثق بعربيته) مشيراً إلى يونس بن حبيب أو إلى ماسمعه من الخليل أو إلى غيره من العلماء، أوحى إلى ماسمعه من العرب الموثوق بعربيته وعلى ما يبدو أن هذا السماع هو الجانب التطبيقي لعلم اللغة الوصفي، إذ يصف المعطيات اللغوية لخلق صيغ قياسية، وهذا استهداف تقني عقلي يروم وراءه إثبات قياس برهاني، ومن هنا فإن غرضه لا يتعلق بالكلام بل يتعلق بالنحو، لذا فإن الوصف هنا ذو محورين أولهما استعمال، والآخر نحوي، مما يُكسب القواعد تنوعاً قياسيًّا فرضته اللغة، و((النحو كله قياس))^(٢٦)، وعلى أثر ذلك تتقرر القاعدة اعتماداً على الاستقراء في ظل معالجة لغوية حيث يؤكد عبرها فكرة أو ينقضها كقوله (سمعناه من ثقة) أو (لم نسمعه من ثقة) الأمر الذي يؤكد أن الوصف في أغلب نصوص الكتاب يتَّسم بطابع توجيهي اعتماداً على ربطه النظرية بالممارسة. ولا يكفي سيبويه بوصف العلماء أو الشيوخ بالثقة بل يمتد الأمر إلى أن يكون العالم عنده منشداً أو محدثاً كقوله: ((قال الشاعر وهو اللعين:

أبالأراجيز يا ابن اللؤم ثوعدني وفي الأراجيز خلت اللؤم والخور

أنشدناه يونس مرفوعاً عنهم))^(٢٧).

وأيضاً قوله ((وحدثنا يونس أن العرب تُنشد هذا البيت وهو لعبد بن الطيب:

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم هدماً))^(٢٨)

ومنه قوله ((أنشدنا يونس لجرير^(٢٩):

إياك أنت وعبد المسيح أن تقرباً قبلة المسجد

أنشدناه منصوباً وزعم أن العرب كذا تنشده))^(٣٠).

وكذلك الأمر نفسه في روايته عن الخليل وأبي الخطاب الأخفش وعيسى بن عمر^(٣١)، ففي حض قوله أن الخليل عالم ثقة ينقل اللغة بوصفه محدثاً عمن يوثق بعربيته يدل دلالة واضحة أن ما اسنعان به من شواهد شعر أو نثر التي استخدمها سيبويه في كتابه كانت مجملها موثقة لدى علماء عصره^(٣٢):

((وحدثنا الخليل أنه سمع من العرب من يوثق بعربيته يُنشد هذا البيت، وهو قول الشماخ^(٣٣):

وكل خليل غير هاضم نفسه لوصل خليل صارم أو معارز

فجعله صفة لكل))^(٣٤).

كما أن الخليل منشداً في قوله ((وأنشدناه الخليل:

٢٦- الاقتراح: ٩٤.

٢٧- الكتاب: ١/١٢٠.

٢٨- الكتاب: ١/١٥٦.

٢٩- البيت ساقط من ديوان جرير، وينظر هامش الكتاب: ١/٢٧٨، والمقتضب: ٣/٢١٣.

٣٠- الكتاب: ١/٢٧٨-٢٧٩.

٣١- ينظر الكتاب: ١/٧٨، ٢٠١/٢، ١١١/٢، ٣٢٩/٢.

٣٢- ينظر: شواهد الشعر في كتاب سيبويه: ٢٦٦.

٣٣- ديوان الشماخ: ١٧٣.

٣٤- الكتاب: ٢/١١٠.

حَلِيلِي طَيْرًا بِالْفَرْقِ أَوْ قَعًا^(٣٥).

٢- الشعراء:

يُعَدُّ الشعر ((أكبر علوم العرب وأوفر حظوظ الأدب وأحرى أن تقبل شهادته وتمثل ارادته لقول الرسول - ﷺ - (إِنَّ مِنْ الشَّعْرِ لِحُكْمًا)^(٣٦)... ولقول عمر بن الخطاب (نعم ما تعلمته العرب الايات من الشعر، يقدمها الرجل أمام حاجته فيستنزل بها الكريم، ويستعطف بها اللئيم، مع ما للشعر من عظيم المزية، وشرف الأبية، وعز الأنفة، وسلطان القدرة))^(٣٧)، كما أنه من أكثر النصوص المستشهد بها في كتاب سيبويه، لذا كان من الضروري السعي وراء تحديد شعراء القبائل الذين نُقِلَ عنهم، وقد استشهد سيبويه بشعر معظم القبائل العربية التي تدخل ضمن مايسمى بعصر الاحتجاج عدا القبائل التي لم تعرف العرب لها شاعراً معروفاً^(٣٨)، ويبدو أن شعراء القبائل لم يبدو على درجة واحدة من الف صاحبة اذ ميّز سيبويه بين شعراء قبيلة وأخرى، إذ أورد في إضمار إسم كان قوله: ((ومثل ذلك في الاضمار قول بعض الشعراء، العجير^(٣٩)، سمعناه ممن يوثق بعربيته^(٤٠)):

أذا مِتُّ كان الناس صنفان شامتٌ وآخر مُثْنٍ بالذي كُنْتُ أصنع

أضمر فيها^(٤١).

فأضمر اسم كان وجملة "الناس صنفان" خبرها^(٤٢).

وهذا لا يحدث بعيداً عن إدراك المخاطب، إذ لا يمكن للمخاطب أن يقبل أية ظاهرة لغوية في الاستعمال اللغوي الخارج عن حدود القاعدة النحوية المتشكّلة في ذهنه دون وجود قابلية عقلية لقبولها، وحتى تتحقق هذه القابلية لابد من وجود مسوغ لهذا الإستعمال، فإذا كانت الضرورة الية سيبويهية يُقنع بها العقل مع أنها لا تبعد كثيراً من الاستعمالات عن جسد اللغة، فكيف به إذا كان هذا المسوّغ قريباً من العقل^(٤٣).

وقد يستحسن سيبويه ترجيح لغة على أخرى اختيار الوجه الحسن بناءً على لغة شعرائها، وذلك عندما رجح ما ورد في اللغة الحجازية على ماورد في اللغة التميمية فيما يتعلق بالقول الآتي (وما كل من وافي مني أنا عارف)؛ لأن الحجازيين يعملون (ما) عمل ليس، أما التميميون فإنهم لا يعملونها، ويكون ما بعدها مرفوعاً على أنه مبتدأ، يقول سيبويه مستشهداً بقول الشاعر: ((وقال مُزاحمُ العُقَيْلي:

وقالوا تُعرّفُها المنازل من منى وما كل من وافي منى أنا عارف

٣٥- الكتاب: ٤/٢١٤.

٣٦- روي الحديث برواية أخرى (وإن من الشعر لحكمة) وهو حديث صحيح، سنن ابن ماجة، ١٢٣٥/٢، رقم الحديث (٣٧٥٥).

٣٧- العمدة: ٦/١.

٣٨- ينظر: شواهد الشعر في كتاب سيبويه: ٣٠٠.

٣٩- ورد في لسان العرب أن العجير بمعنى الضعيف، قال ابن منظور: ((الأعجر: الكثير العُجْر.. والعجير بالراء غير مُعجمة:

الفحول والخريك، والضعيف)) ٥٤٣/٤.

٤٠- أمالي الشجري: ٣٣٩/٢.

٤١- الكتاب: ٧١/١.

٤٢- ينظر: أوضح المسالك: ١/٢٢٦.

٤٣- ينظر: المسوغات النحوية بين القاعدة والاستعمال (بحث): ٥٤-٥٥.

وقال بعضهم: انه قال:

وما كلُّ من وافي مِئِّيْ أناعارفُ

لزم اللغة الحجازية فرفع، كأنه قال: ليس عبدُ الله أنا عارفٌ، فأضمر الهاء في عارفٍ، وكان الوجه عارفُهُ، حيث لم يُعمَل عارفٌ في كلِّ وكان هذا أحسن من التقديم والتأخير؛ لأنهم قد يدعون هذه الهاء في كلامهم وفي الشعر كثيراً^(٤٤).

وللشاعر لغة خاصة تجيز له الاختيار بما لا ينأى عن سنن العرب؛ قال: ((لا تُغيّر بناء الأب عن حال الحرفين، لأنّه عليه بُني إلا أن تحذث العرب شيئاً كما بنوه على غير بناء الحرفين وقال الشاعر^(٤٥)):

فلما تبين أصواتنا بكين وفديننا الأبين

أنشدناه من نثق به، وزعم أنّه جاهليّ، وإن شئتَ كسّرتَ، فقلت: آباءٌ وآخاءٌ^(٤٦))) جمع الاب جمع مذكر سالم على أبين لأن حق التسليم أن يكون الجمع للأسماء والصفات، إلا أن الشاعر أراد أن يفخر بآباء قومه وبأماهم في إنهم أبلوا في حروبهم، فلما عادوا الى نساءهم وعرفن أصواتهم فدينهم لأجل بلائهم في الحرب.

٣- المتكلم:

لا تستغني عملية التواصل من قطبين رئيسين هما المتكلم والمخاطب وبإصطلاحات حديثة "الباتُّ والمتلقي" ضمن المحور المقالي وبث الخطاب يكون أولاً في مخزون ذهني يمتلكه المتكلم ((وصياغة المتكلم لإسلوبه تنعكس سلباً وإيجاباً على فهم المخاطب للمعنى المراد، فصياغته تخضع لمرجعيتيه الثقافية ومكانته وإنتمائه الاجتماعي وعقيدته وعليه تختلف دلالات النصوص باختلاف المنتجين لها نظراً لاختلاف ما يحيط بهم من ظروف حالية خاصة^(٤٧))).

وقد فطن سيبويه الى أهمية المتكلم ودوره الفاعل في توجيه الجملة، فعند استقراء موارد ذكره وجدنا سيبويه يعرضه على مستويات مختلفة بث عبره أصول الكلام العربي حينما الزمه الحكم المعياري بإجراءات التكوين الجملي^(٤٨)، وذلك نحو قوله: ((لا يجوز أن تقول: رأيت زيداً أباه، والاب غير زيدٍ، لأنك لا تُثبته بغيره ولا بشيءٍ ليس منه، وكذلك لا تُثني الاسمَ تأكيداً وليس بالأوّل ولا شيء منه، فإنما تُثنيه وتؤكدّه مُثنيّ بما هو منه أو هو هو، وإنما يجوز: رأيتُ زيداً أباهُ و رأيتُ زيداً عمراً أن يكون أراد أن يقول: رأيتُ عمراً أو رأيتُ أبا زيدٍ، فغلط أو نسي ثم إستدرك كلامه بعد وإما أن يكون أضرب عن ذلك فنحاه وجعل عمراً مكانه^(٤٩))) فالبدل لا يكون إلا على أنه هو المبدل منه، وليس على أنه شيء والمبدل منه شيء آخر، وإنعام النظر في جملة "رأيتُ زيداً أباه" فيها معنيين أحدهما يحقق الغرض، وجوازه متوقف على

٤٤ - الكتاب: ٧٢/١.

٤٥ - المقتضب: ١٧٤/٢ والاصول في النحو: ٤٢٢/٢.

٤٦ - الكتاب: ٤٠٦/٣.

٤٧ - الاسس المعرفية للتحليل النحوي عند سيبويه: ٤٩٢.

٤٨ - ينظر: الوظيفية في كتاب سيبويه: ٧١ وأثر السياق الكلام في العلاقات النحوية (بحث): ١٨.

٤٩ - الكتاب: ١٠١/١-١٠٢.

قصد^(٥٠) المتكلم وفهم المخاطب له، وكذلك الامر في جملة "رأيت زيدا عمراً" إذ لا يمكن أن يتبين الشيء بغيره، لأهما مختلفان، فيحمل سيبويه ذلك على غلط المتكلم أو نسيانه بناءً على قصديته^(٥١)، وفي قوله: ((وكذلك المتكلم لا يجوز له أن يقول أهلكني لأنه جعل نفسه مفعوله فقبح، وذلك أنهم استغنوا بقولهم أنفع عن "ني" وعن "إياي")^(٥٢) إذ يوميء سيبويه في هذا النص الى أنه لا يجوز للمتكلم أن يوقع الفعل على ضميره فيكون هو الفاعل والمفعول في الوقت نفسه، كون المتكلم هو الذي يوجه التركيب والمتحكم فيه فيكون المتكلم "مستفهماً" ومن ذلك تقديم الاسم على الفعل في جملة "أم" المعادلة مع الاستفهام فيما أورده سيبويه: ((وذلك قولك أزيد عند أم عمرؤ وأزيداً لقيت أم بَشراً فأنت الآن مدَّع أن عنده أحدهما لأنك إذ قلت أيَّهما عندك وأيَّهما لقيت فأنت مدَّع عنده أن المسؤول قد لقي أحدهما أو أن عنده أحدهما إلا أنَّ علمك قد إستوى فيهما لا تدري أيهما هو، والدليل على أنَّ قولك: أزيداً عندك أم عمرؤ بمنزلة قولك: أيَّهما عندك، أنَّك لو قلت: أزيدُ عندك أم بَشْرُ، فقال المسؤول: "لا" كان محالاً^(٥٣)).

والنص يكشف علاقة التركيب بالمتكلم، "فجائزاً حسناً" الذي أشار اليه سيبويه في جملة "القيت زيدا أم عمرأ" يتعلّق بالتركيب والمعنى، وقد ربط المبرد الجواز الحسن بالمعنى في قوله: ((جائزاً حسناً لأنه غير خارج عن المعنى))^(٥٤)، لذا ينبغي على المتكلم تقديم الاسم على الفعل ليُعلم قصده في كونه يستفهم عن أحدهما فيكون التركيب على ضوء ما تقدّم "أزيداً لقيت أم زيدا" ومن ثمة تتعيّن الاجابة بناءً على فهم المخاطب لقصده.

ومن صور المتكلم التي قدمها سيبويه هو "المتكلم المخطئ"، ووصف به "ناساً من العرب" في قوله: ((وإعلم أن ناساً من العرب يغلطون، فيقولون: إنهم أجمعون ذاهبون، وإنك وزيد ذاهبان؛ وذلك أن معناه معنى الابتداء، فيؤرى أنّه قال: هم))^(٥٥) إن الغلط الذي أشار اليه سيبويه في جملة "إنهم أجمعون ذاهبون" من جانب التركيب حيث تقدّم التوكيد "أجمعون" على الخبر المؤكّد "ذاهبون"، فعلى ذلك تكون رفعت تابع الخبر قبل الخبر، والغلط في التركيب يتبعه غلط في المعنى كونه قدّم ما دل على العموم على ما هو أخص منه، فيكون التقدير: "هم أجمعون ذاهبون"، فحُذِفَ المبتدأ وبقي توكيده^(٥٦) وقال ابن مالك(٦٧٢هـ) في ذلك: ((رفع التوكيد حملاً على معنى الابتداء في المؤكّد مع أنهما شيء واحد في المعنى، فإن يكون ذلك في المعطوف والمعطوف عليه لتباينهما في المعنى أحقّ وأولى، ونسب سيبويه: أنهم أجمعون ذاهبون الى الغلط مع أنّه من العرب الموثوق بعربيّتهم.. أراد: أنهم هم أجمعون ذاهبون))^(٥٧).

٥٠- ذكر الخليل أن ((القصد بمعنى استقامة الطريق وقصد يقصد قصداً فهو قاصد)) العين ٣٧٧/١ وذكر الجرجاني: أن القصد

يصدر عن أرادة الفاعل، ينظر: التعريفات: ١٦٤.

٥١- ينظر سياق الحال في كتاب سيبويه: ٢٠٥ وأثر سياق الكلام على العلاقات النحوية (بحث): ١٤.

٥٢- الكتاب: ٣٦٧/٢.

٥٣- الكتاب: ١٦٩/٣-١٧٠.

٥٤- المقتضب: ٣١١/٢.

٥٥- الكتاب: ١٥٥/٢.

٥٦- ينظر: شرح الكافية الشافية: ٥١٥/١.

٥٧- شرح الكافية الشافية: ٥١٥/١.

فالمتكلم: ((هو المرجع الأساس لسيبويه في تقعيده للغة وفي استنباطاته وآرائه؛ لأن كلام هذا المتكلم يسير وفق القياس، وهو الى ذلك يملك معرفة حسية وفطرية بوجود النحو وحالاته المختلفة دون أن يكون ملماً بمصطلحات النحويين))^(٥٨) كما يستند سيبويه الى المتكلم في معالجته النحوية بوصفه المحدث الاول للعملية الكلامية ففي: ((باب ما ينتصب لأنه ليس من إسم ما قبله ولا هو هو) يصفه سيبويه بأنه ثقة: ((وذلك قولك: هذا ابن عمي ديناً، وهو جاري بيت بيت، وهذه أحوال قد وقع في كل واحد منها شيء، وانت صب لأن هذا الكلام قد عمل فيها كما عمل الرجل في العلم حين قلت: أنت الرجل علماً فالعلم منتصب على ما فسرث لك وعمل فيه ما قبله كما عمل عشرون في الدرهم، حين قلت عشرون درهماً؛ لأن الدرهم ليس من إسم العشرين ولا هو هي، ومثل ذلك: هذا درهم وزناً، ومثل ذلك: هذا حسيب جداً، ومثل ذلك: هذا عربي حسبته حدّثنا بذلك أبو الخطاب، عمن نثق به من العرب، جعله بمنزلة الديني والوزن؛ كأنه قال: هو عربي إكتفاء))^(٥٩).

حين أخبر المتكلم عن الحال بالمصدر، وقد ذكر المبرد أنها م صادر مؤكدة لما قبلها في معرض قوله: ((هو عربي حسبته، وهو شريف جداً، فإنها مصادراً مؤكدة لما قبلها.. فإذا قلت: هو عربي حسبته، فمعناه إكتفاء))^(٦٠).

فدينياً و"جداً" ليست من الإسم المتقدم عليها في شيء ولا هو هو، وتكفل السرياني بشرح ذلك قائلاً: ((وما كان مصدرًا لم تقل هو هو، كقولك: ابن عمي ديناً، ديناً مصدر في الأصل، ولا تُخبر عنه ولا يكون خبراً وأصل ديناً دنواً لأنه من دنا يدنو؛ فقلبو الواو ياء.. منصوباً على الحال، والعامل فيه معنى ابن عمي، كأنه قال: يناسبني ديناً، وأما قوله بيت بيت، فمعناه جاري ملاصقةً جُعلاً إسمًا واحداً ووضعاً في موضع م صدر، وذلك الم صدر في موضع حال، و"هذا درهم وزناً" يكون وزناً م صدرًا بمعنى وزن وزناً، وحالاً بمعنى موزوناً، والذي ساق عليه الكلام أن يكون في موضع الحال، وكذلك: هذا حسيب جداً، وهذا عربي حسبته، وتقديره إكتفاء بمعنى كافياً))^(٦١).

وقد رأى الدكتور فاضل السامرائي أن وقوع الم صدر حالاً إنما يؤتى لغرضين: المبالغة والتوسّع في المعنى، إذ قال: ((فإن قلت: أقبل أخوك سعيًا، كان المعنى أنَّ أنَّ أخاك تحوّل الى سعي، ولم يبق فيه شيء من عنصر الذات، لم يبق فيه ما يُثقله من عنصر المادة، بل تحوّل الى حدثٍ مجرد وهذا مبالغة.. إذا عبّرت بالوصف فقد أردت معنى واحداً.. ولكن إذا عبّرت بالمصدر إتسع المعنى وكسبت أكثر من قصدٍ وغرض، فقد تكسب معنى المصدرية والحالية))^(٦٢).

كما إن سيبويه يستنتق المتكلم ذهنياً داخل الجملة، وذلك في موطن حذف المبتدأ لكون خبره جاء م صدرًا بدلاً من اللفظ بفعله^(٦٣) في قوله: ((وسمعنا من العرب الموثوق به، يُقال له كيف أصبحت؟

٥٨- أثر سياق الكلام في العلاقات النحوية (بحث): ١٩-٢٠.

٥٩- الكتاب: ١١٨/٢.

٦٠- المقتضب: ٣٠٦/٤.

٦١- شرح السرياني: ٤٤٧/٢.

٦٢- معاني النحو: ٢٥٠/٢.

٦٣- ينظر: شرح التسهيل: ٢٨٧/١.

فيقول: حمدُ الله وثناءُ عليه، كأنَّهُ حمّله على مضميرٍ في نَيْتِهِ هو مُظْهَرٌ، كأنَّهُ يقول: أمري وشأني، حمدُ الله وثناءُ عليه، ولو نصب لكان الذي في نفسه الفعل ولم يُكُنْ مبتدأً ليبي عليه، ولا ليكون مبنياً على شيءٍ هو ما أظْهَرُ)) (٦٤).

إن مسألة الحذف مع بقاء النية أمرٌ يستحق التأمل حيث حذف المبتدأ و اكتفي بالخبر "حمدُ الله وثناءُ عليه" الذي جاء بدلاً من اللفظ بفعله، وسوغ ذلك بأن يكون المبتدأ كأنه مظهر في نَيْتِهِ، هي جملة واحدة لكن التقدير مختلف، فجملة "حمدُ الله وثناءُ عليه" جملة تامة شهدت تغيراً بحذف الركن الاسنادي الأول منها، "فحمدُ" خبرٌ لمبتدأ محذوف وجوباً تقديره: أمري وشأني حمدُ الله وثناء عليه.

إن التأمل في كتاب سيبويه يُجَلِّي بوضوح ((أَنَّ قضايا وطبيعة تناول فيه لا تنم عن أَنَّهُ كتابٌ قصد به مؤلفُهُ تعليمَ العربية من لا يَعْلَمُها، بل هو كتابٌ في "المعرفة اللغوية" بحسب اصطلاح تشومسكي، أي: تحليل معرفة المتكلم لغته أو هو بحثٌ في "النظام الذهني" اللغوي عند "الجماعة اللغوية" المتكلمة بالعربية، أي: أَنَّهُ بحثٌ في "اللغة" مقابل "الكلام" بحسب اصطلاح دي سوسير)) (٦٥) ففي ظل تفسير سيبويه لكلام العرب من أجل ((الكشف عن مراحل تكوين الجملة وامتدادها وما يطرأ عليها من تحوّل كالتقديم والتأخير والحذف ونحو ذلك)) (٦٦) وصف سيبويه المتكلمين (العرب) بالثقة في الاعتماد على كلامهم أمرٌ يكشف عن منزلة المتكلم عند سيبويه وأهميته في التقعيد النحوي بامتلاكه المعرفة الفطرية بالنحو.

إنَّ المتكلم قد يكون ممن سمع فيه سيبويه وأنشده فوصفه سيبويه بالفصاحة، نحو ما أورده في حديثه عن اسم الفعل: ((حَيْهَلُ التي للأمر فمن شئين، يذُلك على ذلك: حيَّ على الصلاة، وزعم أبو الخطاب: أَنَّهُ سمع من يقول: حيَّ هل الصلاة، والدليل على أَنهما جُعِلَا اسماً واحداً قول الشاعر:

وهيَّجَ الحَيَّ من دارٍ فظُلَّ لهم
يومٌ كثيرٌ تناديه وحيَّهْلَه

والقواي مرفوعة، وأنشدناه هكذا اعرابي من أفصح الناس)) (٦٧).

"فحيهل" اسم فعل أمر، بمعنى "أقبل" (٦٨) بلحاظ قوله: "حيهل التي للأمر" إلا أن الشاعر في "حيهله" اعرابه بالرفع وهو عند سيبويه ف صبح ((لأنه جعله وإن كان مركباً من شئين: اسماً لل صوت بمنزلة معد يكره في وقوعه اسماً للشخص وكأنه قال: كثير تناديه وحيَّه ومبادرته، لأن معنى قولهم: حي هل عجل وبإر)) (٦٩).

ومن صور المتكلم أن يكون مخبراً نحو ما أورده في حديثه عن الحال "قائلاً: ((وذلك قولك: أخذته بدرهم فصاعداً، وأخذته بدرهم فزائداً، حذفوا الفعل لكثرة استعمالهم إيَّاه، لأنهم آمنوا أن يكون على الباء، ولو قلت: أخذته بصاعداً كان قبيحاً، لأنه صفة ولا تكون في موضع الاسم، كأنه قال: أخذته بدرهم فزاد الثمن صاعداً.. ولا يجوز أن تقول: وصاعداً، لأنك لا تريد أن تُخبر أَنَّ الدرهم مع صاعداً ثمن لشيء

٦٤- الكتاب: ١/٣٢٠.

٦٥- نحو سيبويه ونحو المتأخرين: ٥-٦.

٦٦- تكوين الجملة وامتدادها عند سيبويه في ضوء منهجه التفسيري للنحو: ٣٨.

٦٧- الكتاب: ٣/٣٠٠.

٦٨- ينظر: النحو الوائي: ١/٤٤٠، ٢٤٠/١٦٠، وتداخل الاصول اللغوية وأثره في بناء المعجم: ١/٢١٨.

٦٩- الاصول في النحو: ١/١٤٥.

كقولك: بدرهم وزيادة، ولكنك أخبرت بأدنى الثمن فجعلته أولاً^(٧٠) حيث حُذِفَ الفعل لِيُبَيِّنَ المتكلم أن الشيء ازداد شيئاً فشيئاً^(٧١) والتقدير: ((فذهب الدرهم صاعداً))^(٧٢).

الخاتمة

أهم ماتوصل اليه البحث من نتائج:

٧. إنَّ النقل والسماع كلها دوال ذات مفهوم واحد عند سيبويه وهو القياس.
٨. إن العالم الذي استقى سيبويه منه علمه ونهل منه كلام العرب كان إما محدثاً أو منشداً أو زاعماً ضمن اطار الثقة.
٩. ويكون لعامل الممارسة دورا في نقل اللغة سواء كان الناقل متكلماً أو مخبراً أو محدثاً يتصف بالفصاحة، لما له من أهمية وبعد فكري؛ لأنه الأساس الذي يستند عليه سيبويه في تعقيده للغة والطريق الذي يلتجئ اليه سيبويه في تنفيذ استنباطاته وآرائه؛ لأن كلام هذا المتكلم يسير وفق القياس.
١٠. إن القبائل العربية التي سمع سيبويه منها مباشرة، ونقل عنها لم تكن على درجة واحدة من الفصاحة، إذ قيم جودة لغتها وفقاً لفصاحة شعرائها، انضوت عليها الكثير من احكامه وأقيسته وما رصده من أساليب عربية صحيحة.
١١. إن وصف سيبويه للأبيات الشعرية بالضعف لا يعني بذلك عدم التكلم بها، وإنما الضعيف عند سيبويه يمثل الجواز.
١٢. إن موقف سيبويه من الشعر شبيه لموقفه من النثر فهو تقويمي وصفي.

المصادر والمراجع

الكتب

١. القرآن الكريم.
٢. الاصول في النحو: لآبو بكر محمد بن سهيل السراج - (ت ٣١٦هـ) تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي - مؤسسة الرسالة - بيروت ط ٢ - ١٩٩٦.
٣. الاقتراح في علم اصول النحو: جلال الدين السيوطي - تحقيق: احمد محمد قاسم - ط ١ - القاهرة - ١٩٩٦ م.
٤. أمالي ابن الشجري: هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسيني العلوي - تحقيق: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي للنشر ط ١ - ١٩٩٢
٥. أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك: جمال الدين ابن هشام - (ت ٧٦١هـ) تحقيق يوسف الشيخ محمد البيقاعي - دار الفكر للطباعة (د-ت).

٧٠- الكتاب ١/ ٢٩٠.

٧١- ينظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح الفية ابن مالك: ٢/ ٧٢٥.

٧٢- شرح الكافية الشافية: ٢/ ٧٦٥.

٦. البحث اللغوي عند العرب مع دراسة قضية التأثير والتأثر: أحمد مختار عمر - جامعة القاهرة - عالم الكتب - ط٦ - ١٩٨٨ م.
٧. تداخل الاصول اللغوية وأثره في بناء المعجم: عبد الرزاق بن فراج الساعدي - الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة - ط١ - ٢٠٠٢ م.
٨. التعريفات - للجرجاني، تحقيق: محمد صديق المنشاوي - دار الفضيلة للنشر - القاهرة (د-ت).
٩. توضيح المقاصد والمسالك بشرح الفية ابن مالك، ابن ام قاسم المرادي، تحقيق عبد الرحمن علي سليمان - دار الفكر العربي للنشر - ط١ - ٢٠٠٨ م.
١٠. الخصائص: ابو الفتح عثمان ابن جني (ت ٣٩٢) - الهيئة المصرية العامة - ط٤ (د-ت).
١١. شرح أبيات سيبويه، جعفر احمد بن محمد النحاس (ت ٣٣١هـ) - تحقيق احمد الخطاب - مكتبة العربية - حلب (د-ط) ١٩٧٤ م.
١٢. شرح التسهيل لابن مالك: جمال الدين الجياني الاندلسي (ت ٦٧٢) - تحقيق عبد الرحمن السيد - دار هجر للطباعة - ط١ - ١٩٩٠ م.
١٣. شرح السيرافي: ابو سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ) - تحقيق احمد حسن هدي - دار الكتب العلمية للنشر - بيروت - ط١١ - ٢٠٠٨ م.
١٤. شرح شافية ابن الحاجب: محمد بن الحسن الرضي الاسترابادي (ت ٦٨٨هـ) - تحقيق محمد نور الدين حسن - دار الكتب العلمية للنشر - بيروت - ١٩٧٥ م.
١٥. شرح الشواهد الشعر في كتاب سيبويه: د. خالد عبد الكريم جمعة، دار الشرقية للنشر - ط٢ - ١٩٨٩ م.
١٦. شرح الكافية الشافية: محمد بن عبد الله الجياني (ت ٦٧٢هـ) - تحقيق عبد المنعم احمد هريدي - جامعة ام القرى - مركز البحث العلمي - السعودية - ط١ - (د-ت).
١٧. الكتاب: لعمر بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء - أبو بشر - الملقب بسيبويه (ت ١٨٠هـ) - تحقيق: عبد السلام هارون - مطبعة الخانجي للنشر والتوزيع - القاهرة - ط٣ - ١٩٨٨ م.
١٨. لسان العرب لابن منظور (ت ٧١١هـ) دار صادر للنشر والتوزيع - بيروت - ط٣ - ١٤١٤هـ.
١٩. لمع الأدلة: ابو بركات الانباري - تحقيق: سعيد الأفغاني - دار الفكر.
٢٠. معاني النحو: فاضل السامرائي - شركة العاتك لصناعة الكتاب - للطباعة والنشر - القاهرة - ط٣ - ٢٠٠٣ م.
٢١. معجم العين: الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ) - تحقيق محمد مهدي المخزومي - دار الهلال للنشر - (د-ت).
٢٢. المقتضب: للمبرد (ت ٢٨٥هـ) - تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة - عالم الكتب الحديثة للنشر - بيروت - (د-ت).
٢٣. نحو سيبويه ونحو المتأخرين: محمد سعيد صالح الغامدي - بحث القي في مؤتمر النحو الدولي السادس - القاهرة - ٢٠١٠ م.

٢٤. النحو الوافي: عباس حسن - دار المعارف- القاهرة- ط٤- ١٩٧٣م.
٢٥. الوظيفية في كتاب سيبويه: د. رجاء عجیل الحسناوي - جامعة كربلاء - كلية التربية للعلوم الانسانية - كربلاء المقدسة- العراق- ط١ - ٢٠١٥م.

الرسائل والاطاريح

١. أثر سياق الكلام في العلاقات النحوية عند سيبويه مع مقارنة بالتراث النحوي العربي والمناهج اللغوية: سارة عبد الله النحالي- رسالة ماجستير- الجامعة الامريكية- بيروت- ٢٠٠٦م.
٢. أسس الترجيح في كتب الخلاف النحوي: فاطمة محمد طاهر - اطروحة دكتوراة - جامعة ام القرى- ١٤٢٩هـ- ١٤٣٠هـ.
٣. شرح كتاب سيبويه للرمانى: أبو الحسن عيسى الرمانى(ت٣٨٤هـ)- اطروحة دكتوراه- سيف بن عبد الرحمن بن ناصر العريفي- كلية اللغة العربية- جامعة ام القرى- ١٩٩٥م.
٤. المسوغات النحوية بين القاعدة والاستعمال: نواف حسام عودة- اطروحة دكتوراة- جامعة مؤتة ٢٠١٠م.

الدوريات

١. الأسس المعرفية للتحليل النحوي عند سيبويه: د. سلمان عباس عبد،م. ياسمين ماجد جودة- جامعة بغداد- مجلة كلية العلوم الإسلامية- العدد ٤٧- ٢٠١٦م.
٢. تكوين الجملة وامتدادها عند سيبويه في ضوء منهجه التفسيري للنحو: د. حسن عبدالغني الأسدي- بغداد- مجلة ثقافتنا- العدد ٥- ٢٠٠٧م.
٣. الترسيخ النحوي بالسماع عند سيبويه: أ.د. رائد عبد الله حمد السامرائي- جامعة سامراء - كلية التربية- قسم اللغة العربية- مجلة سر من رأى- المجلد الثالث عشر- العدد ٥١- السنة الثانية عشرة- كانون الأول- ٢٠١٧م.

الخصخصة وتطبيقاتها في العراق

Privatization and its Implementation in Iraq

Hana Jawad Kadhim

هنا جواد كاظم^(١)

الملخص

يهدف البحث الى الوقوف على واقع القطاع الخاص في العراق واهمية اعادة تحديد دور الدولة (او اعادة موازنة ادوار كل من القطاع العام والقطاع الخاص) لكي يتسنى للدولة ان تركز على وظائفها الاساسية. اي انسحاب الدولة من اغلب الانشطة ذات الصبغة الاقتصادية والتجارية وجعلها للقطاع الخاص.

Abstract

The research aims at investigating the private sector in Iraq and the importance of reassigning the role of the state (or rebalancing the roles of both the public and private sectors) so that the state would be able to focus on its main tasks. This means the state's withdrawal from most commercial and economic activities infavor of the private sector.

المقدمة

إنَّ استقراء التاريخ الاقتصادي للعراق يظهر انه لم يكن سلسلة مترابطة الحلقات وانما تاريخه يتصل وينفصل بحسب الظروف السياسية التي يمر بها البلد بشكل يكون المشترك بينهما ضعيفاً، فقد تأرجح شكل الدولة بين الليبرالية مرة والمركزية مرة اخرى وما بينهما مدى واسع القى بضلاله على السلوك الاقتصادي لكل زمن يسود فيه.

١ - وزارة التجارة.

وبعد دخول القوات الامريكية الى العراق فقد دخل مرحلة جديدة من تاريخه المعاصر وهو في ازمة عامة شاملة تفوق في حدتها جميع ازمات المجتمعات في العصر الحديث سواء كانت نامية ام متقدمة تمثلت في ارتفاع معدلات الفقر والبطالة والتضخم وتردي الحالة الصحية وخدمات شبكات الصرف الصحي ومنظومات الطاقة الكهربائية والطرق والجسور وغيرها من الخدمات الاجتماعية وامام هذا الوضع المتردي بدأت حركة الاصلاح الاقصادي للوضع الراهن وبمساعدة دولية مادية واستشارية ما زالت مستمرة معتمدة على ارشادات وتوصيات المؤسسات الدولية ذات التوجهات الليبرالية والداعمة لعملية التحول الى اقتصاد السوق وآلياته.

فرضية البحث:

ان عملية التحول من الاقصاد المركزي الشمولي الذي يعتمد التخطيط المركزي الى حرية السوق واطلاق المجال للقطاع الخاص لأداء دوره في الحركة الاقتصادية دون استبعاد الدولة في ذلك انما يمثل الطريق المناسب وضمن اطار المناخ الدولي لتحويل الاقصاد المركزي باتجاه اكثر تقدماً في السلم الاقصادي والتنموي.

هدف البحث:

يهدف البحث الى الوقوف على واقع القطاع الخاص في العراق واهمية اعادة تحديد دور الدولة (او اعادة موازنة ادوار كل من القطاع العام والقطاع الخاص) لكي يتسنى للدولة ان تركز على وظائفها الاساسية. اي انسحاب الدولة من اغلب الانشطة ذات الصبغة الاقصادية والتجارية وجعلها للقطاع الخاص، ومن ثم تخفيف العبء عن اجهزة الادارة العامة الواقعة على عاتق الدولة بما يتيح لها اداء وظائفها التقليدية كالدفاع والامن والقضاء بكفاءة اكثر اضافة الى ما تتطلبه المصلحة العامة احياناً من ادائها لبعض الخدمات اللازمة لأفراد المجتمع مثل خدمات التعليم والصحة والتكامل الاجتماعي.

اهمية البحث:

تأتي اهمية البحث من ان هناك درجة تفاوت كبير ليس على مستوى مسرحة الفكر الاقصادي فحسب وانما على المستوى الداخلي لكل بلد من البلدان النامية وداخل كل شريحة منه وحتى داخل المدرسة الفكرية الواحدة لمثقفي هذه البلدان حول دور القطاع الخاص واعتماد الية السوق بديلاً للتخطيط واطلاق الحرية لحركة راس المال والاستثمار الاجنبي والتجارة وانتقال الايدي العاملة التي تعبر عن وعي متزايد رغم اضطرابه لطبيعة وموجبات الخروج من الوضع الساكن والمراحل المتأخرة من التطور الاقصادي والالتحاق بركب المجتمعات المتطورة.

مشكلة البحث:

إنَّ المشكلة الرئيسية في عملية التحول نحو اقتصاد السوق تبلور في تحديد المفهوم ومساحة ما يشمل ونوع وطريقة التحول وما هي الملكية؟ ولئن المشاريع المرشحة؟ ومن يقرر؟ وكيف تحول؟ ومدى حرية القرار السياسي في القبول بالتحول وموقف القوى الاخرى ومنظمات المجتمع المدني او المواطنين فضلاً عن القيود

القانونية حيث تستلزم عملية التحول الى تشريعات غير متعارضة مع الدستور ولا القوانين او ما تتمتع به المؤسسات العامة. وفي مواجهة تلك المشكلة ولكي تحقق عملية التحول اهدافها، يتطلب ذلك اطارا قانونيا شاملا، وواضحا ومنسجما في نصوصه وروحه مع متطلبات السوق.

وانطلاقاً مما تقدم فان هذا البحث سوف يتناول هذه المشكلة عبر طرح عدد من الاسئلة منها:-

- ما هو مفهوم الخصخصة؟ وما هي اساليبها؟
- ما هي اهداف الخصخصة؟
- سمات الاقتصاد العراقي.
- ما هي السياسات والاساليب الملائمة للتحول نحو اقتصاد السوق؟

مفهوم الخصخصة واساليبها

تعني الخصخصة في التعبير الاقتصادي نقل الملكية العامة او اسناد ادارتها الى القطاع الخاص. تأخذ الخصخصة اسلوبين الاول: هو بيع اصول مملوكة للدولة الى القطاع الخاص، والثاني: هو ان تتوقف الدولة عن تقديم خدمات كانت تضطلع بها في السابق مباشرة وتعتمد على القطاع الخاص في تقديم تلك الخدمات.

وفي ضوء هذا تعددت اساليب الخصخصة والتي تناولتها الادبيات والبحوث ويمكن تقسيم تلك الاساليب على مجموعتين تضم كل مجموعة عدد من الاساليب وفق اسس معينة وعلى النحو الآتي:

المجموعة الاولى: تشمل تلك الاساليب التي تنطوي على بيع جزئي او كلي لحصة الحكومة في ملكية الشركة وهذه تتطلب الطرح العام والطرح الخاص جزئيا او كلياً للاسهم وبيع موجودات الشركة وتمليك الادارة والعاملين حصة في راس مال الشركة.

الطرح العام للاكتتاب: يقصد به قيام الحكومة بطرح كل او جزء من اسهم الشركة للبيع للجمهور من خلال سوق الاوراق المالية ويعد هذا الاسلوب من الاساليب المفضلة لما يؤدي من توسيع نطاق الملكية وقاعدة المنافسة.

الطرح الخاص للاكتتاب: ويقصد به بيع اسهم الشركة او جزء منها لمستثمر واحد او مجموعة مختارة من المستثمرين وقد يفضل الكثير من المستثمرين الطرح الخاص على الطرح العام لعدة اسباب منها:

- عدم وجود التزام بنشر المعلومات التي تفرض على الشركات التي تطرح اسهمها للتداول العام وهو ما يضيف سرية على نشاطات الشركة الى جانب تكاليف نشر تلك المعلومات.
- ان الطرح الخاص يتميز بقلّة عدد المساهمين مما ييسر على الادارة اتخاذ قرارات كان يصعب اتخاذها لو ان الاسهم تطرح للتداول العام.

المجموعة الثانية: وتشمل تلك الاساليب التي لا تنطوي على بيع تلك الحصة. وتتضمن الخصخصة وفق هذه المجموعة ما يأتي:-

١. تقسيم الشركة الى وحدات مستقلة: ويعد هذا الاسلوب عملية اعادة هيكلة الشركة من خلال تقسيمها الى وحدات مستقلة تمهيداً لخصخصتها.

٢. جذب استثمارات خاصة اضافية: يتمثل في جلب استثمارات اضافية من القطاع الخاص اما لإعادة تأهيل الشركة او لتمويل استثمارات جديدة وفي ظل هذا الاسلوب لا تتخلى الحكومة عن ملكيتها الاصلية اذ لا تنطوي العملية على بيع موجودات او بيع حصة الحكومة في راس المال.
٣. الاجارة وعقود الادارة: للإجارة وعقود الادارة سمات مشتركة تبرز تناوّلها معا في قسم واحد فكلما الاسلوبين يزودان الشركة بدّل الخصخصة بالكفاءات والمهارات الادارية والتكنولوجية خلال مدة العقد وذلك مقابل تعويض مادي. وكما هو واضح فان هذا الاسلوب من اساليب الخصخصة لا ينطوي على بيع موجودات الشركة او حصة الحكومة في راس المال، لذا يمكن القول ان هذا الاسلوب مميز اذ انه ينصرف الى خصخصة الادارة وعمليات الشركة دون ان يمتد الى خصخصة الملكية، ومن المزايا التي توفرها الاجارة توفير نفقات التشغيل دون التخلي عن ملكية المشروع فضلا عن الحصول على دخل سنوي وجذب مهارات فنية وادارية متطورة.

من جهة اخرى نجد ان البعض يقسم اساليب وصور عملية الخصخصة بالاعتماد على اساس الملكية او الادارة وفي هذا تقسم ايضا الى مجموعتين هما خصخصة الملكية او خصخصة الادارة ويمكن توضيح كل نوع كما يلي:-

 ١. خصخصة الملكية: وتعني تحويل ملكية المشروع كلياً او جزئياً الى ملكية خاصة ويمكن ان يتم ذلك من خلال البورصة او المزايدة او الى العاملين فيه كما يمكن ان يتم من خلال بيع المشروع او جزء منه كأصول وبالطبع فان بعض هذه الصور لا تصلح لخصخصة ملكية المشروعات كلها وانما قد يصلح هذا الاسلوب لمشروع ولا يصلح لمشروع اخر واختيار الاسلوب المناسب ويقلل من التحديات الكبيرة امام نجاح الخصخصة.
 ٢. خصخصة الادارة: وتعني عدم حدوث اي تغيير في نمط ملكية المشروع فيظل المشروع مملوكا ملكية عامة لكن الذي يحدث تغيير اسلوب ونمط ادارته. وهناك صور عديدة لخصخصة الادارة منها عقود الادارة ومقتضاها تحتفظ الدولة بالملكية وتوكل ادارة المشروع الى القطاع الخاص على ان توفر له كل الاموال اللازمة. وذلك لقاء عائد محدد. واكثر ما يكون ذلك في المشروعات الخدمية ومنها عقود التأجير، حيث تبقى ملكية المشروع للدولة ويؤجر للقطاع الخاص والفرق بين هذه الصورة وسابقتها انه في حال التأجير يدفع المستأجر الايجار بغض النظر عن نتيجة المشروع ويستخدم ذلك بكثرة في المشروعات الطبيعية الخاصة ومنها عقود الانشاء والتشغيل والتحويل والمعروفة باسم (Bot)، ويعد هذا الاسلوب من اكثر الاساليب شيوعا في عمليات الخصخصة لما يتميز به من البساطة وجذب الاستثمارات الخارجية وكثيرا ما يستخدم في مشروعات البنية الاساسية مثل شبكات الطرق ومحطات الكهرباء والمياه والمطارات والموانئ... الخ. وبموجبها يقوم المستثمر ببناء المشروع وتشغيله لمدة محددة يعود بعدها الى الحكومة وبرغم ما لهذا الاسلوب من ميزات فان له الكثير من المثالب التي يمكن التقليل منها اذا ما كانت هناك حكومة قوية رشيدة وكانت بنود الاتفاق واضحة محددة مراعية ما يحقق اكبر قدر ممكن من المصلحة العامة ومنها عقود الامتياز حيث تمنح الحكومة احدى الشركات

امتيازاً خاصاً لإنتاج أو توريد جزء من خدمة معينة وبرغم قدم هذا الأسلوب فإن استخدامه الآن في البلاد النامية محدود لحساسيته الزائدة تجاه المخاطر الاقتصادية والسياسية. وبشكل آخر يمكن وصف سياسات الخصخصة وفق سياستين هما:

١. الخصخصة التلقائية:

تتلخص في تشجيع القطاع الخاص (أفراد وشركات) ودعمه بشكل يؤهله لزيادة ثقله في الاقتصاد الوطني على أن لا تؤثر هذه العملية في أوضاع النشاطات التي يضطلع بها القطاع العام ويعتمد هذا الأسلوب أساساً على تنفيذ الدولة لوسائل تحفيزية تشجع القطاع الخاص مع تهيئة القاعدة الاقتصادية الملائمة لنمو هذا القطاع ذلك لتهيئة الوسائل الملائمة للاستثمار والإنتاج في مؤسساته المختلفة.

٢. الخصخصة الهيكلية:

تتلخص في تقليص دور القطاع العام ووزنه الكبير نسبياً من خلال بيع بعض مؤسساته الانتاجية والخدمية أو تحويل إدارتها إلى القطاع الخاص وبالتالي يندرج هذا الأسلوب بشكل واضح وشامل في سياسات الإصلاح الاقتصادي التي يوصي بها البنك الدولي وعادة ما يتطلب تنفيذ هذا الأسلوب مدة طويلة من الزمن إذ أن هذا العمل يتطلب إجراءات هيكلية مختلفة تستند إلى تصفية الشركات العامة التي يثبت عدم جدوى إصلاحها لئتم بيعها إلى القطاع الخاص أو حتى فصل ملكيتها عن إدارتها تمهيداً لضمان إدارة تلك الشركات على أسس اقتصادية كفوءة دون أن تؤثر فيها الاعتبارات السياسية والاجتماعية ويعد ما قامت به حكومة العمال في بريطانيا من تحويل مؤسسات القطاع العام (سواء بالبيع أو الإجارة) إلى القطاع الخاص من أبرز التجارب العالمية في أسلوب الخصخصة الهيكلية.

اهداف الخصخصة

إنَّ أهداف الخصخصة تختلف من دولة إلى أخرى حسب الإطار الذي يفهم فيه أو يحدد له حدود ومجال تنشيط القطاع الخاص ضمن فعاليات الدولة أو الحكومة سواء في مجال الإنتاج أو الخدمات جزئي كان أو كلي، وقد حددت جميع هذه الأهداف فيما يأتي:-

١. تشجيع وتعزيز الكفاءة الاقتصادية عن طريق تعزيز الأسواق المنافسة.
٢. إعادة تحديد دور الدولة للسماح لها بالتركيز على التحكم والانضباط أو الإدارة.
٣. تخفيف الأعباء المالية المخضصة للمشروعات العامة وذلك في محاولة للوصول إلى ضوابط مالية واستقرار على المستوى الكلي للبرنامج الاقتصادي.
٤. تخفيف حدود الديون العامة.
٥. تحرير الموارد المالية المحددة في الدولة وذلك بتمويل قطاعات أخرى مثل التعليم.
٦. خلق أو نشوء استثمار جديد متضمناً الاستثمار الأجنبي الخاص.
٧. تعبئة المواد المحلية للتنمية.
٨. توسيع قاعدة الملكية.

وتتشابه أهداف الخصخصة بصورة أو بأخرى في الدول المختلفة لكنها في النهاية تندرج تحت الأهداف سالفة الذكر، وفي دراسة أخرى تنظر إلى أن أهداف الخصخصة أو سياسة التنشيط لم تنحسر

في هدف اقتصادي وحسب بل هو اعادة الادوار والمسؤوليات بشكل يعزز القدرة الانتاجية للاقتصاد وتحريك وتنشيط المؤسسات بشكل يصحح اكثر فاعلية. لهذا فان الفوائد او الاهداف تعتمد على الاسلوب الذي يتم اتباعه في اعادة الادوار وتوزيع الاهداف وفق المؤشرات الآتية:-

❖ الاهداف الاقتصادية:

إنَّ التحول الى القطاع الخاص ليس هدفاً في حد ذاته وانما هو وسيلة او اداة لتحقيق الاهداف الاخرى لعل في طليعتها تحفيز روح المنافسة وزيادة درجة الكفاءة الاقتصادية وتحسين مستويات الجودة وتخفيض التكاليف والاسعار وصولاً الى زيادة ورفع مستويات المعيشة والرفاه العام للمجتمع وجمهرة المستهلكين وتتمثل هذه الاهداف في ما يلي:

١. الارتفاع في اداء المشروع عن طريق رفع مستوى الكفاءة في استخدام الموارد البشرية والمادية وزيادة الانتاجية والاستجابة بدرجة اكبر للمستهلكين من حيث كمية الخدمات او نوعيتها.
٢. اعادة تحديد دور الدولة (او اعادة موازنة ادوار كل من القطاع العام والقطاع الخاص) لكي يتسنى للدولة ان تركز على وظائفها الاساسية.
٣. تصغير حجم الهيكل العام للدولة وذلك بانسحاب الدولة من اغلب الانشطة ذات الصبغة التجارية والاقتصادية وجعلها للقطاع الخاص، ومن ثم تخفيف العبء عن اجهزة الادارة العامة الواقعة على عاتق الدولة بما يتيح لها اداء وظائفها التقليدية كالدفاع والامن، والقضاء بكفاءة اكثر اضافة الى ما تتطلبه المصلحة العامة احياناً من ادائها لبعض الخدمات اللازمة لأفراد المجتمع مثل خدمات التعليم والصحة والتكامل الاجتماعي.
٤. خلق مناخ تنافسي بين القطاعات الاقتصادية وبين الوحدات الاقتصادية داخل كل قطاع سواء في المجالات الانتاجية او التسويقية او المالية او البشرية.
٥. الوصول الى قرارات استثمارية اكثر وافضل وتهيئة الظروف الموضوعية بما يزيد من حجم الاستثمارات وكذلك توسيع قاعدة الاستثمارات الفردية والجماعية بما يوفر رؤوس الاموال اللازمة لمتطلبات التوسع هذا يوفر للحكومة امكانية اعادة الاستثمار في أنشطة ومشاريع جديدة لا يستطيع القطاع الخاص القيام بها بمفرده.
٦. يمكن اعتبار عملية الخصخصة مقدمة للتوجه نحو اقتصاد السوق.
٧. الحد من احتكار القطاع العام وكذلك تفرغ الدولة للخدمات التي تعود على المستهلك وتحسين نوعية الخدمة وسرعة انجازها.
٨. تشجيع رؤوس الاموال الوطنية بالاستثمار وزيادة مساحة المنافسة بين المنتجين بما يخدم المستهلك وباقل كلفة وبأحسن جودة.
٩. ضمان زيادة الانتاج كمّاً ونوعاً وكذلك التواصل مع الاسواق العالمية.
١٠. ضمان نظام الرقابة بسبب فصل الجهة المنفذة عن المراقبة.
١١. تخفيف رقابة القطاع العام واجراءاته.

❖ الاهداف الاجتماعية:

على الرغم من التداخل الكبير بين الجوانب الاقـتـصـادية والمالية والاجتماعية للأهداف التحول الى القطاع الخاص فانه يمكن ابراز اهم الاهداف الاجتماعية هو:

١. اهداف الرفاه العام: يتوقع ان يؤدي التحول الى القطاع الخاص الى رفع مستوى الرفاه العام وذلك من خلال تحسين الكفاءة الاقـتـصـادية في توظيف الموارد والى تقليل الهدر في استخدامها وبالتالي زيادة الانتاج كمأ ونوعاً وتخفيض التكلفة والاسعار وصولاً الى زيادة معدلات النمو الاقـتـصـادي الدائم وزيادة الرفاه العام.
٢. الاهداف التوزيعية: وهي تتعلق بمهدف توزيع اكثر عدالة لمنافع النمو الاقـتـصـادي بين مختلف فئات السكان او تقليل مخاطر عدم المساواة عند تحويل ملكية الاصول العامة الى القطاع الخاص وهذا يتمثل بتوسيع وتعميق قاعدة ملكية الاسهم فيما بين العامة عموماً.

سمات الاقتصاد العراقي:

يتسم الاقتصاد العراقي بانه اقـتـصـاد له مصادر متعددة ولكن يشكل النفط القوة المحركة في نشاطه الا اننا المتابع لفترة السبعينيات من القرن الماضي يرى ان هناك فترة نمو وتطوراً لمختلف القطاعات الاقتصادية الا ان الوضع اخذ بالتدهور بعد حرب عام ١٩٨٠ مع ايران ثم حالة الحصار وما آلت اليه من انخفاض في مستوى القطاع الانتاجي والخدمي واعتماد البلد على الاستيراد، ويمكن القول ان هناك جملة خصائص اتصف بها الاقتصاد العراقي تتمثل بـ:

- ان معظم المشاريع المقامة موجهة لإشباع الطلب المحلي في اطار سياسة التعويض عن الاستيرادات ولم تدخل الاسواق الخارجية في حساباتها الا في حدود ضيقة ولا اعتبارات تتعلق بالتخلص من الفوائض السلعية وليست كسياسة تصديرية معتمدة وموجهة.
- اعتمدت الدولة في سياستها على توفير الدعم والحماية للمؤسسات الاقـتـصـادية لغرض مواجهة منافسة السلع المستوردة ومن شان تلك الحماية ومدتها ان لا تؤدي الى تحسين المنتجات الوطنية.
- ارتفاع حجم استيراد المستلزمات السلعية والمواد الاولية خاصة بعملية الانتاج حيث انخفاض نسبة المكون المحلي فيها مقارنة بالمستورد الاجنبي والذي يصل نحو ٦٠٪ في معظم فروع الصناعة والتي نشأت دون مراعاة المزايا النسبية التي يتمتع بها الاقـتـصـاد العراقي والقائمة على تصنيع المواد الخام المنتجة محلياً ويعود السبب في ذلك الى اقامة صناعات تعتمد على تجميع السلع الصناعية وتعتمد على مواد خام مصنعة ونصف مصنعة مستوردة والتي غالباً ما تنتج لأغراض الاستهلاك المباشر دون الاهتمام بتطوير صناعة انتاج المستلزمات الداخلة في انتاجها.
- لقد اسهم نقص الموارد للنصف الثاني من الثمانينات وزمن الحصار الاقتصادي وانخفاض سعر صرف الدينار العراقي في اعاقا برنامج التصنيع الثقيل للبتروكيمياويات والحديد والصناعة الهندسية عموماً وصناعة المحركات والسيارات والمكائن بوجه خاص ولما كان ذلك البرنامج حكومياً لم يتضح الدور الكامل للدولة في الصناعة.

- تدار المنشآت العامة ادارة حكومية كاملة في تشغيل الكوادر وانتقاء العناصر القيادية وقرارات الاستثمار والانتاج والتسعير والتسويق وهي في الغالب تتحامي بالدوائر السياسية وتنحو نحو العزلة وتخشي الانفتاح المعلوماتي.
- تعاني المؤسسات الاقّة صادية عموما من النوعية الواطئة للمنتجات وهنا لا فرق بين القطاع العام والخاص، بحيث لم يتمكن جهاز التقييس والسيطرة النوعية من اجبار المنشآت على تحسين نوعية المنتج خصوصاً في ظل انعدام المنافسة الخارجية.
- غالباً ما تمنح الدولة قطاعها العام اسعار صرف خاصة تختلف عما يعتمد عليه القطاع الخاص وهذا يفضي الى تضخم زائف للأرباح والوضع المالي وتشوهات نظام الانتاج الذي تنسحب عليه سياسات التسعير للمنتجات بعيداً عن العرض والطلب وينعكس كل ذلك بارتفاع التكلفة الاقتصادية وسوء تخصيص للموارد وتبديد للإمكانات بعيداً عن التنمية. اضافة الى ما تركه من خلق اسواق سوداء وتشوهات نظام الاسعار وموازنة ظاهرية منطوية على خلل وخاصة في حال انتاج سلع مماثلة لما ينتجه القطاع الخاص.

السياسات والاساليب الملائمة للتحويل نحو اقتصاد السوق:-

- يتجلى التزدي الكارثي للاقّة صاد العراقي في الدمار الذي لحق بالبنية الاقّة صادية وتوقف معظم الانشطة الاقّة صادية في القطاعات السلعية وفي احادية الاقّة صاد العراقي وتؤكد على ضرورة الشروع بإصلاحات اقتصادية تستند الى استراتيجية لتنمية تستهدف تغيير بنية الاقتصاد، وعلى ذلك يمكن القول بان مبررات الاصلاح الاقتصادي تكمن في العوامل الآتية:
١. انخفاض الاداء الاقتصادي: ادى تراجع مستوى النشاط الاقتصادي في القطاعات السلعية والخدمية وفي القطاعين العام والخاص الى انخفاض معدلات النمو الاقّة صادي وبرز الحال أكثر قائما اذا ما وضعنا النفط جانبا اذ سينزل النمو الاقّة صادي للقطاعات غير النفطية الى درجات سالبة تؤثر التراجع المفجع في مستوى الاداء الاقتصادي في العراق.
 ٢. الديون الخارجية: يعاني العراق من تراكم ديونه الخارجية والتي بلغت (١٢٠) مليار دولار مما اضطر العراق الى القبول بإصلاحات وبرامج تندرج في عداد الالتزامات الدولية المحددة والتي تعهد العراق بالإيفاء بها لصندوق النقد الدولي ونادي باريس.
 ٣. استفحال مشكلة البطالة: لنقترب من تقديرات البنك الدولي الت تصل الى نحو ٥٠٪ وهذا يؤثر الارتفاع الكبير في معدلات البطالة عند مقارنتها بمؤشرات عقدي الثمانينات والتسعينات بحوال ٣,٦٪ و ١٣٪.
 ٤. تفاقم الفقر في العراق: ساهمت السياسات الاقتصادية السابقة والحروب والحصار والانفاق العسكري المتعاظم والانفاق التبذيري لمؤسسات الدولة وسوء توزيع الدخل القومي، الى فرز بنية اجتماعية مشوهة يزرع فيها اغلبية السكان تحت خط الفقر، وهناك سياسات واساليب نراها ملائمة للتحويل نحو اقتصاد السوق تتمثل بالمطالب الآتية:-

المطلب الاول: الخصخصة واسلوب ادارتها المناسب في العراق

لم يكن القطاع الخاص بعيداً عن ممارسة دوره في تنمية الاقتصاد العراقي وادارة نشاطه فقد مارس دوره الريادي في الصناعة والزراعة والتجارة. ويمكن رسم معالم طريق تسير عليه تجربة الخصخصة في العراق ان حصلت في المستقبل يراعي كل الظروف والاعتبارات للمجتمع العراقي وامكانياته الاقتصادية والبشرية والاجتماعية. لذا عند رسم المعالم يمكن الاخذ بما يأتي:-

١. القيام بدراسة شاملة لجميع المشاريع والبالغة (١٩٢) مشروع في قطاعات عامة وتقييم كفاءتها ومستوى ارباحها ونوعية الخدمة المقدمة من قبل، ومن ثم تصنيفها وفق معايير علمية دقيقة.
٢. تحديد او معرفة حجم مساس عمل تلك الشركة او المنشأة المراد خصخصتها بالمجتمع ومدى تأثير خدماتها عليه، وهل للقطاع الخاص المحلي القدرة على اداء تلك الخدمة بما يحقق تقديمها بدون تفكير يصير يؤثر على ابناء المجتمع ام ان الدولة قد تشترك مع القطاع الخاص فيها حتى تصل الخدمة بشكل جيد ومتطور.
٣. النظر بطريقة خاصة للمشاريع الاستراتيجية والتي تعد ثروة وطنية للمجتمع وفيها حق لجميع ابناءه، فلا بد من بقائها تحت اشراف الدولة وان تم الاشتراك فيها فليكن بنسب، والعمل على تدريبهم ورفع كفاءتهم بما يحقق لهم فرص عمل اخرى او فتح استثمارات جديدة لاستيعابهم والعمل على توفير شبكة حماية اجتماعية متوازنة ومدروسة تحمي تلك الفئات من الفقر وتوفر لهم ديمومة الحياة.

المطلب الثاني: الرقابة على الخصخصة

ولكي يحقق برنامج الخصخصة النجاح المطلوب لا بد ان ترافق مراحل الخصخصة رقابة ومتابعة للتأكد من حسن سير عملية تحويل المؤسسات الى القطاع الخاص تلافياً للصعوبات والاثار السلبية التي يمكن ان تنجم عن عملية التخصيص وما يمكن ان تحققه من مكاسب. ويقوم الجهاز الاعلى للرقابة والمحاسبة عادة بهذا الدور مستنداً في رقابته على القوانين والانظمة التي تمنحه حق الرقابة على الاموال العامة، ويمارس ذلك في اطار رقابته على المال العام وسلامة الاجراءات المتعلقة به سواء كانت رقابة مالية او محاسبية او قانونية او رقابة اداء.

ويتمثل دور اجهزة الرقابة في برنامج التخصيص في الرقابة قبل البدء بالتحويل واثناء التنفيذ وبعد عملية التحويل وذلك كما يلي:

١. قبل البدء بعملية التخصيص:

- أ- تقويم الاهداف: بحيث يتم تقويم اهداف التخصيص من تحسين الكفاءة والفعالية وتخفيف الاعباء عن الموازنة العامة والاستخدام الامثل للموارد وغيرها من حيث واقعيته وعدم تعارضها مع بعضها البعض.
- ب- تقويم السياسات: وتتمثل في تقويم السياسات الاقتصادية المختلفة والاجراءات التي تعمل على تفعيل القطاع الخاص لزيادة نشاطه الاقتصادي بما في ذلك السياسات النقدية والمالية.

ت- تقدير الاثار الاقتصادية والاجتماعية المتوقعة: وتتمثل في تقويم هذه الاثار سواء كانت ايجابية كزيادة النمو الاقتصادي نتيجة تحسن الاداء وزيادة الفعالية او سلبية كزيادة معدلات البطالة والتضخم وسوء توزيع الخدمة. كما يجب التأكد من سلامة الاجراءات التي تم اتخاذها لمنع حدوث الاثار السلبية كضمان حقوق العاملين ويجاد فرص بديلة لهم وضمان عدالة توزيع الخدمة وكفاءة تقديمها من حيث السعر والجودة وتوسيع قاعدة الملكية والحيلولة دون سيطرة فئة قليلة على المشروعات المراد تخصيصها وذلك بوضع المعايير الرقابية والقانونية والتنظيمية اللازمة لذلك.

ث- متابعة الضوابط والشروط اللازمة لعملية التخصيص: بحيث يتم التأكد من توفر المعلومات والبيانات المالية والمحاسبية للشركات المراد تخصيصها والمتغيرات الاقتصادية التي لها علاقة بالتخصيص مثل الاسواق المالية والمناخ الاستثماري ومدى كفاءة لجان التخصيص.

٢. الرقابة على تنفيذ برنامج التخصيص:

ويكون دور الجهاز الرقابي خلال مرحلة التنفيذ كما يلي:

أ- مرحلة تصنيف واختيار الشركات المرشحة للتخصيص: ويتمثل دور المدقق في هذه المرحلة في تدقيق المعايير التي تم على اساسها تصنيف المشروعات واختيارها للتخصيص وتقييم اهداف الدولة من تخصيص هذه المشروعات. فاذا كان الهدف تقليل العبء عن الجهاز الاداري مثلاً، فانها تختار الشركات التي تتلاءم وتحقيق هذا الهدف.

ب- مرحلة اختيار اسلوب التخصيص: يدقق الجهاز في هذه المرحلة في الاسس التي تم الاستناد عليها في اختيار اسلوب التخصيص والتأكد مما اذا كان ذلك مناسباً لحالة وظروف المؤسسة المراد تخصيصها.

ت- تقويم الاصول والخصوم: وتتمثل في تدقيق اسس وتقييم اصول المشروعات التي سيتم بيعها والتأكد من حصر هذه الاصول والخصوم بشكل شامل ومدى مناسبة اسس التقويم ومطابقتها للقواعد المتعارف عليها وذلك من خلال المشاركة في لجان التقويم او من خلال الرقابة اللاحقة.

ث- مرحلة متابعة الاجراءات التنفيذية: يتابع الجهاز الرقابي اجراءات البيع الكلي والجزئي وابداء الراي في سلامة الاجراءات المتخذة ومراجعة عقود الادارة والتأجير بحيث لا تتضمن تلك العقود بنوداً مخالفة للقوانين او تضر بالصلحة العامة وكذلك التأكد من تنفيذ شروط التعاقد كافة من حيث العمالة والاستثمار الاضافي وغيرها.

وفي حالة تصفية المشروعات يتم التدقيق في الاجراءات ومطابقتها للقوانين وعدم استغلال القائمين على التخصيص لسلطاتهم واخيراً متابعة الاجراءات المقررة لمواجهة الاثار السلبية للتخصيص والتأكد من معالجة هذه الاثار مثل البطالة وارتفاع الاسعار ومتابعة الاجراءات الكفيلة بحماية المستهلك ومنع الاحتكار.

ج- تحليل التشريعات والاجراءات التكميلية: وتتضمن هذه المرحلة تحليل قوانين الاستثمار من حيث مرونتها ومدى قدرتها على جذب الاستثمارات واثار الانفتاح الاقتصادي على نمو الاستثمار الخاص.

ح- الرقابة على عائدات بيع الاستثمارات العامة: ويتم التدقيق في اجراءات تحصيل المستحقات المالية وتوريدها وفقا للقوانين والانظمة والتأكد من استخدام هذه الحصيلة في الجوانب المقررة وفقا لأهداف برنامج الخصخصة.

خ- الرقابة على تنفيذ برامج إعادة الهيكلة للمشروعات العامة: تهدف عملية إعادة الهيكلة الى تصويب اوضاع المشروعات لتحسين ادائها وزيادة فعاليتها وتتضمن بيع اصول غير اساسية وتسوية الالتزامات والاصلاحات الادارية والتنظيمية وإعادة النظر في الخطوط الانتاجية والمستوى التكنولوجي للمشروع والقيام بدراسة تسويقية لتصويب اوضاعه بالإضافة الى إعادة هيكلة القوى العاملة فيه. وهنا يتمثل دور الجهاز الرقابي في هذه المرحلة في التأكد من سلامة اجراءات إعادة الهيكلة وان الهدف من هذه العملية هو زيادة كفاءة هذا المشروع.

د- الرقابة على اجراءات الحد من الاثار السلبية لبرنامج الخصصص: يتم في هذه المرحلة تدقيق الاجراءات التي تتخذها الحكومة لمنع او تقليل الاثار السلبية عن طريق الضوابط واجراءات تنظيمية تضعها الدولة لضمان توزيع الخدمة وجودتها، كما يتم التأكد من مدى كفاية وسلامة التدابير المتخذة لمعالجة مشكلة البطالة وسوء توزيع الدخل بضمان توسيع الملكية وشفافية عملية التخصيص.

٣. مرحلة ما بعد التخصيص:

يتمثل دور الجهاز الرقابي في هذه المرحلة فيما يلي:

أ- الرقابة على تنفيذ عقود البيع المشروط ونقل الادارة او التأجير. قد تشترط الدولة في حالة البيع المشروط شروطا معينة كإبقاء جزء من العمالة او توزيع الخدمة بعدالة. وفي هذه الحالة لا ينتهي دور الدولة بعد تحصيل المشروع وانما يتطلب الامر ان يتابع الجهاز الرقابي هذه الشروط وتنفيذ بنود العقود في حالة ادارة المشروع من قبل القطاع الخاص.

ب- الرقابة على الاجراءات التنظيمية: تضع الحكومة عند تحصيل مشاريع الخدمات بعض الاجراءات التنظيمية لضمان توفير الخدمات للمواطنين بالجودة والسعر المناسبين وبما يكفل الحد من احتكار تلك المشاريع. وان الاجراءات المتبعة للرقابة على الاحتكار تقلل من الاحتكار وتعمل على تحقيق المنافسة.

بالإضافة الى ما تقدم يمكن اضافة مطلبين اضافيين ليس باقل اهمية عما تقدم وهما:-

تعزيز دور القطاع الخاص

في غمار الجدل المحتدم حالياً حول دور القطاع الخاص في الاقّة صاّد العراقي برز خلط كبير بين دور القطاع الخاص من جهة ودور آلية السوق من جهة اخرى، اذ ان الخلط بينهما يقود الى عدم الشفافية وبثرة الاوراق وخططها فقد يؤدي القطاع العام دوراً قيادياً في الاقّة صاّد مع الاعتماد بدرجة كبيرة على آليات السوق لتحديد تفضيلات المستهلكين وهيكل الاسعار النسبية، على العكس من ذلك فقد يمارس القطاع الخاص دوراً مهيمناً في الحياة الاقّة صاّد وفي ذات الوقت يكون هناك دور هامشي لآلية السوق

حيث يجري تخصيص الموارد وعقد الصفقات بين الشركات الكبيرة دون اعتبار لتفضيلات المستهلكين أو لهيكل النفقات النسبية فضلاً عن ذلك فإن اعتبارات الكفاءة الربحية لا علاقة لها بشكل الملكية سواء أكان عاماً أم خاصاً لذلك لا يجوز النظر إلى العلاقة بين القطاعين العام والخاص على أنها محكومة بقانون الإزاحة أي بالتنافر بين الطرفين.

ولغرض تفعيل القطاع الخاص العراقي ينبغي العمل على تحقيق ما يلي:-

١. أن تدخل الدولة القواعد والبنية المؤسسية ومؤسسات السوق المنظمة لعمل القطاع الخاص فضلاً عن تشريع قوانين لمكافحة الاحتكار وحماية المستهلك وضمان حقوق العاملين.
٢. اعتماد سياسة اقتصادية محفزة للقطاع الخاص في مجال إعادة إعمار العراق لاسيما وأن القطاع الخاص يمتلك قدرات جيدة في مجال البناء والتشييد والمقاولات.
٣. من الممكن أن يطور القطاع الخاص العراقي صناعات غذائية متطورة قابلة للنفاذ إلى الأسواق الخارجية فضلاً عن تلبية احتياجات السوق المحلية.
٤. تنشيط السياحة الدينية والآثرية لما تدره من موارد مالية وفرص عمل وفيرة تسهم في حل مشكلات البطالة وتحسين مستويات المعيشة وهذا النشاط ملائم تماماً لعمل القطاع الخاص.

الاستثمار الاجنبي

في ضوء الظروف الراهنة التي يعاني منها العراق أصبح عليه أن يتعامل مع الاستثمارات الأجنبية بوصفها واقعاً لا بد من التفاعل معه كمصدر مهم جداً للتمويل الضروري لتنفيذ خطط الانتاج والتطوير هذا إلى جانب أن الاستثمارات الأجنبية تعد مصدراً لنقل التكنولوجيا والخبرة والانفتاح على السوق الدولية وإمكانية النفاذ إليها.

وبما أن رأس المال الأجنبي غير متاح بشكل مطلق بل هنالك منافسة شديدة عليه من قبل دول عديدة في العالم ومنها الدول المجاورة للعراق لذا يتطلب توفير شرطين أساسيين لجذب الاستثمار الأجنبي هما:

١. توفير مناخ استثماري مناسب ويشمل البنى التحتية اللازمة والاستقرار الأمني.
٢. توفير الفرصة الاستثمارية المربحة للمستثمر والتحقق من الحصول على العوائد المرجوة. ولتحقيق ذلك يتطلب الآتي:
١. تحقيق حالة الاستقرار السياسي والأمني.
٢. وضوح البرنامج الاقتصادي للحكومة.
٣. استقرار اقتصادي مع تصحيح الاختلالات الهيكلية التي يعاني منها الاقتصاد العراقي.
٤. وضوح السياسة النقدية واستقرارها والديون الخارجية.
٥. وضوح السياسة المالية مع إصلاح النظام الضريبي.
٦. ضرورة قيام الدولة بتوظيف إمكاناتها المالية والفنية والسياسية والإدارية والتكنولوجية والعلمية من أجل إعادة الخدمات وتحسينها مثل الكهرباء، الماء، المواصلات، الطرق والاتصالات.

٧. اعتماد الضرائب كأداة من أدوات السياسة المالية لتوجيه وتشجيع الاستثمارات الوطنية والعربية والاجنبية في فروع الاقتصاد العراقي وفقاً للضرورات الاقتصادية الوطنية.
٨. ضرورة اصلاح الجهاز الاداري للدولة والذي يعاني من فساد وبالشكل الذي يضمن تشريعات جديدة من شأنها القضاء على الروتين وتسهيل عملية الاستثمار سواء للقطاع العام او الخاص.
٩. توضيح الاجراءات القانونية لعمل القطاع الخاص وبما يعزز دوره في النشاط الاقتصادي.
١٠. عدم النظر الى الاستثمارات الاجنبية على اساس انها سوف تسهم في تصحيح الاختلالات الهيكلية والمشاكل التي يعاني منها الاقتصاد العراقي وبالتالي تقليص دور الدولة وفقاً لوصفات صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، بل ان الاستثمار الاجنبي مكمل لدور الدولة في السوق وليس بديلاً عنه.

الخاتمة:

اولاً: الاستنتاجات

- توصل البحث إلى مجموعة من الاستنتاجات يمكن تلخيصها بما يأتي:
١. التهميش الذي اصاب الاقتصاد العراقي ومؤسساته ادى الى فقدان ادوات ووسائل التنفيذ.
 ٢. التشرذم وضياح الموارد الرئيسية لذا فقد اصبحتنا بوضع نبحت عن اعانات او منح.
 ٣. تزايد عوامل الطرد لرؤوس الاموال وضعف عوامل الجذب الاستثماري مما يضعف حركة توظيف الموارد لتحقيق التنمية والارتقاء بالقطاعات المختلفة.
 ٤. انكشاف السوق العراقي وتحطم البنى الارتكازية وتراجع الصناعات المحلية والنتائج القومي.
 ٥. هجرة القوى العاملة والكفاءات العلمية ذات الخبرة الاقتصادية والمهارة العالية في فهم طبيعة وسلوك افراد المجتمع والتحليل الاقتصادي للبيئة العراقية.
 ٦. تمزق منظومة القيم والاخلاق وانتشار ظاهرة الفساد الاداري والمالي وانتشار ظاهرة غسيل الاموال.
 ٧. تنازع القوى وعدم وجود اطر وطنية موحدة الامر الذي جعل الموارد تنشتت في برامج استهلاكية غير مجدية.
 ٨. ان عملية الخصخصة تدعم الموازنة من خلال الحصول على الايرادات الضريبية المتأتية من اخضاع دخل الوحدات التي تم تحويلها الى القطاع الخاص الى ضريبة الدخل ورسوم الانتاج والرسوم الكمركية وكذلك التخلص من كل اشكال الدعم والاعانات التي كانت تقدمها الدولة الى وحدات القطاع العام.
 ٩. الخصخصة عملية تغيير اقتصادي تتضمن اعطاء القطاع الخاص دوراً أكبر في عملية التنمية لغرض تحسين الكفاءة الاقتصادية للاقتصاد الوطني وتخفيض الاعباء المالية والادارية عن كاهل الدولة وزيادة المنافسة وجذب الاستثمارات.

ثانياً: التوصيات

ان عراق اليوم يواجه جملة من التحديات منها ضرورة النهوض بالاقتصاد الوطني وان عملية النهوض تأتي من خلال تحويل بعض وحدات القطاع العام التابعة للدولة ونقل ملكيتها الى القطاع الخاص وهذا ما يطلق عليه بمصطلح الخصخصة ليحقق جملة من المكاسب يستهدف منها:-

١. تقويم وتصنيف المشروعات العامة المراد تخصيصها واختيار الاسلوب المناسب لذلك بما يحقق الهدف من الخصخصة والقيام بإجراءات عملية البيع بالكيفية التي تم التخطيط لها ومن ثم تسويق المشروع، ولا بد من دراسة كل مؤسسة على حدة واتباع الخطوات العملية المدروسة للتخصيص واثره على اداء المؤسسة وخزينة الدولة.
٢. رفع كفاية الوحدات التي يتم تحويلها من خلال تخفيض تكاليف الانتاج وزيادة الكفاية الانتاجية وزيادة التطور الانتاجي والتحسين المستمر للعمليات من خلال البحث والتطوير.
٣. استخدام العمالة الكفوءة وتعيين الادارات المتخصصة وذات الكفاءة المهنية العالية.
٤. زيادة الرقابة على ادارات هذه الوحدات وتقليل مظاهر الفساد الاداري، فالرقابة يمارسها المالكون وليس الموظفون وهو ما يعني زيادة الضبط والسيطرة على موارد الوحدة.
٥. ضرورة اعداد كواد رقابية مؤهلة للقيام بدورها في الرقابة على خصخصة المشروعات العاملة على اكمل وجه من خلال التدريب العلمي والعمل على برنامج الخصخصة.
٦. تقليل تأثير القرارات السياسية على وظائف الوحدة وادارتها بشرط عدم تجاهل الدور الاجتماعي.
٧. زيادة كفاءة الاقتصاد القومي وتوسيع المنافسة من خلال الغاء احتكار القطاع العام لإنتاج بعض السلع والخدمات وتحرير السوق.
٨. زيادة استثمار الافراد لأموالهم مما ينعش الدورة الاقتصادية وبالضرورة يؤدي الى زيادة الدخل القومي ودخل الفرد.

مصادر البحث

١. اساليب وطرق خصخصة المشروعات العامة- الخبرات العامة/ المنظمة العربية للتنمية الادارية/ ١٩٩٥.
٢. تقييم سياسات التخصيص في البلدان العربية، صندوق النقد العربي، ٢٠٠١.
٣. الخصخصة دراسة لتجارب عالمية وافاق تطبيقها في العراق/ د.حسن نوري الياسري/ ندوات المكتب الاستشاري لكلية الادارة والاقتصاد/ جامعة بغداد ٢٠٠٥.
٤. الخصخصة واثرها في التنمية في البلدان النامية/ د. عبدة محمد فاضل/ ٢٠٠٤.
٥. الخصخصة وعلاقتها بالاستثمار الاجنبي المباشر في الاقتصاد العراقي/ جامعة بغداد ٢٠٠٥.

الحساب الذهني و حل المشكلات الحسابية لخريجي المرحلة الابتدائية -

لالأعمار ما بين ١٢ الى ١٤ عام-

Mental Arithmetic and Solving Mathematical Problems

For primary school graduates: Ages 12 to 14 years

Dr. Abbas Ali Abdul-Ridha

م.د. عباس علي عبدالرضا^(١)

الملخص

هدفَ البحث الى دراسة مستوى الحساب الذهني لدى تلاميذ ما بعد المرحلة الابتدائية، في احدى مناطق العاصمة بغداد -ح صرا في قضاء الكاظمية، للفئة العمرية المحصورة ما بين ١٢ - ١٤ عام و قبل دخولهم المرحلة المتوسطة او من لم يرغب بمواصلة دراسته للمرحلة القادمة، و ذلك من خلال إثارة تساؤلين:

السؤال الاول: ما مستوى اداء الحساب الذهني و حل المشكلات الحسابية لدى خريجي المرحلة الابتدائية؟

السؤال الثاني: هل توجد علاقة بين الحساب الذهني و حل المشكلة الحسابية لدى هؤلاء التلاميذ؟
كان البحث قد تضمن خريجي المرحلة الابتدائية، اي ممن ادى الامتحانات الوزارية للعام الدراسي ٢٠١٧/٢٠١٨، والبالغ عددهم في المديرية العامة للتربية الكرخ الثالثة/ مدينة الكاظمية -ح صرا، ٢٥٤٨ تلميذا موزعين على ٣٦ مدرسة ما بين بنين و بنات و مختلطة، من كانت نتيجته اجتياز المرحلة الابتدائية الى المتوسطة، كعينة لمجتمع البحث. تم اختيار عينة عشوائية منهم بلغت ٢٨٥ تلميذا من البنين موزعين على سبعة مواقع تسلية للالعاب الكمبيوترية في منطقة الكاظمية، حيث وجد الباحث انهما المكان المناسب لاجراء الاختبار على عينة البحث المشار إليها، فضلا عن تشجيع من بعض اولياء الامور لاجراء مثل هكذا اختبارات لابنائهم، ولان الحساب الذهني هو مهارة يختبر بها التلميذ سواء داخل

١- كلية الطف الجامعة.

الحساب الذهني و حل المشكلات الحسابية لخريجي المرحلة الابتدائية - للأعمار ما بين ١٢ الى ١٤ عام -
المدرسة او خارجها. و قد تم التحقق من صدق و ثبات تلك الاختبارات. إلا و ان بعد انتهاء الاجراءات الاختبارية على العينة المقصودة تبين للباحث ان هناك ضعفاً جلياً في قابلية التلاميذ في الحساب الذهني و حل المشكلات الحسابية و ان هناك علاقة ارتباط بينهما. و استطاع الباحث ان يستنبط من خلال تلك المقابلات مع افراد العينة توصيات يضعها امام معلمي مادة الحساب حول طرائق تدريب التلاميذ و أساليبها على اساس استخدام و تنمية مهارة الحساب الذهني و تصميم برنامج لانشطة و تدريبات ككراسات إضافية لكتب الحساب لغرض تنشئة التلاميذ على بناء القابلية على حل المشكلات الرياضية شفاهياً من دون الحاجة الى الورقة والقلم. تعرف الباحث على المشاكلات التي يعاني منها تلاميذ هذه المرحلة في الحساب الذهني. وبعد تحليل البيانات توصل البحث الى:

(١) هناك ضعف لدى خريجي المرحلة الابتدائية، لهذه العينة، على قدرتهم للوصول الى النتيجة الصحيحة من خلال ما تعلموه من النظام العشري للأعداد و خواص العدد.

(٢) تعاني العينة تلكاً من اعطاء وصف شفاهي للمسألة و بصورة غير بطيئة للنتيجة من دون اللجوء الى الورقة والقلم و اجراء العمليات الحسابية كتابة.

(٣) ليس لديهم المهارة في تجميع نتائج العمليات الحسابية التي تجري على الاعداد، وهذا يدل على ضعف في فهم وادراك تلك العمليات و الاحساس بها.

لذا يوصي الباحث وزارة التربية بالاهتمام بموضوع الحساب الذهني من خلال اعداد برامج تدريبية و منهجية لبناء و تطوير هذه المهارة ليس فقط لدى التلاميذ بل ايضا لمعلمي المادة لكي يتمكنوا من القيام بالمهمة وفق اساس علمية مدروسة و ليست ارتباطية لا تتفق مع المعايير العالمية للبناء المعرفي. فضلا عن قيام معلمي مادة الحساب من اعداد بعض الفعاليات و النشاطات الذهنية لتنمية القدرة لدى التلاميذ على كيفية التعامل مع الاعداد و العمليات الحسابية الاربعة الرئيسة.

Abstract

The aim of the study is to study the level of Mental Arithmetic of post-primary students in one of the areas of the capital Baghdad, exclusively in the district of Kadhimiya, for the age group confined between 12-14 years before entering the intermediate stage or who did not wish to continue studying for the next stage, During questioning:

Question 1: What is the level of performance of Mental Arithmetic and Solving Mathematical Problems among primary school graduates?

Question 2: Is there a relationship between the Mental Arithmetic and Solving the Mathematical Problems of these students?

The research included the graduates of the primary stage, ie, who led the Ministerial Examinations (Baccalaureate) for the academic year 2017/2018, and their number in the General Directorate of Education Karkh III / Kadhimiya exclusively, 2548 students distributed in 36 schools between boys, girls and mixed, From primary to intermediate, as a sample of the

research community. A random sample of 285 boys was selected from seven computer games sites in the Kadhimiya area. The researcher found that this is the appropriate place to conduct the test on the sample of the research mentioned above, as well as encouraging some parents to conduct such tests for their children. Mental is a skill experienced by the student both inside and outside the school. The validity and reliability of these tests has been verified. However, after the completion of the experimental procedures on the sample, the researcher shows that there is a clear weakness in the students' ability in Mental Arithmetic and solve the Mathematical Problems and that there is a relationship between them. The researcher was able to draw through these interviews with the members of the sample recommendations to the teachers of the account on the methods of training the students and methods on the basis of the use and development of Mental Arithmetic skill and design of a program of activities and exercises as additional booklets for the purpose of raising students to build the ability to solve Mathematical Problems verbally without the need for paper and pen. The researcher is familiar with the problems experienced by students of this stage in Mental Arithmetic. After analyzing the data, the research reached:

1. There is a weakness among the graduates of the primary stage, for this sample, on their ability to reach the correct result through what they learned from the decimal system of numbers and number properties.
2. The sample suffers from giving an oral description of the issue and not slowly to the result without resorting to paper and pencil and conducting calculations in writing.
3. They have no skill in compiling the results of calculations performed on the preparation, and this indicates a weakness in the understanding and perception of those processes and sense of them.

Therefore, the researcher recommends that the Ministry of Education to take care of the Mental Arithmetic through the preparation of training programs and methodology to build and develop this skill not only for students, but also for teachers of the material so that they can do the task based on scientific foundations studied and not improvisational inconsistent with the global standards of knowledge building, as well as the teachers of the Mathematics material from the preparation of some activities and Mental activities to develop the ability of students on how to deal with the preparation and the four main calculations.

مشكلة البحث:

يشكل تعليم الحساب اهتماما من قبل المؤسسات التعليمية العالمية، و يشهد تطورا مستمرا، لان الحساب يحتل دورا مهما و رئيساً في الحياة اليومية لأي مجتمع انساني. و مادة الحساب تشكل المبادئ الاساسية الاولى لعلم الرياضيات. ان المجتمعات التربوية و المهتمة بتطوير تدريس الرياضيات جعلوا العمليات الحسابية في المنهج الدراسي ليتضمن الحساب الذهني و تنمية قابلية حل المشكلات الحسابية و لتكون من العناصر المهمة و ثابتة في المنهج الدراسي. ومن الملاحظ على التلاميذ في هذه الايام انهم يتجهون مباشرة لحل اية مشكلة حسابية مهما كانت درجة تعقيدها الى استعمال الحاسبة الإلكترونية، او اللجوء الى الورقة والقلم، فمن كل ذلك حصلنا على جيل يعاني ضعفا في استعمال الساحة الذهنية لحل المشكلات الحسابية في المواقف اليومية. و من اسباب هذا الضعف هو الافراط بالاعتماد على الوسائل التكنولوجية. فظهرت بعض الدراسات ان الاستخدام المفرط للحواسيب الكمبيوترية ممكن ان تورث التكاسل في عملية التفكير الذهني، و قد يفقد التلميذ بعض السلوكيات مثل حسن الخط و الحساب الذهني السريع^(٢) لمس الباحث من خلال التحادث مع هؤلاء التلاميذ هناك تدني لمستوى هذه المهارة و ذلك لانهم، وبتشجيع من المعلمين، الاعتماد على الطريقة التقليدية و التطبيق الآلي للعمليات الحسابية و أحادية الحل، و يبدو انهم لم يلاقوا تشجيعا من قبل المعلمين على ابتكار حلول اخرى تؤدي الى النتائج نفسها. ان التشجيع على استعمال الحاسبات في المرحلة الابتدائية في الواقع، يتعارض مع تحقيق اهداف تعليم الرياضيات في مرحلة البناء، لان ذلك سيؤدي الى تجميد مهارة استعمال الحاسبات الذهنية في العمليات الحسابية الرئيسية وعدم تحقيق هدف ربط اهداف التربية مع اهداف الحياة، ان التشجيع على استعمال الساحة الذهنية لدى الطفل تتيح له امتلاك القدرة على المشاكل اليومية التي تواجهه في حياته. و مما ايدته ذلك الاحساس لدى الباحث هو ما اشتكى منه بعض اولياء امور تلاميذ عينة البحث من خلال مقابلات اجريت معهم من ان آباءهم لم يتمكنوا من اجراء العمليات الحسابية الاربع حتى و لو كانت بسيطة و انهم غير قادرين على التأكد من صحة النتائج لأنهم تعلموا العمليات الحسابية بطريقة صماء و بغير فهم. لذا برزت مشكلة البحث من خلال التساؤل الآتي: هل هناك علاقة، وفق الضعف التي تعاني هذه المجموعة من خريجي المرحلة الابتدائية، بين الحساب الذهني و حل المشكلة الحسابية لديهم؟

أهمية البحث:

تبقى مهارة الحساب الذهني، رغم من انتشار الحاسبات العلمية المتطورة في الحياة، أمراً ضروريا ينبغي تنميته و تطويره و لا يمكن لنا الاستغناء عنها، لما لبناء هذه المهارة لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية في تكوينهم و بناء الصحيح للتفكير الرياضي و حل المشكلات الحسابية ببساطة و دقة. ان الاهتمام بتنمية مهارة الحساب الذهني تؤدي تقوية حاسة الانتباه و التفكير. ان من اهم المشاكل التي يعانيها تلاميذ المرحلة الابتدائية، كما هو جلي و واضح، هو تنامي العجز للتلاميذ امام المسائل التي تحتاج الى تفكير،

لذا فان الاهتمام العالي في بناء هذه المهارة عند المراحل من تكوين التلميذ في المراحل الابتدائية لا يجب إهمالها و الاغفال عنها. الى ذلك حدد المجلس الوطني لمعلمي مادة الرياضيات في الولايات الامريكية المعيار رقم (٧) لمهارة الحساب الذهني خصوصا في الكتب المنهجية و دعا الى الاهتمام به، معتبرا اياه بانه مهارة اساسية في الصفوف الاولى للتعليم،^(٣) و تعد مهارة الحساب الذهني جزءا مهما من الادراك الرياضي في حياة التلاميذ حيث انه يزود التلاميذ بالمعلومات عن مدى فهمه وادراكه للمفاهيم الرياضية و العلاقات بينهما، حيث تلعب تلك المهارة دورا اساسيا في تعلم اخرى مع النمو العقلي للتلميذ.^(٤) لهذا جاء البحث للكشف للتعرف و الكشف عن مستوى هذه المهارة لدى خريجي المرحلة الابتدائية، سيما و ان التوجهات التربوية العالمية تتجه نحو العمل الجاد على تنمية الحساب الذهني و حل المشكلات الحسابية لدى المتعلم في مراحله الاولى، وهذا لن يكون إلا من خلال تطوير طرائق التدريس المساعدة على ذلك، فاهمية هذه الدراسة تنبثق من اهمية الحساب الذهني المؤدي الى التفكير السليم في حل المشكلات الحسابية.

هدف البحث الى:

١. الكشف عن مستوى مهارة الحساب الذهني و قابليتهم على حل المشكلات الحسابية وهل هناك من ضعف يواجه خريجي المرحلة الابتدائية خارج المدرسة.
٢. الكشف عن العلاقة بين مهارة الحساب الذهني و حل المشكلات الحسابية لديهم.

حدود البحث:

إقتصر البحث الحالي على:

١. خريجي المرحلة الابتدائية لتلاميذ تربية الكرخ الثالثة/ قضاء الكاظمية خارج المدرسة.
٢. العام الدراسي ٢٠١٧ / ٢٠١٨.

مصطلحات:

الحساب الذهني

عرفه المجلس الوطني لمعلمي مادة الرياضيات بانه: مهارة حياتية اساسية تساعد في تنمية الثقة لدى التلاميذ و تجعلهم يمتلكون المهارة لحل مسائل رياضية بدقة و بسرعة.^(٥)

^٣- National Council of Teacher of Mathematics (2000): Principles & Standers for School Mathematics, Reston, Va.: NCTM.

^٤- قاسم، نجاد (١٩٩٧): مدى اكتساب طلبة المرحلة الاساسية لمهارة الحساب الذهني في ضوء مناهج الرياضيات الحديثة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية ابن الهيثم، جامعة بغداد. ص٤٥.

^٥- National Council of Teacher of Mathematics (2000): Principles & Standers for School Mathematics, Reston, VA.: NCTM:21.

الحساب الذهني و حل المشكلات الحسابية لخرجي المرحلة الابتدائية - للأعمار ما بين ١٢ الى ١٤ عام - كما وعرفته جوديث سودر: بأنه القدرة على ايجاد ناتج العمليات الحسابية بدون استعمال الورقة و القلم، او اي مساعدة اخرى، وذلك عن طريق الاسترجاع السريع و اللحظي لخصائص الاعداد، والقدرة على ايجاد الاجابات باستعمال استراتيجيات يقوم بها التلميذ تلقائيا او يكتسبها بالتعلم.^(٦) بينما عرفه آخرون، بأنه: الاجابة الشفوية الدقيقة من قبل التلميذ لمسالة حسابية من دون استعمال ادوات القياس.^(٧)

أما التعريف الإجرائي الذي أعده الباحث هو:

الحساب الذهني على انه قابلية التلميذ على اعطاء نتائج العمليات الحسابية شفويا و امكانيته على تطبيق القواعد الذهنية بدقة للوصول الى الاجابة او الحل في اقصر وقت من دون اللجوء الى استعمال الورقة والقلم او الاستعانة باداة حسابية او معين خارجي.

المهارة:

عرفها اللقاني و آخرون: هي الاداء السهل والدقيق القائم على الفهم لما يتعلمه الفرد حركيا و عقليا مع توفير الوقت و التكاليف.^(٨) بينما عرفها ابو الخطب بانها، وصف الشخص بأنه على درجة من الكفاية و الجودة بالأداء.^(٩)

أما التعريف الاجرائي الذي أعده الباحث:

بانها ذلك النشاط العقلي الذي يوصل عليه التلميذ من جراء عملية التعلم الصحيحة تؤدي به الى سلوك طريقة سهلة ودقيقة و سريعة في آن واحد.

المشكلة الحسابية:

عرفها احمد نور بانها تمثل موقفاً او سؤالاً يمثل تحدياً للفرد و يتطلب حلاً.^(١٠) بينما عرفها الباحث هي الموقف الذي يواجهه التلميذ يحتوي على مجموعة من العلاقات الرياضية والتي يتطلب منه ايجاد حل، لا يراه جاهزا و لا يعرف طريقة الوصول إليه.

6- Sowder, J. (1988): Mental Computation and Number Comparison: Their Roles in the Development of Number Sense and Computational estimation. In J. Hiebert & M. Behr (Eds), Research Agenda For Mathematics Education: number concepts and Operation in Middle Grades (pp. 192-197). Reston, VA: NCTM.

٧- فاروق المقدادي، و علي الخطيب، مدى اكتشاف طلبة مرحلة التعليم الاساسي في الاردن لمهارة الحساب الذهني، مجلة جامعة دمشق، (٢٠٠٣)، المجلد ١٩، العدد ٢، دمشق، ص ٧٧-٧٨.

٨- احمد اللقاني، و علي الجمل، معجم المصطلحات التربوية في المناهج و طرق التدريس، المطبعة النموذجية للأفوسيت، عالم الكتب (١٩٩٦)، الطبعة الاولى، القاهرة.

٩- فؤاد ابو الخطب، و آمال صادق علم النفس التربوي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (١٩٨٤)، ص ٥١٨-٥١٩.

١٠- احمد نور و شاكر عبدالحميد و خليفة السويدي، تربية التفكير - مقدمة عربية في مهارة التفكير، الامارات العربية المتحدة - دبي (٢٠٠٥)، دار القلم للنشر والتوزيع، ص ١٧٣-١٧٤.

أما حل المشكلة الحسابية: فهي الطريقة التي يسلكها التلميذ باستخدامه المعلومات و المهارات التي تعلمها و اكتسبها سابقا لمواجهة موقف ما، و الذي يتحتم عليه إعادة تنظيم ما تعلمه سابقا ليطبقه على الموقف الذي يواجهه.^(١١)

في حين عرفها الباحث بأنها الطريقة التي يتبعها التلميذ عند تعرضه لمواقف متعددة تقابله يستخدم فيها معلومات كان قد تعلمها و مهارات اكتسبها في مدرسته او حياته اليومية.

الاطار النظري و دراسات سابقة:

الاطار النظري:

يطلق على الحساب الذهني سابقا بالحساب الهوائي او الحساب لا يحتاج الى الورقة والقلم للحصول على نتائج عمليات حسابية مثل الجمع والطرح و الضرب والقسمة، بل يعتمد هذا الصنف من الحساب على حركة تلك العمليات الحسابية الاربع في ذهن التلميذ ليعطي نتائج حل مشكلة حسابية كان قد تعرض لها.

و قد حددت طرائق تدريس الرياضيات للحساب الذهني اهدافا رئيسة منها:
على المستوى التربوي: هذا الهدف تجلّى اهميته من كونه احد الوسائل المهمة و الناجحة في تنمية قابلية التفكير والتي تعطي للعقل مرونة الانتقال من استراتيجية الى اخرى بسرعة، والذي يجعل درس الرياضيات من الدروس النشطة و الحيوية و بالتالي تساعد على خلق المواقف الايجابية لدرس الرياضيات.
ان الهدف التربوي للتدريب على مهارة الحساب الذهني يحقق لنا مقاصد مهمة منها:
أ) بناء جسر الوصول الى الحقائق الرياضية من خلال تطبيق بعضها و التي تؤدي بالتالي الى تطوير معرفة التلميذ لمادة الرياضيات.

ب) يثير لدى التلميذ عنصر الاثارة و الانتباه المستمر للدرس.
ت) ان التدريب المستمر للتلميذ على مهارة الحساب الذهني تزيد من ثقته بنفسه و تساعد كثيرا على ابراز قابلياته العقلية و الاستفادة منها.^(١٢)

الهدف المصلحي: يأتي هذا الهدف من الحاجة الضرورية و المصلحية التي يتعرض فيها التلاميذ الى مواقف عملية في حياته اليومية. فاننا نجد الكثير من الناس في السوق و حتى من الاميين الذين لا يعرفون القراءة والكتابة لهم دراية في اجراء الحساب الذهني، حيث يطلقون عليه باللهجة العراقية (حساب عرب)، و بشكل سريع و بدقة مضبوطة، وذلك بحكم اعمالهم التي تتطلب منهم اتقانها في عمليات تداول السلع سواء في البيع او الشراء. في حين، ومن المؤسف، ان نجد الكثير من المعلمين يستعينون بالالة الحاسبة او

١١- زيد الهويدي، اساليب و استراتيجيات تدريس الرياضيات، العين- الامارات العربية المتحدة، دار الكتاب الجامعي، ٢٠٠٦، ص ١٩٥.
١٢- وزارة التربية العراقية، طرائق تدريس الرياضيات للصف الرابع- معاهد المعلمين، العراق، ٢٠١٢، الطبعة الاولى، ص ١٥٠.

الحساب الذهني و حل المشكلات الحسابية لخرجي المرحلة الابتدائية - للأعمار ما بين ١٢ الى ١٤ عام - الورقة والقلم لايجاد نتائج الحسابات اليومية. وهذا يظهر عجزهم عن القيام بالحساب الذهني في التعاملات اليومية سواء في السوق او غيره. (١٣)

دور الحساب الذهني في تعلم مادة الرياضيات:

مواصلة مع ما اشارنا اليه سابقا، اصبح واضحا ان تعلم مهارة هذا النوع من الحساب يساعد كثيرا على بناء و ترسيخ معاني العمليات الاربع و فهم الاعداد و تداخلها في العمليات الحسابية من خلال تطبيق قواعد تعتمد على خطط للوصول الى نتائج تلك المواقف او ايجاد حل للمشكلات الحسابية التي لا تعتمد التعقيد الذهني في الحل. لا يمكن لأحد ان ينكر ما تقوم به الآلات الحاسبة و الحواسيب الألكترونية من دور مهم، و بالرغم من كل ذلك إلا ان تعلم هذه المهارة، و خصوصا لتلاميذ المرحلة الابتدائية له الاثر البالغ في تعلم مادة الرياضيات، لأنه يمثل الفضاء الافضل لفحص قابلية التلميذ على تفكيك الاعداد و تركيبها، فضلا عن التحقق من فاعليتها، لان الحساب الذهني بالتالي هو المستهدف من قبل الرياضيات. (١٤)

لذا فتعلم الحساب الذهني و للأسباب الآتية يكون له دوراً لا يتناها عنه، نجل بعضا منها:
(أ) ان التلميذ اذا تدرب على الحساب الذهني و سبل اتقانه فانه سيساعد على توجيه الجهد العقلي بشكل يجعله يتمكن من اعطاء حلاً للمشكلات الحسابية او المواقف التي يواجهها.
(ب) ان اكتساب التلميذ الدراية والتدريب على استعمال الحساب الذهني ستزيد من معرفته بحقائق الاعداد و العمليات الحسابية التي تجرى عليها بعمق أكثر.
(ت) تمكن التلميذ من الاجراءات الحسابية بصورة متقنة، ويستطيع توجيه تفكيره بشكل أكثر دقة في حل المشكلات و المواقف.

نتائج تعلم الحساب الذهني:

اولا: يُمكن التلميذ من إدراك العلاقة بين الاعداد بعمق أكثر.
ثانيا: له دور فاعل في استخدام خواص العمليات الحسابية مثل خاصة التوزيع و التجميع.
ثالثا: الحساب الذهني يبرز قابلية التلميذ على التفكير و قدرته على الابداع و خصوصا يقوم المعلم بتشجيع التلميذ امام اقرانه عن كيفية الوصول الى الحل ذهنيا.
رابعا: يبدد حاجز الخوف لدى التلميذ من تعلم مادة الرياضيات.
خامسا: يخلق حالة التباري والمنافسة لدى التلاميذ عندما يعرض الدرس كألغاز و ألعاب حسابية، لايجاد الناتج، فضلا عن خلقه جوا من المرح والتسلية.

١٣- رفاه عزيز كريم، و تغريد عبدالكاظم الطائي، الصعوبات التي تواجه تلاميذ المرحلة الابتدائية في الحساب الذهني من وجهة نظر معلمهم، مجلة الفتح، العدد ٤٧/١٠، ٢٠١١، ص ٢٤٣-٢٤٤.
14- William Gary Tompson, Effects of systematic in Mental calculation on 4th grade, Journal Dai, volume 50, issue 5, November 1991, page 1675-1677.

سادسا: ينمي لدى التلميذ التفكير بحرية خصوصاً عندما يتابع حل زملائه للمسألة الحسابية ذهنياً.^(١٥)

مصطلح المشكلة الحسابية:

يمكن فهم المشكلة الحسابية على أنها سؤال يبحث عن جواب. و ينبغي الإشارة هنا ان كل سؤال يُعد مشكلة حسابية، اقصد مثلاً ان سؤالاً ما قد صعب حله لتلميذ في الصف الثالث الابتدائي و لكنه لا يعتبر مشكلي حسابية لتلميذ في صف متقدم عليه، وذلك لاختلاف المعرفة الرياضية بين تلميذ و آخر. و لكي يشكل السؤال فعلاً مشكلة حسابية تواجه التلميذ ينبغي توافر الشروط الآتية منها:

(أ) توافر عامل التحدي للتلميذ بطريقة تدفعه الى إيجاد الجواب للمسألة.

(ب) عندما يكون التلميذ في وضع لا يستطيع حل المسألة بالطرق المعروفة لديه.

(ت) و لكي يكون التحدي فاعلاً اذا تتطلب من التلميذ خلفية لا بأس بها من المعلومات الحسابية مع القابلية على ربط الافكار للخروج باجوبة يكون فيها الحل للمسألة.^(١٦)

ضرورة تعلم حل المشكلات الحسابية:

إنَّ التدريب على المشكلات الحسابية يعد من الضروريات المهمة في حياة كل فرد ينبغي تعلمها واتقانها. يتعلم التلميذ في المدرسة استراتيجيتها لكي يصبح قادراً على مواجهة المواقف في الحياة اليومية، وذلك ان الحياة بطبيعتها ليست ثابتة المواقف بل هناك تجديد في كل يوم، بل في كل ساعة. ان اهمية تقنيات حل المشكلات الحسابية اصبحت من المشكلات التعليمية تحيط بالتلميذ من الجوانب كلها، الامر الذي يدعو واضعي البرامج التعليمية تدريب التلميذ على استراتيجيتها بمستوياتها المختلفة لكي يمكن من اتخاذ القرارات الصائبة فيما يواجهه من مشكلات يومية. ويؤكد (William Proner) على ان احد اهم عوامل التعليم الراقي، يبدأ من المعلمين و مدى إلمامهم بما يفكر به التلميذ عندما توجه إليه المشكلة و خصوصاً اذا كانت غير مألوفاً لديه، و لذلك اتفق مؤخراً على ان التدريب على حل المشكلات عُدَّ من الاهداف الرئيسة لطرق تدريس مادة الرياضيات.^(١٧)

الدراسات السابقة:

اولاً: محاولة دراسة (الحساب الذهني لدى تلميذات الصف الخامس الابتدائي و علاقته بالمهارات الحسابية الاساسية):

هذه المحاولة كانت في سلطنة عمان و كان هدفها الاساس هو للتعرف على مستوى الاداء لتلميذات المرحلة الخامسة الابتدائي لمهارة الحساب الذهني و هل هناك علاقة بينه و بين المهارات الحسابية الأخرى؟ حيث كانت عينة البحث تتكون من (٢٧٩) تلميذة من تلك المرحلة و اجريت في ثلاثة مدارس بالمنطقة

١٥- سميرة التركستاني، مهارة الحساب الذهني، دار الرياض للطباعة، الرياض، ٢٠٠٦، صفحة ٢٧.

١٦- وزارة التربية العراقية، طرائق تدريس الرياضيات للصف الرابع - معاهد المعلمين، العراق، ٢٠١٢، الطبعة الاولى، ص ٨٨.

١٧- اسماعيل محمد امين، طرائق تدريس الرياضيات - نظريات و تطبيقات، دار الفكر العربي، مصر العربية، ٢٠١١، ص ٢٤٢-٢٤٣.

الحساب الذهني و حل المشكلات الحسابية لخريجي المرحلة الابتدائية - للأعمار ما بين ١٢ الى ١٤ عام -
 الجنوبية من السلطنة. أعدت الباحثة رزمة اختبارين أحدهما الحساب الذهني والآخر هو المهارات الحسابية الأساسية، و بعد التحقيق من صدق وثبات كلا الاختبارين، قامت بتطبيقهما على عينة البحث، فضلا عن القيام بمقابلات مع التلميذات الحاصلات على درجات أعلى من المستوى المقبول تربويا في الاختبارين. ثم بعد تحليل البيانات فكانت من بين النتائج التي توصلت:
 أ) ان تلميذات عينة البحث أكثر استراتيجيات الحساب الذهني استخداما لديهم كانت استخدام الخوارزميات الكتابية ذهنيا، و أكثر الاستراتيجيات الذهنية الواضحة على مهارتهن تمثل الحساب من اليسار الى اليمين و التحليل و تكرار الجمع و التوزيع الجمعي.
 ب) كان متوسط ادائهن لمهارة الحساب الذهني أقل من المستوى المقبول تربويا.
 ت) ان هناك علاقة بين ادائهن (تلميذات عينة البحث) لمهارة الحساب الذهني وادائهن للمهارات الحسابية الأساسية.^(١٨)

أما المحاولة الأخرى كانت بعنوان (تقييم مهارة الحساب الذهني و دورها في التحكم في حل المشكلات الرياضية عند تلاميذ الصف السادس الابتدائي)

تمت مجريات هذه المحاولة في جمهورية الجزائر الديمقراطية الشعبية - لبعض مدارس مدينة قسنطينة^(١٩)، حيث بلغ حجم العينة (٢٨٤) تلميذا موزعين على عشر مدارس، تناولت الباحثة الجانب النظري و التطبيقي حيث استهدفت مهارة الحساب الذهني. و وجدت ان هناك علاقة متعددة بين الحساب الذهني و التفكير في حل المشكلات الرياضية، فضلا ان عملية التقييم استندت الى الاهداف السلوكية من خلال الجانب التطبيقي، فاسفرت النتائج عن ان اغلب درجات التلاميذ في اختبار مهارة الحساب الذهني كانت متدنية الى حد ما و يزيد عدد الدرجات المنخفضة في اختبار التحكم في حل المشكلات الرياضية بزيادة عدد الدرجات المنخفضة في اختبار مهارة الحساب الذهني.^(٢٠)

فيما جاءت محاولة أخرى أجريت على تلاميذ المرحلة الابتدائية بعنوان (الصعوبات التي تواجه تلامذة المرحلة الابتدائية في الحساب الذهني من وجهة نظر معلمهم)

أجريت في مدينة بغداد لعينة بحث بلغت (١٠٠) معلم و معلمة منتسبين للمدرجات التربية العامة في الكرخ الأولى والرصافة الأولى للعام الدراسي ٢٠١١/٢٠١٠ م. و كانت اداة البحث التي بناها الباحثان مكونة من ٢٩ فقرة تعرض بها مختلف الصعوبات التي تواجه التلامذة في الحساب الذهني و تم التأكد من صدق و ثبات الاداة و بعدها طبقت الاداة على عينة البحث من المعلمين و المعلمات. و بعد تحليل البيانات احصائيا، اعتمادا على الوسط المرجح و الوزن المرجح، فتوصلا الى نتائج مهمة و هي ضعف قدرة التلاميذ على اعطاء فكرة شفوية سريعة تكون قريبة من الواقع من دون استخدام اي من ادوات

^{١٨-} رزمة سعيد البلوشي، الحساب الذهني لدى تلميذات الصف الخامس الاساسي و علاقته بالمهارات الحسابية الأساسية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السلطان قابوس / كلية التربية، ٢٠٠٣، ص ١٢-١٠.

^{١٩-} مدينة جزائرية تقع شرق الجزائر و تبعد ٤٠٠ كم عن العاصمة الجزائر.

^{٢٠-} سليمة قاسي، تقييم مهارة الحساب الذهني و دورها في التحكم في حل مشكلات الرياضية عند تلاميذ الصف السادس الابتدائي، دراسة ميدانية لتقييم مهارة الحساب الذهني و دورها في التحكم في حل مشكلات الرياضية بمدينتي القسنطينة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة منتوري/ كلية العلوم الانسانية و العلوم الاجتماعية، جمهورية الجزائر الديمقراطية الشعبية، ٢٠٠٧، ص ٢١٧.

القياس او اجراء العمليات الحسابية بدقة و بالورقة والقلم، فضلا عن ضعف قدرتهم الذهنية للوصول الى نتائج مضبوطة من خلال استعمال خواص الاعداد و النظام العشري للعدد، و ضعف قدرة ايضا على ربط النتائج ببعضها البعض.^(٢١)

في حين تمت محاولة اخرى بعنوان (العلاقة بين الحساب العددي و الحساب الذهني في مادة الرياضيات لدى طلبة الصف الثالث المتوسط)

نفذت هذه المحاولة في مدينة بغداد حيث بلغ حجم العينة (٢٤٠) طالب و طالبة من طلبة ال صف الثالث المتوسط موزعين على مدارس جانب الرصافة من مدينة بغداد.^(٢٢) اعد الباحث اختبارين احدهما للحس العددي تألف من ٤٠ فقرة، و الآخر للحساب الذهني تكون من ٣٠ فقرة استمرت المحاولة ٢٦ يوم، منها توصل الباحث الى ان مستوى الحس العددي منخفض دون المستوى المقبول و ان مستوى الحساب الذهني لدى طلبة العينة متوسط، و استدلل الباحث ان هؤلاء الافراد بإمكانهم اجراء بعض الحسابات الذهنية و وجود علاقة ارتباطية موجبة دالة احصائيا.^(٢٣)

اتضح مما سبق من المحاولات التي تناولت العديد من المتغيرات، فضلا عن فئات عمرية مختلفة و مراحل دراسية متنوعة، ولكنها في حدود علم الباحث انهم لم يتناولوا في دراستهم متغيرات الحساب الذهني و حل المشكلات الحسابية معا. و لا يستبعد الباحث انه استفاد من ادوات التي بناها الباحثون و في اختيار المنهجية الملائمة و في تفسير النتائج.

منهجية البحث و إجراءاته:

منهجية البحث:

استخدم الباحث المنهج الوصفي، فهو المنهج المناسب لمثل هذه الدراسة، لانه يعنى بدراسة الظاهرة قيد البحث، فضلا عن إيجاد العلاقة بين المتغيرات.

مجتمع البحث:

تكون مجتمع البحث من مجموع تلاميذ خريجي المرحلة الدراسية الابتدائية للدور الاول في محافظة بغداد/ الكرخ الثالثة لمدارس قضاء الكاظمية المقدسة للعام الدراسي ٢٠١٧-٢٠١٨. و استفاد الباحث من تعاون شعبة الاح صاء في المديرية العامة للتربية/ الكرخ الثالثة لتحديد عددهم (٢٥٤٨) تلميذ وتلميذة. يوضح الجدول (١) توزيع افراد مجتمع البحث في مدارس قضاء الكاظمية المقدسة/ محافظة بغداد.

٢١- رفاه عزيز كريم و تغريد عبدالكاظم، الصعوبات التي تواجه تلامذة المرحلة الابتدائية في الحساب الذهني من وجهة نظر معلمهم، جامعة ديالى- مجلة الفتح العدد ٤٧، تشرين الاول، ٢٠١١، ص ٢٣٥-٢٧٤.
٢٢- جانب الرصافة من مدينة بغداد فيها ثلاث مدرّيات عامة للتربية: الرصافة الاولى و الثانية والثالثة.
٢٣- غسان رشيد صيداوي، العلاقة بين الحس العددي و الحساب الذهني في مادة الرياضيات لدى طلبة الصف الثالث المتوسط، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد/ كلية التربية- ان الهيثم، العراق، بغداد، ٢٠٠٨.

الحساب الذهني و حل المشكلات الحسابية لخريجي المرحلة الابتدائية - للأعمار ما بين ١٢ الى ١٤ عام -

جدول (١) يوضح عدد المدارس و تلاميذها مجتمع البحث موزعين حسب الجنس في قضاء الكاظمية المقدسة

عدد المدارس الابتدائية		عدد خريجي المرحلة الابتدائية			المديرية العامة للتربية / بغداد الكرخ الثالثة
ذكور	إناث	مختلط	تلاميذ	تلميذات	
٨	٥	٢٣	١٢٧٣	١٢٧٥	قضاء الكاظمية المقدسة

عينة البحث:

اختار الباحث عينة البحث عشوائيا من سبعة مواقع مراكز تسلية للألعاب الالكترونية تجمع فيها تلاميذ عينة البحث كلهم خريجي المرحلة الابتدائية من مدارس قضاء الكاظمية المقدسة و ممن ابدى استعداده من الخريجين للتعاون و المشاركة في هذه الدراسة و قدم مسؤولي تلك المراكز للباحث كل التسهيلات لاجرائها، و جدير بالاشارة ان بعض اولياء امور التلاميذ شاهدوا اجراءات الاختبارات. و شملت عينة البحث ٢٨٥ تلميذا (من الذكور فقط) ينتمون لتلك المدارس كما في الجدول(٢).

جدول (٢) يوضح المنطقة و عدد التلاميذ الذين اشتركوا في البحث

المواقع (مراكز تسلية للألعاب الالكترونية)	عدد التلاميذ الذكور
موقع ١	٣١
موقع ٢	٣٧
موقع ٣	٤٥
موقع ٤	٥٠
موقع ٥	٣٣
موقع ٦	٤٢
موقع ٧	٣٧
المجموع	٢٨٥

ادوات البحث:

تمكن الباحث من بناء اختبارين يقيس الاول الحساب الذهني، و الثاني لحل المشكلات الحسابية. و اعتمد الباحث في اعداده لفقرات الاختبارين الاجراءات الآتية:

(أ) مناهج الرياضيات المعتمدة في وزارة التربية و طرق تدريسها.

(ب) الدراسات السابقة العراقية منها و العربية استفاد منها الباحث في بناء ادوات بحثه.

(ت) زيارة بعض المدارس لغرض اطلاعه على طرق التدريس الفعلية بالخصوص للمرحلة الابتدائية المنتهية.

فبالنسبة لاختبار الحساب الذهني، اطلع الاختبارات في محاولة غسان الصيداوي^(٢٤)، و محاولة سليمة قاسي^(٢٥). وقد استخلص منهما عددا من الفقرات الملائمة لمحتوى كتاب الرياضيات المقرر للصف السادس الابتدائي في جمهورية العراق من نوع الاختبار من متعدد و تم تحديد عشر فقرات لاختبار الحساب الذهني، ملحق (٢).

حل المشكلات الحسابية:

اعد الباحث خمس مشكلات حسابية لافراد عينة البحث و حصر كل المشكلات الحسابية الموجودة في منهج الرياضيات للمرحلة الابتدائية حيث يقيس هذا الاختبار قدرة التلميذ على حل المشكلات الحسابية من خلال اختبار العملية و الاعداد المناسبة، و كذلك تقديم النتيجة و الجواب ال صحيح للمسألة الحسابية المطروحة عليه، وكانت الدرجة (١٠) لكل فقرة درجتان، ملحق (٣).

الصدق الظاهري لاختبار الحساب الذهني و اختبار حل المشكلات الحسابية:

عرض الباحث فقرات الاختبارين على مجموعة من المتخصصين و الخبراء من ذوي الاختصاص بطرائق التدريس و مادة الرياضيات. للحكم عليها من حيث صلاحية كل فقرة من الفقرات التي اعددها الباحث لهذا الغرض، و كذلك مدى وضوح الحلول التي اقترحها و مدى منطقيتها و ارتباطها بكل فقرة. على ضوء ذلك تم تعديل بعض الفقرات بناء ملاحظاتهم، و لذا صارت الفقرات صادقة وصالحة جميعها. ومن اجل التأكد من و وضوح الفقرات و حساب المدة الزمنية اللازمة للإجابة عن كل فقرة من الفقرات، طبقت الاختبارين على عينة إستطلاعية مكونة من ٣٥ تلميذ من خارج عينة البحث و اتضح ان فقرات الاختبارين واضحة. وكانت النتائج:

١. بالنسبة الى فقرات الحساب الذهني كان شفهيًا من دون استخدام الورقة والقلم و استغرق وقت الإجابة ال صحيحة عن كل فقرة بين (٥٥-١٠٠) ثانية واستغرق كل الاختبار ١٥ دقيقة لكل تلميذ.

٢. و اما بالنسبة لاختبار حل المشكلات الحسابية تكون الإجابة باستخدام الورقة والقلم و استغرق الاختبار ما بين (٣٥-٥٠) دقيقة.

و بتصحيح الاجابات عن الاختبار الحساب الذهني و اختبار حل المشكلات الحسابية، فكان معامل صعوبة الفقرات مقبولا بمستوى صعوبة ما بين (٠,٣٠-٠,٧٥) حيث انها تقع ضمن المدة التي حددها (Benjamin Bloom) وهي ما بين (٠,٢٠-٠,٨).

التحقق من ثبات الاختبارين:

حصل الباحث على معامل الثبات لكل من اختبار الحساب الذهني و اختبار حل المشكلات الحسابية و اعاد تطبيقه بعد خمس عشرة يوماً و باستعمال معامل ارتباط (Pearson Correlation Coefficient) بحيث بلغ معامل الثبات بهذه الطريقة (٠,٧٢) لاختبار الحساب الذهني، في حين بلغ

٢٤- الصيداوي، مصدر سابق.
٢٥- سليمة قاسي، مصدر سابق.

الحساب الذهني و حل المشكلات الحسابية لخرجي المرحلة الابتدائية -لالأعمار ما بين ١٢ الى ١٤ عام-
معامل الثبات لاختبار حل المشكلات الحسابية (٠,٧١)، وهي قيم مقبولة تربويا تسمح بتطبيق فقرات
اختبار الحساب الذهني، ملحق رقم (٢)، وفقرات اختبار حل المشكلات الحسابية، ملحق رقم (٣) و
استخدامها لغرض البحث العلمي.

اجراء التطبيق للاختبارين عينة البحث:

اجريت تطبيق الاختبارين على افراد عينة البحث بعد الانتهاء من الامتحانات الوزارية للعام الدراسي
٢٠١٧/٢٠١٨ اي في العطلة ال صيفية، حيث اشرف الباحث على سير اجراءات التطبيق و الذي
استغرق عشرين يوما.

الوسائل الاحصائية المستخدمة لمعالجة بيانات البحث:

استخدم الباحث الانحرافات المعيارية و الاوساط الحسابية، فضلا عن الاختبارات التائية و معامل
ارتباط (Pearson) للأجابة عن فقرات الاختبار، و اتباع خطوات برنامج الحزمة الاحصائية للعلوم
الاجتماعية (Statistical Package for the Social Sciences).

نتائج البحث و مناقشتها:

ما هو متعلق بالسؤال الاول:

تبين للباحث من نتائج و الدرجات التي حصل عليها تلاميذ عينة البحث في الاختبار الذهني كانت
بمتوسط حسابي (٤,٦٥٠) و عند المقارنة بالمتوسط الفرضي البالغ (٥,٠) تبين ان متوسط درجات عينة
البحث اقل منه، ولكن عند اختبار دلالة الفرق بين المتوسطين احصائيا باتباع الاختبار التائي لعينة
واحدة، وجد الباحث انه دال عند مستوى الدلالة (٠,٠٥)، اذ كانت القيمة التائية (T-Test) الناتجة
هي (1.30) و هي اقل من القيمة الجدولية. و الجدول رقم (٣) يوضح ذلك.

جدول (٣) يوضح الوسط الحسابي و الانحراف المعياري والقيمة التائية لدرجات التلاميذ في اختبار
الحساب الذهني

العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية المحسوبة	القيمة الجدولية	مستوى الدلالة
٢٨٥	٤,٦٥٠	٢,٢٦	١,٣١	١,٩٧	غير دالة

يوضح الجدول اعلاه ان مستوى الاداء لتلاميذ عينة البحث في اختبار الحساب الذهني كانت دون
المقبول، و يعتقد الباحث ان اسباب ذلك التدني قد يعود الى ان المناهج وطرائق التدريس لا تصل الى
مستوى تنمية التلميذ وتطوير مهارة الحساب الذهني لديه، فضلا عن التوظيف الصحيح للحساب الذهني
في طرائق تدريس مادة الرياضيات في هذه المرحلة المهمة من حياة التلميذ من قبل معلمي المادة. الملاحظ
ان النتائج التي حصل اليها الباحث تتفق الى حد كبير مع دراسة رمة البلوشي التي اجريت في سلطنة عمان،
والتي كانت ايضا منخفضة عن المستوى المقبول تربويا.

و اما النتائج في اختبار حل المشكلات الحسابية فقد اوضحت ان درجات تلاميذ عينة البحث، انما كانت بمتوسط حسابي (٤,٤٥). وعند مقارنته بالمتوسط الفرضي البالغ (٥,٠) تبين ان متوسط درجات عينة البحث اقل من المتوسط الفرضي، وكذا عند اختبار دلالة الفرق بين المتوسطين احصائيا باتباع خطوات الاختبار التائي لعينة واحدة و جد انه غير دال عند مستوى الدلالة (٠,٠٥)، اذ بلغت القيمة التائية المحسوبة (٠,٢٤) و هي اقل من القيمة الجدولية (١,٩٧). و الجدول (٤) يوضح ذلك.

جدول (٤) يوضح الوسط الحسابي و الانحراف المعياري و القيمة التائية لدرجات تلاميذ عينة البحث

في اختبار حل المشكلات الحسابية

العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية المحسوبة	القيمة الجدولية	مستوى الدلالة
٢٨٥	٤,٤٥	٤,٠٣	٠,٢٤	١,٩٧	غير دالة

إتضح للباحث من الجدول اعلاه ان مستوى الاداء في حل المشكلات الحسابية ضعيف بشكل عام، و ذلك لضعف القدرة على وضع الخطط المناسبة للحل و هذا بطبيعة نتيجة لصعوبة يواجهها التلميذ في التفكير الـ صائب، و ربما يعود السبب الى ضعف عام في القابليات الرياضية العامة و عدم بذل الجهد بطرق التفكير و الفهم والادراك في تدريس مادة الرياضيات و تبني الطرائق التقليدية القديمة. و تبين للباحث ايضا ان نتائج التي حصل عليها من جراء الاختبار انما تتفق مع نتائج دراسة سليمة قاسي التي اجريت في جمهورية الجزائر الشعبية الديمقراطية.

ما هو متعلق بالسؤال الثاني:

هل توجد علاقة ارتباطية بين مهارة الحساب الذهني و حل المشكلات الحسابية؟

نتائج البحث اظهرت للباحث باستخدام معامل ارتباط (Pearson) ان معامل الارتباط بين الحساب حل المشكلات الحسابية قد بلغ (٠,٦٥)، وعند اختباره احصائيا وجد الباحث انه دال عند مستوى (٠,٠٥)، وهو يثبت ان هناك ثمة علاقة بين المتغيرين على الرغم من عدم وجود ارتفاع كبير. الجدول (٥) يبين ذلك.

جدول (٥) يوضح معامل الارتباط بين الحساب الذهني و حل المشكلات الحسابية لدى افراد العينة

معامل الارتباط	درجة الحرية	مستوى الدلالة	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية
٠,٦٥	٣٠٠	٠,٠٥	٨,٧٧٩	٠,١١٢

يظهر معامل الارتباط بين مهارة الحساب الذهني و حل المشكلات الحسابية ضعيفاً لدى تلاميذ العينة، و هو متبادل بين تلك المهارات، اذ يبدو للباحث ان هناك حلقة ضائعة بين الحساب الذهني و حل المشكلات الحسابية و هذا ان دل على شيء ربما يدل على قلة رعاية من جانب معلم المادة و التلميذ على حد سواء في تنمية تلك المهارات و تطويرها. من هنا كان الاهتمام بالحساب الذهني من الضروريات الملحة فيما لو اردنا تنمية التفكير السليم لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية و جعلهم قادرين على المشكلات الحسابية، و باستخدام طرق متنوعة.

الحساب الذهني و حل المشكلات الحسابية لخرجي المرحلة الابتدائية - للأعمار ما بين ١٢ الى ١٤ عام -
و عليه يتضح من نتائج البحث الحالي ان هناك معامل ارتباط بين متغيرات البحث و كانت دالة احصائية، وهذا قد يعود الى وجود عوامل مشتركة بين تلك المتغيرات و ان التلاميذ يوظفون مهارتهم في كل من تلك المتغيرات، و كشف البحث ايضا عن وجود ضعف عام و مشترك في الحساب الذهني و حل المشكلات الحسابية و انه بالامكان تحسين مستوى الاداء لدى التلاميذ اذا ما حفزت الهمم و تم اعداد برامج خاصة لذلك.

الاستنتاجات:

- استنتج الباحث من النتائج التي توصلت اليه هذه الدراسة، الآتي:
١. إنَّ مستوى مهارتي الحساب الذهني و حل المشكلات الحسابية لأفراد عينة البحث كانت ضعيفة الاداء.
 ٢. هناك صعوبة لدى التلاميذ العينة في اعطائهم الاجوبة الشفاهية لحل المشكلات الحسابية التي تعرضوا لها.
 ٣. هناك علاقة ارتباط موجبة بين الحساب الذهني و حل المشكلات الحسابية لدى تلاميذ عينة البحث.

التوصيات:

- عطفًا على النتائج التي حصل عليها الباحث من هذه الدراسة، فانه إقترح بعض التوصيات في دعم تنمية مهارة الحساب الذهني و القدرة على حل المشكلات الحسابية، وكما يأتي:
١. تلقى على عاتق معلم الرياضيات مهمة تعليمية ألا و هي قيامه بتبني استراتيجية التشجيع على استخدام الحساب الذهني في مواقف متعددة يصممها لهذا الغرض تساعد التلاميذ على تنمية و تطوير هذه المهارة المهمة في حياتهم.
 ٢. على المديرية العامة للاعداد و التدريب في وزارة التربية العراقية تنظيم دورات تدريبية لمعلمي مادة الرياضيات في المرحلة الابتدائية تتضمن طرائق حديثة و فاعلة لبناء القدرة والقابلية لدى تلاميذ هذه المرحلة الاساسية من مسيرة التلميذ التعليمية. فضلا عن احتوائها على اساليب تهدف الى تدريب التلاميذ على استخدام الحساب الذهني وحل المشكلات الحسابية بطريقة سهلة ومفهومة.
 ٣. على معلمي مادة الرياضيات اعداد اسئلة صفية تركز على تنمية مهارة الحساب الذهني و حل المشكلات الحسابية اثناء تدريس المادة، مما يجعل الصف ذو فاعلية غير ممل.
 ٤. ينبغي تدريب التلاميذ على مهارة الحساب الذهني و حل المشكلات الحسابية منذ الصفوف الاولى لكي تنمو المهارة بطريقة تراكمية، بحيث تكون البداية من الاعداد الصغيرة ثم الى الاعداد الاكبر مع تقدم التلميذ في مراحل الدراسة.

مقترحات لدراسات لاحقة:

تأتي هذه المقترحات بناء على ضوء النتائج التي حصل عليها الباحث من هذه الدراسة، وهي كالآتي:

١. تبني وزارة التربية مشروعا يكشف عن الاسباب التي أدت الى ظهور هذه الضعف في مهارة الحساب الذهني و حل المشكلات من خلال ورش عمل مع معلمي مادة الرياضيات.
٢. تبني دراسة اخرى يتم اجراؤها على شريحة خريجي المرحلة الابتدائية تتكون عينة البحث من البنات للأعمار ما بين ١٢-١٤ عام، لغرض المقارنة بين الجنسين.
٣. محاولة تدريبية عملية للتعرف على فاعلية استراتيجيات الحساب الذهني في دقة وضع الحلول للمشكلات الحسابية.

المصادر:

- احمد اللقاني، و علي الجمل،: معجم المصطلحات التربوية في المناهج و طرق التدريس، ط١، المطبعة النموذجية للأوفيسيت، عالم الكتب، القاهرة، (١٩٩٦).
- احمد نور و شاكر عبد الحميد و خليفة السويدي، تربية التفكير - مقدمة عربية في مهارة التفكير، دار القلم للنشر والتوزيع، دبي، الامارات العربية المتحدة، (٢٠٠٥).
- اسماعيل محمد امين، طرائق تدريس الرياضيات - نظريات و تطبيقات، دار الفكر العربي، مصر العربية، ٢٠١١.
- رفاه عزيز كريم، و تغريد عبدالكاظم، ال صعوبات التي تواجه تلاميذ المرحلة الابتدائية في الحساب الذهني من وجهة نظر معلمهم، مجلة الفتح، العدد ٤٧/١٠، جامعة ديالى، العراق، ٢٠١١.
- رعمة سعيد البلوشي، الحساب الذهني لدى تلميذات الصف الخامس الاساسي و علاقته بالمهارات الحسابية الاساسية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السلطان قابوس / كلية التربية، سلطنة عُمان، ٢٠٠٣.
- زيد الهويدي، اساليب و استراتيجيات تدريس الرياضيات، دار الكتاب الجامع، العين، الامارات العربية المتحدة، ٢٠٠٦.
- سلوى عبداللطيف شرف، و سائل و تكنولوجيا التعليم في التعلم والتدريس، دار التربية الحديثة، الاردن، ط٢، (٢٠٠٥).
- سليمة قاسي، تقييم مهارة الحساب الذهني و دورها في التحكم في حل مشكلات الرياضية عند تلاميذ الصف السادس الابتدائي، دراسة ميدانية لتقييم لعينة من المدارس الابتدائية بمدينة القسنطينة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة منتوري / كلية العلوم الانسانية و العلوم الاجتماعية، جمهورية الجزائر الديمقراطية الشعبية، ٢٠٠٧.
- سميرة تركستاني، مهارة الحساب الذهني، دار الرياض للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٦، ط١.
- غسان رشيد صيداوي، العلاقة بين الحس العددي و الحساب الذهني في مادة الرياضيات لدى طلبة الـ صف الثالث المتوسط، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد / كلية التربية - ابن الهيثم، العراق، ٢٠٠٨.

-
- الحساب الذهني و حل المشكلات الحسابية لخريجي المرحلة الابتدائية -لالأعمار ما بين ١٢ الى ١٤ عام-
- فاروق المقدادي، و علي الخطيب، مدى اكتشاف طلبة مرحلة التعليم الاساسي في الاردن لمهارة الحساب الذهني، مجلة جامعة دمشق، (٢٠٠٣).
 - فؤاد ابو الخطب، و آمال صادق، علم النفس التربوي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.، (١٩٨٤).
 - نهاد، قاسم: مدى اكتساب طلبة المرحلة الاساسية لمهارة الحساب الذهني في ضوء مناهج الرياضيات الحديثة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية ابن الهيثم، جامعة بغداد، (١٩٩٧).
 - وزارة التربية العراقية، طرائق تدريس الرياضيات لد صف الرابع- معاهد المعلمين، العراق، ٢٠١٢، الطبعة الاولى.
 - National Council of Teacher of Mathematics Principles & Standers for School Mathematics, Reston, VA.: NCTM:21,(2000).
 - Sowder, J. (1988): Mental Computation and Number Comparison: Their Roles in the Development of Number Sense and Computational estimation. In J. Hiebert &M. Behr (Eds), Research Agenda for Mathematics Education: number concepts and Operation in Middle Grades. Reston, VA: NCTM.
 - William Gary Tompson, Effects of systematic in Mental calculation on 4th grade, Journal Dai, volume 50, issue 5, November 1991

التداول السلمي للسلطة في ضوء دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥

Peaceful Transformation of Power in Light of the Republic of Iraq Constitution

م.م فراس عيسى الحميري^(١)
Assist. Lect. Firas Issa Al-Humairy
م.م صباح محمد جبر^(٢)
Assist. Lect. Sabah Muhammad Jabir

الملخص

إنَّ أغلب الدول الديمقراطية قد اهتمت بشكل كبير بمبدأ التداول السلمي للسلطة، إذ يشكل هذا المبدأ ضماناً من ضمانات حقوق الإنسان كونه يشكل حاجزاً منيعاً ضد الأفكار الدكتاتورية والعنصرية الاستبدادية، لذا يعد هذا المبدأ من المبادئ الثابتة والمستقرة في القانون الدستوري، إذ نجد أن وجود هذا المبدأ يحقق الأمن والاستقرار في المجتمع، ورغم ذلك فإن هذا المبدأ لا يتحقق إلا إذا تحققت ضماناته المتمثلة بالتعددية الحزبية الحقيقية وعملية إشراك الشعب في اختيار حكامهم وسلامة ونزاهة عملية الانتخاب، فضلاً عن التأكيد على مبدأ تحديد مدة تولي السلطة وتحديد عدد مراتها.

Abstract

That most democratic countries have paid great attention to the principle of the peaceful transfer of power, as this principle is a guarantee of human rights guarantees as it constitutes a barrier against the ideas of dictatorship and racist authoritarianism, so this principle is a fixed principles and stable constitutional law, The security and stability of the society. However, this principle can be achieved only if its guarantees of real multiparty, the process of involving the people in the selection of their rulers, the integrity

١- جامعة اهل البيت - المصطفى - كلية القانون.
٢- جامعة وارث الأنبياء/ كلية القانون.

and integrity of the election process, as well as the principle of determining the duration of the power and determining the number of times.

المقدمة

تتجه اغلب الدول في العالم الى النص صراحة أو ضمناً على مبدأ أساس في الانظمة الدستورية التي تبتعد عن الظلم والاستبداد، الا وهو مبدأ التداول السلمي للسلطة، فالسلطة منذ وجودها تشكل قيداً ثقيلاً على حرية الانسان فضلاً من ان السلطة ان لم تكن عادلة فأنها تكون مستبدة وظالمة للمجتمع الذي تحكمه، ومن هنا فأن موضوع التداول السلمي للسلطة يشكل هدفاً جماهيرياً للحد من تعسفها واستبدادها. وتبرز اهمية ذلك المبدأ في كونه يمثل الركن الاساسي في النظم الديمقراطية التي تعني بحقوق الانسان وتصور كرامته فهو يمثل النمط المدني للسلطة ضد النمط العسكري أو الدكتاتوري المستبد، ورغم ذلك فأن هناك اشكاليات في بحث هذا الموضوع تكمن في نقص النصوص القانونية التي عاجلت ذلك المفهوم (مفهوم التداول السلمي للسلطة) مع وجود معوقات كبيرة في تطبيق ذلك المفهوم تتمثل بقلة الوعي والظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فضلاً عن قلة الوعي لدى الشعوب في اختيار حكاهم وبناء دولتهم مع قلة وجود التوازن القانوني بين سلطات الدولة، وبهدف الخوض في هذا الموضوع فقد اعتمدنا منهجية هذه الدراسة بالتحليل والتطبيق والمقارنة إذ اخترنا دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥ النافذ ومقارنته مع دستور الولايات المتحدة الامريكية ومصر للوقوف على ضمانات ذلك المبدأ ومعوقاته، اما فيما يتعلق بخطة البحث فقد قسمنا موضوع التداول السلمي للسلطة في ضوء دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥ على مبحثين خصصنا المبحث الأول لبيان مفهوم التداول السلمي للسلطة في دستور ٢٠٠٥ ووسائله، أما في المبحث الثاني فسنتناول فيه ضمانات ومعوقات التداول السلمي في دستور العراق لعام ٢٠٠٥.

وفي الخاتمة سوف يتم التطرق الى اهم النتائج والتوصيات التي تم التوصل اليها.

المبحث الأول: ماهية التداول السلمي للسلطة في دستور ٢٠٠٥

ووسائله

إن وجود السلطة اصبح من الضروريات التي تحكم المجتمعات البشرية وتنظم شؤونها، فهي ظاهر اجتماعية في الأصل، وهذه الظاهرة تكون ايجابية ان كانت تحافظ على الحقوق والحریات وبالعكس تكون تلك الظاهرة سلبية ان كانت تنتهك تلك الحقوق والحریات، وهنا اصبح من الواضح جدا ان التداول السلمي للسلطة هو المقوم الاساس الذي يصون تلك الحریات ويحافظ على تلك الحقوق وهو يمثل اليوم مطلباً جماهيرياً على المستوى الوطني والدولي، وبهدف الوقوف على هذا المفهوم سنقسم هذا المبحث على مطلبين نتناول في الاول مفهوم التداول السلمي للسلطة واقاراه في دستور ٢٠٠٥، أما في المطلب الثاني فسنتناول فيه موقف دستور العراق لعام ٢٠٠٥ من التداول السلمي للسلطة.

المطلب الأول: مفهوم التداول السلمي للسلطة واقراره في دستور ٢٠٠٥

لبيان مفهوم التداول السلمي للسلطة في ضوء دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥ يتطلب منا تقسيم هذا المطلب على فرعين نتناول في الفرع الأول التعريف بالتداول السلمي للسلطة وشروطه، إما في الفرع الثاني فسنتناول فيه وسائل التداول السلمي للسلطة وفق التفصيل الآتي:-

الفرع الأول: التعريف بالتداول السلمي للسلطة وشروطه

أولاً:- تعريف التداول السلمي للسلطة

وضع فقهاء القانون معاني متعددة لمبدأ التداول السلمي للسلطة استند كل منهما الى مرجعية قانونية أو اجتماعية أو سياسية، إذ بين البعض بأن "التداول على السلطة مبدأ ديمقراطي لا يمكن وقفه لأي حزب سياسي أن يبقى في السلطة الى ما لا نهاية، بل يجب أن يعوض بتيار سياسي آخر ضمن احترام النظام السياسي القائم، والتداول على السلطة يدخل تغييراً في الادوار بين قوى سياسية تختلف بشكل طرقي عن السلطة لكي تدخل في المعارضة"^(٣)، وازداد البعض الآخر بأن التداول السلمي للسلطة هي "حركة متأرجحة بين حزبين رئيسيين يمر كل حزب منهما من المعارضة الى الحكم ثم من الحكم الى المعارضة"^(٤)، إما السلطة فتعني "القدرة على جعل المحكوم يعمل أو لا يعمل اشياء معينة سواء ارادها المحكوم ام لم يردّها"^(٥).

ومما تقدم يمكن القول أن التداول السلمي للسلطة هو احد اركان النظم الديمقراطية التي تركز على عملية انتقال وتداول السلطة من شخص الى اخر أو من جماعة سياسية الى اخرى وفقاً لمدة محددة في الدستور ووفقاً لآطار ديمقراطي بعيداً عن الصراعات والانقلابات، إذ ينفذ من خلالها كل شخص أو كل حزب سياسي من الحكم الى المعارضة أو العكس.

ثانياً:- شروط التداول السلمي للسلطة

١- التعددية الحزبية

تلعب التعددية الحزبية دوراً مهماً في تجاوز الاختلافات السياسية التي تحدث داخل النظام السياسي الواحد، ووجود التعددية الحزبية يؤمن التوازن بين التيارات السياسية ويحقق التوازن والاستقرار فيها. إذ تخلق جواً ديمقراطياً قائماً على قبول التنوع في الآراء والقوى السياسية، على خلاف نظام الحزب الواحد الذي يحتكر السلطة ويصادر حرية الآخرين في اختيار الحاكم لصالحة، فالتعددية الحزبية تعكس معالم النظام الديمقراطي وتساهم في تفعيل مبدأ التناوب السلمي للسلطة^(٦).

٣- احمد ابن السنوسي، مبدأ التداول على السلطة في التشريعات الجزائرية، رسالة ماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية، الجزائر، ٢٠١٦، ص ١١.

٤- د. عبد الغني بسيوني، الانظمة السياسية، منشأة المعارف، الاسكندرية، بلا سنه طبع، ص ٥٠.

٥- د. وليد بيطار، المدخل الى علم السياسة، ج ١، المؤسسة الحديثة للكتاب، بيروت، ٢٠١٤، ص ٧٣.

٦- د. رفعت عبد سعيد، تداول السلطة داخل الاحزاب السياسية (دراسة تطبيقية على بعض الاحزاب المصرية)، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٣٠.

٢- اشراك الشعب في عملية التداول السلمي للسلطة

إنَّ ارادة الشعب هي اساس شرعية سلطة الحكم^(٧)، إذ تتجلى تلك الارادة السليمة في الحق للأفراد باختيار حكومتهم^(٨)، إذ يختار المواطنون من بين المرشحين للسلطة من يرونه مناسباً وقادراً على ادارة شؤون البلاد ورعاية مصالحهم، وان احتكار السلطة بيد شخص الحاكم لمدة طويلة يعني الاستبداد بالسلطة مما يستدعي تغيير نظام الحاكم، وهذا هو محور العملية السياسية المبنية على اساس التداول السلمي للسلطة المستند الى ارادة الشعب الحقيقية^(٩).

٣- تحديد النطاق الزمني للسلطة

إنَّ من اهم الضمانات لمبدأ التداول السلمي للسلطة في الانظمة الديمقراطية هو تحديد النطاق الزمني لتولي السلطة ويتجلى ذلك بما يأتي:-

أ- الولايات المتحدة الامريكية

- منصب الرئيس: تضمن الدستور الأمريكي لعام ١٧٨٩ المعدل في المادة (٢) فقرة (١) على "تناط السلطة التنفيذية برئيس الولايات المتحدة الأمريكية ويشغل الرئيس من صبه لمدة اربع سنوات"، إما فيما يتعلق بتحديد عدد مرات تولي السلطة في من صب الرئاسة فقد نصت المادة (١/٢٢) من الدستور اعلاه على "لا يجوز اعادة اي شخص لمنصب الرئيس لأكثر من دورتين".
- ومما تقدم يتضح لنا أن الدستور الأمريكي المعدل لعام ١٧٨٩ قد حدد مرة واحدة لتولي السلطة في منصب الرئيس وهي لمدة اربع سنوات وكذلك قد حدد عدد مراتها لدورتين فقط بشرط الفوز، مما يضمن عدم الاستئثار بالسلطة.
- الكونغرس:- نصت الفقرة الأولى من المادة الأولى من دستور الولايات المتحدة الأمريكية لعام ١٧٨٩ المعدل على "جميع السلطات التشريعية تناط الى كونغرس الولايات المتحدة الأمريكية الذي يتألف من مجلس الشيوخ ومجلس النواب".
- مجلس الشيوخ:- نصت المادة الأولى الفقرة الثالثة من الدستور الأمريكي لعام ١٧٨٩ المعدل على "يتألف مجلس الشيوخ من شخصين عن كل ولاية، تختارهما السلطة التشريعية في تلك الولاية لمدة ست سنوات". من خلال نص هذه المادة نجد ان المشرع الأمريكي قد سائر اغلب دساتير العالم وحدد مدة تولي السلطة في مجلس الشيوخ بست سنوات ولكن قد اغفل عن تحديد عدد مراتها وهذا مرهون بالفوز بالانتخاب.
- مجلس النواب:- نصت المادة الأولى الفقرة الثانية من دستور الولايات المتحدة الأمريكية لعام ١٧٨٩ المعدل على "يتألف مجلس النواب من اعضاء يختارون كل سنتين من قبل الشعب من مختلف

٧- ينظر: الاعلان العالمي لحقوق الانسان الصادر عام ١٩٤٨.

٨- د. هادي نعيم المالكي، المدخل لدراسة القانون الدولي لحقوق الانسان، ط١، منشورات زين الحقوقية، بيروت، ٢٠١١، ص٧٩.

٩- د. محمد رفعت عبد الوهاب، الانظمة السياسية، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٥، ص٢٦٦.

الولايات" وما يمكن ملاحظته على هذا النص ان المشرع الامريكي ايضا قد حدد مدة العضوية في مجلس النواب بستين دون ان يحدد عدد مرات تولي العضوية وجعلها مشروطة بالفوز^(١٠).

ب- جمهورية مصر العربية

- من صب الرئيس:- نصت المادة (١٤٠) من الدستور المصري لعام ٢٠١٤ على "ينتخب رئيس الجمهورية لمدة أربع سنوات ميلادية تبدأ من اليوم التالي لانتهاء مدة سلفه ولا يجوز إعادة انتخابه الا مرة واحدة" كذلك نجد ان المشرع المصري قد اتجه مع اغلب دساتير العالم بتحديد مدة تولي السلطة بأربع سنوات مع عدم جواز انتخابه لأكثر من دورتين.
- مجلس النواب:- نص الدستور المصري لعام ٢٠١٤ في المادة (١٠٦) على "مدة عضوية مجلس النواب خمس سنوات ميلادية، تبدأ من تاريخ أول اجتماع له. ويجري انتخاب المجلس الجديد خلال الستين يوما السابقة على انتهاء مدته". كذلك نجد ان المشرع المصري في هذا النص قد حدد مدة تولي العضوية في مجلس النواب وهي خمس سنوات ولم يحدد عدد مرات تولي في المجلس باستثناء ما ورد في المادة (١١٧) والتي تضمنت ما يلي أن من صب رئيس المجلس أو وكيله لا يجوز انتخابهم لأكثر من فصلين تشريعين متتاليين^(١١).

الفرع الثاني: وسائل التداول السلمي للسلطة

من اجل تحقيق التداول السلمي للسلطة لا بد من ممارسته بإحدى الوسائل السلمية المنصوص عليها وفق الدستور , وهذه الوسائل تتمثل بالانتخاب , والاستفتاء :-
أولاً: الانتخاب ودوره في تداول السلطة سلمياً

١- معنى الانتخاب ومقوماته

أ - معنى الانتخاب

لا وجود للديمقراطية الحقيقية بدون وجود انتخابات حرة نزيهة، إذ تعد الانتخابات من اهم الوسائل التي يمكن من خلالها تداول السلطة سلمياً واختيار الحكام وهي الوسيلة الاساسية للديمقراطية النيابية ويمكن اعطاء معنى الانتخاب بصور مختلفة فمنهم من عرفه بأنه "الوسيلة الاساسية لأسناد وتداول السلطة في النظم الديمقراطية النيابية، إذ يقوم الناخبون بممارسة حقهم في اختيار من يمثلهم في المؤسسات الحاكمة" هذا من الناحية الموضوعية، إما من الناحية الشكلية فقد عرفه البعض الآخر بأنه "مجموعة القواعد التي تحدد الاشخاص الذين يملكون حق الاشتراك في تكوين الهيئات الحاكمة في الدولة، وكذلك كيفية اجراء الاقتراع وقرار نتائجه"، وهذه الناحية تمثل البعد الابرز في العملية الانتخابية، إذ يغلب عليها الطابع الاجرائي بشكل كبير في حين ركز جانب من الفقه على الجمع بين البعدين العضوي (الشكلي) والموضوعي (المادي) للانتخاب فعرّفه بأنه "الوسيلة الاساسية الوحيدة لأسناد السلطة في النظم الديمقراطية

١٠- ينظر: المواد (٢، ٢٢) من دستور الولايات المتحدة الامريكية المعدل عام ١٧٨٩.

١١- ينظر: المواد (١٠٦، ١١٧، ١٤٠) من دستور جمهورية مصر العربية لعام ٢٠١٤.

المعاصرة من ناحية، ولتحقيق حق المشاركة في الحياة السياسية من جانب افراد الشعب من ناحية اخرى" (١٢).

ومما تقدم يمكن القول بأن الانتخاب هو عبارة عن وسيلة اساسية لتداول السلطة سلميا في الانظمة الديمقراطية النيابية ويكون بموجب تلك الوسيلة الشعب مصدر السلطات.

ب - مقومات الانتخاب

لا تجري الانتخابات بطريقة واحدة في جميع الدول، بل توجد انظمة انتخابية مختلفة، وهنا تكتسب دراسة نوعية النظم الانتخابية وصلاحياتها اهمية كبيرة في ايجاد تداول سلمي حقيقي للسلطة إذ نجد ان اهم النظم الانتخابية المعروفة في العالم هي الاولى في الانتخاب المباشر وغير المباشر، إذ اختلف الفقه في تقديره فمنهم من امتدح نظام الانتخاب المباشر كون الشعب يمارسه دون وساطة احد، واعتبروا الاقتراع غير المباشر اقل ديمقراطية من الاقتراع المباشر كونه يقر صر دور المحكومين على انتخاب فئة محدودة تكون بيدهم مهمة اختيار اعضاء البرلمان. إما النظام الثاني فهو الانتخاب الفردي والانتخاب بالقائمة، مكان تقدير الفقه لمزايا وعيوب هذين النظامين على اساس صغر المنطقة الانتخابية في الانتخاب الفردي وكبرها في الانتخاب بالقائمة، ف صغر الدائرة الانتخابية يجعل الناخبين على دراية كاملة بالمرشحين مما يؤثر في اختيار الافضل، كذلك يضمن نوعا من التمثيل للأحزاب الصغيرة وبالتالي يوسع دائرة التداول السلمي للسلطة، في حين نظام الانتخاب بالقائمة يضعف تمثيل الاحزاب الصغيرة ويؤهل الأحزاب القوية مما يؤدي الى استئثارهم بالسلطة وتعويق عملية التداول السلمي.

إما فيما يتعلق بالنظام الانتخابي الثالث فهو الانتخاب بالأغلبية والانتخاب بالتمثيل النسبي، فقد انتقد جانب من الفقه نظام الاغلبية على اساس انه يؤدي الى ظلم حزب الاقلية ويجابي حزب الأكثرية، وبالمقابل امتدح نظام التمثيل النسبي كونه اكثر الانظمة الانتخابية تحقيقا للعدالة، كذلك من مقومات النظام الانتخابي الصالح هي عمومية الانتخاب والترشيح الذي لا يستبعد اي شخص من الاقتراع بسبب ثروته أو دينه أو شهادته أو اصله أو حرفته مع الفرض في المساواة من اختيار المرشحين الذي يعطي الحق في الترشيح لجميع المواطنين مع ضمان حرية الانتخابات ونزاهتها^(١٣).

٢ - دور الانتخاب في تداول السلطة سلمياً

يلعب الانتخاب دورا مهما واساسيا في تداول السلطة سلميا، كون تلك الوسيلة تعد سلاحا بيد الشعب ضد الاستبداد والدكتاتورية والاستئثار بالسلطة، كونه لا يمثل اختيار شخص فحسب، وانما يمثل اختيار برنامج معين واتجاه معين واهداف معينة، وبما ان النظام الانتخابي له علاقة تكاملية مع النظام السياسي فإنه بالضرورة يؤثر على الاحزاب السياسية سلبا ام إيجابا، ومن حيث الزيادة بتوزيعها أو عددها أو من حيث تضيقها يخرج باستنتاجات مشتركة ورؤية واحدة في اقامة حكم ديمقراطي قائم على مبدأ

١٢- د. رائد حمدان المالكي، التداول السلمي للسلطة في الانظمة الدستورية الوضعية، ط١، دار السنهوري، لبنان - بيروت، ٢٠١٦، ص ١٤٠ وما بعدها.
١٣- المصدر السابق، ص ١٤٦ وما بعدها.

التداول السلمي للسلطة هذا من جهة، ومن جهة أخرى يعد الانتخاب الطريق الأمثل لتأكيد سيادة الشعب في ظل تعذر ممارسته للسلطة بنفسه، لذا عد الانتخاب عمود الديمقراطية النيابية فليس بإمكان الشعب ممارسة السلطة بشكل مستمر إلا عن طريق نواب وممثلين عنه، وليس بإمكان هؤلاء النواب والممثلين تولي الحكم إلا عن طريق اختيار الشعب لهم، إذن فإن الانتخاب هو وسيلة الشعب لممارسة السلطة وسبيل الحكام لتوليها^(١٤).

ثانياً: الاستفتاء ودوره في تداول السلطة سلمياً

١ - معنى الاستفتاء ومقوماته

أ - معنى الاستفتاء

يمثل الاستفتاء ممارسة ديمقراطية يمكن من خلالها ان يمارس الشعب ادواراً مختلفة كونه صاحب السيادة في الاصل فيكون اخذ رأي الشعب في انشاء دستور جديد للبلاد يسمى (بالاستفتاء الدستوري)، إما موضوع اخذ رأي الشعب حول قانون معين يسمى (بالاستفتاء التشريعي)، كذلك هناك استفتاء آخر يسمى (بالاستفتاء السياسي) ويتعلق بالمواضيع السياسية فمثلاً يصوت الشعب في حل النزاع بين الحكومة والبرلمان، فضلاً عن ذلك فإن هناك استفتاء يتعلق بتقرير مصير الاقليم الذي يقطن عليه الشعب المستفتي بالضم أو الانفصال، أو يكون موضوعه يتعلق بشخص الرئيس أو الحاكم وهو ما يسمى بالاستفتاء (الرئاسي أو الشخصي)^(١٥)، فالاستفتاء في معناه الاصطلاحي هو عرض موضوع عام على الشعب لأخذ رأيه فيه بالموافقة أو الرفض، أو هو طلب الرأي من المواطنين في شأن من الشؤون العامة المتصلة بالسلطة أو الحكم^(١٦)، أو هو عرض موضوع على الشعب بمفهومه السياسي لغرض معرفه وجه النظر فيه^(١٧).

ومما تقدم يمكن القول أن الاستفتاء هو احد الوسائل الديمقراطية التي يتم من خلالها الرجوع الى الشعب واخذ رأيه في اي شأن من الشؤون العامة المهمة في الدولة.

ب - مقومات الاستفتاء

لكي يكون الاستفتاء صحيحاً هناك جملة من المقومات يجب توافرها في الاستفتاء منها عامة وأخرى خاصة، فالأولى تتمثل بكفالة حرية الافراد بالقدر الكافي من الحريات السياسية في الاستفتاء في جو من الديمقراطية السلمية بعيداً عن الدكتاتورية، كذلك من مقومات الاستفتاء بشكل عام وجود الوعي الشعبي فالاستفتاء الحقيقي يلزم وجود شعب واعى وعارف ما يحققه، مع وجوب ضمان حرية ونزاهة عملية الاستفتاء، إما عن المقومات الخاصة للاستفتاء فتتمثل بإقرار حق الترشيح لجميع المواطنين، إذ لا يمكن الاعتراف بالاستفتاء كوسيلة للتداول السلمي للسلطة ما لم يكن للشعب دوراً في اسنادها، كذلك وجوب

١٤ - المصدر السابق، ص ١٧٤.

١٥ - د. ماجد راغب الحلو، الاستفتاء الشعبي والشريعة الاسلامية، دار الجامعة للطباعة، بيروت، ٢٠٠٥، ص ١٠.

١٦ - د. رائد حمدان المالكي، مصدر سابق، ص ١٧٩.

١٧ - د. حميد حنون، الانظمة السياسية، مؤسسة العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، بلا سنه طبع، ص ٣٤.

اقتراح الاستفتاء بمدة تولي السلطة كونها شرطاً ضرورياً لتداول السلطة سلمياً، وقد سبق الحديث عنها مع ضرورة خضوع الاستفتاء للرقابة لكي تكون نتائجه مقبولة^(١٨).

٢- دور الاستفتاء في تداول السلطة سلمياً

لعب الاستفتاء دوراً مهماً في عملية تولي السلطة من جهة وانتهاء ولاية القابضين عليها من جهة أخرى، كونه يتفق مع الفكرة الديمقراطية، ولعل ابرز صوره لتولي السلطة عن طريق الاستفتاء وهو منصب رئاسة الدولة وهذا ما يطلق عليه الفقه بالاستفتاء الشخصي، وبرز هذا الاستفتاء لأول مرة في فرنسا عام ١٨٠٤ واعتمد فيها عندما طرح اسم نابليون ليكون امبراطوراً فتم موافقه الشعب على ذلك، وتلا ذلك الاستفتاء استفتاء اخر سنة ١٨٥٢، إذ تم اختيار نابليون الثالث امبراطوراً على فرنسا. فالاستفتاء الشخصي لعب دوراً مهماً منذ عام ١٧٩٩، إذ جرى استفتاء الشعب الفرنسي على مشروع دستور السنة الثامنة والذي كان ينص في المادة (٣٩) منه على تكوين الحكومة من ثلاثة قناصل، وتلاه استفتاء سنة ١٨٥٢، واستفتاء ١٨٠٤، إما في المنطقة العربية فقد شهدت كذلك دوراً مهماً للاستفتاء وذلك في اسناد السلطة لرئيس الدولة وتنظيم اكثر وضوحاً، فقد شهدت مصر منذ عام ١٩٥٦ وحتى عام ٢٠٠٥، والعراق في ظل دستور ١٩٧٠ بعد تعديله عام ١٩٩٥، وسوريا بموجب دستورها المؤقت عام ١٩٧١، وتونس بموجب دستورها ١٩٥١، إما على مستوى البرلمانات كذلك لعب الاستفتاء دوراً في تكوين بعض المجالس النيابية ابان النظام الفاشي في ايطاليا عام ١٩٢٨ وعام ١٩٣٨^(١٩).

وما تقدم يمكن القول أن الاستفتاء قد لعب دوراً مهماً في ابراز صورة التداول السلمي للسلطة سواء من جهة تولي المناصب أو انائها وهو يأتي بالمرتبة الثانية بعد الانتخاب كوجه اخر للتداول السلمي للسلطة.

المطلب الثاني: موقف دستور العراق لعام ٢٠٠٥ من التداول السلمي للسلطة

لبيان موقف دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥ من التداول السلمي للسلطة يتطلب منا الوقوف على معرفة موقف ديباجة الدستور في الفرع الأول، ومن ثم موقف متن الدستور في الفرع الثاني وفق التفصيل الآتي :-

الفرع الأول: موقف ديباجة دستور العراق لعام ٢٠٠٥

يقسم فقهاء القانون الدستوري الوثيقة الدستورية الى قسمين، المقدمة (الديباجة) و (المتن)، وفي الوقت الذي يتضمن فيه متن الدستور على الاحكام والمواد الخاصة بالحقوق والحريات، وتنظيم سلطات الدولة، وتحديد العلاقة بينهما، فمقدمة الدستور تبني على اساس احتواء المبادئ والاسس التي يقوم عليها النظام السياسي، والاهداف التي يسعى المجتمع لتحقيقها، وبالرغم من الاتجاهات الفقهية في تحديد طبيعة مقدمة الدستور ومدى الزاميته ما تتضمنه من اسس ومبادئ، فأنا الرأي الراجح يذهب الى ان مقدمة

١٨- د. شمران حمادي، النظم السياسية، ط٤، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٧٥، ص١١٣.

١٩- د. رائد حمدان المالكي، المصدر السابق، ص١٧٨.

الدستور هي جزء من الدستور وبالتالي تتمتع بالقوة الالزامية نفسها التي يتمتع بها بقية اجزاء الدستور، ومن ثم فإن ما يرد في المقدمة من مبادئ واسس واحكام تعد ملزمة لسلطات الدولة خاصة السلطات التشريعية التي يجب أن لا تخالف مبادئ الدستور فيما تصدره من تشريعات^(٢٠)، وبالرجوع الى ديباجة دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥، نجد ان المشرع العراقي قد اقر صراحة مبدأ التداول السلمي للسلطة، إذ جاء على النحو الاتي "نحن ابناء وادي الرافدين.... لم توقفنا الطائفية والعنصرية من ان نسير معاً لتعزيز الوحدة الوطنية وانتهاج سبيل التداول السلمي"^(٢١).

ويتضح مما تقدم أن المشرع الدستوري قد اقر مفهوم التداول السلمي للسلطة بشكل واسع وشامل، ويرجع سبب رغبة المشرع في ذلك المفهوم الى رفض التاريخ السياسي العراقي الذي احتكر السلطة على طائفة معينة وفرد معين، أو قومية أو عشيرة واحدة، والقضاء على الاستئثار بالسلطة والتأكيد على مبدأ الشراكة الوطنية وتعزيزها. كذلك نجد ان المشرع الدستوري العراقي قد سلك مسلك الدساتير المعاصرة الحديثة التي نصت في تشريعاتها على مبدأ التداول السلمي للسلطة واعتناق مبادئ الدولة القانونية الديمقراطية، والحفاظ عليها من خلال النص عليها في قواعد الدستور.

الفرع الثاني: موقف متن دستور العراق لعام ٢٠٠٥

فضلا عن الاقرار الصريح لمبدأ التداول السلمي للسلطة، في ديباجة دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥، فقد تضمن الدستور في مواده تأكيداً على مبدأ التداول السلمي للسلطة، إذ نصت المادة (٤٩/أولاً) على "يتكون مجلس النواب من عدد من الاعضاء بنسبة مقعد واحد لكل مائة الف نسمة من نفوس العراق يمثلون الشعب العراقي بأكمله، يتم انتخابهم بطريقة الاقتراع العام السري المباشر، ويراعى تمثيل سائر مكونات الشعب فيه".

من خلال هذه المادة نجد انها قد حرصت عملية تولي السلطة التشريعية عن طريق الانتخاب الذي يعد الوسيلة الاساسية للتداول السلمي للسلطة، وهذا يشير ضمناً لمبدأ التداول السلمي للسلطة، كذلك نصت المادة (٦١/ثالثاً) على "يختص مجلس النواب /ثالثاً/ انتخاب رئيس الجمهورية". كذلك نجد ان تولي منصب رئيس الجمهورية ايضا بيد ممثلي الشعب وهو اختصاص حصري لهم، وبدورهم يمثلون ارادة فترجع زمام الامور الى الشعب في اسناد منصب رئيس الجمهورية. كذلك نصت المادة (٧٠/أولاً) من الدستور على "ينتخب مجلس النواب من بين المرشحين رئيساً للجمهورية بأغلبية ثلثي عدد اعضائه" وهنا تأكيد على اختيار رئيس الجمهورية وتولي سلطته بيد ممثلي الشعب فهو سبيله في الوصول اليها، إما ما يخص تولي منصب رئيس مجلس الوزراء فقد نصت المادة (٧٦/أولاً) على "يكلف رئيس الجمهورية مرشح الكتلة النيابية الاكثر عددا بتشكيل مجلس الوزراء خلال خمسة عشر يوماً من تاريخ انتخاب رئيس الجمهورية". كذلك نصت الفقرة الثالثة من المادة نفسها على "يكلف رئيس الجمهورية مرشحاً جديداً لرئاسة مجلس الوزراء خلال خمسة عشر يوماً عند اخفاق رئيس مجلس الوزراء المكلف في تشكيل الوزارة

٢٠- المصدر السابق، ص ١٠٢.

٢١- ينظر:- ديباجة دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥.

خلال المدة المنصوص عليها في البند ثانياً من هذه المادة"، فضلاً عن ذلك فقد اشترط الدستور ان يكون مجلس الوزراء حائزاً على ثقة مجلس النواب بالفقرة الرابعة من المادة اعلاه بقولها "يعرض رئيس مجلس الوزراء المكلف اعضاء وزارته والمنهاج الوزاري على مجلس النواب ويعد حائزاً ثقتها عند الموافقة على الوزراء منفردين والمنهاج الوزاري بالأغلبية المطلقة".

ومما تقدم يمكن القول ان مبدأ التداول السلمي للسلطة ورد ضمناً في المواد (٤٩/أولاً، و٦١/ثالثاً، و٧٠/أولاً، و٧٦/أولاً، وثالثاً ورابعاً)، إذ نجد في ذلك ان تولي السلطة التشريعية بيد الشعب وكذلك تولي السلطة التنفيذية بيد ممثلي الشعب وهذا يعطي للدستور الوجه الاكمل للديمقراطية السليمة، فضلاً عن ذلك نشر الى ان دستور ٢٠٠٥ في المادة (١٤٤) نص على "ويعد هذا الدستور نافذاً بعد موافقة الشعب عليه بالاستفتاء العام ونشره في الجريدة الرسمية وتشكيل الحكومة بموجبه"، وهذا ما يدل ايضاً ان شكل الدولة ونظام الحكم فيها المتمثلة في دستور ٢٠٠٥ قد تم اخذ رأي الشعب فيه كنظام سياسي مما يعزز دور الشعب وارادته في عملية ادارة الدولة، وقد اضافته الدستور بالمادة (١٤٢/١ ثالثاً) "تطرح المواد المعدلة من قبل مجلس النواب وفقاً لما ورد في البند (ثانياً) من هذه المادة على الشعب للاستفتاء عليها خلال مدة لا تزيد على شهرين من تاريخ اقرار التعديل في مجلس النواب"، كذلك اكدت الفقرة الرابعة من المادة المذكورة انفا على "يكون الاستفتاء على المواد المعدلة ناجحاً بموافقة اغلبية المصوتين، وإذا لم يرفضه ثلثي المصوتين في ثلاث محافظات أو أكثر" ومن هنا نجد مبادئ تكميلية لحماية مبدأ التداول السلمي وهذا ما يدل ان طريقتي الانتخاب والاستفتاء قد وردتا في صلب الدستور لتعزيز النظام الديمقراطي والذي يعد التداول السلمي للسلطة الركن الاساس فيها.

المبحث الثاني: ضمانات ومعوقات التداول السلمي في دستور العراق

لعام ٢٠٠٥

اعتمد دستور العراق لعام ٢٠٠٥ النظام الجمهوري البرلماني رسمياً، وذلك في المادة الأولى منه، إذ نصت على "جمهورية العراق دولة اتحادية واحدة مستقلة ذات سيادة كاملة، نظام الحكم فيها جمهوري نيابي برلماني ديمقراطي، وهذا الدستور ضامن لوحدة العراق". وكون مبدأ التداول السلمي للسلطة هو احد المبادئ والاركان الاساسية للنظام الجمهوري البرلماني فالدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ قد تضمن العديد من الضمانات التي تكفل حمايته، لكن ما جرت عليه الممارسة السياسية وتأثيرها على مبدأ التداول السلمي جعلت هناك العديد من المعوقات التي ادت الى عرقلة ذلك المبدأ، وللوقوف على تلك الضمانات والمعوقات سوف نقسم هذا المبحث على مطلبين نتناول في الأول الضمانات، إما في الثاني فنستخلصه لبيان المعوقات وفق التفصيل الاتي:-

المطلب الأول: الضمانات

الى جانب ما ذكرنا من ضمانات في بحثنا هذا والمشار اليها في المبحث الأول المطلب الثاني الواردة في ديباجة الدستور ومتمته، فهناك ضمانات اخرى يمكن تقسيمها على ثلاث فروع، الأول يتناول الضمانات القانونية، والثاني تناول الضمانات السياسية، والثالث خصص لبيان الضمانات الاخرى.

الفرع الأول: الضمانات القانونية

ان دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥ قد اقر جملة من الضمانات القانونية من اجل حماية التداول السلمي للسلطة وتتمثل هذه الضمانات بالاتي:-

أولاً:- اقرار مبادئ حماية التداول السلمي للسلطة في الدستور

إنَّ بمجرد الاقرار الصريح والضمني لمبدأ التداول السلمي في قواعد الدستور، هو ضمانه قانونية كلياً كون تلك القواعد تكون في قمة الهرم القانوني في الدولة، إذ تشكل هذه القواعد سداً منيعاً بوجه السلطتين التشريعية والتنفيذية من سن اي قانون، أو اي عمل تنفيذي يتعارض مع المبادئ التي اكدها الدستور واهها مبدأ التداول السلمي للسلطة، فنجد اول الضمانات القانونية التي يضمنها الدستور، وفق ما اشارت اليه المادة الأولى منه المذكورة انفاً بأن جمهورية العراق دولة اتحادية نظام الحكم فيها جمهوري نيابي ديمقراطي، كذلك ما نصت عليه المادة الثانية (أولاً/ب) بقولها "لا يجوز سن اي قانون يتعارض مع مبدأ الديمقراطية" فهذا النص يؤكد على المنع بأي شكل من الاشكال من اصدار اي قانون ينتهك مبدأ التداول السلمي للسلطة، فضلاً عن ذلك نجد ان الدستور في المادة الخامسة منه قد اكد على "ان السيادة للقانون والشعب مصدر السلطات وشرعيتها ويمارس الاقتراع السري العام المباشر". و من خلال هذا النص يتضح لنا ان الشعب هو مصدر السلطة والتداول السلمي حصراً بيده وسيمارس ذلك عن طريق الوسيلة الاساسية له وهي الانتخاب، اضافة الى ذلك نجد ان الدستور قد اورد في المادة (٥٠) منه على تأدية اليمين الدستوري لأعضاء السلطة الاتحادية في العراق للحفاظ على سلامة النظام الديمقراطي الاتحادي في العراق (٢٢).

ثانياً:- تحديد النطاق الزمني لتداول السلطة

١- تحديد النطاق الزمني لتداول السلطة التشريعية

إنَّ المادة (٤٨) من دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥ قد اشارت الى ان السلطة التشريعية الاتحادية تتكون من مجلسين هما مجلس النواب ومجلس الاتحاد، إذ نجد ان الدستور قد حدد في المادة (٥٦) منه المدة الزمنية لتولي السلطة التشريعية، إذ تضمن بان تكون الدورة الانتخابية لمجلس النواب اربع سنوات تقويمية تبدأ بأول جلسة وتنتهي نهاية السنة الرابعة، فنجد ان النص المذكور جاء منسجماً مع اغلب الدساتير الديمقراطية التي حددت مدة تولي السلطة التشريعية وهو ما يؤكد ضمانه مبدأ التداول السلمي للسلطة. إما ما يخص بعدد مرات تولي السلطة التشريعية فقد جعلها الدستور مطلقة بشرط الفوز، أي عدم تحديد عدد مرّاتها، ونجد ان عدم تحديد عدد مرات تولي السلطة هو امرٌ طبيعيٌ يجعل من يتولى السلطة التشريعية يعمل بكامل امكانياته لكي يكسب ثقة الشعب مجدداً كونه سوف ترجع زمام الامور الى الشعب كل اربع سنوات لتقرير مصيره بالفوز بدورة اخرى من عدمها.

إما ما يخص مجلس الاتحاد فلم يوضح المشرع الدستوري في تشكيله وتحديد صلاحياته باستثناء ما ذكر بالمادة.

٢- تحديد النطاق الزمني لتولي السلطة التنفيذية

إنَّ السلطة التنفيذية في الانظمة البرلمانية تتكون من منصب رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء، إذ اشارة المادة (١/٧٢) من الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ على تحديد مدة تولي السلطة في منصب رئيس الجمهورية هي اربع سنوات بقولها "تحدد ولاية رئيس الجمهورية بأربع سنوات ويجوز اعادة انتخابه لمرة ثانية فحسب". وكذلك نجد ان المشرع الدستوري حدد دورات رئيس الجمهورية يجب ان لا تتجاوز دورتين، وهنا نجد ضمانا اخرى لمبدأ التداول السلمي في منصب رئيس الجمهورية بتقيده بمدة توليه السلطة وهي بأربع سنوات وتحدد عدد مراتها بدورتين فحسب بشرط الفوز، إما في حال خلو منصب رئيس الجمهورية لأي سبب كان فأضافة المادة المذكورة بالفقرة (٢) بأنه يتم انتخاب رئيس جديد لإكمال المدة المتبقية لولاية الرئيس المنتخب لكن لم تشرح المادة ماهي المدة التي يقضيها الرئيس الجديد، وبهذا نجد ان هناك نقضا تشريعيا يجب معالجته مستقبلاً من قبل المشرع الدستوري.

إما فيما يتعلق بالنطاق الزمني لتولي منصب رئيس مجلس الوزراء فقد اشار ضمنا الى ان المدة الزمنية لرئيس الوزراء هي اربع سنوات، إذ نجد ذلك في المادة (٧٦) التي تضمنت بأنه يكلف رئيس الجمهورية الكتلة النيابية الاكثر عددا بتشكيل مجلس الوزراء خلال خمسة عشر يوما من تاريخ انتخاب رئيس الجمهورية، وهنا يتضح بأن مدة تولي رئاسة مجلس الوزراء هي ذاتها مدة تولي رئاسة الجمهورية، والسبب هو موجود ضمنا ويفهم من خلال تقييد تشكيل مجلس الوزراء بتكليف من رئيس الجمهورية.^(٢٣)

إما فيما يخص تحديد عدد مرات تولي السلطة في منصب رئيس مجلس الوزراء فلم نجد نصاً يشير الى ذلك، الا ان هناك قانون سنه مجلس النواب رقم ٨ لسنة ٢٠١٣ يتضمن تحديد عدد مرات تولي رئيس مجلس الوزراء للسلطة، لكنه لم يصرح بالنور بعد ^(٢٤)، على الرغم من نشره في الجريدة الرسمية ^(٢٥)، إذ تم الطعن به امام المحكمة الاتحادية العليا وقررت المحكمة عدم دستوريته ^(٢٦)، وبقي من صلب رئيس مجلس الوزراء غير محدد عدد مراته.

الفرع الثاني: الضمانات السياسية

إلى جانب الضمانات القانونية التي وضعها الدستور لحماية مبدأ التداول السلمي للسلطة توجد ايضا ضمانات سياسية وهي تتمثل بالاتي :-

أولاً:- التعددية السياسية

تباين انظمة الحكم تبعاً لتباين اراء وافكار المجتمع، فبعضهم يعتقد انه بالإمكان توحيد الاختلاف وحل التناقضات والتغلب عليها، ومن ثم، لا حاجة بأي نوع من انواع التعددية، بينما يذهب البعض الاخر الى القول أن هذه الخلافات والتناقضات لا تحل، وان حلها قد يولد تناقضات جديدة تتجدد

٢٣- ينظر: المواد (٤٨، ٥٦، ٧٢، ٧٦) من دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥.

٢٤- ينظر: قانون تحديد ولاية رئيس الجمهورية ورئيس مجلس النواب ورئيس مجلس الوزراء رقم ٨ لسنة ٢٠١٣.

٢٥- ينظر: جريدة الوقائع العراقية بالعدد ٤٢٧٨ في ٨/٤/٢٠١٣.

٢٦- ينظر: قرار المحكمة الاتحادية العليا رقم ٦٤ / اتحادية / ٢٠١٣ في ٢٦ / ٨ / ٢٠١٣.

وتتبدل باستمرار وفي مثل هذه الحالة يقبل بالمجتمع التعددية بكل ما تفرضه في المجال السياسي (٢٧) فمثلاً النظام السياسي في الفكر الشيوعي يركز على فلسفه مادية معينه يحمي بها الطبقة العاملة ويقيد انفس الرأسمالية تبعاً لظروف المجتمع في حينها عندما قبض على مقاليد الحكم (٢٨)، ولوضوح ضعف الموقف الذي تبنته النظم الماركسية الشيوعية لكن يعترف بأن طريق مواجهة التناقضات الموجودة في المجتمع خاصة في المجال السياسي هو اقرار للتعددية السياسية في اطار منظم. ومن هنا يمكن أن نرصد وجود التعددية السياسية بشكل عام والتعددية الحزبية بشكل خاص بمبدأ تداول السلطة سلمياً وتأثيرها في جوانب متعددة (٢٩)، منها ان اقرار التعددية السياسية وقبول تعدد الاتجاهات السياسية يستدعي الاعتراف بحق تلك الاتجاهات في الوصول الى السلطة وتداولها مع الآخرين وفقاً لإحكام الدستور، ومن ثم، فإن التعددية ليس لها معنى اذا لم يكفل الدستور تداول السلطة سلمياً، ومنها ان وجود تعددية حزبية حقيقية من شأنه ان يسمح بتنافس فعلي بين الاحزاب ذات التوجهات المتباينة، فإذا ما وضع هذا التنافس في الاطار القانوني الديمقراطي المتمثل بصيغ الانتخابات، فإن تجرئته الاساسية ستكون تداولاً سلمياً من حزب الى اخر أو من زعيم الى اخر، وهو ما يظهر ارتباطاً وثيقاً بين ظاهرة المجتمع التعددي وبين الانتخابات التنافسية من جهة اخرى (٣٠)، وهنا نجد ان الضمانة السياسية الاساسية هي التعددية الحزبية بمفهوم التنافس السياسي الحقيقي وفي الاطار الديمقراطي الذي يبرز فيه مبدأ التداول السلمي بمفهومه السليم وهذا يجتمع على وجود شعب سياسي واعى يؤمن بالمبدأ المذكور ويؤمن بالمعارضة السياسية الحقيقية، وتبادل السلطة والمعارضة بشكل تنافسي متأرجح فتارة يكون في جانب السلطة وتارة اخرى يكون بجانب المعارضة حسب الهدف المرسوم له، اضافة الى ذلك فإن الضمانات السياسية لمبدأ التداول السلمي هو الاعتراف بالحقوق السياسية التي يراى بها اتاحة فرصة المشاركة لمن تتوافر فيه شروط الناخب في الانتخاب والاستفتاء وكذلك حق الترشيح لتولي السلطة، فضلاً عن ذلك فقد كفل دستور العراق لعام ٢٠٠٥ حرية تأييد الاحزاب والجمعيات السياسية وحرية الانضمام اليها، وكذلك حق المشاركة للمواطنين رجالاً ونساء في الشؤون العامة والتمتع بالحقوق السياسية بما فيها حق التصويت والانتخاب والترشيح (٣١).

ثانياً: - الرقابة السياسية

تتعدد الوسائل السياسية التي تسهم في حماية مبدأ التداول السلمي واهمها تتمثل بالأحزاب السياسية المعارضة ومنظمات المجتمع المدني، ثم الرأي العام، إذ ان النظم الديمقراطية في العالم تقوم على مبدأين اساسيين هي مبدأ تعدد الاحزاب ومبدأ تداول السلطة سلمياً، و المبدأ الأول هو ضامن للمبدأ الثاني كشرط من شروط التداول السلمي، إما دور الاحزاب السياسية المعارضة التي تقع خارج المجالس النيابية فلها دور رقابي مؤثر في مساءلة هيئات السلطة لا يقل اهمية عن دورها داخل المجالس النيابية، إذ تستطيع

٢٧- د. رائد حمدان المالكي، المصدر السابق، ص ١٨٥ وما بعدها.

٢٨- د. رائد حمدان المالكي، مصدر سابق، ص ١١٥.

٢٩- محمد باقر الصدر، فلسفتنا، ط ١، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، طهران- ايران، ٢٠١٢، ص ٢٦ وما بعدها.

٣٠- د. رائد حمدان المالكي، المصدر السابق، ص ١١٦ وما بعدها.

٣١- ينظر: المواد (٣٠، ٢٠) من دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥.

عن طريق وسائل الاعلام المختلفة تسليط الضوء على الاعمال والتصرفات التي من شأنها ان تعيق من عملية تداول السلطة سلمياً أو الانتقاص منها، ومن ثم، اثاره الرأي العام ضد تلك التصرفات، مما يجعلها ادارة رادعة وضاغطة لتقوم وتسديد العملية الديمقراطية من الصعوبة تجاهلها، وهذا بالتأكيد سيؤدي الى الحد من طغيان السلطة واستبدادها. لذلك فإن الحزب يحظى بهذه الاهمية وهو في المعارضة فان وجوده في الحكم لا ينفي أو يلغي تأثيره على من يباشرون السلطة وان كانوا من قادة الحزب أو من انصاره، لأنه يعلم وعلى يقين ان بقاءه اطول مده ممكن في الحكم مرهون بحسن اداة الحكومة وصدق تنفيذها للبرنامج الحكومي والذي عرضه اثناء الحملات الانتخابية هذا من جانب، ومن جانب اخر هناك دور لمنظمات المجتمع المدني المختصة بحماية حقوق الانسان ومبادئ الديمقراطية والتي تقوم بالدور الاساس بالدفاع ضد اي انتهاك للمبادئ الدستورية ومنها مبدأ التداول السلمي، إذ يقع على كاهل تلك المنظمات توعية الرأي العام وتبصير الافراد بالحقوق القانونية المكفولة والوقوف بوجه كل من يتعرض لها. فضلاً عن ذلك فهناك دور آخر له قوة وتأثير في النظام السياسي بصورة عامة وعملية التداول السلمي بصورة خاصة، خاصة في النظم الديمقراطية، إذ يقف الرأي العام بوجه الاستبداد بالسلطة وطغيانها ويقوم بوضع اي انتهاك أو انحراف في عمليتها ونظامها الديمقراطي، ومن المعروف ان الرأي العام يعبر عنه بوسائل متعددة مثل وسائل الاعلام المختلفة، كالصحف، والتلفزيون، والراديو، والسينما والمسرح، كما يعطي دافعاً كبيراً على معالجة انحراف السلطة وخاصة الوقوف ضد الاستئثار بها ودعم عملية التداول السلمي لها (٣٢).

الفرع الثالث: الضمانات الاخرى

تقوم معظم الانظمة الحديثة على الفصل بين السلطة المدنية والسلطة الحكومية واخضاع الاخر للأول، وقد تحقق الفصل بينهما بحصر المؤسسة العسكرية في اماكن معينة وكذلك تنظيمها وتشبيدها بواسطة قوانين خاصة، إذ جرت العادة على اللجوء الى الجيش في بعض الحالات الاستثنائية كحالة الطوارئ والحصار (٣٣)، وهنا نجد ان فصل المؤسسة المدنية عن المؤسسة العسكرية جاء بمهدف حماية النظام الديمقراطي والابتعاد عن التجارب السابقة التي سادت التاريخ السياسي بتولي السلطة حكام عسكريين استبدوا بها، فبالنسبة لموقف المشرع العراقي كان موقفاً بالنص بشكل صريح على خضوع المؤسسة العسكرية لسيطرة السلطة المدنية، إذ اشار الى ان القوات المسلحة العراقية والاجهزة الامنية تخضع لقيادة السلطة المدنية (٣٤)، الى جانب ذلك فقد أكد دستور العراق لعام ٢٠٠٥ في المادة (٩/أولاً/ج) على منع العسكريين من التدخل في شؤون السلطة وذلك بالقول "لا يجوز للقوات المسلحة العراقية وافرادها، وبضمنهم العسكريون العاملون في وزارة الدفاع أو اي دوائر ومنظمات تابعة لها، الترشيح في انتخابات لأشغال مراكز سياسية، ولا يجوز لهم القيام بحملات انتخابية لصالح مرشحين فيها ولا المشاركة في غير ذلك من الاعمال التي تمنعها انظمة وزارة الدفاع ويشمل عدم الجواز هذا انشطة الافراد المذكورين انفاً التي يقومون بها بصفتهم الشخصية أو الوظيفية دون ان يشمل ذلك حقهم بالتصويت بالانتخابات".

٣٢- د. حميد حنون خالد، حقوق الانسان، دار السنهوري، بيروت، ٢٠١٥، ص ٢٦٨ وما بعدها.

٣٣- د. رائد حمدان، مصدر سابق، ص ١٢٤.

٣٤- ينظر: المادة (٩/أولاً/أ) من دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥.

مما تقدم نجد ان هذا النص قد أصرَّ لمنع العسكريين من الانتماء للأحزاب السياسية ومنعهم من اشغال مناصب سياسية وكذلك الترشيح لها، اضافة الى ذلك فقد منعهم من التدخل في شؤون الانتخابات، وهذا المنع يأتي من اجل المحافظة على النظام السياسي من مخاوف العسكريين وتاريخهم في الوصول الى السلطة وكذلك للمحافظة على المؤسسات العسكرية وجعلها فوق الميول والاتجاهات ومنع الاحزاب السياسية من استغلال امكانيات تلك المؤسسات لصالحها، ومن ثم، يحقق هدفين الأول الحفاظ على تداول السلطة سلمياً، والثاني الحفاظ على المؤسسة العسكرية.

المطلب الثاني: معوقات التداول السلمي في دستور ٢٠٠٥

هناك مجموعه عوامل تقف عائقاً في عملية التداول السلمي في النظام الدستوري العراقي منها ما يتعلق بالأمور القانونية، ومنها ما يتعلق بالأمور السياسية وهناك عوامل اخرى تتعلق بالأمور الاقتصادية والاجتماعية والطائفية، وكل هذه العوامل تكون بالغة الاهمية في الانظمة السياسية التي تتبنى عملية التداول السلمي، فلها دورٌ سلمي قد يقف عائقاً في تداول السلطة في العراق، إذ تعاقبت على العراق ازمان متتالية من استشرء الفساد الذي نجد صورته واضحة في مؤسسات الدولة والبيئة والمجتمع، والذي انعكس سلباً على الوضع الامني وسوء الخدمات مع ارتفاع الاسعار وبطالة متفشية، وسوء توزيع الموازنة العامة وتنظيم ابوابها ادى الى تفاوت في توزيع الثروة بين الناس، فكل هذه الابعاد وغيرها من شأنها ان تكون عملية التداول السلمي في العراق. وللوقوف بشكل تفصيلي على ذلك سنقسم هذا المطلب على ثلاثة فروع يتناول الأول بيان المعوقات القانونية، والثاني المعوقات السياسية، إما الفرع الثالث سنخصصه لبيان المعوقات الاخرى وفق التفصيل الاتي:-

الفرع الأول: المعوقات القانونية

ان المعوقات القانونية للتداول السلمي للسلطة تتمثل بجانبين الأول يتمثل بضعف التوازن بين السلطات ، والثاني يتعلق بضعف النظام الانتخابي:-

أولاً:- ضعف التوازن بين السلطات

ان التوازن بين السلطات يقوم على اساس مسؤولية السلطة التنفيذية امام السلطة التشريعية، وصلاحيه سحب الثقة عن الحكومة يقابلها حق السلطة التنفيذية بحل البرلمان والدعوة الى انتخابات بصورة استثنائية^(٣٥)، وقد جرت العادة في النظام البرلماني هو ان تولد الحكومة من رحم البرلمان، ويعد هذا النظام هو النموذج الامثل للكلام عن توازن السلطات^(٣٦)، وقد فسر نظام التوازن بين السلطتين التشريعية والتنفيذية بأنه تبادل للوظائف والرقابة، ففي احيان كثيرة تعطي الدساتير البرلمانية لكلا السلطتين مجموعة من الوظائف والتي بموجبها تهدف الى تحقيق التوازن بينهما اي ان الدساتير تمنح السلطة التشريعية حق الرقابة على السلطة التنفيذية في حالة تعسف الاخير أو مخالفة الدستور، فمن حق السلطة الأولى

٣٥- د. عصام سليمان، الانظمة البرلمانية بين النظرية والتطبيق (دراسة مقارنة)، ط ١، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠١٠، ص ٣١.
٣٦- د. علي يوسف الشكري، اختلال التوازن لصالح السلطة التنفيذية في العراق، ط ١، الذاكرة للتوزيع والنشر، بغداد، ٢٠١٦، ص ٢٧.

(التشريعية) تقرير مسؤولية السلطة الثانية (التنفيذية) وسحب الثقة عنها، وفي المقابل فأن منح السلطة التنفيذية حل السلطة التشريعية في حالة تعسفها أو تعنتها ازاء السلطة التنفيذية^(٣٧)، وتتجلى العلاقة بين توازن السلطات وعملية التداول السلمي في صلب النظام البرلماني الذي يتخذ من مبدأ الفصل بين السلطات وهو يعد ركيزة اساسية لتحقيق اهدافه^(٣٨)، وطبقاً لأحكام الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ فقد اشار الى مبدأ الفصل بين السلطات كخطوة للتخلص من مبدأ وحدة السلطات ذات الوظائف الثلاث التي كرسست الاستبداد السياسي^(٣٩)، اضافة الى ذلك نجد ان الدستور قد نص على تكوين السلطة التشريعية من مجلسين وهما مجلس النواب ومجلس الاتحاد^(٤٠)، ومن هنا نجد في هذا المبدأ انسجماً داخل السلطة التشريعية، لكن المشرع الدستوري ترك عملية تشكيل مجلس الاتحاد امر مرهون بقانون يسنه مجلس النواب بأغلبية ثلثي اعضائه وهنا دلالة واضحة على عدم التوازن داخل السلطة التشريعية فضلاً عن ذلك فقد اجل المشرع الدستوري العمل بتشريع قانون مجلس الاتحاد بعد انتهاء الدورة الانتخابية (٢٠٠٥-٢٠٠٩) ولحد الان لم يشرع القانون الخاص بمجلس الاتحاد^(٤١)، إما ما يخص التوازن في السلطة التنفيذية فله مدلولان، الأول القدرة على التصدي للأزمات التي تقع في الأقاليم، والثاني هو وقوفها على قدم المساواة مع البرلمان الاتحادي^(٤٢) فنجد اشارة الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ الى "حل مجلس النواب بالأغلبية المطلقة لعدد اعضائه بناء على طلب من قبل ثلث اعضائه أو طلب من رئيس مجلس الوزراء وبموافقة رئيس الجمهورية..."^(٤٣).

ومما تقدم يمكن القول أن تقوية السلطة التشريعية على حساب السلطة التنفيذية بحل مجلس النواب يؤدي الى حصول اختلال في التوازن بين السلطتين مما يؤدي الى تقويض عملية التداول السلمي كون تلك العملية من اهدافها ومقوماتها التوازن بين السلطات وهذا ما يقودنا الى القول بعدم وجود توازن بين السلطات في دستور ٢٠٠٥ وهذا يتعارض مع النظام الديمقراطي.

ثانياً:- ضعف النظام الانتخابي

ادى ضعف النظام الانتخابي في العراق المعروف بطريقة سانت ليغو الى تعددية حزبية واسعة النطاق اثرت سلباً على عمل المجالس النيابية وفاعلية اداائها، وتفاقم هذا الامر عندما لا نجد نسبة محددة تكون معياراً قانونياً لاستبعاد الكيانات التي لم تحصل عليها النسبة المحددة من التنافس على مقاعد الدائرة النيابية عندما توزعها على القوائم الفائزة وذلك للقضاء على التعددية السياسية المضرة بالنظام العام البرلماني التي بموجبها قد تؤخذ اصوات المواطنين دون موافقتهم من المرشح فيعد ذلك خرقاً للنظام الدستوري وبالوقت

٣٧- د. علي سعد عمران، الحدود الدستورية لحل البرلمان، ط١، دار الرضوان للنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٦، ص ١١-١٢.

٣٨- د. عدنان عاجل عبيد، مآل النظام الاتحادي في العراق، بحث منشور في مجلة القانون المقارن، العدد ٢٥، ٢٠٠٨، ص ١٦.

٣٩- ينظر: المادة (٤٧) من دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥.

٤٠- ينظر: المادة (٤٨) من دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥.

٤١- ينظر: المواد (١٣٧، ٦٥) من دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥.

٤٢- د. ساجد محمد الزامل، القانون الدستوري والنظام السياسي، ط١، دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٤، ص ٤٤٨.

٤٣- ينظر: المادة (٦٤/أولاً) من دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥.

نفسه معوقاً لعملية التداول السلمي الذي يعد فيها صلاحية النظام الانتخابي شرطاً أساسياً لها. وهذا ما حدث في العراق حين وصل اشخاص الى السلطة بطريقة نقل اصوات عدد من الناخبين لهم دون ان ينتخبوهم وادى ذلك الى تشويه العملية الديمقراطية في العراق^(٤٤).

الفرع الثاني: المعوقات السياسية

تتمثل المعوقات السياسية للتداول السلمي للسلطة بضعف التنظيم الحزبي، وضعف المعارضة الحزبية:-
أولاً:- ضعف التنظيم الحزبي

لاشك ان اي دولة من دول العالم لا بد لها من وجود تنظيم يطلق عليه اسم الحزب يكون بمثابة الواجهة التي يمكن من خلالها التعرف على شكل النظام السياسي في تلك الدولة، فالتنظيم الحزبي هو الاطار أو المنهج الذي يتخذه الحزب في تحقيق الاهداف التي ينشدها^(٤٥)، وبالرجوع الى اهم عناصر الحزب السياسي، نجد أنه يتمحور في عنصر التنظيم وهو البرنامج الذي يرتبط بسياسات الحزب وهدفه في الوصول الى السلطة وتنفيذ برنامجه السياسي^(٤٦)، إذ ان اهم العوامل التي تؤثر في التنظيم الحزبي هي درجة وعي الشعب ودرجة تطور الحزب عن المراحل السابقة^(٤٧)، فضلاً عن وجود ايدولوجية تجسد مشروعه السياسي، إذ يتطلب ذلك تعريف الاشخاص بأفكار الحزب وتفاصيل المشروع السياسي من خلال اقامة الندوات والمظاهرات وتوزيع المنشورات^(٤٨)، ويسعى اعضاءه للوصول الى السلطة من خلال العملية الانتخابية حتى ينفذ برنامجه الذي يتبناه^(٤٩)، فلا يتحقق التداول السلمي للسلطة إذا كان تنظيم الحزب تنظيمياً ضعيفاً لا يقوم على اساس الايمان بذلك المبدأ وكذلك الايمان بالمبادئ الديمقراطية الاخرى داخل الحزب كاختيار رئيس الحزب والاعضاء وتنوع الاهداف وعدم تمهيش المرأة والشباب في المشاركة فيه واحتكار السلطة، إذ ان ضعف التنظيم الحزبي له تأثير فعال في عرقلة مبدأ التداول السلمي للسلطة، إذ ادى ذلك الضعف الى عدم تمكين الحزب من العمل بفعالية من اجل تحقيق اهدافه بالوصول الى السلطة وتنفيذ برنامجه السياسي^(٥٠) هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى فأّن الحزب يعكس ما يدور داخله من اهداف ومبادئ فاذا غابت اهداف الديمقراطية والتداول السلمي للسلطة على المستوى الداخلي للحزب فأّن ذلك الحزب لا يستطيع تحقيق مبادئ الديمقراطية والتداول السلمي للسلطة، فكيف يحقق ذلك وهو قائم على التهميش والاقصاء^(٥١)، إما فيما يتعلق بالعراق وبعد صدور قانون الاحزاب السياسية رقم ٣٦ لسنة ٢٠١٥ وتأكيده على تجنب الميل العنصري والطائفي والقومي، وكذلك تأكيده على اعتماد

٤٤- د. شمران حمادي، الاحزاب السياسية والنظم الحزبية، ط١، دار السلام، بغداد، ١٩٧٢، ص ٦٠.

٤٥- ينظر: المصدر السابق، ص ٦٠.

٤٦- د. ناجي عبد النور، المدخل الى علم السياسة، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٠، ص ١٦٣.

٤٧- د. اسماعيل الغزال، الدساتير والمؤسسات السياسية، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٦، ص ٢٢٢.

٤٨- د. جواد الهنداوي، القانون الدستوري والنظم السياسية، ط١، مؤسسة العرف للطباعة والنشر، ٢٠١٠، ص ٨٩.

٤٩- د. عامر فاخوري، الاحزاب السياسية ودورها في الحياة الديمقراطية، بحث منشور في مجلة الدراسات القانونية والسياسية، العدد التجريبي، ٢٠٠٤، ص ٩٠.

٥٠- د. سعاد الشرفاوي، الاحزاب السياسية (اهميتها، نشأتها، نشاطها)، بلا مكان نشر، ٢٠٠٥، ص ١٥.

٥١- د. فوزي حسين سلمان، مبدأ التداول للسلطة وافتاق وتطبيقه في العراق، المجلة الأكاديمية العراقية (مجلة جامعة تكريت)، ٢٠٠٦، ص ٥٠.

الاساليب والاليات الديمقراطية في اختيار القيادات الحزبية^(٥٢)، الا ان الواقع يشير عكس ما تنبناه هذه الاحزاب في انظمتها الداخلية، إذ نجد ان الزعامة في هذه الاحزاب دائمة والوجود القيادية متكررة، ووجود عجز واضح لهذه الاحزاب في استقطاب مختلف الشرائح والمكونات، وتغليب المصالح الشخصية على حساب الاهداف، وهذا ما نجده قد يؤثر سلباً على عملية التداول السلمي للسلطة، فضلاً عن عدم وجود قواعد مستقرة للعملية الديمقراطية.

ثانياً: - ضعف المعارضة السياسية

إن من بين اهم المعوقات التي تعمد التداول السلمي للسلطة، هو عدم الاعتراف بوجود معارضة سياسية تحقق التوازن السياسي وتقف بوجه الاستبداد بالموقف المضاد، وتؤمن بعملية التداول السلمي للسلطة^(٥٣)، فضلاً عن ذلك فأنا المعارضة السياسية تعمل على الوصول الى السلطة عبر الانتخابات^(٥٤)، فهي لا تكتفي بتوجيه الانتقادات الى الحكومة، بل تتعداها الى اعداد وصياغة هذه الانتقادات ضمن خطة متكاملة واضحة في برنامجها السياسي لأجل الوصول الى هذا الهدف واقناع المواطنين بها، وان تكون بديلاً للسياسة المتبعة من قبل السلطة الحاكمة، ولكي يجوز برنامج المعارضة ثقة الشعب لا بد من ان يكون ذلك البرنامج قابلاً للتحقيق ومتم صفاً بالواقعة والطموح نحو تحقيق التغيير الذي يرغب فيه المواطنون^(٥٥)، إما في العراق فالوضع مختلف، إذ تكون المعارضة السياسية ضعيفة نسبياً، وذلك لان الكتل البرلمانية الكبيرة قد استحوذت على المناصب السيادية في مؤسسة الرئاسة ومؤسسة البرلمان، ومن ثم، بقيت الكتل البرلمانية الصغيرة التي لا تملك الاغلبية المطلقة في مجلس النواب لا تستطيع في اعماله ومواقفه، وبقيت السيطرة للكتل الكبيرة وحدها^(٥٦).

ومما تقدم يمكن القول أن انعدام المعارضة السياسية على ارض الواقع ادى الى ضعف التداول السلمي للسلطة وبقيت الاحزاب السياسية الكبيرة نفسها والوجه تكررت ذاتها ووصول اشخاص الى السلطة ليس لهم ثقل سياسي وشعبي وهذا ما يبنى بسلطة التوافقات السياسية والاتفاقات الجانبية وهو مالا يحقق لمبادئ الديمقراطية وعملية التداول السلمي.

الفرع الثالث: المعوقات الأخرى

قد يعتري التداول السلمي للسلطة إلى جانب المعوقات القانونية والسياسية معوقات أخرى تتعلق بضعف العوامل الاجتماعية والاقتصادية هذا من جانب , ومن جانب آخر تتعلق بالطائفية :-

٥٢- ينظر: المادة (٥/ أولاً) والمادة (٦) من قانون الاحزاب رقم ٣٦ لسنة ٢٠١٥.
٥٣- حسين ظاهر، معجم المصطلحات السياسية الدولية (عربي، انكليزي، فرنسي)، مجلة المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٣، ص ٣٥٧.
٥٤- ورقاء محمد كريم، دور المعارضة السياسية في النظام السياسي العربي، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠٠٨، ص ١٧.
٥٥- سريست مصطفى رشيد، المعارضة السياسية والضمانات الدستورية لعملها (دراسة قانونية سياسية تحليلية مقارنة)، ط ١، مطبعة خاني، دهوك، ٢٠١١، ص ٧١.
٥٦- د. علي هادي الشكرائي، النظم السياسية المعاصرة، مكتبة دار السلام القانونية، النجف الاشرف، ٢٠١٤، ص ٣٠٤.

أولاً: - ضعف العوامل الاجتماعية والاقتصادية

للعوامل الاجتماعية والاقتصادية اثر بالغ في النهوض في البلدان من شتى انواع الظلم والاضطهاد والتخلص من الانتهاكات المستمرة للحقوق والحريات، فقد اشار دستور العراق لعام ٢٠٠٥ الى تركيبة المجتمع العراقي من القوميات المتعددة والمذاهب والاديان والعشائر والقبائل، وافر بأن الاسرة هي اساس المجتمع والزم الدولة بالحفاظ على كيانها، إذ تعد هذه العوامل هي تركيبة المجتمع الاجتماعية^(٥٧)، إذ ان توزيع الولاءات على اساس الانتماء الذاتي بعيداً عن الانتماء الوطني ادى الى ضعف هيكلية المجتمع العراقي، ومن ثم، يؤثر ذلك على عملية التداول السلمي^(٥٨)، كذلك نجد ان العوامل الاقتصادية صاعدة قد لعبت دوراً في التأثير على ارادة الناخبين، فانتشار البطالة وعدم توفير فرص العمل واهمال القطاع الخاص، وارهاق القطاع الحكومي بكم من الموظفين واستغلال الوظائف من قبل الاحزاب وفرض الرسوم والضرائب ؛ صورة مضاعفة كل ذلك أثر تأثيراً مباشراً على ارادة الناخب في تغيير الحكم^(٥٩)، إذ نجد ترددي الواقع الخدمي من سوء الكهرباء وازمة السكن ادى الى حصول مظاهرات كبيرة في اغلب المحافظات العراقية للمطالبة بتحسين الواقع الخدمي وذلك في عام ٢٠١٥، إذ نرى ان تلك المظاهرات تكاد تكون قد افقدت شرعية الحكومة، لأن الشعب مصدر السلطات وشرعيتها^(٦٠).

وخلاصة ما تقدم يمكن القول ان العوامل الاقتصادية والاجتماعية لها تأثير في عملية التداول السلمي للسلطة وعدم الاهتمام بها يؤدي الى تعويق هذا المبدأ.

ثانياً: - الطائفية

بدأت بذور الطائفية في العراق عندما قام الحاكم المدني بعد عام ٢٠٠٣ بول بريمر بتقسيم السلطة على اساس طائفي ومناطقي، وزج التفرقة السياسية بشكل تكتلات تمثلت بأن تكون رئاسة المجلس التشريعي للطائفة السنية، ورئاسة السلطة التنفيذية للطائفة الشيعية، ورئاسة الجمهورية للأكراد، ومن هنا بدأت الصورة المشوهة للعملية الديمقراطية في العراق، إذ حصلت تشوهات في دستور العراق لعام ٢٠٠٥، فأصبح ملغماً بالعصبية الفتوية التي تتحكم بمشاعر الافراد وسلوكهم بعيداً عن الوطنية والمصالح المشتركة العامة للأفراد، وتبعاً لذلك اخذت التيارات الحزبية السياسية تنحرف بالعملية الديمقراطية وخاصة عندما اصبحت تمتلك وتحتضن فصائل عسكرية مسلحة تؤمن بالمحاصصة الطائفية والوحدوية والفتوية^(٦١). مما تقدم يمكن القول أن الصراعات الطائفية ادت الى تشكيل حكومات توافقية انشغلت بتقسيم المناصب والسيطرة عليها، مما ادى الى خروج حكومات غير منسجمة واصبحت العملية الديمقراطية تتجنب الصواب، ومن ثم، ادى ذلك الى جعل الطائفية معوقاً في تداول السلطة.

٥٧- ينظر: المواد (٢، ٣، ٩، ٤٥ / ٤٥) ثانياً) من دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥.

٥٨- عبد العظيم جبر حافظ، الفيدرالية في العراق الموقوت والمحكمات، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ٢٠١٧، ص ٤٠.

٥٩- د. احمد فاضل باسم، التحولات السياسية في البلدان العربية (دراسة تحليلية)، بحث منشور في مجلة العلوم السياسية، جامعة بغداد، العدد ٤٧، ٢٠١٣، ص ٧٥ وما بعدها.

٦٠- ينظر: المادة (٥) من دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥.

٦١- فلاح مطرود مزعل، توازن السلطة وفعالية النظام السياسي في دستور العراق لعام ٢٠٠٥، رسالة ماجستير، بغداد، ٢٠١٧، ص ١٩٧ وما بعدها.

الخاتمة

أوضحنا في بحث مفهوم التداول السلمي للسلطة بين المعوقات والضمانات وموقف دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥ بأن هذا الموضوع له أهمية كبيرة في وقتنا الحالي كونه يمثل ضمانا أساسيا ضد الاستبداد والطغيان وضد الفكر الدكتاتوري الذي دائما يخلف الدمار في المجتمعات بصورة عامة ويمثل انتهاكا كبيرا لحقوق الانسان وحرياته إذ يمكن تلخيص أبرز النتائج والتوصيات وفق الآتي:-

أولاً: النتائج

١. أوضحت الدراسة ان مبدأ التداول السلمي للسلطة هو الركن الاساسي في الانظمة الديمقراطية.
٢. اوضحت الدراسة ان ضمان هذا المبدأ هو ضمان لحقوق الانسان وحرياته ضد التعسف في استعمال السلطة وطغيانها ضد الشعوب.
٣. اتضح لنا ان ضمانات هذا المبدأ هو التعددية الحزبية واشراك الشعب في عملية اختيار حكاهم وتوقيت مدة تولي السلطة وتحديد عدد مراتها.
٤. ان دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥ يفتقر الى التوازن داخل السلطة التنفيذية وكذلك داخل السلطة التشريعية وبين السلطتين.
٥. اتضح لنا ان التعددية الحزبية المفرطة تمثل معوقا من معوقات التداول السلمي للسلطة.
٦. اتضح لنا في دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥ انه قد تبني مبدأ التداول السلمي للسلطة من خلال النص عليه صراحة وضمنا في ديباجة الدستور ومواده.

ثانياً: التوصيات

١. نقترح على المشرع العراقي بضرورة اقرار مجلس الاتحاد وجعله متوازنا مع مجلس النواب بهدف تحقيق مبدأ التداول السلمي للسلطة بصورة صحيحة.
٢. نوصي المشرع العراقي بضرورة اقرار قانون الاحزاب للابتعاد عن التعددية الحزبية المفرطة التي تشكل معوقا للتداول السلمي.
٣. نوصي بتقرير مسؤولية رئيس السلطة التنفيذية بقرار من المحكمة الاتحادية العليا بدلا من مجلس النواب للحفاظ على التوازن القانوني والابتعاد عن الخلافات السياسية.
٤. نوصي بضرورة تعريف مصطلح القوات المسلحة والجهزة الامنية كونه جاء بصورة واسعة في المادة التاسعة من الدستور والتشديد على موضوع عدم جواز انتماء افراد تلك المؤسسات الى الاحزاب والجمعيات السياسية.

المصادر

أولاً: الكتب

١. اسماعيل الغزال، الدساتير والمؤسسات السياسية، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٦، ص ٢٢٢.

٢. جواد الهنداوي، القانون الدستوري والنظم السياسية، ط١، مؤسسة العرف للطباعة والنشر، ٢٠١٠.
٣. حميد حنون، الانظمة السياسية، مؤسسة العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، بلا سنه طبع.
٤. حميد حنون خالد، حقوق الانسان، دار السنهوري، بيروت، ٢٠١٥.
٥. رائد حمدان المالكي، التداول السلمي للسلطة في الانظمة الدستورية الوضعية، ط١، دار السنهوري، لبنان- بيروت، ٢٠١٦.
٦. رفعت عبد سعيد، تداول السلطة داخل الاحزاب السياسية (دراسة تطبيقية على بعض الاحزاب المصرية)، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٥.
٧. ساجد محمد الزامل، القانون الدستوري والنظام السياسي، ط١، دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٤.
٨. سريست مصطفى رشيد، المعارضة السياسية والضمانات الدستورية لعملها (دراسة قانونية سياسية تحليلية مقارنة)، ط١، مطبعة خاني، دهوك، ٢٠١١.
٩. شمران حمادي، الاحزاب السياسية والنظم الحزبية، ط١، دار السلام، بغداد، ١٩٧٢.
١٠. شمران حمادي، النظم السياسية، ط٤، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٧٥.
١١. عبد الغني بسيوني، الانظمة السياسية، منشأة المعارف، الاسكندرية، بلا سنه طبع.
١٢. صام سليمان، الانظمة البرلمانية بين النظرية والتطبيق (دراسة مقارنة)، ط١، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠١٠.
١٣. علي سعد عمران، الحدود الدستورية لحل البرلمان، ط١، دار الرضوان للنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١٦.
١٤. علي هادي الشكراوي، النظم السياسية المعاصرة، مكتبة دار السلام القانونية، النجف الاشرف، ٢٠١٤.
١٥. علي يوسف الشكري، اختلال التوازن ل صالح السلطة التنفيذية في العراق، ط١، الذاكرة للتوزيع والنشر، بغداد، ٢٠١٦.
١٦. ماجد راغب الحلو، الاستفتاء الشعبي والشرعية الاسلامية، دار الجامعة للطباعة، بيروت، ٢٠٠٥.
١٧. محمد باقر الصدر، فلسفتنا، ط١، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، طهران- ايران، ٢٠١٢.
١٨. محمد رفعت عبد الوهاب، الانظمة السياسية، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٥.
١٩. ناجي عبد النور، المدخل الى علم السياسة، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٠.
٢٠. هادي نعيم المالكي، المدخل لدراسة القانون الدولي لحقوق الانسان، ط١، منشورات زين الحقوقية، بيروت، ٢٠١١.
٢١. وليد بيطار، المدخل الى علم السياسة، ج١، المؤسسة الحديثة للكتاب، بيروت، ٢٠١٤.

ثانياً: البحوث والدوريات

١. احمد فاضل باسم، التحولات السياسية في البلدان العربية (دراسة تحليلية)، بحث منشور في مجلة العلوم السياسية، جامعة بغداد، العدد ٤٧، ٢٠١٣.

٢. حسين ظاهر، معجم المصطلحات السياسية الدولية (عربي، انكليزي، فرنسي)، مجلة المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٣.
٣. عامر فاحوري، الاحزاب السياسية ودورها في الحياة الديمقراطية، بحث منشور في مجلة الدراسات القانونية والسياسية، العدد التجريبي، ٢٠٠٤.
٤. عدنان عاجل عبيد، مآل النظام الاتحادي في العراق، بحث منشور في مجلة القانون المقارن، العدد ٢٥، ٢٠٠٨.
٥. فوزي حسين سلمان، مبدأ التداول للسلطة وفاق وتطبيقه في العراق، المجلة الأكاديمية العراقية (مجلة جامعة تكريت)، ٢٠٠٦.

ثالثاً: الرسائل والاطاريح

١. احمد ايمن السنوسي، مبدأ التداول على السلطة في التشريعات الجزائرية، رسالة ماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية، الجزائر، ٢٠١٦.
٢. عبد العظيم جبر حافظ، الفيدرالية في العراق المعوقات والمحكمات، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ٢٠١٧.
٣. فلاح مطرود مزعل، توازن السلطة وفاعلية النظام السياسي في دستور العراق لعام ٢٠٠٥، رسالة ماجستير، بغداد، ٢٠١٧.
٤. وراق محمد كريم، دور المعارضة السياسية في النظام السياسي العربي، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠٠٨.

رابعاً: الدساتير

١. دستور الولايات المتحدة الامريكية المعدل عام ١٧٨٩.
٢. دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥.
٣. دستور جمهورية مصر العربية لعام ٢٠١٤.

خامساً: القوانين

١. قانون الاحزاب العراقي رقم ٣٦ لسنة ٢٠١٥.
٢. قانون تحديد ولاية رئيس الجمهورية ورئيس مجلس النواب ورئيس مجلس الوزراء رقم ٨ لسنة ٢٠١٣.

سادساً: الاعلانات والمواثيق الدولية

١. الاعلان العالمي لحقوق الانسان لعام ١٩٤٨.

حماية حقوق المرأة في اتفاقية سيداو والبروتوكول الملحق بها

Protecting the womens Rights in Sedaw Agreement and its supplement protocol

م.م سعاد عبد الكاظم عبد الحميد^(١)

Suaad Abdulkadhim Abdulhameed

الملخص

بدأ الاعتراف بحقوق المرأة وكرامتها الإنسانية ومساواتها بالرجل في الحقوق والواجبات يتبلور مع إنشاء منظمة الأمم المتحدة عام (١٩٤٥)، إذ رسخت حقوقها في وثائق دولية عامة وخاصة، ورغم التقدم المحرز في ميدان حقوق المرأة إلا أن التمييز ما زال قائماً ضدها مما دفع الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى اعتماد إعلان القضاء على التمييز ضد المرأة لعام ١٩٦٧ الذي أكد بأن التمييز ضد المرأة يمثل إجحافاً أساسياً واهانة للكرامة الإنسانية. وقد توجت الجهود الدولية للأمم المتحدة بإبرام الاتفاقية الدولية للقضاء على التمييز ضد المرأة في عام ١٩٧٩ والتي دخلت حيز النفاذ في عام ١٩٨١ وذلك من خلال إرساء قواعد قانونية لحماية حقوق المرأة وأقرت مبدأ عدم التمييز ومبدأ المساواة بوصفهما المبدأين الحاكمين لكل ما تشتمل عليه الاتفاقية من أحكام والتزامات، وقد الحق بالاتفاقية البروتوكول الاختياري كآلية من الآليات القانونية والذي يعد خطوة هامة في تعزيز اجراءات الحماية للحقوق الواردة فيها فضلاً عن ما يتمتع به من أهمية وأحكام. كما فرضت الاتفاقية حزمة من الالتزامات الدولية والقتها على عاتق الدول الأطراف فيها، ولغرض دراسة التقدم المحرز في تنفيذها أنشأت الاتفاقية لجنة القضاء على التمييز ضد المرأة كجهاز للرقابة والإشراف.

١ - المعهد التقني كربلاء/الوحدة القانونية.

Abstract

The recognition of women's rights, human dignity and equal rights with men began to take shape with the establishment of the United Nations in 1945, as its rights were enshrined in international public and private documents. Despite progress in the field of women's rights, The United Nations adopted the Declaration on the Elimination of Discrimination against Women of 1967, which affirmed that discrimination against women was a fundamental injustice and an insult to human dignity. The international efforts of the United Nations culminated in the 1979 International Convention on the Elimination of Discrimination against Women, which entered into force in 1981 through the establishment of legal norms for the protection of women's rights and recognized the principle of non-discrimination and the principle of equality as the governing principles of all the provisions and obligations of the Convention , The Optional Protocol to the Convention was recognized as a mechanism of legal mechanisms and an important step in strengthening the protection procedures for the rights contained therein as well as the importance and provisions of the Convention. The Convention also imposed a series of international obligations on States parties, and for the purpose of examining progress in their implementation, the Convention established the Committee on the Elimination of Discrimination against Women as an oversight and oversight body.

المقدمة

تعد المساواة بين الجنسين من المبادئ الأساسية للقانون الدولي لحقوق الإنسان، ومثابة حجر الزاوية للدول كافة والنظم الديمقراطية وبدونها ينتفي معنى أصالة تلك الحقوق وينهار كل مدلول للحرية، أي إن لكل من المرأة والرجل حقوقاً وهذا بحذ ذاته أمر طبيعي ولا فرق بينهما بسبب الجنس أو الدين أو العقيدة.

وقد شهد المجتمع الدولي تطوراً واضحاً وملموساً منذ إنشاء منظمة الأمم المتحدة عام (١٩٤٥) في مجال توفير الحماية الدولية لحقوق الإنسان بوصفه من الأهداف الرئيسة التي تسعى المنظمة إلى تحقيقها وتوالت الجهود الدولية للأمم المتحدة من أجل القضاء على التمييز ضد المرأة والعمل على تحسين وضعها وحمايتها وكفالة تمتعها بحقوق الإنسان وحياته الأساسية على نحوٍ مكافئ مع الرجل وقد بلغت تلك الجهود الحثيثة ذروتها بإبرام الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة عام ١٩٧٩ ودخلت حيز النفاذ عام ١٩٨١ ويطلق عليها اختصاراً اسم (سيداو) (CEDAW) وتعد الاتفاقية نقطة تحول في تاريخ الاعتراف بأصالة حقوق المرأة الإنسانية وتهدف إلى إحداث نقلة نوعية في أوضاع المرأة في العالم، إلا أنها ركزت على موضوع التمييز ضد المرأة وقامت بوضع التدابير والحلول والاجراءات التي يجب

على الدول اتخاذها من أجل القضاء على التمييز ضد المرأة واعتبرت بمثابة تشريع دولي شامل للمعايير والاجراءات القانونية لحمايتها.

أنشأت الاتفاقية هيئة مستقلة من الخبراء وهي لجنة القضاء على التمييز ضد المرأة الغرض منها دراسة التقدم المحرز في تنفيذ الاتفاقية بعدها جهازاً للرقابة والإشراف في سبيل تفعيل دور اللجنة وقد الحق بالاتفاقية البروتوكول الاختياري وبموجبة منحت اللجنة اختصاصاً دولياً تعترف به الدول الأطراف ويعمل على تنفيذ الاتفاقية ويناط بها اتخاذ إجراءات فعالة لمنع وقوع انتهاكات لحقوق المرأة وحرياتهما الأساسية والمحاسبة عليها إذا حدث بما يضمن عدم التمييز ضدها بسبب نوع الجنس، وفرضت الاتفاقية التزامات تقع على عاتق الدول الأطراف بتنفيذها وسمحت بإبداء التحفظات على موادها وقد انضم إلى الاتفاقية عدد كبير من الدول بما فيها الدول العربية مع أبداء على موادها

المبحث الأول: اتفاقية سيداو والبروتوكول الملحق بها

تشكل اتفاقية سيداو علامة فارقة في تاريخ الحقوق الإنسانية للمرأة وعملت على تحقيق المساواة بين الجنسين والقضاء على كل أشكال التمييز والتمييز الذي يهمن في هذا المبحث هو الإجابة عن الأسئلة التالية:

كيف نشأت هذه الاتفاقية؟ وماهي المبادئ الحاكمة بها؟ ماذا أضاف البروتوكول الاختياري؟ هذا ما سنبحثه في هذا المبحث وسنقسمه على مطلبين وعلى النحو الآتي:

المطلب الأول: نشأة اتفاقية سيداو.

المطلب الثاني: البروتوكول الاختياري الملحق بالاتفاقية.

المطلب الأول: نشأة اتفاقية سيداو

شهد النصف الثاني من القرن العشرين اهتماماً دولياً بحقوق المرأة والأدل على ذلك رعاية الأمم المتحدة للعديد من الإعلانات والاتفاقيات الدولية لحماية حقوق الإنسان وحظيت المرأة فيها بمكانة هامة وأكدت على احترام حقوق الإنسان، وحظرت التمييز بجميع أشكاله بوجه عام، بينما حظرت اتفاقية سيداو والتمييز ضد المرأة بشكل خاص فيها وهذا ما سنبحثه في هذا المطلب المقسم على فرعين هما:

الفرع الأول: الجهود الدولية الرامية لإبرام اتفاقية سيداو.

الفرع الثاني: المبادئ الحاكمة لاتفاقية سيداو

الفرع الأول: الجهود الدولية التي سبقت إبرام اتفاقية سيداو

عُدَّ اعتماد الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٧٩ اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة تنويعاً لعقود من الجهود الدولية الرامية إلى حماية حقوق الإنسان في العالم وكان ذلك نتيجة لمبادرات

لجنة وضع المرأة التابعة للأمم المتحدة، هذه الهيئة التي تم إنشاؤها داخل منظومة الأمم المتحدة عام ١٩٤٦^(١).

طلب الأمين العام في عام ١٩٧٢ من لجنة وضع المرأة أن تستطلع آراء الدول الأعضاء فيما يتعلق بشكل ومضمون صك دولي يحتمل وضعه بشأن حقوق المرأة، وفي العام التالي عيّن المجلس الاقتصادي والاجتماعي فريقاً عاملاً للنظر في إعداد الاتفاقية وفي عام ١٩٧٤ بدأت اللجنة بصياغة اتفاقية بشأن القضاء على التمييز ضد المرأة^(٢)، وكان لقرار الجمعية العامة في اعتبار عام ١٩٧٥ عامّاً دولياً للمرأة قراراً مهماً في تكريس العمل على تشجيع المساواة بين الرجل والمرأة وضمان الإدماج التام للمرأة في الجهود الإنمائي وزيادة إسهامها في تعزيز السلم العالمي.

كانت ذروة العام الدولي للمرأة انعقاد المؤتمر الخاص بالمرأة في مدينة (مكسيكو سيتي) عام ١٩٧٥ وأقر المؤتمر عدة قرارات وتضمنت جملة مبادئ منها تحقيق المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة والقضاء على أي شكل من أشكال التمييز على أساس الجنس وعلى مساواة الرجل والمرأة في جميع الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وأعلنت الجمعية العامة بأن المدة (١٩٧٦-١٩٨٥) تمثل العام الدولي للمرأة لتحقيق (المساواة والمحبة والسلام)^(٣)، وعملت لجنة وضع المرأة في إعداد وثيقة القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة ما بين عامي (١٩٧٦-١٩٧٩).

تم إقرار الاتفاقية التي أصبحت تعرف باسم (سيداو) من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام ١٩٧٩ إذ صوتت (١٣٠) دولة لصالحها فيما امتنعت (١٠) دول عن التصويت وتبنت الجمعية العامة الاتفاقية بالقرار المرقم ٣٤ / ١٨٠ وقد وقعت (٦٤) دولة على الاتفاقية في مؤتمر كوبنهاجن في السابع عشر من تموز عام ١٩٨٠ ودخلت حيز النفاذ في الثالث من ايلول عام ١٩٨١^(٤)، بعد تلقي التصديقات العشرين اللازمة^(٥).

العربية صادقت عليها (٢٠) دولة أو انضمت إليها والتزمت بها وكانت مصر هي أول الدول العربية التي صادقت عليها تلتها اليمن وتونس والعراق وليبيا وقد جاءت هذه التصديقات قبل عام ١٩٩٠ أما آخر الدول التي صادقت أو انضمت إليها هي موريتانيا والبحرين وسوريا والأمارات العربية وعمان وقطر^(٦)، اما فلسطين فقد انضمت إليها بعد عام ٢٠١٤^(٧).

٢- هيفاء أبو غزالة، مؤشرات كمية ونوعية لاتفاقية للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (سيداو) منظمة المرأة العربية، دار نوبار، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٩، ص ١١١-١١٢.

٣- ماجدة علي ملا صادق، حقوق المرأة العاملة في المواثيق الدولية والتشريعات الداخلية، منشأة، المعارف، الاسكندرية، ٢٠١٣، ص ١٠٩.

٤- منال فنجان علك، مبدأ عدم التمييز في القانون الدولي والشرعية الإسلامية، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية القانون، ٢٠٠١، ص ٨٢-٨٣.

٥- دينا أبو الحسن، لماذا سيداو، الرابط الإلكتروني: <http://www.abwab.eu>. الاحد ٢٥/٥/٢٠١٧ الساعة ٣:٣٠ pm.

٦- هالة سعيد تبسي، حقوق المرأة في ظل اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (سيداو)، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ط ١، ٢٠١١، ص ٥٨.

٧- سامية بورية، الاجتهادات القضائية العربية في تطبيق الاتفاقيات الدولية للحقوق الإنسانية للمرأة (الأردن، تونس، العراق، فلسطين، المغرب، لبنان، الجزائر) الجزائر، ٢٠١٦، ص ٢٦.

٨- هيفاء أبو غزالة، المصدر السابق، ص ٨.

الدول الإسلامية التي انضمت إلى الاتفاقية هي باكستان وبنغلادش وتركيا وماليزيا واندونيسيا كما إن هناك دولاً غير إسلامية لم تصادق على الاتفاقية هي سويسرا والولايات المتحدة الأمريكية والكاميرون وأفريقيا الوسطى وليسوتو وهناك دول لم تنضم إليها بالأساس هي إيران والسودان والصومال وتونغا والجزير بالإنشارة أيضاً بأن الكرسي الرسولي لم تنضم إليها وأبدى عدد من الدول تحفظات على بعض بنودها فقد بلغ عدد الدول التي تقدمت بتحفظات مكتوبة عند توقيعها أو انضمامها أو مصادقتها على الاتفاقية (٥٥) دولة ومن بين هذه الدول إسرائيل والهند وبريطانيا التي بلغ حجم تحفظها ثلاث صفحات، في حين كانت السويد أول دولة توقع على الاتفاقية وذلك في الثاني من تموز ١٩٨٠^(٩) وبحلول الثلاثين من حزيران / ٢٠١١ كانت ١٨٦ دولة أصبحت عضواً في الاتفاقية^(١٠).

الفرع الثاني: المبادئ الحاكمة لاتفاقية سيداو

إن المبادئ الأساسية لاتفاقية سيداو تتجسد في مبدئين رئيسيين هما مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة ومبدأ عدم التمييز وهما من المبادئ الأساسية للقانون الدولي لحقوق الإنسان عموماً ولتتمتع بسائر الحقوق المحمية خصوصاً، فهما بمثابة حق عام يتفرع منه العديد من حقوق الإنسان الأخرى وهما نقطة البداية لكافة الحقوق والحريات الأخرى إذ يرتبطان ببعضهما ارتباطاً وثيقاً وهما وجهان لعملة واحدة وليس لأي منهما وجود مستقل عن الآخر فإذ ما يكون هناك تمييز يكون هناك خرق لمبدأ المساواة وبالعكس حتى ليعد أحدهما مكملًا للآخر.

أولاً: مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة

عند قراءة أحكام الاتفاقية ونصوصها نجد فحواها أن المساواة وعدم التمييز على أساس الجنس هي المحور الأساسي لها فالديباجة والمواد (١، ٢، ٣، ٤) وعموماً كافة الحقوق التي وردت في الأجزاء الثالث والرابع والخامس تهدف إلى القضاء على التمييز ضد المرأة وضمان مساواتها بالرجل^(١١).
إذ تشير ديباجة الاتفاقية إلى أنه: ((على الرغم من الجهود والصكوك المختلفة الدولية التي تستهدف القضاء على التمييز ضد المرأة إلا إنه ما يزال هناك تمييز واسع النطاق))^(١٢).

أوجبت الاتفاقية في المادة الثانية الدول الأطراف بضرورة إدماج مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة في الدساتير الوطنية أو التشريعات الأخرى وإلى اتخاذ التدابير المناسبة التشريعية وغير التشريعية بما في ذلك ما يناسب من جزاءات واتخاذ المناسب من التدابير بما فيها التشريعي منها لكفالة تطور المرأة وتقديمها لكي تستطيع ممارسة حقوقها الإنسانية وحرياتها الأساسية والتمتع بها على قدم المساواة في الميادين جميعها. كما ألزمت الاتفاقية الدول الأطراف بإعطاء المرأة الحق في التصويت في جميع الانتخابات والاستفتاءات العامة ومنحها أهلية للانتخابات والمشاركة في صياغة سياسة الحكومة وشغل الوظائف العامة على قدم المساواة

٩- علياء عبود سالم، اتفاقية سيداو وملاءمتها للتشريعات العراقية، ط١، وزارة الثقافة العراقية، بغداد، ٢٠١٤.

١٠- ص ١٠- ١١.

١١- ليا ليفين، حقوق الإنسان، أسئلة وأجوبة، منشورات اليونيسكو، ٢٠٠٩، ص ٥٥.

١٢- محمد يوسف علوان، محمد خليل الموسى، القانون الدولي لحقوق الإنسان، الحقوق المحمية، ط١، ج٢، دار الثقافة، ٢٠٠٩.

ص ٥٠٨.

١٣- أحمد جمعة، لقضاء على كافة أشكال العنف والتمييز ضد المرأة، مؤسسة الوارث، عمان، ٢٠١٤، ص ٩٣.

مع الرجل والاعتراف بها بالمشاركة في أي منظمات وجمعيات غير حكومية تحتم بالحياة العامة والسياسية للبلد كما ألزمت الاتفاقية الدول الأطراف بمنح النساء فرص متساوية لتمثيل حكوماتهن على المستوى الدولي والاشتراك في المنظمات الدولية، وأكدت على أن يكون حق المرأة بالجنسية مساوياً لحق الرجل فيها وفيما يتعلق بجنسية أطفالها، ووجوب اتخاذ التدابير المناسبة لمساواة المرأة للرجل في ميدان التربية والتعليم والثقافة وفي ميدان العمل^(١٣).

أكدت الاتفاقية في بنودها على تنظيم الأسرة وهي الاتفاقية الوحيدة التي تشتمل في بنودها على أحكام تلزم الدول الأطراف بالحصول على الخدمات للرجال والنساء وعلى قدم المساواة، وإعطاء الحق للنساء في الاستحقاقات الأسرية والقروض المصرفية والرهون وغير ذلك من أشكال الائتمان العائلي، والاشتراك في الأنشطة الترويجية والألعاب الرياضية وجميع جوانب الحياة الثقافية وعلى قدم المساواة مع الرجل، وتناولت الاتفاقية على وجه الخصوص المرأة الريفية وكفلت لها المشاركة في التنمية الريفية. وفي التخطيط الإنمائي وفي تمتعها بظروف معيشة ملائمة بالتساوي مع الرجل، وكفلت الاتفاقية للنساء المساواة أمام القانون وفي إبرام العقود وإدارة الممتلكات والمعاملة على قدم المساواة مع الرجل في المحاكم والهيئات القضائية وكفلت المساواة مع الرجل في الزواج والعلاقات الأسرية^(١٤).

إن الاتفاقية آثرت مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة على نحو تجاوزت فيه المستوى القانوني المجرد إلى دائرة التطبيق الفعلي على أرض الواقع إذ تؤكد المادة الرابعة في الاتفاقية على إنه ((لا يعد اتخاذ الدول الأطراف تدابير خاصة مؤقتة تستهدف التعجيل بالمساواة الفعلية بين الرجل والمرأة تمييزاً وكذلك يجب وقف هذه التدابير عندما تكون أهداف تكافؤ الفرص قد تحققت)).

أضافت الاتفاقية أحكاماً جديدة وأساسية إلى الصكوك الأخرى التي تتناول مسألتى المساواة وعدم التمييز إذ تقضي المادة الخامسة على أنه: ((بالإضافة إلى الاعتراف بالمساواة القانونية للمرأة وتعزيز المساواة الفعلية لها ينبغي على الدول أن تسعى أيضاً إلى القضاء على الأنماط الاجتماعية والثقافية والتقليدية التي تديم أوجه التخطيط الجنساني الضار وإيجاد إطار عام في المجتمع من شأنه أن يعزز أعمال حقوق المرأة بالكامل)).^(١٥)

ثانياً: مبدأ عدم التمييز

عرفت اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة مصطلح ((التمييز ضد المرأة)) في المادة (١) بأنه: ((أي تفرقة أو استبعاد أو تقييد يتم على أساس الجنس ويكون من آثاره أو أغراضه توهين أو إحباط الاعتراف للمرأة بحقوق الإنسان والحريات الأساسية في الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية

١٣- هادي نعيم المالكي، المدخل لدراسة القانون الدولي لحقوق الإنسان، منشورات زين الحقوقية، بيروت، ط ٢، ٢٠١١، ص

١١٦-١١٩.

١٤- منال محمود المشني، حقوق المرأة بين المواثيق الدولية وأصالة التشريع الإسلامي، دراسة مقارنة بين الشريعة الإسلامية والقوانين الدولية الخاصة بحقوق المرأة، دار الثقافة، ط ١، ٢٠١١، ص ٢٩١-٢٩٣.

١٥- الأمم المتحدة، حقوق الإنسان، حقوق المرأة من حقوق الإنسان، مكتب المفوض السامي، نيويورك، جنيف، ٢٠١٤، ص ٦.

والثقافية والمدينة أو في أي ميدان آخر أو توهين أو إحباط تمتعها بهذه الحقوق أو ممارستها لها بصرف النظر عن حالتها الزوجية وعلى أساس المساواة بينها وبين الرجل^(١٦). نستخلص من هذا التعريف ما يلي:

إن مبدأ عدم التمييز ينطبق على جميع النساء فإن كلمة (المرأة) في الاتفاقية تمثل الفتاة والمراهقة. تُعدُّ الاتفاقية الأفعال التي تعد تمييزاً وهي التفرقة أو الاستبعاد أو التقييد الذي يتم على أساس الجنس. توضح المادة (١) إن حالات التفرقة أو الاستبعاد أو التقييد هذه تشكل انتهاكات سواء كان توهيناً أم احباطاً ممارسة المرأة جميع حقوقها يعد من آثارها أو من نتائجها الموضوعية أو من أغراضها التمييزية^(١٧).

إن مصطلح (التمييز ضد المرأة) يشمل عنصرين أساسيين هما الأفعال التي تُعد تمييزاً وآثار هذه الأفعال وأغراضها. فبالنسبة للأفعال التي حددتها الاتفاقية وهي التفرقة أو الاستبعاد أو التقييد على أساس الجنس تعني إن التفرقة هي منح الرجل حقوقاً إنسانية أوسع من المرأة وذلك نظراً لكونه أعلى مرتبة وإن استبعاد المرأة على أساس الجنس يؤدي إلى تهميش المرأة في المجتمع وعدم ادماجها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وقصر حقوقها على الأدوار النمطية وأما التقييد على أساس الجنس فيقصد به وضع الحواجز والعقبات والموانع أمام تمكين المرأة من تمتعها بحقوق الإنسان وحرياته الأساسية كافة وعلى عدم المساواة مع الرجل. وقد أوضحت الاتفاقية آثار وأغراض التمييز القائم على أساس الجنس هو أنه يؤدي إلى عدم الإقرار للمرأة في حق التمتع بالحقوق كافة المتكافئة مع الرجل بغض النظر عن حالتها الزوجية ويمثل مصطلح التمييز الأساس الذي تقوم عليه الاتفاقية.

وبهذا فإنها تعطي مدلولاً واسعاً للتمييز ضد المرأة فيشمل التمييز بشقّة المباشر والتمييز غير المباشر، بما يمنحها الحماية سواء بالإقرار لها بالحقوق كافة التي يتمتع بها الرجل بغض النظر عن حالتها الزوجية أم فيما يتعلق بتلك الحقوق وممارستها لها.

شكلت المادة (2) من الاتفاقية جوهرها وموضوعها وغرضها الأساسي^(١٨). وتضمنت حزمة من الالتزامات الدولية التي تقع على عاتق الدول الأطراف فيها والتي تتعهد بانتهاج سياسة تستهدف القضاء على التمييز ضد المرأة من خلال اتخاذ الإجراءات والتدابير اللازمة كالتشريعي منها والقضائي والمؤسسي وفي الميادين كافة لإعمال هذا الالتزام. على الدول الأطراف الالتزام بإدماج مبدأ المساواة وعدم التمييز في دساتيرها الوطنية أو التشريعات وغيره الوسائل المناسبة^(١٩). وهناك التزامات ذات طبيعة إيجابية وهي تعديل أي تشريعات تعد تمييزية والتزامات أخرى ذات طبيعة سلبية هي إلغاء جميع الأحكام الجزائية الوطنية التي شكلت تمييزاً صارخاً ضد المرأة.

١٦- يوسف حسن يوسف، حقوق المرأة في القانون الدولي والشرعية، المركز القومي للإصدارات القانونية، القاهرة، ط١، ٢٠١٣، ص٢٦٧.

١٧- الأمم المتحدة، حقوق الإنسان، المجلس الاقتصادي والاجتماعي، تقرير مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان، نيويورك، ٢٠٠٨، ص٩-١٠.

١٨- اتفاقية القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة سيداو (cedaw) رؤية نقدية من منظور شرعي، متاح على الرابط الإلكتروني <http://www.iicwc.org> الاثني ٢٠١٧/٢/٦ الساعة ١٠:٣٠ pm. ١٩- أحمد جمعة، المصدر السابق، ص٩٨.

وتؤكد المادة الخامسة من الاتفاقية على ضرورة اتخاذ الدول التدابير المناسبة للقضاء على الأدوار النمطية والأنماط الاجتماعية والثقافية لسلوك الرجل والمرأة بهدف القضاء على التحيزات والعادات العرفية وكل الممارسات الأخرى القائمة على فكرة دونية أو تفوق أحد الجنسين أو على أدوار نمطية للرجل والمرأة.

المطلب الثاني: البروتوكول الاختياري الملحق بالاتفاقية

تبنت الجمعية العامة للأمم المتحدة البروتوكول الاختياري الملحق باتفاقية سيداو كآلية من الآليات القانونية وهذا يعد خطوة مهمة وجادة في إغناء وتعزيز الحقوق الواردة في الاتفاقية وتعزيز إجراءات حمايتها فضلاً عن ما يتمتع به من أهمية وأحكام خاصة به هذا ما سنبينه في هذا المطلب وسوف نقسمه على فرعين هما:

الفرع الأول: التكييف القانوني للبروتوكول الاختياري.

الفرع الثاني: أحكام البروتوكول الاختياري الموضوعية والاجرائية

الفرع الأول: التكييف القانوني للبروتوكول الاختياري

إن البروتوكول الاختياري هو صك اتفاقي ملحق باتفاقية موجودة فلا بد من البحث عن ماهيته وتكييفه القانوني.

أولاً: الجهود الدولية التي سبقت إبرام البروتوكول الاختياري

أنشأت لجنة وضع المرأة في منظمة الأمم المتحدة فريقاً من الخبراء من أجل صياغة بروتوكول اختياري ملحق باتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة^(٢٠)، إذ أوصى إعلان فيينا وخطة العمل لعام ١٩٩٣ بوصفهما الوثيقتين الختاميتين للمؤتمر العالمي للأمم المتحدة لحقوق الإنسان بدراسة تبني بروتوكول اختياري، وقد تبنت اللجنة في عام ١٩٩٥ اقتراحاً من قبل لجنة وضع المرأة بضم عناصر البروتوكول الاختياري إلى الاتفاقية واستطلاع آراء الدول عليه^(٢١)، وقد تم اعتماده من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها (٤٣) في السادس من تشرين الأول لعام ١٩٩٩ وبمناسبة الاحتفال بإصدار الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في العاشر من كانون الأول ١٩٩٩ تم فتح باب التصديق على البروتوكول الاختياري^(٢٢)، وأصبح نافذاً في الثاني والعشرين من كانون الأول ٢٠٠٠^(٢٣)، وكان عدد الدول التي وقعت على البروتوكول الاختياري في الثامن والعشرين من آذار عام ٢٠٠٠ هي (٣٣) دولة^(٢٤)، وفي الثلاثين من حزيران ٢٠١١ أصبح عدد الدول التي صدقت عليه أو انضمت إليه (٩٦) دولة وهي الدول الأطراف في الاتفاقية^(٢٥).

٢٠- نعى القاطرجي، المرأة في منظومة الأمم المتحدة رؤية اسلامية، ط ١، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ٢٠٠٦، ص ٢٣٥.

٢١- هيفاء أبو غزالة، المصدر السابق، ص ٢٩.

٢٢- نعى القاطرجي، ((المرأة في منظومة...))، المصدر السابق، ص ٢٣٥.

٢٣- هالة سعيد تبسي، المصدر السابق، ص ١٦٤.

٢٤- منتصر سعيد حموده، الحماية الدولية للمرأة، دراسة مقارنة بأحكام الشريعة الإسلامية، ط ١، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠١٠، ص ٢٧٨.

٢٥- ليا ليفين، المصدر السابق، ص ٥٦.

ثانياً: التكيف القانوني للبروتوكول

إن الصفة الغالبة في الاتفاقيات الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان تتبعها عادة بروتوكولات اختيارية^(٢٦)، فوضع البروتوكول الاختياري لاتفاقية سيداو على قدم المساواة مع تلك الاتفاقيات^(٢٧)، والبروتوكول الاختياري يعد بمثابة صكاً قانونياً أشبه بمعاهدة صغيرة يتصل بمعاهدة قائمة أو عهد قائم^(٢٨)، يهدف إلى وضع إجراءات أو أحكام جوهرية جديدة تتعلق بالاتفاقية ذاتها أو تتعلق بجانب مهم من الاتفاقية وذلك من أجل تفعيل تطبيق الاتفاقية^(٢٩)، ولقد اختلفت التسميات في الاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان ما بين اتفاقية أو عهد أو بروتوكول مما يثير إشكالية بسبب هذه التسميات حول المركز القانوني لكل منها فيما يتعلق بشروط التوقيع والصديق والانضمام والإلزامية إذ لا يوجد اختلاف بين المعاهدة والاتفاقية وبين البروتوكول أو الميثاق سواء من حيث شروط الصحة والنفذ والآثار القانونية المترتبة عليه^(٣٠)، أن الفقرة (١) من المادة (٢) من اتفاقية فيينا سوت بين المصطلحات فكلها في مرتبة المعاهدة متى توفرت شروطها. وعُدَّ البروتوكول اتفاقية منفردة خاضعة للتوقيع والانضمام والمصادقة من قبل الدول الأطراف في الاتفاقية الأصلية^(٣١)، ويتمتع بالمركز القانوني بالجوانب كافة المتعلقة بالاتفاقية ذاتها إذ أن تعدد التسميات لا يدل على شيء إلا على طريقة صياغة الاتفاق وبالتالي فإن البروتوكول يكون في مركز قانوني مساوٍ للمركز القانوني للاتفاقية^(٣٢).

الفرع الثاني: أحكام البروتوكول الموضوعية والاجرائية

لحقّت البروتوكولات الاختيارية بالمعاهدات لتعمل كتدابير قانونية إضافية مكملّة للمعاهدة فتتناول موضوعاً عاماً ورد في الاتفاقية، أو تعالج موضوعاً جديداً ذا أهمية أو تضيف إجراء يتعلق بتنفيذ الاتفاقية وسمي بالبروتوكول الاختياري لأن الدول الأطراف ليست ملزمة بالمصادقة عليه^(٣٣)، وأن الدول الأطراف هي وحدها القادرة على الانضمام إلى البروتوكول الاختياري للاتفاقية وحتى تكون أحكامه ملزمة لأبد من مصادقتها عليه.

أولاً: أحكام البروتوكول الموضوعية

تطرقت اتفاقية سيداو إلى حقوق المرأة في جميع الميادين ودعت إلى مساواة الرجل والمرأة في حق التمتع بها ووضع البروتوكول الاختياري الملحق بالاتفاقية من أجل ضمان وتعزيز تطبيق الاتفاقية، فمنذ صدوره فإنه لم يضيف أية حقوق موضوعية للمرأة على الحقوق الموضوعية التي نظمتها الاتفاقية على الرغم من أن

٢٦- منال محمود المشني، المصدر السابق، ص ٣٠٣.

٢٧- ريم صالح الزين، الحماية القانونية للمرأة في ضوء أحكام الاتفاقيات الدولية، ط ١، مركز الدراسات العربية، مصر، ٢٠١٦، ص ١٤٩.

٢٨- هالة سعيد تيسي، المصدر السابق، ص ١٦٣.

٢٩- نعي القاطرجي، ((المرأة في منظومة...))، المصدر السابق، ص ٢٣٥.

٣٠- علي صادق أبو هيف، القانون الدولي العام، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٩٣، ص ٤٥٧.

٣١- الفقرة (١) من المادة (٢) في اتفاقية فيينا لقانون المعاهدات لعام ١٩٦٩، متاح على الرابط الإلكتروني <http://elearn.univ-ouargia.dz> الثلاثاء ٢٠١٧/٢/٧، الساعة ٣:٠٠ pm.

٣٢- علي صادق أبو هيف، المصدر السابق، ص ٤٥٦.

٣٣- البروتوكول الاختياري على الرابط الإلكتروني <http://www.unicef.org> الاثنين ٢٠١٧/٤/١٠ الساعة ٨:٣٠ pm.

الاتفاقية تغطي بشكل صريح مجموعة واسعة من القضايا المتعلقة بالمرأة إلا إن الانتقادات توجهت لها بسبب أنها لم تشر صراحة إلى العنف ضد المرأة^(٣٤)، إذ أن هذه القضية لم يرد ذكرها بشكل واضح في نص الاتفاقية^(٣٥)، إلا إن لجنة القضاء على التمييز ضد المرأة اعتبرت العنف الموجه ضد المرأة على أساس الجنس كأحد أشكال التمييز ضد المرأة إذ أصدرت ثلاث توصيات الأولى التوصية رقم (١٢) في دورتها الثامنة عام ١٩٨٩^(٣٦)، ثم صدرت عن اللجنة التوصية رقم (١٤) في دورتها التاسعة المعقودة عام ١٩٩٠ تؤكد فيها على ختان الاناث^(٣٧)، كما صدرت التوصية رقم (١٩) التي تُعدّ من أهم التوصيات التي أصدرتها في دورتها الحادية عشر في عام ١٩٩٢ والمعنونة العنف ضد المرأة وإن التمييز ضد المرأة بالمعنى الوارد في الاتفاقية ويدخل في إطار معنى المادة الأولى منها ويقع بوضوح في حدود الاتفاقية.^(٣٨)

ثانياً: أحكام البروتوكول الاجرائية

اكتفت اتفاقية سيداو في إطار التزامات الدول على إلية تقديم التقارير في مجال الرقابة والإشراف على موضوع الامتثال إذ قضت المادة (١٨) المتعلقة بتقديم التقارير بضرورة إلزام الدول الأطراف في الاتفاقية بتقديم تقاريرها إلى الأمين العام للأمم المتحدة حول التدابير التشريعية والقضائية والإدارية وغيرها من التدابير لتطبيق الاتفاقية وفي غضون سنة من بدء نفاذ الاتفاقية وكل أربع سنوات بعد ذلك أو كلما طلبت اللجنة ذلك وقد تشمل التقارير على العوامل والصعوبات التي تؤثر على مدى الوفاء بالالتزامات المقررة في هذه الاتفاقية^(٣٩)، ونظراً لعدم وجود آلية للشكاوى تسمح للنساء أفراداً أو جماعات الأفراد بتقديمها بشكل مباشر إلى لجنة القضاء على التمييز ضد المرأة وكذلك لا توجد فيها آلية تمكن اللجنة من تلقي أي شكاوى من النساء بشكل مباشر للتحقيق فيها من أجل ذلك وضع البروتوكول الاختياري الملحق بالاتفاقية في عام ٢٠٠٠ كآلية من الآليات القانونية لمعالجة ما تضمنته الاتفاقية من قصور ونقص في صلاحيات اللجنة إذ اتخذت إجراءات فعالة في منع أي انتهاكات للحقوق والحريات الإنسانية للمرأة الواردة في الاتفاقية فوسع في صلاحيات اللجنة في مجال الرقابة والإشراف على الاتفاقية فاعتمدت إجراءاتين هما:

أ. الاجراء المعتمد لتلقي الرسائل(الشكاوى)

ب. الاجراء المعتمد للتحري عن المعلومات(التحقيق)^(٤٠).

إنّ هذين الإجرائين متاحان للدول الأطراف في الاتفاقية والبروتوكول معا^(٤١)، ولا يمكن استخدام البروتوكول إلا بعد استنفاد جميع وسائل الإنصاف على المستوى الوطني^(٤٢)، وبقبول البروتوكول تعترف

٣٤- هالة سعيد تبسي، المصدر السابق، ص ١٦٣-١٦٤.

٣٥- منال محمود المشني، المصدر السابق، ص ٢٩٩.

٣٦- محمد يوسف علوان، محمد خليل الموسى، ((القانون الدولي....))، الجزء الثاني، المصدر السابق، ص ٥١٣.

٣٧- أحمد جمعة، المصدر السابق، ص ٢٣٨.

٣٨- المصدر نفسه، ص ١٩٦-١٩٨.

٣٩- المادة (١٨) من اتفاقية سيداو.

٤٠- اتفاقية القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة قانون سيداو (cedaw) روية نقدية من منظور شرعي، المصدر السابق.

٤١- هيفاء أبو غزالة، المصدر السابق، ص ١٩.

٤٢- هالة سعيد تبسي، المصدر السابق، ص ١٦٥.

الدول الأطراف في الاتفاقية باخه صاص اللجنة وقد نظم البروتوكول الاختياري المادة (٤،٣،٢) الشروط الواجب توفرها بقبول الشكاوى الفردية من قبل اللجنة وإصدار القرار في موضوعها وكذلك نظمت المواد (٩،٨،٧،٦) الاجراءات التي تتبعها في التحقيق بتلك الشكاوى.^(٤٣)

المبحث الثاني: الالتزامات الدولية والتحفظات بموجب اتفاقية سيداو

إن اتفاقية القضاء على التمييز ضد المرأة شأنها شأن الاتفاقيات، إذ فرضت حزمة من الالتزامات الدولية التي تقع على كاهل الدول الأطراف فيها والتي تتعهد بالقيام بها، من أجل القضاء على التمييز ضد المرأة، وما يهمنها في هذه الدراسة الإجابة عن عدد من التساؤلات وهي: ما هي الالتزامات التي رتبته الاتفاقية على الدول الأطراف فيها؟ وما هو موقف الدول العربية منها؟ هذا ما سنبحثه في هذا المبحث وسنقسمه على مطلبين وعلى المخطط المقسم على النحو الآتي:

المطلب الأول: تصنيف الالتزامات التي حددتها الاتفاقية.

المطلب الثاني: موقف الدول العربية من الاتفاقية.

المطلب الأول: تصنيف الالتزامات التي حددتها الاتفاقية

كفلت الاتفاقية حقوق المرأة والحريات الأساسية وحظرت التمييز ضدها فوضعت قواعد موضوعية عامة تحدد الأدوات اللازمة لمكافحة التمييز لغرض تحقيق المساواة الفعلية والقانونية بين الرجل والمرأة في التمتع بالحقوق والحريات الأساسية، إذ نصت في موادها (٦-٢) على حزمة من الالتزامات الدولية الملقة على عاتق الدول الأطراف والتي تتعهد القيام بها من أجل القضاء على التمييز ضد المرأة هذا ما سنبحثه في هذا المطلب وسنقسمه على فرعين وكما يلي:

الفرع الأول: التزامات الدول المتعلقة بالتدابير التشريعية.

الفرع الثاني: التزامات الدول المتعلقة بالسياسات والتدابير

الفرع الأول: التزامات الدول المتعلقة بالتدابير التشريعية

تلتزم الدول الأطراف بتطبيق سياسة تشريعية تعمل على القضاء على التمييز ضد المرأة إذ إن القانون الدولي لحقوق الإنسان وحقوق المرأة بصورة خاصة، والتي تعد اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة لعام ١٩٧٩ من أهم مصادر هذا القانون، وقد أوجبت على الدول الأطراف بموجب المادة (٢) الالتزام بتطبيق سياسة شاملة تهدف إلى مساواة المرأة مع الرجل بالتمتع بكامل حقوقها والقضاء على التمييز ضد المرأة في مجالات الحياة^(٤٤).

إذ تشكل المادة (٢) وبندوها السبعة جوهر الاتفاقية ويمكن أن يطلق عليها المنظومة^(٤٥)، إن هذه المادة قد جاءت بأحكام تتعلق بحظر التمييز في الدساتير والقوانين الوطنية وفرضت التزامات على الدول

٤٣- منتصر سعيد حمودة، المصدر السابق، ص ٢٧٩-٢٨١.

٤٤- منتصر سعيد حمودة، المصدر السابق، ص ٢٧٠-٢٧١.

٤٥- نهي القاطرجي، ((المرأة في منظومة...)) المصدر السابق، ص ٢٠٩-٢١٠.

الأطراف للقضاء على التمييز ضد المرأة، فضلاً عن اتخاذ إجراءات مختلفة للقضاء عليه^(٤٦) وتتمثل في ادماج مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة في الدساتير وفي التشريعات الوطنية^(٤٧) وعليها ضمان المساواة الفعلية وعدم الاكتفاء بإحقيق المساواة في القوانين، فضلاً عن الالتزام بتأمين السبل والوسائل وتحقيق النتائج من خلال جمع البيانات المناسبة والقيام بالرصد لمعرفة مدى فاعلية إجراءات الدولة وعلى الدول الأطراف إعادة صياغة السياسات والبرامج لضمان الإعمال الفعلية لحقوق المرأة وعلى قدم المساواة مع الرجل^(٤٨)، وعليها اتخاذ التدابير التشريعية وخاصة التدابير الجنائية لحظر التمييز ضد المرأة^(٤٩) وعليها فرض الحماية القانونية لحقوق المرأة الواردة في الاتفاقية وضمان هذه الحماية من خلال اقرار ما للمرأة من الوصول الفعلي إلى المحاكم المختصة والوصول إلى سبل التظلم المحلية الفعالة للمطالبة بحقوقها والحصول على العدل والانصاف^(٥٠)، وعليها أيضاً اتخاذ التدابير المناسبة لمنع التمييز ضد المرأة الصادر من أي مؤسسة أو منظمة أو فرد ومنع السلطات من ممارسة أي شكل من أشكال التمييز ضد المرأة، والغاء كل القوانين والأعراف والممارسات القائمة التي تشكل تمييزاً ضد المرأة^(٥١) وقد تنعقد مسؤولية الدول إذا لم تتصرف بالجديّة الواجبة لمنع انتهاكات حقوق المرأة أو لم تعاقب على جرائم العنف ضدها وفقاً للقانون الدولي العام أو المواثيق الخاصة بحقوق الإنسان^(٥٢)، وتفرض التزامات بموجب هذه المادة توجب على جميع الأجهزة في الدول الأطراف، والمتمثلة بالسلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية، إذ تتولى السلطة التشريعية بسّ القوانين وتعديلها وإبطال القوانين التمييزية، أما السلطة التنفيذية فتتولى مهمة التخطيط، وإنشاء عدد من المؤسسات وتنسيق ورصد الإجراءات في الدولة كافة لضمان توافيقها مع الاتفاقية، وتقوم بعملية الإصلاحات والتغيير، وتضع السياسات المناسبة للقضاء على التمييز ضد المرأة، وتكون مسؤولة عن القيام برفع التقارير إلى لجنة القضاء على التمييز ضد المرأة، حسب الجدول الزمني المحدد لها، وتقوم بتمثيل الدولة في المسألة، أما السلطة القضائية فإنها مسؤولة عن ضمان مدى وفاء الدولة بالتزامها بموجب الاتفاقية^(٥٣).

الفرع الثاني: التزامات الدول المتعلقة بالسياسات والتدابير

الزمت الاتفاقية الدول الأطراف باتخاذ سياسات وتدابير داعمة ومساندة للعملية التشريعية وعلى جميع الأصعدة لتحقيق الفعالية اللازمة وكما يلي:

٤٦- اتفاقية سيداو، متاح على الرابط الإلكتروني <http://www.rdlwomen.org> الأثنين ٢٠١٧/٣/٦ الساعة ١٠:٣٠ pm.

٤٧- مدهش محمد أحمد عبدالله المعمرى، الحماية القانونية لحقوق الإنسان في ضوء أحكام القانون الدولي والشرعية الإسلامية، المكتب الجامعي الحديث ٢٠٠٧، ص ١٤٦.

٤٨- هالة سعيد تيسي، المصدر السابق، ص ٩٠.

٤٩- سهيل حسين الفتلاوي، حقوق الإنسان، ط ١، دار الثقافة، عمان، ٢٠٠٧، ص ٢٦٠.

٥٠- عبد الكريم علوان، الوسيط في القانون الدولي العام، ط ١، الكتاب الثالث، دار الثقافة، الأردن، ١٩٩٧، ص ١٢٦.

٥١- منتصر سعيد حموده، المصدر السابق، ص ٢٧٠.

٥٢- أحمد جمعة، المصدر السابق، ص ٤٢٤.

٥٣- هالة سعيد تيسي، المصدر السابق، ص ٩٥.

أولاً: التزام الدول باتخاذ التدابير المناسبة لكفالة تقدم وتطور وضع المرأة

إن النهوض بالمرأة هو أحد الدعائم الأساسية لتنمية المجتمع وتحقيق تقدمه وارتقائه، وبهذا نصت المادة (٣) على أن ((تتخذ الدول الأطراف في جميع الميادين ولاسيما الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية وكل التدابير المناسبة بما في ذلك التشريعي منها لكفالة تطور المرأة وتقدمها الكاملين وذلك لتضمن لها ممارسة حقوق الإنسان والحريات الأساسية والتمتع بها على أساس المساواة مع الرجل))^(٥٤).

ومفاد نص هذه المادة يتجسد بضرورة قيام الدول الأطراف في الاتفاقية بتعزيز المساواة وإعمال الحقوق من خلال اتخاذ التدابير المناسبة وتهيئة الظروف المناسبة من أجل ضمان تطور ونماء المرأة وتقدمها والنهوض بها وتمكنها من ممارسة الحقوق والاستفادة منها والتي نص عليها القانون، ويتم ذلك من خلال توفير برامج هادفة ترمي إلى تمكين المرأة من الوصول إلى جميع الفرص المتاحة لها بموجب القانون أو البرامج، والقيام بتنمية المرأة من خلال برامج خاصة لكي تتمكن من المطالبة بحقوقها، والقيام بإدراج مصالح المرأة ضمن خطة التنمية الوطنية، والقيام بجمع الإحصاءات المصنفة بحسب الجنس لمعرفة ورصد مدى التقدم الفعلي الذي أحرزته المرأة، واتخاذ التدابير المؤسساتية لإنشاء آليات مشتركة بين القطاعات للتخطيط والتنفيذ وكذلك الرصد، والقيام بالتوعية والتثقيف، لمؤسسات الدولة كافة بالتزامها بموجب الاتفاقية والحث على تطبيقها.

ثانياً: التزام الدول باتخاذ التدابير الخاصة المؤقتة للقضاء على التمييز ضد المرأة

أكدت الاتفاقية على الدول الأطراف بضرورة اتخاذ تدابير خاصة مؤقتة من أجل القضاء على أشكال التمييز ضد المرأة في جميع الميادين والتدابير الخاصة المؤقتة هي: ((عبارة عن أحكام خاصة ترمي إلى تسريع إحقاق مساواة المرأة تلزم أية سلطة عامة أو شخص أو منظمة أو مؤسسة، و هي قد تتخذ شكل ظروف تمكينة أو قواعد تفضيلية تصب في مصلحة المرأة، حتى ولو كان التمييز محظوراً أو توفرت الضمانات القانونية للمساواة من شأن هذه التدابير تيسر قدرة وصول المرأة إلى الفرص وتسريع عجلة إحقاق المساواة الفعلية))^(٥٥).

وتجيز المادة (٤) للدول الأطراف من الاتفاقية اتخاذ تدابير خاصة من شأنها تحقيق المساواة الفعلية بين الرجل والمرأة وفي جميع ميادين الحياة المختلفة، حتى إن اتخذت بعض التدابير الخاصة التمييزية لصالح المرأة ومساواتها مع الرجل في التمتع بالحقوق والحريات الأساسية، وأن هذه التدابير يجب أن تتوقف عند تحقيق المساواة الفعلية بين الرجل والمرأة، وأن هذه التدابير يجب أن تقدر بقدرها حتى لا تنقلب الأمور بالعكس فيصبح الرجل هو من يطالب بالمساواة مع المرأة.^(٥٦)

٥٤- (١) المادة (٣) من اتفاقية سيداو.

٥٥- هالة سعيد تبسي، المصدر السابق، ص ١٠١.

٥٦- منتصر سعيد حموده، المصدر السابق، ص ٢٧٢-٢٧٣.

ثالثاً: ضرورة قيام الدول الأطراف باتخاذ التدابير الخاصة لتغيير الانماط السلوكية للرجل والمرأة

أكدت ديباجة الاتفاقية على ((الأهمية الاجتماعية للأمومة))، وتنص على أن ((دور المرأة في الإنجاب ينبغي أن لا يكون أساساً للتمييز بل أن تنشئة الأطفال يتطلب بدلا من ذلك تقاسم المسؤولية بين الرجل والمرأة واجتماع ككل، وتنتهي الديباجة بالإقرار، إن إحداث التغيير في الدور التقليدي للرجل وكذلك في دور المرأة في المجتمع والأسرة بات أمراً مطلوباً لتحقيق المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة))^(٥٧). تهدف الاتفاقية من خلال ديباجتها إلى القضاء على أشكال التمييز ضد المرأة كافة، وذلك بتغيير الأدوار التقليدية للرجال والنساء، أو القضاء على الأدوار النمطية لها والقائمة على فكرة التحيز للذكر دون الأنثى، وبهذا تتحدد أدوار الجنسين على أساس نوع الجنس وفقا للموروثات الثقافية والاجتماعية والعرفية النمطية بالاعتقاد بأن المرأة في مرتبة أدنى من الرجل.^(٥٨)

وهذا ما أكدته المادة (٥) من الاتفاقية، وهو ضرورة تغيير سلوك كل من المرأة والرجل الاجتماعي والثقافي من أجل تحقيق المساواة الواقعية بينهما وتمثلهما في الوظائف كافة من غير أولويات وأن على الدول الأطراف محاربة العادات العرفية القائمة على النظرة الدونية للمرأة وخاصة في المجتمعات الريفية، ومحاربة التمييز ضد المرأة الذي لا غنى عنه من أجل تحقيق المساواة الفعلية أو الموضوعية بين الرجل والمرأة، وأن تحقيق المساواة القانونية غير كافٍ لأن العبرة ليست في إصدار القوانين والتشريعات فقط، وإنما بتطبيقها على أرض الواقع وفي جميع مؤسسات الدولة في داخل المجتمع^(٥٩).

وإن أي إخفاق في تغيير العادات والممارسات التمييزية يشكل خرقاً لأحكام الاتفاقية^(٦٠)، لذا يجدر بالدول تبني التدابير الاجتماعية والثقافية التي تؤدي إلى إلغاء التفرقة بين الرجل والمرأة سواء كانت عامة أم خاصة^(٦١).

رابعاً: التزام الدول الأطراف بمكافحة جميع أشكال الاتجار بالمرأة واستغلالها في البغاء

حرصت اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة على صيانة حرية المرأة وكرامتها الإنسانية وشرفها وسمعتها، وقد نصت في المادة (٦) على أن ((تتخذ الدول الأطراف جميع التدابير المناسبة، بما في ذلك التشريعي منها، لمكافحة جميع أشكال الاتجار بالمرأة واستغلال بغاء المرأة))^(٦٢). حظرت الاتفاقية جميع أشكال بيع وشراء النساء أو إجبارهن على ممارسة الزنا من أجل الحصول على المال والزمّت الدول الأطراف باتخاذ التدابير التشريعية والتنفيذية من أجل محاربة الاتجار بالنساء^(٦٣).

٥٧- ديباجة اتفاقية سيداو.

٥٨- أحمد جمعة، المصدر السابق، ص ٩٥-٩٦.

٥٩- ريم صالح الزين، المصدر السابق، ص ١٤١.

٦٠- هالة سعيد تيسي، المصدر السابق، ص ٩٤.

٦١- ساسي سالم الحاج، المفاهيم القانونية لحقوق الإنسان عبر الزمان والمكان، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٤، ص ٢٧٥.

٦٢- المادة (٦) من اتفاقية سيداو.

٦٣- ريم صالح الزين، المصدر السابق، ص ١٤٣.

يعد الاتجار بالمرأة لأغراض الإكراه على البغاء واستغلالها جنسياً من أكثر مظاهر العنف ضد المرأة والاكثر شيوعاً في الوقت الحاضر، مما يؤدي إلى خرق لعدد من الحقوق الأساسية كالحق في التحرر من الاستعباد والسخرة والعمل الجبري والحق في المعاملة الإنسانية الحاطة بالكرامة^(٦٤).

المطلب الثاني: موقف الدول العربية من الاتفاقية

إن ما يميز موقف الدول العربية في إبداء أغلبها التحفظات عند تصديقها أو انضمامها على اتفاقية سيداو شأنها شأن دول العالم الأخرى، فعند تطبيق هذه الاتفاقية في تلك الدول كان لا بد أن تأخذ بعين الاعتبار مدى التغيير الذي أحدثته الانضمام إليها على الوضع العام للمرأة، ومكانتها في هذه الدول.

الفرع الأول: التحفظ في اتفاقية سيداو

تعد اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة الصك العالمي الذي يُعنى بضمان حقوق المرأة وكفالة تمتعها بحرياتها الأساسية وعلى قدم المساواة مع الرجل^(٦٥)، وأن معظم الدول التي صادقت عليها أو انضمت إليها قد أبدت بعضها تحفظات على بعض موادها^(٦٦).

وتميزت هذه الاتفاقية بأن عدد التحفظات التي أبدتها الدول الأطراف فيها أكثر مما أبدته على أية اتفاقية أخرى من الاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان، فبعضها كان بصيغ عامة ومبهمة وبعضها يتعلق بقضايا جوهرية^(٦٧)، وكان معظمها يتعلق حصراً بالغرض الذي عقدت من أجله الاتفاقية وهو القضاء على التمييز ضد المرأة وحمايتها وكانت تستند هذه التحفظات إلى تبريرين، هما: أولاً في عدم توافق أحكام الاتفاقية مع القوانين الوطنية أما الثاني ففي تعارضها مع أحكام الشريعة الإسلامية^(٦٨) وقد نظمت الاتفاقية بموجب المادة (٢٨) منها التحفظات إذ نصت على أنه ((١- يتلقى الأمين العام للأمم المتحدة نص التحفظات التي تبديها الدول وقت التصديق أو الانضمام ويقوم بتعميمها على جميع الدول.

٢- لا يجوز إبداء تحفظ يكون منافياً لموضوع هذه الاتفاقية وغرضها.

يجوز سحب التحفظات في أي وقت بتوجيه اشعار بهذا المعنى إلى الأمين العام للأمم المتحدة الذي يقوم عندئذٍ بإبلاغ جميع الدول به، ويصبح هذا الاشعار نافذ المفعول اعتباراً من تاريخ تلقيه^(٦٩).

ونصت الفقرتين (٣، ٢) من المادة (٢٩) من الاتفاقية على قواعد تميز التحفظ على أحكامها ومنها ((٢- لأية دولة طرف أن تعلن، لدى توقيع هذه الاتفاقية أو تصديقها أو الانضمام إليها أنها لا تعد نفسها ملزمة بالفقرة (١) من هذه المادة ولا تكون الدول الأطراف الأخرى ملزمة بتلك الفقرة إزاء أية دولة طرف أبدت تحفظاً من هذا القبيل.

٦٤- محمد يوسف علوان، محمد خليل موسى، ((القانون الدولي...))، الجزء الثاني، المصدر السابق، ص ٥١٦-٥١٧.

٦٥- أحمد جعة، المصدر السابق، ص ١١٤.

٦٦- منال جيلاني، التحفظات العربية على سيداو، متاح على الرابط الإلكتروني الأحد ٢٠١٧/٤/٢، الساعة ٥:٣٠.

http://www.ar.ammannet.net,AM

٦٧- منال محمود المشني، المصدر السابق، ص ٣٠١.

٦٨- التحفظات على اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، تفويض حماية المرأة من العنف في الشرق الاوسط

وشمال افريقيا متاح على الرابط الإلكتروني، الثلاثاء ٢٠١٧/٣/٧ الساعة ١٥:١٥، AMA: http://www.amnesty.org.

٦٩- المادة (٢٨) من اتفاقية سيداو.

٣- لأية دولة طرف أبدت تحفظاً وفقاً للفقرة (٢) من هذه المادة أن تسحب هذا التحفظ متى شاءت بإشعار توجهه إلى الأمين العام للأمم المتحدة^(٧٠).

يتضح من خلال المادتين أعلاه أن الاتفاقية وضعت قواعد خاصة للتحفظ على أحكامها، وأن التحفظ كأصل عام جائز، ويلتقي الأمين العام للأمم المتحدة هذه التحفظات ثم يقوم بتعميمها إلى الدول الأطراف فيها كافة، وأجازت الاتفاقية سحب هذه التحفظات بأي وقت شاءت وذلك بتوجيه إشعار إلى الأمين العام للأمم المتحدة الذي يقوم بإبلاغ كافة الدول الأطراف فيها ويصبح نافذ المفعول اعتباراً من تاريخ تلقيه، وقد حددت الاتفاقية وقت التحفظ وهو عند التوقيع أو التصديق أو الانضمام إليها، أي إن التحفظ يكون مرتبطاً بهذا الوقت دون أن يستمر بعد ذلك. وإن الاتفاقية حظرت في مادتها (٢٨) الفقرة (٢) والتي نصت على أن ((لا يجوز إبداء تحفظ يكون منافياً لموضوع هذه الاتفاقية وغرضها))^(٧١).

الفرع الثاني: التحفظات التي أبدتها بعض الدول العربية

إن الدولة تـصبح طرفاً في الاتفاقية عندما تقوم بالتـصديق عليها أو الانضمام إليها، وبموجب ذلك يترتب عليها التزام قانوني باتخاذ التدابير اللازمة كافة للقضاء على التمييز ضد المرأة.

فالمادة (٢٥) من الاتفاقية تقضي بأن ((باب التوقيع مفتوح لجميع الدول، وبأنها تخضع للتـصديق، فضلاً عن أن باب الانضمام، مفتوح لجميع الدول))^(٧٢).

أولاً: الدول العربية الأطراف في الاتفاقية

إن معظم الدول العربية صادقت على اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، أو انضمت إليها مثل غيرها من دول العالم مع تقديم تحفظات على بعض المواد الواردة في الاتفاقية وقد بلغ عدد الدول العربية الأطراف فيها (٢٠) دولة فقط من بين (٢٢) دولة من الدول الأعضاء في جامعة الدول العربية^(٧٣)، وقد تنابعت الدول العربية في التـصديق على الاتفاقية أو الانضمام إليها فبعضها وقع على الاتفاقية في وقت مبكر والبعض الآخر في وقت متأخر فيما بقيت دول أخرى لم تـصادق على الاتفاقية لحد الآن، وحسب الترتيب الزمني التالي:

مصر ١٩٨١، اليمن ١٩٨٤، تونس ١٩٨٥، العراق ١٩٨٦، ليبيا ١٩٨٩، الأردن ١٩٩٢، المغرب ١٩٩٣، الكويت ١٩٩٤، جزر القمر ١٩٩٤، الجزائر ١٩٩٧، لبنان ١٩٩٧، جيبوتي ١٩٩٩، السعودية ٢٠٠٠، موريتانيا ٢٠٠١، البحرين ٢٠٠٢، سوريا ٢٠٠٣، الإمارات ٢٠٠٤، عمان ٢٠٠٦، قطر ٢٠٠٩، فلسطين ٢٠١٤^(٧٤).

٧٠- وسيم حسام الدين أحمد، الاتفاقيات الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان، ط١، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠١١، ص٩٨-٩٩. ص٩٨-٩٩.

٧١- الفقرة (٢) من المادة (٢٨) من اتفاقية سيداو.

٧٢- هيفاء أبو غزالة، المصدر السابق، ص٢٤.

٧٣- هيفاء أبو غزالة، المصدر السابق، ص٨.

٧٤- المصدر نفسه، ص٣٦-٣٧، سامية بوريه، المصدر السابق، ص٢٦.

ظهر مما سبق أن مصر هي أول دولة عربية صادقت على الاتفاقية ثم تلتها بقية الدول العربية^(٧٥)، وكانت فلسطين آخر دولة انضمت إلى ركب الدول الأطراف دون إبداء أي تحفظ^(٧٦)، أما الدول التي لم تنضم إلى الاتفاقية لحد الآن هما السودان والصومال^(٧٧).

ثانياً: المواد التي تحفظت عليها الدول العربية

أبدت الدول العربية الأطراف في الاتفاقية تحفظات عدة على بعض مواد الاتفاقية مستندة في ذلك على تعارض أحكام الاتفاقية مع القوانين الوطنية من ناحية، وتعارضها مع أحكام الشريعة الإسلامية من ناحية أخرى^(٧٨). غير أن هذه الدول لا تعارض مبادئ الاتفاقية إلا إنها غير راغبة في الالتزام بتغيير بعض المواد من قوانينها الوطنية، ومعظم الدول العربية تحفظت على مواد جوهرية وأساسية في الاتفاقية^(٧٩)، وقد انحصرت التحفظات في المواد الست الآتية:

المادة رقم (٢) حول حظر التمييز في الدساتير والقوانين الوطنية، وتحفظت على هذه المادة أو بعض فقراتها الدول العربية التالية: (مصر، العراق، ليبيا، المغرب، الجزائر، البحرين، سوريا، الإمارات، قطر)، وإن التحفظ على هذه المادة أمر بالغ الحساسية لأنه يناهز جوهر الاتفاقية وغرضها الأساسي.

المادة رقم (٧) حول الحياة السياسية والعامة، تحفظت على هذه المادة الكويت فقط.

المادة رقم (٩) حول الجنسية، وتحفظت على هذه المادة أو بعض فقراتها الدول العربية التالية (مصر، تونس، العراق، الأردن، المغرب، الكويت، الجزائر، لبنان، السعودية، البحرين، سوريا، الإمارات، عمان، قطر).

المادة رقم (١٥) حول المساواة أمام القانون، والشؤون المدنية، وحرية اختيار السكن وتحفظت على هذه المادة أو على بعض فقراتها الدول العربية التالية (تونس، الأردن، المغرب، الجزائر، البحرين، سوريا، الإمارات، عمان، قطر).

المادة رقم (١٦) تتعلق بالزواج والعلاقات الأسرية، وتحفظت على هذه المادة أو على بعض فقراتها الدول العربية التالية (مصر، تونس، العراق، ليبيا، الأردن، المغرب، الكويت، الجزائر، لبنان، البحرين، سوريا).

المادة (٢٩) تتعلق بالتحكيم بين الدول الأطراف، وتحفظت على هذه المادة أو على بعض فقراتها الدول العربية التالية (مصر، اليمن، تونس، العراق، الكويت، الجزائر، لبنان، السعودية، البحرين، سوريا، الإمارات، عمان)^(٨٠).

تحفظت كل من السعودية وعمان بشكل عام على جميع مواد الاتفاقية التي تتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية، أما موريتانيا فقد تحفظت بشكل عام على جميع المواد التي تتعارض مع أحكام الشريعة

٧٥- المصدر نفسه، ص ٨.

٧٦- سامية بوريه، المصدر السابق، ص ٢٦.

٧٧- منال جيلاني، التحفظات العربية على سيداو، المصدر السابق.

٧٨- منال محمود المشني، المصدر السابق، ص ٣٠٦.

٧٩- ينظر نصوص المواد (٢، ٧، ٩، ١٥، ١٦، ٢٩) من اتفاقية سيداو.

٨٠- ينظر: هيفاء أبو غزالة، المصدر السابق، ص ٣٨-٣٩؛ ينظر أيضاً: منال محمود المشني، مصدر سابق، ص ٣٠٦-٣١٠.

الإسلامية والقوانين الوطنية.^(٨١) وقد نصت اتفاقية فيينا لقانون المعاهدات لعام ١٩٩٦، في المادة (٢٢) على سحب التحفظات الواردة على الاتفاقيات الدولية^(٨٢). كما نصت اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة في المادة الفقرة (٣) من المادة (٢٨) على جواز سحب التحفظات في أي وقت بتوجيه اشعار إلى الأمين العام للأمم المتحدة الذي يقوم بإبلاغ جميع الدول الأطراف ويصبح الاشعار ساري المفعول من تاريخ تلقيه^(٨٣).

قامت بعض الدول العربية بسحب بعض تحفظاتها التي كانت قد أبدتها سابقا على الاتفاقية إذ عملت تونس على سحب تحفظاتها على الاتفاقية ((بموجب القانون ١٠٣ لعام ٢٠١١ بتاريخ ٢٤ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠١١ و بلغت الأمين العام و بذلك طبقا للإجراءات الجاري العمل بها غير إنها ابقت على الاعلان العام))^(٨٤).

أما المغرب فقد سحبت تحفظه المتعلق بالمادتين (٢/٩) و (١/١٦) واستبدل التحفظ على المادة (٢/٢) بإعلان تفسيري^(٨٥)، أما الاردن فقد سحب مؤخراً تحفظه المتعلق بالمادة (١٥) التي تنص على: ((منح الرجل و المرأة الحقوق نفسها في ما يتعلق بحركة الاشخاص و حرية اختيار محل سكنهم و اقامتهم))، أما الجزائر فقد قامت بسحب التحفظ عن المواد (٢/٩)، (١/١٦)، (١/٢٩)، أما العراق فقد سحب تحفظه عن المادة (٩). أما مصر فقد سحبت تحفظها على المادة (٩) الفقرة (٢)^(٨٦).

الخاتمة

في ختام هذه الدراسة التي عرضت لموضوع (حماية حقوق المرأة في اتفاقية سيداو والبروتوكول الملحق بها).

وبعد البحث والتحليل القانوني لأحكام الاتفاقية يمكن أن تخرج الدراسة ببعض الاستنتاجات والتوصيات نوردتها بالشكل الآتي:

أولاً: الاستنتاجات

- ١- تجسد الاتفاقية الدولية للقضاء على التمييز ضد المرأة التي تعرف باسم (سيداو) وبروتوكولها الشرعة الدولية لحقوق المرأة، وهي أهم الاتفاقيات الدولية المتخصصة إذ جاءت عامة وشاملة لجميع الحقوق في المجالات المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية كافة وتعد من أكثر الاتفاقيات عضوية مقارنة بغيرها إذ انضمت إليها معظم دول العالم تقريباً.
- ٢- أسهم البروتوكول الاختياري الملحق بالاتفاقية في تعزيز آليات الحماية إذ أضاف اجراءين وسع بهما صلاحيات اللجنة، وهما: تلقي الشكاوى الفردية من قبل الأفراد أو مجموعات الأفراد بشأن

٨١- ينظر: هيفاء بو غزالة، المصدر السابق، ص ٤٠-٤١؛ ينظر أيضاً: الرابط الالكتروني <http://www.ir-faasawtak.com>

٨٢- المادة (٢٢) من اتفاقية فيينا لقانون المعاهدات ١٩٦٩.

٨٣- الفقرة (٣) من المادة (٢٨) من اتفاقية سيداو.

٨٤- سامية بوروبة، المصدر السابق، ص ٢٥.

٨٥- المصدر نفسه، ص ٢٥-٢٦.

٨٦- عبد العال الديري، الرقابة الدولية على انفاذ أحكام القانون الدولي دراسة مقارنة، ط ١، المركز القومي للإصدارات القانونية، القاهرة، ٢٠١٤، ص ٢٠٥.

انتهاكات حقوق المرأة الواردة في الاتفاقية، من جانب دولة طرف فيها، وهذا يعد بحد ذاته تطوراً مهماً في وصول المرأة إلى العدالة على المستوى الدولي، كذلك تتيح للجنة من تلقاء نفسها أن تحقق في الانتهاكات الجسيمة أو المنظمة للحقوق والحريات المتضمنة في الاتفاقية.

٣- سمحت الاتفاقية بإبداء التحفظات وفقاً للمادة (٢٨) الفقرة (٢) منها على أن لا تكون منافية لموضوع الاتفاقية وغرضها الأساس وقد أبدت العديد من الدول تحفظات على الاتفاقية أكثر مما أبدته اتفاقيات حقوق الإنسان الأخرى فبعض التحفظات تحدد الالتزامات بصيغ عامة ومبهمة والبعض الآخر يمس قضايا جوهرية في تحقيق المساواة، وبعض التحفظات منافية لموضوع الاتفاقية وغرضها إذ كانت الدول العربية من أكثر الدول المتحفظة على كل مواد الاتفاقية أو بعضها مستندة في ذلك إلى ذريعتين هما تعارضها مع القوانين الوطنية وأحكام الشريعة الإسلامية.

٤- أخذت الاتفاقية بمفهوم التمييز الإيجابي وذلك بإعطاء معاملة تفضيلية للمرأة بشكل تدابير خاصة مؤقتة وتلغى هذه التدابير عندما تصل المساواة في المركز، ودعت إلى تعديل الأنماط الاجتماعية والثقافية لسلوك الرجل والمرأة بهدف تحقيق القضاء على التحيزات والعادات العرفية وكل الممارسات الأخرى، القائمة على فكرة دونية أو تفوق أحد الجنسين أو على أدوار نمطية للرجل والمرأة وتعد الأمومة وظيفة اجتماعية وتهدف إلى التركيز على تغيير القوانين التي تعنى بالمرأة وإعادة النظر في توزيع الأدوار بين الجنسين وتحديدها للحقوق والواجبات.

ثانياً: التوصيات

- ١- ضرورة قيام الدول الأطراف بالتوفيق بين أحكام الاتفاقية والتشريعات الوطنية وتعديلها بما يلائم كفالة المرأة لحقوقها، في الميادين جميعها للقضاء على التمييز والعنف البغيض ضدها في الحياة العامة والخاصة، واتخاذ التدابير اللازمة لحمايتها ومعاقبة المجرمين أيًا كانت مراكزهم وحصاناتهم.
- ٢- على الدول الأطراف الاستفادة قدر الامكان من الإيجابيات التي دعت إليها اتفاقية القضاء على التمييز ضد المرأة والعمل على توظيفها بما يخدم مصلحة المرأة فيها.
- ٣- ضرورة حث الدول على إزالة العقبات القانونية والتقليدية التي تعيق مشاركة المرأة في الميادين جميعها.

المصادر

أولاً: الكتب

- ١- أحمد جمعة، لقضاء على كافة أشكال العنف والتمييز ضد المرأة، مؤسسة الوارق، عمان، ٢٠١٤.
- ٢- ساسي سالم الحاج، المفاهيم القانونية لحقوق الإنسان عبر الزمان والمكان، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط٣، ٢٠٠٤.
- ٣- سهيل حسين الفتلاوي، حقوق الإنسان، ط١، دار الثقافة، عمان، ٢٠٠٧.
- ٤- عبد العال الديري، الرقابة الدولية على انفاذ أحكام القانون الدولي دراسة مقارنة، ط١، المركز القومي للإصدارات القانونية، القاهرة، ٢٠١٤.

- ٥- عبد الكريم علوان، الوسيط في القانون الدولي العام، ط ١، الكتاب الثالث، دار الثقافة، الاردن، ١٩٩٧.
- ٦- علي صادق أبو هيف، القانون الدولي العام، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٩٣.
- ٧- علياء عبود سالم، اتفاقية سيداو وملاءمتها للتشريعات العراقية، ط ١، وزارة الثقافة العراقية، بغداد، ٢٠١٤.
- ٨- ليا ليفين، حقوق الإنسان، أسئلة وأجوبة، منشورات اليونسكو، ٢٠٠٩.
- ٩- ماجدة علي ملا صادق، حقوق المرأة العاملة في المواثيق الدولية والتشريعات الداخلية، منشأة المعارف، الاسكندرية، ٢٠١٣.
- ١٠- محمد يوسف علوان، محمد خليل الموسى، القانون الدولي لحقوق الإنسان، الحقوق المحمية، ط ١، ج ٢، دار الثقافة، ٢٠٠٩.
- ١١- مدهش محمد أحمد عبدالله المعمرى، الحماية القانونية لحقوق الإنسان في ضوء أحكام القانون الدولي والشريعة الإسلامية، المكتب الجامعي الحديث ٢٠٠٧.
- ١٢- منال محمود المشني، حقوق المرأة بين المواثيق الدولية وأصالة التشريع الإسلامي، دراسة مقارنة بين الشريعة الإسلامية والقوانين الدولية الخاصة بحقوق المرأة، دار الثقافة، ط ١، ٢٠١١.
- ١٣- منتصر سعيد حموده، الحماية الدولية للمرأة، دراسة مقارنة بأحكام الشريعة الإسلامية، ط ١، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠١٠.
- ١٤- نهي القاطرجي، المرأة في منظومة الأمم المتحدة رؤية اسلامية، ط ١، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ٢٠٠٦.
- ١٥- هادي نعيم المالكي، المدخل لدراسة القانون الدولي لحقوق الإنسان، منشورات زين الحقوقية، بيروت، ط ٢، ٢٠١١.
- ١٦- هالة سعيد تبسي، حقوق المرأة في ظل اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (سيداو)، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ط ١، ٢٠١١.
- ١٧- هيفاء أبو غزالة، مؤشرات كمية ونوعية لاتفاقية للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (سيداو) منظمة المرأة العربية، دار نوبار، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٩.
- ١٨- وسيم حسام الدين أحمد، الاتفاقيات الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان، ط ١، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠١١.
- ١٩- يوسف حسن يوسف، حقوق المرأة في القانون الدولي والشريعة، المركز القومي للإصدارات القانونية، القاهرة، ط ١، ٢٠١٣.

ثانياً: البحوث والدراسات

- ١- سامية بورية، الاجتهادات القضائية العربية في تطبيق الاتفاقيات الدولية للحقوق الإنسانية للمرأة (الأردن، تونس، العراق، فلسطين، المغرب، لبنان، الجزائر) الجزائر، ٢٠١٦، ص ٢٦.

ثالثاً: الرسائل والاطاريح الجامعية

- ١- منال فنجان علك، مبدأ عدم التمييز في القانون الدولي والشريعة الإسلامية، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية القانون، ٢٠٠١.

رابعاً: الصكوك والوثائق الدولية

- ١- ميثاق الأمم المتحدة لعام ١٩٤٥.
- ٢- إعلان القضاء على التمييز ضد المرأة لعام ١٩٦٧.
- ٣- اتفاقية فيينا لقانون المعاهدات الدولية لعام ١٩٦٩.
- ٤- اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة لعام ١٩٧٩.
- ٥- البروتوكول الاختياري الملحق باتفاقية القضاء على التمييز ضد المرأة لعام ٢٠٠٠.
- ٦- الأمم المتحدة، حقوق الإنسان، المجلس الاقتصادي والاجتماعي، تقرير مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان، نيويورك، ٢٠٠٨.
- ٧- الأمم المتحدة، حقوق الإنسان، حقوق المرأة من حقوق الإنسان، مكتب المفوض السامي، نيويورك، جنيف، ٢٠١٤.

خامساً: الروابط الالكترونية

- ١- اتفاقية القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة سيداو (cedaw) رؤية نقدية من منظور شرعي، متاح على الرابط الالكتروني <http://www.iicwc.org> الاثنين ٢٠١٧/٢/٦ الساعة ٣٠:١٠ pm.
- ٢- البروتوكول الاختياري على الرابط الالكتروني <http://www.unicef.org> الاثنين ٢٠١٧/٤/١٠ الساعة ٨:٣٠ pm.
- ٣- التحفظات على اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، تقويض حماية المرأة من العنف في الشرق الاوسط وشمال افريقيا متاح على الرابط الالكتروني، الثلاثاء ٢٠١٧/٣/٧ الساعة ١٥:٨٨ AM، <http://www.amnesty.org>.
- ٤- دينا أبو الحسن، لماذا سيداو، الرابط الالكتروني: <http://www.abwab.eu>. الاحد ٢٠١٧/٥/٢٥ الساعة ٩:٣٠ pm.
- ٥- الرابط الالكتروني <http://www.irfaasawtak.com>.
- ٦- في اتفاقية فيينا لقانون المعاهدات لعام ١٩٦٩، متاح على الرابط الالكتروني <http://elearn.univ-ouargia.dz> الثلاثاء ٢٠١٧/٢/٧ الساعة ٣٠:١٠ pm.
- ٧- منال جيللاوي، التحفظات العربية على سيداو، متاح على الرابط الالكتروني الأحد ٢٠١٧/٤/٢ الساعة ٥:٣٠ AM، <http://www.ar.ammannet.net>.

نظرة في قانون التعليم العالي الأهلي رقم ٢٥ لسنة ٢٠١٦

A look at the Private Higher Education

Law No. 25 of 2016

د. علي عبدالحسين منصور الدراجي^(١) Dr. Ali A. Al-Husain Al-Daraji

الملخص

يُعد الدور الذي يمارسه التعليم العالي الجامعي الأهلي، مكماً للدور الذي يقوم التعليم الرسمي، كما إنهما يتفقان من حيث الهدف، الذي يصبو إليه كل منهما، ذلك إنه يوفر فرصاً للقبول لم يكن بالإمكان الاستفادة منها في التعليم الرسمي، ويتيح للدراسين تحقيق ميولهم ورغبتهم في دراسة معينة يختارونها، فيما لو إنعدم وجودها في التعليم الرسمي، وفي مختلف المستويات العلمية، فضلاً عما يقوم به من دور متميز في توفير فرص العمل والعيش لكثير من التدريسين والموظفين والعاملين.

ولما كان قانون الجامعات والكليات الأهلية رقم ١٣ لسنة ١٩٩٩ لم يرقم بالدور الذي يهدف له المشرع في مواكبة التطور الحاصل في مجال التعليم العالي الأهلي، شرع قانون التعليم العالي الأهلي رقم ٢٥ لسنة ٢٠١٦ بغية سد النقص الحاصل في القانون السابق.

ومع إن المشرع في هذا القانون، والذي نحن بصدد تناقشه، قد تلاق بعض النقص في القانون المذكور ويستطيع المتتبع لنصوصه أن يتلمس فيه من إيجابيات، إلا إن الأمر لا يخلو من إن تلك النصوص قد ينتاب البعض منها الغموض وتؤخذ عليها مأخذ قانونية، وتسجل عليها ملاحظات في بعض نواحي الصياغة الفنية غير الدقيقة، والتي نعتقد بأنها جديرة بتسليط الضوء عليها من خلال دراستنا المتواضعة، داعين من الله سبحانه أن نوفق في ذلك.

Abstract

The role-played by private university higher education is complementary to the role that formal education takes on, and they agree in terms of the goal that each of them aspires to, as it provides opportunities for admission that could not be used in formal education, and allows learners to realize their preferences and their desire to study A certain number they choose, if it is not present in formal education, and at various scientific levels, as well as the distinguished role it plays in providing job and livelihood opportunities for many lecturers, employees and workers.

And since the Private Universities and Colleges Law No. 13 of 1999 did not fulfill the role that the legislator aims for in keeping pace with the development in the field of private higher education, the Private Higher Education Law No. 25 of 2016 was enacted in order to fill the deficiency in the previous law.

Although the legislator in this law, which we are dealing with, has avoided some deficiencies in the aforementioned law, and whoever follows its texts can touch the positive aspects of it, however, the matter is not without the fact that these texts may become ambiguous and some of them may be subject to legal concerns, and notes are recorded in some Aspects of inaccurate technical formulation, which we believe deserve to be shed light on through our modest study, praying to God Almighty for success in that.

المقدمة

قبل أن نبدأ البحث في موضوع، نظرة في قانون التعليم العالي الأهلي رقم ٢٥ لسنة ٢٠١٦ والمآخذ التي نسجلها على نصوص القانون، نسعى للوقوف على جوهر الموضوع، والأهمية التي دعت إليه، والأسباب التي قادت البحث، للأغراض التي يريد الوصول إليها كحصول علمية لذا سوف نرسم هيكلية ومنهجاً تتضمن المحاور، التي أشرنا إليها آنفاً، و لإحتياج المقدمة إليها سنجعل منها محاوراً لها وعلى النحو الآتي:

أولاً: جوهرية البحث

يُعد الدور الذي يمارسه التعليم العالي الجامعي الأهلي، مكماً للدور الذي يقوم التعليم الرسمي، كما إنهما يتفقان من حيث الهدف، الذي يصبو إليه كل منهما، ذلك إنه يوفر فرصاً للقبول لم يكن بالإمكان الاستفادة منها في التعليم الرسمي، ويتيح للدراسين تحقيق ميولهم ورغبتهم في دراسة معينة يختارونها، فيما لو إنعدم وجودها في التعليم الرسمي، وفي مختلف المستويات العلمية، فضلاً عما يقوم به من دور متميز في توفير فرص العمل والعيش لكثير من التدريسين والموظفين والعاملين، ولذلك كان للقانون المذكور، أثراً مهماً وواضحاً في الواقع، إلا إنه من جانب آخر لا تخلو النصوص القانونية للقانون، من الغموض

والتناقض، ووجود مآخذ كثيرة، على تلك النصوص، ومن هذا الباب كنا نسعى الى الوقوف على مواطن الخلل، وتحليل الغامض منها.

ثانياً: سبب اختيار الموضوع وأهميته

لما كان قانون الجامعات والكليات الاهلية رقم ١٣ لسنة ١٩٩٩ لم يقم بالدور الذي يهدف له المشرع في مواكبة التطور الحاصل في مجال التعليم العالي الأهلي، شرع قانون التعليم العالي الأهلي رقم ٢٥ لسنة ٢٠١٦ بغية سد النقص الحاصل في القانون السابق.

ومع إن المشرع في هذا القانون، والذي نحن بصدده قد تلافى بعض النقص في القانون المذكور وما يستطيع المتتبع له صوصه أن يتلمس فيه من إيجابيات، إلا إن الأمر لا يخلو من إن تلك النصوص قد ينتاب البعض منها الغموض وتؤخذ عليها مآخذ قانونية، وتسجل عليها ملاحظات في بعض نواحي الصياغة الفنية غير الدقيقة، والتي نعتقد بأنها جديرة بتسليط الضوء عليها من خلال دراستنا المتواضعة، وسببا لاختيار الموضوع ودراسته.

ثالثاً: مشكلة البحث وأغراضه

تتركز مشكلة البحث، في بيان النصوص القانونية التي ينتابها الغموض، وتفسيرها وتحليلها وبيان مدى ملاءمتها لواقع التعليم العالي الأهلي، وهو ما نسعى جاهدين لبيانه وإزالة الغموض الذي يكتنفه.

رابعاً: نطاق البحث

إن دراسة موضوع نظرة في قانون التعليم العالي الأهلي، ستقتصر على القانون الوضعي وفي نطاق قانون التعليم العالي الأهلي رقم ٢٥ لسنة ٢٠١٦ دون غيره من فروع القانون الأخرى، ومع ذلك سنعرض للموضوع في هذه الفروع بما لا يتجاوز القدر الضروري اللازم للترابط الموضوعي واستيفاء مقتضيات البحث.

خامساً: هيكلية البحث ومنهجه

تنبثق خطة البحث من تحليل النصوص القانونية الخاصة بقانون التعليم العالي الأهلي، وتسعى لمعالجة تلك النصوص من خلال التحليل والتفسير القانوني السليم، ومن هذا المنطلق تشمل تقسيم البحث على ثمانية فصول كما هو حاصل في الترتيب الوارد فيه وعلى النحو الآتي:

الفصل الأول: التعريفات والاهداف والوسائل

الفصل الثاني: التأسيس

الفصل الثالث: الإشراف والتقويم

الفصل الرابع: مجلس التعليم العالي الأهلي

الفصل الخامس: تشكيلات الجامعة او الكلية أو الكلية غير المرتبطة بجامعة أو العهد الأهلي

الفصل السادس: الاحكام المالية

الفصل السابع: العقوبات

الفصل الثامن: احكام عامة وختامية

وقد اعتمدنا المنهج التحليلي والوصفي، متنقلين بين العرض والتحليل والاستقراء والاستنباط، كما وضعنا خاتمة للبحث تطوي على ابرز النتائج التي تمخض عنها البحث، داعين من الله ان يقيّل عثراتنا وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، إنه نعم المولى ونعم النصير وبه المستعان.

الفصل الأول: التعريفات والاهداف والوسائل

المادة (١): تناولت المادة الأولى التعريفات والاهداف والوسائل حيث جاء فيها "١- يقصد بالتعابير الواردة في هذا القانون المعاني المبينة إزاؤها:

القانون: قانون التعليم العالي الأهلي

الوزارة: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الوزير: وزير التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة أو الكلية أو المعهد: أي جامعة أهلية أو كلية أهلية غير مرتبطة بجامعة أو معهد أهلي يؤسس وفق أحكام هذا القانون.

مجلس التعليم العالي الأهلي: هو أعلى هيئة علمية وإدارية تقوم بالإشراف على التعليم الأهلي.

مجلس الجامعة أو الكلية أو المعهد: هو أعلى هيئة علمية وإدارية فيها.

الجهة المؤسسة للجامعة أو الكلية غير المرتبطة بجامعة أو المعهد الأهلي: الجهة المسؤولة قانوناً عن إكمال ومتابعة إجراءات التأسيس.

وفيما يخص التعريفات فإنه وبعد ان تم تعريف القانون والوزارة والوزير والجامعة والكلية او المعهد ومن ثم مجلس التعليم العالي الأهلي، ومجلس الجامعة او الكلية، عرجت المادة المذكورة على تعريف الهيئة المؤسسة بالقول "الجهة المسؤولة قانوناً عن إكمال ومتابعة إجراءات التأسيس".

ومن ثم، فإن الهيئة التأسيسية إنما تشارك بالإعتبارات العلمية وبما يحمله المؤسس من شهادة علمية ولقب علمي لغرض إكمال إجراءات التأسيس والاعتراف بالكلية او الجامعة وينتهي دورها.

والملاحظة المهمة: هو أنَّ القانون يخلط بين عمل الهيئة والعمل الذي يقوم به المستثمر^(٢)، ذلك أنَّ الأخير هو من يعمل على فتح المؤسسة التعليمية وإنشائها وتوفير العقارات الخاصة بها وبناء المنشآت عليها، فضلاً عن توفير المستلزمات كافة لقيامها بعملها، وكان الأولى بالمشرع ان يوضح بنصوص صريحة الخلط الواضح بين عمل الجهتين، لانه وبعد أن جعل عمل المؤسس ينتهي بإستكمال إجراءات التأسيس عاد في المادة (٣٦) الفقرة الثانية منها، وذهب الى توزيع صافي الوفر المالي السنوي للجامعة أو الكلية على النحو الآتي:

١- ما لا يزيد عن ٢٥٪ للجهة المؤسسة على ان لا تؤثر على التزامات الجامعة او الكلية او المعهد، والواضح إنه كان يقصد بالهيئة المؤسسة (المستثمر)، وهذا البس في النصوص القانونية غير مبرر، وما يدل على صحة ما نقول به هو إن المادة (٣٤) الفقرة الأولى من القانون والتي حددت الموارد المالية للجامعة أو الكلية أو المعهد الأهلي، أشارت الى إن تلك الموارد قد تأتي من "مساهمة الهيئة المؤسسة

٢- أنظر: المادة (١) الفقرة (ي) من قانون الاستثمار رقم ١٣ لسنة ٢٠٠٦.

والمعروف أنَّ الهيئة المؤسسة تساهم فقط بالألقاب العلمية والشهادات، ومن ثم نجد إن نص المادة (١) يحتاج الى تفسير لغموض المضمون وعدم دقة الصياغة القانونية من الناحية الفنية للصياغة.

المادة (٢): أكدت على توفير الفرص للدراسة الأولية والعليا "النظرية والتطبيقية" لغرض الاسهام في احداث تغيرات كمية ونوعية في الحركة العلمية والثقافية والتربوية، والتزام الخط الوطني المستند الى وحدة الشعب، فضلا عن تطوير البحث العلمي.

ونحن نتفق مع ما جاء في نص هذه المادة، إلا إننا نرى ضرورة التأكيد على التزام المنهج العلمي البحث والابتعاد عن كل ما يثير المناهج التكفيرية والاحاد، وبما يتلاءم مع روح الشريعة الإسلامية السمحاء^(٣).

المادة (٣): بينت هذه المادة الوسائل التي تحقق أهداف القانون عن طريق تأسيس الجامعات أو الكليات او المعاهد، وأضفت عليها الشخصية المعنوية، وتمتعها بالاستقلال المالي والإداري.

وكذلك عن طريق فتح فروع لجامعات اجنبية رصينة في بغداد والاقليم والمحافظات غير المرتبطة بأقليم. وما يؤخذ على هذه المادة، وإن كانت تلك الوسائل قد تفي بالغرض المنشود لتحقيق الأهداف إلا إنها لم تحدد م صير الطالب الذي يسجل في الكلية قبل إنتهاء إجراءات التأسيس، خاصة وإنها لم تذكر التاريخ الذي تعد فيه الجامعة أو الكلية أو المعهد متمتعاً بالشخصية المعنوية، وكان الأولى أن تحدد تمتع الكلية بالشخصية المعنوية تحديداً دقيقاً، ومن جانب آخر، وفي باب فتح فروع للجامعات الأجنبية الرصينة، ذهبت المادة للتعداد وأشارت الى إن تلك الجامعات يحق لها فتح فروع في بغداد والإقليم والمحافظات، وكان الأولى أن يقال إن لها الحق في فتح فروع داخل العراق، لان من أهم الأهداف التي سعى لها القانون هو الحفاظ على الوحدة الوطنية.

الفصل الثاني: التأسيس

المادة (٤): أناطت هذه المادة لمجلس الوزراء بناءً على إقتراح من وزير التعليم العالي والبحث العلمي وبعد إكمال متطلبات التأسيس كافة منح إجازة تأسيس للجامعة أو الكلية أو المعهد الأهلي لجهات حددتها على النحو الآتي:

٣- تجدر الإشارة الى إنه جذور التعليم الأهلي الحديث في العراق تعود الى سنة ١٩٦٣ حين تأسست الكلية الجامعة بمبادرة من نقابة المعلمين، وفي عام ١٩٦٨ الغي أسم الكلية الجامعة ليحل محلها اسم "الجامعة المستنصرية" وفي سنة ١٩٧٤ صدر القرار رقم (١٠٢) الخاص بإعادة تنظيم الجامعات لتصبح الجامعة المستنصرية مؤسسة من مؤسسات التعليم الرسمي، ولم يشهد التعليم العالي الأهلي اهتماماً كافياً الا في عام ١٩٨٨ إذ تأسست بعض الكليات الاهلية يتركز معظمها في بغداد وبعض المحافظات الأخرى كنينوى وديالى والانبار والبصرة، وبعد عام ٢٠٠٣ تأسست جامعات وكليات أهلية منها "جامعة أهل البيت" في كربلاء، والكلية الإسلامية الجامعة الاهلية في النجف، وكلية دجلة الجامعة الاهلية، وقد أصدرت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي إعلاناً في مطلع شباط ٢٠٠٥ قالت فيه إن الكليات الاهلية التي تأسست بموجب قانون الجامعات والكليات الاهلية رقم (١٣) لسنة ١٩٩٩ المعدل معترف بها من قبل الوزارة، وكذلك في جميع أنحاء العالم وإن خريجي هذه الكليات يتمتعون بالحقوق والامتيازات نفسها التي يتمتع بها خريجو الكليات الرسمية في الجامعات العراقية، أنظر لتفصيل أكثر: إبراهيم خليل العلاف، دراسة لوضع التعليم الجامعي الأهلي في العراق حتى عام ٢٠٠٠، بحث، مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل، ٢٠٠٥، ص ٨.

١. حملة شهادة الدكتوراه أو الماجستير من المتقاعدين أو من غير الموظفين، من هم بمرتبة أستاذ مساعد على الأقل، على أن لا يقل عددهم عن (٩) أعضاء لتأسيس الجامعة الأهلية و(٧) أعضاء لتأسيس الكلية الأهلية و(٥) أعضاء لتأسيس المعهد الأهلي.
٢. كما انطت في الفقرة ب مهمة التأسيس للجمعيات أو النقابات المهنية ذات الاختصاصات العلمية والتربوية والثقافية، ويلاحظ على هذه المادة عند الرجوع الى البند (هـ) من الفقرة ثانيا بأنها قد أشرتت في الجهتين المنصوص عليهما في الفقرة (ب) من البند أولاً "الجمعيات العلمية والنقابات المهنية" ان تكون الجمعية أو النقابة ذات قدرة مالية على تهيئة متطلبات الجامعة أو الكلية والانفاق عليها وجوزت الاتفاق مع الغير على تهيئة المتطلبات بما لا يتعارض مع التشريعات الداخلية النافذة، وان يضمن الاتفاق حقوق أطراف الاتفاق، على أن يتم تحديد المتطلبات كافة بتعليمات تصدرها الوزارة^(٤).

والواقع أن القانون وبعد أن اشترط، أن يكون التأسيس لحملة شهادة الدكتوراه أو الماجستير وبدرجة أستاذ مساعد، عاد في هذه الفقرة وتطلب الملاءمة المالية فقط، وكان الأجدر بالمشرع أما أن يلتزم وجهة نظر الدرجة العلمية أو يسمح لحملة شهادة الماجستير أو البكالوريوس بالتأسيس دون اشتراط اللقب العلمي طالما لم يشترطه في الجمعيات أو النقابات خاصة وأن القائمين على العمل في تلك الهيئات وعلى الاعام الاغلب لا يمتلكون أكثر من شهادة البكالوريوس^(٥).

المادة (٥): أجازت هذه المادة لمجلس الوزراء بناءً على اقتراح من الوزير وبعد توصية من مجلس التعليم الأهلي الموافقة على منح الجهات الأجنبية المناظرة للجهات المنصوص عليها في (البند أولاً / أ - ب) من المادة (٤) من هذا القانون والجامعات الأجنبية، إجازة تأسيس جامعة أو كلية أو معهد مع مراعاة الاختصاصات التي تحتاجها عملية التنمية في العراق، على ان لا يقل عددهم عن العدد المحدد في القانون ومرتبة أستاذ مساعد في الأقل.

ونعتقد إن هذه المادة وإن كانت تتلاءم مع المصلحة العامة بتوفير فرص التعليم إلا أننا نسجل عليها الملاحظات الآتية:

١. إننا منحت الجهات الأجنبية المناظرة المنصوص عليها في البند (أولاً / أ - ب) من المادة (٤) الحق في التأسيس، وهذا الامر وإن كان مقبولاً، إلا أنها في الشرط الأخير من (الفقرة أولاً البند ب) تطلبت فقط أن يكون الأجنبي بمرتبة أستاذ مساعد ومشهود له بالكفاءة العلمية، ولم تشترط فيه أن يكون من المتقاعدين أو من غير الموظفين، خاصة وإن المادة (٤) المذكورة قد نصت على منح الجامعات الأجنبية إجازة تأسيس جامعة أو كلية أو معهد أهلي، مما يدل على إن الجامعة الأجنبية قد تكون

٤- انظر: الفقرة أولاً وثانياً وثالثاً ورابعاً وخامساً من المادة (٩) من التعليمات الخاصة بقانون التعليم العالي الأهلي رقم ٢٥ لسنة ٢٠١٦ والمشار إليها بالكتاب المرقم ت هـ أ ك / ٣٢ في ٤ / ١ / ٢٠١٧.

٥- انظر: المادة (٥) من قانون الجامعات والكليات الأهلية رقم (١٣) لسنة ١٩٩٩ التي أعطت الحق في طلب تأسيس جمعيات أو كليات أهلية في النقابات المهنية والجمعيات والمؤسسات الخاصة ذات النفع العام والمعروفة باهتمامها العلمي أو الثقافي أو التربوي، وأن يكون قد مضى على تأسيسها ما لا يقل عن خمس سنوات، كما أجازت تقديم طلب تأسيس جامعة لمجموعة من التدريسين من حملة شهادة الدكتوراه لا يقل عددهم عن (٩) على أن يكونوا من حملة شهادة الدكتوراه ومرتبة لا تقل عن أستاذ مساعد من المتخصصين والمهنيين بالشؤون التربوية والتعليم.

جامعة حكومية رسمية، فتستعين بكوادرها من التدريسين الموظفين فضلاً عن اننا نتحفظ، على منح الجامعات الأجنبية حق تأسيس جامعة أو كلية، ذلك إن تلك الجامعات هي مؤسسة فعلاً ولا تحتاج الى تأسيس، وكان من المفترض ان يشار الى حقها بفتح فروع للجامعات الأجنبية في العراق.

٢. المادة (٦): أختصت هذه المادة بإجراءات التأسيس، والكيفية التي يتم بها تقديم الطلب الخاص بالتأسيس^(٦) والذي يحال من قبل الوزير الى مجلس الوزراء خلال (٦٠) يوماً من تاريخ تقديم الطلب، على أن يبت في الطلب من قبل مجلس الوزراء بعد الإحالة خلال (٩٠) يوماً من تاريخ التسجيل وبخلافه يعد الطلب مقبولاً^(٧).

ومع قبولنا لنص المادة أعلاه من حيث تنظيم العملية الإجرائية، إلا إننا نتحفظ على ما جاء في الفقرة (ج) منها حيث نصت على إنه " في حالة رفض طلب التأسيس من قبل مجلس الوزراء فلطالب التأسيس حق التظلم لدى محكمة القضاء الإداري خلال (٣٠) يوماً من تاريخ رفض الطلب ونعتقد إن هذا النص، معيب من ناحية الصياغة الفنية الدقيقة، ذلك إن المعروف طبقاً للقواعد العامة في القانون الإداري، إن التظلم يقدم الى الجهة التي أصدرت القرار المتظلم منه.

في حين أن المادة المذكورة، قد جعلت التظلم أمام محكمة القضاء الإداري^(٨)، مما يدل على أن المقتصد "بالتظلم" هنا، هو الطعن في قرار مجلس الوزراء أمام محكمة القضاء الإداري إذ إنه وبالرجوع الى قانون المرافعات المدنية، نجد أنه قد حدد التظلم في القرارات التي تصدر في الأوامر الولائية التي تصدرها المحاكم وفقاً لسلطتها الولائية، في حين إن محكمة القضاء الإداري تختص بالطعون التي يتم التظلم منها لدى الجهة التي أصدرت القرار.

ومن ثم نجد أن المقتصد بالتظلم المشار اليه، إنما هو رفع دعوى أمام محكمة القضاء الإداري وهي دعوى الإلغاء خلافاً لما تطلبه القانون لرفع مثل هذه الدعوى، وهو ما يعد معيباً من حيث الصياغة الفنية القانونية الصحيحة.

المادة (٧): لا تعليق لدينا على إستيفاء الوزارة للرسم، عند منح إجازة التأسيس والذي يؤول الى خزينة الدولة، مع تحفظنا على أن ذلك الرسم يحدد مقداره بقرار من مجلس الوزراء، ذلك إن المفترض الأساس هو تحديد الرسم مقدماً لكل صنف او نوع من أنواع الكليات او الجامعات. خاصة وإنه لا يجوز

٦- حددت المادة (٦) أعلاه بناية الكلية أيضاً والمكتبات والمختبرات وغيرها من المتطلبات الضرورية وفق الشروط التي تحددها الوزارة، على أن لا تقل مساحة الكلية عن (٧٥٠٠) سبعة آلاف وخمسمائة متر مربع، ولكل قسم علمي (٢٥٠٠) الفين وخمسمائة متر مربع.

٧- انظر: الفقرة ثلثا البند (ب) من المادة (٦) من قانون التعليم العالي الأهلي.

٨- انظر: الفقرة (سابعاً / أ) من المادة (٥) من قانون مجلس شورى الدولة المعدل بالقانون رقم ١٧ لسنة ٢٠١٣ في ٢٩ / ٧ / ٢٠١٣ والتي تنص على إنه " يشترط قبل تقديم الطعن الى محكمة القضاء الإداري ان يتم التظلم منه لدى الجهة الإدارية المختصة خلال (٣٠) يوماً من تاريخ تبليغه بالأمر أو القرار الإداري المطعون فيه أو اعتباره مبلغاً وعلى هذه الجهة أن تبت في التظلم خلال (٣٠) يوماً من تاريخ تسجيل التظلم لديها - ب- عند عدم البت في التظلم أو رفضه من الجهة الإدارية المختصة على المتظلم ان يقدم طعنه الى المحكمة خلال (٦٠) يوماً من تاريخ رفض التظلم حقيقة أو حكماً وعلى المحكمة تسجيل الطعن لديها بعد استيفاء الرسم القانوني ولا يمنع سقوط الحق في الطعن امامها من مراجعة القضاء العادي للمطالبة بحقوقه في التعويض عن الاضرار الناشئة عن المخالفة أو الخرق للقانون".

إستيفاء أي رسم إلا بناءً على قانون، فضلاً عن أنَّ تحديد الرسم بهذه الكيفية قد يؤدي الى التفاوت بين ما يستقطع من رسم بين جامعة او كلية وأخرى.

المادة (٨): حددت الدراسات الأولية، في الجامعة او الكلية أو المعهد، صباحية أو مسائية واشترطت حصول المتقدم على الشهادة الإعدادية أو ما يعادلها، وحددت مدة الدراسة في الكلية (٤) سنوات على الأقل، وفي الدراسات العليا لا تقل عن سنتين لدراسة الماجستير وثلاث سنوات للدكتوراه ومدة سنتين للمعهد على الأقل.

وحسنا فعل المشرع، فهذا التحديد يتلاءم مع الدراسة في الجامعات الرسمية، خاصة وإن المادة (٩) قد أعطت للوزارة الموافقة على إستحداث برامج للدراسات العليا في الجامعة أو الكلية غير المرتبطة بجامعة أو المعهد وحسب حاجة البلد.

الفصل الثالث: الاشراف والتقويم

المادة (١٠) و (١١): اخضعت هاتين المادتين الجامعة أو الكلية أو المعهد الأهلي، الى إشراف وتقويم الوزارة، لضمان تنفيذ الأهداف.

وهو أمر مستحسن، خاصة وإن المادة (١٠) قد أكدت على ضرورة إتخاذ الأساليب والصيغ المتعارف عليها في التقاليد الجامعية، واخضعت الدراسات الأولية والعليا في الجامعات أو الكليات أو المعاهد الاهلية، الى ذات التعليمات والضوابط المعمول بها في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، أما المادة (١١) فقد ألزمت الجامعة أو الكلية أو المعهد الأهلي بتزويد الوزارة بالمحاضر والتقارير الفصلية والسنوية، ونسب النجاح والرسوب فضلاً عن أي معلومات أخرى تخص العملية التربوية والتعليمية.

الفصل الرابع: مجلس التعليم العالي الأهلي^(٩)

المادة (١٢ / أولاً): أشارت هذه المادة الى تشكيل مجلس يسمى "مجلس التعليم العالي الأهلي" والذي هو أعلى هيئة علمية إدارية تقوم بالاشراف على التعليم الأهلي.

المادة (١٣): وقد بينت هذه المادة، آلية عمل المجلس وممارسته لمهامه ضمن خمس عشرة فقرة، ومن خلال متابعة تلك الفقرات لنا أن نسجل ملاحظات على الفقرة السادسة من المادة المذكورة وعلى النحو الآتي:

١- عبرت هذه الفقرة عن المصادقة على الترقيات العلمية لأعضاء الهيئة التدريسية من خلال لجان الترقيات بعد إقرارها من مجلس الجامعة او مجلس الكلية غير المرتبطة بجامعة، ولم يذكر في هذه الفقرة بأن تلك اللجان تشكل من قبل ذات الكلية أو الجامعة، مما يفتح الباب امام الاجتهادات في تفسير تشكيل هذه الكلية، لذا نقترح أن يعدل النص كالآتي: "المصادقة على الترقيات العلمية لأعضاء الهيئة التدريسية في التعليم الأهلي بعد إقرارها من مجلس الجامعة أو الكلية أو مجلس الكلية غير المرتبطة بجامعة او المعهد الأهلي من خلال لجان الترقيات العلمية المشكلة فيها".

٩- أنظر: أ.د محمد طافه، تجربة مجلس التعليم الأهلي - العراق - الواقع والمستقبل، ندوة التعليم العالي الأهلي في عالم متغير - الواقع والمستقبل - بيروت - ٢٢-٢٣ / ٧ / ٢٠٠٩.

المادة (١٤): حددت بفقراتها إجتماعات مجلس التعليم العالي الأهلي، وكيفية تدوين محاضر الجلسات فيه، وإرسال المقترحات والتوصيات الى جهاز الاشراف والتقييم.
وهي عبارة عن مسائل تنظيمية تتفق مع آلية عمل المجلس ولا تعليق لنا عليها.

الفصل الخامس: تشكيلات الجامعة او الكلية أو الكلية غير المرتبطة بجامعة أو العهد الأهلي

الفرع الأول: الجامعة

المواد (١٥- ١٦ - ١٧ - ١٨): حددت هذه المواد تشكيلات الجامعة، حيث أشرت المادة (١٥) ان تشكل الجامعة من ثلاث كليات على الأقل، ثم بينت المادة (١٦) تشكيل مجلس الجامعة، ونصت على إنه أعلى هيئة علمية وإدارية فيها، ثم بينت المادة (١٧) مهام مجلس الجامعة (١٠).
اما المادة (١٨) فقد عنت بتعيين رئيس الجامعة بترشيح من الجهة المؤسسة وموافقة الوزير لمدة (٤) سنوات قابلة للتجديد مرة واحدة.

الفرع الثاني: الكلية

المادة (١٩): نصت على تشكيل مجلس الكلية، وهو أعلى هيئة علمية وإدارية فيها كما أشارت في فقراتها (٢-٣) الى تأليف مجلس الكلية واعضائه ومقرر المجلس.
المادة (٢٠): نصت هذه المادة الى المهام التي يمارسها المجلس، وذهبت في التعداد الوارد فيها الى ان نصت في البند (ن) بإحالة الترقيات العلمية لأعضاء الهيئة التدريسية الى لجنة الترقيات العلمية في الجامعات الحكومية لغرض التوصية بالترقية تمهيداً لرفعها الى مجلس الجامعة.
وهذا النص متناقض تماماً مع ما تتطلبه قواعد العدالة، ذلك إن القانون قد أشرط في رؤساء الأقسام ومعاوني العميد درجات والقباب علمية عالية، ولا نجد ما يضر في تشكيل لجنة الترقيات العلمية من قبل المذكورين، إذ إنهم ليس أقل خبرة أو كفاءة أو نزاهة من الكوادر التدريسية الحكومية في الكليات الرسمية (١١).

ولا نجد ما يبرر أحالة تلك الترقيات، الى لجان الترقيات في الكليات الحكومية، فضلاً عن أنَّ النص قد إستثنى التدريسيين في فروع الجامعات العالمية وفضلهم على أبناء البلد.
كما إن المادة (٢١) من ذات القانون، قد اوصت بتشكيل لجنة مركزية للترقيات العلمية، لاعضاء الهيئة التدريسية في الجامعات والكليات والمعاهد الاهلية.
ومن ثم فإن التدريسي في الكليات الأهلية وفقاً لهذين النصين، يخضع فيما يخص ترقيته العلمية من قبل لجننتين، احدهما في كلية حكومية، وأخرى مشكلة في الوزارة، مع أنَّ الأعم الأغلب من التدريسيين في

١٠ - انظر: المادة (٢) الفقرة ثامنا من التعليمات الخاصة بقانون التعليم العالي الأهلي.

١١ - أنظر بهذا الصدد أيضاً: د. محمد طaque و د. رايه عبد الرحيم، فلسفة التعليم العالي في العراق، بحث، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة، العدد الثاني، كانون الثاني ٢٠٠٠، ص ١٩ وما بعدها.

الكليات الاهلية، لا يقولون علمية او كفاءة او مقدرة علمية عن أقرانهم وزملائهم في الكليات الحكومية، بل إن البعض منهم، يفوقهم كفاءة وقدرة علمية.

المادة (٢٢) بينت هذه المادة الكيفية التي يتم بها، تعيين عميد الكلية المرتبطة بجامعة لمدة (٤) سنوات وأُشترطت وفقاً لفقارتها الستة فيمن يعين عميداً، أن يكون عراقياً، وحاصلاً على شهادة الدكتوراه وبمرتبة أستاذ مساعد على الأقل، ومعروفاً برصانته العلمية، ولديه خدمة جامعية لا تقل عن خمس سنوات. وما يؤخذ على فقرتها الرابعة، هو إنها أشرتت في ان يكون من ذوي الأختصاص في دراسة أحد الأقسام أو الفروع العلمية للكلية.

ونعتقد أن عدم الاختصاص في أحد الأقسام. لا يؤثر في الاختيار طالما، إنه مستوفي للشروط الأخرى ويمتلك قدرة وإمكانية إدارية، وله خبرة واسعة في مجال التعليم الجامعي، لذا نجد إن مثل هذا النص غير ضروري، ويعكس صفو وضوح المادة (١٢).

المادة (٢٣): بحثت في المهام التي يتولاها عميد الكلية، وكانت فقراتها مجملة في النصوص التي احتوتها ابتداءً من الفقرة الأولى التي جاءت بنودها بتعداد تلك المهام، في حين أن الفقرة ثانياً أعطت العميد صلاحية تحويل بعض من مهامه الى معاونه او رئيس القسم أو رئيس الفرع.

واعطت الفقرة الثالثة منها، رئيس القسم صلاحية العميد في الجامعات التي تتكون من أقسام. المادة (٢٤) حددت هذا المادة معاوني العميد، ولم تشتت فيهما، سوى كون العميد عضواً في الهيئة التدريسية، وأن لا تقل مرتبته العلمية عن "مدرس" وهو أمر مستحسن بعيداً عن التعقيدات والشروط التي تطلبها القانون في نصوص أخرى.

الفرع الثالث: الكلية غير المرتبطة بجامعة

المادة (٢٥ / أولاً): تناولت هذه المادة في الفقرة الأولى، تشكيل الكلية الاهلية غير المرتبطة بجامعة مجلساً يسمى "مجلس الكلية" وهو أعلى هيئة علمية وإدارية فيها.

وتناولت الفقرة الثانية، تأليف مجلس الكلية، فأشار البند (ا) منها بأن عميد الكلية يكون رئيساً للمجلس، ثم إنتهت في الفقرة (ز) بممثل الهيئة التدريسية في الكلية.

وما يلاحظ على هذه المادة هو إن البند (هـ) منها اشترط في تأليف المجلس، ان يكون فيه "ممثل عن الجهة المؤسسة للكلية، ممن تتوافر فيه شروط عضو الهيئة التدريسية، في الجامعات الرسمية".

ويبدو في هذا البند تناقضاً واضحاً، مع ما تم إشتراطه في الهيئة المؤسسة، من أن يكون الأعضاء المؤسسين من المتقاعدين او من غير الموظفين.

ولا يخفى من أن إشتراط توافر صفة عضو الهيئة التدريسية في الجامعات الحكومية، إنما يضيف عليه صفة الموظف، ومن ثم لا نجد ما يبرر هذا الاشتراط، للتناقض الواضح في النص

١٢- أنظر للمزيد: د. مصعب عبد السلام طه، التعليم العالي الأهلي في العراق تجربة وآفاق، بحث مقدم الى المؤتمر العلمي السنوي الثاني حول التعليم العالي الأهلي في العراق، تشرين الثاني، كلية الحداثة، جامعة الموصل، ١٩٩٩، ص ٩.

المادة (٢٦): نصت هذه المادة على مهام واختصاصات مجلس الكلية وهي نفس مهام واختصاصات مجلس الجامعة المشار إليها في المادة (١٧) من القانون.

وهو تكرار غير مسوغ في صياغة النصوص، وكان على المشرع أن يشير في المادة (١٧) الى أنّ تلك المهام مناطة بمجلس الكلية، منعاً للتكرار.

المادة (٢٧): تنص هذه المادة الى مهام عميد الكلية غير المرتبطة بجامعة، وبينت بأنه يمارسها وفقاً لما منصوص عليه في المادة (١٨) من هذا القانون.

وقد بينا سابقاً، بأن ما يؤخذ على هذه المادة، إنها جعلت تعيين العميد منوطة بالجهة المؤسسة وبموافقة الوزير خلافاً لما بينته المادة الأولى والتي حددت مسؤولية الجهة المؤسسة القانونية تنتهي بإستكمال إجراءات التأسيس والاعتراف بها.

وكان الاجدر ان تناط مهمة تعيين العميد بمجلس الكلية المشكل، وبموافقة الوزير وإن كان إختياره لأول مرة يتم عن طريق الجهة المؤسسة، ذلك أنّ مجلس الكلية بعد الاعتراف إنما يمثل الهيئة العليا في الكلية وهو الذي يعمل على رسم السياسة العامة في الكلية.

المادة (٢٨): تكلمت هذه المادة عن الكيفية التي يتم بها تأسيس المعاهد الاهلية واحالت ذلك الى أحكام المادة (٢٥) من هذا القانون، والتي سبق الإشارة إليها، وبالعودة لها. نجد إن ما يلاحظ عليها ما جاء في البند (هـ) بخصوص ممثل الجهة المؤسسة، ولا نجد مسوغاً للعودة اليه، والاكتفاء بما تمت الإشارة اليه فيه.

الفرع الرابع: القسم او الفرع في الجامعة او الكلية غير المرتبطة بجامعة

المادة (٢٩): تتكون الكلية من اقسام او فروع علمية ويجوز ان تكون تشكيلات للبحوث العلمية وتشكيلات إدارة.

المادة (٣٠) أولاً: نصت على القسم او الفرع العلمي واشترطت أن يضم عدداً من التدريسيين من حملة شهادة الدكتوراه أو الماجستير ممن هم على ملاك الكلية، وان لا يقل عددهم عن (٧) وأن يكون (٥) منهم على الأقل من حملة شهادة الدكتوراه وان يكون احدهم بمرتبة أستاذ مساعد.

وحسننا فعل المشرع بالنص على تحديد العدد الأقل بالنسبة الى حملة الشهادات من الماجستير والدكتوراه، مع اننا كنا نتمنى أن يكون العدد (٩) من بينهم أربعة من حملة شهادة الماجستير ليتسنى للقسم العمل بطريقة أكثر علمية، وتعم الفائدة أكثر^(١٣).

وبعد ان نظمت الفقرة الثانية من المادة (٣٠) الآلية التي يتكون منها القسم او الفرع، وهي عملية تنظيمية جاءت المادة (٣١) وحددت المهام التي يتولاها ذلك القسم أو الفرع، وكان لنا المآخذ التالية على هذه المادة وهي:

١٣- أنظر: د عبد الرحيم مراد، تجربة مجلس التعليم الأهلي - العراق - الواقع والمستقبل، ندوة التعليم العالي الأهلي في عالم متغير - الواقع والمستقبل - بيروت - ٢٢-٢٣ / ٧ / ٢٠٠٩.

أولاً: جاء في البند (أ) ومن ضمن المهام "التوصية بما يحتاجه القسم من أعضاء الهيئة التدريسية والمحاضرين والمعينين ودعوة الأساتذة الزائرين.

وعبارة "الأساتذة الزائرين" مبهمة غير مفهومة، إلا إذا كان المقصود منها الاستعانة بأساتذة من الكليات الأخرى، لغرض لقاء المحاضرات، في مواد مهمة، ومن ثم لا حاجة لذكرها، لأن النص قد ذكر المحاضرين ابتداءً.

كما اننا نتحفظ على ما جاء في الشرط الأخير من البند (و)، الذي جعل من مهام القسم توجيه أعضاء الهيئة التدريسية لتحديث وتطوير المناهج الدراسية، خلافاً لما جاء في المادة (١٣) الخاص بمهام مجلس التعليم العالي الأهلي في الفقرة "خامساً" منها، التي تنص على إن من مهام المجلس المصادقة على المناهج الدراسية المقترحة من الجامعة أو الكلية أو المعهد بعد إقرارها من الهيئات القطاعية المختصة في الوزارة.

ومن ثم فإن الاجدر بالمشروع، أن ينص على أن من مهام القسم، توجيه الأساتذة بكتابة توصياتهم فيما يخص تطوير المناهج لغرض رفعها الى الجهات القطاعية في الوزارة وعدم التوجيه لهم بتحديث المناهج لأنها خارجة عن نطاق اختصاص التدريسيين.

المادة (٣٢) أولاً: بينت الكيفية التي يتم بها ترشيح رئيس القسم وأشرت في فقرتها الثانية فيمن يتولى رئاسة القسم، أو الفرع العلمي.

وبالعودة للفقرة الأولى نجد إنها احتوت على جوانب تنظيمية ادارية مقبولة.

اما الفقرة الثانية، فكنا نتمنى على المشرع ان يضيف لها بنداً آخر، وهو ان يكون من شروط رئيس القسم، "غير محكوم عليه بجناية أو جنائية وإنه حسن السيرة والسلوك" فالخدمة الجامعية والكفاءة الإدارية وحدها لا تكفي لمن يت رأس قسماً علمياً في الكلية^(١٤).

الفرع الخامس: الهيئة التدريسية

المادة (٣٣): تنص على تأليف الهيئة التدريسية، وهو تعداد نمطي معمول به في كل الجامعات بما فيها الجامعات العربية والعالمية مع اختلاف التسميات، ولا تعليق عليه.

الفصل السادس: الأحكام المالية

المادة (٣٤): تنص على الموارد المالية للجامعة أو الكلية غير المرتبطة بالجامعة الاهلية أو المعهد الأهلي، وأشارت في فقراتها الأربع الى تلك الموارد، ولنا في هذا المقام وجهة النظر الآتية:

أولاً: نصت الفقرة الأولى منها الى مساهمة الجهة المؤسسة لها.

والمعروف ان الجهة المؤسسة إنما تساهم في الألقاب العلمية والشهادات، ونادراً ما تكون هي الجهة المستثمرة، ولذلك كان الأولى بالمشرع ان يذكر في نص المادة مساهمات المستثمر أو الجهة المؤسسة إن كانت هي الجهة المستثمرة.

١٤- انظر: الفقرة (٤) من التعليمات الخاصة بقانون التعليم العالي الأهلي لسنة ٢٠١٦ والتي أشرت ذلك في العضو المؤسس، ولا نجد إن العضو المؤسس أكثر تأثيراً أو أهمية في الجوانب العلمية والتربوية من رئيس القسم العلمي.

أما الفقرة الثانية، والتي ذكرت الأجور الدراسية من ضمن الموارد المالية فلا تعليق عليها فهي المورد الأساسي للكلية وهو امر مسلم به.

اما الفقرة ثالثا منها، فقد ذكرت من ضمن الموارد المنح والهبات والاعانات والوصايا والوقف وفقا للقانون.

ويلاحظ على هذا النص الغموض، فقد جاءت المنح والهبات والاعانات مطلقة، و نعتقد ضرورة أن تكون المنح والهبات والاعانات من الحكومة أو مؤسساتها التي تتقارب مع الكلية في أهدافها ويكون لها مع الجامعة أو الكلية روابط مشتركة، أو تكون تلك الهبات أو المنح أو الإعانات مشروعة، فضلاً عن أن النص لم يذكر فيما إذا كانت تلك الهبات أو الإعانات تقدم من داخل العراق أم من خارجه، وكان المفترض ان يحدد ذلك تحديدا واضحا.

اما الفقرة الرابعة فإنها أشارت الى أن الموارد قد تكون ناجمة عن نشاطاتها المختلفة.

ونعتقد من جانبنا، يجب ان يكون النص من حيث الصياغة الفنية "الإيرادات الناجمة عن نشاطاتها العلمية والتربوية والثقافية المختلفة" لكي نكون امام نص اكثر تحديدا ووضوحا.

المادة (٣٥): أعطت للجامعة أو الكلية غير المرتبطة بجامعة أو المعهد، الحق في الاستثمار وهو امر مسلم به.

وقد اكدت التعليمات الخاصة بقانون التعليم العالي الأهلي لعام ٢٠١٦ في المادة (١٢) منها كونه أجازت تأسيس الجامعات أو الكليات وفتح فروع للجامعات وفقا لاحكام قانون الاستثمار رقم (١٣) لسنة ٢٠٠٦ المعدل.

ومن جانبنا نحفظ على البند أولا من المادة (١٢) من تلك التعليمات، ذلك إنها أعطت الحق بتملك الأرض للمستثمر الأجنبي، كما هو الحال عليه بالمستثمر العراقي، وهو أمر غير مقبول ولا مسوغ للأخذ به، ونعتقد وطبقا للطابع الوطني والذي هو من أهم اهداف القانون، أن يقتصر التملك للمستثمر العراقي دون الأجنبي، ولا يقدح ذلك في حقوق المستثمر الأجنبي.

المادة (٣٦): حددت الرسوم التي تستوفيها الوزارة من الجامعات أو الكليات والمعاهد الاهلية ب ٣٪ (ثلاثة بالمائة) من إجمالي الإيراد السنوي للجامعة أو الكلية أو المعهد، كما أشارت في الفقرة الثانية الى توزيع صافي الوفر المالي بنسب محددة، إذ أن البند (أ) من الفقرة ثانيا، ذكر بأن نسبة ما لا يزيد ٢٥٪ للجهة المؤسسة، إلا إنه أشرت ان لا تؤثر هذه النسبة على التزامات الجامعة أو الكلية أو المعهد.

ومن ثم فإن هذه النسبة قد تقل بكثير عما حدده، لأن تغطية نفقات توسيع وتطوير نشاطات الجامعة أو الكلية أو المعهد، ومسالة البحث العلمي أولى بكثير من النسبة الممنوحة للجهة المؤسسة خاصة وان تلك الجهة ليس غايتها الربح، بالقدر الذي يكون فيه هدفها تربويا علميا بعيدا عن النفعية والربحية والمكاسب الخاصة، ومن ثم فان على مجلس الكلية أن يأخذ في حساباته متطلبات والتزامات الكلية أولا.

المادة (٣٧): أعفت الجامعات والكليات والمعاهد الاهلية، من الرسوم الكمركية فيما يخص إستيراد المواد والعدد والأجهزة واجزائها وموادها الاحتياطية، ووسائل الايضاح والكتب والمطبوعات المستوردة المقررة في خططها وبرامجها التي تخدم اغراضها.

ويبدو أنّ هذا النص وإن كان حسناً وتبدو فيه لمسة المساعدة، لتلك الكليات والجامعات او المعاهد الاهلية، إلا إننا نقترح أيضاً أن يضاف الى الشطر الأخير منه " خططها وبرامجها المعدة والمستقبلية التي تخدم اغراضها " ذلك ان البرامج المعدة قد تتغير تبعاً للتطور الحاصل و الظروف ومن ثم تحتاج الى برامج ومواد أخرى تتلاءم حاجاتها المستقبلية.

الفصل السابع: العقوبات

المادة (٣٨) أولاً: أعطت للوزير الحق بإنذار الجامعة او الكلية غير المرتبطة بجامعة او المعهد بإزالة المخالفة خلال (٩٠) يوماً من تاريخ التبليغ بالإنداز، ثم عرجت في الفقرة الثانية منها بإعطاء الوزير صلاحية تعليق القبول في الجامعة او الكلية او المعهد او القسم العلمي لمدة لا تتجاوز ٣ سنوات عند مخالفة احكام أي من احكام هذا القانون، ونعتقد من جانبنا ان تلك العقوبة عامة شاملة ومن ثم يكون لها تأثير كبير ليس فقط على الجامعة او الكلية او المعهد بل على الطلبة الذين يرغبون في التقديم و القبول مما يؤثر على مستقبلهم الدراسي ونقترح ان تكون العقوبة بما لا يزيد عن سنة واحدة فهي كافية لردع المخالف كما انها قد لا تؤثر او تلحق الضرر الا بنسبة قليلة بالنسبة للطلبة الذين يرغبون في التقديم ولم تخدمهم الظروف اما البند(ب) فقد كان أكثر انسجاماً مع العدالة حيث اعطى ال صلاحية للوزير بغلق القسم او الفرع العلمي في حالة عدم إزالة المخالفة ولم يعطيه صلاحية غلق الكلية، الا انه مع ذلك علق هذا الغلق بإشتراط ان يكون هناك فرق جسيم للشروط المطلوبة في البند (ج) من الفقرة المذكورة ونعتقد ان معيار الخرق الجسيم هو معيار شخصي وغير موضوعي ذلك معرفة كون ذلك الخرق يعد جسيماً من عدمه انما يعتمد على نوع الجامعة او الكلية او المعهد او القسم ومن غير الممكن تحديده لكل الجامعات او الكليات على السواء، فضلاً عن عدم تحديد المشرع في هذا البند ما هي الشروط المقصود ان يكون فيها ذلك الخرق، بالنسبة للبند (د) من ذات الفقرة (فأنه علق غلق الجامعة او الكلية او المعهد بضرورة توصية الوزير الى مجلس الوزارة في حالة إزالة المخالفة بعد مرور مدة الإنذار و مرور مدة التعليق المذكور انفا و بالرجوع الى الفقرة ثانيا الخاصة (بتعليق القبول) نجد انها قد اشترطت التعليق عند مخالفة أي من احكام هذا القانون، وبالرجوع الى القانون رقم ٢٥ من ٢٠١٦ نجد انه قد تضمن ٥٨ مادة من بينها احكام ختامية تبدأ من المادة (٤١) وان احكام هذا القانون في القسم الكبير منها نصوص إجرائية وتنظيمية وموضوعية يحتوي الكثير منها على الغموض والابهام، ومن ثم فأن اراد مثل هذا النص يفترض ان يكون أكثر وضوحاً بتحديد الاحكام والنصوص التي يكون من شأنه مخالفتها تعليق القبول مع الإبقاء على ضرورة توجيه انذار نهائي بإزالة المخالفة قبل رفع التوصية من قبل الوزير الى مجلس الوزراء؛ لان الأمر لا يخلو من التسبب بأضرار كبيرة قد تصيب العملية التعليمية بكاملها بما فيها التدريسيين والموظفين والعاملين والطلبة.

والامر نفسه ينطبق على الفقرة ثالثاً من المادة (٣٨) التي أعطت الحق للوزير برفع توصية الى مجلس الوزراء بإلغاء إجازة الجامعة او الكلية او المعهد بعد انذارها، فهذه الفقرة لم تذكر ماهية الشروط المطلوبة، كما انها أعطته الحق بالتوصية على الغاء الاجازة في حال ثبوت خلل جسيم في نواحي علمية او تربوية او عدم الالتزام بالأهداف التي نشأت من اجلها مع ان هذه الفقرة لم توضح المقصود بالخلل الجسيم وما هو المعيار الذي يتم اتباعه لتحديد فيما اذا كان هذا الخلل جسيماً من عدمه، اما الفقرة رابعاً من المادة (٣٨) وهي التي تضمنت فرض عقوبة على الجامعة او الكلية او المعهد تتضمن الغرامة بعشرة اضعاف الحد الأعلى للأجور الدراسية المستوفاة من كل طالب تم قبوله خارج خطة القبول المحددة من قبل الوزارة بل وضاعفت الغرامة حسب نسبة تأثير المخالفة على العملية التعليمية والبنى التحتية المثبتة في ضوابط القبول او الإجراءات التي يترتب عليها فتح إجازة التأسيس.

وبالنظر الى هذه الفقرة مع انها قد اتخذت عقوبة الغرامة رادعاً للحد من القبول خارج خطة القبول المحددة من قبل الوزارة الا انها قد غالت في مضاعفة تلك الغرامة بما لا ينسجم مع اهداف القانون العلمية والتربوية، فضلاً عن ان مضاعفة الغرامة قد جاء عشوائياً مستنداً الى نسبة تأثير المخالفة على العملية التعليمية، في حين ان معرفة نسبة تأثير المخالفة امر في غاية الصعوبة بل يكاد يكون مشوباً بالغموض التام، وذلك ان العملية التعليمية لا تتأثر بمجده الكيفية الا اذا تم الاعتماد على أساتذة من التدريسيين غير اكفاء وغير قادرين على إدارة العملية التعليمية بصورة صحيحة فضلاً عن خرق المناهج التعليمية بطريقة غير قانونية، وهذا الامر غير ممكن لأن الكلية او الجامعة ستتهار تلقائياً دون الحاجة للنص عليها نتيجة لعزوف الطلبة على ارتيادها والتسجيل فيها، اما كون المخالفة من الجسامة بحيث تؤثر على الإجراءات التي يترتب عليها منح شهادة التأسيس فهذا امر غير متصور الا اذا تم اعتماد أساليب خارج نطاق القانون كتزوير المستندات الرسمية الخاصة بالمؤسسين او السندات المثبتة للعقارات التي تنشأ عليها الجامعة او الكلية وعندها تعد الجامعة او الكلية غير منشأة أصلاً في نظر القانون ويطبق بحققها الفقرة (٤) من المادة (١٤) من التعليمات الخاصة بقانون التعليم الأهلي رقم (٢٥ لسنة ٢٠١٦) (١٥).

المادة (٣٩): أعطت الحق للوزير بناءً على توصية مسببة من مجلس التعليم العالي الأهلي حرمان عضو الهيئة التدريسية من التدريس في الجامعة او الكلية او المعهد لمدة مؤقتة او نهائية إذا ارتكب فعلاً يتنافى مع القيم العلمية او التربوية، وللمتضرر حق الطعن أمام القضاء خلال (٣٠) يوماً من تاريخ تبليغه.

ونعتقد أنَّ الصياغة الفنية لهذه المادة غير صحيحة، ذلك أنَّ الحق في الطعن قد أعطاه المشرع للطعن في الاحكام وفقاً لقانون المرافعات المدنية، وحيث ان القرارات التي تصدر من الوزارة وهي ليست قرارات قضائية، ومن ثم كان الاجدر بالمشرع ان يعطي حق اللجوء للقضاء وليس حق الطعن كما ورد في نص المادة.

١٥ - تجدر الإشارة الى ان الفقرة (٤) من المادة (١٤) من التعليمات المذكورة قد أعطت صلاحية معالجة الشهادات الممنوحة قبل الاعتراف بها من قبل الوزارة من خلال تشكيل لجان مختصة وقد لا تكفي الغرامة كعقوبة رادعة في هذه الحالة ويصار الى مفاتحة المحاكم المختصة لاتخاذ الإجراءات القانونية بحق مرتكبي الجرائم وفقاً لقانون العقوبات العراقي رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩.

المادة (٤٠ أ) ذهبت هذه المادة الى إتخاذ الإجراءات بعد قرار مجلس الوزراء بإلغاء إجازة الجامعة او الكلية او العهد، واناظت مهمة إدارة الكلية أو الجامعة او المعهد بعد ذلك الى الوزارة وحسب نظامها الداخلي الى حين تخرج آخر دفعة من طلبتها، أو نقل الطلبة الى الجامعات أو الكليات او المعاهد الاهلية المماثلة، ومن ثم تؤول أموالها المنقولة وغير المنقولة بعد تصفية التزاماتها وديونها الى الجهة المؤسسة.

ولنا عن هذه الفقرة وفي هذا المقام الملاحظات الآتية:

أولاً: فيما يخص نقل الطلبة الى الجامعات أو الكليات او المعاهد الاهلية المماثلة، فإن هذا الامر وإن كان ينطوي على صعوبة كبيرة، إلا إنه ومع ذلك يسبب أضرارا كبيرة تلحق بالجامعات أو الكليات أو المعاهد الاهلية المنقول اليها الطلبة، فهو يؤثر على خطة القبول ويحرم شريحة كبيرة من الطلبة من القبول، فضلا عن أنه يسبب حمل إضافي على الكلية أو الجامعة المنقول اليها الطلبة، كونها لم تكن قد خططت مسبقا للطاقة الاستيعابية من حيث المنشأة والتدريسين والمستلزمات الأخرى.

كما انّ ما ذهب اليه النص، بأنه تؤول أموال الكلية المنقولة وغير المنقولة بعد تصفية التزاماتها وديونها الى الجهة المؤسسة، قول من غير الممكن القبول به على إطلاقه.

ذلك ان الهيئة المؤسسة في الاعم الاغلب، لم تكن هي الجهة المالكة لتلك الأموال، سواء كانت المنقولة وغير المنقولة، وقد أكدت التعليمات الخاصة بقانون التعليم العالي الأهلي لعام ٢٠١٦ في المادة (٥) الفقرة "ثانياً" بأنه "إذا كانت جهة التأسيس جمعية علمية أو نقابية مهنية مستوفية للشروط المنصوص عليها في القانون، يجوز أن يكون سند ملكية الأرض باسمها أو باسم من تعاقدت معه من المستثمرين العراقيين، على أن يذكر ذلك في العقد المبرم بينهم، وتلتزم الجهة المذكورة باعلام الوزارة بأي تغيير، يطرأ على سند الملكية، ليتم إتمامها (٦) أشهر لمعالجة الموضوع... لذا نعتقد بأن هذا النص غير دقيق من الناحية القانونية الصحيحة.

وهو الامر الذي ينطبق على الفقرة ثانيا من المادة (٤٠) التي أشارت الى مسالة معالجة غلق القسم او الفرع العلمي.

اما الفقرة "ثالثاً" والمتعلقة بحل الجامعة أو الكلية أو المعهد لنفسها، بعد إنتهاء تخرج آخر دفعة من طلبتها بموافقة مجلس التعليم العالي الأهلي.

فهذا الامر وإن كان مقبولاً، ومنسجما مع المبادئ والقواعد العامة في القانون، إلا أننا نعتقد بانه يجب أن تقتزن موافقة مجلس التعليم العالي الأهلي بمصادقة الوزير.

الخاتمة

بعد أن انتهينا من القاء نظرة على النصوص القانونية، التي وردت في قانون التعليم العالي الأهلي يكون من المناسب أن نضع خاتمة تتضمن ما توصلنا اليه من مآخذ تتعلم بمذة النصوص ومن ذلك أنّ القانون يخلط بين عمل الهيئة والعمل الذي يقوم به المستثمر، ذلك أنّ الأخير هو من يعمل على فتح المؤسسة التعليمية وانشائها وتوفير العقارات الخاصة بها وبناء المنشآت عليها، فضلا عن توفير كافة المستلزمات لقيامها بعملها، وكان الأولى بالمشرع ان يوضح بنصوص صريحة الخلط الواضح بين عمل

الجهتين، لأنه وبعد أن جعل عمل المؤسس ينتهي بإستكمال إجراءات التأسيس عاد في المادة (٣٦) الفقرة الثانية منها، وذهب الى توزيع صافي الوفر المالي السنوي للجامعة أو الكلية على النحو الآتي:

ما لا يزيد عن ٢٥٪ للجهة المؤسسة على ان لا تؤثر على التزامات الجامعة أو الكلية أو المعهد، والواضح إنه كان يقصد بالهيئة المؤسسة (المستثمر)، وهذا اللبس في النصوص القانونية غير مبرر، وما يدل على صحة ما نقول به هو إن المادة (٣٤) الفقرة الأولى من القانون والتي حددت الموارد المالية للجامعة أو الكلية أو المعهد الأهلي، أشارت الى إن تلك الموارد قد تأتي من " مساهمة الهيئة المؤسسة والمعروف إن الهيئة المؤسسة تساهم فقط بالألقاب العلمية والشهادات، ومن ثم نجد إن نص المادة (١) يحتاج الى تفسير لغموض المضمون وعدم دقة الصياغة القانونية

كما ان نصوص القانون قد اشترطت في "الجمعيات العلمية والنقابات المهنية" ان تكون الجمعية أو النقابة " ذات قدرة مالية على تهيئة متطلبات الجامعة أو الكلية والانفاق عليها وجوزت الاتفاق مع الغير على تهيئة المتطلبات بما لا يتعارض مع التشريعات الداخلية النافذة، وان يضمن الاتفاق حقوق أطراف الاتفاق، على أن يتم تحديد المتطلبات كافة بتعليمات تصدرها الوزارة.

ويلاحظ أن القانون بعد أن اشترط، أن يكون التأسيس لحملة شهادة الدكتوراه أو الماجستير وبدرجة أستاذ مساعد، عاد في هذه الفقرة وتطلب الملاءمة المالية فقط، وكان الأجدر بالمشرع أما أن يلتزم وجهة نظر الدرجة العلمية او يسمح لحملة شهادة الماجستير أو البكالوريوس بالتأسيس دون اشتراط اللقب العلمي طالما لم يشترطه في الجمعيات أو النقابات خاصة وأن القائمين على العمل في تلك الهيئات وعلى الاعم الاغلب لا يمتلكون أكثر من شهادة البكالوريوس.

وقد جوز القانون لمجلس الوزراء بناءً على اقتراح من الوزير وبعد توصية من مجلس التعليم الأهلي الموافقة على منح الجهات الأجنبية المناظرة للجهات المذكورة صصوص عليها في (البند أولاً / أ-ب) من المادة (٤) من هذا القانون والجامعات الأجنبية، إجازة تأسيس جامعة أو كلية أو معهد مع مراعاة الاختصاصات التي تحتاجها عملية التنمية في العراق، على ان لا يقل عددهم عن العدد المحدد في القانون وبمرتبة أستاذ مساعد في الأقل.

ونعتقد إن هذه المادة وإن كانت تتلاءم مع المصلحة العامة بتوفير فرص التعليم إلا إن ما يؤخذ عليها إنها منحت الجهات الأجنبية المناظرة المذكورة صصوص عليها في البند (أولاً / أ-ب) من المادة (٤) الحق في التأسيس، وهذا الامر وإن كان مقبولاً، إلا إنها في الشطر الأخير من (الفقرة أولاً البند ب) تطلبت فقط أن يكون الأجنبي بمرتبة أستاذ مساعد ومشهود له بالكفاءة العلمية، ولم تشترط فيه أن يكون من المتقاعدين او من غير الموظفين، خاصة وإن المادة (٤) المذكورة قد نصت على منح الجامعات الأجنبية إجازة تأسيس جامعة أو كلية أو معهد اهلي، مما يدل على إن الجامعة الأجنبية قد تكون جامعة حكومية رسمية، فتستعين بكوادرها من التدريسين الموظفين فضلاً عن اننا نحفظ، على منح الجامعات الأجنبية وحق تأسيس جامعة أو كلية، ذلك أن تلك الجامعات هي مؤسسة فعلاً ولا تحتاج الى تأسيس، وكان من المفترض ان يشار الى حقها بفتح فروع للجامعات الأجنبية في العراق.

وذهبت نصوص القانون الى إنه " في حالة رفض طلب التأسيس من قبل مجلس الوزراء فلطالب التأسيس حق التظلم لدى محكمة القضاء الإداري خلال (٣٠) يوما من تاريخ رفض الطلب ونعتقد إن هذا النص، معيب من ناحية الصياغة الفنية الدقيقة، ذلك ان المعروف طبقاً للقواعد العامة في القانون الإداري، ان التظلم يقدم الى الجهة التي أصدرت القرار المتظلم منه في حين إن المادة المذكور، قد جعلت التظلم أمام محكمة القضاء الإداري (٣)، مما يدل على إن المقتضى "بالتظلم" هنا، هو الطعن في قرار مجلس الوزراء أمام محكمة القضاء الإداري إذ إنه وبالرجوع الى قانون المرافعات المدنية، نجد إنه قد حدد التظلم في القرارات التي تصدر في الأوامر الولائية التي تصدرها المحاكم وفقاً لسلطتها الولائية، في حين إن محكمة القضاء الإداري تختص بالطعون التي يتم التظلم منها لدى الجهة التي أصدرت القرار.

ومن ثم نجد أن المقتضى بالتظلم المشار اليه، إنما هو رفع دعوى أمام محكمة القضاء الإداري وهي دعوى الإلغاء خلافا لما تتطلبه القانون لرفع مثل هذه الدعوى، وهو ما يعد معيباً من حيث الصياغة الفنية القانونية الصحيحة.

أشارت نصوص القانون الى إحالة الترقيات العلمية لأعضاء الهيئة التدريسية الى لجنة الترقيات العلمية في الجامعات الحكومية لغرض التوصية بالترقية تمهيداً لرفعها الى مجلس الجامعة.

وهذا النص متناقض تماماً مع ما تتطلبه قواعد العدالة، ذلك إن القانون قد اشترط في رؤساء الأقسام ومعاوني العميد درجات والقباب علمية عالية، ولا نجد ما يضر في تشكيل لجنة الترقيات العلمية من قبل المذكورين، إذ إنهم ليس أقل خبرة أو كفاءة أو نزاهة من الكوادر التدريسية الحكومية في الكليات الرسمية.

ولا نجد ما يبرر إحالة تلك الترقيات، الى لجان الترقيات في الكليات الحكومية، فضلاً عن إن النص قد إستثنى التدريسيين في فروع الجامعات العالمية وفضلهم على أبناء البلد.

كما أن التعليمات الخاصة بقانون التعليم العالي الأهلي لعام ٢٠١٦ في المادة (١٢) منها أجازت تأسيس الجامعات أو الكليات وفتح فروع للجامعات وفقاً لأحكام قانون الاستثمار رقم (١٣) لسنة ٢٠٠٦ المعدل.

ومن جانبنا نتحفظ على البند أولاً من المادة (١٢) من تلك التعليمات، ذلك إنها أعطت الحق بتملك الأرض للمستثمر الأجنبي، كما هو الحال عليه بالمستثمر العراقي، وهو أمر غير مقبول ولا مسوغ للأخذ به، ونعتقد وطبقاً للطابع الوطني والذي هو من أهم أهداف القانون، أن يقتصر التملك للمستثمر العراقي دون الأجنبي، ولا يقدح ذلك في حقوق المستثمر الأجنبي وقد أعطى القانون للوزير الحق بالإنذار الجامعة أو الكلية غير المرتبطة بجامعة أو المعهد بإزالة المخالفة خلال (٩٠) يوماً من تاريخ التبليغ بالإنذار وأعطاه صلاحية تعليق القبول في الجامعة أو الكلية أو المعهد أو القسم العلمي لمدة لا تتجاوز ٣ سنوات عند مخالفة أحكام أي من احكام هذا القانون، ونعتقد من جانبنا ان تلك العقوبة عامة شاملة ومن ثم يكون لها تأثير كبير ليس فقط على الجامعة أو الكلية أو المعهد بل على الطلبة الذين يرغبون في التقديم القبول مما يؤثر على مستقبلهم الدراسي ونقترح ان تكون العقوبة بما لا يزيد عن سنة واحدة فهي كافية لردع المخالف كما أنها قد لا تؤثر أو تلحق الضرر الا بنسبة قليلة بالنسبة للطلبة الذين يرغبون في التقديم ولم تخدمهم الظروف ومع ذلك نجد إن هناك نصوصاً كانت أكثر انسجاماً مع العدالة حيث أعطى

الصلاحيات للوزير بغلق القسم او الفرع العلمي في حالة عدم إزالة المخالفة ولم يعطيه صلاحية غلق الكلية، الا انه مع ذلك علق هذا الغلق بإشتراط ان يكون هناك فرق جسيم للشروط المطلوبة ونعتقد ان معيار الخرق الجسيم هو معيار شخصي وغير موضوعي ذلك معرفة كون ذلك الخرق يعد جسيما من عدمه انما يعتمد على نوع الجامعة او الكلية او المعهد او القسم ومن غير الممكن تحديده لكل الجامعات او الكليات على السواء، فضلا عن عدم تحديد المشرع ما هي الشروط المقصود ان يكون فيها ذلك الخرق. وبالنظر الى هذه الفقرة مع انها قد اتخذت عقوبة الغرامة رادعا للحد من القبول خارج خطة القبول المحددة من قبل الوزارة الا انها قد غالت في مضاعفة تلك الغرامة بما لا ينسجم مع اهداف القانون العلمية والتربوية، فضلا عن ان مضاعفة الغرامة قد جاء عشوائيا مستندا الى نسبة تأثير المخالفة على العملية التعليمية، في حين ان معرفة نسبة تأثير المخالفة امر في غاية الصعوبة بل يكاد يكون مشوبا بالغموض التام، وذلك ان العملية التعليمية لا تتأثر بهذه الكيفية الا اذا تم الاعتماد على أساتذة من التدريسيين غير أكفاء وغير قادرين على إدارة العملية التعليمية بصورة صحيحة فضلا عن خرق المناهج التعليمية بطريقة غير قانونية، وهذا الامر غير ممكن لأن الكلية او الجامعة في ستنهار تلقائيا دون الحاجة للنص عليها نتيجة لعزوف الطلبة على ارتيادها والتسجيل فيها.

وذهبت نصوص القانون الى إنه، تقول أموال الكلية المنقولة وغير المنقولة بعد تصفية التزاماتها وديونها الى الجهة المؤسسة، قول من غير الممكن القبول به على إطلاقه، ذلك إن الهيئة المؤسسة في الاعم الاغلب، لم تكن هي الجهة المالكة لتلك الأموال، سواء كانت المنقولة وغير المنقولة، وقد أكدت التعليمات الخاصة بقانون التعليم العالي الأهلي لعام ٢٠١٦ في المادة (٥) الفقرة "ثانيا" بأنه "إذا كانت جهة التأسيس جمعية علمية أو نقابية مهنية مستوفية للشروط المنصوص عليها في القانون، يجوز أن يكون سند ملكية الأرض بإسمها أو باسم من تعاقدت معه من المستثمرين العراقيين، على أن يذكر ذلك في العقد المبرم بينهم، وتلتزم الجهة المذكورة باعلام الوزارة بأي تغيير، يطرا على سند الملكية، ليتم إتمامها (٦) أشهر لمعالجة الموضوع... لذا نعتقد بأن هذا النص غير دقيق من الناحية القانونية الصحيحة.

وهو الامر الذي ينطبق على اما الفقرة " ثالثاً " والمتعلقة بحل الجامعة أو الكلية أو المعهد لنفسها، بعد إنتهاء تخرج آخر دفعة من طلبتها بموافقة مجلس التعليم العالي الأهلي. الفقرة ثانيا من المادة (٤٠) التي أشارت الى مسالة معالجة غلق القسم او الفرع العلمي، فهذا الامر وإن كان مقبولا، ومنسجما مع المبادئ والقواعد العامة في القانون، إلا إننا نعتقد بانه يجب أن تقتزن موافقة مجلس التعليم العالي الأهلي بمصادقة الوزير.

المصادر

أولاً: الكتب والبحوث

- ١- ابراهيم خليل العلاف، دراسة لوضع التعليم الجامعي الأهلي في العراق حتى عام ٢٠٠٠، بحث مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل، ٢٠٠٥.

- ٢- د. عبد الرحيم مراد، تجربة مجلس التعليم العالي الأهلي - العراق - الواقع والمستقبل - ندوة التعليم العالي الأهلي في عالم متغير، الواقع والمستقبل، بيروت، ٢٢-٢٣ / ٧ / ٢٠٠٩.
- ٣- د. محمد طاقه تجربة مجلس التعليم العالي الأهلي - العراق - الواقع والمستقبل - ندوة التعليم العالي الأهلي في عالم متغير، الواقع والمستقبل، بيروت، ٢٢-٢٣ / ٧ / ٢٠٠٩.
- ٤- د. محمد طاقه و د. راوية عبد الرحيم، فلسفة التعليم الأهلي في العراق، بحث، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة، العدد الثاني، كانون الثاني، ٢٠٠٠.
- ٥- د. محمد م. صعب عبد السلام، التعليم العالي الأهلي تجربة وآفاق، بحث مقدم الى المؤتمر العلمي السنوي الثاني حول التعليم العالي الأهلي في العراق، تشرين الثاني، كلية الحداثة، جامعة الموصل، ١٩٩٩.

ثانياً: القوانين والتعليمات

- ١- قانون الجامعات الاهلية رقم ١٣ لسنة ١٩٩٩.
- ٢- قانون الاستثمار رقم ١٣ لسنة ٢٠٠٦.
- ٣- قانون مجلس شورى الدولة رقم ١٧ لسنة ٢٠١٣.
- ٤- التعليمات الخاصة بقانون التعليم العالي الأهلي رقم ٢٥ لسنة ٢٠١٦.

قسم

الانكليزي

Bibliography

Albee, Edward. *Who is Afraid of Virginia Woolf?*. New York: McClelland, 1962.

The Zoo Story in 20th. Century Drama. Edited by Ruby Cohn and Bernard Dukore, New York: Random House, 1966.

Amacher, Richard E. *Edward Albee*. New York: Twayne Publishers, Inc., 1969.

Esslin, Martin, *The Theater of the Absurd*. London: Cox and Wayman Ltd., 1974.

Hayman, Ronald. *Contemporary Playwrights: Edward Albee*. London, Heineman Educational Books Ltd., 1971.

The Holy Bible: The Authorized King James Version. Ashland: Landoll, 1994.

Liu, Cecilia, "Modern and Contemporary U.S. Drama: Albee: *Who's Afraid of Virginia Woolf?* 5 Nov., 2002. File: //A: / Albee *Who's Afraid of Virginia Woolf?*. htm., 5 Feb. 2003.

Paolucci, Anne. *From Tension to Tonic: The Plays of Edward Albee*. London: Feffer and Simons, 1972.

Porter, Thomas E. *Myth and Modern American Drama*. Detroit: Wayne State University Press, 1969.

Shaw, G. B. *The Devil's Disciple*. London: Longmans, 1966.

Smith, Geoff Cowper, "The War of the Women", 9Sept. file:\\A:\\S2\\Classic *Who's Afraid of Virginia Woolf?* htm. 5 Feb. 2003.

platted a crown of thorns, they put it upon his head, and a reed in his right hand: and they bowed the knee before him and mocked him, saying, Hail, King of the Jews.”⁵⁶ The crown of thorns is a symbol of pain and suffering. On this ground, the child’s death suggests “a new beginning, a kind of salvation in truth. His sacrifice should be the gift of love.”⁵⁷ His death gives life to their marriage and helps them to rebuild their marital life upon new bases of love and mutual need.

We learn that Nick fails to make love to Martha. His failure breaks the false images of both Martha as the “Earth Mother”⁵⁸ and Nick as the virile man. This, like the death of the illusory son, has good results on Martha and George’s relationship. It paves the way for brining George and Martha finally together. Martha confesses that George is the sole man in her life who has ever made her happy. She tells Nick that:

George who is good to me, and whom I revile; who understands me, and whom I push off; who can make me laugh, and I choke it back in my throat; who can hold me, at night, so that it’s warm... who keeps learning the games we play as quickly as I can change the rules; who can make me happy and I don’t wish to be happy.⁵⁹

The events of the night help George and Martha to discover what is inside them- the fear from reality. Amachair states that we can “see in [George and Martha] something of the whole general problem of humanity suffering from forces beyond its control, forces which lie inside us as well as outside us.”⁶⁰

At the end, George sings “Who is Afraid of Virginia Woolf?” to encourage Martha to live without the phoniness they used to. Martha admits that she is afraid of Virginia woolf- afraid to face the future without the fiction of the son. Concerning Nick and Honey, they witness the transformation that takes place in George and Martha’s lives. This might help them to transform their own lives. When Honey listens to Martha’s account of the childhood of the illusory child, she says that she wants a child. Martha’s account stimulates the feeling of motherhood inside Honey. This indicates that Honey and Nick have hope for better future.

⁵⁶- ST. Mathew, 27, 29 in The Holy Bible, p. 17.

⁵⁷- Paolucci, p. 60.

⁵⁸- Who is Afraid?, p. 189.

⁵⁹- Ibid., pp. 190- 191.

⁶⁰- Amacher, p. 108.

is going on around her and her willful abortion. She is not mature enough to bear the responsibility of being a mother. When she discovers that Nick reveals the secrets of their personal lives to George, she reverts to the child's role. She "rolled up like a fetus, sucking... her thumb"⁴⁸ on the cool floor of the bathroom. She finds in the foetal position an escape from the bitter realities of her marriage.

It is impossible for persons like the two couples to be good parents. The only hope for them is to behave like grown- up persons who can face the bitter reality of life without the help of outside factors or illusion. George, the most rational of the four, realizes this fact and decides to announce the death of the illusory child. George considers the child a demon to be exorcised. To Martha, the illusory child is

the symbol of potency and virility, the imaginative embodiment of all the masculine roles idealized and idolized. He is the perfect lover, the perfect son and husband, ...[and] the creature of all her hopes.⁴⁹

Martha gives a long and sentimental account of the child's birth and childhood. She describes her boy walking "evenly between us... a hand out to each of us for what we could offer by way of support, affection, teaching [and] even love."⁵⁰

The child might be a Christ- like figure. In the play, there are many interesting analogies connect the child with Christ. Martha, for example, identifies the child with the lamb. She calls him a lamb and says that his hair becomes fleece in the sun.⁵¹ The lamb is one of the symbols of Christ. According to the Gospel, "John seeth Jesus coming unto him, and saith, Behold the Lamb of God, which taketh away the sin of the world."⁵² Like Christ and the lamb, the illusory child is a symbol of innocence and sacrifice.⁵³

The child is Martha's hope and her way of getting psychological relief.

According to her, his birth is easy, but his life is uneasy because he bears the burden of his parent's mistakes. There are also several hints to Virgin Mary. Martha refers many times to "my child [instead of] our child."⁵⁴ She also says that George is not sure that the child is his own son. In his account of the child's death, George mentions a tree against which the boy meets his death and the porcupine which he tries to avoid. The porcupine is "like the crown of thorns in the story of Christ."⁵⁵ In the Gospel, St. Mathew states that "when they had

⁴⁹- Paolucci, p. 56.

⁵⁰- Who is Afraid?, p. 221.

⁵¹- Paolucci, p. 59.

⁵²- ST. John, I, 29 in The Holy Bible: The Authorized King James Version (Ashland: Landoll, 1994),

⁵³- Ibid., p. 167.

⁵⁴- Who is Afraid?, p. 218.

⁵⁵- Paolucci, p. 59.

It is also noticeable that the characters' relationships with their parents have negative influences on their lives. Martha's morbid attachment to her father hinders happiness with her husband. Albee also hints that George does not have happy childhood. George relates the story of his young friend who goes mad from the guilt of killing his parents in separate accidents. But, Martha has a different account of this story. She tells her guests that the story of the boy is the plot of an autobiographical novel by George who. does not publish it because of his father-in-law's objection to it.

We do not know whether the boy in the story is George or not. Richard Amacher thinks that if the boy in the story is not George, Albee may use the story to help us to understand George who is also suffering from psychological problems. A second possibility is that George is so confused about the boundary between illusion and reality. He identifies himself with the boy and that leads him to think that he is the boy when, in fact, he is not.⁴⁷

A third possibility is that the story is like the imaginary son. Hence, it is one of the varieties of fun and games through which the audience is introduced to the psychological state of the characters. Nonetheless, this story shows that Albee believes that the amount of the power that the parents have over their children might affect their lives negatively. This indicates that George's unhappy childhood shapes his personality as an indecisive individual who resigns to the pressures and values of his society, in spite of the fact that he is not satisfied with this society. Although, he is distressed at the amount of power Martha's father has over their lives, he surrenders to the old man's wishes and does not publish the novel he has written. It means that he submits to Martha's father's money, power and position. The novel could be the symbol of George's creativity that is crushed by the materialism of society.

Honey is an extreme example of the child-like adult. She fails to understand the conflict between George and Martha. She does not notice that Martha flirts with Nick to tease George. Concerning her physique, she is described as "a mousy little type without any hips, or anything."⁴⁸ This description associates her with the ideas of infertility and sexlessness. She tells George and Martha that she cannot have a child. Later, in her drunken stupor, she reveals to George that she fears the physical labor connected with childbirth. George realizes that she has been aborting and accuses her of being a secret murderer. George tries to tell her that her husband and Martha go to the kitchen to make love, but she refuses to understand that. According to all of these points, Honey keeps her child-like looks through her naive behaviours, her failure to understand what

⁴⁷- Amacher, pp. 96- 97.

⁴⁸- Who is Afraid?, p. 10.

subject of history. The new men will not be interested in reflecting on the experiences of culture and races which have been George's life's study.

Another implied suggestion is that George, being unable to master science like biology, tries to convince himself that this science is destructive. He tries to assert the nobility of the subject of history in comparison to a science like biology. Hence, his negative attitude towards biology is the result of his living in a competitive society, Cecilia Liu states that "in the 1950's and early 1960's, many social scientists argued that the professional competitiveness that men felt was very destructive."⁴⁴

The scientific progress is encountered by religious decline. The second act of the play is entitled 'Walpurgisnacht.' This German word refers to the night before May Day when witches are supposed to meet together and create havoc. Walpurgisnacht is a pagan myth. Albee uses it to show the breakdown of modern civilization and the collapse of spiritual and family values in the modern age.⁴⁵ Indeed, religion does not have influence on the characters' lives. Martha, for example, is far away from religion. The decline of religion is mainly represented by Honey's father who gets his money from robbing the church.

Martha and Honey's father adopt crooked ways to latch onto money. Both of them occupy influential positions in their society. They are supposed to provide the younger generation with moral guidance. Instead, they present bad models to be followed. It is through those two men Albee attacks the religious and educative institutions. They give up their Nobel duties- one as a man of knowledge and the other as a man of religion for the sake of money because money is the secret of their power and success. Their money and prestige lead, in great part, to their daughters' marriages.

The two couples are dependent on those two men's wealth. Thus, they are represented as child- like persons who lack the sense of independence. The fact that the title of the play comes from children's song is significant. The song ties together

the themes of childhood and parenthood, [and] reality versus fantasy, ...The couples in this play do not have any children and remain tied to their parents, Martha and George rely on Martha's father for his position and his paycheck Honey and Nick rely upon Honey's father for the money that the left them.⁴⁶

⁴⁴- Liu, Internet.

⁴⁵- Ibid.

⁴⁶- Ibid.

home. George also says that Martha's father is a crooked man who is rich because he steals from the university.

It seems that George is an intellectual man who faces difficulties in living in such materialistic community. There is conflict between his intellectual nature and the demands of his environment. Ronald Hayman suggests that George's inability to occupy the position of the head of the history department is "partly a failure and partly a choice."⁴² In point of fact, a person's failure to rise as a high ranking administrator does not necessarily mean that he is a failure. But, George lives in a competitive world where everybody wants to succeed in any possible way. George feels that Martha and her father push him to be a success, but he does not want to be involved in such competitions. At the same time, George wants to satisfy Martha because he really loves her. He wishes that he could achieve professional success to be a source of pride to Martha. That is why he feels jealous of Nick who wins Martha's admiration.

According to George, biology, as typified by Nick, is a destructive science that might lead to the end of civilization. He describes Nick as a conspirator working on a system to control genetic variation and trying to create a race of people who do not have mental or physical defects. George thinks that the removal of human imperfections and imbalances will be at the expense of variety, liberty, creativity and individuality. All people will be alike and life will be mechanistic. George sees the growth of science as progress towards sterility. This indicates that George does not trust the future of science. He accuses Nick of being the one who is going to

make all that trouble, making everyone the same, rearranging the chromosomes [sic]. ... All imbalances will be corrected ... [This] will assure the sterility of the imperfect... the ugly, the stupid... the ... unfit... with this, we will have, in time, a race of glorious men. ... We will not have much music, much painting. ... Culture and races will eventually vanish... the ants will take over the world.⁴³

One of the reasons of George's distaste for genetic engineering results from his jealousy of Nick. Another possible reason is that George does not want the biologists to create a breed of perfect men because their perfection might intensify his sense of imperfection and hence increases his spiritual ailment. Besides, the creation of such generation will lead to the negligence of the

⁴²- Hayman, p. 31

⁴³- Who is Afraid?, pp. 37- 67.

You take the trouble to construct a civilization ... to build a society, based on the principles of ... you endeavor to make communicable sense out of natural order morality out of unnatural disorder of man's mind... you make government and art, and realize that they are, must be, both the same...you bring things to the saddest of all points... where there is something to lose.³⁹

George is Albee's mouthpiece in this play. He is more intellectual than the other characters and a good observer of the defects of his society. He is aware that social conventions and euphemistic language serve as masks behind which persons like Nick and Martha hide their real personalities. George enjoys exposing Martha's real character to the guests. Before Nick and Honey's arrival, George and Martha are involved in quarrel. Just as Martha utters obscene words at the top of her voice, George intentionally opens the door to Nick and Honey who receive Martha's obscenity. In the stage directions, Albee indicates that George is really satisfied at having Martha's explosion overheard. However, during the party and under the influence of alcohol, Nick and Martha use dirty language openly. When Honey expresses her wish to powder her nose, Martha responds that she will show Honey the house. Honey and Martha avoid the reality that Honey wants to go to the toilet because she has drunk a lot. George says "Martha, won't you show her where we keep the... euphemism?"⁴⁰ George uses the word 'euphemism' to make fun of their efforts to hide the simplest facts about their lives and their attempts to create false images about themselves.

Thus, the barrenness of their lives is an outcome of their immorality, self-deception and superficial nature.

Nevertheless, George is also involved in creating illusions. After all, he is a part of the community of New Carthage. In this community everybody participates in establishing a play world of illusions and games whose rules shape their lives. This does not prevent George from showing his dissatisfaction with his life and the persons around him. He expresses his opinions frankly about Martha's father whom everybody praises. George describes his father-in-law as a white mouse with beady little red eyes and a great shock of white hair. He tells Nick that "if you happen to be teaching at a university, there are easier things than being married to the daughter of the president of that university."⁴¹ It is true that Martha's father supports George's position in the university, but his dominance over his personal life deprives George from his position in his

³⁹ - Ibid., p. 117.

⁴⁰ - Ibid., p. 29.

⁴¹ - Ibid., p. 27.

Sometimes, George uses the song to stop Martha from revealing truth about himself or to tease her hiding from the truth behind an affair with Nick.

Concerning Nick and Honey, their sterility is by Honey's deliberate choice. She does not want to be a mother because she is afraid of the pain of childbirth. Their sterility is the offspring of Honey's selfishness and Nick's lust for power, success and money. We know that Honey tricks Nick into marriage by telling him that she is pregnant. Then, it turns to be a false, hysterical pregnancy. Nick admits that he marries her because she has inherited a fortune from her father. Nick is a true representative of a community in which money has become the ultimate touchstone of all other values including love, religion and marriage.

In *Who is Afraid of Virginia Woolf?*, marriage is a matter of expediency. It is the occasion of vivid antagonism, a highway to success and an opportunity for sexual fun and games."³⁵ Nick is unfaithful to Honey, especially in the interest of his professional success and "his relationship with Honey is an excellent barometer of his relationship with the rest of the world."³⁶

He admits that he is ready to make affairs with "a few pertinent wives"³⁷ on campus whose influence might serve his ambition and help him to establish himself in Carthage.

Being the daughter of the president of the university, Martha is "the biggest goose in gangle,"³⁸ as Nick describes her.

The events of the night and Nick's conversation with George help the audience to explore Nick's real personality. At the beginning of the play, Nick behaves politely in the face of George's unwelcoming reception and Honey's embarrassing behaviours. He gives the impression that he is a promising young man who is modest about his achievements in athleticism and in his profession. He tells George that he does not want to be involved in George and Martha's marital problems. As a matter of fact, he wants to keep a safe distance between him and the others to avoid the exposition of his real character. It is revealed that he is an opportunist who is ready to use cheap means to achieve his goals. The audience is introduced to two kinds of sterility physical sterility like that of George and moral one like that of Nick. George warns Nick about the danger of climbing the social ladder by adultery, but Nick does not listen to George's advice. In one of his longest speeches in the play, George laments the fact that after trying to construct a noble civilization out of mankind, all of the structures will definitely crumble in the hands of others, that is, the Nicks:

³⁵ - Porter, p. 230.

³⁶ - Anne Paolucci, *From Tension to Tonic: The Plays of Edward Albee* (London: Feffer and Simons, 1972), p. 50.

³⁷ - *Who is Afraid?*, p. 112.

³⁸ - *Ibid.*, p. 114.

through the games strengthen the troubles of marriage, namely, jealousy, pride, anger, hatred, bestiality, frustration, defeat and despair²⁹ and make them creep into the core of their marriage.

George and Martha are unable to face their sterile reality, therefore, they create an imaginary child to provide them with a common meeting ground. The illusory child and the games provide George and Martha with the refuge they "take when the unreality of the world weighs too heavy on... [their] tiny heads."³⁰

They agree that they should not reveal the secret of the fantasy child that they could never have. But, Martha breaks their agreement and tells Honey about the child. This shows that Martha is eager to tell everybody that she is a mother. She forces George to support this illusion.

George and Martha use Nick and Honey as means for expressing their own sides of their mutual story. Each tries to represent himself/herself as a good parent and blames the other for the son's sickness. George accuses Martha of behaving immorally with their son. Martha claims that George is the source of their son's unhappiness. Albee seems to hint that even if they have had a son, he would not have been happy. Besides, each one of them has a different account about the ease of birth and the child's colour of the eyes. While Martha claims that "it was an easy birth.... [George alleges that Martha] labored."³¹ Whereas George says that their child "has blue eyes.... [Martha insists that] he has the loveliest green eyes."³² Thus, a real child is supposed to bring his parents together, but the dream of one that they have created is tearing them apart. In fact, even a real child can not bring his parents together, unless their relationship is based on respect and understanding.

George and Martha have escapist characters. They drink heavily to forget their problems. Alcohol is one of the means that are used by them to avoid sincere communication because it will lead to the revelation of the truth about themselves. They want to escape from the world of truth to a world of illusions. This is also asserted by the title of the play, *Who is Afraid of Virginia Woolf?*. The title comes from changing the words of the children's song, "Who is Afraid of the Big Bad Wolf?" Which comes up as a joke in Martha's father's party. The change of 'the big bad wolf' to 'Virginia Woolf' is important.³³ In her writing, "Virginia Woolf attempts to reveal the truth of human experience, emotions and thought: all of the things that the couples in this play try to cover up."³⁴ The couples sing the song together to make fun of their own fear of the truth.

²⁹ - Amacher, p. 101.

³⁰ - *Who is Afraid?*, pp. 187- 188.

³¹ - *Ibid.*, p. 217.

³² - *Ibid.*, pp. 74- 75.

³³ - Liu, Internet.

³⁴ - *Ibid.*

Her suggestion implies that she feels that George is sexually impotent in comparison to the younger Nick. Furthermore, she thinks that it is good for Nick to be in the biology department. Biology has physical and sexual contents that appeal to her. This indicates that she considers Nick "an object of sexual desire."²² Martha, like the rest of the university staff, seeks immoral adventures. George tells Nick that "musical beds is the faculty sport around here."²³ Clearly, the atmosphere of New Carthage lacks the moral restraints that might prevent a discontented wife like Martha from resorting to immoral behaviour.

It is noticeable that the moral decadence of the town is suggested by its name. New Carthage is an ironic comment on the comparison between the American and the Roman civilizations. The inhabitants of the American New Carthage, like those of Roman Carthago, are in process of destroying themselves from within. The enemies of the town are its occupants.²⁴

The two sterile couples are samples of the sterile community of New Carthage. In its turn, New Carthage is a paradigm of America. Albee presents childlessness as an outcome of emotional, moral and spiritual sterility both in the two couples' lives as individuals and in society as a whole. Sterility also indicates the break-down of real communication between husband and wife. The theme of the lack of communication among individuals is tackled by Albee in many of his plays. Jerry, the protagonist of *The Zoo Story*, says "we neither love nor hurt because we do not try to reach each other."²⁵ George and Martha can not reach each other through love because the materialism and false values of New Carthage make it impossible for love to be a source of communion. Thus, their love is turned into destructive, sado-masochistic relationship. They try to reach each other through hurting each other. Their love takes the shape of hatred. Albee "seems to indicate that love can quickly transform into hatred."²⁶ This echoes Anderson in Shaw's *The Devil's Disciple* who says that it is surprising "to find how like hate is to love."²⁷ Both George and Martha are interested in continuing their love-hate relationship, the fun and games of their "exercising [and their] walking what's left of ... [their] wits,"²⁸ as George describes their quarrel. The reason why they connect to each other by these games is that they are afraid to communicate in a sincere way. They hide their true emotions and do not admit that they need each other. Their attempts to reach each other

²²- Amacher, p. 89.

²³- *Who is Afraid?*, p. 34.

²⁴- Porter, p. 227.

²⁵- Edward Albee. *The Zoo Story in 20th. Century Drama*, eds. Ruby Cohn and Bernard Dukore (New York: Random House, 1966), p. 668.

²⁶- Liu, Internet.

²⁷- G. B. Shaw, *The Devil's Disciple* (London: Longmans, 1966), p. 51

²⁸- *Who is Afraid?*, p. 50.

feelings of sexual desire or fondness, but more so of an underlying need for their [husbands'] companions. ... support... and to be someone they can direct their energy towards. They would be left with little without their Men.¹⁷

Accordingly, Albee represents a deformed kind of love in *Who is Afraid of Virginia Woolf?*. Martha's love for George is coated with disrespect. Disrespect makes love lose its meaning. Martha blames George for her disappointment, in their marriage. She neglects the fact that husband and wife should share half the responsibility of making their marriage a successful one. For that reason she decides to put George into an "inferno of emotional torture."¹⁸ She turns their marriage into a battle. One of Martha's weapons in her emotional combat against George is humiliation. She stamps him with the stigma of failure and puts his points of weakness under the microscope. She presents him to the guests as a failure as a husband and as a professional man. When Nick and Honey arrive, they find themselves in the middle of warzone where George and Martha exchange insults without trying to moderate their behaviours and be civil around their company. Martha uses Nick to arouse George's jealousy. She describes him as the good looking blonde man. Evidently, she finds him more attractive than her husband whom she deems an unfruitful person. She also changes her clothes into something more attractive. Something she rarely does according to George. That is to say she "is not changing for ... [George]. Martha hasn't change for ... [him] in years."¹⁹ She flatters Nick for his success in receiving his master's degree at an early age and shows her admiration of his abilities as a quarterback and a boxer. She develops this admiration of athleticism into flattery of his "pretty good body."²⁰ On the other hand, she tells of how twenty years ago, her father has attempted a physical fitness programme for his faculty and asked George to put on the gloves with him. George has refused, but Martha has sneaked up behind him and knocked him down. This story shows George in a sarcastic light. Hence, Martha destroys George emotionally to keep her power over him. Her cruelty is so strong and overwhelming that pushes George to joke about killing her. He pretends that he wants to kill her with a gun that appears to be a fake one.

As Nick leaves the room, Honey asks him not to bring guns with him. Martha intrudes in the conversation suggesting that Nick does not need any "fake... gun"²¹.

¹⁷- Cowper Smith, Internet.

¹⁸- Amacher, p. 92.

¹⁹- *Who is Afraid?*, p. 46.

²⁰- *Ibid.*, p. 52.

²¹- *Ibid.*, p. 61.

Pretty fond of me, too... Daddy built this college...
 He built it up from what it was. It's his whole life.
 He is the college... [and] the college is him. You
 know what the endowment was... and what is
 now?¹¹

Martha tries to make George another copy of her father. She does not aspire to lose her prestige in the college. She wants her title to be changed from the daughter of the college's president to the wife of the college's president. Martha cannot achieve professional success by herself, therefore she wants George to achieve it for her. But, George falls short of her expectations. George does not meet the minimum standards for a husband that are set by society. Thomas E. Proter demonstrates that "the conventional image demands that the husband be [a] breadwinner... [and] a practical man of affairs."¹² As a result, Martha pays George no respect and is convinced that her father is superior to him. Martha invites Honey and Nick to join them in a party without informing George. She does so because her father tells her that they should be nice to the newly appointed teacher and his wife. Martha always springs things on George. This shows the dominance of her father over their lives. It also indicates that George lives in his house as a figurehead. Throughout the play, Martha tries to show Honey and Nick the huge gap between her father and George. She tells them that her father "knows how to run things."¹³

Commenting on George's failure at his job, she says "he didn't have any... personality, you know what I mean? Which was disappointing to Daddy, as you can imagine. So, here I am stuck with this flop."¹⁴ Martha feels that George has abandoned his responsibility as the dominant figure in the household. In consequence to that, she believes that her family will collapse without her strict and overweening rule. Therefore, she endlessly battles with her husband in order to maintain control and the upper hand in the leadership of her family.¹⁵ Thus, Martha is "unpleasant parody of the independent and aggressive American female."¹⁶ The image of the dominant assertive wife is a recurrent image in Albee's plays. Commenting on this image, Geof Cowper-Smith states that:

As hateful, and vengeful these women act though,
 they really do have a strange kind of "love" for their
 men. Albee portrays this love not so much as intense

¹¹- Ibid., pp. 77- 78.

¹²- Thomas E. Porter, *Myth and Modern American Drama* (Detroit: Wayne State University Press, 1969), p. 229.

¹³- *Who is Afraid?*, p. 27

¹⁴- Ibid. p. 85.

¹⁵- Cowper Smith, Internet.

¹⁶- Porter, 229.

who has been married for over twenty years to Martha, the daughter of the college's president. One night, George and Martha receive Nick and Honey, a biology professor and his wife, in their house. The two couples stay up drinking after a party given by the president of university to the teaching staff. It is through the events of the night the play moves towards exposing the black and fearful realities underlying both marriages. Albee uses "each married couple to catalyse the relationship of the other."⁷

That is to say, each married couple acts as a sort of touchstone to the other. Before the night is over, there are self-revelations for all the characters. These revelations bring to light their inability to arrange their "private... [lives] so as to inhibit ... [their] self –destructive compulsions."⁸

George and Martha are the characters whose marriage is the main subject of the play. In common with Nick and Honey, their marriage is built upon debilitated foundations that are about to crack and lead to the destruction of their marriage. Their comfortable house with door chimes, portable bar and a permanent supply of liquor on hand is, in fact, the residence of frustrated husband and wife. Martha describes the living room as a "dump."⁹ It seems that her dissatisfaction with her marriage influences her opinion about everything around her.

We learn that Martha marries George because she and her father see in him a successor to the presidential chair, but George proves to be inadequate for the role she and her father have planned for him. George informs Nick about his failure in this respect, saying that "I did run the History Department, for four years during the war, but that was because everybody was away. Then ... everybody came back."¹⁰ It is evident that only the absence of the others due to the war gives George the chance to be the head of the history department. He loses this position after their coming back because he lacks efficiency. Hence, it is impossible for a man who fails to run a department to run a university. It is worth mentioning that Martha is closely attached to her father and admires his professional success. Talking affectionately about her relationship with her father, she says:

Mommy died early, see, and I sort of grew up with
Daddy... I admired that guy I worshipped him. I
absolutely worshipped him. I still do. And he was

⁷ - Ronald Hayman, *Contemporary Playwrights: Edward Albee* (London: Heinemann Educational Books Ltd., 1971), p. 30.

⁸ - Howard Taubman, "Who's Afraid of Virginia Woolf?: Dramatist's First Play on Broadway Opens" in *On Stage: Selected Theatre Reviews from the New York Times 1920- 1970*, eds., Bernard Beckerman and Howard Siegman (New York: The New York Time Company, 1973), p. 447.

⁹ - Edward Albee, *Who is Afraid of Virginia Woolf?* (New York: McClelland, 1962), p. 3.

¹⁰ - *Who is Afraid?*, p. 38.

Introduction

After the Second World War, a feeling of deep disillusionment and loss in the meaning of life has been characteristic of countries like France and Britain. In the United States, there has been no corresponding feeling. The American dream of good life is still very powerful and the belief in progress that characterized Europe in the nineteenth century is maintained into the middle of the twentieth century in America.²

In America, during the 1950's, the importance of a happy family is emphasized by both politicians and popular culture. Many Americans measure happiness and success by having one's own house, car, wife and kids. According to these measures, the 1950's is a stable, productive time for the United States of America. Yet, these measures often cover real problems which will eventually emerge in many communities.

It is this truth beneath the phony exterior that Edward Albee tries to reveal in his plays.³ He describes his works as:

An examination of the American scene, an attack on the substitution of artificial for real values in our society, a condemnation of complacency, cruelty, and emasculation and vacuity, a stand against the fiction that everything in this slipping land of ours is peachy-keen.⁴

Albee attacks the very foundations of American optimism and the false standards of the American society like physical fitness, progress and faith in the national mission. He also probes deeply the sentimental ideals of family life to prove their fakery.⁵ Thus, many of his plays are overrun with unhappy families whose members are "devouring mothers, castrating wives, and remote husbands."⁶ Therefore, Albee's concept of marriage is no more than domestic warfare.

Sterility in Edward Albee's Who is Afraid of Virginia Woolf?

Who is Afraid of Virginia Woolf? is concerned with two couples, George, Martha, Nick and Honey. The events of the play take place in a small New England College. The scene is the living room of George, a history professor,

²- Martin Esslin, *The Theatre of the Absurd* (London:Penguin Books, 1968), p. 311.

³- Cecilia Liu, "Modern and Contemporary U. S. Drama: Albee: Who's Afraid of Virginia Woolf?", 5 Nov. 2002 (file:// A:\ Albee Who's Afraid of Virginia Woolf? htm.), 5 Feb. 2003.

⁴- Ibid.

⁵- Esslin, p. 312.

⁶- Geoff Cowper Smith, "The War of the Women", 9 Sept. 2002. (file: \\ A: \ S2\ Who's Afraid of Virginia Woolf? htm.) 5 Feb. 2003.

العقم في مسرحية من يخاف من فيرجينيا ووف؟ لأدورد البي

Sterility in Edward Albee's Who is Afraid of Virginia Woolf?

Israa Jalal Jawad, PhD

د. اسراء جلال جواد (١)

المستخلص

تعالج هذه الدراسة مسرحية من يخاف من فيرجينيا ووف؟ لألي حيث خلقت حقيقة عقم الزوجين طفل وهمي. تبين المسرحية ان مواجهة الحقيقة قد ساعدت الزوجين على بناء زواجهم على اساس جديد.

Abstract

The present study deals with Edward Albee's Who is Afraid of Virginia Woolf? where sterile reality creates an illusory child. It shows confrontation with reality that helps the characters to rebuild their marriage on a new basis.

^١ - كلية الاداب / جامعة بغداد

Editorial's word

Digital learning

Internet , though detrimental to the young generation it is , has entered the people's lives beyond imagination. With the spread of corona virus , the uses of the internet have become multiple , from intercommunication , information exchange , to the digital assemblies which replaced the café mates , the commercial exchange of goods , and finally to the digital learning. In digital learning , the student's bedroom has converted into a classroom and an auditorium ; the phone , laptop and the tablet have become a teacher answering any question , giving solutions to the most challenging mathematical problems , and diagnosing the reasons of the pains , and prescribing the medications ; it is not only answering the questions , but also making tests with high trust ; therefore you are honest to what read and benefited from.

With the emergence of corona virus, the internet has changed into something different. After being a tool for fun and leisure time, a way for the corruption and youth's depravity , and a means for the crimes and terrorism , internet has become a place for every student and pupil seeking success in their career.

Through the shift in the world of internet, we have realized what advantages this unseen by naked eye creature it has , and how much the human being can make use of it. Until shortly , if some people used to curse the internet because it brought the crime, terror , killing and destruction , a lot of them , now , would ask the mercy for the father founders who invented this striking creature whose identity has not been exactly discovered , but they have become bound thereto at home , office , street , car and even on plane board in a way they cannot dispense away with laptop and cell phone. Internet has new dimensions and its relation to the humans gives a promising future for the entire humankind.

Criminal Liability of Negligence crime	393
Assist. Lect. Murtaja A. Mustafa	
Measuring the efficiency of the operational performance of Islamic banks in Iraq "National Islamic Bank and Islamic Bank of Ilaf" Case study for the period (2011-2015)	422
Assistant Lecturer. Alyaa K. A.	
Measurement of Difference between Income and Education in Iraq	443
Assist. Lect. Saba Alaa Salman	
Description of Language Transcribers in Sebaweah Book -Analytical study-	462
Assist. Lect. Zaid Wifaq Shakir	
Assist. Lect. Diana Salah Abdulhussain	
Privatization and its Implementation in Iraq	475
Hana Jawad Kadhim	
Mental Arithmetic and Solving Mathematical Problems For primary school graduates: Ages 12 to 14 years	490
Dr. Abbas Ali Abdul-Ridha	
Peaceful Transformation of Power in Light of the Republic of Iraq Constitution	508
Assist. Lect. Firas Issa Al-Humairy	
Assist. Lect. Sabah Muhammad Jabir	
Protecting the womens Rights in Sedaw Agreement and its supplement protocol	530
Suaad Abdulkadhim Abdulhameed	
A look at the Private Higher Education Law No. 25 of 2016.....	551
Dr. Ali A. Al-Husain Al-Daraji	

Prof. Hayder Hussain AL-Shammari
Assist. Lect. Ahmad Khalil

The impact of organizational renewal capabilities in achieving a proactive sustainability strategy -An Analytical Study for A Sample Of Managers In The Mobile Communication Companies In Iraq (Zain Iraq-Asia Cell) 160

Prof. Alaa Farhan Talip
Lect. Muhammad Jabbar Hadi

Role of strategic Intelligence in Fulfilling High performance -Exploratory study of the view of managers of Southern General Company for Cement Industry-190

Prof. Akram Muhsin Al-Yasiry
Assist. Lect. Ali Abdulhussain Humaidy Al-Amiry

Evaluating First Intermediate Arabic Language Book According to Standards of Quality of school Books..... 224

Assist. Prof. Ahmed Jabbar Radhi Al-Abidy

The Relationship between the Exchange Rate and the Real changes in Iraq from 1990 to 2016 246

Assist. Prof. Sawsan Kareem H. Al-Jaboory
Kasim saad Sagban

The Effect of attendant Leadership on the creative performance of the Employee -Analytical study of a sample of karbala Satellite channel- 272

Assist. Prof. Mithaq H. Al-Fatlawi
Muhammad Muhi Raheem

Rules of Lynch poisoning Crime as Example -jurisprudential study with Legislated law- 300

Lect. Zahra Mahdi

Sentimental exhaustion and its role in Negative Labor behavior -Analytic Exploratory study of a sample of the Instructors and personal of college of physical Education in Karbala University- 314

Assist. Prof. Mahmoud Fahad Al-Dulaimy
Hussain Ali Abdulla

The Role of the General principles of law in Decisiveness of International Disputes..... 336

Lect. Akeel Kareem Zughair Al-Hasnawy
Lect. Muhammad Abdul Razzaq Muhammad Al-Shouk

Future of Natural Gas in Iraq 355

Assist. Lect. Abeer Murtadha H. Al-Saadi

The powers of the special administration in amending the administrative contract 375

Lect. Ali Sahib Al-Shareefy

Contents

Sterility in Edward Albee's Who is Afraid of Virginia Woolf?.....	6
Israa Jalal Jawad, PhD	

Contents of Arabic Researches

Expenditure and Legitimat Exclusion in it	9
Prof. Balasim Azuz Al-Zamily Noora Liwa Jasim	

Legitimate Purposes in Imams doctorine (status and opinions)	26
Assist. Prof. Hussain Kadhim Aziz	

Supreme Moral values in Nahj EL-Balaga -Analytic study-	53
Lect. Jaafer Ali Ashoor Dr. Jawad Auda Sabhan	

The Naturalised Participation in the Political process (research in the effects of individual Naturalisation in Iraqi legislation).....	77
Porf. Kareem Miziel Shabi	

Iraqi press supports to the Revolution of prince Muhammad Abudel Kareem Elkhitabi 1921-1927	103
Assist. Prof. Salih Abbas Nasir Al-Tae	

The Effect of Humanities in the Reading of Mohammad Erkon of Islamic Heritage	115
Lect. Hussain Hadi	

Records of Bahaviours Basics as a tool for combating corruption of private sector companies (Legal comparison study).....	134
Lect. Malak Abdul-Latif Assist. Lect. Ahmad Zaki Yaha Al-Jaboory Assist. Lect. Jalal Hassan Hantush Al-Hasnawy	

The Verdict of Inheritance transmission by death in spite of different nationalities in Iraqi legislation	147

In The Name Of Allah Most Gracious, Most Merciful

ISSN 1819-2033

issue: 27

Ahlulbait

Refereed Journal (Quarterly)
Issued By Ahlulbait University

Chief Editor

Prof. Dr. Hamid Abed Jawad Al Najdy

Editorial Secretary

Dr. Baqer Jawad Al-Zajajy

Editors

Prof. Dr. Majed Hamze Al Khozaey

Prof. Dr. Hassan Hantoosh Al Hasnawy

Prof. Dr. Saleh Mahdi Al Shekarchy

Prof. Dr. Adel Khalil Al Zubaidy

Prof. Dr. Aziz Jabor Shaial

Prof. Dr. Hafodh Ibrahim Mahmood

Prof. Dr. Hassan Saeid Al Asadi

Karbala, Al-Hurr street, P.O.Box: 486
info@abu.edu.iq, www.abu.edu.iq
